غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد المئة والإثنان

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

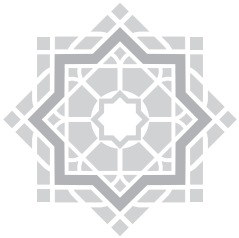
الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي



المِحْوَرُ الثَّانِي عَشَر

المحاضرات

١٩٥ محاضرات الإمام القرضاوي

٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

المحـور الثاني عشر

المحـاضـرات

غير مرخصة للطباعة

١٩٥

محـاضرات الإمام القرضاوي

٧

الإمـام يوسف القرضاوي

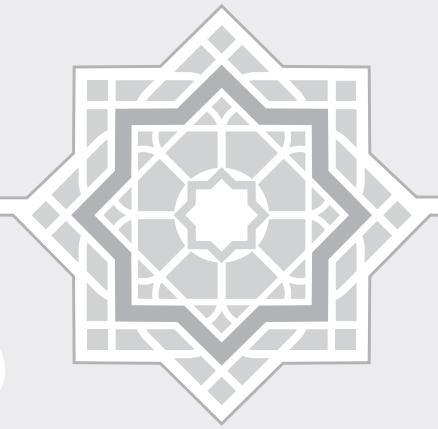
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



إسلاميَّات



غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي نَضْرة رضي الله عنه ، حدَّثني من سمع خطبةَ رسولِ الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها النـــاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربـــيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجمـــيٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أســـود على أحمر، إلَّا بالتقوى**». رواه أحمد.

عن معاوية بن أبي ســـفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله بـــه خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاســـم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله**». متَّفق عليه.

عن عُبَيْـــد الله بن مِحْصَن رضي الله عنه قال: قال رســـولُ الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سِـــرْبه مُعافًى في جسده عنده قُوتُ يومِه فكأنَّما حِيزت له الدُّنْيا**». رواه الترمذي.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**». رواه أحمد وابن ماجه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١

التجديد في الإسلام
معالم وإضاءات(١)

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به أيُّها الإخوة ـ بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في المشرق ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأُهنِّئكم بهذا التواصل الَّذي وصل بهذه الجمعية إلى الثلاثين من عمرها المديد، والنافع، والمبارك إنْ شاء الله، وأسأل الله تعالى الَّذي جعل يوم الجمعيَّة خيرًا من أمسها، أنْ يجعل غدها خيرًا من يومها، اللهم آمين.

(١) ألقيت في الجزائر.

QaradawiBooks.com

لقد فوجئت ليلة أمس بهذا العنوان الجديد الَّذي اقترحه الإخوة لأتحدَّث فيه إليكم، وهو موضوع التجديد في الإسلام، ولعلَّ ملحظ الإخوة في هذا الموضوع أنَّه أمرٌ مهمٌّ لكي نتبوأ مكانتنا في هذا العالم الجديد، في ظل محكمات الشرع، مع عدم الغفلة عن مقتضيات العصر، ولا يمكن أنْ يتحقَّق هذا إلا في ظل تجديد حقيقي للإسلام، وبالإسلام، ولعلَّ هذا ما جعله يقترحون أنْ أُحدِّثكم في هذا الموضوع من المخزون الَّذي عندي، ولعلَّه يكون مخزونًا نافعًا دون إعداد، وقد كتبت بعض الشيء حول موضوع الاجتهاد والتجديد في أكثر من كتاب.

تحديد المفاهيم:

ما معنى التجديد؟ وهل هناك حاجة إلى التجديد؟ وفي أيِّ مجال يكون التجديد؟ وما موقف الناس من هذا التَّجديد؟ ومَنْ المُجدِّد؟ أسئلة أعتقد أنَّ الإجابة عليها واجبة، ولا أدري هل تكفي الخمسون دقيقة الَّتي حُدِّدت للإجابة عن هذا كلِّه أو لا تكفي؟ سنحاول البحث معًا حول هذه الأمور.

من المهم جدًّا في مثل هذه الكلمات الَّتي لها قوة المصطلحات أنْ يُحدَّد مفهومُها، ولا يُترك مفهومها هلاميًّا رجْراجًا؛ يفسرها مَنْ يشاء كما يشاء، كلُّ فريق من الناس يفسرها وَفْق هواه، وهذا هو الخطر، فكلمات التجديد، والتطور، والرجعية كلمات تلوكها الألسن والأقلام، وكثيرًا ما تُترك ـ قصدًا أو بغير قصد ـ دون تحديد؛ ليمكن التلاعب بها، فمن المهم جدًّا تحديد المفاهيم، وخصوصًا حينما نتحدث عن التجديد في الدين.

QaradawiBooks.com

معنى التجديد:

جدَّد الشيء أي: جعله جديدًا، أي أنَّ الشيء قديم فجدَّده، فلا يقال تجديد في استحداث شيء، ليس هذا تجديدًا، إنَّما التجديد أنْ تأتي بشيء قديم فتجعله أقرب ما يكون إلى يوم ظهوره أول مرة، أي يوم استحداثه، إذا كان هناك بناء أثريٌّ فتجديده يكون بإزالة الأتربة عنه، وتحسين شكله، وتحسين مداخله، وتحسين الطريق إليه، ولكن لا يمكن أنْ تُغيِّر جوهره، وتعتبر ذلك تجديدًا، أي تُزيل البناء القديم، وتستحدث بناءً جديدًا عصريًّا، وتسمي ذلك تجديدًا، فليس هذا من التجديد في شيء، ومن هنا ينبغي أن نفهم معنى كلمة التجديد حينما تُضاف إلى الدين.

مشروعيَّة التجديد:

هل هناك مشروعيَّة للتجديد في الدين؟ أنكر بعض العلماء أنْ يكون في الدين تجديد، وقد ثارت منذ سنوات مجادلة بين أحد الصحفيين الكبار، هو الأستاذ أحمد بهاء الدين، وأحد العلماء الكبار في مصر، وأنكر العالم الكبير أنْ يكون في الدين تجديد، وقال: الدين وضعٌ إلٰهي ثابت، ولا يقبل التجديد. لِمَ قال هذا؟ خوفًا من أنْ تُستخدم كلمة التجديد في غير موضعها.

ولكن هذا الخوف مشكلة أيضًا، فهناك كثير من الناس يخافون من بعض الأشياء فينكرون ما لا يجوز إنكاره، لأنَّنا لسنا أحرص من رسول الله ﷺ، الَّذي بعثه الله بهذا الدين، وهو الَّذي أقرَّ شرعية التجديد، وجاء في الحديث الَّذي رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، ورواه البيهقي في معرفة السنن والآداب، ورواه الحاكم في

QaradawiBooks.com

مستدركه، ورواه غير واحد، وصحَّحه غير واحد من الأئمة، حديث أبي هُرَيْرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَنْ يُجدِّد لها دِينَها**»[1].

إذنْ بنصِّ كلام رسول الله ﷺ أصبحت هناك شرعيَّة للتجديد، الدِّين نفسه قابلٌ للتجديد، وإذا أضيف التَّجديد إلى الدِّين أصبح هناك تجديد للفقه، وتجديد للفكر، حتى تجديد لأصول الفقه، كلُّ هذا قابل للتجديد لأنَّ الدين نفسه قابل للتجديد كما ذكر الحديث.

ولكن هل معنى تجديد الدين أن نُخْرج منه طبعة جديدة منقَّحة، ما بين الحين والحين، فنغيِّر من مفاهيمه الأصلية، ونُغيِّر من أصوله وقواعده ومبادئه الثابتة؟ لا، ليس هذا هو المقصود، الدين الَّذي ذكره الحديث هنا هو الدين المنسوب إلى الأُمَّة، «**يُجدِّد لها دينها**»، أي: فهمها للدين، وإيمانها به، وعملها به، وعملها له، هذا هو التجديد؛ تجديد الفهم، وتجديد الإيمان، وتجديد السلوك، وتجديد العمل، وتجديد الدعوة، هذا هو المقصود بالتجديد.

وهذا التجديد مطلوب طلب استحباب، بل طلب وجوب، هو فرض من فروض الكفاية على الأُمَّة، أنْ تُجدِّد دينها بين الحين والحين، تجدِّد الفهم، وتجدِّد الإيمان، وتجدِّد العمل، ولكن من المهم جدًّا أنْ يُضْبَط مجال التَّجديد.

---

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (٢٨١/٢)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

مجال التجديد:

فيمَ يكون التجديد؟ من المقــرر أنَّ هناك منطقتين في الدين؛ منطقة مغلقة لا يدخلها الاجتهــاد والتجديد، ومنطقة أخــرى مفتوحة يدخلها الاجتهاد والتجديد والتغيير والتطور، ومن فضــل الله تعالى أنَّ المنطقة الثانية هي الأوسع والأكبر.

منطقة مُغْلَقة:

أمَّا المنطقة الأولى، فهــي منطقة محدودة، ولكنَّها في غاية الأهميَّة، صحيح أنَّها مغلقة، ولكنَّها هــي الضابطة، وهي الحاكمة، وهي المنطقة الَّتي تتعلَّــق بأصول العقائــد، وبأمَّهات الأخلاق، الفضائــل والرذائل، وبالعبادات والشــعائر، وبقطعيات الأحكام الَّتي تُجسِّد الوحدة العقديَّة، والفكريَّة، والشعوريَّة، والسلوكيَّة للأُمَّة.

ولولا هذه القطعيَّات لأصبحت الأمَّة سائبة، ولا رابط، ولا جامع لها، تصبح أممًا داخل الأُمَّة، في كل بلد أُمَّــة غير الأُمَّة الأخرى، والمفترض أنَّها أُمَّة واحدة، فالمسلمون أُمَّة كما سمَّاهم القرآن، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقــرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. ولذلك أرى من الخطأ أنْ يقال: الأمم الإسلاميَّة. هناك شعوب إسلاميَّة في أُمَّة واحدة.

ولكي توحَّد هذه الأمَّة لا بدَّ أنْ توجد في إطار حاكم، هذا الإطار تمثله العقيــدة، وقطعيَّات الشــريعة، وأمَّهات الأخــلاق، والعبادات الشــعائريَّة الكبرى، فلا يجوز إذنْ أن نفتح هذه المنطقة المغلقة، فمن أخطر الأشياء أن نُميِّع الأمور الثابتة، وأن نُجمِّد الأمور المتغيِّرة، وهذا للأســف ما أصاب المســلمين في العصور الأخيرة، فرغــم أنَّ هذه

QaradawiBooks.com

المنطقة المغلقة محدودة جدًّا إلا أنَّها شديدة الأهميَّة، والخطر هنا أنَّ بعض الناس يريد أنْ يُدخِل التجديد في هذه المنطقة، وهو ما سنتحدث عنه بعد ذلك.

المنطقة المغلقة تمثل الثوابت الَّتي لا تقبل التَّغيُّر، فالعقائد مثلًا هي حقائق وأخبار عن الألوهية، وعن النبوَّة، وعن اليوم الآخر، والحقائق لا تتغيَّر، فلن يصبح الإلٰه الواحد ـ مثلًا ـ متعدِّدًا بعد مدة، فهذه حقائق لا تتغيَّر، هي إخبار بما هو كائن، وما سيكون من الغيبيَّات، وكذلك العبادات الشعائريَّة لا يدخلها التغيير، وكذلك القطعيَّات الثابتة، الأحكام الَّتي ثبتت بنصوص قطعيَّة الثبوت، قطعيَّة الدلالة، لا تحتمل تفسيرًا آخر، فهذه المنطقة المغلقة لا تقبل التَّغيير.

منطقة مفتوحة:

أمَّا المنطقة الأخرى فهي المنطقة الواسعة، الَّتي تتطلب الاجتهاد، والتجديد، والتَّغيير، ولذلك حينما يتحدث علماء الأصول عن الاجتهاد، وعن المُجتَهد فيه كما يُعبِّرون عنه، أي عن مجال الاجتهاد، يقولون: المُجتَهد فيه هو ما كان دليله ظنيًّا من الأحكام، ما دخلته الظنيَّة في ثبوته، أو في دلالته، أو فيهما معًا، أمَّا القطعي فليس مجالًا للاجتهاد.

ومعظم الدين يدخل في هذه الدائرة، ومَنْ قرأ منكم كتب الفقه، وكتب الشريعة، لا يكاد يجد مسألة متَّفقًا عليها، إلَّا القليل جدًّا، في كلِّ بابٍ مسألة أو مسألتان، أمَّا الباقي ففيه خلاف لا ينتهي، وبعض الناس يضيق بهذا الخلاف، مع أنَّ هذا الخلاف ضرورة من ناحية، ورحمة من ناحية أخرى، وسَعَة وثروة من ناحية ثالثة، فهذه المنطقة هي الَّتي يدخلها التجديد.

QaradawiBooks.com

التجديد في أمور الدنيا:

وإذا قلنا أيُّها الإخوة: إنَّ الديـــن يقبل التجديد. فهذا يفرض علينا أن نقول: إنَّ التجديـــد في أمور الدنيا، أو في أمـــور الحياة هو أمرٌ مطلوبٌ ولا شك. لأنَّ الدين الَّذي من شأنه الثبات في الغالب يقبل التَّجديد، فما بالكم بأمور الدنيا؟

هنا نقول: إنَّ التَّجديد مطلوب، والإسلام بدعوته إلى إعمال الفكر، ودعوته إلى الاجتهاد، ودعوته إلى إدخال عنصر الزمان والمكان والحال في الفتوى، كل هذا يجعل التجديد أمرًا مطلوبًا.

لا يوجد دين دعا إلى إعمـــال العقل والفكر كما دعا الإســـلام، بعض الأديان الأخرى تقول: اعتقد وأنـــت أعمى، أو أغمض عينيك ثم اتبعني، أو أنَّ الجهالة أم التقوى. لكن الدين عندنا نحن المســـلمين علم، والعلم عندنا دين، منذ نزلت أول آية في القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. والقراءة هي مفتاح العلـــم، لا يوجـــد كتاب غيـــر القرآن يقـــول: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعـــام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقـــرة: ٤٤]، ﴿لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحـــل: ١١]، ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعـــد: ٤]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦]. لا يوجد مثل هذا في أي دين غير الإسلام.

العقل أساس النقل:

وقد قرَّر علماؤنا: أنَّ العقل أساس النقل، لولا العقل ما ثبت النقل[1].

(١) انظر: المطالب العالية من العلم الإلهيّ للرازي (١١٦/٩)، تحقيق أحمد حجازي السّقا، نشر دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، وانظر: أســـاس التقديس صـ١٣٠، نشـــر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، والتوحيد للماتريدي صـ٤ ـ ٦، تحقيق د. فتح الله خليف، نشر دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

QaradawiBooks.com

لأنَّنا بماذا نُثبت الوحي؟ بماذا نُثبت رسالة محمد ﷺ، وصحة نبوته؟ لو سألك سائل: ما الدليل على صدق محمد ﷺ؟ وقلت له: قال الله، وقال الرسول. لكان هذا دورًا؛ إذن لا بدَّ أنْ تُثبت هذا بالعقل، فالنبوَّات لا تثبت إلا بالعقل؛ لأنَّها تثبت بالمعجزة، ودلالة المعجزة ـ كما يقول علماؤنا ـ هي دلالة عقليَّة، وإثبات النبوة لشخص معين يكون بدلالة العقل.

بل إنَّ إثبات المُرسِل يسبق إثبات المَرسَل، فإثبات وجود الله ﷻ يكون بالعقل، مع الفطرة أيضًا، فأعظم حقائق الوجود، وهي وجود الله ﷻ، والنبوَّة، إنَّما يثبتان بالعقل، ومن هنا قالوا: العقل أساس النقل، لولا العقل ما ثبت النقل. فلا يوجد عندنا نحن المسلمين تعارض بين عقل صريح ونقل صحيح، وهذا ما كتب فيه شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه «درء تعارض العقل والنقل»، ويسمى أحيانًا «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، فإذا وجد شيء من هذا، فإما أنْ يكون ما ظُن من الدين ليس بدين، أو ما ظُن من العقل ليس بعقل.

دعا الإسلام إلى إعمال العقل والفكر، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. وقد تكرر هذا الطلب ـ ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ ـ في القرآن عدة مرات في عدة سور، فالحجة، والبرهان، والبيِّنة، والعقل، والتفكر، والنظر، والاعتبار هي كلمات شائعة في القرآن الكريم.

ثم من ناحية أخرى دعا الإسلام إلى الاجتهاد، وقرَّر أنَّ المجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، كان يمكن أنْ يُقال عن المخطئ: إنَّه معذور. لا، لم يحرمه من الأجر، حتى مع خطئه، فأيُّ دعوة إلى حرية التفكير ـ حتى وإن أخطأ المجتهد ـ أكثر من هذا؟

QaradawiBooks.com

الصحابة والتجديد:

وهذا مما يساعد على التجديد بالفعل، ولذلك نجد أنَّ أكثر الناس تجديدًا هم أكثر الناس فهمًا لحقيقة الإسلام، وأكثر الأجيال فهمًا لحقيقة الإسلام هو جيل الصحابة رضوان الله عليهم، هم أفقه الناس لروح الإسلام، وأكثر الناس تجديدًا.

انظر إلى الصحابة وما صنعوه، بعض ما صنعوه لا نستطيع أن نفعله نحن، وتجديدات عمر بن الخطاب معروفة، ففي أمور الدنيا هو أول مَنْ مصَّر الأمصار، وأول مَنْ دوَّن الدواوين، وأول مَنْ فعل كذا، هذه الأوليَّات كلها عبارة عن أمور استحدثها.

وكذلك في أمور الدين نفسه، بدأ ينظر في بعض الأمور، ولم يجد من تصرفات الرسول ﷺ عائقًا يعوقه عن الاجتهاد والتفكير؛ لأنَّ الرسول ﷺ تصرَّف في بعض الأمور بمقتضى الإمامة، وعمر إمام أيضًا، فله أنْ يتصرَّف بمقتضى إمامته، وإنْ خالف بعض ما صنعه النبيُّ ﷺ.

تقسيم أرض العراق:

ولو كان عمر في عصرنا لقيل له: كيف تخالف رسول الله ﷺ؟ الرسول يقسم أرض خيبر، وأنت ترفض أنْ تقسم أرض العراق، وكذا وكذا؟ وفعلًا كان عند بعض الصحابة هذا الاتجاه، ولكن عمر، وفقهاء الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل رأوا أنْ يصنعوا صنيعًا يسع أول الناس وآخرهم؛ قال: إذا قسَّمت هذه الأرض على الفاتحين سيأتي آخر الناس وليس له شيء[1].

(١) المغني لابن قدامة (٣/٢٥، ٢٦)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

نظر عمر وهؤلاء الصحابة إلى أنَّ أجيال الإسلام متكافلة، هناك تكافل زماني بجوار التكافل المكاني، فكما أنَّ هناك تكافل الأقطار، فهناك أيضًا تكافل الأجيال؛ لا يجوز أنْ يأتي جيل ويأخذ ثروة الأمة، ويسرف فيها على حساب الأجيال القادمة الَّتي لم تطرق بعد أبواب الحياة، ولذلك لم يرض عمر أنْ يُوزِّع هذه الأرض على الفاتحين، فلا يبقى شيءٌ للأجيال القادمة، فرأى أنْ تبقى الأرض لأربابها ويُفرض عليها خراج يُصرف منه على مصالح الأمَّة، وتنتفع به الأجيال القادمة.

ووجد عمر له حُجَّة في آيات سورة الحشر الَّتي وزَّعت الفيء على الفقراء من المهاجرين، وعلى من تبوؤوا الدار من الأنصار، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]. إذا وجد الجيل القادم شيئًا يدعو لمن سبقه، أمَّا إذا وجد أنَّ الأجيال السابقة أكلت حقَّه لن يدعو لها، بل سيدعو عليها، ويلعن آخر هذه الأُمَّة أوَّلَها، فكان اجتهاد عمر في كثيرٍ من القضايا اجتهادًا تجديديًّا، وقال ابن قدامة في ذلك: فعل النبيُّ ﷺ في زمانه ما كان أصلح للأمَّة، وفعل عمر في زمانه ما كان أصلح للأُمَّة[١]. لم يعتبر هذا مخالفة.

أخذ الجزية بحَسَب الوُسْع:

وعندما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: «**خذْ من كلِّ حالمٍ دينارًا**»[٢]. يعني في الجزية، ورأى سيدنا عمر أنَّ هناك أغنياء، وهناك

(١) المغني لابن قدامة (٢٦/٣).

(٢) رواه أحمد (٢٢٠١٣)، وقال مُخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٥٧٦)، والترمذي (٦٢٣)، وقال: حسن. والنسائي (٢٤٥٠)، ثلاثتهم في الزكاة، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

متوسطي الدخل، وهناك فقراء، فهؤلاء يدفعون ٤٨ دينارًا، وهؤلاء يدفعون ٢٤ دينارًا، وهؤلاء يدفعون ١٢ دينارًا، فوزعها على حسب القدرة على الدفع كما يقول الضريبيون، ولا يعتبر هذا مخالفةً للنبيِّ ﷺ، بل يقال: إنَّ النبي ﷺ خفَّف على أهل اليمن الذين بعث إليهم معاذ بن جبل. فهناك أشياء كثيرة جدَّد فيها الصحابة، كلُّ الصحابة.

ضوال الإبل:

كانت لسيدنا عثمان بن عفان أشياء تجديدية، كانت ضوال الإبل في حياة النبي ﷺ لا تُلتقط، حينما سئل عنها قال: «**ما لك وما لها؟! معها حِذَاؤها وسقائها، دعها حتى يأتي ربُّها** (صاحبها) **فيأخذها**»[1]. وظلَّ هذا في عهد أبي بكر، وعهد عمر.

فلما جاء عهد عثمان دخل الناس كثيرًا في الإسلام، واختلطوا بالأُمم الأخرى، وخربت بعض الذمم، وصار هناك مَنْ يأخذ هذه الضَّوال ويحبسها، أو يذهب إلى بلد آخر، فرأى عثمان أنْ تُلتَقَط الإبل، وتُحبس حتى يأتي أصحابها، وليس في هذا مخالفة للنبي ﷺ، بل هو نظرٌ إلى علَّة الحديث، تغيَّر الزمن فتغيَّرت الفتوى، هكذا كانوا.

جمع الناس على مصحفٍ واحد:

وحينما شكا حذيفة بن اليمان إلى عثمان تفرُّق الناس في إحدى المعارك في مسألة القرآن، وصار مَنْ يقول لغيره: قرآني أحسن من قرآنك، وقراءتي أحسن من قراءتك. فرأى عثمان أنْ يجمع الناس على مصحف واحد، وأنْ يُحرِّق ما عداه من المصاحف، جمعًا لكلمة الأمَّة، وكان المصحف الإمام،

(١) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٢٤٢٩)، ومسلم (١٧٢٢)، كلاهما في اللقطة، عن زيد بن خالد الجهني.

QaradawiBooks.com

ونسخ منه المصاحف المعروفة، وبعثها إلى الأمصار الكبرى، فكان هذا تجديدًا، وقال عليٌّ: لو كنت مكان عثمان لفعلت ما فعل[١].

طلاق الفارِّ:

وكذلك كان لعثمان اجتهاده في طلاق الفارِّ، والفارُّ هو الَّذي يُطلِّق امرأته في مرض موته، حتى لا ترث، فرفض عثمان هذا، وورَّث المرأة إذا مات هذا الزوج وهي في عدتها[٢]؛ اعتبره فارًّا من ميراثها، فعامله بنقيض مقصوده، وهكذا نجد لكثير من الصحابة اجتهادات جديدة.

تضمين الصُّنَّاع:

وفي عهد عليٍّ بن أبي طالب قام بتضمين الصُنَّاع، كان الأصل أنَّ يد الصانع يد أمانة، فلا يضمن ما كان عنده من ثوب يخيطه، أو كذا، ولكن لما وجد عليٌّ بعض الناس يمكن أنْ يتساهلوا، ويقول: سُرق مني الثوب، أو احترق، أو أي شيء من هذا. جعل يدهم يد ضمان، وقال: ما يصلح الناس إلا هذا[٣]. هكذا نجد الصحابة رضوان الله عليهم.

توبة القاتل:

ونجد أنَّ الصحابة عرفوا قضيَّة تغيُّر الفتوى بتغيِّر الزمان والمكان والحال، جاء رجل إلى ابن عباس فسأله: هل للقاتل من توبة؟ فصعَّد فيه النظر وصوَّبه، ثم قال له: لا ليس للقاتل من توبة. فلما خطا الرجل

---

(١) المرشد الوجيز لأبي شامة صـ٥٣، تحقيق طيار آلتي قولاج، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) المحلَّى لابن حزم (٤٨٧/٩) مسألة (١٩٧٢)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) رواه البيهقي في الإجارة (١٢٢/٦).

QaradawiBooks.com

خطوات، قال له أصحابه وتلاميذه: قد كنت تقول: إنَّ للقاتل توبة؟! فقال: إنِّي رأيته مُغضَبًا يريد أنْ يقتل مؤمنًا. يعني أنَّ الرجل لم يقتل، لكنَّه يريد أنْ يقتل ويريد قبل ذلك أنْ يأخذ فتوى من ابن عباس أنَّ للقاتل توبة، فنظر فيه فوجد رجلًا تقدح عينه شررًا، ويريد أنْ يقتل فسدَّ عليه الطريق، فذهب بعض أصحاب ابن عباس وسألوا عن الرجل، فوجدوا الأمر بالفعل كما قال ابن عباس[1]. ولذلك قال علماؤنا: إنَّ الفتوى قبل الابتلاء بالفعل غير الفتوى بعد الابتلاء بالفعل.

وأنا أحيانًا يسألني بعض الناس يقول: أنا حلفت بالطلاق على زوجتي ألا تفعل كذا. فأقول له: هل فعلتْ؟ يقول: لا. فأقول: بعد أنْ تفعل تعال فاسألني. فإذا كانت زوجته قد فعلت، أقول له: المذاهب الأربعة توقع الطلاق، ولكنِّي أجد لك مخرجًا في مذهب بعض السلف، الَّذي رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، بأنَّ قول «عليَّ الطلاق» ونحوه هو يمين، فعليك إذنْ كفارة يمين، بإطعام عشرة مساكين، ولا يقع الطلاق. فبعد الابتلاء بالفعل يمكن للعالم أنْ يوفق.

كان الصحابة إذنْ أكثر الناس تجديدًا، جدَّدوا في أمور الدين، وجدَّدوا في أمور الدنيا، طوَّروا وغيَّروا، دخل الصحابة بلاد الحضارات، بلاد فارس والروم، فما ضاقوا بحادثة من الحوادث، وجدوا لكلِّ أمر حلًّا في ظلِّ الشريعة الإسلاميَّة، وأنشؤوا المدارس الفقهيَّة الكبرى، حينما ذهب ابن مسعود إلى الكوفة، أنشأ مدرسته الفقهية العظيمة الَّتي خرَّجت بعد ذلك أبا حنيفة وأصحابه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الديات (٢٨٣٢٦)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٤٣/٤): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

من هنا نقول ـ أيُّها الإخوة ـ إنَّ المنطقة المفتوحة منطقة واسعة جدًّا، ويمكن لأصحاب الفكر والفقه والرأي ـ بالضوابط المعروفة ـ أنْ يُجدِّدوا ويطوِّروا ويجتهدوا فيها.

منطقة العفو:

ويساعد على هذا ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّ الدين لم ينصَّ على كلِّ شيء، هناك منطقة واسعة جدًّا لم ينص الشرع فيها على حكم، نسمِّيها «منطقة العفو»، أخذًا من الحديث الشريف أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عَفْوٌ، فاقبلوا من الله عافيته، فإنَّ الله لم يكُنْ لِيَنْسى شيئًا**». ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][1]. فمنطقةُ العفو منطقةٌ واسعة جدًّا، يأتي الفقهاء فيملؤوها عن طريق قياس الفرع على الأصل، إذا اشترك في العلة، ولم يكن هناك فارق معتبر، أو عن طريق الاستصلاح، العمل بالمصالح المرسلة، أو عن طريق الاستحسان إذا قبح القياس، أو عن طريق مراعاة العرف، أو عن طريق سدِّ الذرائع، أو عن طريق استصحاب الحال، أو غير ذلك.

النصُّ الكُلِّيُّ:

ثم إنَّ ما كثيرًا مما نُصَّ عليه يكون النص فيه بطريقة كليَّة، ليس هناك نص على التفصيلات، قد يُنصُّ على بعض الجزئيات كنموذج، ولكن الأصل النص يكون على المبادئ والكليات العامَّة، دون الدخول في التفصيلات، تُترك للزمن، بعض الناس يقول: لماذا لم يوضح لنا الدين؟

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

مع أنَّ هذا من حكمة الدين، فالدين مثلًا أقرَّ الشورى، ولكن كيف تكون الشورى؟ كيف نستشير؟ وكيف نحدِّد أهل الشورى؟ وكيف وكيف؟ الدين ترك ذلك كلَّه لنا، لأنَّه لو ألزمنا بصورة مُعَيَّنة لجمَّدنا عندها، فنحن نختار من صور الشورى ما يتلاءم مع الزمان والمكان والحال.

تعدد الأفهام:

ثم هناك قابليَّة النصوص لتعدُّد الأفهام، معظم النصوص قابلة لأكثر من فهم، سواء نصوص القرآن، أو نصوص السُّنَّة، قابلة لتفسيرات عديدة؛ لأنَّ النصوص نصوص عربية، والعربية تحتمل الحقيقة والمجاز والكناية، والفهم عن طريق العبارة وعن طريق الإشارة أو الفحوى، أو المنطوق أو المفهوم، إلى آخره، ولذلك كانت المباحث اللغوية واللفظية في أصول الفقه مباحث ضافية، فقابلية اللغة لهذا الاختلاف يعطينا سعة ومرونة في الفهم، وقدرة على التجديد في ضوء المتغيِّرات.

أحكام الضرورة:

كذلك جعل الشرع للظروف الاستثنائيَّة وللضرورات أحكامها، فالضرورات تبيح المحظورات، وإن كان الشرع أيضًا لم يستسلم الضرورات، فالأصل أنَّ الضرورة تُقدَّر بقدرها، كلُّ هذا يساعد على عملية التجديد.

التجديد لا التبديد:

هناك للأسف في عصرنا من لا يفرقون بين المنطقتين، هناك الذين يريدون أنْ يجدِّدوا كلَّ شيء، وهم الذين سخر منهم أديب العربية المرحوم مصطفى صادق الرافعي، وقال: إنَّهم يريدون أنْ يجددوا الدين،

QaradawiBooks.com

واللغة، والشمس، والقمر[١]! وهم الذين تحدث عنهم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته عن الأزهر:

لا تَحــذُ حَــذوَ عِصابَــةٍ مَفتونَةٍ يَجِــدونَ كُلَّ قَديمِ شَــيءٍ مُنكَرا
وَلَوِ استَطاعوا في المَجامِعِ أَنكَروا مَن مــاتَ مِــن آبائِهِــم أَو عُمِّرا
مِن كُلِّ ســاعٍ في القَديمِ وَهَدْمِهِ وَإِذا تَقَــدَّمَ لِلبِنايَــةِ قَصَّــرا[٢]

وهؤلاء أيضًا هم الذين تحدث عنهم الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وقال: إنَّ الكعبة لا تُجــدد، ولا يُؤتَى لها بحجارة من أوربا. ميزة الكعبة أنَّها البيــت العتيق، عتقها وقدمها هو فضيلتهــا ومزيَّتها، فليس التجديد مطلوبًا في أي شيء.

وقال عن هؤلاء: إنَّ جديدهم هو قديم أوربا. الجديد الَّذي يتغنَّون به هو في الواقع القديم عند الأوربيين، هــذا ما نجده عند هؤلاء، وخاصَّة أنَّهم متخلفون عن التطور الســريع في الفكر الغربي نفســه، فهم أحيانًا يتمسَّكون بأفكار القرن التاسع عشر، أو أوائل القرن العشرين، على حين أنَّ العقل والفكر يتغيَّر ويتطوَّر باستمرار، فالخطأ عند هؤلاء أنَّهم يريدون أنْ يجدِّدوا كلَّ شيء، وأنْ يجتهدوا فيما لا يقبل الاجتهاد، هذا هو الخطأ.

إذا كلمت بعضهم في الفقه قالوا: الفقه هو اجتهادات بشــريَّة، أناس اجتهــدوا لعصرهم، فعلينــا أن نجتهد لعصرنا. وهــذا كلام صحيح في جملته، ولكن ليس معنى هذا أن نرفض الفقــه كله، وبعض الفقه ليس مرتبطًا بعصر، بل هو قائم على قواعد وأسس معينة.

---

(١) من عبارة الرافعي على غــلاف كتابه تحت راية القرآن، نشــر دار الكتــاب العربي، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فإذا سلمنا لهم بذلك انتقلوا خطوة أخرى إلى السُّنَّة، وقالوا: من السُّنَّة ما هو صحيح، وما ليس بصحيح، ومنها المتواتر والآحاد، ومنها التَّشريعي وغير التَّشريعي. ورغم أنَّ هذا يقتضي أنْ يُميِّزوا بين هذا وذاك، إلا أنَّهم يرفضون السُّنَّة كلَّها.

فإذا سلَّمنا لهم بهذا قفزوا قفزة أخرى أوسع وأعلى، إلى القرآن نفسه، قالوا: لقد نزل القرآن في بيئة بدويَّة محدودة، فهو حينما قال: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. فإنَّما قال ذلك لأنَّ الخنازير كانت تأكل القاذورات، أمَّا حينما تُربَّى الخنازير تحت إشراف صحيٍّ، وتغذية خاصَّة، فلا معنى لتحريمها، فالخنازير الأوربية غير الَّتي كانت في الجزيرة العربية.

وقال بعضهم، وهو الرئيس الصومالي المخلوع: لو كان محمَّد ﷺ في سيبيريا أو في بلد من البلاد الباردة لكان أباح لنا الخمر، فإذا كان الخمر لا يصلح للناس في البلاد الحارة، فهو يصلح للناس في البلاد الباردة ليتدفؤوا به، مع أنَّ الجزيرة العربية واسعة جدًّا، وفيها مناطق باردة كما فيها مناطق حارة، هناك بلاد تكون في الشتاء تحت الصفر، كحائل وغيرها، كأنَّ الرسول لم يكن يعلم هذا.

ثم إنَّ هؤلاء يتعالمون على الله ﷻ، كأنَّ محمَّدًا هو صاحب هذه الشريعة، كأنها ليست من عند الله، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، فالمشكلة أنَّ هؤلاء يريدون أنْ يُجدِّدوا كل شيء، وأنْ يطوِّروا كلَّ شيء، فلا يبقى عندنا شيء ثابت، يصبح الدين عجينة لينة يُشكِّلها مَنْ شاء، كما يشاء، كيف شاء، ولا يجتمع الناس على شيء، يصبح الدين بذلك تابعًا للهوى.

QaradawiBooks.com

موانع التجديد:

هناك موانع للتجديد المنشود تتجلَّى في هذه الأمور:

(١) النزعة الظاهرية:

من موانع التجديد النزعة الظاهرية في فهم الدين والتعامل معه، هناك أناس يريدون أنْ يُجمِّدوا الدين، ويُجمِّدوا الحياة، وهم الذين أسمِّيهم «الظاهرية الجُدُد»، أصحاب النزعة الحرفيَّة في فهم النصوص، يفهم أحدهم النص فهمًا حرفيًّا، لا يريد أنْ يخرج عنه، ويريد أنْ يفرض عليك هذا، يقول لك: كيف تخالف النص، وكيف تخالف السُّنَّة؟

ونحن لا نخالف النص؛ فالنصُّ وحي على العين والرأس، ولا يتم إيماننا إلا بالإيمان به، والانقياد له، ولكن فهمك أنت للنص ليس وحيًا، النصُّ معصوم، وفهمك أو فهم مَنْ قبلك ليس معصومًا، فينبغي أن نُعمل عقولنا في فهم النص، ما دام النصُّ ظنيًّا يحتمل أكثر من دلالة، لكن المشكلة أنَّ هؤلاء يشوِّشون عليك.

الحساب الفلكي:

حينما قلنا: يمكن الأخذ بالحساب الفلكي في إثبات الشهور العربية أو الهجرية بالنفي لا في الإثبات على الأقل، أي إذا قال الحساب الفلكي: لا يُمكن أنْ يُرى الهلال. فلا معنى أنْ يأتي مَنْ يقول: أنا رأيت الهلال. لأنَّ العلم الفلكي القطعي الَّذي أصبح احتمال الخطأ فيه كما يقول المتخصصون هو (١/١٠٠٠٠٠) في الثانية، وهو العلم الَّذي استطاع به الإنسان أنْ يصل إلى القمر، ويذهب إلى الكواكب الأخرى، إذا قال هذا

QaradawiBooks.com

العلم: لا يمكن رؤية الهلال؛ لأنَّه لم يولد الـولادة الفلكية، لم يحدث الاقتران الَّذي يقولون عنه، هنا ينبغي أن نأخذ به.

ومع هذا وجدنا مَنْ يقول لنا: هل تأتون بشرع جديد؛ الحديث يقول: «**صُوموا لرُؤيته، وأفطـروا لرُؤيته**»[١]. مع أنَّ هذا الحديـث معلَّل بأمِّيَّة الأمَّة، كانت الأمَّة في وقت من الأوقات لا تكتب ولا تحسـب، ولذلك ذهب أحد علماء العصر الحديث هو الشـيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]، وهو عالم مُحدِّث سلفي، إلى أنَّه ينبغي أن نأخذ في الإثبات والنفي بالحساب الفلكي القطعي، وقال: كان اعتبار الرؤية بسبب أنَّ الأمة كانت أمِّيَّة، فإذا تغيَّرت الأمَّة وأصبحت تكتب وتحسب يتغيَّر الحكم؛ لأنَّ الحكم يدور مع علَّته وجودًا وعدمًا.

زكاة الفطر:

كما أنَّ البعض ما زال مُصرًّا إلـى اليوم إلى أنَّه لا بدَّ أنْ تُخرج زكاة الفطر بالتمر، والشـعير، والقمح، وإذا فعلت غير ذلك قالوا: إنَّ صدقة الفطر باطلة! كيف يكون هذا؟! قلت لبعضهم: يا جماعة؛ يوجد في بلد مثل القاهرة ١٢ مليون مسلم، كيف يحضرون ١٢ مليون صاعًا من القمح أو الشـعير أو غير ذلك؟ وإذا فعلوا ذلك وأعطوه للفقراء، ماذا يصنع به الفقراء وهم لـم يعودوا يطحنـون، ولا يعجنون، ولا يخبـزون، وإنَّما يشـترون الخبز من الفرن؟ إذنْ تبتليه ببلوى؛ فهذه النزعة الظاهريَّة من موانع التجديد.

---

(١) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: أوائل الشهور العربية صـ٧ ـ ١٧، نشر مطبعه الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

QaradawiBooks.com

(٢) التقليد:

ومن موانع التجديد ـ أيضًا ـ التقليد، فإذا كان بعض إخواننا يتمسَّكون حرفيًّا بالنصوص، فهناك أيضًا مَنْ يتمسَّكون بالمذاهب، يتعصَّب لمذهب معيَّن، أو لشيخ معيَّن، أو لإمام معيَّن، هذا أيضًا يُغلق على الإنسان تفكيره.

ومن تأمَّل يجد أنَّ الأئمَّة لم يكونوا جامدين، ولكن مَنْ جاء بعدهم هم الذين جمَّدوا أنفسهم، ولو كان الإمام موجودًا في هذا العصر يمكن أنْ يغيِّر رأيه، وقد غيَّر بعض الأئمة آراءهم في حياتهم أكثر من مرة، ومعروف أنَّه كان للإمام الشافعي مذهب قبل أنْ يأتي إلى مصر، ومذهب بعد أنْ أتى إلى مصر، ويقال في كتب الشافعية: قال الشافعي في القديم، وقال الشافعي في الجديد. ورويت عن الإمام مالك عدة روايات، وأحيانًا تروى عن الإمام أحمد في المسألة الواحدة سبع روايات، وأظن أنَّ تعدُّد هذه الروايات بسبب أنَّه كان يراعي مقامات الأحوال، والأشخاص، ويراعي الزمان والمكان، فهذا التعصُّب هو أيضًا من أسباب الجمود.

(٣) التعظيم للماضي:

ومن أسباب الجمود وموانع التجديد: التعظيم للماضي، اعتبار كلِّ ما فات أعظم مما نحن عليه الآن، وليس هذا صحيحًا دائمًا، وقد كانت هذه الفكرة شائعة حتى قال المَعَرِّي بيته المشهور:

وَإِنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زَمَانُه لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ[1]

(١) انظر: سقط الزند صـ١٩٣، نشر دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

QaradawiBooks.com

دليل على أنَّ الأوائل دائمًا أفضل من الأواخر.

ولكن كمْ من الأواخر مَنْ فاق الأوائل، ولذلك قال الإمام ابن عبد البر: ليس هناك كلمة أضرُّ على العلم من قولهم: ما ترك الأول للآخر شيئًا، بل كمْ ترك الأول للآخر[١]. وهذا صحيح؛ أثبته التاريخ، وأثبته الواقع.

وقال بعضهم:

قُلْ لِمَنْ لا يرى المعاصرَ شَيْئًا ... ويَرَى للأوائلِ التَّقْدِيمَا
إنَّ ذاك القديمَ كان جديدًا ... وسيُمسي هذا الجديدُ قَدِيمَا[٢]

فقديم اليوم كان جديد الأمس، وجديد اليوم يصبح قديم الغد، وهكذا القدم والجِدَّة أمر نسبيٌّ، وأمر متغيِّر.

(٤) الخلط وعدم التمييز:

ومن أسباب الجمود وموانع التجديد: الخلط بين الثوابت والمتغيرات، والخلط بين الحقائق والمعاني وبين الأشكال والصور، والخلط بين الأهداف الثابتة والوسائل الَّتي تتجدد وتتطور، يعتقد بعض الناس أنَّ الأشكال والصور والوسائل أمور ثابتة، سواء في أمور الفكر، أو أمور الحركة، أو أمور العمل، وكثيرًا ما يؤدي هذا الخلط إلى تجميد الدين، وتجميد الحركة، وتجميد الحياة.

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤١٦/١)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) البيت لابن شرف القيرواني، انظر: المحاضرات والمحاورات للسيوطي صـ٢٥٣، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

مَنْ هو المُجدِّد؟:

بقيت كلمة أقولها بسرعة وهي: مَنْ المُجدِّد؟ الَّذي شاع عند المسلمين أنَّ المجدد شخص معيَّن، ينتظرونه حتى يظهر فيجدِّد الدين، ويُغيِّر، ويُطوِّر، ويهدي به الله الضَّالين، ويُقوِّم به العوج، إلى آخره، أخذًا من كلمة «**مَنْ يُجدِّد**»، في الحديث: «**إنَّ اللهَ يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَنْ يُجَدِّد لها دِينَها**»(١).

ولكن كلمة «مَنْ» في الحديث ـ كما يعرف إخواننا من أهل اللغة ـ تشمل المفرد، وتشمل الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٦٢]. وقوله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧]. فكلمة «**مَنْ**» في ظاهرها تفيد المفرد، ولكنَّها أيضًا تدلُّ على الجمع.

ولذلك فالمجدِّد في قوله: «**مَنْ يُجدِّدُ لها دِينَها**». يمكن أنْ يكون فردًا، ويمكن أنْ يكون جماعة، يمكن أنْ يكون عدة أفراد، ويمكن أنْ يكون مجموعة من الناس، مدرسة فكريَّة، أو حركيَّة، جماعة تقوم بالعمل لتجديد الإسلام، وهذا ما أميل إليه، لا بدَّ أنْ يظهر هذا التجديد بين الحين، قد يكون المجدِّد عدة أفراد، هذا في بلد، وهذا في بلد، وكهذا، وقد يكون جماعة، وهذا هو الأولى؛ لأنَّ يد الله مع الجماعة.

وهذا مهم جدًّا؛ لأنَّنا إذا قلنا: إنَّ المجدِّد فرد. سيظل الناس ينتظرون، كما ينتظرون المهدي المنتظر، وكان إخواننا في إيران

(١) سبق تخريجه صـ١٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ينتظرون المهدي، حتى جاء الإمام الخميني فقال لهم: ولماذا تنتظرون؟ نريد أن نعمل نحن شـيئًا. وجاء بنظرية ولاية الفقيه، حيث يقوم الفقيه بدور بديل عن الانتظار.

ولذلك نقول: الانتظـار المتتابع للمهدي يعني أنك لا تفعل شـيئًا سوى أنْ تدعو أنْ يرسـله الله، وكذلك الَّذي ينتظر المجدِّد لا يفعل شيئًا سوى الانتظار، هذا إذا كان المجدد فردًا، أمَّا إذا كان المجدِّد جماعة أو حركة لا يكون السؤال: متى يظهر المجدِّد لأضع يدي في يده؟ بل يكون السؤال: ما هو دوري في حركة التَّجديد؟ التَّجديد قائم، ولكن ما عملك أنت في حركة التجديد القائمة؟

استمرار التجديد:

إنَّ تجديد الإسلام مستمر أيُّها الإخوة، هذا ما ينبغي أن نفهمه، أنَّ الله تعالى لا يدع هذا الإسـلام أبدًا، بل يبعث في كل حين مَنْ يجدِّد للأُمَّة أمر دينها، فالتجديد مستمر، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعـام: ٨٩]، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. «**لا تزالُ طائفةٌ مـن أُمَّتي قائمِينَ على الحقِّ لا يضرُّهم مَنْ خالفهم حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك**»[(١)]. فعليك أنْ تنضمَّ إلى هذه الطائفة المنصورة، وإلى هذه الأُمَّة الذين يهدون بالحقِّ وبه يعدلون.

---

(١) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسـلم في الإمـارة (١٠٣٧)، عن معاوية. وصحَّ من حديث عمر، والمغيرة، وثوبان، وأبي هريرة، وقرة بن إياس، وجابر بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، انظر: الأحاديث (٧٢٨٧) إلى (٧٢٩٦)، ومن (٧٧٠١) إلى (٧٧٠٤) من صحيح الجامع الصغير وزيادته.

QaradawiBooks.com

أسألُ اللهَ تبارك وتعالى أنْ يرزقنا صحَّة الفهم، وصدق القصْد، وحُسْن العمل، وأنْ يجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون، اللهم آمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٢

التسامح الإسلامي مع الأديان والمذاهب[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمتــه تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانــا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلواتِ الله وتسليماتِه على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، ســيدنا وإمامنا وأســوتنا وحبيبنا محمَّد، وعلى آلــه وصحبه، ومن دَعَا بدعوته، واهتدى بسُــنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكــم به ـ أيُّها الإخــوة الأحبَّة ـ تحيَّةُ الإســلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشــكر لنادي الخريجين دعوته لي؛ لأكون بينكم في هذه الأمسية الطيِّبة، وأشكر لوزارة العدل والشؤون الإســلامية تبنِّيها ورعايتها لهذه الدعوة، وأسأل الله تبارك وتعالى أنْ يُنيرَ طريقنا، وأنْ يُبصِّرنا بالحق، وأنْ يجنبنا الباطل، وأنْ يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها.

(١) ألقيت بنادي الخريجين، برعاية من وزارة العدل والشؤون الإسلامية، بدولة قطر، في يونيو ١٩٩٨م.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

لقد كفاني الأخ عبد الحميد رئيس النادي الدعوة لشيخنا الشيخ محمد متولي الشعراوي، رحمه الله وغفر له، وقد ودَّعته الأُمَّة إلى مثواه الأخير، وفقدت الأُمَّة بوفاته علمًا من أعلامها، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى هؤلاء الأعلام، ونسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجزي شيخَنا عمَّا قدَّم لدينه، ولأُمَّته، وللقرآن، وللإسلام، خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، والأئمة المجاهدين.

الموضوع الَّذي اختاره لي الإخوة بالنادي؛ لكي أتحدث فيه، هو: التسامح مع الأديان والمذاهب، وكان يكفي أحد الأمرين للحديث عنه، فكل موضوع منهما يستحق محاضرة أو أكثر، ولهذا سنحاول أن نلمَّ بالموضوع إلمامًا، وإن لم نستوعبه، والعرب قالوا: الظمآن يجزيه من الماء أيسره. وقالوا: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق. فنحن سنكتفي بما يلقي الضوء على هذا الموضوع المهم: التسامح مع الأديان، والتسامح مع المذاهب.

أولًا: التسامح الإسلامي مع الأديان:

الواقع أنَّه لا يوجد دينٌ من الأديان، ولا فلسفةٌ من الفلسفات شرعت، وقنَّنت، ووجَّهت، وأنشأت من القيم، والمفاهيم، والتعاليم، والتقاليد التي تقرر التسامح، وتغرسه في العقول، والأنفس، والحياة ـ إلا في الإسلام. حتى كان شيخنا الشيخ محمد الغزالي يقول: التسامح اختراعٌ إسلامي. وهذا صحيح، فمن نظر إلى الأديان الأخرى قبل الإسلام، وإلى الفلسفات الوضعيَّة نفسها، والمذاهب الأرضيَّة، وكيف كان تعاملها مع مَنْ خالفها، يعلم حقيقةً أنَّ التسامح من ابتكار الإسلام، أو من ابتكار المسلمين، وهذا ما قرره المفكرون المنصفون من الغربيين أنفسهم.

وللتسامح الإسلامي مظاهر وخصائص نذكر بعضها فيما يلي:

QaradawiBooks.com

(١) الإقرار بالتعدديَّة:

أول مبادئ التسامح هو الإقرار بالتعدُّديَّة، أنْ تُقرَّ لمخالفك بالوجود، وأنْ تبقيه على عقيدته، وعلى ما يؤمن به، دون تدخُّل منك، فلا تجبره على تغيير دينه أو مذهبه، ولا تُكْرِهه على شيء لا يرضاه.

وهذا المبدأ مُقرَّرٌ في القرآن بأوضح ما يكون، يقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. حتى جاء على لسان سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. لا يجوز أنْ يُلزَم الناس بشيء يكرهونه، ولهذا يُقرُّ الإسلام الآخرين والمخالفين على أديانهم.

(٢) التمكين من ممارسة الشعائر:

ثم لا يكفي أنْ تُقرَّ الإنسان على دينه، وتمكِّنه من إقامة شعائره وواجباته، فلا معنى أنْ تسامحني في ديني ثم تفرض عليَّ ما يخالف ديني، كما نرى مثلًا في بعض البلاد الأوربية، تفرض فرنسا ـ أم الحريات ـ على الطالبات المسلمات أنْ يخلعن الحجاب، وهو فرض دينيٌّ على المسلمة، أين التسامح إذا فرضت عليَّ أنْ أخالف ديني وأدخل النَّار؟ لا يمكن أنْ يُسمَّى هذا تسامحًا، هذا مع أنَّ الأصل في العلمانية أنَّها محايدة من ناحية الدين، لا تقبل ولا ترفض، لا تؤيِّد ولا تعارض، لا توالي ولا تعادي، فإذا فرضت عليَّ ما يخالفُ ديني لم تعد مُحايدًا، فقد اتَّخذت موقفًا ضدِّي، وضد ديني.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلام فهو يترك كلَّ إنسان يمارس شعائره، ويؤدي واجباته، فإذا كان اليهودي يأمره دينه بأنْ يعمل في يوم السبت، فنحن لا نجبره على العمل فيه.

بل أكثر من ذلك أنَّ الإسلام اتخذ خطوة في التسامح لم يتخذها أحد قبله، وهو أنَّ الإسلام لا يضيِّق على الإنسان فيما يبيحه له دينه وإن كان يحرمه الإسلام، فالإسلام مثلًا يحرم شرب الخمر، وأكل الخنزير، ويستطيع غير المسلم أنْ يعيش حياته، ولا يشرب خمرًا، ولا يأكل خنزيرًا، فهو ليس من شعائر دينه المفروضة عليه، ويستطيع المسيحي أنْ يأكل لحوم البقر والإبل والغنم والطيور والأسماك، وليس من الضروري أنْ يشرب الخمر، ولكن الإسلام أباح للمسيحي أنْ يأكل الخنزير، ويشرب الخمر، بل أوجبت بعض المذاهب الإسلامية على المسلم أنْ يَغْرم قيمة الخنزير أو الخمر إذا أتلفها لغير مسلم، لكن لو أتلفها لمسلم لا يغرم قيمتها، كما في المذهب الحنفي[1]، هذه قمة في التسامح.

(٣) مصاهرة أهل الكتاب:

ومن تسامح الإسلام أنَّه أجاز للمسلم أنْ يتزوج بغير المسلمة إذا كانت كتابيَّة، فيجوز أنْ يتزوَّج اليهوديَّة، والنصرانيَّة، بل حتى المجوسيَّة كما عند عدد من الفقهاء؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في المجوس: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب**»[2].

(١) المبسوط للسرخسي (١٠٤/١١)، نشر دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) رواه مالك في الجزية (٩٦٨)، والشافعي في المسند (١٠٠٨)، وعبد الرزاق في أهل الكتاب (١٩٢٥٣)، وابن أبي شيبة في الزكاة (١٠٨٧٠)، وضعَّفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨)، عن عبد الرحمن بن عوف، لكن أخذ الجزية من المجوس ثابت بأحاديث أخر.

QaradawiBooks.com

ومعنى أنْ يتزوج المسلم كتابيَّة أنْ تصبح شريكة حياته، وموضع سِرِّه، وربَّة بيته، وأُمَّ أولاده، والله تعالى يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]. فلا بدَّ أنْ يودَّ المرء زوجه.

ثم إنَّ هذا الزواج يُحدِث الرابطة التي سمَّاها القرآن المصاهرة، فهناك رابطتان طبيعيتان بين البشر: النسب، والمصاهرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]. فإذا تزوَّج المسلم كتابيَّة، فقد نشأت رابطة المصاهَرة، ومعناها أنْ تصبح أمُّ الزوجة جدَّة أولاده، وأبوها جدًّا لهم، وإخوانها وأخواتها أخوالًا لهم وخالات، وأولادهم أقارب لهم، فصار لهم حقوق الأرحام وذوي القُربى، أيُّ تسامحٍ أعظم من هذا التَّسامح؟ لم نرَ دينًا بلغ في التسامح إلى هذا الحد؟

(٤) حسن المعايشة:

ثم لم يكتف الإسلام بذلك، بل قرَّر المعايشة بين الناس بعضهم وبعض، بحيث تبقى لهم الحقوق مكفولة، إذا كان غير المسلم جارًا لك فله حقُّ الجار، وإذا كان قريبًا فله حقُّ القُربى، وإذا كان زميلًا، فله حقُّ الصاحب بالجنب، وهكذا.

(٥) الجدال بالتي هي أحسن:

كما أمر الإسلام بالحوار بالحسنى، فالله تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. حاورهم بالطريقة التي هي أحسن، فنحن مأمورون بأن ندعو المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نحاور المخالفين من غير المسلمين

QaradawiBooks.com

بالطريقة التي هي أحسن، فإذا كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فنحن مطالَبون أن نجادِلَ المجادلين بالطريقة التي هي أحسن وأجود، فعليك أنْ تختارَ أحسنَ الطرق لتفهيمِ العقول، وتأليفِ القلوب، وتقريبِ الناس بعضهم من بعض، فاخْتر أخف الألفاظ، وألطف الأساليب، وأرقَّ العبارات، هذا معنى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

التركيز على القواسم المشتركة:

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. لا تجادلوهم إلا بالتي أحسن، واذكروا القواسم المشتركة بينكم وبينهم، هناك نقاطُ اختلاف وتمايز، فلا داعي لذكرها عند الحوار، اذكروا النقاط الجامعة بينكما، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾. وهذا مبدأ مهم في الحوار، إذا أردنا أن نحاور أهل الكتاب ـ خصوصًا النَّصارى؛ لأنَّه لا حوار بيننا وبين اليهود الآن إلا بالسلاح ـ نذكر النقاط التي تجمع بيننا وبينهم، أنَّنا جميعًا نؤمن بالألوهيَّة، وبالنبوَّة، وبالآخرة، وبالقيم الأخلاقيَّة، ونقف ضدَّ الإلحاد، وضدَّ الإباحية، وضدَّ المظالم، فهناك أرضيَّة مشترَكة بيننا، لهذا لا داعي أن نقول في وقت الحوار: نحن موحِّدون، وأنتم مُثلِّثون. فليس هذا من الحوار بالتي هي أحسن، اذكر الجوامع، ولا تذكر المُفَرِّقات.

هذه كلها من مظاهر التَّسامح الإسلامي وخصائِصه، فالإسلام يريد أنْ يُقرِّب الناس بعضهم من بعض، وأنْ يتعايشوا معايشة حسنة.

QaradawiBooks.com

روح التسامح الإسلامي:

وإذا كان هناك ما يُسمَّى قوانين وأحكام التسامح، فإنَّ هناك ما أسمِّيه روح التسامح، هذه الروح لا تنظمها القوانين، ولا تحكمها التَّشريعات، وإنَّما يحكمها روح التعامل، فقد وجدنا النبي ﷺ يتعامل مع اليهود، على الرغم مما كان بينه وبينهم، وفي أواخر حياته استقرض ﷺ من يهوديٍّ ثلاثين وسْقًا من شعير لأهله، ورهن عند اليهوديِّ درعه[١]. وكان يمكن أنْ يستلف من بعض الصحابة، لكنَّه أراد أنْ يُعلِّمنا.

وزار ﷺ شابًّا يهوديًّا مريضًا، كان جارًا له، ودعاه إلى الإسلام، فنظر الشاب إلى أبيه، فقال له أبوه: أطعْ أبا القاسم. فأسلم الشابُّ، وخرج النبيُّ ﷺ يقول: «**الحمدُ للهِ الَّذي أنقذه بي من النَّار**»[٢]. هذه هي روح التسامح التي جاء بها الإسلام.

ويقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. كان الأسير في ذلك الوقت من المشركين، ومع هذا مدح القرآن الأبرار الذين يطعمون الطعام ـ على حُبِّه ـ المسكين، واليتم، والأسير، لوجه الله تعالى، هذه هي روح التسامح.

وماتت امرأة نصرانيَّة كانت أُمًّا لبعض الصحابة، وشيَّعها عددٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ، مشوا وراء جنازتها؛ لأنَّها أُمٌّ لأحد الصحابة[٣]، هذه هي رُوح التسامح.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩١٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٥٦)، عن أنس.

(٣) رواه عبد الرزاق في أهل الكتاب (٩٩٢٦)، عن الشعبي قال: ماتت أم الحارث بن أبي ربيعة، وكانت نصرانية، فشيعها أصحاب محمد ﷺ.

QaradawiBooks.com

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥]. انظر؛ إنهما يجاهدان ابنهما على الكفر، فمعنى كلمة ﴿جَٰهَدَاكَ﴾: أنهما حاولا محاولة مستميتةً؛ ليحملاه على الشِّرك بعد أنْ آمن، يقول الله: ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾. ومع هذا يقول: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾. فلا يحملنَّك جهادهما لك على الشِّرك أنْ تصاحبهما بغير المعروف.

هذه هي روح السماحة التي جاء بها الإسلام، حتى قال بعض علماء المسلمين: إنَّ ظُلم الذِّميِّ أشدُّ من ظُلم المسلم عقابًا عند الله[١]. لماذا؟ لأنَّه يُعد أضعف حلقات المجتمع الإسلامي، وظُلمُ الضعيف يكون أشدَّ إثمًا، كما في الحديث: «**اشتدَّ غَضَبي على مَنْ ظلم مَنْ لا يجد له ناصرًا غيري**»[٢]. إلى هذا الحد من الترهيب، فالإسلام جاء بالمعايشة السمحة.

الأسس الفِكْريَّة للتسامح في الإسلام:

نحن المسلمين نعتقد أنَّنا على الحقِّ، وأنَّ غيرنا على الباطل، أنَّنا على الهدى، وهم على الضلال، أنَّنا مؤمنون، وهم كفَّار في نظرنا، فما هي الأسس الفكريَّة أو النظريَّة في الإسلام للتسامح مع من نعتقد بأنَّهم كفَّار ضالُّون؟

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٤٠٢/٦)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٧١)، والأوسط (٢٢٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٦): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه مسعر بن الحجاج النهدي، كذا هو في الطبراني، ولم أجد إلا مسعر بن يحيى النهدي، ضعفه الذهبي بخبر ذكره له. عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

(١) الاختلاف الديني واقعٌ بمشيئة الله:

الأساس الفكري الأول للتسامح الإسلامي: أنَّنا نؤمن بأنَّ اختلاف الناس واقع بمشيئة الله تعالى، فقد شاء الله تعالى أنْ يختلف الناس إلى مؤمنين وغير مؤمنين، أو مسلمين وغير مسلمين، ولا رادَّ لمشيئته، ومشيئتُه متعلقة بحكمته؛ لأنَّه لا يشاء إلا ما فيه الحكمة، عَلِمها مَنْ علِمها، وجهلها مَنْ جهلها، ولذلك لا يطمع مسلم أنْ يجعل بالقوَّة جميع الناس مسلمين؛ لأنَّ هذا خلاف لمشيئة الله، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. أكثر المُفَسِّرين على أنَّ قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. يعني: وللاختلاف خلقهم[١]. لأنَّ الله أعطاهم حُرِّيَّة العقل، وحُرِّيَّة الإرادة، وما دام الإنسان قد أصبح حُرًّا في تفكيره، وحُرًّا في إرادته، فلا بدَّ أنْ يخالف تفكيري تفكيرك، وإرادتي إرادتك، فلا بدَّ أنْ يختلف الناس.

إنَّ اختلاف الناس واقع بمشيئة الله، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ولهذا لم يفُكر المسلمون أنْ يجبروا الناس على أنْ يكونوا أُمَّة واحدة على الإسلام، ولم يحصل في التاريخ الإسلامي ـ بشهادة المؤرِّخين، ومنهم «توماس أرنولد»، صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام»، الَّذي يتحدث فيه عن انتشار الإسلام في العالم ـ قال: لم يحدث في التاريخ أنَّ جماعة مسلمة حاولت أنْ تجبر أي جماعة، أو فئة، أو قرية، على الدخول في الإسلام قط[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٥/٩)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، وابن كثير (٣٦٢/٤، ٣٦٣)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) راجع: الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد صـ٦٣ وما بعدها، وقد دلل على ذلك كتاب =

QaradawiBooks.com

لم يُسجل الإسلام حادثة من هذا النوع، وكان المسلمون هم الغالبين، وهم أصحابَ القوة والسلطان، لكنهم لم يفعلوا ذلك، لماذا؟ لأنَّ الإسلام نفسه يرفض الإيمان إذا لم يكن عن طواعيةً واختيار، ولذلك حينما آمن فرعون بعد أنْ أدركه الغرق، ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. **فقيل له:** ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. تريد أنْ تؤمن بعد أن لم تعد لك حيلة ولا اختيار؟! ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

فلا بدَّ أنْ يكون إيمان الفرد عن اقتناع وإرادة حُرَّة، واختيار، ولذلك لم يحدث في التاريخ أنَّ المسلمين حاولوا إكراه أحد على الدخول في الإسلام، أو على تغيير دينه بالقوة؛ لأنَّ هذا الاختلاف واقع بمشيئة الله.

(٢) حساب الكافرين موكولٌ لله وحده:

الأساس الفكري الثاني للتسامح الإسلامي: أنَّنا لسنا مسؤولين عن كُفر الكافرين، وضلال الضالين في هذه الدنيا، أي ليس موكولًا إلينا محاسبة الكافر على كفره، ولا الضال على ضلاله في هذه الدنيا، وإنَّما حسابه في الآخرة، وإلى الله وليس إلينا، ولذلك يقول القرآن: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]. فالحكم إلى الله يوم القيامة، ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، وهذا الأساس يُريح ضمير الإنسان المسلم،

= الوثائق والوقائع من تواريخ الأمم، ومن مختلف اللغات، ترجمة د. إبراهيم حسن وزميليه، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

فإن كان المرء كافرًا فالله يحاسبه على كُفْره، فالله تعالى أعلم به: إن كان كفره عن جهلٍ، أو كان عن عِناد، إن كان كفره عن كسل في البحث عن الحقِّ، أو كان عن مشاقَّة للرسول بعدما تبيَّن له الهُدى، فهذا كله إلى الله ﷻ، فهذا أساس ثانٍ من الأسس الفكريَّة لتسامح المسلمين.

(٣) اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان:

الأساس الفكري الثالث للتسامح الإسلامي: اعتقاد المسلم بكرامة بني آدم، فكل إنسان مُكرَّمٌ في نظر المسلمين، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، فليس التكريم للمسلمين وحدهم، بل هو للنَّاس جميعًا، لكل آدميٍّ، بغض النظر عن لونه: أبيض أو أسود؛ وعن جنسه: عربيًّا أو عجميًّا؛ وعن وطنه: شرقيًّا أو غربيًّا؛ وعن طبقته: فقيرًا أو غنيًّا؛ وعن ثقافته: متعلِّمًا أو أميًّا، فالإنسان من حيث هو إنسان مُكرَّمٌ عند الله، فهذا النوع استخلفه الله في الأرض، ومكَّن له فيها، وسخَّر له ما في السموات والأرض جميعا منه، فالكرامة الإنسانية تجعل المسلم يحترم الإنسان من حيث هو إنسان.

ومن الأمثلة العملية في ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، أنَّهم مرُّوا على النبي ﷺ بجنازة، فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهوديٍّ! فقال ﷺ: «**أليست نفسًا؟**»[1]. بلى، هي نفسٌ إنسانيَّة، ولكلِّ نفس إنسانيَّة حُرمةٌ ومكان، فما أروع الموقف المحمديَّ! وما أروع التفسير والتعليل! من أجل هذا يحترم المسلمُ الإنسانَ من حيث هو إنسان، ويحافظ على كرامته.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

(٤) الإسلام يأمر بالعدل مع جميع الناس:

الأساس الفكري الرابع للتسامح الإسلامي: أنَّ الإسلام يأمر بالعدل مع جميع الناس، فالعدل ليس للمسلمين وحدهم، بل هو للناس جميعًا، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. فعدل الله لجميع عباد الله، وقد نزلت تسع آيات في سورة النساء؛ للدفاع عن يهوديٍّ اتُّهِمَ ظلمًا بالسرقة، وكان الذين سرقوا هم من ضِعاف المسلمين، أو من المتَّهمين بالنفاق، أو نحو ذلك، وحاولوا أنْ يُلصقوا التهمة بهذا اليهوديِّ، وهَمَّ النبي ﷺ أنْ يُدافعَ عن هؤلاء، فنزل القرآن يقول لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٧]. وهؤلاء من المسلمين، وهذا دفاعٌ عن الَّذي اتُّهِمَ ظلمًا، وإدانة لهؤلاء الذين حاولوا التهمة بالبريء، فعدل الله لجميع الناس.

والقرآن الكريم يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. لا تحملنَّكم العداوة وشدة والبغض على ألا تعدلوا، سواءً شدَّة بغضكم لهم، أو شدَّة بغضهم لكم، فلا تظلموا أيَّ أحدٍ، وفي الحديث: «**اتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب**»[1]. فالعدل لجميع الناس.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن معاذ.

QaradawiBooks.com

(٥) الإسلام يأمر بالبرِّ مع المخالفين:

الأساس الفكري الخامس للتسامح الإسلامي: هو البِرُّ، وهو شيء أكبر من العدل، فالله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. معنى تقسطوا إليهم: أي تعدلوا بينهم. ومعنى تبرُّوهم: أي تحسنوا إليهم. فإذا كان القسط هو أنْ تعطي الإنسان حقَّه، فإنَّ البرَّ هو أنْ تزيده فوق حقِّه، أو تتنازل عن بعض حقِّك له، واستخدم القرآن هنا الكلمة التي تستعمل عند المسلمين في أعظم الحقوق بعد حق الله تبارك وتعالى، وحق الوالدين، وهي البِرُّ.

نماذج من التسامح الإسلامي:

بعد أن عقد النبيُّ ﷺ صلح الحديبية مع المشركين، أقبلت أم أسماء بنت أبي بكر إلى المدينة لتزورها، فجاءت أسماء إلى النبي ﷺ، تقول: يا رسول الله، إنَّ أمِّي قدمت عليَّ وهي راغبة ـ أي راغبة في أنْ أصِلَها ـ وهي مشركة، أفأصِلُها؟ فقال النبي ﷺ: «**صِلي أُمَّكِ**»[1].

ونحن نعلم أنَّ الإسلام يعامل أهل الكتاب معاملةً أخفَّ من معاملة سائر الكفار، فإذا كان المسلمون يُبَرُّون، فما بالكم بأهل الكتاب؟ فالإسلام أجاز مؤاكلة أهل الكتاب ومصاهرتهم، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]، فهنا شرع الإسلام البرَّ.

وهذا الأساس الفكري للتسامح رأيناه طوال التاريخ، منذ العهد النبوي، والعهد الراشدي، فحينما رأى عمر بن الخطاب يهوديًّا يسأل

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٦٢٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣)، عن أسماء بنت أبي بكر.

QaradawiBooks.com

الناس أخذه إلى بيت المال، وقال للخازن: افرضوا له ولِضُربائه من بيت مال المسلمين ما يكفيه[١]. وحينما مرَّ ـ وهو في طريقه إلى الشام ـ بقومٍ من النصارى أصيبوا بالجُذام، أمَرَ أنْ يُجرى عليهم القوت[٢]. أي: أمَرَ يُصرف لهم راتبٌ دوريٌّ.

وفي عهد عليٍّ بن أبي طالب تخاصم هو ونصرانيٌّ في درع سقطت من عليٍّ، ووجدها عند هذا النَّصراني، فقال له: يا فلان، هذه درعي. قال: يا أميرَ المؤمنين، لست عندي بكاذبٍ، ولكنها درعي. فلم يأمر جنودَه أنْ يأخذوها منه بالقوَّة، ولكن قال له: بيني وبينك القاضي. واحتكما إلى القاضي شُرَيح، ووقفا الاثنان أمام القاضي، وسأل القاضي أمير المؤمنين: أعندك بيِّنة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: إذنْ يحلف الرجل أنَّ الدرع له. فحكم القاضي بها للنصراني، فأخذها وانصرف، ثم رجع بعدما مشى خطوات وقال: أمَّا إنِّي أشهد أنَّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتَّبعتك من الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، أمَّا إنِّي أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله. فقال عليٌّ: أمَّا وقد أسلمت فهي لك[٣].

من البطل في هذه القصة؟ أهو عليٌّ رضي الله عنه، الَّذي احتكم إلى القاضي كما يحتكم جماهير الناس وعامتهم؟ أم هو القاضي، الَّذي لم يراعِ خاطر

(١) الخراج لأبي يوسف صـ١٣٩، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، وانظر تعليقنا عليه في كتابنا: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام صـ١١٠، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١.

(٢) البلاذري في فتوح البلدان صـ١٣١، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨٦/٤٢، ٤٨٧)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

أمير المؤمنين، وهو يعلم أنَّه لا يكـذب، وأجرى الأحكام على ما هي، وحكم على الخليفة، أمير المؤمنين؟ أم هو الإسـلام الَّذي صنع عليًّا، وصنع القاضي، وصنع هذا المجتمع المثالي؟

هذه نماذج من التَّسـامح مع غير المسـلمين في العهد الراشـديِّ، وكانوا كذلك في العصور المختلفة يعيشـون في كنف المسـلمين، لهم ما لهم، وعليهـم ما عليهم، فـي الجُملة طبعًا، كان اليهـود والنصارى يعيشـون بين المسـلمين مرفوعي الرؤوس، ورأينا المساجد إلى جوار الكنيسة، الأذان هنا، ودقات الناقوس هنا، كان هناك تسامح فريد طوال التاريخ الإسلامي، بل إنَّ بعض النصارى تولَّى الوزارة في العهد العباسي أكثر من مرة، وهناك عدد من الـوزراء معروفون، كما ذكر الماوردي في كتابه «الأحكام السُـلطانيَّة»، بل لقد وصل بعض اليهود إلى الحكم في زمن العبيديين، وكانت لهم مظالم، حتى قال الشاعر ساخرًا:

يَهُـودُ هـذا الزمـانِ قـد بلغوا غايـةَ آمالِهـم وقـد مَلَكـوا
العِـزُّ فيهـم والمـالُ عِنْدَهُمُـو ومنهـم المُسْتَشَـارُ والمَلِـكُ
يا أهلَ مِصْرَ إنِّـي نصحتُ لكم تَهَـوَّدوا قـد تَهـوَّدَ الفَلَـكُ[1]

ورأيت العلَّامة ابن عابدين في حاشـيته الشـهيرة في الفقه الحنفي يشتكي من حال زمانه، فيقول:

أحبابَنـا، نُـوَبُ الزمـانِ كثيرةٌ وأمَـرُّ منهـا رِفْعَـةُ السـفهاءِ
فمتى يُفيـقُ الدَّهْرُ من سَـكَرَاتِه وأرى اليهـودَ بِذلَّـةِ الفُقَهَـاءِ[2]

(١) هو الحسن بن خاقان، انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢٠١/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) حاشية ابن عابدين (٢٠٨/٤)، والبيتان للقاضي تقي الدين التَّمِيمِي الْغَزِّي الحنفي، كما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين المحبي (٤٧٩/١)، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

فقد انقلبت الأوضاع في بعض المجتمعات الإسلامية أحيانًا، حتى عزَّ اليهود وذلَّ الفقهاء، فكان التسامح أكثر من اللازم.

غير مرخصة للطباعة

تاريخ حافل بالاضطهاد والدماء:

هذا ما يحكيه تاريخنا، في الوقت الَّذي كانت فيه أوربا تفعل ما تفعل، كما في محاكم التفتيش التي صنعت بالمسلمين فظائع تقشعر من رؤيتها وسماعها الأبدان، وتشيب الولدان، ذكر منها الإمام محمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانيَّة مع العلم والمدنيَّة» وقائع هائلة صنعوها مع المسلمين ومع اليهود، وهي ثابتة في التاريخ[١]، فالمجازر الوحشيَّة التي كانت من المسيحيِّين ضد غيرهم، وضد بعضهم البعض هي مجازر لم يُرَ مثلُها في التاريخ، وقائع هائلة انتفخت بها بطون الكتب، وحين يقرؤها الإنسان الآن يرتعش من هولها.

لقد كانوا أحيانًا يُحاكمون الإنسان بعد موته، فتُنْبَش القبور بعد أنْ مات أصحابها، لتحاكم جثثهم ويُحكم بحرقها، هذا ما صنعه الكاثوليك بالبروتستانت، وفي سنة ١٧٥٢م، دعا اليهود في باريس البروتستانت ليتفاهموا معهم، فجاؤوا بنيَّة طيِّبةٍ، وإذا بهم يقومون عليهم في الليل ويذبحونهم عن آخرهم، وحين تمكَّن البروتستانت بعد ذلك كالوا لهم الصَّاع صاعين، هذا في المسيحيَّة التي تقول: مَنْ ضَربَك على خدِّك الأيمن فأدِرْ له خدَّك الأيسر[٢].

وليست هذه الفظائع عند الذين ينتسبون إلى الدين فقط، بل رأينا عند أصحاب الأيدلوجيَّات الوضعيَّة، والفلسفات الأرضيَّة ـ كذلك ـ

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية صـ٤٢ وما بعدها، نشر دار الحداثة، ط٣، ١٩٨٨م.
(٢) متى (٣٩/٥ ـ ٤٢)، ولوقا (٢٩/٦، ٣٠).

QaradawiBooks.com

ما هو أشنع من هذا وأشد، رأينا الشيوعيَّة والنازيَّة والفاشيَّة يفعلون الأفاعيل، ففي عهد «لينين»، في أوائل ما قامت الثورة الشيوعيَّة في روسيا، ذبَّح الشيوعيون الملايين، وسالت الدماء أنهارًا، وقُطِّعت الأشلاء في الشوارع، وأصبح الرعب هو الَّذي يحكم الناس، حتى قال بعض الناس للينين: يجب أن نخفِّف إسالة الدماء. فقال له: هذا ليس من الأهميَّة في شيء، ليس من المهم أنْ يهلك ثلاثة أرباع الشعب، إنَّما المهم أنْ يصبح الربع الباقي شيوعيًّا[1]. هذا مُسجَّل في تاريخ الشيوعيَّة، ولذلك أصاب شيخنا محمد الغزالي حين قال: إنَّ التسامح اختراع إسلامي.

ونحن نرى في عصرنا المسلمين الذين يعيشون أقليات كيف تُؤكل حقوقهم، بل نراهم في بعض البلاد وهم أكثريَّة بها حقيقةً، في إريتريا، وأثيوبيا، والجمهوريَّات الإسلاميَّة التي كانت في الاتحاد السوفيتي، والتي كان المسلمون يعتبرونها أقليَّة، وهي ليست أقليَّة، فأوزبكستان، وطاجيكستان، وكازاخستان شعوبٌ إسلاميَّة كاملةٌ، ولا حقَّ لها في أنْ تقيمَ دينًا، أو تملك دنيا، فنحن وحدنا أصحاب التَّسامح الديني، ونحن في هذا التَّسامح نصدر من أوامر ديننا، ونلتزم بها، فليس التَّسامح اختراعًا اخترعناه من عند أنفسنا، بل هو ما ألزمَنا به ديننا.

هذه خلاصة سريعة جدًّا ـ أيُّها الإخوة ـ عن تسامح الإسلام مع الأديان المخالفة له، والتي نعتبر أهلها كفارًا في نظر الإسلام؛ لأنَّنا نعتبر كلَّ من لم يؤمن برسالة محمَّد ﷺ كافرًا، وللأسف هذه حقيقة تغيب عن كثير من الناس، فهم يقولون: هؤلاء أهل كتاب؟ نعم، هم أهل كتاب،

(١) الأيديولوجية الانقلابية للدكتور نديم البيطار صـ٦٨٨، نشر المؤسسة الأهلية، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

ولكنهم كفار كما قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البيِّنة: ١، ٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البيِّنة: ٦].

إذا كان هذا موقفنا في التسامح مع الأديان المخالفة لنا، فكيف يكون تسامحنا مع المذاهب الإسلاميَّة، التي تنتسب إلى الإسلام، وتتجه إلى قبلته؟

ثانيًا: التسامح الإسلامي مع المذاهب:

أعتقد أنَّ الإخوة هنا ـ في نادي الخريجين ـ لم يقصدوا بكلمة المذاهب: المذهب الحنفيَّ، والمالكيَّ، والشافعيَّ، والحنبليَّ؛ إنَّما أرادوا المذهب السُّنيَّ، والزيديَّ، والجعفريَّ، والإباضيَّ، أعتقد أنَّهم يريدون المذاهب بهذا المعنى الواسع.

وأنا أحب ـ أيُّها الإخوة ـ أنْ أقول: إنَّنا لا نضيق باختلاف المذاهب، إذا كنا لم نضق باختلاف الأديان، فكيف نضيق باختلاف المذاهب؟

الاختلاف ضرورة:

الاختلاف ضرورة، وخصوصًا الاختلاف في فروع المسائل، وفي بعض فروع العقيدة، قد نختلف في فروعيَّات العقيدة، أمَّا أساسيَّات العقيدة فنحن متَّفقون عليها، نؤمن بوحدانيَّة الله، وبكمالاته العُلا، وبالرسالات السماويَّة، وبكتب الله تعالى، وبالآخرة، وبكل ما هو معلومٌ من الدين بالضرورة، نؤمن بالأركان العملية: الشهادتان، وأركان الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج إلى البيت الحرام، نُصلِّي إلى قِبلة واحدة، ونؤمنُ بربٍّ واحد، وبرسولٍ خاتَم، فالعقائد الأساسيَّة نحن جميعًا مؤمنون بها.

QaradawiBooks.com

لكننا نختلف في مسائل معينة مثل ما يتعلق بأفعال العباد، إلى أي حد تكون مسؤولية الإنسان عن أعماله؟ هل هو الَّذي ينشئ العمل، أم الله تعالى هو الَّذي ينشئه؟ وما العلاقة بين الإرادة الإنسانيَّة، والإرادة الإلهيَّة؟ ومسألة القضاء والقدر، والاختيار والإجبار، مسألة التَّسيير والتَّخيير، هل الإنسان مُسيَّرٌ أم مُخيَّر؟ ومسألة رؤية الله في الآخرة، هل هي ممكنة أم غير ممكنة؟ ومسألة عصمة الأئمة عند الشيعة الإماميَّة، فهذه المسائل هي من فروع العقائد، ويحصل فيها الاختلاف، وستظل الاختلافات في هذه المسائل، ولا يمكن أن نجمع الناس فيها على رأيٍ واحدٍ، أمَّا العقائد الأساسية فنحن متفقون فيها.

وقد ألَّفتُ كتابًا سمَّيته «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، وذكرت فيه أنَّ اختلاف المذاهب ضرورة، ورحمة، وسعة، هو ضرورة دينيَّة، وضرورة لغويَّة، وضرورة بشريَّة، وضرورة كونيَّة.

الاختلاف ضرورة دينية:

فالاختلاف ضرورة دينيَّة؛ لأنَّ الله ﷻ أراد ذلك، ولو أراد ألا يختلف الناس لجعل الدين كلَّه نصوصًا قطعيَّة الثبوت، قطعيَّة الدلالة، لا مجال فيها لاختلاف، ولكن هناك نصوص ظنيَّة الثبوت، ونصوص ظنيَّة الدلالة، ونصوص ظنيَّة الثبوت والدلالة معًا، فالله تعالى يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]. آياتٌ واضحات الدلالة، وآياتٌ مشتبهات الدلالة، فهذه إرادة الله، ولهذا أقول: الاختلاف ضرورة دينيَّة. وسَّع الله في ذلك ليختلف الناس، ويظلون مع ذلك في دائرة الدين، لم يخرجوا منه.

QaradawiBooks.com

الاختلاف ضرورة لغويَّة:

ثم إنَّ الاختلاف ضرورة لغويَّة؛ لأنَّ القرآن نزل نصوصًا بلغة العرب، وفي لغة العرب الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والخاص والعام، والمطلق والمقيَّد، والمنطوق والمفهوم، وما يُفهم بالعبارة، وما يُفهم بالإشارة، فهذه أمور يختلف الناس في فهم دلالاتها، ولذلك نجد في علم أصول الفقه مساحةً كبيرةً جدًّا لهذه المباحث اللغويَّة واللفظيَّة، فمن أجل هذا لا بدَّ أنْ يختلف الناس.

اقرأ مثلًا آية الطهارة في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، هل الغاية في قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾. وقوله: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾. داخلة أو لا؟ وهل تفيد (الواو) مطلق الجمع أم تفيد الترتيب؟ وما المراد بالملامسة في قوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. هل هو وضع البشرة على البشرة، كما يقول ابن عمر، أم كما يقول ابن عباس: إنَّ المسَّ واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، إنَّ الله حيِّي كريم يكني عمَّا شاء بما شاء[1]؟ إلى آخر الاختلافات في الآية، وجلها يتعلق بأمور لغوية، فسيظل الناس يختلفون، فالاختلاف ضرورة لغوية.

الاختلاف ضرورة بشريَّة:

ثم إنَّ الاختلاف ضرورة بشريَّة؛ لأنَّ البشر ليسوا طرازا واحدًا، فمنهم الظاهريُّ الَّذي يأخذ بحرفيَّة النص، ومنهم المقاصديُّ الَّذي

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يأخذ بفحوى النص، وقد رأينا هذا النوع من الاختلاف في عصر النبوَّة، فبعد أنَّ فرغ النبي ﷺ من غزوة الخندق أراد أنْ يؤدِّب بني قريظة، الذين انضموا إلى المغيرين المهاجمين، ونقضوا العهد، فقال ﷺ: «**لا يصلينَّ أحدٌ العصرَ إلَّا في بني قريظة**»[١]. فانطلق الصحابة، وفي الطريق كانت الشمس تقترب من الغروب، فقالت جماعة: إنَّ رسول الله ﷺ لم يُرد منا أن نُضيِّع العصر، إنَّما أراد منا سرعةَ النهوض، وصَلوْا في الطريق. وقالت جماعةٌ أخرى: لا؛ فرسول الله ﷺ قال: «لا يُصَلِيَنَّ العصرُ إلَّا في بني قُرَيْظة». فنحن لن نصلِّيَها إلا في بني قريظة، ولو وصلنا إليها في آخر الليل. فأخذ بعضهم بحرفيَّة النص، وأخذ البعض الآخر بمقصود النص، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فأقرَّ هؤلاء وهؤلاء، لم يُعنِّف أحدًا منهما، فطبيعة الناس تقتضي مثل هذا النوع من الاختلاف.

وحتى في شروح القانون تجد المدرسة الحرفيَّة، ومدرسة الفحوى، كما تجد في الفقه مدرسة ابن حزم الظاهريِّ، ومدرسة الشاطبيِّ المقاصديِّ، ومن الأمثلة على ظاهرية ابن حزم أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُسْتَأْذنَ**». قالوا: يا رسول الله، وكيف إِذْنُها؟ قال: «**أَنْ تَسْكُتَ**»[٢]. لأنَّها تستحي، والسكوتُ علامة الرضا كما نقول. لكن ابن حزم رأى أنَّها لو تكلمت فقالت: أنا أوافق على فلان، أو لا أوافق. يبطل عقد الزواج؛ لأنَّ إذنها سكوتها[٣]. كيف ذلك؟ ونحن اعتبرنا السكوت

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٣) المحلى (٥٨/٩) مسالة (١٨٣٩).

QaradawiBooks.com

علامة رضا، فمن باب أولى أنْ يكون كلامها أدل على إذنها في الموافقة أو المخالفة، فهذا من ظاهريَّة ابن حزم، مع أنَّه إمام كبير، واسع العلم، وهناك ظاهريَّة في عصرنا، ليس عندهم سعة علم ابن حزم، وإنَّما عندهم جموده في مثل هذه المسائل.

أريد أنْ أقول: هذه طبيعة البشر، فهناك من يُيسِّر، وهناك من يُشدِّد، وعُرِفت في تراثنا الفقهي شدائدُ ابن عمر، ورُخَصُ ابن عباس، وحينما قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك: اكتب للناس كتابًا، ووطِّئه توطئة، وتَجنَّب فيه شدائدَ ابن عمر، ورُخَصَ ابن عباس، وشواذَّ ابن مسعود[١]. فابن عمر كان متشدِّدًا على نفسه، كان يزاحم على الحجر الأسود في الحج حتى يدمى، فسئل في ذلك، فقال: هوت الأفئدة إليه، فأحببت أنْ يكون فؤادي معهم[٢]. وأمَّا ابن عبَّاس فيقول: لا يُؤذِي ولا يُؤذَى[٣]. إذا وجد زحامًا يبتعد، فواحد مُشدِّد، وآخر مُيسِّر.

وقد يوجد أَخَوَان، ولكلٍّ منهما طبيعة مختلفة، فطبيعةُ الحسن غير طبيعة الحسين، تنازل أحدهم عن الخلافة بعد أن بُويعَ بإمارة المسلمين، وطلبها الآخر حتى قُتل في سبيلها.

وطبيعة موسى غير طبيعة هارون عليهما السلام، فقد كان سيدنا موسى قويًّا شديدًا، كما ذكر القرآن: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨٧٠).
(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٤).
(٣) المصدر السابق (٨٩٠٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولما رجع موسى من الطور، ووجد قومَه قد عبدوا العجل الَّذي أضلَّهم به السامري، غضب غضبًا شديدًا، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فهما أخوان، ابنا عمران، وابنا أمٍّ واحدة، ولكن لكلٍّ منهما طبيعة خاصَّة، ولذلك أقول: الاختلاف ضرورة تقتضيها طبيعة البشر.

الاختلاف ضرورة كونيَّة:

ثم إنَّ الاختلاف ضرورة كونيَّة؛ لأنَّ الله خلق الكون مختلفًا ألوانه، ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]. فهذا اختلاف التنوع.

التعصُّب المذموم:

ولذلك لا نطمع أنْ يكون الناس جميعًا على رأيٍ واحد، فلا مانع أنْ تختلف الآراء، ولكن الممنوع أنْ تتفرَّق القلوب، أنْ يؤدِّي الاختلاف إلى التفرُّق والعداوة، نتيجة التعصُّب المذموم، ولا ينبغي أنْ يتعصَّب الإنسان لرأيه، بل ينبغي أنْ يقول ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل

QaradawiBooks.com

الصواب[١]. انظروا؛ الاحتمال في الجانبين أدَّى إلى التقارب، احتمال الخطأ في رأيي، واحتمال الصواب في رأي غيري قرَّب المسافة، لكن هناك من يقول: رأينا هو الصواب الَّذي لا يحتمل الخطأ، ورأي غيرِنا هو الخطأ الَّذي لا يحتمل الصواب.

على أنَّ بعض الأصوليين اعتبر أنَّ كلمة الإمام الشافعي فيها قدر من التشديد، لأنَّ احتمال الصواب والخطأ في الآراء متساوي النسبة، يُسمَّى أصحاب هذا الاتجاه في أصول الفقه «المُصوِّبة»، فهم يُصوِّبون كل الاجتهادات، ويرون أنَّ حكم الله في المسألة هو ما أدَّى إليه اجتهاد المجتهد، لكن الآخرون يقولون: لا، حكم الله واحد، بعضهم يُصيبه، وبعضهم يُخطئه، ولكن للمصيب أجران، وللمُخطئ أجرٌ واحد. فالتعصُّب هو الَّذي يُؤدِّي إلى العداوة، وإلى التَّفرُّق، ولا ينبغي للأُمَّة أنْ تتفرَّق.

التقريب لا يعني الذوبان:

ولا نستطيع أن نقول: نذيب الفوارق بين المذاهب بعضها وبعض، وقد كنت في الأسبوع الماضي في إيران، بدعوة من مجمع التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، وقلت لهم بصريح العبارة: ما المراد بالتقريب؟ هل المراد أنْ يتنازل الشيعيُّ عن شِيعيَّته، أو السُّنيُّ عن سُنيَّته؟ ليس هذا معقولًا. هل يقتضي التقريب إزالة الخلاف؟ ليس هذا معقولًا أيضًا.

(١) نقل ابن حجر الهيتمي أنَّ ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر المكتبة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

التقريب المعقول:

لكن التقريب المعقول: هو أنْ تتوَّحد المواقف في القضايا المصيريَّة، أن نتعاون في هذه القضايا الكليَّة، وتتقارب القلوب بدل أنْ يحاولَ بعضُنا هدمَ بعض، فأعداؤنا يقفون صفًّا واحدًا إذا كان عدوهم هو الإسلام، يختلفون فيما بينهم على أمور كثيرة جدًّا، ولكن يتَّفقون علينا، وهذا ما قاله القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]. فهم يوالي بعضهم بعضًا، ويساند بعضهم بعضًا، ومن هنا قال: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾. يعني: إن لم يوالِ بعضُكم بعضًا، ويساند بعضُكم بعضًا، ويتكتَّل بعضكم مع بعض ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾. فلا ينبغي أنْ يكون هناك تكتُّل في جانب الكفر، وتفرُّق في جانب الإسلام؛ إيجابيَّة في جانب الباطل، وسلبيَّة في جانب الحق، ففي هذا فتنة وفساد كبير، ولذلك ينبغي أن ننسى الخلافات عند المعارك، ونقف صفًّا واحدًا، كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]. فعند المعركة يجب أنْ يصْطفَّ الجميع صفًّا واحدًا، لا يتركون ثُغرة ينفذ منها العدو، لا يتركون خللًا بين الصفوف، ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾، يشدُّ بعضُه بعضًا.

العداء المعاصر ضدنا:

ونحن الآن في معركة مع القوى المعادية للإسلام وللمسلمين، وهي معركة عسكريَّة، واقتصاديَّة، وسياسيَّة، واجتماعيَّة، وثقافيَّة، ودينيَّة، حتى من الناحية الدينيَّة يريدون أنْ يُنصِّرونا، هذا هو الواقع، ففي سنة ١٩٧٨م اجتمع مئة وخمسون شخصًا من عُتاة المبشرين

QaradawiBooks.com

المنصِّرين في ولاية «كولورادو» في أمريكا، تحت هذا العنوان «تنصير العالم الإسلاميِّ»، وأنشؤوا لذلك معهدًا سمَّوه «معهد زويمر»، وكان «زويمر» مبشِّرًا معروفًا يقيم في البحرين في أوائل هذا القرن، وهو الَّذي ترأس المؤتمر التبشيري سنة ١٩٠٦م في القاهرة، فأرادوا أنْ يُحيوا ذكراه، فأنشؤوا معهدًا باسمه؛ لتخريج منصِّرين متخصِّصين في تنصير المسلمين، ورصَدوا لذلك ألف مليون دولار، فالمعركة دينيَّة ودنيويَّة، وسياسيَّة وعسكريَّة.

نتعاون فيما اتفقنا عليه:

وعلينا في هذه المعركة أن نقف صفًّا واحدًا، فلا يجوز أن نتفرَّق، فالصهيونية تكيد لنا، والأمريكان يكيدون لنا، والصليبيَّة الغربيَّة، والوثنيَّة الشرقيَّة، هؤلاء جميعًا يتفقون علينا، فيجب أن نتَّفق نحن مع أنفسنا، وشعارُنا في هذه القضيَّة هذه القاعدة الذهبيَّة، التي أسَّسها العلَّامة المُجَدِّد السيِّد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، صاحب تفسير ومَجَلَّة المنار، قال: نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[1].

ونحن مُتَّفِقون في قضيَّة المسجد الأقصى، قضيَّة القدس، قضيَّة فلسطين، فيجب أن نصطفَّ ضدَّ الصهيونية الماكرة، الغادرة، المعتدية، الطامعة في أرضنا، لا يختلف اثنان في هذا، ويجب أن نقف مع إخوتنا في البوسنة والهرسك، وفي كوسوفو، وفي كشمير، ويجب أن نقفَ ضدَّ الإلحاد العالمي، وضدَّ الدعوة إلى الإباحيَّة والانحلال، وضد الظلم الاجتماعي، نقف مع المستضعفين ضد المستكبرين في الأرض.

(١) قاعدة المنار الذهبية للعلَّامة محمد رشيد رضا. انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧)، نشر دار المنار، القاهرة.

QaradawiBooks.com

هناك ألف قضيَّة وقضيَّة نحن متَّفقون فيها، وهذه القضايا تستغرق من الجهود، والأمـــوال، والأوقات ما لا يمكن أن نقضـــي بعضَ حقِّه، ولو اشتغلنا في المتَّفق عليه لأنسانا المختلف فيه، فلنتعاون جميعًا، وليضع كلٌّ منا يدَه في يد أخيه.

نتحاور فيما اختلفنا فيه:

وســـوف تبقى أمور مختلَف فيها، ينبغي أنْ يعذُر بعضُنا بعضًا فيها، فإذا كان الشيعة يقولون بزواج المتعة، ونحن لا نقول به، فلهم هذا، وإذا كانوا يقولون في الأذان: أشـــهد أنَّ عليًّا وليُّ الله. ونحن عندنا شهادتان فقط، فليكن لهم ذلك في مســـاجدهم، وإذا كان الإباضيَّة يقولون بعدم حصول رؤيـــة الله في الآخرة، فحين تأتي الآخـــرة يتبيَّن الأمر، ومن هنا نقول: فليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

تأثير العوام:

وليس هناك مانع من أنْ يجتمع أهل العلم والاختصاص، بعضهم مع بعض، في حلقات ضيِّقة؛ ليبحثوا هذه الأمور الخلافية، بشرط أنْ تكون هناك قابليَّة للتنازل، أمَّا إذا كان كلُّ واحد مُصرًّا على مذهبه، لا يقبل أنْ يتنازلَ عنه مطلقًا، فما الفائدة؟

من الممكن في هذه الحلقـــات أن نصل إلى رأي متقارب، مع إبعاد العوام، لأنَّ المشكلة حقيقةً في الخوف من العوام، فأحيانًا يعتقد العلماء في أمرٍ ما، لكنهم يخشـــون العوام، وقد قلت لبعض إخواننا من الشيعة الجعفرية: أنا قرأت في كتبكـــم فلم أجد في الكتـــب القديمة أنَّ عبارة «أشـــهد أنَّ عليًّا ولي الله» من الصِيَغ الأساســـيَّة في الأذان! قالوا: ونحن نعتقد هذا. لكنَّه الخوف من العوام، فإدخالُ العوام في هذه الأمور يُفسد

QaradawiBooks.com

الحقائق العلميَّة، ولهذا نقول: إذا كان لأهل العلم أنْ يلتقوا في حلقات علميَّة متخصِّصة، ويبحثون بحثًا علميًّا بعيدًا عن التعصُّب، وبعيدًا عن المؤثِّرات الذاتيَّة والخارجيَّة، ربما يصلون إلى آراء تُقرِّب المسافة بين الجانبين، وإلا يسعنا هذا القول: يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

أُمَّة واحدة:

أعتقد أنَّنا بهذه القاعدة نضع إطارًا للتقارب والتسامح بين المذاهب بعضها وبعض، وإذا كنا قد وسعنا الأديان المخالفة، فكيف لا نسع المذاهبَ المخالفة من أهل القِبلة الواحدة؟ وحتى الحديث المشهور الَّذي يذكره كثيرون ـ وإن كنت شخصيًّا لا أؤمن بصحَّته تمامًا ـ قال: «**تفترق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً**»[1] إلخ. فحتى هذه الفرق ـ على ما بها ـ جزءٌ من الأمَّة؛ لأنَّه قال: «**تفترق أُمَّتي**». فنحن إذنْ أُمَّة واحدة، والعلماء قديمًا سمَّوا هؤلاء جميعًا أهل القِبلة، أي أنَّهم يُصلُّون إلى قِبلة واحدة، فكلُّنا دوائر متتالية حول الكعبة، تضيق بالقرب منها، وتتَّسع حتى تشمل العالم كله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يجمع كلمة هذه الأمَّة على الهُدى، وقلوبَها على التقى، ونفوسَها على المحبة، ونيَّاتها على الجهاد في سبيله، وعزائمَها على عمل الخير، وخير العمل، اللهمَّ آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في السُّنَّة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٩١)، وابن حبان في التاريخ (٦٢٤٧)، والحاكم في العلم (١٢٨/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

التسامح والتقريب بين المبدأ والتطبيق:

السؤال الأوَّل: فضيلة الشيخ القرضاوي، لقد أبدعت في إبراز مبادئ التسامح بصورة رددت فيها على من يقول: لا تسامح بين المسلمين. وهو الوضوح المسكوت عنه في محاضرتك، ولكن المشكلة في الفجوة بين المبدأ والتطبيق، أو بين النظريَّة والممارسة، وإلا فكيف نفسِّر ظاهرة الخوارج في صدر الإسلام، هل كان الكاثوليك والبروتستانت أشد تعصبًا منهم؟ وكيف نفسِّر تآمر العشائر القرشيَّة فيما بينها، وإبادة الأمويين العباسيين، وإبادة الهاشميين العلويين؟ هل ترى أنَّ الأتراك كانوا متسامحين في فتوحاتهم باسم الإسلام، وهل شهدت في طهران تسامحًا؟ ألا ترى أنَّها ذروة في المبدأ وسقوط في التطبيق؟

تاريخنا ناصع في جملته:

الجواب: يبدو أنَّ الأخ السائل يلبس نظارة سوداء جدًّا، ولا يرى في التاريخ إلا النقاط السود، ولا شكَّ أنَّ في كل تاريخ نقاطًا سوداء، ولكن نحن ننظر إلى المجموع، ومجموع تاريخنا لا يقاس بما عند الآخرين، فما حدث بين الأمويين والعباسيين حقيقة تاريخيَّة، ولكن انظر إلى المسيحيَّة، كنت أقرأ قريبًا عن انتشار المسيحيَّة، فقالوا: هناك خمسة عشر مليون إنسان هم ضحايا انتشار المسيحيَّة في أوربا[1]. ومن يعرف أعداد الأوربيين في تلك الأزمنة يعرف أنَّ هذا رقم هائل جدًّا، وما فعلته الشيوعية ضد الأبرياء أشد فظاعةً وهولًا، فكيف تقيس هذا بما حدث عندنا؟

(١) الأيديولوجية الانقلابية صـ٧١٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخوارج ليسوا عنوانًا للأمة:

ثم إنَّ الخوارج بما فعلوه خرجوا عن مبدأ التسامح الإسلامي للأسف؛ لأنَّ نظامهم كان يقوم على أساس استحلال دماء الآخرين، فلا تأتي بأناس يُمثِّلون الشذوذ وتجعلهم عنوانًا يُمثِّل تاريخ الإسلام، إنَّ هؤلاء قتلوا حتى عليَّ بن أبي طالب، ابن الإسلام البكر، اعتبروه خارجًا عن الإسلام، واستحلُّوا دمَه، وتغنَّى شاعرهم حفاوة بالقاتل، فقال:

يا ضربةً من تَقِيٍّ ما أراد بها إلَّا لِيَبْلُغَ من ذي العرش رضوانَا
إنِّي لأذكره يومًا فأحسبُه أوفى البريَّة عند الله مِيزَانَا[1]

هكذا قال الشاعر عمران بن حِطَّان الخارجي، فلا نتَّخذ هؤلاء مقياسًا لتاريخنا وعنوانًا عليه، فتاريخنا تاريخ ناصع في الجُملة، إذا قسناه بالتواريخ الأخرى.

مقترحات للتقارب:

ويسأل الأخ: هل وجدتَ تسامحًا في طهران؟ وأقول: لقد ذهبت لأوجد جوًّا للتسامح، والتقيت بكثير من علمائهم، وهم يحاولون إيجاد مناخ للتسامح، وليس من الحكمة أن نترك الأمور تتفاقم، ولا نحاول حلَّها، فإخواننا من أهل السُّنَّة هناك يشتكون بأنَّهم لا يأخذون حقوقهم.

حل المشكلات الواقعيَّة:

وقد تكلَّمت مع بعضهم، وقلت لهم ما قلته في ندوة التقريب التي

(١) من شعر عمران بن حطان، يمدح ابن ملجم قاتل الإمام علي رضي الله عنه. كما في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٢٨/٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) منذ سنتين في الرباط[١]، وكان فيها ثلاثةٌ من كبار المراجع الشيعيَّة، قلت لهم بصراحة: إذا كنَّا نريد التقارب، فلا بدَّ أن نحل المشاكل على أرض الواقع، ومن ذلك:

الكفُّ عن سبِّ الصحابة:

أولًا: ينبغي الكفُّ عن سبِّ الصحابة؛ لأنَّنا لا يمكن أن نلتقي وأنا أقول: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وأنت تقول: لعنهما الله. لا يمكن أن نلتقي مع استدعاء الحزازات التاريخيَّة، لماذا نتقاتل على التاريخ؟ إذا كان عليٌّ أحق، أو أبو بكر أحق، فقد انتهى زمانهما، وأفضى كلٌّ منهما إلى ما قدَّم، فلا داعي أن نجتر التاريخ، ونجعل منه سببًا للعداوة، فليكن الأمر إذنْ كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]. وكما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نُلطِّخ بها ألسنتنا[٢].

منع الجور والاستفزاز:

ثانيًا: ينبغي أنْ يحاول كلٌّ منا ألا يجور على الآخر، فلا يجوز أنْ أذهب إلى الأماكن الخالصة للشيعة ـ مثل طهران ـ وأنشر مذهب السُّنَّة، ولا يجوز أنْ تأتي إلى الأماكن الخالصة للسُّنَّة ـ مثل مصر أو الجزائر ـ وتدعو إلى التَّشيُّع، فما معنى أنْ تذهب إلى هذين البلدين، وقد صار لهما مئات السنين وهما سُنيَّان خالصان لتكسب بضع مئات

(١) في الفترة: من ١٢ إلى ١٤ ربيع الثاني ١٤١٧هـ، الموافق: ٢٧ إلى ٢٩ أغسطس ١٩٩٦م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

من الأشخاص إلى المذهب الشيعي، فتكون النتيجة أنْ تكسب هذا العدد القليل، ولكن تُحدث توتُّرًا كبيرًا في المجتمع، وتجعل الشعب كلَّه ضدك؟

فقال لي أحدهم: والله لقد حدث هذا؛ ذهبنا إلى السودان، وكان لنا مكتب فيه، فكتب واحدٌ ـ كان سنيًّا ثم تشيَّع ـ كتابًا سمَّاه «ثم اهتديت»، ونشر منه عشرة آلاف نسخة في السودان، فكانت النتيجة أنْ أُغلق المكتب، وطُرِدْنا من السودان، وخسرنا مودَّة السودانيين. فقلت له: هذه نتيجةٌ طبيعيَّة، كان يمكنك بدل أنْ تنشر المذهب الشيعي في بلد سُنِّي أنْ تنشئ علاقة سياسيَّة معه.

مراعاة حقوق الأقليَّات:

ثالثًا: يجب أن نعترف بحقوق الأقليَّات، ونراعيها، سواءً في البلاد السنيَّة أو الشيعيَّة، ويوجد هنا في الخليج بلوش، وأكراد، وتركمان، وشوافع، وأحناف، وهؤلاء يجب أنْ يأخذوا حقوقهم.

قلت لهم: أنا أعلم أنَّ هناك حوالي مليونين من أهل السنَّة يعملون في طهران، ويطالبون بمساجد لهم فيها، لماذا لا يُقام لهم؟ فقال واحد مغربي: ولماذا لا يُصلُّون في مساجد الشيعة؟

قلت له: يا أخي، الشيعة يذهبون إلى مسجد واحد في صلاة الجمعة، فلا تكلِّف الناس جميعًا أنْ يصلُّوا في مسجد واحد، ثم إنَّ لكل مذهب شروطًا يشترطها في مسجده، ولنفرض أنَّ أحدًا لا يريد أنْ يسمع في صيغة الأذان: أشهد أنَّ عليًّا وليُّ الله. هو حرٌّ، أو أنَّ أحدًا لا يريد أنْ يصلي وأمامه الحجر الَّذي يضعه الشيعة، هو حرٌّ.

QaradawiBooks.com

قلت له: نحن عندنا في مصر الجمعية الشرعيَّة، لها مساجدُها الخاصَّة، ولها شروط خاصَّة فيها، فليس فيها أي زخرفة، ومنبر الخطيب لا بدَّ أنْ يكون من ثلاث درجات، وهم يطيلون في الصلاة غالبًا، وقد عرفهم الناس بذلك، ووافقتهم الدولة على ذلك، والمجتمع كذلك، فما المانع أنْ يكون لأهل السُّنَّة في طهران مساجد خاصة بهم.

وقلت لهم كذلك: لا بدَّ أنْ يُمثّل أهل السنة في البرلمان. قال: لهم عدد في البرلمان. قلت: صحيح، ولكنَّه لا يكافئ نسبتهم العدديَّة، ثم لا بدَّ أنْ يمثلوا في الوزارة، ونحن عندنا الأقباط في مصر يقدر عددهم بحوالي ستة في المائة (٦٪)، ومع ذلك لهم وزيران أو ثلاثة في كل حكومة، لكن لا يوجد وزير واحد من أهل السُّنَّة في حكومة إيران، ولا يوجد لهم محافظ واحد، حتى في المناطق ذات الأغلبيَّة السنيَّة، فلكي نتفاهم ونتقارب يجب أن نحلَّ المشكلات على أرض الواقع، هذا ما قلته في ندوة المغرب وللبعض في إيران.

وأقول: إذا كانت هناك نيَّة حقيقيَّة للتقارب، فلا بدَّ أن نستعرض المشكلات ونحاول حلَّها، حتى لا نقول كلامًا ولا ننفذ منه شيئًا، ولا بدَّ أنْ يسودَ علاقاتنا الحوار الهادئ، والجدال بالتي هي أحسن، ومكارم الأخلاق.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

الحرية العلميَّة والتعدديَّة الفكريَّة في الإسلام(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدَنا وإمامَنا وحبيبَنا محمدًا عبدُ الله ورسوُله، صلواتُ الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدِّين.

أيُّها الإخوة الأحباب، خير ما أُحيِّيكم به تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأحمد الله تبارك وتعالى أنْ هيَّأ لي فرصة أخرى للقاء بكم، بعد أنْ سعدت بالفرصة الأولى منذ عامين، وجئت في ذلك الوقت بعد إجراء عمليَّة جراحيَّة في أمريكا، فوصلت إليكم على كرسيٍّ مُتحركٍ، لكنِّي الآن أمشي على قدمين، وإن كنت أحمل عصًا أتوكَّأ عليها، فأسأل الله تعالى أنْ يتيح لنا فُرصًا وفُرصًا؛ لنلتقي على دعوة الله تعالى، وعلى

(١) ألقيت في ألمانيا، في ثمانينيات القرن العشرين، ضمن فعاليات مؤتمر: الحقوق والحريَّات في العالم الإسلامي.

QaradawiBooks.com

نُصرة دينــه، وأنْ يُهيِّئ لنا من أمرِنا رَشَــدًا، وأنْ يجعــل يومَنا خيرًا من أمســنا، ويجعل غدَنا خيرًا من يومنا، ويُحسِــنَ عاقبتَنا في الأمور كلِّها، اللهم آمين.

اهتمام المسلم بأُمَّته:

أتحدَّث إليكم حول جانب من جوانب هذا الموضوع الكبير، الَّذي جعله الإخوة عنوانًا أساســيًّا ومحــورًا يدور حوله هــذا المؤتمر، وهو موضوع «الحقوق والحريَّات في العالم الإسلاميِّ».

ولا شكَّ أنَّ المســلم المغترب ينبغي ألَّا يَنسى عالمه الإسلامي، وكنتُ قد حدَّثت الإخوة في مؤتمرٍ في فرنســا عن واجبات المسلم المغترب، وذكرت واجباتٍ خمســةً، هي: واجب المســلم المغترب نحو نفسه، وواجبه نحو أســرته، وواجبه نحو إخوانه الذين يعيشون معه في أرض الغربة، وواجبه نحو إخوانه الآخرين في الإنسانية ممن يعايشونه في هذا المجتمع من غير المســلمين، فهناك أخوَّة إنسانيَّة تجمعه بهم، وواجبٌ عليه نحوهم، ثم هناك الواجب الخامس، وهو واجب المسلم نحو أُمَّتِه الإسلاميَّة، نحو العالَم الإسلاميِّ، فهذا أمر ينبغي ألَّا يُنسى.

وإذا كان كل يهوديٍّ في العالم يعتبر نفســه مسؤولًا عن بقيِّة اليهود، وعن إسرائيل، فأعتقد أنَّ من حقِّ المسلم أنْ يشعر ويهتمَّ بأمر المسلمين، فمن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم، والمسلمون أمَّة واحدة يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سِــواهم، ويُجير أقصاهم على أدناهم، لهذا فلا عجب أن نهتمَّ بما يجري في العالم الإسلامي، ومن ذلك قضية الحقوق والحريات فيه.

QaradawiBooks.com

عناية الإسلام بالحقوق:

ومن هذا المنطلق نقول: إنَّ الإسلام سبق في إقرار الحقوق والحريَّات، واعتبرها دينًا، فما تعتبره بعض الأنظمة، وبعض الفلسفات حقًّا، يرتقي الإسلام به فيعتبره واجبًا وفرضًا، لأنَّ الحق يمكن التنازل عنه، فهو يدخل في دائرة ما للإنسان، والواجب يدخل في دائرة ما عليه، وقد يَدَعُ الإنسان ما له، تنازلًا منه وتبرُّعًا، ولكن الواجب لا يجوز التنازل عنه، فالإسلام يرقى بهذه الحقوق الَّتي يحرص عليها النَّاس إلى درجة الواجبات والفرائض.

الإسلام يقاتل من أجل الحريَّات:

وبعض الحقوق يقاتل الإسلام دونها، مثل حقّ الإنسان في العيش الكريم، في الكفاية من العيش، ونرى أنَّ الدولة الإسلاميَّة هي أول دولة في التاريخ شهرت السيف، وأعلنت الحرب، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء، فقد جهَّز الخليفة الأوَّل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أحدَ عشر لواءً لتقاتل أدعياء النبوة الكاذبين، وتقاتل معهم مانعي الزكاة، مانعي حقوق الفقراء، وقال أبو بكر في ذلك: «والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عَناقًا (عنزة صغيرة) ـ وفي رواية: عِقالًا (حبل بعير) ـ كانوا يُؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه»[1].

قاتلت الدولة الإسلاميَّة من أجل الحقوق الاقتصاديَّة، ويُقاتل الإسلام كذلك من أجل الحريَّة الدينيَّة، من أجل أنْ يكون للناس حُريَّة التديُّن، ولا يُفتَن أحدٌ عن دينه، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وليس هذا للمسلمين فحسب، فإنَّ أول ما نزل في شأن الجهاد في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

لولا أنَّ الله يُهَيِّئ بعض الناس ليدفعوا عدوان الآخرين لانتُهِكتْ حُرُمات الأديان المختلفة، وهُدِّمتْ دورُ العبادة لها، والآية لم تقصر التهديم على المساجد وحدها، ولكنها ذَكَرَت الصوامعَ، والبِيَعَ، والصلوات، دورَ العبادة للنصارى، واليهود، والمسلمين.

بهذا ارتفع الإسلام بما تسميه بعض الأنظمة، وبعض الفلسفات حقًّا، إلى حدِّ اعتباره واجبًا وفريضة، وإلى حدِّ أنَّه يمكن أنْ يقاتل في سبيل إقراره، ودفع العدوان عنه.

الحريَّة الفكريَّة والتعدديَّة في الإسلام:

لا أستطيع في هذا الوقت الضيِّق أنْ أتحدَّث عن كلِّ الحقوق والحريات في الإسلام، ولكنِّي أتحدَّث عن نوعٍ واحد، هو الحرية العلميَّة والفكريَّة.

وإنَّما دفعني إلى هذا الحديث ما أثاره بعض الإخوة من قضايا وتساؤلات، عندما تحدث فضيلة أستاذنا الشيخ الغزالي في هذا المؤتمر، فأحببت أنْ أُبيِّن أنَّ الإسلام سبق الفلسفات الَّتي يتشدق بها الناس في عصرنا، بإقرار الحريَّة العلميَّة والفكريَّة، وما تقتضيه من إقرار التعدديَّة العلميَّة والفكريَّة، وقد يترتب عليها أيضًا التعدديَّة السياسيَّة.

QaradawiBooks.com

الدعوة إلى التفكير وإقرار الاختلاف:

لم يفرض الإسلام على الناس لونًا واحدًا من التفكير، أو الاتِّجاه العلميِّ، ثم يحكم على كلِّ الأفكار بعد ذلك بالإعدام، لم يفعل ذلك، بل أقرَّ الاختلاف، ودعا إلى التفكر، واعتبره عبادة أو فريضة، حتَّى إنَّ الله تعالى يقول في القرآن: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦]. حينما طالب الله بخصلة واحدة كانت هذه الخصلة هي التفكير المخلص.

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: أي مخلصين في طلب الحق، غير مرائين ولا مداهنين، طالبين الحقيقة لوجه الحقيقة.

﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾: بعيدًا عن تأثير العقل الجمعي كما يقول علماء النفس. بأنْ يجلس الإنسان إلى صديق له، يأنس له، ويطمئن إليه، ليحاوره بعيدًا عن الجماهير وعن المجاملات، وعن المخاوف والمطامع، أو يخلو هو إلى نفسه، هذا معنى ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾: لا يوجد كتاب ديني في العالم يدعو الناس إلى العقلانيَّة كما يدعو القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الَّذي تجد فيه: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

ذلك كله إنكار على مَنْ يُهمل عقله أو يُلغيه، أو يفكِّر بعقل غيره،

QaradawiBooks.com

أولئك الذين يُفكِّرون بعقول الآبـاء: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، أو بعقول السادة والكبراء: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحـزاب: ٦٧]، لا يريد الإسـلام للمسـلم إلا أنْ يفكِّر برأسه، أنْ يستخدم عقله.

القرآن يُنشئ العقليَّة العلميَّة:

هذه الدعوة إلى التَّفكُّر والتَّعقُّل والتَّدبُّر والتَّأمُّل، والدعوة إلى رفض التقليد ـ أيًّا كان هـذا التقليد ـ والدعوة إلى اتِّبـاع الحقائق لا الظنون، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجـم: ٢٨]، الحقائـق لا الظنون، والحقائق الموضوعية بعيدًا عـن التأثر بالأهواء والعواطف، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، هكذا أنكر الله على المشـركين اتباع الظنون والأهواء، وأنكـر على النصارى، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧].

معنى هذه الدعوة أنَّ القرآن ينشـئ العقليَّة العلميَّة، وكثيرًا ما أقول للإخوة الذين يهتمون بإبراز جوانب الإعجاز العلمي في القرآن، ويصلون إلى لفتات بارعة، وإشارات معجزة: إنَّ الأهم من ذلك هو الالتفات إلى العقليَّة الَّتي ينشـئها القرآن الكريم، بوصاياه وهداياته، فهو ينشئ عقليَّة علميَّة، ليست خرافيَّة أو عاميَّة، ينشئ عقليَّة علميَّة تنظر وتتفكَّر، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعـراف: ١٨٥]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمـران: ١٩١]. إلى آخر مجـالات التفكر الَّتي عرضها

QaradawiBooks.com

القرآن، العالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم النفس، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فهذه المجالات هي للنظر، والتفكُّر، والتأمُّل، والتدبُّر، واتباع الدليل والبرهان.

ففي الأمور العقليَّة يكون البرهان العقلي، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، تكررت في القرآن في أكثر من موضع، لا تقبل دعوى بغير برهان.

وفي الأمور الحسيَّة والتَّجريبيَّة يكون البرهان حسيًّا، بالمشاهَدة: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ﴾ [الزخرف: ١٩] هل رأيت هذا؟ ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

وفي الأمور التاريخيَّة يكون البرهان نقليًّا توثيقيًّا، ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

هذا هو القرآن الَّذي يُنشئ العقليَّة العلميَّة، ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

الإقرار بالاختلاف:

هذه العقليَّة من شأنها أنْ تُفكِّر وتبحث، وإذا فكَّرت العقول وبحثت فمن شأنها أنْ تختلف، وهذا الاختلاف واقعٌ بمشيئة الله تعالى، ولا يُنتظر من الناس أنْ يُصَبُّوا جميعًا في قالب واحد، فمن شأن العقول في الأمور الاجتهاديَّة أنْ تختلف، ولهذا أقر الإسلام الاختلاف.

والاختلاف هو نتيجة لحريَّة البحث الموضوعي المحايد، بعيدًا عن الظنون، والأهواء، والتقليد، وغير ذلك، فلا بدَّ للناس أنْ يختلفوا،

QaradawiBooks.com

ولا مانع من أنْ يختلفوا، وقد اختلف خير القرون، اختلف الصحابة مع بعضهم في كثير من الأمور، واختلف التابعون كذلك، وقد كتبت دراسة في فقه الاختلاف، جعلت عنوانها «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، فليس كلُّ اختلاف مذمومًا.

منع الاختلاف ضرر:

ومن أضرِّ الأمور على الصحوة الإسلاميَّة، وعلى العمل الإسلامي، محاولة بعض الناس أنْ يمنعوا الخلاف، فإنَّ محاولة منع الخلاف لا تزيد الناس إلا خلافًا، فالذين أرادوا أنْ يمنعوا المذاهب لم يستطيعوا أنْ يمنعوها، بل جاؤوا بمذهب جديد، وهو إبطال المذاهب وإلغاء الخلاف.

والواقع أنَّه لا يمكن للناس أنْ يكونوا مذهبًا واحدًا، أو أنْ يجتمعوا على حركة واحدة، بعض الناس يريد مصادرة كل حركة إلا حركتهم، وكل جماعة إلا جماعتهم، وهذا مستحيل.

اختلاف التنوُّع:

وقد سئلت عن ذلك بمرارة، فقلت: إنَّ وجود حركة إسلاميَّة واحدة تضم جميع الحركات، أو جماعة إسلاميَّة تشمل جميع الجماعات ـ أمنية عذبة وحلوة، ولكنها تخالف الفطرة، وتخالف الواقع، فالناس لا بدَّ أنْ يختلفوا، ولا مانع من الاختلاف إذا كان اختلاف تنوُّع، لا اختلاف تضاد.

هناك نوع من الاختلاف يطلق عليه في التراث اختلاف التنوُّع، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] عن بعض أقوال المفسرين: إنَّه اختلاف تنوُّع. فحين فسَّروا قوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. قال

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير صـ١١، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٩٠هـ ـ ١٩٨٠م.

QaradawiBooks.com

أحدهم: هو الإسلام[١]. وقال آخر: هو القرآن. وقال آخر: هو السُّنَّة[٢]. وهذا ليس اختلاف تضاد، وإنَّما اختلاف تنوُّع.

وكذلك في مجال العمل الإسلامي، لكل واحد طريقه معينة، وقد تختلف درجة اهتمام شخص بشيء معيَّن عن درجة اهتمام شخص آخر به، تختلف أولويَّاتُه عن أولويَّاتِ غيره، قد يتفق معه في الأهداف، ولا يتَّفق معه في الوسائل، قد يتَّفق على الأهداف والوسائل، ولا يتَّفق على الأشخاص أنفسهم الذين يقومون على التنفيذ أو الإشراف أو الإدارة، فلا مانع للناس من أنْ يختلفوا، وأصل ذلك هو أنَّ الإسلام يبيح للناس حريَّة التفكير والبحث، وما داموا يفكرون ويبحثون ويدرسون، طالبين الحقيقة، قائمين لله مثنى وفرادى، فلا بدَّ أنْ يختلفوا.

ضرورة الاختلاف:

والاختلاف ـ كما ذكرت ـ ضرورة، تقتضيها طبيعة الدِّين، وطبيعة اللغة، وطبيعة البشر، وطبيعة الكون والحياة.

(١) طبيعة الدين تقتضي الاختلاف:

تقتضي طبيعة الدين أنْ يختلف الناس؛ لأنَّ الله ﷻ لو أراد أنْ يجعل الدِّين كلمةً واحدةً حاسمةً يجتمع جميع الناس عليها لأنزل كتابه كلَّه آياتٍ مُحكماتٍ قاطعاتِ الدلالة، ولَطلب من رسوله ﷺ أنْ يكتبَ أحاديثه من أوَّل الأمر حتَّى لا يختلف الناس في ثُبوتها، ولكن لم يحدث ذلك، فاللهُ تعالى

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٤٦/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن جابر.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٥٤/١)، عن سهل بن عبد الله. نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

أنزل كتابَه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، هذه المتشابهات تتشابه على الناس، وتختلف فيها أقوالُهم، ويختلفون كذلك في السُّنَّة؛ لأنَّ منها المتواتر، ومنها الآحاد، ومنها الأصيل ومنها الدخيل، ويختلفون في دلالتها أيضًا، فطبيعة الدِّين تقتضي هذا الاختلاف.

(٢) طبيعة اللغة تقتضي الاختلاف:

وكذلك تقتضي طبيعة اللغة الَّتي جاء بها الدِّين أنْ يختلف الناس، فقد جاءت نصوص الدِّين ـ قرآنيَّة كانت أو نبويَّة ـ باللغة العربيَّة، وفي هذه اللغة الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والمنطوق والمفهوم، والخاصّ والعام، والمطلق والمقيَّد، إلخ.

ولذلك نجد في علم أصول الفقه ـ وهو من مفاخر تراثنا العلمي الإسلامي، وهو الَّذي يضبط الاستدلال على الأحكام الشرعيَّة ـ مباحثَ لغويَّةٍ ضافية، وكلها مباحث تتعلَّق بالألفاظ، لأنَّه لا يمكن فهم النصوص إلا بهذه المعارف اللغويَّة، ولذلك اعتبر الأصوليُّون جميعًا أنَّ معرفة اللغة العربيَّة، والتمكُّنَ منها، والرسوخَ فيها، ضرورةٌ للاجتهاد، فطبيعة اللغة تقتضي أنْ يختلفَ الناس.

من نماذج الاختلاف اللغوي:

فمثلًا الملامسة في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]. يمكن أنْ يفسرها البعض بالملامسة الحقيقيَّة، ملامسة البِشْرة للبِشْرة، كما هو رأي عبد الله بن عمر[١]، وأبيه[٢]، رضي الله عنهما.

(١) رواه الحاكم في الطهارة (١/١٣٥).

(٢) انظر: تفسير الجلالين صـ١٠٨، نشر دار الحديث، القاهرة، ط١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويمكن أنْ يراها البعض كناية عن الجماع، كما هو رأي ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: المسُّ واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، إنَّ الله حيِّي كريم يكني عما شاء بما شاء[1].

ولذلك حينما جاءه تلميذه سعيد بن جبير وسأله، قال: اختلف العرب والموالي في المس واللمس، فقال العرب: معناها الجماع. وقال الموالي: معناها لمس البشرة للبشرة. فقال له ابن عباس: ومن أيِّ الفريقين كنت يا سعيد؟ قال: كنت من فريق الموالي. قال: غُلب فريق الموالي. فصوَّب رأي العرب، وخطَّأ رأي الموالي؛ لأنَّ اللمس والمس في القرآن يعني الجماع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وكما في قوله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، فطبيعةُ اللغة تقتضي الاختلاف، فقد يتجه ذهن البعض إلى المعنى الحقيقي، وآخر يتجه ذهنه إلى المعنى المجازي.

وأحيانًا يكون اللفظ مشتركًا، مثل لفظ «القروء» في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، هل القرء هو الطهر، أم هو الحيض؟ جاء في اللغة هذا وذاك، والأمثلة عن الاختلافات بسبب اللغة كثيرة، فلا بدَّ للناس أنْ يختلفوا ما دامت هذه هي طبيعة اللغة، وما دام الدين يتمثل في نصوص لغويَّة.

(٣) طبيعة البشر تقتضي الاختلاف:

وكذلك تقتضي طبيعة البشر ـ الذين يفهمون الدِّين، ويفهمون اللغة ـ أنْ يختلفوا، فالناس فيهم المُيسِّر، وفيهم المُشدِّد، فيهم المُضيِّق، وفيهم

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

QaradawiBooks.com

المُوسِّع، فيهم أصحاب المظاهر، وفيهم أصحاب المقاصد، وهذا الاختلاف طبيعي، ولا يمكن أن تجعل النَّاسَ جميعًا على نمطٍ واحدٍ؛ لأنَّ الله تعالى لم يخلقهم هكذا.

ابن عمر وابن عباس:

وقد عرف تراثنا الفقهي شدائدَ ابن عمر، ورُخَصَ ابنِ عباس، ورُوي أنَّ أبا جعفر المنصور حينما طلب من الإمام مالك أنْ يُؤلِّف «الموطَّأ»، قال له: تجنَّب فيه شدائدَ ابن عمر، ورخَصَ ابن عباس، وشواذَّ ابن مسعود[١].

اشتهر ابن عمر بالشدائد، وقد كان رجلًا شديدًا على نفسه، وعلى أهله، وكان يأخذ بالعزائم، فإذا توضأ يحاول أنْ يدخل الماء إلى باطن عينيه، وكان يبعد الأطفال عنه خشية أنْ يصيبه من ريقهم، ولعلَّه امتزج بقيء أو نحو ذلك، بينما يقول ابن عباس: إنَّما هي رياحين نشمُّها.

كما كان ابن عمر في الحج يزاحم على الحجر الأسود حتَّى يدمى، مثلما نرى إخواننا الأفارقة يفعلون، ولمَّا سُئل في ذلك قال: هفت القلوب إليه، فأحببتُ أنْ يكون فؤادي معهم[٢]. أمَّا ابن عباس فيقول عن الحاجِّ: لا يُؤذِي ولا يُؤذَى[٣]. كلاهما شخصيتان مختلفتان، ولا تستطيع أنْ تجعلَهما شخصيَّة واحدة.

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٧٢/٢، ٧٣)، نشر مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط١.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٧٦/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) كان ابن عباس يقول: إذا وجدتَ على الركن زحامًا، فلا تؤذِ أحدًا ولا تؤذَ وامضِ. رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

QaradawiBooks.com

أبو بكر وعمر:

وهذا الاختلاف بين الطبائع لا يظهر فقط في المواقف الفكريَّة، بل يظهر كذلك في المواقف السياسيَّة، فحينما استشار النبيُّ ﷺ أصحابَه في قضيَّة أسرى بدر، كان لأبي بكر رأي يتَّفق مع طبيعته، وكان لعمر رأي يتَّفق مع طبيعته.

الحَسن والحُسين:

قد يكون هناك أخَوَان، ولكلٍّ منهما طبيعة خاصَّة، وهما ابنا أبٍ واحدٍ، وأمٍّ واحدةٍ، مثل الحسن والحسين رضي الله عنهما، بُويع الحَسن بالخلافة، وكان معه جيشٌ ويمكنه أنْ يقاتل به، ولكنَّه قال: لا أريد الخلافة، خذها يا معاوية. أراد أنْ يحقن دماء المسلمين، وسُمِّي هذا العام عامَ الجماعة، وصدق ما قاله النبي ﷺ: «**إنَّ ابني هذا سيِّد، وسيُصلح اللهُ به بين فئتَيْن عظيمتَيْن من المسلمين**»[1]. بينما الحسين لم يكن معه جيش، ولا بايعه أحد، لكنَّه طالب بالخلافة، وقاتلَ من أجلها، وقتل شهيدًا، فلكلٍّ منهما شخصيَّةٌ مختلفةٌ.

موسى وهارون:

ومن ذلك الاختلاف بين سيِّدنا موسى وأخوه هارون، عليهما السلام، سيدنا موسى شديد في كلِّ شيء، من ذلك ما ذكره القرآن: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥، ١٦]، هذه طبيعته، يغضب لله.

---

(١) رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولما رجع فوجد قومَه قد عبدوا العجل الَّذي أضلَّهم به السامري، غضب غضبًا شديدًا، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، حالة غضب عبَّر عنها القرآن بقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، كأن هذا الغضب قوَّة متكلمةً ناطقةً آمرة، فهذه طبيعة شخصيَّة موسى عليه السلام.

بينما طبيعة شخصيَّة هارون عليه السلام مختلفة، كما يظهر في هذا الحوار بينهما: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤]، قال له: عندما قامت هذه الفتنة أردت أنْ أحافظ على وحدة الجماعة، ولا أتصرَّف وحدي، حتَّى تحضر ونتفاهم في علاج الأمر معًا، فالقضية كبيرة، ولا ينبغي أنْ أتعجَّل بقراري فيها. فهذان أخوان، لأبٍ وأم، ولكنهما مختلفان في طبعيهما، ولذلك كانت محاولة جعل الناس جميعًا على طريقة واحدة أمر مستحيل.

من اختلاف الصحابة:

وقد سمعت فضيلة الشيخ الغزالي يحدِّثكم عن بني قريظة، فبعد أنْ فرغ النبيُّ ﷺ من الأحزاب كان لا بدَّ من تأديب هؤلاء اليهود، لأنَّه لو نجحت الخطَّة الَّتي رُسمت ضد المسلمين لأبيدوا، واستؤصلت شأفة الإسلام، فقد كانت خطَّة إبادة للمسلمين، أحاط الأحزاب بالمدينة كما يُحاط السوار بالمعصم، وغدر اليهود من

QaradawiBooks.com

الداخل، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، فالأمر كان في غاية الخطورة، لذلك كان لا بدَّ من تأديب يهود بني قريظة، فلم يتلكَّأ النبيُّ ﷺ، ولم يتباطأ، وقال: «**لا يُصلينَّ أحدٌ العصرَ إلَّا في بني قُرَيْظة**»[1].

ونهض الصحابة لتنفيذ الأمر، وبينما هم في الطريق اختلفوا، فنظر جماعة إلى الشمس فوجدوها تقترب من الغروب، فقالوا: إنَّ النبي ﷺ لم يُرِدْ منا أن نُضَيِّعَ العصر، إنَّما أراد منا سرعة النهوض. فنظروا إلى مقصود النَّصِّ، فقالوا: إذا لم نُصلِّها الآن سنُصلِّيها بعد أن نَصِلَ، فلنصليها الآن أوْلى. وصلُّوا في الطريق، فراعوا بذلك مقصود النصَّ، أو روح النص.

وقالت جماعة أخرى: لا، لن نُصلِّيها إلا في بني قريظة، كما قال النبي ﷺ. سواء وصلنا المغرب، أو العشاء، أو منتصف الليل، فلن نُصلِّيها إلا حينما نَصِل. فراعوا بذلك ظاهر النص، أو حرفيَّة النص، فكان هذا من اختلافهم.

مدرسة المقاصد ومدرسة الظواهر:

والمهم أنَّ النبي ﷺ لم يَلُمْ أيًّا من الفريقين، وهذا إقرار بأنَّ هذه هي طبيعة الناس، فلا يمكن أنْ تلغي مدرسة المقاصد، ولا مدرسة الظواهر.

صحيح أنَّ الإمامين ابن تيمية، وابن القيم، بحثا: أي الفرقتين كانت أقرب إلى الصواب؟ ورجَّحا أنَّ الذين صلوا في الطريق كانوا هم الأصوب، وإن كان الآخرون غير محرومين من الأجر.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وأنا مع الإماميـــن فيما رجَّحـــاه، وبصفة عامة أرى أنَّ مدرســـة المقاصد هي المدرســـة الأقرب إلى الصواب، وهـــي الَّتي تنظر إلى روح النص وفحواه، وإلـــى ما وراءه، وخصوصًـــا أنَّ جمهور علماء الأمة ـ ما عـــدا الظاهريَّة، وبعض الفئات القليلـــة ـ ترى أنَّ الأحكام الشـــرعيَّة ـ في غير التَّعبديَّات ـ معقولة المعنـــى، معلَّلة، وما دامت معلَّلة بمصالح العبـــاد، يمكن أنْ تُدرك العلَّـــة، أو تُدرك المصلحة، والمعلول يدور مع علَّتـــه وجودًا وعدمًا، ولهـــذا يختلف الناس في عصرنا، ولا مانع أنْ تكون هناك مدرسة تُمثِّل هذا الاتِّجاه، ومدرسة تمثِّل الاتِّجاه الآخر.

المشـــكلة أنْ تَعتبر إحدى المدرســـتين رأيها هو الصواب الَّذي لا يحتمـــل الخطـــأ، وأنَّ رأي غيرها هـــو الخطأ الَّـــذي لا يحتمل الصواب، كما تقول المدرسة الَّتي ســـميّتُها «الظاهريَّة الجُدد»، فهي لا تقول كما يقول الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[1]. وهذا القول هو أقصى ما يقوله مجتهد عن نفسه.

وهنـــاك اتجاه آخـــر يقـــول: كلُّ المجتهدين على صواب. يُســـمُّون أصحاب الاتجاه في أصول الفقه «المُصوِّبة»، لا يقصدون أنَّ هناك صوابًا وخطأ في المســـالة في نفـــس الوقت، ولكن يقصـــدون أنَّ الصواب هو ما انتهـــى إليه رأي المجتهد في المســـألة، فمجرد قيامـــه بالاجتهاد هو المطلوب منه عند الله، هذا كله يدلُّنا على أنَّ طبيعة البشر تقتضي أنْ يقع الاختلاف منهم.

(١) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(٤) طبيعة الكون والحياة تقتضي الاختلاف:

وكذلك تقتضي طبيعة الكون والحياة أنْ يقعَ الاختلاف، فالله ﷻ خلق الكون والحياة وما فيها مختلفة الألوان، وهذا التَّعبير منتشر في القرآن، ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، هذا الاختلاف في الألوان يعطي ثراءً للحياة وما فيها، هذا التنوع أمر مطلوب، ولذلك لا مانع من أنْ يختلف الناس، وأنْ تتعايش الأفكار والمذاهب والمدارس المختلفة.

التعايش لا التعصب:

كان الإمام أحمد ممَّن يرون أنَّ الرُّعاف ينقض الوضوء، فقيل له: هل تصلي خلف الإمام إذا كان قد نزل منه رعاف ولم يتوضأ؟ فقال: ويحك! كيف لا أصلي خلف سعيد بن المسيب، ومالك بن أنس[1]؟! يعني أنَّه رأي سيد التابعين، وإمام دار الهجرة، فهذا من التسامح الفكري الَّذي جاء به الإسلام، أنَّه أعطى لكل أحد حرية التفكير والبحث.

وإن اختلفت نتائج البحوث فعليها أنْ تتعايش، ولهذا تعايشت المذاهب الإسلاميَّة، ولم يُعرف التعصب إلا في القرون المتأخرة، سواء عند المذاهب الفقهية أو الكلامية، وبات هناك من يسأل: هل يجوز لمن كان شافعيًّا أنْ يصلِّي وراء حنفيٍّ، أو العكس؟ أو أنْ يتزوَّج أحدهما من

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٣٩/١١)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

الآخر؟ وهناك من قال: إذا قال إنسان ما: أنا مؤمن إنْ شاء الله. فقد صار بقوله شاكًّا في إيمانه، وعليه فلا يجوز تزويجه من مسلمة. فأخذوا بلازم المذهب، واعتبروا لازم المذهب مذهبًا، مع أنَّ المحققين قالوا: إنَّ لازم المذهب ليس بمذهب. هذا التعصب لم يعرف إلا في العصور المتأخرة، عصور التراجع والتخلف.

نموذج في التعايش:

أمَّا في العصور الأولى فلم يكن فيها هذا التعصب، بل صلَّى بعضهم وراء بعض، ووسِع بعضهم بعضًا، سواء كانوا من أهل السُّنَّة أو من غيرهم، فنحن نجد رجلًا كالزمخشري، إمام من كبار الأئمة، صاحب «أساس البلاغة» في اللغة، و«المُفصَّل في صنعة الإعراب» في النحو، و«مشتبه أسامي الرواة» في الحديث، و«الكشاف عن حقائق التنزيل» في التفسير، وهو معتزلي، يعرف ذلك من قرأ تفسيره، فأحيانًا يكون صريحًا في اعتزاله، وأحيانًا يكون غير صريح، حتَّى قال البعض: إنَّ اعتزاله يُستخرَج بالمناقيش.

ومع ذلك لا تجد عالمًا من أهل السُّنَّة إلا واستفاد من كتاب الزمخشري، اقرأ تفسير الرازي، أو تفسير البيضاوي، أو تفسير النيسابوري، أو تفسير أبي السعود، أو تفسير الألوسي، كلُّ هذه التفاسير نهلت من الزمخشري، لأنَّه كان إمامًا، لا شكَّ في هذا، ولأهميَّة تفسيره كتب ابن حجر كتابًا سمَّاه «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف»، وهناك من علَّق عليه، كابن المنير في كتابه «الانتصاف من الكشاف»، المهم أنَّ هؤلاء لم يمنعهم الاختلاف مع الزمخشري أنْ يستفيدوا من علمه، لم يحكموا عليه بالإعدام.

QaradawiBooks.com

جمْعُ حق الطوائف:

ولما جاء الإمام ابن تيمية، وتلميذه المُحَقِّق ابن القيم، اتخذا منهجًا، عبَّر عنه ابن القيم في كتابه «شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل»، وقال: عند كل طائفة صواب وخطأ، وحق وباطل، ومنهجنا أن نأخذ كل حق عند أي طائفة، ونجمع حقَّ الطوائف كلها، بعضه إلى بعض، وندع الباطل[1].

لم يعتبر أنَّ كل ما عند المعتزلة باطل، لا، بل أحيانًا يكون الحقُّ معهم من وجه معين، نوافقهم فيه، ونأخذه عنهم، فهم مثلًا يحملون على الجبرية في بعض المسائل، مثل نفي مسؤولية الإنسان عن عمله، فالمعتزلة في حملتهم عليهم في هذه الناحية محقُّون، ولذلك يوافقهم عليها، ويأخذ بقولهم فيها، وكذلك الحال مع الأشاعرة، وغيرهم، فيجمع حق الطوائف بعضه إلى بعض ليتكون من مجموعه القول الصواب، أو الأقرب إلى الصواب، هذه هي الحريَّة العلميَّة الفكريَّة الَّتي أقرها الإسلام.

حرية الآراء لا مصادرتها:

والمنهج السليم أيُّها الإخوة: أن نَدَع الحرية للعلم حتَّى ينمو، وللفكر حتَّى يمتد، ولا نحجر على الناس في اجتهاداتهم، ولا مانع أنْ توجد بعض الآراء الخاطئة، دع الآراء تتلاقح، وسيغلب الحق الباطل، والصواب الخطأ.

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل صـ٥١، ٥٢، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

إحياء الآراء:

على أنَّ مسألة الصواب والخطأ كثيرًا ما تكون نسبية، وكم من آراء ظهرت في وقت من الأوقات اعتبرها الناس خطأ، وشذوذًا، وخروجًا عن الإجماع، وأُصيب أصحابها من أجلها بما أصيبوا من بلاء، ثم جاءت عليها أوقات فحيت بعد موات، أو عرفت واشتهرت بعد نكران وهجران.

ولعلَّ أبرز مثال على ذلك هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وما أصابه بسبب آرائه، وخصوصًا ما يتعلق بالطلاق وشؤون الأسرة، فقد دخل السجن أكثر من مرة، وامتحن، ومات في السجن.

وقد يظن بعض الناس الذين لم يقرؤوا تاريخه أنَّه دخل السجن بسبب منازعة الحكام السلطة، لا، فقد كان محبوبًا لدى الحكام، ولكن الَّذي قلبهم عليه للأسف هم العلماء الذين خالفهم وخالفوه، وللعلماء جماهير تتبعهم، فإرضاءً للعوام من الناس ابتلي الرجل ودخل السجن.

ظلت آراء ابن تيمية في مجال الأسرة قرونًا خارقة للإجماع، وشذوذًا عنه، ولم يكن يُعمل بها، حتَّى في المملكة السعودية إلى عهد قريب، حتَّى أصبحت هذه الآراء هي عمدة لجان الفتوى، ولجان القضاء، والمفتين بصفة عامة.

هذه الاجتهادات الَّتي ذهب إليها ابن تيمية هي الَّتي أنقذت الأسرة الإسلاميَّة من الانهيار، مثل أنَّ الطلاق الثلاث يقع طلقة واحدة، فقاوم بذلك اتخاذ الناس للمحلل، ذلك التيس المستعار الَّذي أصاب الأُمَّة، وأنَّ طلاق الغضبان لا يقع، وأنَّ الطلاق الَّذي أريد به اليمين للحمل على فعل شيء، أو المنع من فعل شيء، لا يعتبر طلاقًا، بل يمينًا، إلى آخره.

لهذا نقول: قد يبيت الرأي مهجورًا، ثم يأتي عليه زمن فيصبح مشهورًا.

QaradawiBooks.com

الحجر على الآراء:

ومن هنا يجب أنْ تبقى الآراء حيَّةً، ولا يُحجر عليها، ولا يُحكم عليها بالموت، وعلامة المجتمع الحيّ أنْ يدع الآراء تتصارع، ليُقوِّم بعضها بعضًا، وأنْ يدع الحرية لأهل الفكر والتجديد، فأحيانًا يموت بعض العلماء وآراؤهم حبيسة صدورهم، فتموت معهم.

من ذلك أنَّه كان للشيخ محمد أبو زهرة رأي في موضوع، وأنا لا أوافقه على هذا الرأي، لكن المهم العبرة منه، فقد سمعته في ندوة فقهية خاصة بالعلماء يقول: آن لي أنْ أبوح برأيٍ كتمته في صدري عشرين سنة. وذكر رأيه، بعد أنْ ظلَّ حبيس صدره عشرين سنة، وهو من المحافظين، والمدافعين عن الفقه وعن الشريعة، وله رصيد من العلم والعمل والجهاد ما يجعله يبوح بما عنده، ومع ذلك خاف هياج الرأي العام، الَّذي يجعل بعض الناس تكفُّ عن البوح بما عندها.

ولذلك لم يكن الخطر على الاجتهاد من سلاطين الجور فقط، تلك الَّتي تريد أنْ يسير الناس في فلكها، ويسارع البعض في أهوائها، فكما أنَّ هناك من العلماء من يتَّبع أهواء السلاطين، هناك أيضًا من العلماء من يتَّبع أهواء الجماهير، يبحث أحدهم عما يعجب الناس ليقوله، فإذا راقت وراجت سوق التشديد يُشدِّد، وإذا راقت وراجت سوق التَّسهيل يُسهِّل، وأحيانًا يدخل في سوق المزايدة، فهذا لا يتَّبع الحق، إنَّما يتَّبع الهوى.

وأنا أرى أنَّ هذا أشد خطرًا ممن يتَّبعون أهواء السلاطين، لأنَّ الناس يتحسَّسون ممَّن يتبعون هوى السلطان، وسرعان ما يكشفونهم، ويفضحون سترهم، ولكن الذين يتَّبعون هوى العوام والجماهير قلَّما

QaradawiBooks.com

يُكشفون، بل قد يُظَنُّ بهم أنَّهم أبطال مستمسكين محافظين، لا يسيرون مع الذين يجتهدون ويدعون الإصلاح والتجديد، ولذلك فمن المهم جدًّا أن نفتح الباب للأفكار الحرة الجديدة، ولو كانت خاطئة.

الخوف من الاجتهاد:

بعض الناس شديد الخوف من الاجتهاد، كأنَّ الإسلام جدار هشٌّ ضعيفٌ ينهار مع أول صدام، لا؛ فالإسلام قوي راسخ كالطود الأشم، لا تزعزعه العواصف، ولا تنال منه الرياح، الإسلام قويٌّ ثابت، لا تضعفه الآراء مهما شذَّت أو شردت، بل إنَّها لا تزيده إلا قوة، فلندع الآراء والأقوال، أصابت أم أخطأت، فلا يصح إلا الصحيح، ولا يحق إلا الحق، ولا بدَّ أنْ يهيِّئ الله تعالى من يبيِّن السقيم، ويكشف زيف الباطل، ومن يؤيِّد الحق بالحجَّة والبرهان.

حاجتنا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد:

هذه ـ أيُّها الإخوة ـ بعض اللمحات عن موضوع الحُريَّة العلميَّة والفكريَّة الَّتي ينبغي أن تكون في المجتمع الإسلامي، ونحن أحوج ما نكون إليها في عصرنا، نحن في حاجة إلى أن نخرج من أسر الجمود والتقليد، لنجتهد لعصرنا.

والاجتهاد المطلوب ليس في مجال الفقه فقط، وإنَّما في كل المجالات، نريد مبدعين، لا نريد العقليَّة الَّتي تعيش في إطار معيَّن لا تخرج منه، نريد أن نتحرَّر من أسر الغرب، في العلوم الإنسانيَّة، في علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، نريد المدرسة الإسلاميَّة في العلوم الإنسانية المختلفة.

QaradawiBooks.com

قد يقول بعض الناس: وهل في العلوم إسلامي وغير إسلامي؟

صحيح أنَّ العلوم المادية كعلم الطب، والهندسة، الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، ليس فيها هذا التمييز، لكن العلوم الإنسانيَّة فيها مدارس، حتَّى الغربيُّون أنفسهم يختلفون، فهناك المدرسة الماركسيَّة في علوم النفس وغيرها تختلف عن المدرسة الليبرالية، وحتى في المدرسة الليبرالية نفسها تختلف فيما بينها، فتجد مثلًا علم الاجتماع الفرنسي مختلفًا عن علم الاجتماع الأمريكي، غلبت البراجماتية الأمريكية عليه.

نحن نريد المفكرين العقلاء المبدعين، نريد اجتهادات متنوعة في كل ناحية من النواحي، وهذا الَّذي نريده لا يحدث إلا حينما تتاح الحرية للناس لتفكِّر وتختلف وتخطئ، إذا ضاق الناس بالخطأ، ولم يفسحوا له صدورهم، وحطَّموا كل مخطئ، وصوَّبوا إليه السهام ـ كما فعلوا مع الشيخ الغزالي ـ فلن يكون في الأمَّة مجتهد، ولا مجدد، ولا مبدع.

إنَّما يحدث هذا إذا اتَّسعت صدورنا للخطأ، فلا بدَّ أنْ تُتاح الحريَّة للناس لتفكر وتجتهد وتبدع في شتى النواحي، ليس في العلوم الشرعيَّة فقط، بل في العلوم الإنسانيَّة كذلك، وفي الإدارة، والتَّخطيط، والسياسة، وغيرها، فليس مقبولًا أنْ يشهر بعض الناس سيوفهم على كلِّ من يقول رأيًا مخالفًا لهم.

الاجتهاد في أصول الفقه:

وكم سئلت في أكثر من مؤتمر، وأكثر من ملتقى عن تجديد أصول الفقه، وللدكتور حسن الترابي ـ حفظه الله، وأكرمه، ونفع به، وقد نجاه الله من كيد الكائدين ـ رسالة حول تجديد في أصول الفقه، لم أرها، لكنّي سألته عنها، وأخبرني عن مضمونها، وعرفت أنَّه يوافقني فيما أقول.

QaradawiBooks.com

وحينما ظهرت مجلة «المسلم المعاصر»، تحدثتْ في أول عدد لها عن الاجتهاد، وقالت: نحن لا ندعو إلى الاجتهاد في الفقه فقط، بل نجتهد في أصول الفقه.

وعلَّق على ذلك الكاتب الإسلامي الاقتصادي المعروف، الدكتور محمود أبو السعود، وقال: من المعقول أن نجتهد في الفقه، لكن كيف نجتهد في أصول الفقه، والمفروض أنَّها أصول قطعيَّة، وهي الَّتي نحتكم إليها[١]؟

وفي العدد التالي كتبت مُعقِّبًا على هذا[٢]، وذكرت له أنَّ بعض أصول الفقه قطعيٌّ، وبعضها ظنِّيٌّ، بل أكثرها ظنِّيٌّ. وقد حاول الشاطبيُّ أنْ يُخرِج من أصول الفقه ما ليس بظنيٍّ، وقال: إنَّ ما ليس بظنيٍّ يعتبر غريبًا عن أصول الفقه، وينبغي أنْ يُبعد عنه[٣].

ولكن هذا الأمر صعب، ولذلك ظلت المذاهب مختلفة، فهناك أدلة مختلف فيها، مثل: شرع من قبلنا، والاستصحاب، وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة، والاستحسان، إلى آخره، بل هناك خلاف في أشياء تتعلق بالقياس بين الظاهرية وغيرهم، وخلاف في إمكان الإجماع، وفي وقوعه إذا أمكن، وفي العلم به إذا وقع، وفي حُجِّيَّته إذا عُلم، وفي الأصلين الَّذي لا يختلف عليهما مسلم ـ القرآن والسُّنَّة ـ خلافٌ حول دلالة الأمر والنَّهي، والمنطوق والمفهوم، والإشارة والعبارة، وغيره.

---

(١) راجع مقال: منهاج هذه المجلة للأستاذ محمود أبو السعود صـ١٢٣، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي.

(٢) مقال نظرات في العدد الأول صـ١٣٣، مجلة المسلم المعاصر، العددان الأول والثاني، ربيع الثاني ١٣٩٥هـ ـ إبريل (نيسان) ١٩٧٥م.

(٣) انظر: الموافقات (٢٩/١)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

ولذلك ألَّف الإمام الشوكاني كتابًا سمَّاه «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقِّ من علم الأصول»، حاول فيه أنْ يُمحِّص المسائل المختلف فيها، ليصل إلى رأي. لكن هل أنهى المشكلة بذلك؟ لا، بل زاد رأيًا من الآراء، وسيظل الناس مختلفين أبدًا، وهذا من رحمة الله ﷻ.

الاختلاف ثراء:

وأنا أرحب جدًّا ـ أيُّها الإخوة ـ بأنْ أرى في مسألة من المسائل أكثر من الرأي، فمثلًا: في مسألة دلالة الأمر في نصوص القرآن والسُّنَّة سبعة آراء أو أكثر في علم أصول الفقه، فإذا قال النبي ﷺ: «**أحفوا الشواربَ، وأعفوا اللِّحَى**»[1]. علام يدلُّ الأمر في هذا الحديث؟

هناك رأي يقول: إنَّ الأمر يدلُّ على الوجوب. وهناك رأي يقول: إنَّ الأمر يدلُّ على الاستحباب. وهناك رأي يقول: إنَّ الأمر لا يدلُّ على الوجوب أو الاستحباب إلا بقرينة. وهناك رأي يقول: إنَّ الأمر يدلُّ على القدر المشترك بين الوجوب والاستحباب. وهناك رأي يقول: إنَّ الأمر في القرآن يدلُّ على الوجوب، وفي السُّنَّة يدل على الاستحباب، إلخ[2].

وهكذا، مثل هذه السَّعة في الاختلاف تعطي مجالًا للتسامح، فبدلًا من أُفَسِّق من يحلق لحيته، أقول: لقد أخذ بما يدل على أنَّ الأمر في السنة يفيد الاستحباب. ومن راجع الكتب وجد الأدلة المتضافرة على رجحان هذا الرأي.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٩٣)، ومسلم في الطهارة (٢٥٩)، عن ابن عمر.

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/٣٦٥ ـ ٣٧٠)، تحقيق د. عمر سليمان الأشقر، ط٢، نشر وزارة الأوقاف، الكويت.

QaradawiBooks.com

أنصاف العلماء:

أحيانًا ـ أيُّها الإخوة ـ يسارع بعض الناس بالإنكار ـ بل بالاتِّهام ـ دون أنْ يكون عندهم من العلم ما يُؤَهِّلهم لمثل هذا، المشكلة ليست مشكلة العلماء والجُهلاء، فالعالم لا يُخشى منه؛ لأنَّه عالم، ثقة، حُجَّة، راسخ، والجاهل لا يُخشى منه؛ لأنَّه لا يدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا يحسنه.

إنَّما المشكلة ـ كل المشكلة ـ في نصف العالِم، الَّذي عرف قشورًا من العلم، وهو الَّذي قيل عنه: إنَّما أفسد العالَم نصف متكلم، ونصف نحويّ، ونصف متطبِّب، ونصف متفقِّه. المتكلِّم هو المشتغل بعلم الكلام أو علم العقائد، فنصف المتكلِّم أفسد الأديان والعقائد، ونصف النَّحويّ أفسد اللسان، ونصف المتطبِّب أفسد الأبدان، ونصف المتفقه أفسد البلدان.

هذه هي مشكلة النصف، ولهذا لا بدَّ أنْ يعرف كل منا قدر نفسه، وأنْ يحاول أنْ يرسخ في علمه، وما لا يعرفه يسأل أهله فيه، يسأل أهل التَّخصص، أهل الذكر، المشكلة أنَّ الناس يرجعون في كل علم إلى أهل الاختصاص، إلا علم الدين، فكل واحد يدَّعي أنَّه عالم به، والله تعالى يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]،

أكتفي ـ أيُّها الإخوة ـ بهذا القدر من اللمحات عن هذا الجانب المهم من الحُريَّات في الإسلام، وهو جانب الحُريَّة العلميَّة والفكريَّة، وما يقتضيه من التعدديَّة العلميَّة والفكريَّة، هذا الجانب الَّذي نحتاج إليه

QaradawiBooks.com

أشـــد الحاجة في عصرنا هذا، في مجال العمل الإســـلامي، وفي مجال الصحوة الإسلاميَّة.

أســـأل الله تعالى أنْ يفقهنا في ديننا، وأنْ يبصرنـــا بالحق، وأنْ يرينا الحق حقًّا، ويرزقنا اتِّباعـــه، وأنْ يرينا الباطل باطلًا، ويرزقنا اجتنابه، إنَّه سميع قريب مجيب.

وصلَّى الله على ســـيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وســـلَّمَ، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

تميُّز الحريات في الإسلام:

السؤال الأول: هل تختلف النظرة الإسلاميَّة لحريَّة الفكر عن النظرة الغربيَّة لها، وخصوصًا حرية التديُّن والارتداد؟

الجواب: أنا أقول: إنَّ الحريَّة الَّتي دَعا إليها الإسلام، وأقرَّتها مبادئه، وقيمه، وأحكامه، أعمق، وأوسع، وأعظم من الحرية الَّتي يزعمها الغرب؛ لأنَّ الحرية في الغرب ـ كما قلت لكم ـ مجرد حقٍّ مباح للإنسان، له أنْ يحرص عليه، وله أنْ يدعه، لكن الإسلام يغالي به فيجعله فريضة، فمثلًا حريَّة الإنسان في أنْ ينقد ما يراه خطأ، هي مجرد حق في الغرب إذا شاء فعله، وإذا شاء تركه، بينما يعتبر الإسلام هذا الحق فريضة في الدين، سمَّاها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]. هذه الفريضة الَّتي لعن الله بني إسرائيل لأنَّهم ضيَّعوها، ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، ويعتبره من واجب النصيحة، «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1]. ويعتبره من التَّواصي بالحق، الَّذي لا نجاة من خسران الدنيا والآخرة إلا به، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢، ٣].

لهذا كانت الحريَّة الفكريَّة والدينيَّة أعظم ممَّا هي عند الغرب، وليس معنى هذا ترك الناس يفسدوا المجتمع، لا، هناك حدود معينة بين الحرية والإفساد، لكن لنفترض أنَّ أحدًا توصل إلى رأي معين، لا ينبغي

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم بن أوس الداري.

QaradawiBooks.com

أن نقيم له محاكم تفتيش، فالغربيون أقاموا محاكم تفتيش من أجل أمور كان المسلمون يبحثون فيها من قرون، فمثلًا كروية الأرض، حين تقرأ كتب التفسير، مثل «تفسير الرازي»، أو كتب علم الكلام، مثل «شرح المواقف» للإيجي، أو «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، تجد ابن حزم مثلًا، وهو يدلل على كروية الأرض بأدلة غاية في المنطقية والقوة، ثم بعد ذلك بقرون قتل الغربيون من يقول بكرويتها.

إنَّني من أنصار التوسيع في هذا اللون من الحرية، ولا معنى لخوف بعض الإخوة على الإسلام من ذلك؛ فالإسلام قويٌّ راسخٌ بحمد الله، لكن متى نقف فعلًا ضد ذلك؟ حين نجد شخصًا تُموِّله جهة أجنبيَّة كي يفسد المجتمع، أو شخصًا يشهر سلاحه ضد الدولة الإسلاميَّة.

أمَّا الإخوة الذين تحدثوا في الصباح عن أن عشرين في المائة (٢٠٪) غير موافقين على إقامة دولة إسلاميَّة. لا مشكلة في ذلك، فهل هم يا ترى غير موافقين لأنَّهم ضد الإسلام، أم لأنَّهم ضد الفئة الَّتي دعت إلى ذلك؟ يمكن أنْ يقولوا: لسنا ضد الإسلام، لكن ضد جماعة معيَّنة، أو أشخاص معينين، ثم ماذا لو كانت هناك أقليَّة فعليَّة تعارض ذلك؛ هل تحكم عليها بالإعدام؟ إذنْ تكون قد أعطيت ذريعة للصرب أنْ يبيدوا البوسنة، ويقولون: نحن نريد صربيا الكبرى، ولا نريد أقلية مخالفة لنا، نحن أرثوذكس، والإسلام والمسلمون دخلاء علينا وعلى أوربا كلها، ويجب أنْ يغادروا.

لهذا نقول: الأقلية المخالفة تبقى، وحتى لو كانوا في الأصل مسلمين، ثم ارتدوا في أنفسهم، ولم يخرجوا على المجتمع، ويفتنوا الناس في عقائدهم، ويتطاولوا بالسخرية والاستهزاء عليها، فليس لنا سبيل عليهم، في ضوء ذلك تتضح نظرة الإسلام لقضية الحرية الفكريَّة، واختلافها عن نظرة الغرب إليها.

QaradawiBooks.com

استعمال المصطلحات الغربية:

السؤال الثاني: إذا الديمقراطية في الغرب مثلًا هي الشورى والحريات في الإسلام؛ فهل يجوز لنا أن نستخدم مصطلحات الآخرين مع أنَّ عندنا ما يغني عنها؟

الجواب: ليس هناك مانع شرعي من أن تستخدم مصطلحات من عند غيرك إذا وجدت في ذلك مصلحة، وقد أخذ المسلمون من غيرهم مصطلحات في أمور شتى، واستحدثوا مصطلحات لم تكن في الزمن الأول، ولا في العصر الأول، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

ومن قال: إنَّنا حين نأخذ بالحقوق أو الحريات نكون مستوردين؟ وكتب لويس عوض، وكتب آخرون يقولون: ليس في الإسلام حرية، ولم يعرف المسلمون الحرية إلا من الغرب! وهذا ليس صحيحًا، أنا سمعت اليوم من الشيخ الغزالي يقول: إنَّ عمر بن الخطاب قال كلمة أصبحت اليوم تُدون في مقدمة الدساتير، وهي: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[1]؟

وأقول أيُّها الإخوة الأحبة: قد يوجد مضمون الشيء، ولا يوجد لفظ الشيء، بعض الناس مثلًا قال لي: كثيرون ما تذكرون كلمة الشريعة، وتنادون بتطبيق الشريعة، مع أنَّ القرآن لم يذكر كلمة الشريعة إلا في آية في القرآن المكي، وهي لا تدل على الأحكام: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]. يريد بهذا أنْ يُقلِّل من قيمة الشريعة.

---

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١).

QaradawiBooks.com

قلت له: لو اتبعنا مذهبك هذا، فأستطيع أنْ أقول لك: إنَّ القرآن أيضًا لم تأت فيها كلمة العقيدة، جاءت كلمة الشريعة مرة، أمَّا كلمة العقيدة فلم تأت في القرآن أبدًا، فهل معنى هذا أنَّ القرآن لم يهتم بالعقيدة وأنَّها كلمة مستحدَثة؟ لا، فنحن ننظر إلى المضمون، والقرآن مليء بالعقيدة وقضايا العقيدة.

ومن هنا ننظر إلى معنى الحرية، ماذا تعني؟ تعني منع القهر، منع الإكراه، فقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. هو ما نعبر عنه بالحرية الدينية، فما دمت غير مكره فأنت حر، فنحن لا ينبغي لنا أن نعطي لغيرنا حجة ليقولوا: ليس في الإسلام حريَّة، وأنتم أخذتموها من غيركم. لا، ففي الإسلام حرية كما قلت، بل قاتل من أجل حرية الأديان، وجاء في القرآن: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

الاجتهاد والتقليد:

السؤال الثالث: هل يجب على المسلم أنْ يلتزم بمذهب معين، أم له أنْ يأخذ من كل المذاهب أو يدع كلَّ المذاهب؟

الجواب: في هذه القضية طرفان وواسطة: طرف إفراط، وطرف تفريط، ومذهب وسط بينهما، فهناك من يوجب التقليد على كلِّ أحد، وهذا هو رأي المدرسة التقليدية، وهو ما درسناه في الأزهر، كنا ندرس في الأزهر منظومة في علم التوحيد تُسمَّى «الجوهرة»، وكان من أبياتها:

QaradawiBooks.com

وَمَالِـــكٌ وَسَـــائِرُ الأئِـمَّـــةْ كَـذَا أَبُـو الْقَاسِـمْ[١] هُـدَاةُ الْأُمَّـةْ
فَوَاجِـــبٌ تَقْلِيـــدُ حَبْـــرٍ مِنْهُـمُو كَـذَا حكا الْقَـوْمُ بِلَفْـظٍ يُفْهَـمُ[٢]

فخصَّ مالكًا بالذكر لأنَّه كان مالكيًّا، وقال: لا بدَّ أنْ يقلد واحد من الأئمة الأربعة. وليس هذا فقط، بل قال: كذا أبو القاسم. يعني أبا القاسم الجنيد، أي لا بدَّ أنْ يكون لكلِّ واحد مذهب وطريقة، ومثل هذا موجود عند إخواننا في بلاد المغرب العربي، معروف عندهم منظومة ابن عاشر، وفيها يقول:

فِي عَقْدِ الأَشْـعَرِي وفِقْـهِ مَالِكِ وفي طريقـة الجُنَيْدِ السَّـالِكِ[٣]

فهذه مدرسـة توجب التقليد على كلِّ أحد، حتَّى على العلماء، بناء على أنَّ باب الاجتهاد سُـدَّ، وعلى جميع النـاس أنْ يُقلدوا، ولا بدَّ أنْ يكون التقليد لواحد من الأربعة، ولو كان من شيوخ الأربعة.

وهناك رأي مقابل هذا يُحرِّم التقليد على كلِّ أحد، ويوجب الاجتهاد علـى كلِّ أحد، وأنَّ على كلِّ أحـد أنْ يبحث بالدليل، هـذا رأي آخر، وليس كلُّ أحد ميسَّـر له أنْ يجتهد، ولا أنْ يعرف في الأدلَّة، ولا يعرف المطلق مـن المقيَّد، ولا الخاص مـن العام، ولا يعـرف معنى ضعف الحديث، ولا سبب الضعف، ولا يعرف معنى شذوذ الحديث وعلته، أمر صعب جدًّا، ثم ماذا لو كان المسـلم غير عربي؟ معظم المسـلمين في العالم غير العرب، فما حكم هؤلاء؟

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الزاهد الصوفي سيد الطائفة.
(٢) انظر: تحفة المريد شـرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، وعلى هامشه التحرير الحميد صـ٤٠٢، نشر مكتبة الإرشاد، إستانبول، ط١، ٢٠٠٧م.
(٣) متن ابن عاشر صـ٢، نشر مكتبة القاهرة.

QaradawiBooks.com

وهناك واسطة بين الطرفين، وهي أنَّ التقليد جائز لبعض الناس، وغير جائز ولا مقبول من بعض الناس، وأعدل من عبر عن هذا المذهب الوسط هو الإمام حسن البنا في أصوله العشرين، لأنَّه قال في هذه القضية: لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعيَّة أنْ يتَّبع إمامًا من أئمَّة الدين، ويحسُن به ـ مع هذا الاتباع ـ أنْ يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأنْ يتقبَّل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاحُ مَنْ أرشده وكفايتُه، وأنْ يستكمل نقصه العلمي ـ إن كان من أهل العلم ـ حتَّى يبلغ درجة النظر[1].

تأمَّل قوله: لكلِّ مسلم. لم يقل: على كل مسلم. أي لم يجعل التقليد واجبًا ولا حرامًا، فجعله جائزًا لكلِّ مسلم بهذا القيد: لم يبلغ درجة النظر في أدلَّة الأحكام الفرعيَّة. أي: يستطيع أنْ ينظر في الأدلة، ويناقش ويرجح، ويقول: هذا أصوب، وهذا أقوى، وهذا أضعف، وهذا أقرب إلى الصواب، وهذا أصح من هذا. هذا عن المسلم العادي، وتعبير الإمام البنا: أنْ يتَّبع إمامًا من أئمة الدين. وكلمة الاتباع أولى من كلمة التقليد، وهي أقرب إلى المفردات الإسلاميَّة من التقليد، ومن دقته هنا أنَّه لم يقل: من الأئمة الأربعة. بل قال: يتبع إمامًا من أئمَّة الدين. فيمكن له في قضية من القضايا أنْ يتبع مثلًا المذهب الظاهري، أو المذهب الزيدي، أو المذهب الإباضي، أو مذهب أحد الصحابة، أو التابعين.

وقال: ويحسُن به ـ مع هذا الاتباع ـ أنْ يجتهد ما استطاع في تعرُّف أدلته. وخصوصًا في موضع الاشتباه، ومواضع الخلاف، فلو قيل لأحد

(١) الأصل السابع من الأصول العشرين. انظر: رسالة التعاليم ضمن مجموعة الرسائل صـ٣٥٧، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

المقلدين: لمس المرأة لا ينقض الوضوء. فينبغي أنْ يعرف أدلة هذا الرأي، لا أنْ يجمد على قول من يقلده، فبعضهم قال: لا ينقض إطلاقًا. وبعضهم قال: لا ينقض إلَّا مع الشهوة قصدًا أو وجودًا، فليحاول أنْ يعرف الأدلة، ومنها ما قلناه عن ابن عباس: إنَّ اللمس والمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع[١]. وليس مجرد لمس البشرة للبشرة، وأنَّ السيدة عائشة تفقدت النبي في ليلة حتَّى لمست باطن قدمه وهو ساجد يصلي، وسمعته يقول في سجوده: كذا[٢]. صحيح الآخرون يؤولوا، ويقولون: كان اللمس بحائل. ولكنَّه خروج عن الظاهر، وهكذا.

ويقول: ويحسُن به ـ مع هذا الاتباع ـ أنْ يجتهد ما استطاع في تعرف أدلَّته، وأنْ يتقبَّل كلَّ إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاحُ مَنْ أرشده وكفايتُه. لنفرض أنِّي حنفي، ودرست في الأزهر أنَّ الإنسان لا يرفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام، لا في الركوع ولا في القيام من الركوع، لأنَّ هذا هو ما ورد عن ابن مسعود وكذا، فإذا جاءني أحدهم وقال: صحيح أنَّ ابن مسعود روى كذا، لكن هناك أكثر من عشرين صحابي رووا عن الرسول ﷺ أنَّه كان يرفع يديه عند كل خفض ورفع، أو عند الركوع، وعند القيام منه. فالصواب هنا أنْ أرجِّح عشرين على واحد، فطالما أرشدني إرشادًا مصحوبًا بالدليل، وأنا مطمئن إلى أنَّ هذا الرجل لا يكذب عليَّ، وأنَّه كُفؤٌ عالم موثوق فما يتحدث فيه، هنا يحسن بي أنْ أتقبل الإرشاد المصحوب بالدليل، لا أنْ أتعصب وأرفض، وأقول: لا، أبو حنيفة هو الإمام الأعظم، ومن عداه لا يساوي شيئًا. لا، أبو حنيفة

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٩٠/٨)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نفسه رفض التعصُّب له، وقال: هذا رأْيُنا فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه[١]. وقال مالك، وهو يشير إلى قبر النبي ﷺ: كلُّ أحد يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلا صاحب هـذا القبر[٢]. وقال الشـافعي: إذا صـحَّ الحديث فهو مذهبـي[٣]. وقـال أحمـد: لا تقلدنـي ولا تقلـد مالـكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا[٤]. إلى آخره، لم يطلب أحد منهم أنْ يقلده أحد، من أجل هذا نقول: إذا صح عنده إرشاد مصحوب بالدليل يتقبله، طالما كان من أرشده كفؤًا صالحًا.

ويقول: وأنْ يسـتكمل نقصه العلمي ـ إن كان من أهل العلم ـ حتَّى يبلغ درجة النظر. مثل واحد درس القرآن والحديث وأصول الفقه وتمكَّن من اللغة وكذا، لماذا يظـل مثل هذا يقول: قال أبو شـجاع: كذا. وقال الشربيني: كذا. وقال فلان وفلان؟ لماذا لا تستكمل نقصك العلمي حتَّى تبلغ درجة النظر وتوازن، عليه أنْ يعـرف الكتب الَّتي تعنى بالأدلة من آيات الأحكام إلى أحاديث الأحكام، وهكذا يحاول أنْ يسـتكمل نقصه حتَّى يبلغ درجة النظر والترجيح والموازنة، فيصل على الأقل إلى درجة الاجتهاد الجزئي.

هناك اجتهاد مطلق، وهناك اجتهاد جزئي في بعض المسـائل، هناك اجتهاد إنشائي إبداعي في المسـائل الجديدة الَّتي لم يقل فيها أحد من

(١) إعلام الموقعين (٦٠/١)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٢/١٨)، تحقيق عبد الله عبد المحسـن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) المجموع شرح المهذب (٩٢/١). وقد خصَّها السبكي بالشرح في رسالة سماها: معنى قول الإمام المطلبي: إذا صح الحديث فهو مذهبي صـ٨٥ ـ ٩٠، نشر مؤسسة قرطبة.

(٤) إعلام الموقعين (١٣٩/٢).

QaradawiBooks.com

القدماء رأيًا، وهناك اجتهاد انتقائي ترجيحي، تكون هناك عدَّة آراء فيقول: هذا الرأي أصح أو أرجح لكذا وكذا. ولكن بعض الناس لا يرضون حتَّى بهذا الاجتهاد الترجيحي.

كنت ذات مرة في دولة الإمارات وألقيت محاضرة، وكعادة بعض المحاضرات تأتي بعدها أسئلة كما تسألوني الآن، فسألوني حينها فقلت: رأيي كذا وكذا. فأرسل لي أحدهم ورقة يقول فيها: أنت تقول: رأيي كذا، وأرجح كذا. فهل أنت أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو ابن حنبل؟ ينكر عليَّ أنْ أرجِّح رأيًا آخر.

قلت له: أنا حفظت القرآن وأنا في التاسعة من عمري، ودخلت الأزهر ودرست فيه ثماني عشرة سنة، ومنذ أعطاني الله عقلًا وصرت أعي وأنا أقرأ، ولا زلت أقرأ وأطلب العلم إلى اليوم، ألا يعطيني كلُّ هذا حقًّا في أنْ أقول: هذا الرأي أرجح من هذا الرأي؟ وقلت: إذا كانت هذه المعاهد والكليَّات الأزهريَّة والمدارس والجامعات الدينية لا تمكن الإنسان من أنْ يرى أنَّ هذا الرأي أصوب من غيره، فلنغلق هذه الأماكن لأنَّه لا معنى لها إذنْ. فبعض الناس يستكثر عليك مجرد أنْ توازن وتُرجِّح.

ثم بالنسبة لقضية التمذهب، أنا درست الفقه في الأزهر على المذهب الحنفي، فكيف صرت حنفيًّا؟ قريتنا شافعية فكان في ذهني أنْ أختار مذهب الشافعي لكي أدرس أهل البلد المذهب السائد فيها حين كنا نملأ ورقة الانتساب، وكان أحد علماء القرية الأفاضل هو الَّذي يملأ هذه الورقة، فلما وصل إلى خانة المذهب كدت أقول له: اكتب مذهبي شافعي. ولكنَّه بادرني قائلًا: ما رأيك يا شيخ يوسف في أنْ تكون حنفيًّا مثلي؟ قلت له: لا بأس أنْ تجعلني حنفيًّا مثلك. فظللت طوال سنوات

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الدراسة أدرس المذهب الحنفي، فالأمر جاء صدفة لم أتعمده، والآن حين يقولون لي: ما مذهبك؟ أقول لهم: (حنفشعي)! لم أعد مقيَّدًا بمذهب معين.

ومن هنا أقول بالنسبة لقضية المذاهب: لا ينبغي أن نكون مع دعاة التقليد الصارم، والمتعصبين للمذاهب، ولا أن نكون مع دعاة اللامذهبية الذين ينكرون على الأئمَّة، ويطعنون أحيانًا في المذاهب، يقولون أقوالًا لا تُقبل، لا، نحن نحترم المذهب، ونرى أنَّها ثروة فقهيَّة عظيمة ليست عند أمَّة من الأمم، ولا بدَّ أن نستفيد منها، ولا يمكن إلا هذا.

حين جئت أبحث في «فقه الزكاة» لو لم أرجع إلى المذاهب الفقهية كلها، المذاهب المتبوعة، والمذاهب المنقرضة، ومذاهب الصحابة، ومذاهب التابعين، والمذاهب الأخرى، لأنَّ المجتهدين ليسوا أربعة، ولا ثمانية، ولا عشرة، ولا عشرين، بل أكثر من ذلك بكثير جدًّا، فالأمَّة في القرون الأولى كان العلماء فيها في كل ناحية من نواحيها، ممَّا جعل بعضهم يقول: إنَّ الإجماع غير ممكن. لتعذُّر جمع علماء الأمَّة المتفرقين في أنحائها، فلو لم أرجع إلى هذه الثروة الطائلة الهائلة ما وصلت إلى ما وصلت إليه، فلا ينبغي الحملة على المذاهب.

وبعض الناس يظن أنَّ الإمام ابن تيمية ضد الأئمة، وهذا ليس صحيحًا ولذلك ألف كتابًا صغيرًا، ولكنَّه في غاية الروعة، اسمه «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام»، أنَّ هؤلاء الأئمة الذين قبلتهم الأُمَّة واتبعتهم وأثنت عليهم ـ وهي لا تجتمع على ضلالة ـ لا يمكن أنْ يتعمد أحد منهم مخالفة رسول الله ﷺ، فيرفض السنَّة، أو يرفض الحديث، لا، لا بدَّ أنْ يكون له عذر معيَّن، وذكر عشرة أعذار لكل إمام من الأئمَّة، فهذا هو

QaradawiBooks.com

الَّذي ينبغـــي أنْ يكون ديدننا فـــي التعامل مع المذاهـــب، والتعامل مع الأئمَّة، وخاصَّة أن هؤلاء الأئمَّة لم يكونوا أئمَّة في العلم فقط، بل كانوا أئمَّة في الورع والتقوى والصلابة في دين الله، كلهم أوذوا في ســـبيل الله وصبروا، فأبو حنيفة دخل الســـجن ومات فيـــه، ونعرف ما حدث للإمام أحمد في السجن على توالي عهود ثلاثة، والإمام مالك والإمام الشافعي ضُربا لكي يغيِّرا آراءهم وثبتوا، فهـــم رجال عمالقة ينبغي أن نفخر بهم، لا أن نطيل ألسنتنا فيهم كما يفعل بعض الشباب الذين قرؤوا كلمتين هنا أو هناك فيأتون يعيبون في الأئمة، حتَّـــى الصحابة تقول: إنهم قالوا: كذا وكذا. فيقولون: ليكن، فهم رجال ونحن رجال! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الســـؤال الرابع: هل هناك فرق بين الخلاف والاختلاف، وخاصة أن هذا الخلاف الفكري بين الجماعات يـــؤدي غالبًا إلى اختلاف، ويؤدي هذا إلى فرقة وتشتُّت، فإلى أي مدى يقبل الخلاف والاختلاف والتفرق بين الجماعات؟

الجواب: الخلاف أو الاختلاف ســـمه ما تسميه هو مقبول ما لم يؤد إلى فرقة، ولا إلى عداوة ولبغضاء، لا بأس أنْ يختلف الناس، أو تختلف الجماعات الإسلاميَّة في أهدافها، أو في ترتيب الأهداف، أو في المناهج والوسائل والأساليب، أو نحو ذلك، ولكن على أنْ يكون هناك قدر من التعاون لا بدَّ منه، وخصوصًا في المواقف الأساسية، والقضايا المصيرية.

وهذا ما تنطبق عليه القاعدة الذهبية الَّتي وضعها المجدد الإسلامي الكبير الإمام محمد رشـــيد رضا، ســـمَّاها قاعدة المنار الذهبية، وتبنَّاها الإمام الشهيد حســـن البنا، وطبَّقها، وكان حريصًا عليها، حتَّى ظنَّ كثير من الإخوان أنَّه واضع القاعدة، ومعروف أنَّها قاعدة المنار الذهبية، وهي

QaradawiBooks.com

الَّتي تقول: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه[١]. هناك أشياء نتَّفق عليها فلنتعاون فيها، وأشياء نختلف فيها فليسامح بعضنا بعضًا فيها، مثلما حدث مع الصحابة في حديث بني قريظة، اختلفوا: هل يصلون في الطريق أم يصلون بعد الوصول[٢]؟ لا مانع من اختلافهم، لكن الَّذي حدث أنَّهم حينما واجهوا بني قريظة وقف الجميع صفًّا واحدًا، لنختلف في الجزئيَّات في مواقف أخرى، لكن ونحن أمام عدو مشترك يجب أن نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، هكذا كان حالهم، وينبغي أنْ يكون هذا هو موقفنا، فلا مانع أنْ تكون هناك اجتهادات، وتكون هناك جماعات، ولكن لا يكون همُّ كلِّ جماعة أنْ تهدم الأخرى، لا، دع كل جماعة تعمل، والإسلام يتَّسع للجميع، والعمل الإسلامي يريد من كل فئة أنْ تعمل، ومن كل فرد أنْ يعمل، ولكن نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

* * *

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

٤

حقوق الإنسان في الإسلام(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخَلْق إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور ـ بإذن ربِّهم ـ إلى صراط العزيز الحميد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّةُ الإسلام، تحيَّةً من عند الله مباركة طيِّبة، فسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للجنة الوطنيَّة القَطَريَّة لحقوق الإنسان أنْ هيَّأت لنا هذه الفرصة؛ لنتلاقَى ونتدارس حول هذه القضيَّة ـ قضيَّة حقوق الإنسان ـ الَّتي التبست فيها المفاهيم، وساءت فيها الظنون، وأُلقِيت فيها التُّهَم جُزافًا على الإسلام وأهله.

(١) ألقيت بالدوحة، بدعوة من اللجنة الوطنية القطرية لحقوق الإنسان، في أبريل ٢٠٠٧م، وقدَّم لها د. يوسف عبيدان، أستاذ العلوم السياسية بجامعة قطر، وبثتها قناة الجزيرة.

QaradawiBooks.com

قضيَّة عالميَّة نُرحِّب بها:

وقضيَّة حقوق الإنسان أصبحت من الناحية النظريَّة قضيَّة عالميَّة، فهناك إعلامُ حقوق الإنسان، وهناك ثوراتٌ قامت لتنادي بحقوق الإنسان، وهناك لجان وطنيَّة وقوميَّة قامت في بلاد شتَّى لتقرِّر حقوقَ الإنسان، وهناك هيئاتٌ عالميَّة لتراعي حقوق الإنسان.

وهذا أمرٌ نُرحِّب به نحن المسلمين، ونرى أنَّ أوَّل دين عُني بحقوق الإنسان عناية فائقة، نظريًّا وعمليًّا، وقرَّر لها أحكامها، ووطَّد لها أصولها، وفرَّع عليها فُروعَها ـ هو الإسلام العظيم، الَّذي بعث الله به محمَّدًا ﷺ رحمة للعالَمِين، وحُجَّة على الناس أجمعين، وأنزل شريعته ليُقيم بها مصالح العباد، في المعاش والمعاد، في الدنيا والآخرة، المصالح الماديَّة والروحيَّة، المصالح الفرديَّة والاجتماعيَّة، المصالح الاقتصاديَّة والسياسيَّة.

هذه الشريعة جاءت لتقرَّ المصالح للإنسان، وتُقِيمها على أساسٍ سليم من العدل والحقِّ، فالله ﷻ أنزلَ كتابَه بالحق، وبعث رسولَه بالهدى ودين الحق، والله تعالى يقول: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

ثبوت حقوق الإنسان في الإسلام وشيوعها:

وربما سألنا سائل، أو اعترض علينا معترض، وقال: إنَّنا نقرأ في الكتب الإسلامية، في كتب العقيدة والشريعة والسلوك، ولا نجد عنوان «حقوق الإنسان»، فكيف تزعمون اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بين الأسماء والمُسمَّيَات:

وأنا أقول: إنَّ كثيرًا من الناس يقفون عند حدود الألفاظ، ولا يغوصون إلى المعاني، فإذا لم يجد أحدهم لفظًا ظنَّ أنَّ معناه غير موجود، كمن يقول مثلًا: لم يهتم القرآن بالشريعة، ولم يذكرها إلا مرة واحدة في آية مكيَّة، هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]. فلماذا تكثرون من قولها، وتنادون بتطبيقها؟

وهذه مغالطة، وفهم خاطئ؛ لأنَّ اللفظ قد لا يُذكر، ولكن معناه ثابت وشائع، من ذلك أنَّ الإسلام لم يذكر في نصوصه كلمة «عقيدة» قط، فهل معنى ذلك أنَّ الإسلام لا يهتم بالعقيدة؟ لا؛ فالعقيدة وردت بألفاظ أخرى، مثل الإيمان واليقين وغيرهما.

وكذلك الشريعة، فحين يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، أليست هذه الآية من الشريعة؟ وحين يقول الله في أطول آيات القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أليست هذه الآية من الشريعة؟ فلا ينبغي أنْ تحجبنا الألفاظ عن الحقائق، والأسماء عن المُسمَّيات.

رعاية الواجبات رعاية للحقوق:

ومن هنا نقول: اهتمَّ الإسلام بحقوق الإنسان وإن لم تُذكر تحت هذا العنوان؛ لأنَّ أساس الإسلام: أنْ يهتم بالواجبات والتكاليف، ويوازن بين الواجبات والحقوق.

QaradawiBooks.com

إنَّ فلسفة الإسلام تنظر إلى الإنسان على أنَّه مخلوق مُكلَّف مُطَالَب مسؤول، على حين فلسفة الحضارة الغربيَّة تنظر إليه على أنَّه مخلوقٌ مُطالِب سائل، الإنسان في الإسلام يقول: ماذا عليَّ؟ والإنسان في الغرب يقول: ماذا لي؟ وفرق بين من يطلب ما له من حقوق، ومن يبحث عمَّا عليه واجبات.

الإسلام يُعلِّم المسلم دائمًا أنْ يبحث عما عليه من واجبات، فإذا أُدِّيَتْ الواجبات رُعِيَتْ الحقوق، لأنَّ كل حقٍّ لإنسان ما هو واجب على غيره، فحقُّ الأبوين في النفقة والرعاية والبر واجب على أولادهم، فإذا أدَّى الأبناء هذا الواجب كُفلت حقوق الأبوين.

وبالعكس: حق الأطفال في النفقة والرعاية والتعليم، وكلُّ ما لهم من الناحية الماديَّة والأدبيَّة واجب على الأبوين، فإذا رعى الأبوان هذا الواجب رُعِيت حقوق الأبناء.

وكذلك حق المحكومين في العدل والإنصاف ورعاية شؤونهم واجبٌ على الحُكَّام، وحقُّ الحُكَّام في الطاعة والنصيحة والعون على الخير واجبٌ على المحكومين، إذا أدَّى كلٌّ منهما واجبه يكون قد أدَّى حقَّ الآخر. وهكذا، فحقُّ الفقراء هو واجبٌ على الأغنياء.

فمن خلال أداء الواجبات تُرعَى الحقوق، إنَّما ضُيِّعت حقوقُ الناس حينما ضُيِّعت الواجبات، ولذلك كانت مهمَّة الإسلام الأولى أنْ يُركِّز كل التركيز، ويُؤكِّد كل التأكيد على أداء الواجبات، وبهذا تتجلَّى الحقوق وإن لم تُذكر تحت هذا العنوان.

ارتباط حقوق الإنسان في الإسلام بالعقيدة والشريعة:

لقد ربط الإسلام حقوق الإنسان بالعقيدة وبالشريعة، بالفلسفة الكليَّة للإنسان والكون والحياة من ناحية، وبالشريعة وأحكامها من ناحية أخرى.

QaradawiBooks.com

أولًا: العقيدة وحقوق الإنسان:

(١) توحيد الله:

إذا نظرنا إلى فلسفة الإسلام الكليَّة نجد أنَّ ما أول رُبِطَت به حقوق الإنسان هو عقيدة التوحيد، فالتوحيد هو الأساس الأول لحقوق الإنسان.

التوحيد أساس الحُرِّيَّة:

والتوحيد هو أنْ تشهد أن لا إلٰه، ألا تعبد إلا الله، ألَّا تشرك بالله شيئًا ولا أحدًا، ألا تتخذ غير الله ربًّا، ولا تبتغي غير الله حكمًا، ولا تتَّخذ غير الله وليًّا، هذا هو التوحيد، وبه يتحرَّر الإنسان من العبوديَّة لكلِّ ما سوى الله.

الحرية أساس الحقوق:

وهذا التَّحرُّر هو أساسُ حقوق الإنسان، فقد ضاعت هذه الحقوق حينما وُجِد أباطرة وأكاسرة وقياصرة وفراعنة ونمارذة يجعلون الناس عبادًا لهم، يدَّعي أحدهم أنَّه إلٰه، أو ابن إلٰه، أو من أسرة إلٰه، أو يجري في عروقه دم إلٰه، كما رأينا فرعون يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ادَّعى الربوبية فسلموا له بهذا.

وكما رأينا النمروذ، ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. جاء النمروذ باثنين وأعدم أحدهما وأطلق سراح الآخر، فهكذا كان هؤلاء الجبابرة، يحكمون بالإعدام على الناس كما يشاؤون ولو أخذوهم من عرض الطريق، كأنه ليست لهم أي حُرمة، ولذلك حينما

QaradawiBooks.com

جاء الإسلام رفع الجباه بالدعوة إلى التوحيد، إلى لا إلٰه إلا الله، وهنا كان أول إقرار بحقِّ الإنسان، أنت مثلي، فلماذا أؤلهك وأعبدك؟ وأنا مثلك فلماذا تستعبدني؟

لا يجوز أنْ يؤلِّه إنسانٌ إنسانًا، ولا أنْ يستعبد إنسان إنسانًا، ولذلك كان النبي ﷺ يختم دعوته إلى الملوك والأمراء والأباطرة، وخصوصًا من كان منهم من أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. أبطل الإسلام ربوبيَّة الناس للناس، فكلهم عبيدٌ لله الواحد، وما داموا كذلك فلم يبق إلا أنَّهم إخوة في الإنسانيَّة، وبهذا أقرَّ القرآن حقَّ المساواة بين الناس جميعًا، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقد عاب الله على النَّصارى هذه الربوبيَّة العمليَّة فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]، من هنا كانت توحيد الله هو الأساس الأول في تحرير الإنسان، وكان تحرر الإنسان أساسًا لحقوقه.

(٢) تكريم الإنسان:

ومن هذه العقيدة عنصر آخر في التأسيس للحقوق: هو تكريم الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. كل من كان من أبناء آدم فهو مُكرَّم عند الله، ليس هناك جنسٌ دون جنس؛ فالإنسانُ من حيث هو إنسانٌ مُكرَّم، بغضِّ النظر عن لون بشَرته أو عينيه أو شَعْره.

QaradawiBooks.com

من مظاهر تكريم الإنسان في الإسلام:

ولقد كرَّم الله تعالى الإنسان بأمور كثيرة، كرَّمه في خِلْقته، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

ومن مظاهر التكريم الإلٰهي للإنسان: أنَّ الله تعالى جعله خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وهذه منزلة اشرأبَّت إليها أعناق الملائكة، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فأجرى الله مسابقة بينهم وبين آدم، فتفوَّق فيها آدم عليهم، وبذلك بين الله لهم أنَّ آدم مؤهَّل للخلافة في الأرض: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

ومن مظاهر التكريم الإلٰهي للإنسان: أنَّ الله تعالى ميَّزه بالعنصر الرُّوحي، كما رأينا في خلق آدم، فقد خلقه الله من طين، أو من تراب، أو من صلصال، أو من حمأ مسنون، ثم قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢].

وسجود الملائكة لآدم ليس لطينِهِ، أو للعنصر الأرضي فيه، لا، وإنَّما لهذا العنصر الروحي، لهذه النفخة العلويَّة الَّتي جعلت آدم أهلًا لأنْ تَسجُدَ له الملائكة، وهي أساس الملكات الَّتي كرَّمه الله وميَّزه بها، وعلى رأسها ملكة العقل، الَّذي هو أساس الخطاب الإلٰهي.

QaradawiBooks.com

ومن مظاهر التكريم الإلٰهي للإنسان: أنَّه تعالى سخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، هذا هو الإنسان المُكرَّم.

هذه هي فلسفة الإسلام في النظر إلى الإنسان، فهو ليس مجرَّد حيوان، كما هي نظرة الغربيين ـ منذ عهد اليونانيين ـ إليه، فاليونانيون قالوا: إنَّ الإنسان حيوان ناطق. ويعنون بكونه ناطقًا: أنَّه ذو عقل يفكر به، وعلماء الاجتماع المحدثون يقولون: إنَّ الإنسان حيوان اجتماعي. والماركسيون يقولون: الإنسان حيوان منتج. لأنَّ الإنتاج أهم شيء في الفلسفة الماركسيَّة، والتطوُّريُّون يقولون: الإنسان حيوان متطوِّر. تطوَّرَ من مرحلة إلى مرحلة إلى أن صار إنسانًا، وكلُّ هذه الفلسفات الغربيَّة مبنيَّة على الإنسان حيوان.

لكن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنَّه مخلوقٌ متميِّز، من أول يوم خلقه الله وحمَّله الله المسؤوليَّة الَّتي عُرضت على الأجرام العظيمة، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، حَمَل مسؤوليَّة التكاليف.

ثانيًا: الشريعة وحقوق الإنسان:

وإذا كانت حقوقُ الإنسان في الإسلام قد قامت أولًا على أساس العقيدة، مُمَثَّلة في توحيد الله الَّذي هو منبع الحرية، ومُمَثَّلة في تكريم الإنسان بكلِّ مظاهر التَّكريم، فإنَّ حقوق الإنسان في الإسلام قد قامت ثانيًا على أساس الشريعة، وأهم ما تتمثَّل فيه تلك الحقوق: هي مقاصد الشريعة.

QaradawiBooks.com

مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان:

إذا نظرنا نظرة أصوليَّة إلى مقاصد الشريعة، وربطنا النصوص بمقاصدها، ورددنا الفروع إلى الأصول، والظواهر إلى المقاصد الكلية للشريعة، وقفنا على عناية الشريعة بحقوق الإنسان.

والمقاصد الكليَّة للشريعة، كما فصَّلها الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه «المستصفى من علم الأصول»، وفصَّلها بعد ذلك الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) في كتابه «الموافقات»، تشمل الضروريَّات، والحاجيَّات، والتَّحسينيَّات.

والضروريات: هي المصالح الأساسيَّة الأصليَّة الَّتي لا تقوم حياة الناس ـ أفرادًا وجماعات ـ إلا بها، وهي خمس ضرورات ـ وبعضهم جعلها ستَّة ـ هي: المحافظة على الدِّين، الَّذي يشمل العقائد والشرائع والقِيم والأخلاق، والمحافظة على النفس أو الحياة، والمحافظة على النَّسل، والمحافظة على العقل، والمحافظة على المال، وأضاف الإمام القرافي (ت ٦٨٤هـ) المحافظة على العِرْض، وهو ما يتعلَّق بسُمْعَة الإنسان وكرامته.

وأنا أُؤيِّد الإمام القرافي في إضافة العِرض إلى الضرورات؛ فالنبيُّ ﷺ يقول: «**كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُه، ومالُه، وعِرْضُه**»[1]، ومن أجل هذا يَحْرُم أن يُسبَّ الإنسان في وجهه، أو يُشتَم في غِيبته، والله تعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، والهُمزة: الَّذي يسبُّ غيره في حضرته، واللُّمَزة: الَّذي يسبُّه في غيبته، فلا يجوز أن يُؤذى الإنسان في غيبته ولا في حضرته، ولو بمجرد الكلمة، فالإسلام يحافظ على كرامة

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإنسان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات: ١١].

اعتبر القرآن أنَّ سبَّ المرء أو السُّخرية منه، أو تلقيبه بلقب سيِّئ ـ كأن تقول له: يا أسود، أو يا أعور، أو أي كلمة تؤذيه إذا سمعها ـ من الفسوق، ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾.

وهذا الأمر يشمل الإنسان حيًّا وميِّتًا، فحتى الميِّت لا يجوز أن تُؤذيه بكلمة، كما في الأحاديث: «**لا تَذْكُروا موتَاكُم إلَّا بخير**»[(١)]، «**اذكروا مَحَاسِنَ مَوْتاكم**»[(٢)]، «**لا تسبُّوا الموتى؛ فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا**»[(٣)]، «**لا تَسبُّوا الأموات فتؤذُوا الأحياء**»[(٤)]، إذا سببت ميتًا آذيت أولاده وأقرباءه، فانظر إلى أيِّ حدٍّ رعى الإسلام كرامة الإنسان؟

فهذه المقاصد الستَّة ـ أو الضروريات الست ـ هي أساس حقوق الإنسان.

حق الحياة:

وخذ مثلًا من هذه المقاصد: مقصد المحافظة على النفس، أي المحافظة على الحياة، أي حق الحياة.

---

(١) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وأبو داود الطيالسي (١٥٩٧)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ١٠١٥، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩)، واستغربه، وابن حبان (٣٠٢٠)، كلاهما في الجنائز، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٦٣)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٤) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

حقُّ الحياة لكلِّ إنسان:

الإسلام يحافظ على حقِّ الحياة للإنسان، من حيث هو إنسان، فالأصل أنَّ كلَّ إنسان تُحترم حياته، مسلمًا كان أو غير مسلم، عربيًّا أو عجميًّا، أبيض أو أسود، شرقيًّا أو غربيًّا، غنيًّا أو فقيرًا، لا عبرة في هذا الحقِّ باختلاف الأقاليم، ولا باختلاف الأجناس، ولا باختلاف اللغات، ولا باختلاف الطبقات، فالإنسان هو الإنسان، وحياته يجب أنْ تُحترم.

مشروعية القِصَاص:

ومن اعتدى على إنسان فقتَلَه يجب أنْ يُقتصَّ منه، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، واعتبر الإسلام ذلك فرضًا، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، كُتب عليكم: يعني فُرِض عليكم فرضية مُوثَّقة مكتوبة، كما كتب علينا الصيام، ولذلك لا يجوز للمسلم أنْ يقول: سآخذ آية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وأترك آية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾. مع أنَّها قبلها بعدَّة آيات.

لقد كتب الله القصاص؛ ليحمي حقَّ الحياة، فلا يُقتلُ إنسان بغير حقّ، ثم يُترك قاتُله، كما هي فلسفة بعض البلاد الغربيَّة الآن الَّتي تُلغي عقوبة الإعدام، فهم يراعون خاطر المجرم على حقِّ الضحية، يتركون القاتل ولا اعتبار للمقتول، ولا لأولاده وإخوته وأهله وعصبته.

وهذا في الحقيقة ما يرفضه الإسلام، فالإسلامُ جعل من حقِّ أولياء المقتول أن يعفُوا، ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، يجوز أن يعفو الولي مطلقًا إنْ أراد، أو يعفو بعِوض فيأخذ الدية، أو أن يقول: أنا لا أريد إلا القِصاص، وإنْ آتيتموني ملء الأرض ذهبًا، إلا أنْ يُقتل القاتل كما قَتَل أخي أو أبي. فهذا القِصاص من احترام حقِّ الحياة.

QaradawiBooks.com

تجريم القتل:

إنَّ الإسلام يجعل جريمة القتل من أشدِّ الجرائم بعد الشِّرك بالله تعالى، ويقرر مع كتب السماء ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فما دام قد استهان القاتل بنفس واحدة فكأنما استهان بالبشريَّة كلِّها، ومن استساغ قتل واحد يستسيغ قتل عشرة، بل من تجرأ على قتل واحد تجرَّأ على قتل مائة.

ولذلك فإنَّ من حافظ على نفس واحدة ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، فقد اعتبر الإسلام نفس الإنسان مِلْكًا لله ﷻ، أمانةً من الله للإنسان، وديعةً عنده، فلا يجوز لغيره أنْ يعتديَ عليها.

تجريم الانتحار:

بل لا يجوز للإنسان أنْ يتصرَّف في نفسه بالإزهاق أو الانتحار، فليست ملكًا له، وإنَّما يملكها الله الَّذي خلقها ووهبها للإنسان، وواهب الحياة هو الَّذي نهى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ولذلك كان الانتحار من أكبر الجرائم، وربما كان قتل النفس أشدَّ من قتل الغير.

المساواة في الدماء:

إنَّ الإسلام شدَّد في جريمة القتل، خصوصًا قتل المؤمنين، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. وليس معنى هذا: أنَّ قتل غير

QaradawiBooks.com

المؤمنين مباح. لا، فالنبي ﷺ يقول: «**من قتل نفسًا معاهدًا لم يَرَح رائحةَ الجنَّة، وإنَّ ريحها ليوجَدُ من مسيرةِ أربعين عامًا**»[١].

لا يدخل الجنَّةَ من قتل معاهَدًا بينه وبين المسلمين عهد دائم كأهل الذمَّة، أو عهد مُؤقَّت كالسياح وأمثالهم، فالإسلام يحترم حقَّ الحياة للناس جميعًا، ومن اعتدى كان جزاؤه القصاص إلا أنْ يعفو أهل المقتول، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

سواء كان المقتول رجلًا أو امرأة، شيخًا أو طفلًا، أستاذًا في الجامعة أو عاملًا في الجامعة، مسلمًا أو غير مسلم، فكلها نفس قد حرَّم الله قتلها، والإسلام ينظر إليه من حيث هو إنسان، ولذا قال: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

تحريم الإجهاض:

لقد بالغ الإسلام في احترام الحياة الإنسانيَّة منذ المرحلة الجَنِينيَّة، فقد جعل لحياة الجنين حرمة، وشدَّد في مسألة الإجهاض، على عكس الحضارة الغربيَّة الَّتي تدَّعي حقوق الإنسان وتبيح الإجهاض؛ لأنَّ المرأةَ حرة في جسدها، مع أنَّه ليس مجرد جسد، بل جسد فيه رُوح أخرى، لها حق الحياة، ومن أجل ذلك حرَّم الإسلامُ إجهاضَ الجنين.

بعض الفقهاء قال: يَحْرُمُ الإجهاضُ حتَّى الأربعين يومًا الأولى. وبعضهم قال: يَحْرُمُ إلى أنْ تُنفخ فيه الروح. وبعضهم قال: يَحْرُمُ بمجرد

(١) رواه البخاري في الديات (٦٩١٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

التقاء الحيوان المنوي بالبويضة وحصول التَّلقيح؛ لأنَّه بذلك وُجِد مشروع الإنسان، فلا يجوز الاعتداء عليه.

ولذلك قرَّر الفقهاء بجميع مذاهبهم ومدارسهم أنَّه لا يجوز أنْ يُقتصَّ من المرأة الحامل ـ إذا فعلت ما يستحقُّ القِصَاص ـ حتَّى تضع حَمْلَها، بل حتَّى ترضعه وتفطمه، كما حدث مع المرأة الغامديَّة الَّتي جاءت إلى النبيِّ ﷺ، وقالت: أصبتُ حَدًّا يا رسول الله فطهِّرني، فقال: «**اذهبي حتَّى تلدي**». فلما ولدت وجاءت قال: «**اذهبي حتَّى تَفْطِميه**»[(١)]. لأنَّ الرَّضاعة من حقِّ الأولاد، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإذا كان للإسلام سبيل على المرأة فلا سبيل له على ما في بطنها، حتَّى وإن نشأ من حرام، إنَّه مخلوقٌ له حقُّ الحياة، فلا يجوز العدوان عليه.

تجريم قتل الأولاد:

كما أنكر الإسلام على الجاهليَّة العربيَّة جريمة قتل الأولاد، سواء من إملاق أو خشية إملاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، والإملاق يعني الفقر، أي: لا تقتلوا أولادكم من فقر واقع، أو خشية فقر متوقَّع. وهذا من جناية الجاهليَّة على الإنسان، أنْ يقتل الوالد ولده وفلذة كبده، وقد سئل النبيُّ ﷺ: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «**أن تقتل ولدَك مخافة أن يطعَمَ معك**»[(٢)].

---

(١) إشارة إلى حديث: جاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إنِّي قد زنيت فطهِّرني، وأنَّه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لِمَ تردني؟ رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٣٢)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

المفروض أنْ يجوع الإنسان ليُطعم ولده، ولكنها خِسَّة الجاهلية: أن يقتل الإنسان ولده خوفًا من أنْ يزاحمه في طعامه، فأنكر الإسلام ذلك وقال: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾. خطيئة عظيمة.

تحريم وأد البنات:

وكما حرم الإسلام قتل عموم الأولاد، بسبب ضيق اليد، أو ضيق النفس، خصَّ بالتحريم قتلَ البنات، لا لشيء إلا لأنَّها أُنثى، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

كان أحدهم يمشي في الأزقّة، ولا يمشي في جواد الطريق؛ حتَّى لا يقابل أحدًا، كأنَّما ارتكب شيئًا مُخْزيًا، ويفكر فيما أصابه: أيبقي هذه المولودة مع ما يشعر به من مَذلَّة، أم يتخلَّص منها ويدفنها في التراب؟

وإنَّها لشرُّ قتلة أنْ يدفن ابنته حيَّة، حتَّى ذكروا أنَّ بعض العرب كان يحفر لابنته، وقد كبرت بعض الشيء، وكان الغبار يتطاير على لحيته، فأخذت البنت تنفضه عن أبيها، تفعل ذلك، وهو يُجَهِّز لدفنها حيَّة، أيُّ قلب هذا؟ وأيُّ جناية جنت الجاهلية على الإنسان؟ ولذلك حفظ الإسلام الطفولة وحَرَّم الاعتداء عليها، بل جعلَ القصاص في قتل الطفل كما جعله في الرجل الكبير.

انظر كيف احترم الإسلام حياةَ الإنسان منذ كان جنينًا، ثم بعد أنْ يولد، وتشديده في هذا الأمر، وجعل تنفيذ القصاص فيمن يستحقُّه مرهونًا بشروط قاطعة، لا بشُبَهٍ محتملة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

احترام حياة الحيوان:

ومن احترام الإسلام للحياة: احترام حياة الحيوان، فلا يجوز للإنسان أنْ يقتلَ حيوانًا بغير حقٍّ، قال النبي ﷺ: «**من قتل عصفورًا بغير حقٍّ عَجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربُّ، إنَّ فلانًا قتلني عبثًا ولم يقتلني منفعة**»(١). كمن يذهبون لقنص الحبارى من الطيور أو الغزال من الحيوانات، يقنصونها ثم يتركونها، وهذا حرام. إذا كانوا يقنصونها ليأكلوها فلا بأس، وإذا كانوا يقتلونها عبثًا فلا يجوز، ولسوف تشكوهم بأسمائهم إلى الله يوم القيامة، تقول: «**يا رب، إنَّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يَقْتُلني منفعة**».

تحريم إبادة الأجناس:

وحين كانت الكلاب في المدينة تؤذي الناس، اشتكى البعض، وطالب بالتخلُّص منها، فقال النبيُّ ﷺ: «**لولا أنَّ الكلاب أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ لأَمَرْتَ بقتلها**»(٢).

الكلاب أُمَّةٌ، والقطط أُمَّةٌ، والدجاج أُمَّةٌ، والزواحف أُمَّةٌ، الحيوانات، والطيور، والحشرات خلقها الله أُممًا، كما قال في سورة الأنعام: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام: ٣٨]، أمم مثل أُمَّةِ الإنسان.

وربَّما لا نلاحظ هذا الأمر في كثير من الكائنات كما نلاحظه في أُمَّةِ النحل أو أُمَّةِ النمل، الَّذي يُنظِّم نفسه جماعات، ويدَّخر قُوْتَه في الصيف

---

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، وضعَّفه الألباني في بلوغ المرام (٤٦)، عن الشريد بن سويد.

(٢) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

QaradawiBooks.com

للشتاء، ويترأسُه ملكة، ومن حولها شـغَّالات، ولكن القرآن يخبرنا أنَّ كل هذه الكائنات أمم، وما دامت كذلك، فإنَّ الله يريد بقاءها، فإذا جاء من يريد اسـتئصالها منعه الإسـلام وتوعَّـده بالنار، فمـا بالك بمن يستأصلون البشر؟

حينمـا ذهب الأوربيـون إلى أمريـكا حاولوا أنْ يسـتأصلوا أهلها الأصليين ـ الهنود الحمر ـ وفعلوا بهم الأفاعيل، وقتلوهم بوسـائل غير أخلاقيَّة، ولم يُبْقوا فيهم إلا القليل، والبريطانيون حينما دخلوا أسـتراليا أبادوا كذلك أهل البـلاد الأصليين، وعندهم في التـوراة إباحة عناصر معينة، قال: لا تستبقي فيهم أحدًا، اضرب جميع ذكورهم بحدِّ السيف[١]. وإذا كانوا في فلسطين وما حولها قال: لا تبقي فيهم نسمة حيَّة، لا ذكورًا ولا إناثًا. هذا هو الاستئصال الَّذي يمارسونه مع طوائف من البشر.

الحفاظ على النبات:

بل حتَّى النبات اهتم الإسلام بالحفاظ عليه ورعايته، يقول النبي ﷺ: «**من قطع سِدرةً صوَّب الله رأسَه في النَّار**»[٢]. شجرة السدرة تظهر عادة في البراري والصحاري، ولها فوائد عظيمة، يسـتظلُّ الناس بظلها، ويأكلون من ثمرها، ثم يأتي من يقطعها بلا ضرورة، ولهذا توعَّده النبي ﷺ بالنار. إنَّ الَّذي نسمِّيه في عصرنا الحفاظ على البيئة، أو حماية البيئة، أو رعاية البيئة، قد سبق الإسلام إليه.

(١) سفر التثنية (١٣/٢٠).

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسـدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

QaradawiBooks.com

أخلاقيَّة الجهاد في الإسلام:

وربما قال البعض: كيف تقول بوجود حقوق الإنسان في الإسلام، واحترام حقِّ الحياة، وقد شرع الإسلام الجهاد، وقَتْلَ الناس بالجُمْلة؟

وهذا غير صحيح؛ فإنَّ الجهاد في الإسلام له قانونٌ أخلاقي، بل إنَّ كلَّ شيء في الإسلام مقيَّد بقوانين الأخلاق، ليس فيه ما يسمَّى «الغاية تُبرِّر الوسيلة»، بل هو يريد الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، ولذلك ربط السياسة بالأخلاق، وربط العلم بالأخلاق، وربط العمل بالأخلاق، وربط الاقتصاد بالأخلاق، كما ربط الحرب بالأخلاق، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**اغزوا باسْمِ الله، وفي سبيلِ الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا...**»[(١)].

وجاء عن الصحابة النَّهيُ عن قتل الرهبان في الصوامع، والزُّرَّاع في أرضهم، والتجار في متاجرهم، أي من نُسَمِّيهم نحن الآن «المَدَنِيِّين»، الَّذين لا شأن لهم بالحرب.

وحينما رأى النبيُّ ﷺ امرأة مقتولة في غزوة من الغزوات غضب وأنكر وقال: «**ما كانت هذه لتُقاتِلَ**»[(٢)]. مع أنَّ وجودها بالغزوة شبهة لقتلها، لكنَّ الأصل ألا تقاتل المرأة، إنَّما يُقتل في الحرب من يشهر السيف ويقاتل المسلمين، والقرآن يقول بصريح العبارة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فمن لم يقاتلكم لا تقاتلوه، ولا تعتدوا في قتالكم عن

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠)، عن بريدة بن الحصيب.

(٢) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

QaradawiBooks.com

قَدْرِ الضـــرورة، ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠].

غير مرخصة للطباعة

الخوارج قديمًا وحديثًا:

ولذلك أنا أعجب من هؤلاء الشـــباب الَّذين يقتلون الناس بالجُملة، بالســـيَّارات المفخَّخة، والأحزمة الناســـفة، الَّتي تقتل كثيـــرًا من البرآء والآمنين، ومن لا ناقة لهم ولا جمل، لا في السياسة، ولا في الحروب، ما ذنب هؤلاء حتَّى يُقتلوا؟

إنَّ هؤلاء الَّذين يستبيحون قتل الناس بالجُملة إنَّما يصدرون عن فكرٍ باطلٍ، هو فكر الخوارج قديمًا، بل هو فكر غُلاة الخوارج الَّذين استباحوا دماء كلِّ من عاداهم، وإن كانوا من المســـلمين، فمـــن لم يقل بقولهم، ويـــرى رأيَهم، ويدخل فيما دخلـــوا فيه، فهو عندهم حـــلال الدم، مباح القتل، حتَّى إنَّهم استباحوا دم أمير المؤمنين، وفارس الإسلام، وحكيم الأُمَّة، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استباحوا دمَه وقتلوه، فهؤلاء الخوارج الجُدُد يسيرون على طريق الخوارج القُدامى.

إنَّ الأصل هو احترام حقِّ الحياة، وما شُرع الجهاد في الإسلام لقتل الناس بالجُملة، بل ما شـــرع إلا للدفاع عن الحقوق المسلوبة، وحماية الحقوق القائمة، وَفْق قانون أخلاقي تميَّز به الإسلام، وإذا كنَّا نقول: إنَّ الإسلام يحترم حقَّ الحيوان وحقَّ النبات. فكيف لا يحترم حياة الإنسان؟

مميزات حقوق الإنسان في الإسلام:

الحقوق في الإســـلام كثيرة أيُّها الإخوة، ولا أريـــد أنْ أتحدَّث عن تفاصيلها؛ لأنَّها تحتـــاج إلى محاضرات، فحقُّ الحيـــاة، وحقُّ الملكية،

QaradawiBooks.com

وحقُّ الأسرة، وحقُّ الحرية، وحقُّ المساواة، وحقُّ النقد، إلخ، كل هذه الحقوق مقرَّرة، ولكن أريد أنْ أذكر بعض الأمور المهمة، الَّتي تتميَّز بها الحقوق في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

(١) فرائض لا حقوق:

الميزة الأولى لحقوق الإنسان في الإسلام: أن ما يُسمَّى في الغرب حقوقًا يعتبره الإسلام فرائض وواجبات، وفرق بين الحقِّ والواجب، الحقُّ يُمكِنُك أنْ تتنازلَ عنه، أمَّا الواجب فلا يُمكنك أنْ تتنازلَ عنه، فالغربيون يقولون: حقُّ التعلم. ولكن الإسلام يقول: طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة.

والغربيون يقولون: حقُّ النقد للخطأ والانحراف في المجتمع. ولكن الإسلام يعتبر هذا فريضة، اسمها فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، التواصي بالحق والصبر، الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، هذه فرائض في الإسلام، وليست مجرد حقوق.

ويعتبر الغربيُّون مقاومة الظلم حقًّا، أمَّا الإسلام فيعتبر مقاومةَ الظلم فرضًا على المسلم بقدر ما يستطيع، «**إذا رأيتَ أمَّتي تهابُ أن تقولَ للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدِّع منهم**»[(١)]، وهذا ما يسمِّيه الحديث الشريف: تغيير المنكر. قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ رأى منكم منكرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد، إلا أنَّه وقع فيه في الأصل غلط، فلهذا لم أذكره. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غيِّرْ المنكر لا تتركه، كل ذي سلطة في سلطانه يغيِّر باليد، الأب مع أولاده الصغار، وصاحب الشركة مع موظَّفي الشركة، قد يقول: لا أدخل شركتي من يُدخن، أو امرأة تلبس «الجابونيز» أو «الميني جيب» أو «الميكرو جيب». هو في ذلك حر؛ لأنَّه صاحب السلطة، وكل ذي سلطة في سلطانه يغيِّر باليد، وليس بالكلام فقط، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه.

ومعنى التغيير بالقلب: أنْ يَكره المسلمُ المعصيةَ، ويكره الخطيئةَ، ويكره الظلمَ، ويتمعَّر وجهه، ويذوبُ قلبه كلما رأى المنكر كما يذوب الملح في الماء؛ لأنَّه يرى المنكر ولا يستطيع تغييره، هذا هو الَّذي يفرضه الإسلام على المسلم، وبهذا الفرض يتبين الفرق بين الإسلام والغرب في النظرة إلى حقِّ النقد والتغيير.

اللجوء السياسي:

ومن ذلك: أنَّ الغرب يعتبر اللجوء السياسي حقًّا للإنسان، ولكن الإسلام يرى أنك إذا مكثت في بلد تُظْلَم فيه ويضيق عليك، ولا تأخذ حقَّك، ولا تستطيع أن تقيم شعائر دينك ـ أَن من واجبك أنْ تهاجر من هذا البلد، وفيه جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

وهكذا كلُّ الأمور الَّتي يَعدُّها الغرب حقوقًا هي في نظر الإسلام واجبات لا يجوز التفريط فيها؛ فالإنسان لا يجوزُ أنْ يفرِّط في حقِّه ولا في

QaradawiBooks.com

كرامته، بل يدافع عنها، والنبي ﷺ يقول: «**لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذِلَّ نَفْسَه**». قيل: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟ قال: «**يتعرَّض من البلاء لما لا يُطِيق**»[١]. حاول أنْ تقاوم، ولا ترضى بالذل والهوان، فهذه هي الميزة الأولى من ميزات الحقوق في الإسلام، أنَّه يراها فرائض وواجبات حين يراها الغرب مجرد حقوق.

(٢) حقوق منطقية:

الميزة الثانية: أنَّ حقوقَ الإنسان في الإسلام حقوقٌ منطقيَّة، تَتَماشَى مع الفطرة السليمة للإنسان، ومع منطق العقل الرشيد، ومع مصلحة الإنسان من حيث هو إنسان، أمَّا الغربيُّون لا يقفون في مسألة الحقوق عند حدٍّ، فهم يرون في العلاقة الجنسية مثلًا: أنَّ من حقِّ الإنسان أن يكتفي المِثْلُ بالمِثل، فيتزوج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وهو ما يُعرف عندهم بالزواج المِثْلي، ويرونه ذلك من حقوق الإنسان.

وحينما ذهبنا إلى لندن ـ منذ حوالي ثلاث سنين ـ لعقد إحدى جلسات المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، وعقد أول جمعية عموميَّة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، قامت ضجَّة كبيرة حولي من قِبل اللوبي الصهيوني، ومن يؤيده في الصحف والإذاعة والتليفزيون، يستنكرون بها سماح السلطات دخولي لندن، ويطالبوهم بإخراجي منها، وكان من أسباب هذه الضجة: موقفي من إجازة العمليَّات الاستشهاديَّة في فلسطين، وأنِّي أقف موقفًا عدوانيًّا من الشذوذ أو «المثلية». ما هو هذا الموقف العدواني؟ قالوا: إنَّني لا أبيح لهم أنْ يستمتع بعضهم ببعض، فيتزوَّج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢٢٥٤)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٦)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٩٧)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

تحريم الشذوذ الجنسي (المثليَّة):

قلت لهم: لست وحدي الَّذي أقف هذا الموقف، بل هو موقف التوراة والإنجيل والقرآن، موقف موسى وعيسى ومحمد، موقف اليهوديَّة والمسيحيَّة والإسلام، موقف حاخامات اليهود وآباء النصرانيَّة وعلماء الإسلام، كلهم يقفون ضد الشذوذ أو «المثلية»؛ لأنَّه ضد الفطرة، لا يقبله منطق عقلي ولا فطرة سليمة، ولا مصلحة معتبرة.

ولو استجاب الناس لهذا الأمر لفنيت البشريَّة بعد جيلين أو نحو ذلك، فولادة الأطفال تكون بالتقاء الذكر بالأنثى، لأنَّ التقابل بين الأشياء من سُنن الله، حتَّى في الذرة الَّتي هي وحدة البناء الكوني الأولى، فيها إلكترون وبروتون، فيه شحنة موجبة وشحنة سالبة، فبدون الشيء ومقابله لا تقوم الحياة، فكيف يريد هؤلاء أنْ يخرجوا عن قانون الكون وقانون الفطرة، ويستغني الجنس عن مقابله؟ هذا معناه خرابُ العالم وانتهاء البشريَّة.

لهذا كانت الحقوق عندنا نحن المسلمين تقتضيها مصلحة البشريَّة الكبرى، المصلحة العامَّة، كما تقتضيها الفطرة السليمة، والعقل السليم.

أمَّا أنْ يجري الناس وراء الشهوات، ويكون الإنسان عبدًا لغرائزه ـ والشذوذ هي غريزة غير طبيعيَّة ـ فهو ضد الفطرة الَّتي خلق الله الناس عليها، فما خلق الله الرجل ليستمتع بالرجل، ولا المرأة لتستمتع بالمرأة، وإنَّما قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، خلق آدم، وخلق من آدم زوجه ليسكن إليها، وتكوين الرجل والمرأة معناه أنَّ كلًّا منهما مكملٌ للآخر، كالعلبة وغطائها، هذه هي الفطرة، فحقوق الإنسان عندنا ليست اعتباطية

QaradawiBooks.com

ولا عبثية، إنَّها حقوق تقتضيها الفطرة والعقل والمصلحة، بخلاف الحقوق عند الغرب.

(٣) حقوق نافذة مرعيَّة:

الميزة الثالثة: أنَّ حقوق الإنسان في الإسلام لم تكن مجرَّد حبر على ورق، وإنَّما كانت نافذة؛ فاحترام حقِّ الحياة قامت عليه الحياة الإسلاميَّة، وقام عليه التَّشريع والفقه الإسلامي، باعتباره من حقوق النَّاس جميعًا، الحقوق الأدبيَّة والماديَّة، حتَّى إنَّ مجرَّد أنْ يُسبَّ الإنسان ـ أي إنسان ـ لا يجوز في الإسلام، وحتى احترام الإنسان حيًّا وميِّتا، فالنبيُّ ﷺ يقول: «**كسْرُ عظم الميِّت ككسر عظْم الحيِّ**»[(١)].

ولذلك احترم الإسلام جسم الإنسان، فلم يُجِزْ حرق الميت وأمر بدفنه، وحرَّم التمثيل به، ولو كان عدوًّا في الحرب، وقال النبيُّ ﷺ: «**لا تغدروا ولا تُمَثِّلوا**»[(٢)]. أي: لا تشوهوا الجثة بعد قتلها، بقطع أنفها أو شفتيها أو أذنيها، حرَّم الإسلام هذا، مع من؟ مع الأعداء المحاربين غير المسلمين.

وفي البخاري أنَّهم مرُّوا على النَّبي ﷺ بجنازة فقام لها واقفًا، احترامًا لها، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهوديّ! فقال: «**أليستْ نَفْسًا؟**»[(٣)]. يهودي أو غير يهودي؛ أليست نفس إنسان؟ فما أروع الموقف

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٠٧)، وابن ماجه (١٦١٦)، وابن حبان (٣١٦٧)، ثلاثتهم في الجنائز. وصحَّح إسناده النووي في المجموع (٣٠٠/٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣١٠)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه صـ١٢٢.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

المحمَّدي، وما أروع التعليل والتفسير، بلى، ولكلِّ نفس في الإسلام حرمة ومكان. فهكذا رُوعيت الحقوق الإنسانيَّة، في عهد النُّبوَّة.

وروعيت الحقوق الإنسانيَّة كذلك في عهد الخلفاء الراشدين، وأذكر حادثتين مهمَّتين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حادثة جَبَلة بن الأيهم:

الحادثة الأولى: هي حادثة جَبَلة بن الأيهم، مَلِك غَسَّان، وهي قبيلة عربية في بلاد الشام، كان لها مُلْك يقع تحت سيطرة الرومان، كما كان للمناذرة في العراق مُلْك يقع تحت سيطرة الرومان، أسلم ملك غَسَّان، وجاء إلى المدينة ليقابل أمير المؤمنين عمر، واحتفل الناس بإسلامه.

ثم بعد أيام كان جَبَلة يطوف بالكعبة، فداس أحدُ الأعراب على طرف ثوبه ـ وكان ثوبه طويلًا ـ فتأذَّى جَبَلة من هذا الأمر، واستدار إلى الأعرابي ولطمه على وجهه، فغضب الأعرابي وذهب إلى أمير المؤمنين عمر وشكاه إليه، وقال: أريد أنْ آخذ حقِّي من هذا الرجل الَّذي لطمني بغير حقٍّ. فقال سيدنا عمر لملك غسان: إمَّا أنْ يقتصَّ منك، لطمة بلطمة، أو ترضيه. تعتذر إليه أو تدفع له حتَّى يعفو عنك، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تُسوِّي بيني وبينه، وأنا ملك وهو سُوقة؟! فقال له عمر: يا جبلة، إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما[1].

نعم، ففي حجَّة الوداع كان أول إعلان لحقوق الإنسان، خطب النبي ﷺ بين حوالي مائة ألف من المسلمين، وأعلن وسط هذه

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/٧٢).

QaradawiBooks.com

الجموع الحاشدة حقوق الإنسان: «**إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[١]. وذكر أمورًا عديدة، ومنها قوله: «**إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتقوى**»[٢]. كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالبشريَّة كلُّها أسرة واحدة، تستوي في أنَّها تنتمي من جهة الخلق إلى رب واحد هو خالق الجميع، ومن جهة النسب إلى أب واحد «**كلُّكم لآدم، وآدم من تراب**».

من أجل هذا قال عمر لجبلة: إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما. فقال الرجل: حسنًا، سأحاول أنْ أرضيه. ولكنَّه بيَّتَ في نفسه أمرًا، فما إنْ جاء الليل حتَّى تسلَّل هاربًا من المدينة، ليلتحق بالروم ليحموه، وللأسف من أجل هذا الأمر خسر الدنيا والآخرة، فقد أعلن ارتداده عن الإسلام من أجل ألا يُسوَّى بينه وبين أحد الرعيَّة من الأعراب البسطاء.

بعض الناس يمكن أنْ يقولوا: لماذا يتشدَّد عمر هذا التَّشدُّد؟ لماذا لم يحاول ترضيته حتَّى يكسبه الإسلام؟

لكن المهم هنا مسألة المبدأ، هل يُفرِّط عمر في المبدأ، أم يُفرط في الشخص؟ خسارة شخص، أم خسارة المبدأ؟ الشخص يُعوَّض، أمَّا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

خسارة المبدأ لا تُعوَّض، وخصوصًا أنَّنا في فجر الإسلام، وما زلنا نقرِّر الحقائق ونؤكِّد الحقوق، ومن هنا لم يضحِّ عمر بالمبدأ، وضحَّى بالرجل، وكان الحق معه.

حادثة القبطي المصري:

الحادثة الثانية: هي حادثة ابن القبطي الَّذي كان يسابق ابنًا لعمرو بن العاص رضي الله عنه، حين كان واليًا على مصر، فسبقه، فضربه ابن عمرو بالسوط، قائلًا: أنا ابن الأكرمين. فغضب لذلك أبو القبطي، واصطحب ابنه، وركب دابَّته وسافر إلى المدينة، مسيرة شهرين ذهابًا وإيابًا، وشكا إلى أمير المؤمنين عمر، قال له: ابن واليك عمرو بن العاص ضرب ابني بغير حقٍّ. فاستدعى عمرُ عمرو بن العاص ليستوثق، فوجد القضيَّة حقيقيَّة، فأعطى السَّوْطَ لابن القبطي، وقال: اضرب من ضربك. ثم قال له: أَدِرْها على صلعة عمرو؛ فإنَّما ضربك ابنه بسلطانه. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إنَّما أضرِب من ضربني. ثم التفت إلى عمرو وقال له هذه الكلمة التاريخية: يا عمرو، متى استعبدتُم الناس وقد ولدتهم أمَّهاتهم أحرارًا[1]؟

إنَّ هذه الكلمة العظيمة الَّتي قالها عمر على البديهة تُفتتح بها الآن مواثيق حقوق الإنسان ودساتير الأمم، فأوَّل مادة بها تقول: يولد الناس أحرارًا متساوين. إنَّها كلمة عمر بنصها.

والذي يوجب التأمُّل في هذه القصة: أنَّ أهل مصر عاشوا قبل الفتح الإسلامي تحت حكم الرومان، وكان الرومان نصارى مسيحيين

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ١٩٥.

QaradawiBooks.com

مثلهم، ولكن يختلفون في المذهب، فهؤلاء مذهبهم الملكاني، وهؤلاء مذهبهم اليعقوبي، فعاش أقباط مصر في غاية الاضطهاد، وقتل الرومان منهم من قتلوا، في عصور يسمونها عصور الشهداء، وكان يعتبرون مصر بقرة حلوبًا، يأخذوا خيراتها ولا يبقوا شيئًا فيها، فعاش أهلها مُتعَبين مسلوبين مظلومين.

من أجل ذلك لم يلقَ المسلمون عناء في فتح مصر، لأنَّ أهلها رحَّبوا بهم، ولم يكن قتالهم ضدَّ أهل مصر، بل كان ضد المحتلين الرومان، فالمقوقس الَّذي بعث إليه النبي ﷺ برسالته كان رومانيًّا، ومن حوله جنود الرومان، وكان حول عمرو بن العاص ثمانية آلاف جندي يقاتلون هؤلاء الرومان.

وهنا نسأل: ما الَّذي جعل هذا القبطي المصري ـ الَّذي كان يُضرب قبل ذلك ضربًا عنيفًا، ويُسجن هو وأولاده، دون أنْ يحرك ساكنًا ـ يغضب من أجل عدَّة سياط ضُرِبها ابنه، ثم يركب دابَّته ويذهب من مصر إلى المدينة ليشتكي إلى الخليفة؟

لا بدَّ أنَّ أمرًا جديدًا قد حدث، وهو أنَّه شعر أنَّ حقَّه مَكفول مُصَان، فقد كانت حقوق الإنسان في الإسلام نافذة في الواقع، وليست حبرًا على ورق، أو مجرَّد كلام نظري، كما في جمهورية أفلاطون، أو مدينة الفارابي الفاضلة، أو الطوباويات المختلفة، إنَّما هي كلامٌ شُرع لِيُنفَّذ.

لذلك عرف الرجل القبطي أنَّ المسلمين يُقيمون العدل حقيقة، وسُمعة عمر في عدالته طبَّقت آفاق الأرض، ولم يكن الفتح الإسلامي للبلاد الَّتي دخلها فتح إذلال واستعمار للشعوب، بل فتح تحرير وإعادة الكرامة إلى الشعوب، فحينما شعر الرجل بأنَّ كرامته أهينت بهذا الضرب

QaradawiBooks.com

رأى أنَّ من حقه أنْ يشكو إلى أمير المؤمنين، وتحمَّل وعثاء السفر وكآبة المنظر ومتاعب الطريق لمدَّة شهر أو أكثر، ذهابًا ثم إيابًا؛ لأنَّه تيقَّن أنَّ حقَّه لن يضيع، فهذه هي طبيعة الحقوق الَّتي جاء بها الإسلام.

ضياع الحقوق في بلاد المسلمين الآن:

الآن يتهموننا بأننا نُضيِّع الحقوق، والحقيقة أنَّ هذا الاتهام في محله؛ فالحقوق في معظم بلاد المسلمين الآن ضائعة، فالحكام أضاعوا حقوقَ المحكومين، وقَلَّ أنْ يوجَد في بلد عربي أو مسلم حاكمٌ اختاره أهل بلده بانتخابات عادلة، نزيهة، شفَّافة، ليس فيها تزوير.

إنَّ معظم بلاد المسلمين فُرِض عليها حكامها، إمَّا بالدبابات والانقلابات العسكريَّة، أو بالتدخُّلات الأجنبية، أو بالتزوير مختلف الصور، إنَّها البلاد الوحيدة الَّتي يأخذ الحاكم فيها التسعات الأربع (٩٩,٩٩٪).

وإذا كان من حقِّ الحاكم ـ في البلاد الَّتي تحترم شعوبَها ـ أن يُنتَخب مدَّة أو مدتين، فإنه في بلادنا إذا وصل إلى الحُكم يريد أنْ يبقى مدى الحياة، فيتشبَّث في كرسيّ الحُكم لا يتركه إلا بموت أو انقلاب، أو بما اخترعوه من توريث الأبناء الحكم، حتَّى وإن كان نظام الحكم جمهوريًّا، حتَّى صارت الجمهوريَّات بذلك مَلَكِيَّات، يذهب الحاكم ويرثه ابنُه أو حفيدُه، وكأنَّ هذه الشعوب قطيع من الأغنام لا رأي لها.

إنَّ بلادنا كثيرًا ما تضيع فيها الحقوق، ولجان حقوق الإنسان ـ الوطنية والدولية ـ تشهد في تقريراتها السنويَّة بضياع حقوق الإنسان في بلادنا، ثم يقولون: إنَّنا دول ديمقراطية! أي ديمقراطية هذه؟ إنَّها ديمقراطية مزيَّفة، والاستبداد العلني الصريح أجرأ في وضوحه من هذه الديمقراطية المزعومة.

QaradawiBooks.com

ومن الحقوق الضائعة في بلادنا: أنَّ كثيرًا من الأغنياء يأكلون حقوق الفقراء، فهناك طبقات من الأغنياء تمتاز بميزات في المجتمع بغير حق، تأخذ حقوقًا ليست لها، من المخصَّصات والمستقطَعات والاحتكارات دون سائر الناس.

الإسلام غير مسؤول عن ضياع الحقوق:

لا شك إذنْ في أنَّ هناك حقوقًا ماليَّة، وأدبيَّة واقتصاديَّة، وسياسيَّة، ومدنيَّة، وغيرها ضائعةٌ في كثير من بلادنا، فإذا كانوا يتَّهمون الحكام بضياع هذه الحقوق، فهذه حقيقة، أمَّا إذا كانوا يتَّهمون الإسلام نفسه بذلك فغير صحيح، فالإسلام غير مسؤول عن ضياع الحقوق.

إنَّ الإسلام لا يُقرُّ هذه المظالم، إنَّه يُقرُّ الحريَّة والمساواة لجميع الناس، ويطالب أنْ يحكم العدلُ بينهم، وما يفعله بعض الشباب أو بعض الجماعات الَّتي تنتسب إلى الإسلام من أفعال تخالف شريعته، فالإسلامُ منها براء، فما نراه من قتل بالجُملة، واستباحة الدماء لا يُقرُّه الإسلام بحالٍ من الأحوال.

هذه الجماعات أخطأت الطريق، ربما كان بعضهم مخلصين، ولكن الإخلاص وحده لا يكفي، لا بدَّ مع الإخلاص من سلامة من المنهج، وقد سُئلَ الفُضيل بن عياض عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: ما أحسن العمل يا أبا علي؟ قال: أحسنُ العملِ أخلصُه وأصوبُه. قالوا: ما أخلصُه وأصوبُه؟ قال: إنَّ العمل لا يُقبل حتَّى يكون خالصًا صوابًا، وخُلوصه: أنْ يكون لله، وصوابُه: أنْ يكون على السُّنَّة[1]. أي على المنهج الشرعيِّ.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٩٥).

QaradawiBooks.com

كثير من الشباب يريد أنْ يقاتل في سبيل الله، وما داموا يريدون سبيل الله حقًّا فأمامهم الصهاينة الَّذين يحتلون في فلسطين ديارًا ليست لهم، ويقتلون أهلها، ويدمرون بيوتهم، ومدارسهم، ويقتلعون أشجارهم، ويبنون الجدار العازل للإحاطة بهم، هؤلاء الصهاينة المحتلون أحقُّ بالقتل من الأبرياء، فالمجتمعُ الإسرائيليُّ كلُّه مجتمعٌ عسكري، والفلسطيني الَّذي يُفجِّر نفسه في هذا المجتمع مُضْطر إلى ذلك، للدفاع عن حقه ضد عدو جبار يمتلك أعتى الأسلحة وأفتكها.

على أنَّ الفلسطينيين لم يعودوا يحتاجون هذه العمليات الاستشهاديَّة؛ لأنَّ الله أغناهم بما طوَّروا من أسلحة وصواريخ، ولكن هناك من يريد أنْ يفعل ذلك في مجتمع مسلم، يلبسون أحزمة ناسفة، أو يفخّخون السيارات لتفجيرها في منطقة إسلاميّة، وبين غير مسلمين مسالمين.

وهذه الاستهانة بالأرواح لا يقبلها الإسلام أبدًا، والنبي ﷺ ذمَّ الخوارج الَّذين يفعلون مثل ذلك، فقال في وصفهم: «**إنَّ أحدكم يَحْقِرُ صلاتَه إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**». وقال: «**يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم**». ومع ذلك قال: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميَّة**»[1]. فهم من العُبَّاد الصُوَّام القُوَّام ومن قُرَّاء القرآن، ولكن القرآنَ لا يجاوز حناجرهم إلى عقولهم وأعماق قلوبهم، فيفقهونه حقَّ الفقه، لقد أُتوا من سُوء الفقه، فآفاتهم ليست في ضمائرهم ونيَّاتهم، وإنَّما في رؤوسهم وعقولهم، وهذه هي مشكلة بعض الناس اليوم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ضرورة الحوار والمراجعة:

وأنا كثيرًا ما دعوت هؤلاء الشباب أنْ يجلسوا إلى العلماء ليناقشوهم، وقد حدث هذا لبعض الجماعات في عصرنا، مثل الجماعة الإسلامية الَّتي يتزعمها روحيًّا الشيخ عمر عبد الرحمن، العالم الأزهري الكفيف الَّذي يقبع الآن في سجون أمريكا، فكَّ الله أسره[1].

رفض أعضاء هذه الجماعة في البداية أنْ يجتمعوا للنقاش مع العلماء، ثم قبلوا في نهاية المحاولات، ومع طول النقاش أعلنوا تخليهم عن العنف، وتبرؤوا من ماضيهم القديم الأليم، وأصدروا كتابًا سموه «تسليط الأضواء على ما في الجهاد من أخطاء»، كما أصدروا اثني عشر كتابًا سموها «المراجعات»، راجعوا أنفسهم بشجاعة، وخطَّؤوا أنفسهم، وكان مما يمنعون قراءته: كتب الشيخ الغزالي والقرضاوي وأمثالهم، ثم أصبحوا ينقلون من كتبي عشرات الصفحات، ما يعني أنَّهم بدؤوا في التَّخلي عن العصبية القديمة، والقراءة للمدارس المختلفة.

ولذلك نريد من الجماعات الَّتي تسمِّي نفسها إسلاميَّة، أو جِهاديَّة، أو سلفيَّة، أو تنظيم القاعدة، أنْ يراجعوا أنفسَهم، فليس في العلم كبير، وفوق كلِّ ذي علم عليم، لا بدَّ من المراجعات، أمَّا قتلُ الناس واستباحةُ الدماء والأموال والحُرمات فهذا ما يرفضه الإسلام.

ختام:

الإسلام ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ قرَّرَ حقوق الإنسان بما لم يقرِّرْه دينٌ آخر، ولا مذهبٌ آخر، ولا فلسفةٌ أخرى، ولا نظامٌ آخر، إنَّه نظام

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ، في سجون الولايات المتحدة الأمريكية، في ١٨ فبراير ٢٠١٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الله، إنَّه دين الله الَّذي يتمثل فيه العـــدل الإلٰهي، والعلم الإلٰهي، وليس عمل بشـــر يحكمه القصور، وقلة العلم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، تحكمه الرؤية المحدودة بحدود الزمان، وحدود المكان أو البيئة، وحدود الحـــزب أو القبيلة أو البلد، وحدود الثقافة، فالإنســـان مهما كان يظل محدودًا، والعلم الإلٰهي هو العلم الكامل، وهذه الشريعة شريعة الله، وهذا النظام هو الَّذي شرعه ليُصلح به البشر، ويهديهم إلى الَّتي هي أقوم.

علينا إذنْ أن نستمسكَ بهذه الشـــريعة، وأحكامها الَّتي تقرِّر حقوق الإنسان، وتوازن بين الحقوق والواجبات، وتؤكد على الواجبات لتُرعى من خلالها الحقوق، حقوق الإنسان من حيث هو إنسان، حقوق الرجل، وحقوق المرأة، وحقوق الطفـــل، وحقوق العمال وأربـــاب العمل، كل الحقوق الَّتي أقرَّها هذا الدين العظيم، والذي نسأل الله تبارك وتعالى أنْ يرزقنا الفقه فيه، والعمل به، والدعوة إليه، والجهاد في ســـبيله، إنَّه نِعْم المولى ونِعْم النَّصير، وصلَّى الله على ســـيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسلام عليكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

غير مرخصة للطباعة

موقف العلماء من قول الحقِّ:

السؤال الأول: فضيلة الشيخ، أين واجب العلماء في قول الحقِّ، في دفع الظلم من بعض الحُكَّام، وانتهاك كرامة الإنسان، وتحويل البعض إلى محاكمات عسكريَّة، والتعذيب المُنَظَّم في السجون؟

الجواب: هناك علماء ينطقون بكلمة الحق، وهناك من يُسمُّونهم بعلماء السلطة وعملاء الشرطة، فليس كل العلماء يقفون موقف الشجاعة والقوة، وبحسبنا أنْ يكون في العلماء من يقوم بواجب النصيحة.

ومن فضل الله على هذه الأُمَّة أنَّها لا يمكن أنْ تجتمع على ضلالة، لا بدَّ أنْ يوجد فيها من يقول الحقَّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وكما قال ﷻ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ولذلك جاء في عدد من الأحاديث عن عدد من الصحابة قضيَّة الطائفة المنصورة، الَّتي تقوم على الحق حتَّى يأتيَ أمرُ الله، فهذه الطائفة موجودة إلى قيام الساعة، منها قولُ النبيِّ ﷺ: «**لا يزال من أُمَّتي أُمَّة قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتَّى يأتيهم أمر الله**»[(١)]. وكما قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: «لا تخلو الأرضُ من قائم لله بالحُجَّة»[(٢)]. كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

إِنَّ الَّذي خَلَقَ الحَقيقَةَ عَلقَمًا لَم يُخلِ مِن أَهلِ الحَقيقَةِ جيلَا[(٣)]

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٩/١، ٨٠).

(٣) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨١/١).

QaradawiBooks.com

يوجد في كل جيل من يقولون الحق، ونحن منذ ثلاث سنوات أقمنا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لتكون مهمَّته أن يقول كلمته في القضايا الكبرى، وجعلنا شعاره هذه الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، لعلنا أن نُرسِّخَ هذا الشعار في العلماء، ونغرسه في قلوبهم، حتَّى يخشوا الله وحده، ولا يخشوا أحدًا سواه.

التذرُّع بالحقِّ إلى الباطل:

السؤال الثاني: ما رأي شيخنا في القول بأنَّ بعض العلمانيين من المسلمين يرفعون شعار حقوق الإنسان لضرب ثوابت الدين؟

الجواب: قد يُتَّخذ الحقُّ ذريعةً للباطل مع الأسف، وهذا موجود كثيرًا في الحياة، وكما رأينا في الغرب من يتَّخذ من حقوق الإنسان وسيلة لإشاعة المثليَّة والزنى والإباحيَّة في العالم، على خلاف ما جاءت به الأديان، ومنها المسيحية، نحن نعرف أنَّ إحدى الوصايا العشر في التوراة: لا تزني[(١)]. وقد أقرَّتها المسيحيَّة، وزادت عليها، يقول المسيح: لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزني. والحقَّ أقول لكم، من نظر إلى امرأة يشتهيها بقلبه فقد زنى[(٢)].

وهذا يلتقي مع التوجيه المحمدي: «**العينان تزنيان، وزناها النظر، واليدانِ تزنيانِ، وزناهما اللمس، والرِّجلانِ تزنيانِ، وزناهما المشيُ، والفرج يُصَدِّقُ ذلك أو يُكَذِّبُه**»[(٣)]. كل هذا مقدِّمات للزنى، فإذا كان

(١) سفر الخروج (١٣/٢٠ ـ ١٥).

(٢) إنجيل متَّى (٢٨/٥).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، بنحوه، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، كما رواه أحمد (٨٣٥٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الغربيون يزعمون أنَّ حضارتهم مسيحيَّة، فأين هم من المسيح الَّذي يقول: من نظر إلى امرأة يشتهيها بقلبه فقد زنى؟ فأحيانًا تتَّخذ حقوق الإنسان سبيلًا إلى الباطل، فليقل العلمانيُّون ما يقولون، فنحن مع الحقِّ الصحيح الصريح، ندور معه حيث دار.

حقوق غير المسلمين:

السؤال الثالث: نتمنى من الشيخ كلمة عن حقوق غير المسلمين في الإسلام، من خلال حسن المعاملة، وكذلك دعوتهم إلى الإسلام بالطرق المختلفة، فهل يلبي لنا؟

الجواب: أنا لي كتاب ألَّفته منذ أكثر من ثلاثين سنة، اسمه «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، لم أقل: الكفار، كما يقول بعض الناس؛ لأنَّ كلمة «كافر» تؤذي صاحبها.

والإسلام لم يخاطب الكافرين بهذا الوصف إلا في آية واحدة في سورة «الكافرون»، لوجود المناسبة والمقتضى، فقد طلب المشركون من المسلمين أنْ يعبدوا آلهتهم سنة ليعبدوا الله سنة، فنزلت السورة تحسم الموقف، وتقطع دابر هذا العبث: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، وهكذا أخذ القرآن يكرر هذا الرفض، ثم قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ففي أول السورة اشتداد واعتزاز، وفي آخرها تسامح.

أمَّا فيما عدا ذلك يكون الخطاب: يا أيها الناس، يا بني آدم، يا أهل الكتاب، وللمسلمين يكون الخطاب: يا أيها الَّذين آمنوا. لهذا سميت كتابي «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، وذكرت فيه ما لهم من

QaradawiBooks.com

حقوق، من الحفاظ على دمائهم، وأموالهم، وممتلكاتهم، وأعراضهم، وكنائسهم وصلبانهم، والوفاء بالعهود معهم، وخاصَّة التاريخية منها، مثل «العهدة العمرية» مع أهل القدس، الَّتي ضمنت للمسيحيين حقوقهم، وكان منها اشتراطهم ألا يساكنهم يهود في القدس، وقد كان ما اشترطوا، فما كان فيها يهودي واحد في زمن عمر، وفي الأزمان الَّتي بعده كانت خالصة للمسلمين والمسيحيين، ثم بعد قرون تسلل اليهود إليها. فغيرُ المسلمين حقوقهم المصونة، والقاعدة المشهورة الَّتي يرددها المسلمون: أنَّ لهم ما لنا، وعليهم ما علينا[1]. هذا هو الأصل الإسلامي العام في علاقة المسلمين بغير المسلمين.

الجهاد المشروع والاعتداء الممنوع:

السؤال الرابع: ألا تندرج العمليَّات التفجيريَّة والانتحاريَّة ضمن مبدأ مقاومة الظلم، وعدم الرضا بالهوان، خاصة في البلاد المحتلة، كالعراق وفلسطين وغيرهما؟

الجواب: مقاومة المحتل لها ظروفها، يجب أنْ يقاوَم المحتل؛ لأنَّ الحكم الشرعي في الفقه الإسلامي: أن أيَّ بلد دخلها محتلٌّ أجنبيٌّ يجب أنْ يقاوَم، يقاوَم حتَّى لا يدخلها، ويقاوَم بعد دخولها حتَّى يُطْرد منها.

ويعتبر العلماء هذا النوع من المقاومة أو جهاد التحرير فرض عين، فعلى أهل البلد أنْ يقاوموا هذا الغازي أو المحتل حتَّى يُخرجوه من دارهم، وكل أهل البلد مُجنَّدون لهذا الأمر، حتَّى قالوا: تخرج المرأة بغير إذن زوجها، والولد بغير إذن أبيه، والخادم بغير إذنْ مخدومه، يخرج الجميع لمقاومة المحتل، فإذا قدروا عليه فبها، وإلا فعلى من

(١) تاريخ الطبري (٦٠٩/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

حولهم من المسلمين أنْ يؤيدوهم بقدر ما يحتاجون إليه، فإذا لم يكفوهم فعلى من يليهم العون، حتَّى يشمل الأمرُ المسلمين جميعًا.

ومن هنا أرى الجهاد في فلسطين واجب على كلِّ المسلمين؛ لأنَّهم لا يستطيعون وحدهم إخراج المحتل، وكما أنَّ كلَّ اليهود في العالم يعينون إسرائيل في عدوانها لتثبيتِ دولتها، فعلى المسلمين في كلِّ أنحاء العالم أنْ يقوم كلٌّ منهم بما يستطيع، سواء بالنفس أو المال أو الدعاء أو المقاطعة الاقتصاديَّة أو غيره، فمقاومة المحتل بهذا واجب، فإذا لم يجد الفلسطينيون أمامهم وسيلة رادعة للصهاينة إلا العمليَّات الاستشهاديَّة فهو جهاد عظيم.

وقد فعلوا ذلك في فترة من الفترات، حتَّى بدأت تتهيَّأ لهم وسائل جديدة أكثر ردعًا وأحفظ للمقاوِمين، نقول بهذه المشروعية لأنَّ من عدالة الله تعالى أنَّه أعطى الضعيف ما لم يُعط القويَّ، فالصهاينة الإسرائيليون يمتلكون مروحيَّات، ودبابات، وأسلحة متطورة، وأسلحة نوويَّة، ولكن الفلسطينيين ليس لديهم إلا أنفسهم يُضَحُّون بها في سبيل الحقِّ، فهذه الوسيلة كانت تُستخدم في وقتها، وفي مكانها، وضد أعداء الأُمَّة المحتلين، لكنها لا ينبغي أبدًا أنْ تُستخدم في المجتمعات الإسلاميَّة في بلاد المسلمين.

وأنا أرى أنَّه لا حاجة إلى هذه الوسيلة في العراق؛ لأنَّ بها أسلحة كثيرة يستطيعون أنْ يقاوموا بها المحتل، لكنهم للأسف يقومون بهذه التفجيرات أحيانًا في المناطق الإسلامية بعضها مع بعض، فتحصد أرواح الأبرياء، سواء كانوا من السُّنَّة أو من الشيعة، ولا يجوز قتل الناس بالجُملة، بل ينبغي التَّحرِّي الشَّديد في مسألة الدماء، فمقاومة المحتل يجوز فيها ما لا يجوز مع غير المحتل.

QaradawiBooks.com

بين التطرف والاعتدال:

السؤال الخامس: إذا فكرنا في حال المتطرفين المنتمين إلى الإسلام، فهل لنا أن نسأل أولًا: من الَّذي ضَيَّع حقوقَهم، سواء من الأنظمة العربيَّة، أو من الاعتداء الغربي الغاشم؟ وسؤال آخر: كيف لنا نحن المسلمين أن نعمل على حفظ حقوق المسلمين؟

الجواب: كلام الأخ السائل صحيح في مجمله، في أنَّ هناك حقوقًا تضيع، ومظالم تقع، بعض هذه المظالم داخليَّة من الحكام الَّذين أشرنا إليهم من قبل، وبعضها مظالم خارجيَّة من القوى الاستعماريَّة والقوى الغربيَّة، الأوربية والأمريكية، مظالم وقعت على المسلمين، وقعت من قبل، ولا تزال تقع إلى اليوم، فهذه المظالم تثير غضب هؤلاء الشباب، لكن ينبغي أن ننظر إلى الأمور بالقسطاس المستقيم، فنحن ندعو إلى منهج الوسطيَّة، الَّذي ينظر إلى الأمور من جميع زواياها، وبجميع أبعادها، فينبغي أنْ ترفض الظلم وتقاومه، لكن لا تقاوم الظلم بظلم آخر، لا تعالج الخطأ بخطأ، فالفقهاء قالوا: الضرر يجب أنْ يُزال. ولكنهم قالوا: لا يُزال الضرر بضرر مثلِه، أو بضرر أكبر منه. فلا يجوز أنْ تدفع واحدًا عن قتل واحد، فتقتل بهذا الدفع أربعة، ولذلك قال الفقهاء: المنكر لا يُزال بمنكر أكبر منه. فإذا كان يترتَّب على إزالة المنكر منكرٌ أكبر منه بفتنة تُسال فيها الدماء بغير حقٍّ، وتُهْدَر فيها الأموال، وتُنْتَهك فيها الحُرمات، فاسكت عنه حتَّى تستطيع إزالته بغير ذلك، والنبي ﷺ قال لعائشة: «**لولا أنَّ قومَكَ حديثو عهد بجاهليَّة لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم**»[1]. فاترك المنكر إذا كان تغييره يؤول إلى منكرات وفتن، حتَّى تتهيَّأ فرص أفضل، هذا هو الفقه الصحيح في هذه القضايا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

صيانة الدماء:

السؤال السادس: في ضوء ما تحدثتم عما يخص عدم جواز قتل الإنسان أيًّا كان دينه أو لونه، ولا حتَّى التجاوز معه بكلمة سوء، ما هو موقف فضيلتكم تجاه فتاوى بعض العلماء الَّذين يهدرون بفتاويهم دماء المسلمين في العراق، ويوجِّهون تلك الفتاوى صَوْب أتباع مذهب بأكمله، أو منطقة بأكملها، دون التَّمييز بين رجل أو امرأة أو طفل أو شيخ؟

الجواب: ذكرت موقفي بأنه لا يجوز أنْ يُقتل إلا المحتل، ومن كان يؤيِّد المحتل، ويُقدِّم له المساعدات، من السُّنَّة أو الشيعة يصبح شأنه شأنَ المحتل، أمَّا قتل البرآء من السُّنَّة والشيعة والعلمانيين فلا يجوز، حتَّى العلمانيين لا يجوز قتلُهم إلا إذا ارتكبوا ما يوجب القتل، فالأصل صيانة الدماء واحترام النفس الإنسانيَّة، إلا ببرهان من الشرع، وضوابط من الشرع، فمن يستبيحون الدماء بغير موجب لا أُقِرُّه بحالٍ من الأحوال.

علاج ظاهرة التطرُّف:

السؤال السابع: كتابكم «الحلول المستوردة وكيف جنت على أُمَّتنا» كان كلمة حق كشفت عوار حلول نسفت حقوق الإنسان باسم العلم، والمسلمون اليوم، بل العالم كله يعاني من جماعات تنسف حقوق الإنسان باسم الإسلام، ونحتاج من سماحتكم إلى كتاب مماثل ينزع شرعيَّة هذه الجماعات الَّتي أهلكت الحرْث والنَّسل، وأنتم لذلك أهل، ولو أنْ تكون فتوى مؤصَّلة تُنشر في العالمين، نحتاج إلى تسمية الأمور بمسمَّياتها، وجزاكم الله خيرًا.

QaradawiBooks.com

الجواب: أنا عالجت ظاهرة التطرُّف في عدة كتب، عالجتها في كتبي عن ترشيد الصحوة الإسلامية، وأولها كتابي «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، وقد سميته أولًا «ظاهرة التطرف الديني، الأسباب والعلاج»، ولكنَّ شيخنا الإمام محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو من اقترح أن يكون اسمه كذلك، ثم كتابي «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، و«الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي»، و«الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد»، و«خطابنا الإسلامي في عصر العَوْلمة»، ورسالة «الإسلام والعنف، نظرات تأصيليَّة»، ولي بحث كبير، أدعو الله أنْ يساعدني على إتمامه، هو «فقه الجهاد»[1]، وهو أشبه بكتابي «فقه الزكاة»، في حجمه ومنهجه، فهو يعالج هذه القضايا من جذورها إنْ شاء الله.

حقوق المرأة:

السؤال الثامن: على الرغم من أنَّ الإسلام اهتم بحقوق المرأة، ودعمتها القوانين الدولية، إلا أنَّ واقع الحال في المجتمعات المسلمة هو هضم حقوق المرأة، فما هو الحل؟

الجواب: الحل في رفع هذا الظلم الواقع على المرأة: هو أن نعود إلى الإسلام الصحيح، إسلام القرآن والسُّنَّة، نعود إلى ما قرره القرآن في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، يعني: أنَّ الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل؛ لا يستغني عنها،

(١) وقد طبع بحمد لله عدة طبعات في مكتبة وهبة.

QaradawiBooks.com

ولا تستغني عنه؛ يُكمِّلها وتُكمِّله، وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ومثل ذلك قول النبي ﷺ: «**إنَّما النساء شقائق الرجال**»[(١)]. نعود إلى هذا نجد ما ينصف المرأة.

هناك من ينظر نظرات ضيِّقة ودونيَّة إلى المرأة، ولا يوجد آية أو حديث تقول: الرجل أفضل من المرأة. بل لكلٍّ منهما دوره، والله تعالى خلقَ كلًّا منهما الخِلْقة الَّتي يؤدي بها دوره، فالمرأة خُلقت لتكون أُمًّا، وفي تكوينها وأجهزتها النفسيَّة والعصبيَّة والوجدانيَّة ما يؤهِّلها لذلك، فتصبر على الأمومة والحمل والرَّضاع وتربية الأولاد، فهذه الأمور تتصل بفطرتها وتكوينها، ولا يمكن فيها أنْ تصير المرأة رجلًا، ولا العكس.

وفيما عدا ذلك فبعضهم من بعض، ولذلك ينبغي أن نفهمَ الأمورَ فهمًا سليمًا فإذا جاء من يقول: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ. نقول له: لقد شاور النبيُّ ﷺ أمَّ سلمة رضي الله عنها، وأخذ برأيها[(٢)]، والله تعالى يقول في فطام الطفل: ﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقول النبي ﷺ: «**آمروا النساء في بناتهنَّ**»[(٣)]، أي شاوروهنَّ، لأنَّ المرأة أعرف بالمرأة، والأم أعرف ببنتها، وقد تكشف لأمها ما لا تجرؤ على أنْ تكشفه لأبيها.

ينبغي أن نرجع إلى الإسلام الصحيح، وندع أقوال المتزمِّتين الَّذين

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

(٢) قصة الحديبية ومشاورة أم سلمة للرسول ﷺ، رواها البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

(٣) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يقولون: المرأة لا تخرج من بيتها إلا مرتين؛ مرَّة إلى بيت زوجها، ومرَّة إلى قبرها. مع أنَّ المرأة في عهد النبي ﷺ كانت تذهب إلى المسجد للصلاة، ولطلب العلم، حتَّى طلبوا من النبي ﷺ أنْ يُخصِّصَ لهنَّ مجلسًا، فخصَّصَه لهنَّ، وبقين يَحضُرن مجلس الرجال، فأخذوا أكثر من الرجال، كما كانت المرأة تشارك في الغزوات، وتختلط مع الرجال في الحج والعمرة، ولم يحصل أنْ أمر النبيُّ ﷺ بفصل الرجال عن النساء.

الحقيقة أنَّ بعض الناس لهم في شأن المرأة أمور عجيبة، حتَّى إنَّ بعضهم يفرض على المرأة الحج بالنقاب، النبي ﷺ يقول: «**لا تتنقب المرأةُ المُحْرِمَةُ ولا تلبس القفازين**»[1]. وهم يلبسونها! فلندع هذه النظرة المتزمِّتة إلى المرأة، ونتمسك بنظرة الإسلام العادلة إليها، وموضوع المرأة طويل، وأنا كتبت فيه رسالة «مركز المرأة في الحياة الإسلامية» وفي كتابي «فتاوى معاصرة» بأجزائه، وفي غيرها.

المساواة في الدماء:

السؤال التاسع: ما تفسيركم لقول بعض الفقهاء: أنَّه لا يُقتل الرجل بالمرأة، والحر بالعبد، مع أنَّ الجميع بشر نُفخت فيهم الروح الإلٰهية؟

الجواب: ما أحسب أحدًا يقول: إنَّ الرجل لا يُقتل بالمرأة. بل يُقتل الرجل بالمرأة، لكن قضيَّة قتل الحر بالعبد تُعارضها بعض الأديان، وفيها حديث: «**من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبدَه جدعناه**»[2]. ففي هذه القضيَّة مجال للاجتهاد.

---

(١) رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٨)، وأحمد (٦٠٠٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٢٠١٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٤٥١٥)، والترمذي (١٤١٤)، كلاهما في الديات، وقال الترمذي: حسن غريب. والنسائي في القسامة (٤٧٣٦)، وابن ماجه في الديات (٢٦٦٣)، والحاكم في الحدود (٣٦٧/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. عن سمرة بن جندب.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك أن بعضهم قال لا يُقتل مسلم بِذِمِّيّ، استنادًا إلى حديث: «**لا يُقتل مُسْلِم بكافر**»[١]. وأبو حنيفة قال: بل يُقتل المسلم بالذِّمِّيّ، والكافر في الحديث هو الكافر الحربيّ[٢]. أمَّا الذِّمِّي الَّذي يعيش بين المسلمين، له ذِمَّة الله، وذِمَّة رسوله، وذِمَّة جماعة المسلمين، فإذا قتله مسلم يُقتل به، هذا في المذهب الحنفي، الَّذي حكمت به الدولة العباسية والدولة العثمانية، وكانت تقتل المسلم بالذِّمِّي.

الحرية الدينية:

السؤال العاشر: شيخنا الجليل، حفظكم الله وأمدَّ في عمركم؛ هل تدخل حرية التفكير ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، وحرية التعبير في مجال حفظ ودعم حقوق الإنسان؟

الجواب: لا شك أنَّ قولَه تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، من أعظم حقوق الإنسان، فلا يجوز الإكراه في الدين، ولماذا يُكْرَهُ الإنسان في الدِّين؟ فالآية نفسها حملت تعليل عدم الإكراه، قالت: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يعني: الأمرَ واضحٌ، والمَحَجَّةَ واضحة، والمنهاجَ بَيِّن، فَعَلَامَ نُكْرِه الناس؟

وهذه آية مدنيَّة، وهناك آية مكيَّة تقول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وهذا نسميه استفهامًا إنكاريًّا، فلا يجوز إكراه الناس، لا بدَّ أنْ يدخل الإنسان الدين بحريته واقتناعه واختياره، ولذلك أمر الإسلام بالقتال،

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٧)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين الزيلعي (١٠٤/٦)، نشر المطبعة الكبرى الأميرية القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ.

QaradawiBooks.com

فحين قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠]، قال بعدها: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة هي اضطهاد الناس من أجل دينهم، وقد اعتبرها القرآن أشد وأكبر من القتل، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فهي من ناحية الكيف أشد من القتل، وهي من ناحية الكم أكبر من القتل، لماذا اعتبرها القرآن كذلك؟ لأنَّ القتل اعتداء على كيان الإنسان المادي، والفتنة اعتداء على كيانه المعنوي، فإذا اخترتُ دينًا ما، فلماذا تضْطهدني وتضعني تحت تنُّور العذاب؟ فقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، يعني: حتَّى يكون الناس أحرارًا في اختيار الدين الَّذي يريدونه، فهذا ما جاء به الإسلام، و﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ حجر أساس في بنيان الحريَّة الإنسانيَّة، ومنها الحرية الدينيَّة.

بين الشريعة والقانون:

السؤال الحادي عشر: هل يوجد تعارف بين حقوق الإنسان في الإسلام والقوانين الوضعية؟

الجواب: قد يوجد توافق بين حقوق الإنسان في الإسلام والقوانين الوضعية، لأنَّ حقوق الإنسان حينما وضعت لم تُراع كل جوانب الشريعة الإسلامية، ولا أقول: إنَّ كلَّ القوانين الوضعيَّة تخالف الشريعة الإسلاميَّة، فهذا ليس صحيحًا، بل معظم القوانين الوضعيَّة توافق الشريعة الإسلاميَّة، لأنَّ الشريعة قامت على أساس المصالح، وفي هذه القوانين رعاية للمصالح، وبعض القوانين الغربيَّة تأثرت بالفقه الإسلامي، وخصوصًا مذهب الإمام مالك، فلهذه القوانين أصول إسلامية.

QaradawiBooks.com

ولكن هناك قوانين تخالفُ الشريعةَ الإسلامية، خصوصًا في نواحي الربا مثلًا، فهي لا تُحـرِّم الفوائد الربويَّة، ولا تُحـرِّم الغرر كما يحرِّمه الإسـلام، وقوانين الجنايات أكثر ما خالف الشريعة الإسلامية، ولذلك كان أول ما اهتم به العلماء الَّذين جمعوا بين الجانب القانوني والشرعي هو تأصيل الفقه الجنائي، من هؤلاء الشهيد عبد القادر عودة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان من المتضلِّعين في القانون والفقه والشـريعة، فـأول ما اهتم به تأليف كتاب «التشريع الجنائي في الإسلام»، في مجلدين، لأنَّ هذا الجانب من القانون أبرز ما يخالف الشريعة الإسلامية.

أسأل الله تعالى أنْ ينير بصائرنا، وأنْ يفقِّهنا في دينه، وأنْ يجعلنا من الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه، أولئك الَّذين هداهُم الله، وأولئك هم أُولو الألباب.

وأسأله تعالى أنْ يرزقنا نورًا نمشي به في الظلمات، وفرقانًا نُميِّز به بين المتشابهات، وأنْ يهدينا إلى الَّتي هي أقوم، إلى صراطه المستقيم، صراطِ الَّذين أنعم عليهم من النَّبيين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

والسلام عليكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

الانفتاح على الغرب مقتضيات وشروط(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمَّدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أُحَيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيدٌ أنْ ألتقي بهذه الوجوه المشرقة بنور الإيمان واليقين في هذه الأمسية الطيِّبة المباركة، وأسال الله تعالى أنْ يجعل لقاءنا خالصًا لوجهه، وأنْ يجعلنا من الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، أولئك الَّذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

(١) ألقيت في لندن من العام ١٩٩٨م، وافتتح القارئ محمد جبريل هذا اللقاء بتلاوة آيات من سورة آل عمران.

QaradawiBooks.com

أيُّها الإخوة والأخوات، طلب إليَّ بعض إخوانكم أنْ أُحدِّثكم في موضوع: «الانفتاح على الغرب، مقتضياته وشروطه».

الإسلام دِين عالَمي:

أحبُّ أنْ أقول: إنَّ طبيعة الإسلام أنَّه دين مُنْفَتِح، ليس دينًا منغلقًا، لا على الغرب ولا على الشرق، طبيعة الإسلام أنَّه دين انتشاري، دين يخاطب الناس كافَّة، والعالَم كلَّه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهذا ثابت في القرآن المكي.

الآيات الَّتي تحدَّثت عن عالَميَّة الإسلام كلُّها آيات مكيَّة، ممَّا يدلُّ على أنَّ الإسلام من أول يوم يعرف وجهته، ويعرف طريقه: أنَّه جاء للعالَم كلِّه، ولا يفرق في ذلك بين شرق وغرب، لأنَّ الأرض كلها لله، والكون كله ملك الله ﷻ، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فلا يفرق الإسلام بين الناس بسبب أوطانهم، أو بسبب أقاليمهم من الناحية الجغرافيَّة، كما لا يفرق بين الناس بعضهم وبعض بالأسباب الَّتي عرفها الناس مُفَرِّقة بين البشر، كالعنصر أو اللون أو اللسان أو الإقليم أو الطبقة، فكلُّ هذه الأمور لا يعتبرها الإسلام.

إنَّما ينظر الإسلام إلى الإنسان من حيث هو إنسان، لا يعتبر الأشياء الَّتي اعتبرها الناس مُفَرِّقات بين البشر إلَّا أنَّها آية من آيات الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

QaradawiBooks.com

تحفُّظات في التعامل مع الغرب:

من هنا نقول: الأصل أنَّنا ننفتح على العالم كلِّه، دون تفريق بين غرب وشرق، كل ما في الأمر أنَّ بعض المسلمين قد يتحفظون من التعامل مع الغرب بسبب كثرة ما أساء إلى الإسلام، ولعلَّ ذلك من جراء الصراعات الطويلة الَّتي حدثت في الماضي، نحن نعرف الحروب الصليبيَّة، وما جرى فيها من دماء سفكت، ومن حرمات انتهكت، ومن مساجد دُمِّرت، ومن بيوتٍ أحرقت، ممَّا يشيب له الولدان، وتقشعر من هوله الأبدان.

لكن هذا زمن قد مضى، ثم جاء الاستعمار الغربي الحديث، الذي احتل ديار المسلمين، لم يسلم منه إلا قليل من البلدان، أمَّا أغلب بلاد المسلمين، فقد أصيب بهذا الاستعمار، وكانت التجربة قاسية ومريرة، وظل الصراع دهرًا حتى تحررت أوطان المسلمين من الاستعمار العسكري على الأقل، وحمل الاستعمار عصاه ورحل عن أوطان الإسلام، وإنْ كان يحاول الآن أنْ يعود إليها بوجه جديد، ولون جديد، وسلاح جديد، ليؤثر فيها، ويحاول أنْ يجرَّها إلى ما يريد.

هذه العلاقات المتوترة خلال القرون هي الَّتي جعلت بعض المسلمين يتحفظ من الانفتاح على الغرب، ويرى فيه عدوًّا لدودًا، خصوصًا في الأزمنة الأخيرة، حيث وقف الغرب ضد قضايا المسلمين المختلفة، كلما وجدت قضية إسلامية وجدنا الغرب يقف ضدها.

وأعظمها وأبرزها ولا شك، قضية المسلمين المحورية، قضية المسلمين الأولى: قضية فلسطين، أرض النبوات، وأرض المقدسات، أرض المسجد الأقصى؛ وجدنا الغرب يقف مع الصهيونية العالمية، بل هو الذي زرعها ورعاها، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، حتى قامت

QaradawiBooks.com

إسرائيل، وأعلن الغرب أنَّ إسرائيل خلقت لتبقى، ولا زال الغرب هو الذي يمد إسرائيل إلى اليوم؛ هذه المواقف جعلت بعض المسلمين يتحفظ على التعامل مع الغرب.

مقتضيات الانفتاح على الغرب:

لكنِّي أقول: رغم هذا كله، فنحن بحكم ديننا، وبمقتضى إيماننا بهذا الدين ننفتح على الغرب، وننفتح على العالم جميعًا.

١ ـ البشريَّة أسرة واحدة:

أول هذه المقتضيات: أنَّنا نعتقد أنَّ البشريَّة كلَّها أسرة واحدة، هذه هي فلسفة الإسلام، أنَّه ينظر إلى البشريَّة باعتبارها أسرة آدمية، جمع بينها عاملان أساسيان: العبوديَّة لله، والبنوة لآدم. إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، وهذا ما أعلنه رسول الإسلام ﷺ في أعظم محفل، في حجَّة الوداع، أمام الجموع الحاشدة، حيث قال ﷺ: «**يا أيُّها الناس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسودَ، ولا أسودَ على أحمرَ، إلَّا بالتقوى، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**»[1].

العبوديَّة لله، والبنوَّة لآدم، هما أساس هذه الأسرة البشريَّة المشتركة، البشريَّة كلُّها أسرة واحدة في نظر الإسلام، بغض النظر عن لون الإنسان: أبيض أو أسود أو أحمر، بغض النظر عن لون عينيه: سوداء أو زرقاء أو خضراء، بغض النظر عن شعره: أجعد أم ناعم، فهذا كلُّه لا اعتبار له في نظر الإسلام.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

الإسلام ينظر إلى البشريَّة هذه النظرة الإنسانية، ويعتبر أنَّ هناك أخوَّة إنسانية تجمع بين البشر، وهذا ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ كان يقول في دُبُرَ كلِّ صلاة: «**اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكَه، أنا شهيدٌ أنَّك الله وحدك لا شريك لك، اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيء ومَلِيكَه، أنا شهيدٌ أنَّ محمَّدًا عبدك ورسولك، وأنَّ العباد كلَّهم إخوة**»[(١)]. هكذا أعلن رسول الإسلام محمد ﷺ هذه الشهادات الثلاث: شهادة لله بالوحدانية، وشهادة لمحمد ﷺ بالعبوديَّة والرسالة، وشهادة للبشر بأنَّهم كلهم إخوة. هذه أخوة عامة.

الأخوة الوطنيَّة والقوميَّة والإنسانيَّة:

بعض المتدينين يقول: كيف هذا؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والنبي ﷺ يقول: «**المسلم أخو المسلم**»[(٢)].

صحيح أنَّ هناك أخوة دينيَّة، وهي أخص الأخوات وأعمقها، ولكن هناك أكثر من أخوة، وحينما كنت أقول: إخواننا الأقباط، اعترض عليَّ بعض الإخوة، وقال: كيف تقول إخواننا الأقباط؟

قلت له: يا أخي، هم إخواننا في الوطن، فنحن المصريين إخوة في الوطن، أو إخوة في القوميَّة، والله تعالى يقول: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦].

ويقول: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤].

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥). عن زيد بن أرقم.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن عبد الله بن عمر.

QaradawiBooks.com

ويقول: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾ [الشعراء: ١٤١، ١٤٢].

ويقول: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]، كيف يكون أخاهم وقد كذبوه، وكفروا به، وجحدوا برسالته؟ هو أخوهم لأنَّه منهم، من قومه، لذلك يقول: يا قوم، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [غافر: ٣٨، ٣٩]، ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١]، هم قومه، هو منهم وهم منه.

وحين ذكر شعيبًا قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، فهو أخوهم لأنَّه منهم، وحين ذكر أصحاب الأيكة قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]، ولم يذكر أخوته لهم، لأنَّه ليس منهم. فهذه أخوة قوميَّة.

وهناك أيضًا أخوَّة بشريَّة إنسانية. قام رجل إلى معاوية، فقال له: سألتك بالرحم الذي بيني وبينك. فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا. قال: أفمن سائر العرب؟ قال: لا. قال: فأية رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم! قال: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها. ثم قضى حاجته[1].

ومن هنا أقول: نحن ينبغي أن ننفتح على العالم، وأوَّل مقتضيات هذا الانفتاح: وحدة الأصل البشري، فالبشر جميعًا أسرة واحدة.

٢ ـ التعارف لا بدَّ منه بين الشعوب والقبائل المختلفة:

ومن مقتضيات الانفتاح على الغرب: التعارف بين الشعوب والقبائل المختلفة، فما دام البشر جميعًا أسرة واحدة، فالتعارف واجب بينهم،

(١) رواه أبو علي القالي في أماليه (١٩٨/١)، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

QaradawiBooks.com

وهذا ما أعلنه القرآن الكريم بصراحة حينما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، لا لتناكروا، فالتعارف بين الشعوب المختلفة من مقتضيات الانفتاح.

٣ ـ الإسلام دعوة عالمية:

ومن هذه المقتضيات: أنَّ الإسلام دعوة عالمية، جاء يدعو الناس جميعًا، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. معروف أنَّ اليهودية دين منغلق على أهله، أمَّا الإسلام فكما قلت لكم: جاء من أول يوم جاء يعلن العالمية للدعوة، ثم في أول فرصة أتيحت للنبي ﷺ دعا ملوك العالم وأمراءها، دعا كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس في مصر وأمراء الشام، وغير هؤلاء، دعاهم جميعًا إلى الإسلام، وكان يختم رسائله بهذه الآية الكريمة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الإسلام حرَّر البشر من العبوديَّة لغير الله:

الإسلام دعوة لتحرير البشر من العبوديَّة لغير الله، ومن عبوديَّة الإنسان للإنسان: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فلا يجوز أنْ يعبد الناس أنفسهم لغير الله، لا لأهل الدنيا، ولا لأهل الدين، لا للملوك والكبراء، ولا للأحبار والرهبان، وقد عاب الله على أهل الكتاب أنَّهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دونه، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١].

QaradawiBooks.com

عن عدي بن حاتم قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، حتى فرغ منها، فقلت: إنا لسنا نعبدهم! فقال: «**أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله فتستحلونه؟**». قلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)].

المسلمون مسؤولون عن ضلال الأمم:

جاء الإسلام دعوة عامة عالَمية، والمسلمون مطالبون بأنْ يدعوا العالَم كلَّه، وأنا أعتقد أنَّ ضلال كثير من الأمم سيسأل عنه المسلمون أمام الله تعالى يوم القيامة، لأنَّهم لم يبلغوا رسالة الإسلام على نحو يليق بها، هناك مئات الملايين في العالم لا يعرفون عن الإسلام شيئًا، يعيشون ويموتون ولم يعرفوا شيئًا عنه، وهناك مئات أخرى تعرف عن الإسلام خلاف ما يدعو إليه، كل ما عندهم عن الإسلام صور شائهة. وهؤلاء معذورون؛ لأنَّهم لم تبلغهم دعوة الإسلام بلوغًا مشوقًا، يحمل على البحث والنظر وراء هذه الدعوة. فنحن بحكم دعوتنا العالمية مطالبون بأن ننفتح على الغرب، لندعوه ونقترب منه، وإذا أغلقنا الجسور بيننا وبينه لم تحدث دعوة، فالدعوة نتيجة الانفتاح، لذلك لا بدَّ أن ننفتح على الغرب كما ننفتح على غيره.

٤ ـ المسلمون مطالبون بالحوار:

ومن مقتضيات هذا الانفتاح: أنَّ المسلمين مأمورون بالحوار، وليس بأي حوار، بل الحوار بالحسنى، هذا فرض فرضه الله تعالى علينا، القرآن

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف ليس بمعروف في الحديث... والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧١).

QaradawiBooks.com

الكريم يعبر عنه بعبارة: «الجدال بالتي هي أحسن»، يقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ما معنى بالتي هي أحسن؟ أي بالطريقة الَّتي هي أفضل الطرق وأجودها وأقربها للوصول إلى العقول والقلوب، فإذا كانت هناك طريقتان في الجدال والحوار، طريقة حسنة جيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فنحن مطالبون بأن نحاور بالطريقة الَّتي هي أحسن وأجود.

خطاب القرآن للمشركين:

القرآن الكريم يذكر لنا نماذج من الحوار، حتى مع المشركين، يقول الله تعالى معلما النبي ﷺ كيف يخاطب المشركين، بقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤]، أي لا بدَّ أن أحد الفريقين على هدى، نحن أو أنتم على هدى أو في ضلال، لم يشككه في أنَّه على الهدى، ولكن يريد أنْ يقرب هؤلاء، يرخي لهم العنان، حتى يقتربوا من الإسلام، ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، وبعدها يقول: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٢٥]، كان مقتضى المقابلة أنْ يقول: قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون، ولكن نسب الإجرام إلى نفسه، ولم يرض أنْ ينسب الإجرام إليهم، حتى لا يوغر صدورهم، وحتى يقرب قلوبهم ويؤنسهم بالإسلام، ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

فهذا هو الجدال بالتي هي أحسن، وهذا هو أسلوب الحوار. نحن مطالبون أن نحاور العالم، بأرق الأساليب وألطفها ما استطعنا، والعجيب أنَّ الله يقول في دعوة المسلمين: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، اكتفى في الموعظة أن تكون

QaradawiBooks.com

حسنة، ولم يكتف في الجدال إلَّا بأنْ يكون بالتي هي أحسن؛ لماذا؟ لأن الموعظة مع الموافقين، والجدال مع المخالفين. هذا أيضًا من مقتضيات الانفتاح.

٥ ـ نظرة خاصة لأهل الكتاب:

ومن مقتضيات الانفتاح: نظرة الإسلام الخاصة إلى أهل الكتاب، فنحن نعلم أنَّ لأهل الكتاب منزلة خاصة في الإسلام، والقرآن يخاطبهم بهذا العنوان الرقيق الندي: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [النساء: ٤٧]. يذكرهم بأنَّهم أصحاب كتاب سماوي، أنَّهم ليسوا غريبين ولا بعيدين عن المسلمين، المسلمون هم أهل القرآن. وأهل التوراة، صحيح أنَّهم حرفوا وبدلوا، لكن يبقى لهم أصل سماوي، ولهذا أباح مؤاكلتهم وأباح مصاهرتهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

فأجاز أن نأكل من ذبائحهم، وأن نصاهرهم ـ نتزوج منهم ـ فأي سماحة أفضل من هذا وأعلى وأعمق؟ أنْ يتزوج المسلم من امرأة من غير دينه، تكون زوجته، وأم أولاده، وربة بيته، وشريكة حياته، وموضع سره، كما عبر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله: ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ويكون آباؤها أجدادا، وأمهاتها جدات، وإخوانها أخوالًا، وأخواتها خالات لأولاده. معنى ذلك: أنَّه قامت مصاهرة وروابط مشتركة، وهي عملية غاية وقمة في التسامح، فأهل الكتاب لهم هذه النظرة الخاصة.

QaradawiBooks.com

حزن المسلمين عند انهزام الروم:

في أوائل الإسلام، وفي فجر الدعوة الإسلامية كان المسلمون قلة في مكة، ولكنهم كانوا يتابعون أحداث العالم، وما كانوا بمعزل عما يجري حولهم في أركان الدنيا، فقد قام صراع بين الدولتين الكبريين في العالم في ذلك الوقت، الدولة الشـرقية دولة الفرس في إيران، والدولة الغربية دولة الروم البيزنطية، فلو كان الأمر أمـر إقليم فقط، فالفرس أقرب إلى العرب، وإيران أقرب، فليس بينها وبيـن العرب غير الخليج فقط، لكن الفرس كانوا مجوسًا يعبدون النار، والروم كانوا نصارى أهل كتاب.

لهذا حزن المسلمون حينما انتصر الفرس على الروم، وفرح المشركون، وقامت معركة جدلية بين الفريقين، حتى قالـوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكـذا، وإن ظهرتم كان لكم كـذا وكذا[1]، ونزلت آيات من أوائل سـورة الروم، يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الـروم: ١ ـ ٥]. ففـرح المسلمون حينما انتصر الروم أهل الكتاب بعد ذلك على الفرس المجوس.

٦ ـ ضرورة التعايش بين الناس في عصر التقارب:

من مقتضيات الانفتـاح كذلك: ضرورة التعايش بيـن الناس في عصر أصبح من طبيعته التقارب، فقد حدث في العالم تقارب شديد، خصوصًا بعد ثورة الاتصالات. قديمًا قال أحد الشعراء البريطانيين (كبلنج): الشرق شرق

(١) رواه أحمد (٢٤٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شرط الشـيخين. والترمذي في التفسير (٣١٩٣)، وقال: حسن غريب. والحاكم في التفسير (٤١٠/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الضعيفة تحت حديث (٣٣٥٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

والغرب غرب، ولن يلتقيا. ثم جاء من يقول: العالم أصبح قريتنا الكبرى، بسبب التقارب الجغرافي، ووسائل المواصلات والاتصالات الحديثة.

وأنا أقول: العالم لم يعُدْ قرية كبرى، بل أصبح قرية صغرى. القرية الكبرى لا يدري الناس في شرقها بما يدور في غربها، أمَّا الآن فنحن نعلم ما يحدث في العالم بعد لحظات، وأحيانًا نتابع الأحداث وهي تحدث في التوِّ واللحظة، نتابعها على التلفاز، فالعالم أصبح قرية صغرى، وهذا يوجب على الناس أنْ يحسنوا التعايش فيما بينهم، والتعايش ضروري؛ لأنَّه لم يعد أحد يستغني عن أحد.

هنا في بريطانيا كثير من العرب ومن المسلمين، من أهل الشرق الَّذين جاؤوا للدراسة، والذين جاؤوا للعلاج، والذين جاؤوا فرارًا من الاضطهاد في بلادهم، والذين جاؤوا للعمل، والذين جاؤوا لغير ذلك، وفي كل بلد من بلدان العالم مثل ذلك، فما عاد هناك إمكانية للانعزال، من يفكر في العزلة فهو يفكر تفكيرا غير إيجابي، وغير سليم، وغير بناء، وغير واقعي.

لا بدَّ للعالم أنْ يتعايش بعضه مع بعض، وهذا ما رأيناه في السنوات الأخيرة: تابعنا الصراع الذي كان بين الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة، والكتلة الشرقية بزعامة روسيا، وظل هذا الصراع طويلًا، ثم قالوا: لا بدَّ من شيء سموه سياسة الوفاق، ثم بعد ذلك سياسة التعايش السلمي. وهكذا اقتضت ضرورات الحياة أنْ يتعايش الناس بعضهم مع بعض، ونحن المسلمين ليس عندنا في ديننا ما يمنعنا من أن نعايش الآخرين ما داموا يقرون بحقنا في الحياة.

هذه أهم مقتضيات الانفتاح، خصوصًا على الغرب، فما هي شروط الانفتاح؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شروط الانفتاح:

هنا نذكر الشروط، فالإخوة طلبوا أنْ أتحدث في هذه المحاضرة عن الانفتاح على الغرب، مقتضيات وشروطًا، تحدثنا عن مقتضيات الانفتاح، فلا بدَّ أن نتحدث عن شروطه، وهي شروط في الحقيقة ليست لإيجاد الانفتاح، ولكنها شروط لنجاح الانفتاح.

لكي ينجح الانفتاح بيننا وبين الغرب لا بدَّ من عدة أمور:

أولًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن عداوته للإسلام:

أنْ يتخلى الغرب عن عداوته لنا، فالغرب ـ للأسف ـ تحكمه أحقاد قديمة، ومخاوف جديدة بالنسبة لنا، الأحقاد الصليبيَّة لا زالت تحكم الغرب، وهذه أحيانًا يكتمها السياسيون[١] ويعبر عنها العسكريون، كما قال العسكريون في حرب البوسنة: نحن فرسان الصليب.

وحينما دخل القائد الإنجليزي «اللمبي» سنة ١٩١٧م القدس، قال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة[٢].

وحينما دخل القائد الفرنسي «غورو» إلى دمشق، ووقف عند قبر صلاح الدين الأيوبي، قال بشماتة: ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين[٣].

هذه الروح للأسف لا تزال موجودة عند كثير من الغربيين.

---

(١) وأحيانًا تنفلت من صدورهم هذه الأحقاد، كما حدث من الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن في خطابه عشية حربه على العراق، ووصفها بالحرب الصليبية.

(٢) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لأبي فارس صـ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

(٣) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢، (أطروحة دكتوراه)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا.

QaradawiBooks.com

مخاوف الغرب من صحوة الإسلام:

ثم أضيف إلى ذلك: المخاوف من صحوة الإسلام، ومن نهضة الأمة الإسلامية. الغربيون يرحبون بنهضات وصحوات الأمم المختلفة، إلا بالصحوة الإسلامية، يخافون من صحوة الإسلام، وأنتم تعلمون ما كتب خلال السنوات الماضية، خصوصًا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وكان الاتحاد السوفيتي يمثل دولة الشر كما قال «ريجان»، أرادوا أنْ يبحثوا عن عدو جديد يعبئون المشاعر ضده، ويحشدون الناس في مقاومته، فلم يجدوا عدوا إلا الإسلام.

فكان الإسلام العدو المرشح ليحل محل دولة الشر كما سموها، سموا الإسلام «الخطر الإسلامي» أو «الخطر الأخضر»، وكتبت في ذلك الكتب، وكتب صاحب كتاب «صراع الحضارات»، أنَّ الحضارات لا بدَّ أنْ تتصادم، وذكر ثماني حضارات، ولكن خص منها الصدام بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية، أو «الكنفوشيوسية»، وقال: إنَّ الصراع لا بدَّ أنْ يحدث بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية.

حوار الحضارات لا صراع الحضارات:

لماذا صراع الحضارات؟ لماذا لا يكون ـ كما قال «جارودي» ـ حوار الحضارات، وليس صدام الحضارات، ولا صراع الحضارات؟

وهل هو صراع فكري ثقافي؟ أم صراع عسكري سياسي؟ إن كان صراع فكر لفكر، فلا مانع من هذا، فنحن نرحب بأي صراع فكري، وكل إنسان يدلي بما عنده، ويقيم حجته، أمَّا إذا كان الصراع تتدخل فيه القوة، وغرور القوة، وفرض الحضارة على الآخرين بالقوة المادية، وبالسلاح القهري، فهذا ما نرفضه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطر الأخضر:

لقد سموا الإسلام: «الخطر الأخضر»، لأنَّه بعد أن زال «الخطر الأحمر» بانهيار الاتحاد السوفيتي، وتقاربوا مع «الخطر الأصفر»، الخطر الصيني، لم يبق إلا «الخطر الأخضر» كما سموه، ويعنون به الخطر الإسلامي.

ونحن نقول: الإسلام رحمة الله للعالمين، الإسلام خطر على المادية والإلحاد، وخطر على الظلم والاستعباد، وخطر على الإباحية والفساد، ولكنَّه ليس خطرًا على الإنسانية، وليس خطرًا على القيم والفضائل، وليس خطرا على العدالة والحرية وحقوق الإنسان.

نحن نريد من الغرب إذا كان يريد أنْ ننفتح عليه، انفتاح الند للند، وأنْ نتعاون معًا لبناء مستقبل جديد للبشرية، نتعاون فيه على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، فأول ما نشترط لنجاح الانفتاح على الغرب: أنْ يتخلى عن عداوته لنا، عداوته الَّتي تحركها الأحقاد القديمة، والمخاوف الجديدة.

ثانيًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن أطماعه فينا:

ونريد من الغرب ثانيًا: أنْ يتخلى عن أطماعه فينا، فقد انتهى عصر الاستعمار، يكفي الغرب ما نهب من ثرواتنا، وما أخذ من بلادنا، ولنبدأ صفحة جديدة، لو طالبنا الغرب بما أخذه من بلادنا لأفلس، ولكننا لا نطالبه، ما فات مات، إنَّما نبدأ صفحة جديدة، فليتخلَّ الغرب عن أطماعه في ثرواتنا، الغرب يريد أنْ يأخذ ثرواتنا بأرخص الأثمان، ثم يصنعها ويعيدها إلينا ليبيعها لنا بأغلى الأثمان.

الغرب يريد أنْ يأخذ «البترول»، هذه الثروة الَّتي يملكها العرب والمسلمون، بأقل ما يمكن، ثم يصنعها ويعيدها ليبيعها لنا بأغلى ما يمكن! فهل هذا عدل؟

QaradawiBooks.com

نحن نريد من الغرب ـ إذا كنا نريد أنْ ينفتح بعضنا على بعض ـ أنْ يكون عادلًا في تعامله الاقتصادي معنا، أنْ يتخلى عن أطماعه فينا.

غير مرخصة للطباعة

ثالثًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن استعلائه علينا:

من ناحية أخرى، نريد من الغرب أنْ يتخلى عن استعلائه علينا. الغرب ينظر إلى نفسه أنَّه سيد العالم، حتى التاريخ يريد الغرب أنْ يقسمه ويصنفه على أساس غربي (العصور القديمة، والعصور الوسطى ـ عصور الظلام ـ والعصور الحديثة)، ويجعلنا نحن في العصور الوسطى، العصور الذهبية الإسلامية الَّتي أقامت حضارة شامخة، جمعت بين العلم والإيمان، وبين الرقي الحضاري والسمو الأخلاقي، ومزجت بين الروح والمادة، وربطت الأرض بالسماء، هذه الفترة الذهبية أدخلوها في القرون الوسطى قرون الظلام.

نريد من الغرب أنْ يتخلى عن النظرة الاستعلائية الَّتي كانت عند الرومان قديمًا، حينما قسموا العالم إلى (رومان، وبرابرة)، كل من عدا الرومان هم برابرة ومتوحشون، هذا لا يجوز، فهناك أناس لهم حضارات، وأناس لهم رسالات، وأناس لهم فلسفات، وأناس لهم تاريخ، وتاريخ عريق كالأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية ليست أمة عائمة، أو قريبة من القاع، أو سطحية الجذور، لا، إنَّها أمة عميقة الجذور، في أرضها نبتت الرسالات، ونشأت الحضارات، وقامت الإمبراطوريات.

لذا فمن حقنا أن نحقق ذاتيتنا في أرضنا، ولكن الغرب لا يريد لنا أنْ نقيم إسلامنا ورسالتنا الإسلامية، حتى على أرضنا الإسلامية، ويزعجه هذا ويقلقه جدًّا! ما الذي يزعجكم ويقلقكم ـ أيُّها الغربيون ـ من أنْ يحكم المسلمون إسلامهم على أبنائهم وبناتهم، في ديارهم وأوطانهم؟

QaradawiBooks.com

ليس من الخير أنْ يحكم الْمُتحلِّلُون بلاد الإسلام:

أنا أقول لهم: ليس من العدل، وليس من الخير، وليس من النافع، ولا من المصلحة: أنْ يحكم اللادينيون والملحدون والمتحللون بلاد الإسلام. بل إن من المصلحة أنْ يحكم بلاد الإسلام أهل الدين والقيم والأخلاق والفضائل، ومن مصلحة الغرب أنْ يتعاملوا مع أناس يحترمون عهودهم ومواثيقهم، ويتعاملون مع البشر بأخلاقيات نبيلة، فهم أناس يقدرون القيم والأخلاق، رسالتهم رسالة أخلاقية.

رابعًا: الاعتراف برسالتنا وذاتيَّتنا:

نريد من الغرب أنْ يعترف برسالتنا وذاتيتنا وهويتنا، أنْ يعترف أنَّنا أصحاب هوية متميزة، من حقنا أن نعيش بها، وأن نعيش لها، وأن نموت عليها، وما الذي يضره في هذا؟ نريد من الغرب، أنْ يعترف بحقوقنا، ولا يقف ضدنا، ولا يمالئ علينا أعداءنا، كما فعل مع الصهيونية الإسرائيلية ولا زال يفعل إلى اليوم، وكما نراه في كل قضية، كقضية البوسنة والهرسك، وفي قضية كوسوفو. لو كان ما يقع للمسلمين يقع لبلد غير إسلامي لخف الغرب لنصرته، وسارع إلى نجدته، وأنقذ المستضعفين، ووقف ضد المعتدين، ولكنَّه لا يفعل ذلك بالنسبة للمسلمين.

التسامح اختراع إسلامي:

نحن نطالب الغرب إذا كان يريد أن نعيش معًا في أسرة بشريَّة متعاونة متسامحة، ونحن دعاة التسامح، كان شيخنا، الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: التسامح هذا هو اختراع إسلامي. فالمسلمون هم الَّذين اخترعوا التسامح، لم يعرف التسامح إلا عند المسلمين، فنحن دعاة التسامح، لسنا متعصبين كما يحاولون أنْ يصورونا، وإذا شوهد بعض المسلمين

QaradawiBooks.com

المتعصبين فمعظم هذا التعصب دفع إليه تعسف الغرب وظلمه، ووقوفه ضد قضايانا باستمرار، ولو أنصف الغرب ما وجد هذا التعصب.

أساس التسامح عند المسلمين:

نحن متسامحون، والتسامح قضية أساسية عندنا، لأنَّها تقوم على عدة أسس:

اختلاف الناس:

إنَّ الله خلق الناس مختلفين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. فمن يريد أنْ يجمع الناس على دين واحد، أو مذهب واحد، كأنه يريد أنْ يقف ضد المشيئة الإلٰهية.

الله يحكم بين الناس في الآخرة:

ثم إنَّ اختلاف الناس في العقائد والتصورات، لا يحاسب الناس عليه في هذه الدنيا، إنَّما يحاسبون عليه في الآخرة، والذي يحاسبهم هو الله ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، ويقول: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩].

مكانة الإنسان في الإسلام:

من ناحية أخرى، الإسلام يحترم كل إنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن دينه أيًّا كان، فقد روى البخاري أنَّ النبي ﷺ، مروا عليه بجنازة فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهودي. فقال ﷺ:

QaradawiBooks.com

«**أليست نَفْسًا؟!**»[1]. بلى إنَّها نفس، ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكانة، فما أروع الموقف! وما أروع التعليق منه ﷺ!

غير مرخصة للطباعة

الإسلام جاء بالعدل لكل الناس:

ثم إنَّ الإسلام جاء بالعدل لكل الناس، العدل مع من تحب ومع من تكره، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وفي المقابل يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

هذا هو الذي جاء به الإسلام، دين العدل والتسامح، فنحن نريد أن نتعامل مع الغرب بهذه الروح المتسامحة المتفاهمة المتعاونة، الَّتي لا تعرف التعسف، ولا تعرف الظلم، ولا تعرف الاغتصاب، ولا تعرف الاستعلاء على الآخرين، وإنَّما تتعامل بروح إنسانية عالية، ومن أفق رحب واسع، وهذا ما ندعو إليه الغرب، وندعو إليه البشريَّة جمعاء في مشارق الأرض ومغاربها.

تلك أهم مقتضيات الانفتاح على الغرب، وهذه أهم شروط نجاحه.

أكتفي بهذا القدر ـ أيُّها الإخوة ـ لندع الفرصة لأسئلتكم إنْ شاء الله، عسى أنْ تجلي بعض ما غمض في هذه الكلمات، أسأل الله تعالى أنْ يوفقنا لما يحب ويرضى، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

نسخة مرقمة

الأسئلة

غير مرخصة للطباعة

موقف الإسلام من الكفار:

السؤال: لقد التبس عليَّ بعد محاضرتكم هذه معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، **وقول الله** ﷻ **على لسان خليله إبراهيم** عليه السلام: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فهل هذا يعني أنَّه يمكن التسامح مع أهل الكتاب، مع عدم نسخ هذه الآيات؟ ثم هل يجوز للعالم أو حتى لخليفة المسلمين أنْ يتسامح مع الَّذين قاموا بالمذابح في البوسنة والهرسك وكوسوفو والبلاد الإسلامية الأخرى؟

الجواب: نحن لا نطمع في أنْ يرضى عنا اليهود والنصارى، لأنَّ هذا غير ممكن أنْ يرضوا عنا رضا كاملًا، كما قال القرآن: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ولكن ـ أيُّها الإخوة ـ لا بدَّ أن نأخذ النصوص متكاملة، بعضها مع بعض، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فالقرآن الذي قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، قال في نفس السورة الَّتي ذكرت كلام الخليل إبراهيم، والتي نهت في أولها وآخرها عن موالاة غير المسلمين، في نفس السورة هذه، جاء هذا الدستور في العلاقات مع غير المسلمين، كما حددته هاتان الآيتان، حيث يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

QaradawiBooks.com

من الكفار مسالمون ومنهم محاربون:

فهناك أناس تحرم موالاتهم، وتجب البراءة منهم، وإظهار العداوة والبغضاء لهم، وهم الَّذين قاتلوا المسلمين في الدين، أو أخرجوهم من ديارهم، أو ظاهروا على إخراجهم؛ وهناك آخرون مسالمون للمسلمين، لم ينهنا الله أنْ نبرهم ونقسط إليهم.

والقسط هو العدل، والبر هو الفضل والإحسان، القسط أنْ تعطيهم الحق، والإحسان أنْ تعطيهم فوق الحق، القسط أو العدل أنْ تأخذ حقك، والبر أو الفضل والإحسان أنْ تتنازل عن بعض حقك، فالله لم ينهنا لا عن القسط إليهم، ولا عن البر بهم.

والله تعالى اختار كلمة «البر» في قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، وهي الكلمة الَّتي جعلها الإسلام لأعظم حق بعد حقوق الله، وهو حق الوالدين، المعبر عنه بكلمة «بر الوالدين». فلا بدَّ أن نجمع النصوص بعضها مع بعض، حتى نحسن الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

وجوب اكتفاء الأمة الإسلامية ذاتيًّا:

السؤال: أليس من العار والمهانة لنا نحن المسلمين: أن نطلب مساعدات من الغرب؟ فكيف نستطيع أن نتغلب على مشاكلنا؟ وما هو رأي فضيلتكم في ذلك؟

الجواب: من المؤسف حقًّا أنْ يكون المسلمون من الضعف بحيث يطلبون المساعدة من غيرهم، ولو كان المسلمون مسلمين حقًّا، لكان عندهم اكتفاء ذاتي، المفروض أنَّ الأمة الإسلامية تكتفي ذاتيًّا، وتكون قادرة على أن تسد حاجاتها بنفسها، ولكن للأسف نحن عالة على غيرنا،

QaradawiBooks.com

في كل المجالات، في الزراعة وفي الصناعة وغيرهما، البلاد الإسلامية بلاد زراعية، ومع هذا فإنَّ معظم بلاد المسلمين تستورد أكثر من نصف أقواتها، ومن ناحية الصناعة فنحن عاجزون حتى عن صناعة أسلحتنا، بل نأتي به من غيرنا.

أمة سورة الحديد لا تحسن صناعة الحديد:

الله تعالى ذكر في القرآن سورة سماها سورة «الحديد»، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فكلمة: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربية، وكلمة: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنية، ولكننا للأسف لم نتقن لا الصناعات الحربية، ولا الصناعات المدنية، وأصبحنا عالة على غيرنا. بعض البلاد إذا كف الغرب يده عنهم يموت من الجوع؛ لأنَّه لا يجد الأقوات الكافية له، ويموت من الذل؛ لأنَّه لا يملك السلاح، ولا يصنع السلاح.

وجوب تكافل المسلمين فيما بينهم:

المفروض أنْ تتكامل الأُمَّة الإسلامية فيما بينها، كما قال النبي ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[(١)]. فهم أُمَّة واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

أُمَّة واحدة تتضام وتتكافل فيما بينها، حتى تكون أمة قوية، ونحن عندنا كل مقومات السيادة: من الناحية المادية، ومن الناحية البشريَّة نزيد

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

على المليار وثلث المليار من البشر، عندنا العمق الحضاري، وعندنا الرسالة الروحية، وعندنا القوة ولكننا لم نوظفها للأسف، فلا عجب أنْ نمدَّ يدنا إلى غيرنا. عندنا كل مقومات السيادة، ولو يعاملنا الغرب بالندية، أي نعطيهم ويعطونا، ونأخذ منهم ويأخذون منا، فلا مانع أبدًا، بل هذا من الانفتاح الذي تكلمنا عنه.

لكن ـ للأسف ـ نحن مازلنا في حالة يرثى لها، نحن الآن في عصر الصناعة الثالث، فعصر الصناعة الأول كانت توفر فيه الآلة الجهد العضلي، ثم جاء العصر الثاني عصر الكمبيوتر، توفر فيه الآلة الجهد العقلي، ونحن الآن في عصر الصناعة الثالث عصر الثورات العلمية الكبرى: عصر الثورة التكنولوجية، والثورة البيولوجية، وهندسة الجينات، وعصر ثورة الاتصالات، وعصر الثورة الفضائية، وعصر الثورة الإلكترونية، وعصر ثورة المعلومات؛ أين نحن من هذا كله؟ نحن للأسف في المؤخرة بعد أن كنا في المقدمة، ولا حل لهذا إلا أن نحسن الفهم للإسلام، ونحسن العمل بالإسلام، والعمل للإسلام، فننهض من قعود، ونتقدم من تأخر، ونحسن إلى أنفسنا وإلى الناس.

من المسؤول عن ضعف المسلمين؟

السؤال: هل العيب في المسلمين؟ أم العيب فيمن يحكم المسلمين؟

الجواب: لا شك أنَّ المسؤولية الأولى هي على الحكام، ولكن هذا لا يعفي الشعوب، لأنَّ الحكام هم حراس على الشعوب، الناس يقولون: يا فرعون من فرعنك؟ قال: ما وجدت أحدًا يردُّني. الناس هي الَّتي

QaradawiBooks.com

تصنع الفراعنة، فلا بدَّ أن تتحمل الشعوب قدرًا من المسؤولية، والنبي ﷺ قال هذا، قال: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته**»[١].

عادة كل فئة تحاول أن تحمل المسؤولية غيرها، فبعض الناس يقول: المسؤولية على العلماء، فالعلماء لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ولا يقولون كلمة الحق. هذا صحيح، العلماء مسؤولون لكن ليسوا وحدهم المسؤولين، فالعالم وحده ضعيف، ومتى يكون العالم قويا؟ إذا كان وراءه شعب قوي.

والبعض يقول: الحكام هم المسؤولون. والحقيقة أنَّ الجميع مسؤولون، وكل واحد مسؤوليته على قدر مكنته، وعلى قدر ما آتاه الله؛ فمسؤولية العالم أكبر من مسؤولية الجاهل، ومسؤولية الغني أكبر من مسؤولية الفقير، ومسؤولية الحاكم أكبر من مسؤولية المحكوم، كل واحد مسؤوليته على قدر ما آتاه الله، والأمة كلها مسؤولة.

فهل نجلس ونقول الحكام هم المسؤولون؟ إنَّنا نحن الَّذين صنعنا الحكام، ونحن الَّذين صفقنا لهم، ونحن ساكتون على ما يكون منهم، لا بدَّ أنْ يعي الشعب، ويعرف قدر ما عليه في هذه القضية.

حكم دخول غير المسلمين مساجد المسلمين:

السؤال: إذا رضي الغرب بشروط الانفتاح، فهل نقبل زيارتهم للمساجد والبيوت المقدسة؟ وإذا لم يرض فهل هناك سلاح آخر نحاربهم به؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الجواب: النبي ﷺ سمح لأهل نجران أنْ يدخلوا مسجده، وفرش لهم عباءته، وجاء وقت صلاتهم، فسمح لهم ﷺ أنْ يقيموا الصلاة في مسجده[١].

يقول الإمام ابن القيم: إنَّ دخولهم المسجد جائز، بشرط ألا يكون هذا أمرًا دائمًا[٢]. يعني في مناسبة معينة يجوز لهم هذا، فيجوز أنْ يزوروا المسجد، إذا كان فيه الخليفة أو القاضي أو أمير البلد، لكن لا يجوز أن نعمل المسجد ـ كما في بعض البلاد ـ متحفًا يدخله الكاسيات العاريات المائلات المميلات، فلم يبن المسجد لهذا.

ثم إنَّ الحكم بجواز دخولهم مساجد المسلمين أو عدمه لا علاقة له برضاهم بالانفتاح أو عدم رضاهم، فلهم ولغيرهم من غير المسلمين أنْ يدخلوا المساجد بالشرط المذكور، سواء رضوا بالانفتاح أم لم يرضوا.

حكم قيام الليل جماعة:

السؤال: ما رأيكم في إخوة يقومون الليل جماعة خلال أيام الأسبوع، هل يجوز لهم ذلك أم لا؟

الجواب: لا شك أنَّ قيام الليل من أعمال الصالحين، فالله تعالى يصف عباد الرحمن فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ويصف المتقين المحسنين فيقول: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، فقيام الليل مشروع، لكن القيام الجماعي والالتزام

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٥٧٤/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

(٢) أحكام أهل الذمة (١٩٢/٣)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

به، لم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة إلا في رمضان، ويجوز أنْ يفعل ذلك بعض المسلمين في بعض الليالي، ولكن لا يلتزمونها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: لا ينبغي أنْ يكون قيام الليل هذا سببًا في تعطيل الإنسان عن عمل النهار، فبعض الناس يقومون الليل، أو يصومون الاثنين أو الخميس، ويذهب إلى عمله متثاقلًا متباطئًا متعبًا، لا يكاد يؤدي عمله، فيقصر في عمله الواجب عليه، ومعنى هذا أنَّه يؤدي نافلة ويضيع فريضة، ولا يجوز لإنسان أنْ يضيع فريضة بنافلة.

ومن القواعد المتَّفق عليها عند العلماء: إنَّ الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة[١].

ومن أقوال السلف في ذلك: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور[٢]. فلا بدَّ أنْ يراعي المسلم هذه القاعدة.

حكم العمل بتنظيف زجاجات الخمور:

السؤال: أنا عامل نظافة في الشارع، ونضطر لنظافة العلب والزجاجات الفارغة من الخمور، وكذلك الغائط والكلاب، وكل النجاسات، فما هو رأي فضيلتكم في هذا العمل؟

الجواب: هذا عمل طيب، فهو يقوم بالنظافة، والنظافة عندنا نحن المسلمين من الإيمان، فكونه يجد في عمله علب الخمر ونحو ذلك، فهو ليس مسؤولًا عنه، وليس فيه أي حرج، بالعكس هو يقوم بعمل طيب وشريف فعلًا، وما يكتسبه منه حلال، وليس فيه أدنى شك.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في زهد الصحابة (٣٥٥٧٤)، من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٤٣/١١).

QaradawiBooks.com

آفة السرقة في بعض الشباب المسلم:

السؤال: انتشرت في هذه السنوات ـ خاصة في بريطانيا ـ ظاهرة السرقة من ممتلكات الغير، بحجة أنَّها غنيمة، علمًا بأن هذه الآفة الخطيرة قد تسربت لبعض الشباب المسلم، فما هو واجب المسلمين عامة، والشباب المسلم خاصة، تجاه هذه الظاهرة؟

الجواب: هذه ظاهرة خطيرة جدًّا، ولا يجوز أبدًا أن تصدر من مسلم، الإسلام رسالة أخلاقية، ولا يفرق الإسلام في أخلاقياته بين قوم وقوم، الغنيمة تكون في حالة الحرب، ولحالة الحرب أحكامها، أمَّا أنت الآن دخلت بلدًا بأمان، فأنت مستأمن فيها، ودخلت بعهد، وعليك أنْ تحترم النظام العام في البلد، ولعلَّك لا تستطيع أنْ ترجع إلى بلدك، بينما أنت تعيش في هذه البلاد بحرية، فلا بدَّ أنْ تحترم هذه البلاد، وتحترم العهد الذي أعطيته لها، حينما أعطتك تأشيرة الدخول للزيارة أو الإقامة، فالوفاء بالعهد خُلُق من أخلاق الإسلام.

اليهود هم الَّذين يستحلون الأمم الأخرى، كما حكى القرآن ذلك: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، والتلمود يُعلِّمهم أنَّ أعراض الأمم وأموالهم وحرماتهم كلها مستباحة، لكن عندنا نحن المسلمين لا يحل لنا ذلك، وليس عندنا ما في الفلسفة «الميكافيلية»: أنَّ الغاية تبرر الوسيلة. ليس عندنا هذا أبدًا، فلا يجوز لمسلم أنْ يسرق مالًا ليعطيه للفقراء، أو يأخذ مالًا بالربا ليبني به مسجدًا، لا يجوز هذا، «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا**»[1].

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإسلام يعمل على شرف الغاية وطهر الوسيلة، لا يرضى إلَّا بالغاية الشريفة، والوسيلة النظيفة، ولا يرضى الوصول إلى الحقِّ بطريق الباطل، فنحن نرفض هذه الفكرة وننكرها ونحرمها، ولو شاع عن المسلمين أنَّهم يستحلون أموال الغير، وممتلكات الغير، لكان ذلك صارفًا لغير المسلمين عن الإسلام.

وصلى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

الإسلام والمسلمون وعلوم المستقبل على أعتاب القرن الجديد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَن ختم الله به النَّبيِّين، وأرسله رحمةً للعالمين، وحجَّةً على النَّاس أجمعين، مُعلِّمِ الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرشد، وقائدِ الخَلْقِ إلى الحقّ، ومُخْرِجِ النَّاس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدِنا وإمامِنا وأسوتِنا وحبيبِنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعوا النُّور الذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دَعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدين.

خير ما أُحيِّيكم به ـ أيُّها الإخوة الأحبَّة ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للإخوة الَّذين هيَّؤوا لي هذه الفرصة؛ لأتحدَّث إليكم في هذه المناسبة الطيبة ـ مناسبة المعرض الدولي للكتاب في الدَّوْحَة ـ عن هذا الموضوع المهم: «الإسلام والمسلمون وعلوم المستقبل».

(١) ألقيت بمناسبة افتتاح أحد مواسم معرض الدوحة الدولي للكتاب، بدولة قطر.

QaradawiBooks.com

رُبَّما ظنَّ بعض الناس أنَّ الدِّين لا يُعنَى بالمستقبل، ولا يهتم إلا بالماضي، ورُبَّما اتَّهموا الإسلام خاصَّة بأنَّه عدو المستقبل، وربما ساعد على هذا الفهم: موقفُ كثير من المتدينين، أنَّهم يعتبرون النظر إلى المستقبل نوعًا من التَّهجُّم على الغيبيَّات، واقتحامِ ما لا يجوز اقتحامُه، والتقوُّلِ على الله بغير علم، أو يعتبرونه مناقضًا للتوكل، أو يعتبرونه مناقضًا للإيمان بالقدر.

التفكير المستقبليُّ من جوهر الدين:

الواقع ـ أيُّها الإخوة ـ أنَّ الدِّين في جوْهره نظرةٌ إلى المستقبل؛ فجوهر الدين: أنَّ الدنيا مزرعة للآخرة، يزرع الإنسان اليوم ليحصدَ غدًا، وكذلك كل متديِّن لا بدَّ أنْ يعمل لمستقبله، مستقبله بالمعنى الكبير والعميق، بألَّا يعيش ليومه، بل لغده، وألَّا يعيش لدنياه، بل لآخرته، فالدنيا إنَّما هي وسيلة إلى الآخرة، وهي قليلة بالنظر إلى الآخرة، كما ذكر القرآن: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وهي حقيرة لا تزن عند الله جناح بَعوضة، كما قال النبي ﷺ: «**لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جناحَ بَعوضةٍ ما سقَى كافرًا منها شرْبةَ ماءٍ**»[(١)].

ومع هذا فهذه الدُّنْيا نفيسة جدًّا، وثمينة جدًّا؛ لأنَّها وحدها التي تؤدِّي إلى رضوان الله تعالى، وإلى مثوبته، وليس هناك حياة غيرها؛ فليس هناك عُمْران للإنسان، من هنا كانت الدنيا في غاية النفاسة، وكان

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وقال: صحيح غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١١٠)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: زكريا بن منظور ضعَّفوه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٤٣)، عن سهل بن سعد.

QaradawiBooks.com

عمر الإنسان في هذه الحياة في غاية الأهمية؛ لأنَّه يُخطِّط فيه لمستقبله، يُخطِّط للخلود.

من هنا نقول: ليس الدين بعيدًا عن التفكير المستقبلي، بل هو في أساسه تفكير مستقبلي، فلا ينبغي أنْ يشغلَ الإنسانَ يومُه عن غده، ولا أنْ يشغلَه حاضرُه عن مستقبله، كلُّ ما في الأمر أنَّ الَّذين يتحدثون عن المستقبل يهتمون بالمستقبل الدنيوي قبل كل شيء، والإسلام ليس خصمًا لهذا النوع من التفكير.

التفكير المستقبلي ليس تهجما على الغيب:

إنَّ التفكير في المستقبل ليس تهجُّمًا على الغيب، ولا دخولًا في علم الله تعالى، الذي لا يعلمه الإنسان، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، بل هو أشبه بالأرصاد الجوِّيَّة، التي تتحدث عما يمكن أنْ يحدث من حرارة وبرودة، وغيوم وأمطار، هذا الرصد: هو استنتاج يقوم على العلم بأشياء واقعة تُنبئ بما يُتوقع، هو العلم بسنن الله وقوانينه في الحياة والأحياء والأشياء، للتوصِّل بها إلى ما يَحدث مستقبلًا، هو تَرَقُّب تُستنتجُ فيه المُسبَّبات من الأسباب، والنتائج من المُقدِّمات، ولهذا ليس هناك مانعٌ شرعي في أن نُفكِّرَ في المستقبل، لأنَّه ليس تهجُّمًا على الغيب.

التفكير المستقبلي ليس مضادًّا للأقدار:

كما أنَّ التفكير في المستقبل ليس مضادًّا للإيمان بالأقدار، فالأقدار لا تعني مخالفة السُّنن، كما يفهم بعض الناس أنَّ الإيمان بالقَدَر هو إيمان بالمُسبَّبات دون أسبابها، وبالنتائج دون مقدِّماتها، وهذا ليس بصحيح، فقد سئل النبيُّ ﷺ: يا رسول الله، أرأيت أدويةً نتداوى بها،

QaradawiBooks.com

وتُقاةً نتَّقِيها، ورقًى نسترقيها، هل تردُّ من قَدَرِ الله شيئًا؟ قال: «**هي من قَدَرِ الله**»[١]. الأدوية ـ مادِّيَّة أو معنويَّة ـ من قدر الله، كما أنَّ الأمراض مادِّيَّة أو معنويَّة من قدر الله، الأسباب من قدر الله، كما أنَّ المُسبَّبَات من قدر الله، فلماذا نرى أنَّ القدر يقع فقط على النتيجة ولا يقع على المُقَدِّمة؟ كلاهما من قدر الله، ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: ليس الرجل من يستسلم للقدر، وإنَّما الرجل من يُنازع القَدَرَ بالقَدَر[٢]. ينازع أقدار الله بأقدار الله.

ولهذا رأى الإمام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم، أنَّ الفقيه كلَّ الفقيه هو الَّذي يدفع أقدارًا بأقدار. ويقول: إنَّ الحياة كلَّها قائمة على ذلك، فنحن ندفع قَدَر الجوع بقَدَرِ الغذاء، وقَدَرَ العطش بقَدَرِ الشُّرب، وقَدَرَ العدو المهاجم بقَدَرِ المقاومة والجهاد، ومن هنا كان التفكير في المستقبل دفعًا للأقدار بالأقدار، اللهُ تعالى يُقدِّرُ أمرًا، ونحن نُفكِّر في دفع هذا القدر بقَدَرِ آخر مكَّننا الله تعالى منه.

التفكير المستقبليّ ليس مُناقضًا للتوكل:

كذلك ليس التفكير في المستقبل مناقضًا للتوكل على الله، كما يظنُّ بعض الناس؛ لأنَّ التوكل ليس معناه أن نترك الأمور تجري في أعنَّتها، ليس معناه أن نطَّرِح الأسباب، وندع السُّنَن الكونيَّة، ونعمل بعيدًا عنها وخارج إطارها.

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مُخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

(٢) العبودية لابن تيمية صـ٥٥، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٧، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

لا، التوكُّل أنْ تعمل في إطار السُّنن، تستخدم الأسباب للوصول إلى المُسبَّبَات، ثم تدع النتائج لقدر الله، أنت تبذر الحبَّ وترجُو الثمار من الربِّ، تختار الحبَّة الجيدة، وتبذرها في الأرض الطيِّبة، وتتعهدها بالرعاية والسقاية والتسميد، إلخ، ثم تدع النتيجة إلى الله، فإذا جاءت آفة سماوية فأهلكتها فهو قدر لا حيلة لك في دفعه، المهم أنك بذلت ما في وسعك وإمكانك.

ولذلك حينما جاء الرجل على ناقته إلى النبي ﷺ، وأراد أنْ يتركها أمام المسجد، وقال: يا رسول الله، أأتركها وأتوكل؟ أم أعقِلها وأتوكَّل؟ قال: «**بل اعْقِلْها وتوكَّل**»[1]. اربطها بالعِقال وتوكَّلْ.

والنبيُّ ﷺ نفسه كان يأخذ بالأسباب، فكان له حُرَّاس، وكان يرتدي مِغْفَره ودرعه في الجهاد، ودخل أحد المعارك مُظاهرًا بين درعين، وكان يدَّخِر لأهله قُوت سَنَة، وفي الهجرة أعدَّ العُدَّة وهيَّأ الوسائل، هيَّأ الرفيق الذي سيصطحبه، وهيَّأ الدليل الذي سيُرشده، وهيَّأ البديل عنه في مَبيتِه، ثم اختبأ في الغار هو وصاحبه، وهيَّأ من يأتيه بالزاد والأخبار في مخبئه، وهكذا كان رسول الله يأخذ بالأسباب.

فليس معنى التوكُّل على الله أنْ يدعَ الإنسان الأسباب، بل يأخذ بها ويدَع النتائج إلى ربِّها، ولذلك عندما فعل الرسول ﷺ في الهجرة ما فعل، ورتَّب ما رتَّب، حسب القدرة البشريَّة، وقع ما تخوَّفَه، ووصل المشركون إلى الغار، حتى إنَّ أبا بكر يقول: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. لو كلَّف أحدهم خاطره أنْ يطأطئ رأسه

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٧)، وقال: حديث غريب. وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٩٠/٨)، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (٢٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وينحني إلى أسفل لينظر ماذا في الغار؛ لوجد فيه أناسًا، فقال النبيُّ ﷺ في ثقة المؤمن، وإيمان الواثق: «**يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟**»[1]. هنا التوكل حقًّا، افعل ما عليك: رتِّب ودبِّر وخطِّط ونظِّم، ثم دع النتائج على الله.

فليس التفكير في المستقبل إذنْ مناقضًا للتوكُّل، كما أنَّه ليس مناقضًا للإيمان بالقَدَر، كما أنَّه ليس تهجُّمًا على الغيب.

الأساس الفكري للنظرة المستقبلية في الإسلام:

التفكير في المستقبل من شأن الإنسان المؤمن، الذي يجب أنْ يأخذ من يومه لغده، وأنْ ينظر فيما يمكن أنْ يحدث مستقبلًا. وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة لوجدنا الأساس الفكري للنظرة المستقبليَّة.

صحيح أنَّهم يقولون إنَّ الدراسات المستقبليَّة، أو الاستشرافات المستقبليَّة، أو علوم المستقبل هي علوم حديثة، فأول من فكَّر فيها هي وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) سنة ١٩٤٧م، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأول ظهور لها سنة ١٩٦٠م، فهي لذلك علوم حديثة.

والبعض يقول: لا نستطيع أن نسميها «علومَ» المستقبل، وإنَّما هي «رؤيةٌ» مستقبليَّة، أو «استشراف» مستقبليّ؛ لأنَّه ليس لها من القواعد العلميَّة ما يجعلها علمًا. وأيًّا ما كان اسمها فهي دراسات حديثة.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

النظرة المستقبلية في القرآن:

التهيؤ للمستقبل:

وبالنسبة لنا نحن المسلمين، نجد عندنا أرضيَّة للنظرة المستقبليَّة، من ذلك: قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦]، قالت عائشة رضي الله عنها، كما روى البخاري: نزلت هذه الآية، وأنا جارية ألعب[١]. وكان عمر رضي الله عنه يقرأ هذه الآية ويعجب، يقول: أي جَمْعٍ؟ وأيُّ هزيمةٍ؟ حتى كان يوم بدر وسمع النبيَّ ﷺ يقول وهو يشير إلى المشركين: «**لا أرغَمَ الله إلَّا هذه المعاطس** ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]». يقول عمر: فعلمت لماذا نزلت هذه الآية[٢]. نزلت لتُعِدَّ الإنسان المسلم لهذا اليوم، هكذا نجد القرآن الكريم يتحدَّث بهذه الصيغة المستقبليَّة في مكة.

ومن ذلك ما ورد في سورة المزمِّل، وهي من أوائل ما نزل من القرآن، فقد كان النبي ﷺ يقوم الليل، وكان الصحابة يقومون الليل ويعتبرونه واجبًا عليهم، ثم أنزل الله ما يُخفِّفُ عنهم هذا الأمر، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، علم الله بما سيكون من أمرهم، فنزلت الآيات لتُعِدَّهم وتراعي أحوالَهم في المستقبل، فهذه نظرة مستقبليَّة لإعداد المسلمين للغد المرتقب.

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨٧٦).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦٠٢/٢٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي أوائل سورة الروم نقرأ قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

المسلمون وهم قلَّة مستضعَفة في أرض مكة يخافون أنْ يتخطَّفهم الناس، مشغولون بصراع العمالقة من حولهم، صراع المُعسكرات العالميَّة الكُبرى، وقد كان العالم تتنازعه قوَّتان كبيرتان في ذلك الوقت: قوَّة الفرس في الشرق، وقوَّة الروم في الغرب، أشبه بما كنا نعلمه قديمًا عن الكتلتين الكبيرتين: الاتِّحاد السوفيتي، والولايات المتَّحدة وحلفائها، كتلتان تتنازعان السيادة على العالم، وهما في حرب مستمرة.

انتصر الفرس على الروم في إحدى هذه الجولات، فحزن المسلمون وفرح المشركون، فالمشركون يرون الفرس ـ الَّذين يعبدون النار ـ أقرب إليهم، والمسلمون يرون الروم ـ نصارى أهل كتاب ـ أقرب إليهم، وحدث جدل بين الفريقين، ونزل القرآن يُطمئن المسلمين إلى أنَّ الدنيا دُول، وأنَّ دوام الحال من المحال، وأنَّ هذه السُّنَّة ثابتة، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فإذا كانت الروم قد غُلِبَت اليوم، فهم بعد بضع سنين سيَغْلِبون، فهذا أمر مهمٌّ يدلُّنا من ناحية على أنَّه لا ينبغي للمسلمين أنْ يَغفُلوا عن صراع العالم من حولهم؛ فهم جزء لا يتجزأ من هذا العالم، ومن ناحية أخرى يبيِّن للمسلمين أنَّ الدنيا تتقلَّب، والدهرَ قُلَّبٌ، والأحوال في تغيُّر مستمر؛ فلا بدَّ أنْ يُعِدُّوا أنفسهم لهذا التغيُّر والتقلُّب.

QaradawiBooks.com

المستقبل للإسلام:

وهكذا، فمن نظر إلى القرآن يلحظ هذه النظرة المستقبلية في كثير من آياته، مثل الآيات التي تتحدث عن مستقبل الإسلام، ففي ثلاث آيات يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الصف: ٩، الفتح: ٢٨، التوبة: ٣٣]، وكقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ [النور: ٥٥].

التخطيط للمستقبل:

ويحدثنا القرآن عن مظهر من مظاهر النظرة المستقبليَّة، هو التَّخطيط، بمعنى أنْ يَحسِب الإنسان حساب الغد، ويحاول أنْ يضع الخُطَط لتلافي مشكلاته، فحينما أرسل الملك إلى يوسُف عليه السلام يستفتيه في رؤْياه: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦]، فَسَّرَ يوسُفُ عليه السلام رؤْيا الملك، بأنَّ السبع بقرات السمان هي سبع سنين خِصْبة منتِجَة، والسبع بقرات العِجاف بأنها سبع سنين مجدبة، ستأتي على وفرة الإنتاج في السبع الأولى وتأكلها.

لكنَّه عليه السلام لم يكتف بتفسيرها، بل وضع الخُطط والتدابير لإنقاذ البلاد والعباد من سوء ما يحلُّ بهما في المستقبل: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧ ـ ٤٩]، فهذه خطَّة في الاقتصاد الزراعي، ولم

QaradawiBooks.com

تكن المَجَاعة في مصر وحدها، بل كانت في مصر وما حولها، حتى إنَّ أهل فلسطين والشام كانوا يأتون إلى مصر يطلبون المؤنة، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ إشارة إلى موالاة الإنتاج وزيادته، فلا بدَّ أنْ تَجْهَدوا في هذه السنين جَهْدًا غير عادي، حتى تزيدوا من الإنتاج وتضاعفوه ما استطعتم، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، لا يكفي أن نزيد الإنتاج ثم نأكله، لا، بل نزيد في الإنتاج ونقلل في الاستهلاك، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، وما لا نأكله لا بدَّ أن ندَّخره ونُحَصِّنه بأسلوب آمن، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾، كما خلقه الله.

وهنا تأتي الإشارة القرآنيَّة المهمَّة إلى التفكير المستقبلي: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، التَّحكُّم في الاستهلاك، فهذه السنون السبع فاتحة أفواهها لتلتهم كل ما أنتجتم، لكنها لا تجد إلا ما تقدموه لهن، مما خصصتموه للاستهلاك، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، أي ما تدَّخروه من البذور لتزرعوه، فلا يجوز أنْ ينتهي القحط ويأتي الغيث ثم لا تجدوا بذورًا.

انظروا إلى هذه الخطَّة، إنَّنا نسمع الآن عن الخُطَّة الثُّلاثيَّة، والخُطَّة الخمسيَّة، وإذا زادوا يقولون: خُطَّة عشريَّة. وهذه خُطَّة لخمس عشرة سنة، تُمثِّلُ نظرة مستقبلية، وقد وكِّلت إلى يوسف عليه السلام، هو الذي وضعها، وهو الذي قام على تنفيذها، ولذلك نجحت؛ فليس المهم فقط أنْ تجد الخطَّة، ولكن المهم أيضًا أن تجد من يقوم على التنفيذ، ويملك القوة والأمانة، أو الحفظ والعلم كما عبر يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، أحفظ ما تحت يدي، أمينٌ لا أضيِّعه، خبير بما ينبغي أنْ يُفعَل، وهذان الأمران هما اللذان يحتاج إليهما النَّاس

QaradawiBooks.com

دائمًا، الحفظ والعلم، أو القـوَّة والأمانة، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

هكذا نجد في القرآن هذه الإشارات؛ لتعد العقول للنظرة المستقبلية، فليس غريبًا على الإنسان المسـلم أنْ ينظر في مستقبله، يفكر في الأمر: هل يصلح أو لا يصلح؟ هل أفعله أو لا أفعله؟

النظرة المستقبلية في السُّنَّة النبويَّة:

كذلك نجد السـنَّة النبويَّة تهتم بأمر المسـتقبل، فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع، من وجع أشرفت منه على الموت، فقلت يا رسول الله، بلغني ما ترى من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحـدة، أفأتصدَّق بثلثي مالـي؟ قال: «**لا**». قال: قلت: أفأتصدَّق بشـطره؟ قال: «**لا، الثلث، والثلث كثيـر؛ إنَّك أن تَذَرَ ورثتَك أغنياء خيرٌ من أنْ تذرَهُم عالةً يتكفَّفُون النَّاس**»[(١)].

انظر إلى أولادك من بعدك، «**إنَّك أن تذرَ ورثَتَك أغنياء خيرٌ من أن تذرَهُم عالة يتكفَّفُون الناس**»، ضع في حسبانك هذه الذريَّة، واعمل على كفايتها، كما قـال الله تعالـى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النسـاء: ٩]، لا يجوز أنْ تقول كما يقـول بعض الناس: اصرف ما في الجيـب، يأتيك ما في الغيب. ولا يَحسِـب حسـابًا للمسـتقبل، لا، لا بدَّ أنْ يَحسِب حسابه، ولذلك كان رسول الله ﷺ يدَّخر لأهله قوت سَنَة[(٢)].

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٢٧٤٢)، ومسلم (١٦٢٨)، كلاهما في الوصية، عن سعد.

(٢) رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٧)، عن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وفي الناس من وعى هذا الأمر، وعبَّر بعضهم عنه في مصر بقولهم: القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود. والقرآن يصف المتَّقين بقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، لم يقل: كل ما رزقناهم ينفقون. لا، بل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾، و﴿مِنْ﴾ هنا للتبعيض، كما يقول العلماء، أي ينفقون بعض ما رزقهم الله، والبعض الآخر يدَّخرونه، ومَنْ أنفق بعض ما يكتسب، وادَّخَر البعض الآخر، فقلما يفتقر. فهذا من تعليم النظر إلى المستقبل.

الهجرة إلى الحبشة تفكير مستقبلي:

ونحن نجد في السيرة النبويَّة أنَّ النبي ﷺ كان ينظر إلى المستقبل، فحينما أمر النبيُّ ﷺ الصحابة أنْ يهاجروا إلى الحبشة، هل كان هذا الأمر عشوائيًّا؟ أم كان نتيجة تفكير في مستقبل هذه الفئة المهاجِرة؟

لقد اختار لهم المكان المناسب جغرافيًّا؛ لأنَّه ليس مكانًا في جزيرة العرب، فيستطيع المشركون من قريش أنْ يؤثروا على أصحابه، وليس مكانًا في أرض غريبة بعيدة كالهند فيهلكون فيها، إنَّما مكان مناسب جغرافيا، لا هو بالبعيد، ولا هو بالقريب، كما أنَّه مكان مناسب دينيًّا؛ لأنَّ الحبشة نصارى من أهل الكتاب، فهم يُعتبرون أقرب إلى الَّذين آمنوا من المسلمين، وهو مكان مناسب سياسيًّا؛ فقد قال ﷺ لأصحابه: «**اذهبوا إلى الحَبَشة؛ فإنَّ بها ملكًا أرجو ألا تُظْلموا عندَه**»[1].

كان يعرف بأنَّ هذا الملك رجلٌ عادلٌ، ومثل هذا لا يمكن أنْ يفرِّط في اللاجئين السياسيِّين أو الدِّينيِّين الَّذين وصلوا إليه، ولا أنْ يُسلِمهم لأعدائهم، ولذلك حينما وصل عمرو بن العاص ـ ومعه رجل آخر من

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٠١/٢)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٦٩٠، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

قريش[١] ـ إلى الحبشة ليطالبان بعودة الصحابة، لم يستجب لهم هذا الملك. فهذا من اهتمامه ﷺ بالمستقبل، والشواهد في ذلك من السيرة والسُّنَّة النبويَّة كثيرة.

حُسن فهم أبواب الفتن والملاحم والأشراط:

هناك في كتب السُّنَّة أبواب تسمَّى أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة، تتحدَّث عما يحدث قبل قيام القيامة، وللأسف كثير من الَّذين يقرؤون هذه الأحاديث يخرجون بانطباع عن الدنيا، بأنها تنتقل من حسن إلى سيئ، ومن سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشد سوءًا، وأننا في آخر الزمان، وليس هناك إلا الشر والكفر، ولا أمل في إصلاح أو تغيير، وكثيرًا ما نسمع في هذا حديث: «**بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[٢]. أو حديث: «**لا يأتِي علَيكم زَمانٌ إلَّا الَّذي بعدَهُ شَرٌّ منهُ**»[٣]. إلى آخر هذه الأحاديث، الذي تُذكر وتُفسَّر بهذا التفسير، وتُنسَى الأحاديث الأخرى، وهذا أمر مُؤْسف، فينبغي أنْ تُفهَمَ هذه الأحاديث فهمًا صحيحًا، وأنا أجدها نوعين من الأحاديث: أحاديث مُحَذِّرات، وأحاديث مُبشِّرات.

أحاديث مُحَذِّرات:

الأحاديث المُحَذِّرات تُحذِّر الأمة من أمور معيَّنة، مثل الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يُوشِكُ الأمم أنْ تَدَاعَى عليكم، كما تَدَاعى الأكلة إلى قصعتها**». فقال قائل: ومن قلَّة نحن

(١) هو عبد الله بن أبي ربيعة.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، عن الزبير بن عدي.

QaradawiBooks.com

يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومَئذٍ كثير، ولكنَّكم غثاء كغثاء السَّيْل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهْنَ**». فقال قائلٌ: يا رسولَ الله وما الوَهْنُ؟ قال: «**حُبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**»[(١)].

قالوا: ومن قلَّة نحن يومئذ؟ ما الذي يجعل الأمم تطمع فينا كما يطمع الجياع في القِصاع، تريد أنْ تلتهمنا، هل سيكون عددنا قليلًا؟

قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غثاء كغثاء السَّيْل**»: أمَّةٌ مثل الأمَّة اليوم، عددها ألف وثلاث مائة مليون مسلم، أو مليار وثلث مليار مسلم، ولكنَّها كمٌّ بلا كيْف، كما قال الشاعر قديمًا:

يملؤون الأرضَ من كَثْرَتِهم ... ثُمَّ لا يُغنون في أمرٍ جَلَلِ[(٢)]

وكما قال الشاعر الآخر:

ما أكثر الناسُ، لا بل ما أقلَّهمُ ... اللهُ يَعلَمُ أَنّي لَم أَقُلْ فَنَدا

إنِّي لأفتحُ عيني حين أفتحها ... على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدًا[(٣)]

أرى كمًّا هائلًا من البشر، ولكن لا أجد أحدًا، لأنَّ العبرة ليست بالكمِّ.

«**ولكنكم غثاء كغثاء السَّيْل**»: ما يحمله السيل الهادر، فحينما ينزل السَّيْل يحمل من الحطب والخشب والعيدان والقش والأوراق، وغيرها، يجمع بينها: أنَّها أشياء خفيفة سطحيَّة، ولذلك لا تنزل إلى الأعماق،

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مُخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر تعريبه لكتاب: فتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر هامش ٣ صـ١٥٩، نشر مكتبة مدبولي القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

(٣) من شعر: دعبل. انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

وأنَّها أشياء غير متجانسة، وأنَّها لا هدف لها؛ لأنَّ السَّيْل ليس له هدف، بخلاف النهر، فله هدف، وله مَصَبٌّ معلوم، وله طريق مرسوم، أو مجرى محدَّد، أمَّا السَّيْل فيسير عشوائيًّا، ليس له هدف ولا طريق.

وكذلك الأُمَّة في المرحلة الغُثائيَّة، ليس لها هدف واضح، ولا طريق محدَّد، غير متجانسة، سطحيَّة في أمورها، هذا معنى غثائيَّة الأُمَّة.

«**ولينزعنَّ اللهُ من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم**»: ما عاد الناس يهابونكم ولا يرهبونكم، فقد قال النبيُّ ﷺ في الأمور التي خصه الله بها: «**نُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ**»[1]. كانت سيرتي تُذكر بين الأعداء على بُعد شهر فيرتعبون، لكن في مرحلة الغثاء تُنزع المهابة من المسلمين، فيستنسرُ عليهم البُغَاث، وتتذأبُ عليهم النِّعاج، ويجترئ عليهم الجبان، ويتعزَّز عليهم الذليل، كما نرى اليهود في عصرنا ـ وهم أحرص الناس على حياة ـ أصبحوا يركلوننا بأقدامهم، ولا يبالون بمائتين وخمسين مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين.

«**وليقذفنَّ اللهُ في قلوبكم الوهْن**». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهْن؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهية الموت**». هم لا يسألون النَّبيَّ ﷺ عن معنى الوهْن، لأنَّ معناه معروف وهو الضعف، ولكنهم يسألون عن سرِّ الوهْن، عن عِلَّته، من أين يأتي؟ فأشار إلى سبب نفسيّ أخلاقيّ، وهو أنَّ نفوس الأمَّة قد وهِنَت، وضعُفت معنويَّاتُها، فأصبحت تُحبُّ الدنيا وتكْره الموت، على خلاف ما كانت عليه الأُمَّة في أزمانها الأولى.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصَّلاة (٥٢١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

كان خالد بن الوليد حين يَلقى قادةَ الفُرسِ والروم في المعارك يدعوهم إلى الإسلام، يقول: أسلموا تسلَموا، وإلا رميتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة[١]. وهم الصحابة وتلاميذهم رضوان الله عليهم.

فهذا الحديث هو من أحاديث النبي ﷺ عن المستقبل، يُحذِّرنا من أنْ تصبح الأُمَّة غثاءً كغثاء السَّيْل، يُحذِّرنا من هذه الأمراض النفسيَّة والأخلاقيَّة، حُبُّ الدنيا وكراهية الموت، فينبغي أن ننظر إلى الأحاديث التي تُذكر في الفتن وآخر الزمان هذه النظرة.

وكذلك حينما يقول النبيُّ ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنن مَن قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه**». قلنا: يا رسول الله: اليهودَ، والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ؟**»[٢]. يُحذِّرُنا أنْ تفقد الأُمَّة ذاتيَّتها وشخصيَّتها المستقلَّة، وتصبح ذيلًا لغيرها وقد خلقها الله رأسًا، تصبح الأمَّة تابعة والمفروض أنْ تكون متبوعة، تتبع سنن من قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْر ضبٍّ لدخلوه.

والعرب يضربون بجُحر الضَّبِّ المثلَ في الالتواء والظُّلمة والرائحة الكريهة، ومع ذلك إذا دخله غيرُ المسلمين يصبح دخول جُحر الضَّبِّ «مُوضة»، وتَكتُب الصحف والمجلات والإعلانات عن جُحر الضبِّ لمن يريد، وهكذا الأُمَّة حينما تفقد ذاتيَّتها واستقلالَها، وتصبح تابعة لغيرها كما نرى الآن، فالنبيُّ ﷺ حين يذكر هذه الأمور في حديثه، يريد أنْ يحذِّرنا منها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وثق. عن الشعبي مرسلًا.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

فينبغي أن ننظر إلى أحاديث الفتن هذه النظـرة، وأنا أدعو إلى فهم أسرار ذكرها، فالنبيُّ لا يذكر كلامًا على عواهنه، بلا مضمون ولا فائدة، بل له أعظم الفائدة.

أحاديث مُبشِّرات:

وهناك أيضًا في الفتن والملاحم وأشراط الساعة أحاديث مُبشِّرات، ينبغي أن نأخذ منها البشرى، تبيِّن أنَّ المستقبل لهذه الأُمَّة، فلا ينبغي أن ننسى هذه المبشِّرات.

غربة الإسلام كيف نفهمها؟

وعلى من يذكر حديث: «**بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطُوبى للغرباء**»[١]. لا بـدَّ أنْ يفهم الحديث جيِّدًا، فالإسـلام حين بدأ غريبًا، ماذا حدث له؟

كان ضعيفًا فقوي، وكان محدودًا فانتشـر، كان خفِيًّا ثم ظهر، فهذه الغربة مَوْجة، كما يقول ابـن القيم[٢]، الاغتراب يكـون في زمان دون زمان، وفي مـكان دون مكان، وفي حـال دون حال، وعنـد قوم دون آخرين، هـو يغترب في مكان ليظهر في مكان آخر، الإسـلام خرج من أوربا من جهة الأندلس، ودخلها مع العثمانيين من جهة البلقان، وطرقوا أبواب «ڤيينا» أربع مرات، يعني أنَّه لا توجد للإسلام غربة مطلقة ودائمة، هكذا ينبغي أن نفهم هذا الحديث.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩١.

(٢) مدارج السالكين (١٨٦/٣)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ثم إنَّه ينبغي أن نفهمه في ضوء المبشِّرات الكثيرة الأخرى، من ذلك أنَّ النبي ﷺ قال: «**لَيبلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنَّهار، ولا يترك اللهُ بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليل، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفرَ**»(١).

يعني أنَّ أمر هذا الدين سينتشر، ويعمُّ نورُه الآفاق، ستخفق رايتُه على ربوع العالم، حيث بلغ الليل والنهار، حتى لا يبقى بيتٌ مبنيًّا من الحجارة أو الشعر، في الحضر أو البوادي، إلا أدخله الله هذا الدِّين، فسينتشر في العالَم كلِّه، وهذا يتَّفق مع قوله تعالى في آيات ثلاث: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩، الفتح: ٢٨، التوبة: ٣٣].

صحيح أنَّ الإسلام في عهد الصحابة والتابعين انتشر في معظم الدنيا القديمة، وتغلَّب على الوثنيَّة العربيَّة، وعلى اليهوديَّة، وعلى المجوسيَّة الفارسيَّة، وعلى المسيحيَّة إلى حدٍّ كبير؛ ولكن بقيت وثنيَّات كبرى في العالم، وبقيت المسيحيَّة في أراضٍ شتى، فرغم ظهور هذا الدين قديمًا إلا أنَّ الآية والحديث يؤكِّدان على بقاء هذا الظهور على جميع الأديان، فهذه مبشِّرات في المستقبل ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار.

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: سُئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هِرَقل تُفتح أوَّلًا**»، يعني قسطنطينيَّة(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

رُومِيَّة هي: روما، كما يقول ياقوت في معجم البلدان[١]، وقسطنطينيَّة: هي التي كانت عاصمة الدولة الرومانيَّة البيزنطيَّة، وهي الآن إستانبول، كأنَّ الصحابة كانوا سمعوا من النبي ﷺ أنَّ كلتا المدينتين ستُفتَح، والسؤال هنا: أي المدينتين تُفتح أولًا؟ فقال النبي ﷺ: «**مدينة هِرَقل تُفتح أوَّلًا**». وهي القسطنطينيَّة، وقد فُتِحت في الثامن والعشرين من مايو سنة ١٤٥٣م، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح محمد بن مُراد، الشهير في التاريخ باسم محمد الفاتح، وهو منذ كان عمره تسع عشرة سنة أخذ يفكر في فتح القسطنطينيَّة، حتى فتحها وهو في الثالثة والعشرين من عمره، ومن عدة سنين كان يحتفل إخواننا في حزب «الرفاه» التركي بهذه الذكرى، وقد أرادت تركيا العلمانيَّة أنْ تهيل التراب على هذا الفتح.

والشاهد من ذلك أنَّ القسطنطينيَّة فُتِحت، وبقي أن تُفتح رومِيَّة، ومعنى فتح رومِيَّة أنْ يدخل الإسلام إلى أوربا مرة أخرى، بعد أن طُرِد منها مرَّتين، مرة من الأندلس ومرة من البلقان.

وأنا أظنُّ أنَّ الفتح الإسلامي في هذه المرة قد لا يكون بالسيف، لعله فتح الدعوة والفكر، الفتح السِّلمي، وهو مذكور في القرآن الكريم، وله سورة تسمَّى سورة الفتح، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ [الفتح: ١]، هذا الفتح لم يكن بالسيف ولا بالحرب، بل كان بالصلح، صلح الحديبيَّة، ولذلك حينما نزلت السورة قال الصحابة: أفتحٌ هو يا رسول الله؟ قال: «**نعم، هو فتح**»[٢].

---

(١) معجم البلدان (١٠٠/٣)، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

(٢) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف.

QaradawiBooks.com

فلعل فتح أوربا ورومية المأمول يكون فتحًا بالدعوة والفكر إنْ شاء الله، حينما تشعر هذه البلاد أنَّها في حاجة إلى ما يروي ظمأها الروحي، ويملأ فراغها العقائدي، ويصل أرضها بالسماء، ودنياها بالآخرة، وعلمها بالإيمان، وماديتها بالروحيَّة المتوازنة؛ لأنَّ ميزة الإسلام أنَّه يعطيك الروح ولا يحرمك المادة، يصلك بالآخرة ولا يسلبك الدنيا، يعطيك الإيمان ولا يسلبك العلم، هذا هو توازن الإسلام.

فلعلَّ أوربا، ولعل الغرب، بعد أنْ وصل إلى القمر، وحاول غزوَ الكواكب، يشعر أنَّه رغم ذلك لم يُسعِد نفسَه على وجه الأرض، وأنَّه في حاجةٍ إلى السعادة والسكينة، ولن يجدها إلا في رسالة الإسلام، رسالة المنهج الوسط، للأُمَّة الوسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

مبشرات أخرى:

المبشِّرات عندنا كثيرة في الأحاديث النبويَّة، من ذلك قول النَّبي ﷺ: «**لا تقوم الساعةُ حتى تعودَ أرضُ العرب مُرُوجًا وأنهارًا**»[(١)]. ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي على الْحَقِّ ظاهرينَ، لِعدُوِّهم قاهرين، لا يضرُّهم مَن خالَفهم، إلَّا ما أصابهم مِنْ لَأْوَاءَ، حتَّى يأتيهم أَمْرُ الله وهُمْ كذلك**». قالوا: يا رسولَ الله! وأين هُم؟ قال: «**ببيتِ المَقْدِس، وأكناف بَيْتِ المَقْدِس**»[(٢)].

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم... إلخ، وهذا إسناده ضعيف. وأطالوا في التخريج فلينظر، والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادةً عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

هذا كلُّه يعطينا الأمل في المستقبل، حتى لا يُظْلِم علينا الطريق، وحتى لا تغلب عوامل اليأس فينا بواعثَ الأمل، هذا ما ينبغي أن ننظر في ضوئه إلى أحاديث المستقبل في السُّنَّة النبويَّة.

الصحابة والنظر إلى المستقبل:

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا ينظرون إلى المستقبل حينما جمعوا المصحف، فقد خشوا أنْ يُقتَل الحفَّاظ من الصحابة في المعارك والفتوحات فيضيع القرآن، وقال سيدنا عثمان رضي الله عنه: نُسجِّله بلهجة واحدة[١]، لهجة قريش؛ خشية أنْ يَستحرَّ القتل في القُرَّاء.

ومنع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قسمة أرض السواد على الفاتحين ـ أرض العراق ومصر وغيرها ـ وقال: أردت أمرًا يسع أوَّل الناس وآخرهم، فإذا وزعتها عليهم، فماذا يبقى لمن يأتي بعد؟

إنَّه ينظر إلى التكافل الزماني، فهناك تكافل مكاني أفقي: هو التكافل بين أقطار المسلمين بعضهم البعض، وهناك تكافل زماني: هو أنَّ اللاحق لا بدَّ أنْ يستفيد من السابق، وأنَّ السابق لا بدَّ أنْ يعمل لخير اللاحق، ولا يقول كلُّ أحد: نفسي نفسي. فتأكل الأجيال الحاليَّة حقوق الأجيال اللاحقة، كما قال سيِّدنا أبو بكر رضي الله عنه: لا يعجبني الرجلُ يأكلُ رزقَ أيَّامٍ في يوم واحد[٢]. بل لا بدَّ أنْ يُوَزِّع رزقه على الأيَّام، وكذلك ينبغي أن نُوَزِّع الرزق على الأجيال.

---

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في المناقب (٣٥٠٦)، عن أنس، أن عثمان، دعا زيد بن ثابت...: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا ذلك.

(٢) العقد الفريد (٢٢٧/٧).

QaradawiBooks.com

وهذه نظرة سيِّدنا عمر ـ ومعه عليُّ بن أبي طالب، ومُعاذ بن جبل وغيرهم ـ أنَّه نظر في أمر يسعُ أوَّل الناس وآخرهم، وقال لمعارضيه: أتريدون أنْ يأتي آخر الناس وليس لهم شيء، إنِّي أريد أمرًا يسع أوَّل الناس وآخرهم[١]. من أجل ذلك نرى أنَّ النظرة المستقبليَّة نظرة أساسيَّة عندنا نحن المسلمين.

الاستغراق في الماضي:

وإذا نظرنا إلى الناس نجد أناسًا ماضويِّين، مُغْرِقين في الماضويَّة، يعيشون في الزمن الماضي، لا يعرفون شيئًا لا عن الحاضر ولا عن المستقبل، هؤلاء هم الَّذين يقدِّسون الماضي بكل ما فيه، ويفكرون برؤوس الموتى والأقدمين، ويقولون: ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان، ما ترك الأول للآخر شيئًا. وقد قال الإمام بن عبد البر: ليس أضرَّ على العلم من هذه الكلمة التي يقول فيها القائل: ما ترك الأول للآخر شيئًا، فكم ترك الأول للآخر[٢].

الاستغراق في المستقبل:

ثم هناك أناس مغرقون في المستقبليَّة، على عكس الأوَّلين، يرفضون الماضي كله، وهم الَّذين سَخِر منهم الأديب الكبير مصطفى الرافعي حين قال: هؤلاء يريدون أنْ يجدِّدوا الدين واللغة والشمس والقمر[٣]. وقال عنهم شوقي، في قصيدته عن الأزهر:

---

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (١٤٧) تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر.

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤١٦/١).

(٣) من عبارة الرافعي على غلاف كتابه تحت راية القرآن.

QaradawiBooks.com

دَعْ عنكَ قولَ عِصَابَةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمِ أمرٍ مُنكَرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا مَنْ مات من آبائهم أو عُمِّرا
من كلِّ ساعٍ في القَدِيمِ وَهَدْمِه وإذا تقدَّم للبِنَايَةِ قَصَّرا[1]

فهؤلاء الَّذين يغرقون في المستقبل وينسون الماضي.

دعاة الوسط:

وهناك دعاة الوسطيَّة، الَّذين ينتفعون بالماضي ويستلهمونه، ويستفيدون ممَّا فيه، وينظرون إلى المستقبل ويعايشون الحاضر، والله تعالى خلق للإنسان ذاكرة تختزن الماضي، ومُخيِّلة تنظر إلى المستقبل.

أمَّا أن نحذف الذاكرة من الإنسان، ونحذف الفعل الماضي من علم النحو، وكلمة أمس، والوراء من اللغة، فليس من التوازن الَّذي نريده، فلا غنى عن النظر في الماضي، كما لا غنى عن النظر في المستقبل.

فقه الواقع:

نحن في حاجة أن ننظر إلى المستقبل، على أن نستفيد من الحاضر، لا يمكن لأمَّتنا أن تستشرف المستقبل، وهي تجهل الحاضر، وأمَّتنا للأسف تجهل حاضرَها، ولكي ننظر إلى المستقبل لا بدَّ أن نعايشَ هذا الحاضر ونفقهه.

وأنا دائمًا أنادي بفقه الواقع، أي فقه الحاضر، ومن الكلمات المأثورة: رحم اللهُ امرأً عرفَ زمانَه، فاستقامت طريقتُه. فلا بدَّ أن نعرف

(١) في قصيدته الأزهر، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١).

QaradawiBooks.com

زمانَنا لننطلق منه إلى المستقبل، نحن لا نعرف حاضرنا، أعداؤنا هم الَّذين يعرفون حاضرنا وواقعنا، كشفونا حتى النخاع، إذا أردت أن تعرف ماذا يجري عندنا في العالم العربي والإسلامي، فاقرأ تقارير الآخرين ودراساتِهم، نحن في معظم الأحيان نُخبِّئ هذا الواقع عن بعضنا، ولكنَّه معروف عند أعدائنا.

لا يمكن أن ننطلق إلى المستقبل ونحن نجهل الحاضر، فلا بدَّ أن نعايشَ الحاضر ونعرفه تمامًا، وننطلق منه إلى المستقبل بهذه الروح، وفي هذا الضوء، مستقيمين على الحقِّ المبين، لا ننسى الماضي ولا نغفل الحاضر، ولا نترك المستقبل، هذه هي الطريقة التي يدعونا إليها الإسلام لنتعايشَ مع زماننا كلِّه، بأمسه ويومه وغده.

أسال الله تبارك وتعالى أنْ يجعلَ يومنا خيرًا من أمسنا، وأنْ يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأنْ يُحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

والسلام عليكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

الإسلام والتطوُّر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(أمَّا بعد)

فقد شاء الله تعالى أن يُفتتح هذا الموسم في هذه الأيام المباركة، وهي إشارة خير، ومن حقكم عليَّ أن أشكر لكم حضوركم إلى هذا المكان؛ لنتفهم معًا ديننا وما يجب علينا نحوه، وأخص بالشكر وزارة الإعلام الَّتي شرفتني بالدعوة لافتتاح هذا الموسم الثقافي، الَّذي أسأل

(١) ألقيت بدولة الإمارات بدعوة من وزارة الإعلام في أول زيارة إلى إمارة أبو ظبي، عام ١٩٧٨م.

نسخة مجانية

الله تبارك وتعالى أن يُسهم في توعية هذه الأمة بدينها، وأن يفتح لها آفاقًا جديدة؛ حتى يكون يومها خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها.

ولعل وزارة الإعلام بهذا الافتتاح تزيل الحواجز أو أزمة الثقة الَّتي تكون عادة بين رجال الفكر الإسلامي ووزارات الإعلام، فوزارات الإعلام في موضع الاتهام بما تقدمه أجهزتها من أشياء لا يرضى عنها المتدينون عادة، ولكن مثل هذه المحاضرة تعطينا حقيقة، وهي أن أحدًا لا يضمر عداوة للإسلام، ولكن لعلها ضغوط ورواسب ومخلفات نرجو أن نتغلب عليها؛ حتى نخرج للناس فنًّا جديدًا، وتوجيهًا جديدًا، ونستخدم هذه الأجهزة الجبارة في توعية الناس بما لهم وما عليهم.

أيُّها الإخوة، إنَّني مسرور أن أكون بينكم في هذا البلد الطيب، وهي أول مرة أزور فيها أبو ظبي؛ على رغم قرب المسافة بين قطر وأبو ظبي، ولكن لم يشأ الله أن ييسر لي هذه الزيارة إلا هذه المرة، وكل شيء مرهون بوقته، وكل شيء بأجل مسمَّى، وأنا إن لم أزر هذا البلد الكريم بجسمي، ولم ألتق بكثير من أهله، فقد التقيت بكثير منهم، والتقى كثير منهم بي؛ عن طريق أجهزة الإعلام، وعن طريق الكتب، وعن طريق المجلات، فبيننا تعارف، وبيننا ود ثابت ودائم إن شاء الله.

أيُّها الإخوة والأخوات، موضوع محاضرتنا الليلة هو (الإسلام والتطوُّر)، المحاضرة مكتوبة، ولكنِّي في الحقيقة لم أتعود أن أقرأ من الورق، وأرى ـ أو هكذا يخيل إليَّ ـ أن قراءة المحاضرات من الورق تُميتُها، ولذلك اسمحوا لي أن أدع الورق ليُكتب في سجل المحاضرات ويُنقل، وأن أحدثكم نفسًا إلى نفس، وعقلًا إلى عقل، وقلبًا إلى قلب عن الإسلام والتطوُّر.

QaradawiBooks.com

ما الإســلام وما التطوُّر؟ لا بدَّ من تحديد المفاهيــم؛ فإن ترك هذه المصطلحات رجراجة مائعة دون أن تُحــدد يوقعنا في كثير من الخلط: خلط في التصور، وخلط في التقدير، وخلط في الحكم، وقد يؤدي إلى معركة وهميــة، يختلف النــاس بعضهم مع بعض، ولعلهــم لو حددوا المفاهيم، وعرف كل منهــم مراد صاحبه، لوجــدوا الخلاف كما يقول علماؤنا خلافًا لفظيًّا لا يستحق معركة ولا شجارًا.

ما هو الإسلام الَّذي نتحدَّث عنه؟

ما الإسلام؟ وما التطوُّر؟ أمَّا الإسلام فهو التعاليم الإلهيَّة الَّتي بعث الله بها مُحَمَّدًا ﷺ، هذا الإسلام ينبغي أن يُفهم كما فهمه السلف الأوَّل؛ خير قرون هذه الأُمَّــة: الصحابة ومن تبعهم بإحســان، هؤلاء هم أفهم الناس لمقاصد الإسلام، وأفقههم لروح الإسلام، فإذا اختلفنا على شيءٍ فيجب أن نعود إليهم، والجميع مردُّه كتابُ الله وسُنَّة رسوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

الإسلام الَّذي نتحدَّث عنه ـ إذن ـ هو إسلام القرآن والسُّنَّة، إسلام الصحابة والتابعين والقرون الأولى، أمَّا أفهام المتأخِّرين وآراء المُقَلِّدين فليست حُجَّة ـ إذن ـ على الإســلام، ومن القواعد المُقَرَّرة عند سلف هذه الأمة أن كل أحد يؤخذ من كلامــه ويُترك؛ إلا المعصوم ﷺ، هذا هو الإسلام.

ما المراد بالتطوُّر:

أمَّا التطوُّر فهي كلمة حديثة الاســتعمال في العربيَّة، أقرها المَجْمَع اللغوي، (تطوَّرَ) كلمة مجمعية معناها: انتقل وتحوَّل من طور إلى طور،

QaradawiBooks.com

أو من حال إلى حال أو من واقع إلى واقع[١]. وفي القرآن: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

هذه الكلمة ارتبطت أوَّل ما ظهرت بنظريَّة النشوء والارتقاء، الَّتي قال بها دارون وآخرون في عالم الأحياء، وانتقلت هذه النظريَّة من عالم الأحياء إلى عالم الأخلاق والأفكار والمعاني عند دعاة التطوُّر، من فلاسفة الأخلاق والاجتماع، مثل سبنسر وغيره.

ومعروف أنَّ المدرسة الماركسيَّة تتبنَّى التطوُّر المُطْلَق، وتربطه بمبدأ النقيض عندها، وتبني عليه تفسيرها المادي للتاريخ، وتتخذ هذا التطوُّر تكأة لها، وهذا لأنَّه لا ثبات لأيِّ شيء قط ـ عندهم ـ لا لعقيدة ولا لشريعة ولا لفضيلة ولا لشيءٍ قطُّ، ففي الماركسيَّة ما كان حقًّا بالأمس يمكن أن يكون باطلًا اليوم، وما كان حلالًا بالأمس يمكن أن يكون حرامًا، وما كان حرامًا يمكن أن يكون حلالًا، وما كان فضيلة اليوم يمكن أن يكون رذيلة غدًا، لا ثبات لشيء قطُّ، التطوُّر المطلق.

حينما نتحدَّث عن الإسلام والتطوُّر لا نتحدَّث عن نظريَّة دارون، فهذه قد كفانا أمرها علماء الحياة أنفسهم، بل بعض تلامذة دارون استدركوا على النظريَّة، وعدلوا فيها، وأثبتوا أنَّ الإنسان مخلوقٌ مُتَفَرِّد عن جميع الحيوانات الأخرى: تفرَّد الإنسان تقول به الداروينيَّة الحديثة، فهذه لا علاقة لها بنا! نحن نتحدَّث عن التطوُّر المعنوي، وبالذات التطوُّر في الحياة الاجتماعيَّة.

(١) انظر: المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة (ط. و. ر) ونصه: (تطور) تحول من طور إِلَى طور (مج). إشارة إلى أنَّه معنى مجمعي.

QaradawiBooks.com

موقف الإسلام من التطوُّر:

ما موقف الإسلام من التطوُّر؟ هل يقبل الإسلام التطوُّر ويُرَحِّب به؛ أم يُعارضه ويرفضه؟

على سنة البشر دائمًا في الإفراط والتفريط نرى أكثريَّة الَّذين يتحدَّثون أو يكتبون عن هذه الناحية، أو يعرضون للإسلام فئتين متقابلتَيْن:

أصحاب الجمود في الفكر:

صنف جامد يعرض الإسلام كأنَّه صخرة صُلْبة لا تتحرَّك ولا تلين، أقرب شيء إلى ألسنتهم وأقلامهم كلمة حرام، كل شيء عندهم حرام، التليفزيون حرام، والتصوير حرام، والسينما حرام، والأندية حرام، والأغاني حرام، والموسيقى حرام، كلُّ شيءٍ حرام، وإذا عرضوا للجانب الفقهي التزموا أقوال المُتأَخِّرين من الفقهاء، التزموا مذهبًا مُعَيَّنًا يعرضون من خلاله وجه الإسلام أو وجهة الإسلام، يقفون عند الأشكال ولا ينفذون إلى الحقائق، يجمدون على الوسائل دون أن يُنَفِّذوا إلى الأهداف، وهكذا، فهؤلاء صنف جامد من الناس، وهؤلاء خطر أيضًا.

المبالغون في المرونة:

يقابل هؤلاء فئة معاكسة تمامًا، تمثل الإسلام مرنًا كأنَّه عجينة لينة قابلة للتشكيل لأيِّ صورة، ولأيِّ شكلٍ كان، كلَّما ظهرت بدعةٌ جديدة، أو موضةٌ جديدة حاولوا أن يُبَرِّروها باسم الإسلام، وبمنطق الإسلام!

يريدون أن يُحِلُّوا الحرام، يريدون أن يُبَرِّروا الواقع، يريدون أن يأخذوا كلَّ شيء جاء من الغرب، ويعطوه سندًا شرعيًّا، ويتعسَّفون في

QaradawiBooks.com

هذا كلَّ التعسُّف، ويتكلَّفون أبلغ التكلُّف: يلوون أعناق النصوص، ويثنون أعنَّة الأدلَّة، ويريدون إسلامًا على مزاجهم:

أحيانًا يكون هذا الإسلام رأسماليًّا؛ إذا كانت الرأسمالية هي السائدة، وأحيانًا يكون هذا الإسلام اشتراكيًّا؛ إذا كانت الاشتراكية هي المسيطرة! وهكذا يتلون الإسلام، يأخذ شكل المذهب السائد، أو النظام الغالب، أو النظام الَّذي يتبناه الحكم!

هكذا للأسف نرى هؤلاء الناس، ما يقع فيه المجتمع يُراد له التبرير والتسويغ، يُراد له فتاوى في أمور النساء والمرأة، وأنا أقول: إن من أخطر الميادين الَّتي هُزم فيها المسلمون للأسف: ميدان المرأة، وميدان الاقتصاد، وميدان الفنون، هزم المسلمون فيها وساروا وراء غيرهم وفقدوا شخصيتهم! ساروا وراء غيرهم كما صور الحديث: «**شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ**». حتَّى قال النبيُّ ﷺ: «**حتَّى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه**»[1]. وجحر الضب يُضرب به المثل في الضيق والظلمة وسوء الرائحة ونتنها والالتواء، ومع هذا لو دخلوا جحر ضب لكان جحر الضب موضة، وبدعًا جديدًا، يجب أن يقلده الناس.

هؤلاء التطوُّريون الَّذين يريدون أن يبرروا الواقع ـ على هبوطه، وعلى بُعده عن الإسلام ـ مقابلون للفئة الأولى، هؤلاء مخطئون، وهؤلاء مخطئون.

الإسلام بين الثبات والمرونة:

الواقع أنَّ الإسلام فيه الثبات، وفيه القابلية للتطور معًا، أودعه الله الأمرين: ثباتًا، ومرونة يستطيع أن يواجه بها تغير الحياة وتطور

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

المجتمعات، هناك ثبات ولكنَّه ثبات على المبادئ، على الأهداف، على الأصول! تتغير الدنيا ولكن هذه المبادئ والأهداف والأصول لا تتغير، تزول الجبال الشم ولا تزول!

وهناك مرونة وتطـور في الفروع، في الجزئيات، في الوسـائل، في الأساليب.

هكذا يوجد في الإسلام أشـياء لا يتزحزح عنها، ولا يقبل فيها أي تبديل أو أي تغيير، وأشـياء يقبل فيها التبديل والتغيير، وتقبل التحويل والتطوير من وقت لآخر.

نجد في الإسـلام أحكامًا ثابتة، العقائد الأساسـية، العقائد الست: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقدر خيره وشـره، والأركان العملية الخمسـة المعروفة، والموبقات السـبع المذكورة في الحديث[1]، أصول المحرمات، أصول الرذائـل، أصول الفضائل والقيم الخلقية، الأحكام القطعية في شـؤون الزواج والطلاق والميراث والبيع والشراء والمعاملة بين الناس والجنايات والعقوبات.

كل هذه أشياء ثابتة لا يسـتطيع مجمع من المجامع، ولا مؤتمر من المؤتمرات، ولا خليفة من الخلفاء، ولا رئيس من الرؤساء، ولا جمهور من الناس أن يلغي شيئًا من هذا، أو يزحزحه عن مكانه! أن يعطيه قيمة أقل من قيمته، أو يجعله على الهامش بعد أن كان في الصلب، لا يستطيع أحد هذا! هذه أشـياء ثوابت، هـذه الثوابت هي الَّتي تمسـك الأمة أن تزول، أو أن تنقلب على وجهها، أو أن تنزاح عن مكانها، هذه هي الَّتي تمثل الوحدة الفكرية والشـعورية والسـلوكية للأمة، مواضع الإجماع

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

اليقينـــي، ما عُلِم من الدين بالضـــرورة، ما اتفق عليه الكتاب والسُّـــنَّة، ما تواترت به الأحاديث، ما أجمع عليه المســـلمون جيلًا بعد جيل، هذا لا يمكن أن يحدث فيه تطور ولا تغيير أو يقبل مرونة قط.

ولكـــن هناك أشـــياء أخرى تقبـــل التطـــوُّر، تقبل المرونـــة: الأحكام الاجتهاديَّة، الأحكام الظنية الثبوت الظنية الدلالة، الَّتي تقبل أكثر من فهم وأكثر من تفسير، ويمكن أن يتغير بها الاجتهاد من بيئة لأخرى، ومن وقت لآخر، هذه أحكام قابلـــة للتطور والتغير، وهذا ما جعـــل فقهاءنا يقولون: تتغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد والأعراف. وكتب في هذا الإمام ابن القيم فصله الجليل فـــي كتابه «إعلام الموقعين»، وذكر بأن عدم فهم أن هناك جانبًا متغيِّرًا أدخل غلطًا على الشريعة، وأخرجها من الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبث وهكذا[1]، فيجب أن نعرف أن هناك أحكامًا ثابتة وأحكامًا متغيرة، ونقر بأن الإسلام اشتمل على هذين الجانبين.

الثبات والتغير في الكون كله:

بل الكون نفسه يدلنا على أن به جانبًا ثابتًا وجانبًا متغيرًا! إذا نظرنا إلى الوجود من حولنا نجد هناك أشياء ثابتة وأشياء متغيرة، هناك شمس وقمر، هناك نجوم مســـخرات بأمر الله، هناك أرض وجبال ويابسة وماء محيطات وبحار، هذه أشياء ثابتة، لم نر الشمس تغيرت، ولا القمر تغير، ولا هذه السنن الكونية تغيرت، هذه السنن ثابتة: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

(١) إعلام الموقعين (١١/٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبرغم هذا الثبات في هـذه الكونيات نرى تغيُّـرًا، ولكنَّه تغير في الجزئيات، نرى ما يطرأ على اليابسـة يأكل من الشـاطئ، أو جزءًا من اليابسة يزحف على البحر! جزرًا تنشأ من البحار، ومياهًا تأكل الشواطئ، بلادًا تعمر وبلادًا تخرب، أرضًا تخضر بعد أن كانت صُفرًا، وأرضًا تيبس بعد أن كان تترعرع، وهكذا الكون؛ الجوهر باق، ولكن الجزئيات تتغير.

الثبات والتغير في الحياة الإنسانية:

كذلك الأمر في الحياة الإنسـانية نجد جوهر الإنسان باقيًا كما هو، منذ خلق الله آدم كما نعلم خلقه: إنسانًا له غرائز، أو دوافع، تطلب الأكل والشرب والجنس، عنده غريزة حب البقاء، هذه الدوافع والغرائز هي الَّتي دفعت آدم قديمًا إلى أن يصدق وسوسة الشـيطان: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]، ودلَّاه هو وزوجته بغرور، ووظف الغريزة فيما أراد: ﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾ [طـه: ١٢٠]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢]، قابلية الإنسان لأن يخطئ ويعصي، وقابليته لأن يعصي، ويتوب، ويستيقظ ضميره: هذا هو جوهر الإنسان.

من عهد ابني آدم وجدنا أن هناك الخيِّر وهناك الشرير!

هناك الشـرير الَّذي يريد أن يقتل أخاه بغير ذنب: ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ ﴾ [المائدة: ٢٧]، لأن قربانه تُقبِّل ولم يُتقبل من الآخر قربانه!

ونجد الإنسان الخيِّر الَّذي يقول له: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨].

هذان النموذجان لا يـزالان موجودين إلى اليوم، الخيِّر والشـرير، يوجد الخيرون من الناس الَّذين يتركون الشـر؛ وإن قدروا عليه، ويوجد

QaradawiBooks.com

الشرير الَّذي يقتل! صحيح أن ابن آدم قتل أخاه في فجر البشرية، يوم لم يكن الإنسان يستطيع أن يعرف كيف يواري جثة أخيه، حتى علَّمه الغراب! الآن استطاع الإنسان أن يعرف كيف يواري جثة ببعض الأحماض الكيماوية فيزيل أثرها نهائيًا! ولكن الإنسان هو الإنسان، تغير الشكل أو تغيرت المظاهر حول الإنسان، عرف الإنسان كثيرًا من الأشياء حوله، تغير استخدامه للأشياء، كان يأكل الطعام نيئًا، ثمَّ تعلم كيف يطهوه ويطبخه عن الطريق النار العادية، ثمَّ عن طريق موقد، ثمَّ تطور الموقد نفسه من كيروسين إلى بوتاجاز إلى كهرباء، ولكن الإنسان هو نفسه لا يزال يأكل ويشرب، ويجوع ويشبع، ويظمأ ويرتوي، فجوهر الإنسان لم يتغير.

ملاءمة الإسلام للفطرة البشرية والكونية:

وإذا كان هذا في الإنسان، وفي الكون نفسه ـ ثباتًا وتغيرًا ـ فإن من مقتضى الحكمة الإلٰهية أن يأتي الإسلام ملائمًا لفطرة الكون، ولفطرة الإنسان، يراعي هذين الجانبين، فيشتمل على الثبات وعلى التغير معًا، هذا أمر نفهمه! وإذا كان في الفلاسفة من قديم من قال بأن الكون قائم على مبدأ الصيرورة والتغير، فهناك أيضًا من قال بأن الكون قائم على مبدأ الثبات، وأن هذا التغير ظاهري فيه، والحقيقة أن هناك ثباتًا وتغيرًا معًا، وهكذا نرى الإسلام يرعى هذين الجانبين.

علينا إذن نحن المسلمين؛ إذا أردنا أن نفهم إسلامنا أن نفهمه على هذا الأساس، وإذا رجعنا إلى مصادرنا الأساسية، إذا رجعنا إلى القرآن، أو إلى السُّنَّة، أو إلى هدي الصحابة، أو إلى فقه شريعتنا، ماذا نجد؟ نجد الثبات والتطوُّر معًا، الثبات والمرونة.

QaradawiBooks.com

الثبات في المبادئ:

نجد القرآن يمثل الثبات في بعض الجوانب: إذا قال الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. أو: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. هذا يمثل الثبات، الشورى مبدأ إسلامي يوضع بجوار الصلاة والزكاة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

المرونة في التطبيق:

ولكن كيف نطبق الشورى؟ أيكون باستفتاء عام؟ واستفتاء مباشر أم غير مباشر؟ واستفتاء جميع الناس أم المثقفين والمتعلمين منهم، أم يستشار رؤساء القبائل

ووجوه الناس؟ الخاصة أم العامة؟

كيف يكون هذا الاستفتاء؟ هل يكون على درجة أم على درجتين؟

هذا لم يفصِّله القرآن، ولم تفصِّله السُّنَّة، لماذا؟ لأنَّنا نجد هنا المرونة والتطوُّر، لم يشأ الله تعالى أن يلزمنا بصورة معينة؛ لأن هذه الصورة قد تصلح لزمن ولا تصلح لآخر، وتصلح لبيئة ولا تصلح لأخرى! ولهذا نبقى على المبدأ، ونبقى على الهدف، أمَّا الأسلوب والوسيلة، فلم ينص الله تعالى عليه، نصَّ على مبدأ الشورى وترك لنا أن نختار الأسلوب المناسب، أتاح لنا الفرصة لنختار ما يناسب أوضاعنا، ويناسب تطورنا الحضاري، ونرى ما هو أصلح لنا، فنجد الثبات في جانب والمرونة في جانب.

وإذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. الحكم بالعدل فريضة، والحكم بما أنزل الله فريضة، ولكن كيف يكون الحكم؟ كيف يكون القضاء؟

QaradawiBooks.com

أيكون هناك تخصص في المحاكم؟ بعض المحاكم تنظر في الأمور المالية، وبعضها ينظر في الأمور الجنائية، وبعضها ينظر الأمور الأسرية مثلًا؟

أيكون القاضي واحدًا أم يكون أكثر من قاض؛ وخاصة في القضايا الكبيرة؟

أتكون المحاكم درجة واحدة أم درجات؟

هذه أمور لم يفصلها القرآن، ولم تفصلها السُّنَّة، ولهذا تركاها لنا، ومن هنا استحدث المسلمون من أساليب الحكم ما كان أصلح لهم.

في عهد النبي ﷺ لم يكن هناك قاضٍ متفرغ، ولا في عهد أبي بكر، كان الوالي هو القاضي وهو المعلم وهو الإمام وهو الواعظ، ثمَّ رأى عمر رضي الله عنه أن مشاكل الناس كثرت، فأراد أن يخصص أناسًا للقضاء مثل أبي موسى الأشعري، وشريح، وكعب بن سوار وغيرهم، وبعد مدة أنشأ قضاء اسمه قضاء المظالم، القضاء الَّذي يسمى اليوم القضاء الإداري، أو مجلس الدولة، أو نحو ذلك.

وهكذا اخترع المسلمون نظامًا يطبقون به مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو نظام الحسبة، وأُلِّفت فيه كتب!

هكذا نجد في القرآن الثبات والمرونة، الثبات في المبادئ الَّتي أوجدها القرآن، والمرونة في الأساليب والصور الَّتي تركها القرآن للناس.

نماذج من الثبات والمرونة في القرآن والسُّنَّة:

مثلًا القرآن أحيانًا يقرر أحكامًا ثمَّ يستثني منها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]. قوله:

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾. يمثل الثبات، ولكن قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾. يمثل المرونة: أن عند الضرورات تباح المحظورات، ولكن قيَّد الضرورة بقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾. غير باغ، أي غير ظالم أو متعد، وغير عادٍ أي على حق غيره، أو غير عاد قدر الضرورة! ومن هنا قيد الفقهاء مبدأ الضرورة بقيد آخر أو بقاعدة أخرى، فقالوا: ما أبيح للضرورة يقدر بقدره، فهذا جانب الثبات وجانب المرونة.

الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]. عدم الولاء للكفار يمثل الثبات، والاستثناء يمثل المرونة، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، حتى لا يضيق على الناس حياتهم ومعايشهم، وهكذا إذا قرأت القرآن تجد أمثلة كثيرة للثبات والمرونة معًا.

وإذا درسنا السُّنَّة النبويَّة نجد النبي ﷺ يمثل الجانبين معًا، الثبات والمرونة، الثبات فيما يجب فيه الثبات: في أمور العقائد، في المبادئ، في الأهداف! لا تساهل، لا ترخص، لا تنازل!

حينما عرض عليه المشركون أن يعبد المسلمون إلههم سنة، ويعبدوا هم إلٰه المسلمين سنة ـ لقاء في منتصف الطريق، أو أنصاف الحلول كما يقولون، الحل الوسط ـ رفض هذا، ونزل القرآن يعلم المسلمين: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. ولعل هذا التكرار والتأكيد لقطع الأطماع، وحسم هذه المفاوضات الباطلة الأطماع! لا تفكير في مثل هذا، وكذلك كلمة النبي ﷺ المشهورة لعمه:

QaradawiBooks.com

«**واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يَمِيني والقمرَ في يَسَاري؛ على أن أتركَ هذا الأمر، ما تركته؛ حتَّى يُظهره اللهُ أو أهلك دونه**»[١]. هذه أمور مبدئيَّة.

وحين بعث مُسَيْلِمة الكذَّاب إلى النبيِّ ﷺ يقول: إنَّ الله بعثني كما بعثك، وإنَّ لنا نصف الأرض ولقريش نصفها. بعث إليه النبيُّ ﷺ يقول: «**من مُحَمَّد رسولِ الله إلى مُسَيْلِمة الكذَّاب، أمَّا بعد، فإنَّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمُتَّقين**»[٢]. في أمور العقائد، أمور المبادئ، ليس هناك ترخُّص ولا لين ولا مرونة.

لكن هناك مواقف أخرى نجد النبيَّ عليه الصلاة والسلام مرنًا فيها غاية المرونة، نجد موقفه يوم الحديبية حينما كتب عهد الصلح بينه وبين سُهَيْل بن عمرو مندوب قريش، قال: بسم الله الرحمن الرحيم. قال: لا نعرف بسم الله الرحمن الرحيم، إنَّما نعرف باسمك اللهمَّ. قال: امحُها يا عليُّ. فمحاها، وكتب: هذا ما اتَّفق عليه مُحَمَّد رسول الله وسُهَيْل بن عمرو. قال: لا، لو عرفنا أنَّكَ رسول ما منعناك. قال: امحُها يا عليُّ. قال: والله لا أمحو رسالتك يا رسولَ الله. فأشاروا للنبيِّ عليها فمحاها، وقال: «**والله لا تدعوني قريشٌ اليومَ إلى خُطَّة فيها صلةُ رحمٍ إلَّا أجبتهم إليها**». وقبل من الشروط ما في ظاهره إجحاف بالمسلمين[٣].

هذه المرونة في سياسة الدعوة، وفي المعاملة من الناس! والسُّنَّة النبويَّة مليئة بهذه المواقف، ولست في حاجة إلى أن أستفيض فيها.

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣٢٦/٢).

(٢) رواه ابن قانع في معجم الصحابة (١٤٨/٣)، عن نُعَيْم بن مسعود. تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣) رواه أحمد (١٨٩١٠) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. عن المسور بن مخرمة، ومروان ابن الحكم.

QaradawiBooks.com

الثبات والمرونة عند الصحابة:

والصحابة رضوان الله عليهم نجدهم أيضًا في مواقف ثابتين كالجبال، وفي مواقف أخرى في غاية من المرونة، أبو بكر في موقف كموقف مانعي الزكاة الَّذي جعل رجلًا كعمر يتراخى بعض الشيء، ويقول: يا خليفة رسول الله، أغلق بيتك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا. فيقول أبو بكر: أجبَّارٌ في الجاهليَّة خوَّار في الإسلام يا عمر؟ أأرجو نصرتك فتجيئني بخذلانك؟ والله لو منعوني عقالًا كانوا يُؤَدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[١]. ويصرُّ على موقفه، لا هوادة في مثل هذا.

ولكنَّ أبا بكر نجده في مواقف أخرى مع خالد بن الوليد وخطئه في بعض الحروب، وعمر نفسه يُكَلِّمه في ذلك، فيقول: واللهِ لا أغمدُ سيفًا سلَّه الله[٢]. حتَّى لو أخطأ، الموقف يحتمل التأويل، فلعلَّه أخطأ في تقدير الموقف، وجهاد خالد ومواقفه السابقة تشفع له، والنبيُّ ﷺ سبق له موقف كهذا مع حاطب ابن أبي بلتعة، الَّذي أراد أن يبلغ المشركين عن تحرُّك جيش الإسلام في الفتح، وقال له عمر: دعني أضرب عنقَه يا رسول الله؛ فقد نافق. فقال: «**يا عمر، ما يُدْريكم لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم؛ فإنِّي قد غفرتُ لكم**»[٣]. هذه هي المرونة في تقدير هذه المواقف الجزئيَّة.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متَّفق عليه: بغير هذا اللفظ، رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٦٠٣/٦).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤).

QaradawiBooks.com

وكان عمر بن الخطَّاب في بعض المواقف لا يلين ولا يتزحزح أبدًا، في موقفه مثلًا مع جبلة بن الأيهم الأمير الغسَّاني الَّذي لطم رجلًا من المسلمين بغير حقٍّ، وأصرَّ الرجلُ أن يأخذ بحقِّه، وأن يقتصَّ منه، فقال له عمر: إمَّا أن تُرْضِيَ الرجل وإمَّا أن يقتصَّ منك. قال: أوْ شيء غير ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا شيء غير ذلك. فغلبت على الرجل الشِّقوة للأسف، وأنِفَت نفسُه، واستكبر أن ينقاد للحقِّ والقِصَاص، وترك المدينة مرتدًّا عن الإسلام[1].

لعلَّ بعض النَّاس يلوم عمر أنَّه كان ينبغي أن يكون مرنًا أكثر من هذا، ولا يُضيِّع هذا الشخص، ويخسر الإسلام شخصًا كان أميرًا، ولكنَّ عمر كان يرى أنَّه لا يجوز التهاون في مبدأ المساواة في العقوبات، وفي التكاليف الشرعيَّة، هذا مبدأ ينبغي أن يعض عليه بالنواجذ، ولو خسر الإسلام فردًا أو أفرادًا.

ولكن نجد عمر مرنًا في أمور أخرى، في عام المجاعة نرى عمر يؤخر أخذ الزكاة من أصحاب الإبل، لأنَّ حالتهم ضعفت، وهم في حاجة إلى إبلهم! تركهم رفقًا بهم إلى العام القادم ليأخذ زكاة عامين، وفي نفس هذا العام عام المجاعة لم يقطع أيدي السارقين، لم يُقِمْ حدَّ السرقة؛ لأنَّه رأى أنَّ هناك شبهة، شبهة المجاعة، أنَّ الناس إذا سرقوا فإنَّما يسرقون من حاجة، والحدود تُدرأ بالشبهات! فهذا هو هدي الصحابة يُمَثِّل الثبات في جانب، والمرونة في جانب.

المرونة والثبات في الفقه الإسلامي:

وفي الفقه الإسلامي ـ في عصور ازدهاره ـ نجد أيضًا فقهاء المسلمين يمثلون هذا تمامًا، هناك الأحكام القطعية الَّتي قلنا عنها: إنَّه

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/٧٢).

QaradawiBooks.com

لا مجال فيها لاجتهاد. ولكن هناك الأحكام الجزئية، هناك الأحكام الثابتة بنصوص محتملة، النصوص غير قطعية الدلالة ـ كما يقول الأصوليون ـ تحتمل أكثر من فهم، وأكثر من رأي، وأكثر من تفسير؛ هنا مجال الاجتهاد، مجال الاجتهاد مفتوح، وأسباب الاختلاف بين الفقهاء في هذا كثيرة جدًّا، أُلِّفت فيها رسائل وكتب.

هناك أيضًا منطقة العفو، أو منطقة الفراغ التشريعي، نحن نعلم أنَّ الإسلام لم ينص على كل شيء، وإنَّما نص على بعض الأشياء وترك بعض الأشياء دون أن ينص على حكم فيها، ولم يفعل هذا اعتباطًا، إنَّما فعل هذا عمدًا، تيسيرًا من الله ﷻ، وجاءت بهذا عدَّة أحاديث، منها الحديث المذكور في الأربعين النووية: «**إنَّ الله حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تُضَيِّعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء رحمة بكم غيرَ نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[1].

هناك حدود مُقَدَّرة لا تُقْتَحَم، إذا قال الله ﷻ: إنَّ عدَّة المُطَلَّقة ثلاثة قروء، أو الآيسة ثلاثة أشهر، أو المتوفَّى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام؛ فلا نستطيع أن نُغَيِّر هذه الحدود! حدود أي مقادير! إذا قال: إنَّ للذكر مثلَ حظِّ الأنثيين، أو إذا ترك الإنسان أبوين وله ولد، فلكل منهما السدس، أو للزوجة الربع في بعض الأحيان، والثمن في بعض الأحيان؛ فلا يملك أحد أن يغير هذه الحدود.

وهناك فرائض لا تضيع، هناك صلاة لا يجوز أن يأتي أحد أن يقول: إنَّ الصلاة شرعت لتهذيب النفس، وتعويد الإنسان ضبط

(١) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢)، وقال الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية صـ٤٤: حسن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

QaradawiBooks.com

مواعيده ونحو ذلك؛ فإذا استطاع الإنسان أن يحقق هذا بوسيلة أخرى فلا داعي للصلاة! وإن الزكاة شرعت لتحقيق ضمان اجتماعي، فإذا تحقق الضمان الاجتماعي فلا داعي للزكاة! وأن الصوم كان في العصور السابقة، أمَّا الآن فالناس يعملون والصوم يؤثر على الإنتاج ونحو ذلك. ولا يجوز ـ وهذا في العنصر الثالث: وحرم أشياء فلا تنتهكوها ـ أن يقول: إذا أبحنا الخمر، فإنها تجذب السياح إلى بلادنا ونكتسب العملة الصعبة، أو نظهر أمام الناس بأننا متحررون أو تقدميون. لا يجوز شيء من هذا، فالفرائض والمحارم والحدود هي أشياء ثابتة تمامًا.

ولكن ربنا ترك أشياء لم ينص عليها، لم يحد فيها حدًّا، ولم يبين فيها فرضًا، ولا حرمها، فهذه متروكة بغير نسيان من الله تعالى، تركها تيسيرًا فلا تبحثوا عنها: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، هي منطقة العفو! كما جاء في الحديث الآخر أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما أحلَّ اللهُ في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما ترك فهو عفوٌ؛ فاقبلوا من الله عافيته**». ثمَّ تلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][1].

اتِّجاهات الفقه الإسلامي:

منطقة العفو، أو منطقة الفراغ هذه، نستطيع أن نملأها بالقياس على المنصوص عليه، بالاستحسان الأصولي، بالاستصلاح، أو مراعاة المصلحة المرسلة، برعاية العرف، وغير ذلك، هناك أدلة اختلف الناس فيها؛ ما بين مضيق وموسع، وفيها متسع لمن أخذ بها، ولمن قال بها، فهناك أمام الفقيه

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

منطقة الفراغ التشريعي ومنطقة النصوص المحتملة، وهما يُمَثِّلان المرونة والتطوُّر، أمَّا منطقة الأحكام القطعيَّة فهي تُمَثِّل الثبات.

ويمكن أن نضرب مثلًا بتملك الأرض وجواز استغلالها، هذا أمر ثابت، لكن كيف تُستغلُّ الأرض؟ هل تُسْتَغَلُّ بالمزارعة؟ هل تُسْتَغَلُّ بالمؤاجرة؟ هل تُسْتَغَلُّ بكلا الأمرَيْن؟ أم لا تستغل بهذا ولا ذاك، وإنَّما يجب أن يزرعها صاحبها بنفسه؛ وإلَّا أعارها لأخيه كما في بعض الأحاديث: «**من كانت له أرضٌ فلْيَزْرَعْها أو يَمْنَحْها**»[1]؟

اتِّجاهات في الفقه الإسلامي، ولكلٍّ منها وجهته، ولكلٍّ منها أدلَّتُه! ويستطيع الفقيه المسلم أن يُرَجِّح منها مذهبًا من المذاهب؛ بمقتضى الأدلَّة طبعًا، بمقتضى قواعد الترجيح، ويختار منها ما هو أقرب إلى مبادئ الإسلام، إلى مقاصد الشرع، إلى تحقيق مصالح الخلق! ولا يلومه أحد، ولا ينكر عليه أحد؛ ما دام مجتهدًا استوفى شروط الاجتهاد؛ لأنَّ العلماء قرَّروا أنَّه لا إنكار في المسائل الاجتهاديَّة، لا ينكر مجتهد على مجتهد.

مراعاة الفتوى لأحوال السائلين:

كل هذا يبين لنا كيف أنَّ فقهاءنا وأئمتنا كانوا يمثلون هذين الجانبين، الثبات والمرونة، وقد قلت لكم: إنهم قرروا هذا المبدأ: أنَّ الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد والأعراف، وهذا ثابت منذ عهد النبي ﷺ، فقد كان يجيب عن السؤال الواحد بأكثر من إجابة، لأنَّه يراعي أحوال السائلين، فالرجل غير المرأة، والبدوي غير الحضري، والعصبي غير هادئ المزاج، فالنساء يسألْنَه عن أفضل الأعمال وعن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٠)، ومسلم في البيوع (١٥٣٦)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

الجهاد فيقول لهن: «**أفضلُ الجهادِ حجٌّ مبرور**»[١]. بينما حينما سأله الرجال عن أفضل الأعمال بعد الإيمان قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[٢]. ولكن بالنسبة للمرأة ليس هو الجهاد، وقال: «**حُسْنُ تبعُّل المرأةِ لزوجها جهادٌ في سبيل الله**»[٣]. حسن قيامها بحقوق الزوجية جهاد، وهكذا يسأله واحد عصبي: أوصني يا رسول الله؟ فيقول له: «**لا تغضَبْ**». ثمَّ يقول: أوصني؟ فيقول: «**لا تغضبْ**». فيقول: أوصني. فيقول: «**لا تغضبْ**»[٤]. بينما يقول لغيره شيئًا آخر! هذا من تغيُّر الفتوى بتغيُّر أحوال السائلين.

روى أبو داود في سُنَنه: أنَّ رجلًا سأل النبيَّ ﷺ عن القُبلة للصائم فنهاه عنها، وسأله آخر عن القبلة للصائم فرخص له فيها، فإذا الَّذي نهاه شابٌّ، والَّذي رخَّص له شيخ[٥]، إذن تغيَّرت الفتوى بتغيُّر حال السائل: الشابُّ الَّذي يُخشى ألَّا يملك إربَه، ولا يضبط نفسه أغلق دونه الباب، بينما الشيخ الآمن على نفسه فتح له الباب.

اجتهاد الإمام لما فيه مصلحة الأُمَّة:

وهكذا نجد الصحابة أنفسهم غيروا فتواهم في كثير من الأمور: في عقوبة شارب الخمر، في زكاة الخيل في عهد عمر، في طلاق الثلاث، كان الطلاق الثلاث في عهد النبي ﷺ، وعهد خلافة أبي بكر، وفي صدر

---

(١) رواه البخاري في الحج (١٥٢٠)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) جزء من حديث طويل، رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٧٥١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٣٦٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٦٢٤٢)، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية.

(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أبو داود في الصوم (٢٣٨٧)، وجوَّد إسناده النووي في المجموع (٣٥٤/٦، ٣٥٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

خلافة عمر ـ يقع طلقة واحدة! ثمَّ رأى عمر أن يعاقب من طلق الثلاث بأن يوقع عليه الثلاث.

والنبيُّ ﷺ كان له موقف من قسمة الأرض المفتوحة، فقسمها على الفاتحين في خيبر، بينما عمر رضي الله عنه كان له موقف آخر؛ حين فتح سواد العراق، رأى أنَّه لو قسمت هذه الأرض الضخمة كلها على مجموعة صغيرة العدد من الفاتحين، ماذا يبقى للمسلمين فيما بعد؟ ففكر هو وبعض الصحابة مثل علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل أنَّ الأصلح أن تبقى الأرض في يد أهلها، ويدفعوا عنها خراجًا يكون لفائدة المسلمين، هكذا وصل الأمر! وليس هذا تعمدًا لمخالفة النبي ﷺ؛ ففعل النبي هذا يدل على مشروعيته، ولا يدل على الإلزام! الفعل يدل على مجرد المشروعية، ولكن إذا وُجِدت مصلحة فيمكن أن يجتهد فيها الإمام، كان الصحابة أفهم الناس لهذا الأمر، تغير الفتوى بتغير الأزمان والأوضاع والأحوال.

الفتوى قبل الفعل تختلف عن الفتوى بعده:

جاء رجل إلى ابن عبَّاس يستفتيه: أللقاتل توبةٌ يا ابن عمِّ رسول الله؟ فقال: لا، ليس للقاتل توبة. فقال له تلاميذه وأصحابه: كنا نسمع منك غير هذا: أن للقاتل توبة! فقال: لقد رأيته مُغضبًا، وأظنُّه يريد أن يقتل أحدًا. يظهر أنَّه بينه وبين أحد ثأر أو حقد، ويريد أن يأخذ فتوى بأنَّ للقاتل توبة، فبعد أن يقتل يتوب إلى الله، فأراد ابن عبَّاس أن يسدَّ باب الجريمة، فقال له: ليس للقاتل توبة. ليوئسه من هذا العمل، فتتبعه بعض تلاميذ ابن عباس، وعرفوا حقيقة أمر الرجل، وأنَّه كان يريد أن يقتل! إذن فقد تغيرت فتوى ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وهذا ما جعل بعض الفقهاء يقولون: الفتوى قبل الوقوع في العمل غير الفتوى بعد الوقوع في العمل. وأنا شخصيًّا أتخذ هذا السبيل في فتاواي، لو واحد وقع في الطلاق بالفعل أفتيه بمذهب شيخ الإسلام ابن تيمية: أنَّ الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، أنَّ الحلف بالطلاق ليس فيه أكثر من كفارة يمين، وهكذا أفتي بهذه التيسيرات إذا وقع الطلاق، ولكن إذا لم يكن الطلاق قد وقع بعد، فلا داعي لأن أقول له هذا، إن قال: حلفت على امرأتي بألا أفعل كذا. أقول له: خليك لا تفعل كذا. فالذي ابتُلي نحاول أن نيسر عليه، والَّذي لم يُبال نحاول أن يبقى على الإجماع، هذا ما كان عليه الصحابة.

الثبات والتطوُّر عند التابعين:

والتابعون أيضًا كانوا يفعلون هذا، حينما كان عمر بن عبد العزيز في المدينة كان يقضي ويحكم بشاهد ويمين، واحد له قضية، وعنده شاهد فقط يقول له: احلف. ويقضي بهذا، ولكن لما ذهب إلى الشام كان لا يقضي إلا بشاهدين، ولما سئل في هذا قال: لقد عهدنا الناس غيرهم في المدينة. تغيرت ذمم الناس، فأصبح من الممكن أن يحلف المرء، ويذهب إلى جهنم؛ من أجل شيء تافه من عرض من الدنيا، ولذلك كان عمر بن عبد العزيز هو الَّذي قال: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور[1]. هذه هي المرونة.

والتابعون أفتوا بجواز التسعير؛ رغم ثبوت الحديث الَّذي رواه أبو داود وغيره: أنَّ السعر غلا في عهد النبي ﷺ، فقال الصحابة:

(١) ذكره أبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ (١٤٠/٦)، نشر مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

يا رسول الله سـعِّر لنا. فقال: «**إنَّ الله هو المُسَـعِّر القابضُ الباسطُ، وإنِّي لأرجو أن ألقى اللهَ ولا يطلبني أحدٌ بمظلمة**»[١]. وامتنع عن التسعير! ومع هذا قال التابعون، وجاء هذا عن ابن تيمية في رسـالة «الحِسْبة»، وعن تلميذه المُحَقِّق ابن القيم في «الطـرق الحكميَّة»[٢]، وأكَّدوا هذا الحكم بجواز التسـعير؛ إذا احتاج الناس إلى التسـعير، بـل وجوبه في بعض الأحيان؛ إذا كان هذا يُحَقِّق العدل، ويرفع الظلم عن الناس! إذا تلاعب الناس بالأسواق! إذا احتكر بعض الناس السـلع! إذا تحكم التجار في المستهلكين، أو تحكم المنتجون في المشترين، أو غير ذلك، هنا يتدخل ولي الأمر لمصلحة المجتمع ويُسعِّر، كيف تقول هذا يا بن تيمية وأنت الرجل الأثري السلفي فقيه الحديث؟

قال: لأنَّـه ليس هناك فـي حديث النبـيِّ ﷺ لفظ عـامٌّ يقول: لا تُسَـعِّروا أبدًا؛ إنَّما هناك واقعة مُعَيَّنة، طُلب منه أن يُسَعِّر في هذه الواقعة فقال: لا. وهذا حينما يكون الأمر طبيعيًّا، حينما يغلو الشيء لقلَّة الشيء وكثرة الخلق؛ ما نسميه نحن قانون العرض والطلب، إذا كان الأمر كذلك فلا تدخل، تترك السـوق حرة للنـاس! ولكن إذا حدث هنـاك افتعال وتلاعب مـن بعض الناس فينبغـي أن تتدخل الدولة، تتدخل السلطة الشرعيَّة لإيقاف الفساد عند حدِّه، ورفع الظلم على الناس.

---

(١) رواه أحمد (١٤٠٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢٢٠٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٦)، عن أنس.

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (٦٣٩/٢)، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.

QaradawiBooks.com

بل أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية تسعير الأعمال لمنع تلاعب بعض الناس أو اتفاق تواطؤ بعض الناس، كأن يتفق بعض الناس مع بعض أنَّهم لا يشتغلون إلا بأجر كذا، عمال البناء، وعمال الحدادة ونحوهم، وطلبوا أجرًا فوق أجر المثل، فوق الأجر العادي، قال: يُلزمون بأجر المثل، لأنَّه إلزام بالعدل الَّذي ألزم الله به عباده[1].

انظروا: هذه هي مرونة فقهاء الإسلام، وهذا ما قرره الإمام ابن القيم، وقرره الإمام القرافي، وقرره ابن عابدين وغيرهم من تغير الفتوى بتغير الأحوال.

وهذا ما يجب أن يكون عليه فقهاء العصر، يجب أن نكون ثابتين على المبادئ والأهداف والأحكام القطعية، أمَّا الأحكام الاجتهاديَّة فينبغي أن نجتهد فيها، ولا بأس أن يخالف اجتهادنا اجتهاد من سبقنا.

نصاب الذهب والفضَّة:

أقول لكم: وأنا أبحث في فقه الزكاة وجدت فقهاءنا جميعًا يقولون: نصاب الزكاة بالفضة كذا، وبالذهب كذا. وصار هذا في كل الكتب الَّتي تُكتب حديثًا، يقولون: النصاب بالفضة بكذا، بخمسة جنيهات أو خمسين روبية في وقت من الأوقات، بينما بالذهب هو أضعاف ذلك! والنصاب هو الحد الأدنى للغِنى؛ لأنَّ الله فرض الزكاة على الأغنياء لتُرد على الفقراء، ما الغِنى؟ هو ملك النصاب، فكيف يتفاوت هذا فنقول لشخص: إذا قدرت ما معك من بالفضة يكون النصاب كذا، وإذا قدرت

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٢٨/٧٦ ـ ٧٩)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ما معك بالذهب يكون النصاب كذا. أي يمكن للشخص إذا قدرنا ما معه بالذهب يكون فقيرًا، وإذا قدرناه بالفضة يكون غنيًّا؟!

هل أراد النبي ﷺ بذكر نصابين أن يكون هناك نصابان متفاوتان للزكاة؟ لا، لم يرد هذا طبعًا، إنَّما كان هناك عملتان مختلفتان يتداولهما الناس، لم يكن للعرب عملة ولا نقود مضروبة، وإنَّما كانت تأتيهم الدراهم الفضية من فارس، وتأتيهم الدنانير الذهبية من بيزنطة من الروم، وكانوا يتعاملون بهذا وذاك، وكان الدينار يُصرف بعشرة دراهم في عهد النبوة، فلهذا قُدِّرت الفضة بمائتين درهم، والذهب بعشرين مثقالًا، وبعد هذا أصبح الدينار في عصر الراشدين يُصرف باثني عشر درهمًا، ثمَّ بعد ذلك بخمسة عشر، وعشرين، وثلاثين، وخمسة وثلاثين، وفي العصور الحديثة حينما اكتشفت مناجم للفضة رخص سعر الفضة كثيرًا جدًّا بالنسبة للذهب، فأصبح النصابان متفاوتين تمامًا، بعيدين كل البعد! هل أراد النبي عليه الصلاة والسلام هذا؟ أبدًا لم يرد هذا، ولذلك قلت: إنَّما يجب أن نُقدِّر نصابًا واحدًا. واخترت الذهب؛ لأنَّه وحدة التقدير، هو الَّذي احتفظ بقيمته على توالي العصور.

إذا قلنا هذا فهل نقصنا من قدر علمائنا؟ نحن نعتقد أنَّهم لو وصلوا إلى ما وصلنا إليه لتغير اجتهادهم، وفكروا بمثل ما فكرنا! أبو حنيفة خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد في أكثر من ثلث المذهب، وكان علماء الحنفية يقولون عن هذا الخلاف: هذا اختلاف عصر وأوان؛ لا اختلاف حجة وبرهان.

ما معنى هذا؟ أبو حنيفة مثلًا قال: تجوز قراءة الفاتحة بالفارسية. هذا لأن الفرس كانوا في أول عهدهم بالإسلام، ولم يذل لسانهم

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

بالعربيَّة، ثمَّ تغير الوضع فخالفه صاحباه، حتى إنَّه نفسه قالوا عنه: إنَّه غير رأيه. فهذا اختلاف عصر وأوان.

فينبغي أن نكون على قدر فقهائنا وأسلافنا، نثبِّت ما يجب أن يثبت، ونغير ما يجب أن يتغير!

خطورة تثبيت ما شأنه التطوُّر، وتغيير ما شأنه الثبات:

الخطر على المجتمع الإسلامي أنَّه أحيانًا يُجمِّد أشياء ينبغي ألا تجمد، ويغير أشياء ينبغي أن تثبت. هذا ما حدث للأسف في عصور التخلف الإسلامي: فقد الناس الاجتهاد في مجال الفقه، والإبداع في مجال الأدب، الاجتهاد في مجال الحرب، الابتكار في مجال الصناعة! وللأسف في مقابل هذا ابتدعوا في أمور الدين بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، مع أنَّ أمور الدين قال النبي ﷺ عنها: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[١]. أي: مردود عليه، وقال: «**إيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**»[٢]. فالمفروض أن تظل أمور الدين ثابتة، أمَّا أمور الدنيا فتتغير وتتطور؛ لكنهم قلبوا الوضع فجمدوا في أمور الدنيا، وابتكروا وابتدعوا في أمور الدين، هذا لا يجوز.

خطورة من يريدون تطوير كل شيء:

ينبغي أيُّها الإخوة أن نعرف ما ينبغي أن يثبت، وما ينبغي أن يتغير: إنَّنا في عصرنا هذا نرى أناسًا يريدون أن يطوروا كل شيء، وهذا خطأ،

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١/١٧٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

ويريدون أن يطوروا الإسلام نفسه، يقولون: يجب أن يتطور الإسلام؛ حتى أحكامه القطعية يجب أن تتطور. هل هذا يجوز؟

لو أنَّهم وقفوا عند الأحكام الاجتهاديَّة، أو عند اجتهادات الفقهاء، فلا مانع من هذا، ولكن المتعبدين لصنم التطوُّر لا يشبعهم شيء، ولا يريدون أن يشبعهم شيء، يريدون أن يقيموا معركة خطوة بعد خطوة، فيقولون: أقوال الفقهاء هذه أقوال بشرية واجتهادات تخطئ وتصيب. هذا صحيح، ولكن لا بدَّ أن نستفيد منها، وخاصة مواضع الإجماع.

ولو سلمنا لهم بهذا لم يكتفوا بترك أقوال الفقهاء، بل يقولون: السُّنَّة فيها الصحيح، وفيها الضعيف، وفيها المردود، فينبغي ألا نعول على السنة، ونكتفي بالقرآن! أو نأخذ السنن المتواترة، ولا نأخذ بسنن الآحاد؛ مع أنَّ معظم أحكام الشريعة ثبت بسنن الآحاد، فترك سنن الآحاد يعني ترك الشريعة.

ولو سلمنا لهم بهذا يأتون إلى القرآن، ويقولون: هذه أحكام جاءت لبيئتها ولزمانها، فإذا قال القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]. قالوا: إنَّما كان هذا في بيئة حارة، أمَّا البيئة الباردة، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش فيها دون الكأس والطاس.

وإذا قال القرآن: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. قالوا: إنَّما قال هذا في خنازير سيئة التغذية، أمَّا الآن فالخنازير تربى في حظائر، ويشرف عليها مختصون، فهذه غير تلك.

وإذا قال القرآن في الميراث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] وجدنا هؤلاء يقولون: إنَّما كان هذا يوم أن كانت المرأة تابعة للرجل

QaradawiBooks.com

اقتصاديًّا، أمَّا الآن فقد استقلت المرأة بالعمل، واستقلت اقتصاديًّا، فينبغي أن ترث مثل الرجل.

ومعنى هذا أنَّ هؤلاء لا يريدون أن يبقى شيء قط، يريدون أن يغيروا الإسلام على هواهم، ويريدون أن يطوروا حتى الأحكام القطعية، لماذا هذا؟

لماذا تريدون أن يتطور الإسلام ولا تطالبون أن يسلم التطوُّر؟

المفروض أن يسلم التطوُّر، يجب أن يتماشى تطورنا مع الإسلام! الإسلام هو الميزان الَّذي وضعه الله للناس؛ ليرجعوا إليه إذا انحرفوا، ويحتكموا إليه إذا اختلفوا، فإذا أصبح الميزان نفسه غير ثابت فكيف يكون ميزانًا؟ كيف يكون مقياسًا وهو غير ثابت؟ هذا لا يجوز، إذا كان الدين يتغير بتغير الحياة: يستقيم باستقامتها، ويعوج باعوجاجها فكيف يمكن أن يهدي الناس، ويوجه الناس، هو المنارة الهادية، ولذلك يجب أن يبقى ثابتًا، أو تبقى فيه أشياء ثابتة لا تتغير، فالذين يريدون أن يطوروا الإسلام ليجاري الحياة، أو ليجاري الحياة الغربية، هؤلاء مخطئون في حق الإسلام.

نحن ضد الجمود:

نحن لا نقول: إنَّنا يجب أن نجمد. لا، أنا أيضًا ضد الجمود، أنا أقول بالجمود على الأهداف والمبادئ كما ذكرت في أول المحاضرة، أمَّا الوسائل والأساليب فهذه تتغير! إذا قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. هل يعني هذا أن رباط الخيل هدف؟ لا، هو وسيلة، أمَّا الغاية فهي الجهاد، الجهاد يجب أن يبقى، لا نريد أن نقول ما قال غلام أحمد القادياني بإبطال الجهاد في عصرنا، فلا يملك أحد إبطال الجهاد.

QaradawiBooks.com

هل يجب أن نقاتل بالسيف وبالرمح لأن النبي ﷺ كان يقاتل بالسيف وبالرمح؟

وهل يجب أن نعد أمام إسرائيل مائة ألف فرس ونضعها هناك في صحراء سيناء؟ أم إنَّ الفرس في عصرنا هو الدبابة والمدرعة؟ هذه وسائلنا للجهاد في هذا العصر.

وإذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**السواكُ مطهرةٌ للفم مرضاة للربِّ**»[1]. ما القصد من السواك؟ هو تطهير الأسنان، وفرشاة الأسنان تقوم مقامه، صحيح أنَّ بعض أطباء الأسنان قال لي: إنَّ السواك أفضل من الفرشاة. لكن لا حرج من استعمال الفرشاة واستعمال المعجون، تتطور الأساليب، وتتطور الوسائل، فلا ينبغي أن نجمد على الوسائل.

بعض الناس الآن يقولون: أتظل الذبائح في منًى مذبوحة وتُطمر في التراب، ولا ينتفع بها الناس؟ لماذا لا يدفع الناس ثمنها للفقراء؟ هذا عجز منا.

الذبائح شعائر، والذبح شعيرة، ولكن يجب أن نفكر في الانتفاع بهذه الذبائح، بدل أن تُطمر في التراب! يجب أن نصنع مشروعًا نُعلِّب به هذه اللحوم، نعمل ثلاجات لنحتفظ بها، وهكذا نفكر.

الحكمة ضالَّة المسلم:

نستطيع أن نأخذ من الغرب أحسن ما عندهم، إذا كان عندهم نظام لتوزيع البريد، أو لتخطيط المدن، أو للوقاية من الأوبئة، أو

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

لنشر الصحة أو لكذا، نستطيع أن نأخذ هذا، ولكن بشرط أن نكيفه حسب أوضاعنا، أن نستعمل الوسائل الَّتي جاءت بها الحضارة، ونحن يجب أن نصنع هذه الوسائل، ولا نكون مجرد مستوردين، لا مانع أن نستخدم التليفزيون، ولكن لأي هدف نستخدمه؟ هل نستخدمه لبث الأفلام الداعرة الَّتي تعلم الزوجة كيف تخون زوجها، والولد كيف يتمرد على أبيه، والبنت كيف تغازل في التليفون؟ هذا لا ينبغي، إنَّما ينبغي إذا عرضت شيئًا أن أعرض ما يتفق مع هذا الإسلام، ومع خلق الإسلام، ومع مبادئ الإسلام، حتى كَمّ البث نفسه، الإسلام يكره الإفراط حتى في العبادة، «**فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»[1]!

كم خاطبت إخواننا المسؤولين عن الإذاعة والتليفزيون في قطر، وقلت لهم: أنتم تحرضون الناس على ألا يصلوا الصبح في وقته. جئت إلى قطر من سبعة عشر عامًا فكان الناس ينامون بعد العشاء، لا يسهرون إلا في أوقات قليلة جدًّا، ويستيقظون قبل الفجر، هذا هو أدب الحياة الإسلامية: الاستيقاظ مبكرًا مع بركة البكور، مع نسمات الصباح تتلقفه من يد الله طاهرًا، قبل ضوضاء الحياة وزحامها وتلوثها، وتنام مبكرًا، الآن نحن نفرض على الناس أن يسهروا إلى ما بعد منتصف الليل، وأحيانًا تؤخَّر بعض البرامج الَّتي يتابعها الناس لتكون في آخر البث حتى يسهروا لها خصيصًا، ثمَّ يستيقظوا بعد أن تطلع الشمس، وقد ذُكرِ

(١) رواه عبد الله بن أحمد وجادة (١٣٠٥٢)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. والضياء في المختارة (٢١١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦): رجاله موثقون، إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسًا.

QaradawiBooks.com

عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح، فقال: «**ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أذنيه، أو قال: في أذنه**»[١]. وما أكثر الناس الَّذين أصبحت آذانهم مباول للشياطين.

ينبغي أن نستخدم الأجهزة فيما يتفق مع مبادئنا، مع إسلامنا، كل شيء؛ حتى: كيف تبني عمارة، وإن كنت أرى أنَّ العمارات غير ملائمة لمثل هذه البلاد، لأن البيت في التصور الإسلامي ينبغي أن يصمم بحيث لا يطلع أحد من خارجه على عورة أحد من داخله، لا مانع من العمارة، لكن أصممها وأطورها بما يتناسب مع آداب الإسلام، المفروض أن نطور كل شيء حسب ديننا، حسب عقائدنا، حسب تقاليدنا، وهذا معنى قولي: يجب أن يُسلم التطوُّر.

التطوُّر هو الَّذي يجب أن يُسلم، لا مانع أن نفتتح أندية يرتاح فيها الناس، خاصة بعد أن أصبحوا مكدسين في شقق مغلقة، أصبحوا محتاجين إلى أندية يجلسون فيها، ويشمون الهواء الطيب، ولكن هل معنى هذا أن يكون في كل نادٍ (بار)، وأن يختلط الرجال بالنساء، وأن تدخل الكاسيات العاريات، وأن يكون هذا مكانًا للغادين

والرائحين من الشباب الَّذين يتفرجون على هذا اللحم الرخيص؟

لا، يمكن أن نقتبس من كل شيء ما يصلح لنا، هذه هي أسلمة التطوُّر إن صح التعبير، يجب أن يسلم التطوُّر بدل أن نعمل على أن نطور الإسلام حتى مبادئه وأسسه وعقائده.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الإسلام ليس ضد التطوُّر المحمود:

يا أيُّها الإخوة، هـذا ما أردت أن أقوله لكم: إنَّ الإسـلام ليس ضد التطوُّر المحمود، التطوُّر كلمة خادعة، بعـض الناس يريد أن يفهمنا أنَّ التطوُّر يعني الترقي والتقدم، وليس هذا صحيحًا، التطوُّر قد يكون ترقيًّا، وقد يكون تدنيًّا، لأنَّه ـ كما قلت ـ تحول من حال إلى حال، فقد يكون تحولًا من حال سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن، ومن أحسن إلى الأحسن، وقد يكون تحولًا من حسن إلى سـيئ، ومن سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأسوأ، وهذا ما رأيناه في التاريخ، ونراه الآن في الواقع، فليس كل تطور محمودًا.

إنَّنا نريد أن يسير التطوُّر في ركاب الإسلام الحقيقي، الإسلام ليس كما يفهمه الجامدون المقلدون، ولكن كما فهمـه الصحابة والتابعون، الإسلام الثابت المتحرك، الإسـلام كما جاء به محمد ﷺ، وكما فهمه أصحابه، وكما طبَّقه السـلف الصالحون، هذا هو موقف الإسـلام من التطوُّر، وهذا هو وضع التطوُّر من الإسلام.

أرجو أيُّها الإخوة أن أكون قد أوضحت ما أردت، ومعذرة إن أطلت عليكـم بعض الوقت، وصلـى الله على محمد وآله وصحبه، والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٨

الحوار الإسلامي المسيحي(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا ونبيَّنا وإمامنا محمدًا رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واقتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدِّين.

خيرُ ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للإخوة في الإدارة الثَّقافيَّة بجامعة قطر أن أتاحوا لي هذه الفرصة لأتحدَّث إليكم عن هذا الموضوع المهم: (الحوار الإسلامي المسيحي).

كان الإخوة في إدارة الشؤون الثَّقافيَّة قد خيَّروني بين موضوعين: (المرأة ومؤتمر بكين) أو (الحوار الإسلامي المسيحي)، فاخترت الثاني؛ لأنَّ الأوَّل قد انتهى أمدُه، وانطفأت جمرته، وأصبح الكلام فيه من التَّكْرار المعاد، وأنا بطبيعتي لا أحبُّ التكرار.

(١) ألقيت في الموسم الثقافي لجامعة قطر، عام ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

موضوع مهمٌّ وشائك:

أمَّا الموضوع الآخر، وهو موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، فهو موضوع مهمٌّ وشائك، وقد قُدِّر علينا أن نخوض الموضوعات الشائكة، ونقول فيها كلمتنا وأمرنا إلى الله، بعض الناس يهربون من هذه الموضوعات، ولكن إلى متى نَفِرُّ ونهرب من هذه الموضوعات، وهي تواجهنا صباح مساء؟! لهذا اخترت هذا الموضوع.

أنا مع الحوار مع الآخر:

وأنا في الحقيقة من دعاة الحوار، وفي كتابي (أولويَّات الحركة الإسلاميَّة) الَّذي صدر منذ عدة سنوات دعوت إلى الحوار مع الآخر، مع الأطراف المخالفة، دعوت الإسلاميين أن يحاوروا العلمانيين والقوميين، والعقلاء من الحكام، ويحاوروا الغربيين: على المستوى الديني يتحاورون مع القُسس ورجال الدِّين، وعلى المستوى الفكري يتحاورون مع المستشرقين والكُتَّاب، وعلى المستوى السياسي إن أمكن يتحاورون مع مَنْ يصنعون القرار.

بل إنِّي على المستوى العملي حضرت بعض هذه الحوارات، حضرت حوارات قوميَّة إسلاميَّة، وحوارات إسلاميَّة مسيحيَّة. حضرت المؤتمر القومي الإسلامي الَّذي عقد في بيروت في أكتوبر عام ١٩٩٤م، وكنت أحد أعضاء اللجنة التحضيريَّة في الجانب الإسلامي، ولم أرَ مانعًا أن نبحث عن المشترك بين القوميَّة والإسلام، وخصوصًا في بلادنا العربية.

وخرجت من بيروت لأحضر مؤتمرًا إسلاميًّا في باريس مع المسيحيين هناك، حضره مسيحيون من المستشرقين من فرنسا ومن غيرها من البلاد.

QaradawiBooks.com

وحضرت في هذا العام في شهر مايو مؤتمرًا في موسكو أيضًا، كان دعوة للإسلام والتفاهم بين الديانات للشعوب الأخرى، وقد شارك فيه مسيحيون ويهود وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى.

وفي أواخر هذا الصيف حضرت حفلًا تكريميًّا للقاء المسيحيين والمسلمين أو بعض الإسلاميين، نظمه مجلس كنائس الشرق الأوسط.

ومنذ سنوات في صيف سنة ١٩٩٢م، حضرت لقاءً بين مسلمين ومسيحيِّين في مدينة كول بألمانيا، وكان معنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وبعض أساتذة الأزهر الكبار.

من أجل هذا لا أرى مانعًا من أن نتحاور مع أهل الأديان الأخرى، وإنَّما أومن بالحوار لأنَّنا نحن المسلمين مأمورون بهذا الحوار.

ما معنى كلمة حوار؟

الحوار معناه: مراجعة الكلام مع طرف آخر. والجدال في معنى الحوار، وإن كان هو مراجعة مع المنازعة والمغالبة، لأنَّه مأخوذ من الجَدْل. وجَدْل الحبل: شدُّه وإحكامه، ولذلك يقول القرآن: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. لأنَّه يخشى أن يؤدي الجدل بالإنسان إلى اللدد في الخصومة، كما قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]. وكما قال النبي ﷺ: «**إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم**»[1]. لذلك دعا القرآن إلى الجدال بالتي هي أحسن.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٥٧)، ومسلم في العلم (٢٦٦٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

القرآن الكريم كتاب حوار من الطراز الأول:

ومَنْ قرأ القرآن الكريم يجد أنَّه كتاب حوار من الطراز الأول، نجد فيه حوار الأنبياء مع أقوامهم منذ عهد نوح عليه السلام، ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

ونجد حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه مفصلًا في سورة مريم: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٤ ـ ٤٧].

ونجد حواره مع النمروذ في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ونجد حواره مع قومه كما في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩].

ونجد حوار موسى عليه السلام مع فرعون واضحًا في سورة طه، وله في سورة الشعراء محاورة طويلة، والقرآن مليء بحوار الرسل مع أقوامهم.

QaradawiBooks.com

بل أعجب من هذا أن نجد حوار الله تعالى مع خلقه، كما في حواره تعالى مع ملائكته في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٢]. أراد أن يُبيِّن لهم أنَّه لم يفعل إلا ما فيه الخير والحكمة.

بل الأعجب من هذا: حوار الله سبحانه مع أعدى أعدائه، وأبغض خلقه إليه: إبليس لعنه الله. وهذا موجود في عدد من سور القرآن الكريم، كما في سورة الحجر، وكما في سورة ص، وسورة الأعراف، وغيرها من سور القرآن.

في سورة الأعراف مثلًا نقرأ هذا الحوار مع إبليس: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٤ ـ ١٨]. كلمة (قال وقال) هذه هي حوار القرآن، ولهذا لا عجب أن نقتدي بالقرآن في حوارنا مع مَنْ يخالفنا.

أدب الحوار:

كل ما نحب أن نقوله هنا: إنَّنا إذا كنا نؤمن بالحوار؛ فنحن نؤمن بأدب الحوار، وللحوار أدب جاء به القرآن الكريم، حين رسم القرآن لنا منهج الدعوة وطرقها قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فهناك دعوة وجدال، دعوة

QaradawiBooks.com

للموافقين، وجدال للمخالفين، والدعوة تكون بطريقين: طريق مخاطبة العقول بالحكمة، ومخاطبة القلوب بالموعظة، وقد نضطر إلى جدال المخالفين فنجادلهم، ولكن بالتي هي أحسن.

والعجيب أنَّنا نجد القرآن الكريم يكتفي في الموعظة بأن تكون حسنة، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، ولكنَّه لم يرضَ في الجدال إلا بأن يكون ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ لأن الموعظة تكون مع الموافقين، فيكفي أن تكون بطريقة حسنة أو جيدة، أمَّا مع المخالف، فينبغي على الداعية أن يترفق به، ويتلطف في إيصال الحق إلى عقله وقلبه، فيعمد إلى أبلغ الأساليب، وأرق العبارات، وأخف الألفاظ.

بالَّتي هي أحسن:

ولذلك لو كانت هناك طريقتان للمجادلة والمحاورة: إحداهما حسنة جيدة، والأخرى أحسن وأجود، فالداعية المسلم مأمور في هذه الآية أن يجادل ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، بأحسن الطرق وأجودها، وهذا أيضًا ما نص عليه القرآن في مجادلة أهل الكتاب فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن أجل هذا ينادي القرآن أهل الكتاب فيقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. يدعوهم بنداء لا يُوغر صدورهم، لم يقل: يا من أشركوا بالله، أو يا من اعتقدوا أنَّ المسيح ابن الله، أو أن عزير ابن الله. لا، بل نادهم بصيغة محببة إلى نفوسهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أو نحو ذلك.

لم يجئ في القرآن: يا أيُّها الكافرون إلا مرة واحدة، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. وكان هذا لحكمة، أنَّ القرآن أراد أن يحسم أمرًا

QaradawiBooks.com

لا يجوز فيه الكلام، ذلك أنَّ الكفار المشركين عرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأراد القرآن أن يحسم الأمر فقال لنبيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. وأكد القرآن ذلك الأمر، ومع هذا خُتمتْ السورة بهذه الآية التي تعتبر غاية في التسامح، وهي قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. ولهذا إذا أراد القرآن أن يخاطب المشركين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. وهو نداء يدخل فيه المسلمون والمشركون، فمن الحوار بالتي هي أحسن اختيار ألطف العبارات.

نماذج قرآنيَّة في الحوار:

وقد أعطانا القرآن نماذج في الحوار، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ليس لأنَّ الرسول ﷺ يشك أنَّه على الهدى، وهم على الضلال المبين، وإنَّما هو يعرض الأمر بهذه الصورة؛ ليرخي لهم العنان، ويقربهم إلى ساحته.

ثم يقول: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. كان مقتضى المقابلة أن يقول: لا تُسألون عما أجرمنا، ولا نُسأل عما تُجرمون. ولكنَّه حينما خاطبهم لم يرضَ أن ينسب إليهم الإجرام، نسبه إلى نفسه ومن معه، ﴿لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أيُّ لطف، وأي رقة، وأي نداوة أفضل من هذا الأسلوب الَّذي استخدمه القرآن وهو يعلم النبي ﷺ وأمته كيف يحاورون قومهم المشركين! لهذا ينبغي علينا نحن الالتزام بأدب الحوار، واختيار الأسلوب الَّذي هو أحسن، والطريقة التي هي أجود في مخاطبة المخالفين.

QaradawiBooks.com

التركيز على نقاط الاتفاق:

ومن أدب الحوار التركيز على نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف. عندما تحاور غيرك لا تذكر مواضع الخلاف؛ لأنَّها لن تجمع بينك وبينه، ولكن هناك جوامع مشتركة بينكما؛ فابحث أولًا عن المشترك بينك وبين محاورك، ولهذا يقول القرآن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أي نحن مشتركون في أنَّنا نؤمن بكتب مُنزلة من عند الله، مشتركون في أنَّنا نؤمن بإله واحد، صحيح أنَّ الوحدانية عندنا ليست كالوحدانية عندكم، ولكن لا ندخل في التفاصيل، بحسبنا هذا الإجمال، ولذلك سمي هؤلاء (أهل كتاب)، وإن كانوا قد حرفوا الكتاب وبدَّلوه، لكنهم هم في الأصل أهل كتاب، يكفينا هذا القدر.

أحكام خاصة بأهل الكتاب:

ومن أجل هذا جعل القرآن لهم أحكامًا خاصة بهم، تميزهم عن غيرهم، فأجاز مؤاكلتهم، وأجاز مصاهرتهم، بعض الناس يقول: لا، هؤلاء الناس كفرة، كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

هذا صحيح، ولكن القرآن ميَّزهم، اعتبرهم أهل كتاب، يكفي أنَّه أجاز مصاهرتهم، والمصاهرة أحد الرابطتين الأساسيتين بين البشر: رابطة النسب، ورابطة المصاهرة، كما يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٤]. فرابطة الدم والنسب هي

QaradawiBooks.com

التي تكون بين الإخوة وأبنائهم، والأعمام وأبنائهم، وهكذا، ورابطة المصاهرة التي تحصل بالزواج.

والقرآن يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. فأجاز للمسلم أن يتزوج من كتابية، أن تكون هذه الكتابية ربة بيته، وشريكة عمره، وأم أولاده، وأن يكون أجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأولاد أخوالهم وأولاد خالاتهم من هؤلاء الكتابيين، ومعناه أنَّه أصبح لهم حق صلة الأرحام وإيتاء ذوي القربى، فهذا غاية في التسامح من الإسلام.

النصارى لهم خصوصية تميزهم:

وإذا كان هذا في شأن أهل الكتاب عامة فالمسيحيون ـ أو النصارى بالتعبير القرآني ـ لهم خصوصية تميزهم عن غيرهم، وهي أنَّهم أقرب مودة للذين آمنوا، لأن اليهود غلاظ بطبيعتهم، غلاظ بما عندهم من حسد وكيد مكر، والقرآن ملىء بذكر هذا، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة: ٨٢]. فالنصارى أقرب إلى المسلمين.

ولذلك اهتم القرآن بأهل الكتاب عامة، وبالنصرانية خاصة، في القرآن ثلاث سور أسماؤها فقط تنبئ عن قرب النصرانية من الإسلام، هناك سورة آل عمران، وآل عمران هم أسرة المسيح، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٥]، امرأة عمران هي جدة المسيح، فآل عمران هم أسرة المسيح.

QaradawiBooks.com

وهناك سورة المائدة، والمائدة معجزة من المعجزات التي أنزلها الله على المسيح بطلب منه.

وسورة مريم سورة خاصة بمريم العذراء البتول، هذا غير قصص المسيح في القرآن، وهي موجودة في آيات شتى، وتتكلم عن المسيح وأمة بتكريم وتعظيم وتوقير، فهذا كله مما يقرب المسافة بين المسيحيين والمسلمين، ومن هنا كان الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي.

موقفنا من الحوار مع اليهود:

كان يمكن أن يكون أيضًا حوار إسلامي يهودي؛ لولا أنَّ اليهود اتخذوا منا موقفًا، اليهود باعتبارهم أهل كتاب كان يمكن أن نحاورهم، ولكن المشكل أن بيننا وبين اليهود قضية في غاية الخطورة، هي قضية الأرض المقدسة، قضية فلسطين، قضية أرض النبوات، قضية المسجد الأقصى، قضية أرض الإسراء والمعراج، قضية أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، قضية القدس الشريف، هذه القضية هي التي تحول بيننا وبين المحاورة مع اليهود، من ناحية أنَّهم أهل كتاب وأهل دين سماوي في الأصل يمكن أن نحاورهم، لكن كيف نحاورهم بعد أن اغتصبوا الأرض، وشردوا الأهل منها، ولا زالوا يفعلون الأفاعيل إلى اليوم؟

من أجل هذا كان الحوار الأقرب والأكثر إيجابية وجدوى هو الحوار الإسلامي المسيحي.

أهمية الحوار الإسلامي المسيحي:

أصبح الآن أمرًا لا بدَّ منه في عصرنا هذا، على أساس أنَّ المسيحيين يعيشون بين ظهراني المسلمين، في أكثر البلاد الإسلاميَّة هناك مسيحيون

QaradawiBooks.com

موجودون بين المسلمين، والمسلمون أيضًا يعيشون في بلاد أخرى أكثريتها مسيحيَّة؛ خصوصًا في بلاد الغرب ونحوها، فأصبح التعايش بين الإسلام والمسيحيَّة أمرًا ضروريًّا، وأصبح المطلوب منا أن نبحث عن الجوامع المشتركة، وأن يحاور بعضنا بعضًا بُغية الوصول إلى أهداف إيجابية بناءة.

بعض الناس يخاف من هذا الحوار، بل بعضهم يخاصم هذا الحوار، بعضهم يقول: إنكم تسعون في هذا الحوار إلى تذويب الفوارق بين الأديان. ومعاذ الله أن نسعى إلى ذلك أو نقبل بذلك، لا يمكن أن نُذوِّب الفوارق بين الأديان بعضها وبعض، ستظل المسيحيَّة تقول بالتثليث، وسيظل الإسلام يقول بالتوحيد الخالص، هذا أمر لا يمكن أن نُفرِّط فيه، ولا يمكن أن نبيع ديننا بملك المشرق والمغرب، هذا لا تفريط فيه.

البحث عن قضايا مشتركة:

كل ما في الأمر أنَّنا نحاول أن نبحث عن قضايا مشتركة، هموم مشتركة بيننا وبينهم، يوجد في العالم الآن فلسفات مادية، ونزعات إلحادية، ونحن جميعًا نؤمن بالله في الجملة، فينبغي على المؤمنين أن يقفوا جميعًا ضد الفلسفات المادية والإلحاد، هنا نقف معًا في صف واحد.

هناك أيضًا دعوات إلى التحلل والإباحية موجودة في الغرب، هناك للأسف الإباحية الجنسية، الشذوذ الجنسي، والدعوة إلى العري، والدعوة إلى الزواج المثلي، وهذا للأسف موجود في الغرب، وباركته بعض الطوائف المسيحيَّة، هذا يجب أن نقف معًا ضده.

وهذا ما حدث في مؤتمر السكان العالمي الَّذي عُقد في القاهرة في العام الماضي، وحدث مثله أيضًا في مؤتمر بكين للمرأة، ووقفت

QaradawiBooks.com

الكنيسة البابوية والجبهة الإسلاميَّة معًا في صف واحد ضد الإباحية، وضد الزواج بالمثل، ضد الأسرة الوحيدة الجنس أو الوحيدة التكوين، وضد الإجهاض، وقف الجميع مع حق الحياة حتى للجنين، فلا مانع أن نبحث عن المشترك في هذا المجال.

كما يمكننا أن نقف جميعًا ضد الظلم والبغي من الأقوياء للضعفاء، من المتسلطين من البشر على المستضعفين من الناس، سواء كانوا أغنياء أو حكامًا أو مستعمرين أو أيًّا كانوا نقف ضد هؤلاء.

نجد أرضًا مشتركة يمكن أن تسعنا جميعًا، فلا مانع، نحن لا نذوِّب الفوارق الدينية بين الأديان، ولكن نقف جبهة واحدة في الأمور المشتركة.

كفر دون كفر، وباطل دون باطل:

بعض الناس يقول: الحوار الإسلامي المسيحي معناه أنَّنا نعترف بالكفر، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨]. فما داموا ليسوا على شيء من الدين؛ كيف نحاورهم؟!

ونقول: نحن لا نعترف بالكفر على أنَّه حق، لا، نحن نعترف بالكفر على أنَّه موجود، ولكن هناك كفر دون كفر، وباطل دون باطل، كفر أهل الكتاب أخف من كفر غيرهم.

ولذلك ذكر لنا القرآن قضية في غاية الأهمية في أوائل سورة الروم، حينما انتصر الفرس على الروم، وكان الفرس مجوسًا يعبدون النار، ويقولون بالثنوية، أي: بإلهين اثنين: إلٰه للخير والنور، وإله للشر والظلمة!

QaradawiBooks.com

فلما انتصر الفرس على الروم فرح المشركون واغتم المسلمون، وقال المشركون للمسلمين: أصحابنا انتصروا على أصحابكم. وحدث خلاف وجدال بين سيدنا أبي بكر وبينهم ودخلوا في رهان، ثم نزلت آيات الروم تقول: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٢ ـ ٥]. فاعتبر انتصار الروم على الفرس أمرًا يفرح به المؤمنون، واعتبر هذا نصرًا من الله ﷻ، مما يدل على أنَّ بعض الكفر أقرب من بعض، من أجل هذا نقول: نحن لا نعترف بكفر الكافرين، وإنَّما نعترف بوجوده.

من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر:

وبعض الناس يقول: هل النصارى كفار؟ ونحن نقول بصراحة: كل من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر، كافر برسالة محمد، وهذا لا ضير فيه، هم يعتبروننا كفارًا، ونحن نعتبرهم كفارًا، نحن نكفر بدينهم الَّذي هم عليه الآن، وهم يكفرون بديننا.

وهل يمكن أن نتسامح مع أن بعضنا يعتقد بكفر بعض؟ نعم هذا ممكن أيضًا، لماذا؟ لأن عندنا في الإسلام عدة مبادئ هي التي أرست دعائم التسامح مع المخالفين رغم أنَّنا نعتقد بكفرهم وبطلان عقائدهم، ما هي هذه المبادئ؟

مبادئ التسامح مع المخالفين:

المبدأ الأول: أنَّ اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تبارك وتعالى، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]، أكثر المفسرين على أن قوله:

QaradawiBooks.com

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. يعني: وللاختلاف خلقهم[1]. خلقهم ليختلفوا، لأنَّه خلقهم وأعطاهم العقل والإرادة، وما داموا قد أُعطوا العقل والإرادة؛ فلا بدَّ أن يكون منهم من يؤمن ومن يكفر، فهذا الاختلاف واقع بمشيئة الله، ومشيئة الله مرتبطة بحكمته، فلا يشاء الله إلا ما فيه الحكمة: علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

الاختلاف واقع، فلا نطمع أن نجبر الناس على أن يؤمنوا جميعًا، هذا لا يقع، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، هذا لا يمكن، هذا هو المبدأ الأول.

المبدأ الثاني: أنَّ المسلم ليس مسؤولًا عن معاقبة الكافر على كفره، فمعاقبة الكافر على كفره والضال على ضلاله ليس إليه، وإنَّما هو إلى الله، وليس في هذه الدار، وإنَّما في دار الجزاء والدينونة في يوم الدين، ولذلك يقول القرآن: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨ ـ ٦٩]. فالحكم ليس في هذه الدار، وإنَّما يوم القيامة.

ولذلك يقول القرآن بالنسبة لأهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]، فهذا يطفئ جمرة الغضب أنَّ الحساب ليس في هذه الدنيا، وإنَّما هو في الآخرة، والله هو

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٥/٩).

QaradawiBooks.com

الَّذي سيحاسب الجميع يوم القيامة، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]، الله سيحكم بين الجميع، هذا مبدأ ثانٍ.

المبدأ الثالث: أنَّ الإسلام يُكرِّم الإنسان من حيث هو إنسان، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. فهو تكريم لبني آدم من حيث إنهم بنو آدم، تكريم الله للإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه، ولغته وإقليمه ودينه، الإنسان من حيث هو إنسان مخلوق مُكرَّم.

وهذا المعنى ثابت في السُّنَّة النبويَّة، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنَّهم مرُّوا على النبي ﷺ بجنازة، فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنَّها جنازة يهوديٍّ! فقال ﷺ: «**أليسَتْ نَفْسًا؟**»[1]. بلى هي نفسٌ إنسانيَّة، ومعنى هذا أنَّ لكل نفس إنسانيَّة في الإسلام حُرمةٌ ومكان، هي نفس بشر: نفس إنسان، فهذا مبدأ ثالث.

المبدأ الرابع: أنَّ الإسلام يأمر بالعدل، ويُحرِّم الظلم والبغي والعدوان على أي مخلوق كان، ولو كان هذا الإنسان غير مسلم، العدل مطلوب للناس جميعًا؛ لأنَّه عدل الله لعباد الله، والظلم مُحرَّم على الناس جميعًا أيًّا كان المظلوم.

ولذلك نجد في سورة النساء تسع آيات نزلت دفاعًا عن يهودي اتُّهم ظلمًا، وهمَّ النبي عليه الصلاة والسلام أن يجادل عمن اتهموه، وجاء القرآن يقول:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

QaradawiBooks.com

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧]. إلى آخره. لأنَّ هذا عدل الله، وعدل الله لجميع عباد الله.

والقرآن يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]. فالعدل مطلوب للمسلم ولغير المسلم.

ليس هناك تفرقة كما نجدها للأسف في سفر التثنية عند بني إسرائيل، إنهم يجيزون أن يتعامل اليهودي مع غير اليهودي بالربا، ولا يجيزون أن يتعامل مع مثله بالربا، لا تقرض للإسرائيلي بالربا، ولغير الإسرائيلي تقرض بالربا! لا، ليس في الإسلام هذا، الأحكام واحدة، والحرام حرام على الجميع.

هذه المبادئ الأربعة هي التي تغرس روح التسامح بين الناس جميعًا.

ما يتحفظ عليه بعض المتدينين:

هناك هدفان يسعى الناس إليهما في الحوار، وبعض المتدينين من المسلمين يتحفظ عليهما، هذان الهدفان هما: السلام والأُخوَّة. بعض الناس يقول: تريدون أن تحاوروا المسيحيين وغيرهم وصولًا إلى ما تسمونه «السلام العالمي»؟!

نعم يا أخي، ولماذا لا؟ يقولون: إنَّ الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب وليس السلام.

وهذا رأي موجود، ولكنا في الحقيقة لا نلتزم هذا الرأي، وأنا أرى في قراءتي للقرآن الكريم وللسُّنَّة النبويَّة أنَّ القتال يُفرض على المسلمين

QaradawiBooks.com

كُرهًا، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. أي إنَّ المسلم يخوض المعركة كارهًا مضطرًّا إليها.

وهذا ما حدث بالفعل، النبي ﷺ دعا النـاس بالحكمة وبالموعظة الحسنة، وظل ثلاثة عشر عامًا لا يرفع سيفًا، هو الَّذي رُفع عليه السيف وشُهر عليه السـلاح، فكان لا بدَّ أن يُقاوِم، ولذلك يقول القرآن: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحـج: ٣٩]. فالإسلام اضطر أن يشهر السيف دفاعًا عن نفسه.

ولكن إذا وُجد من يقبل السلم فأهلًا وسهلًا، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، ما لم يغتصبوا أرضًا لنا أو ينتهكوا لنا حقًّا، تريدون السـلام فنحن نرحب بالسـلام، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

وكفى الله المؤمنين القتال:

والقرآن يعلق على غزوة الأحزاب، تلك الغزوة التي كان يُراد منها إبادة الوجود الإسـلامي، حين جاءت قريش وغطفان وأحابيشـهما يغيرون على المدينـة، وأحاطوا بها إحاطة السـوار بالمعصم، وغدر اليهود بالمسـلمين، مـع أنَّ المفروض على هؤلاء اليهود ـ حسـب الاتفاقية التـي بينهم وبين الرسـول ـ أن يقفوا مع المسـلمين ضد المغيرين، إلا أنَّهم انضموا إلى الأعـداء المغيرين، وكما قال القرآن: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم انتهت هذه المحنة، أنهاها القدر الأعلى بدون حرب، وانظر إلى تعليق القرآن حيث يقول: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. هذه الفقرة من الآية: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾. تدل على أنَّ الإسلام ليس راغبًا في سفك الدماء، إذا انتهت المعركة بغير قتال فالحمد لله، كفى الله المؤمنين القتال، فما أجمل ولا أروع هذا التعليق القرآني.

رغبة صادقة في حقن الدماء:

وفي صلح الحديبية حينما أعلن الرسول ﷺ قائلًا: «**والله لا تدعوني قريشٌ إلى خطة فيها وصل للرحم؛ إلَّا أعطيتُهم إيَّاها**»[(١)]. وحينما جاء سهيل بن عمرو وعرض خطة الصلح، على ما كان فيها من بنود كان بعض المسلمين يرى فيها إجحافًا بالمسلمين، وقبلها النبيُّ ﷺ، وتمَّ الصلح، وسمَّى القرآن هذا الصلح فتحًا مبينًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. ونزلت فيه سورة الفتح، وقال الصحابة: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»[(٢)]. هو فتح، وفتح مبين.

وفي هذه السورة نجد القرآن يقول في معرض الامتنان على المسلمين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. مفهوم أن يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾. يمتن بكف أيدي المشركين عن المؤمنين، أمَّا أن يقول: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾.

---

(١) رواه أحمد (١٨٩١٠) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف. والسائل فيه عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

فهذا هو اللافت حقًّا، هل هذا دين يرحب بالحرب وبالقتال أم يرحب بالسلم والصلح؟ لا شك أنَّ كلمات القرآن واضحة في هذا الأمر.

حتى إنَّ النبي ﷺ يقول في بعض الأحاديث: «**أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن. وأصدقُ الأسماء: حارثٌ، وهمَّام. وأقبح الأسماء: حربٌ، ومُرَّة**»[1]. تعرفون أنَّ العرب كانوا يسمون باسم حرب، مثل أبي سفيان بن حرب، ولا زالوا كما يقول بعض الإخوة: هناك طلعت حرب، وصالح حرب باشا. فحتى كلمة (حرب) لا يريد النبي ﷺ أن تتعود الألسن النطق بها في الأسماء، فيقال: جاء حرب، وظهر حرب، وتعال يا حرب.

هذا يدلنا على أنَّ الإسلام دين السلام، ولا عجب فكلمة الإسلام مشتقة من مادة (السلام)، والله اسمه (السلام)، والمسلمون وحدهم هم الذين يسمون (عبد السلام)، أي عبد الله ﷻ، والجنة دار السلام، وتحية المؤمنين في الدنيا والآخرة السلام، فلا عجب أن يكون هناك دعوة إلى السلام.

ونحن ندعو إلى السلام بشرط ألا تُؤكل حقوقنا، ولا تنتهك حرماتنا، ولا تغتصب ديارنا، فإذا كان الحوار يهدف إلى السلام فأهلًا وسهلًا بالحوار.

هناك مستويات من الأُخوَّة:

وإذا كان الحوار يهدف إلى الأُخوَّة فنحن نرحب بالأُخوَّة. يقول بعض الإخوة: كيف ينعقد إخاء بين مؤمن وكافر، والله تعالى يقول:

(١) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلَّل الإمام الخطابي قبح اسم «حرب» لما في الحرب من المكاره.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. والنبيُّ ﷺ يقول: «**المسلمُ أخو المسلم**»(١). ويقول: «**كونوا عباد الله إخوانًا**»(٢)؟!

ونقول: هناك أنواع من الأُخوَّة، ومستويات من الأُخوَّة: هناك الأُخوَّة الدينية التي تنعقد بين أهل الدين الواحد، وأساسها الإيمان، وهذه هي التي جاء فيها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ولكن هناك أُخوَّات أُخرى، هناك أُخوَّة في الوطن أو في القوميَّة، مرة كنت في إحدى المحاضرات أقول: أحد إخواننا الأقباط قال كذا وكذا. فجاء واحد وقال: كيف تقول: إخواننا الأقباط؟ الأُخوَّة إنَّما تكون بين المؤمنين بعضهم وبعض.

قلت: يا أخي، هذه أخوة وطنية، أخوة في الوطن، أمَّا قرأت القرآن؟ أمَّا قرأت قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠، ١٦١]. هو أخوهم وإن كانوا قد كفروا به، لأنَّه من قومه، فهناك أخوة بين العرب بعضهم وبعض، وهناك أخوة بين المصريين بعضهم وبعض.

وهناك أخوة بين البشر جميعًا، الأخوة البشرية العامة، كما يقول الشاعر:

إذا كان أصلي من ترابٍ فكلُّها بلادي وكل العالمين أقاربي(٣)

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٣) القائل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٤٤/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

هذه الأُخوَّة أساسها أنَّ الجميع عبيد لرب واحد: هو الله تبارك وتعالى رب العالمين، وأبناء لأب واحد: هو آدم أبو البشر. وهذا ما أعلنه النبي ﷺ في حجة الوداع حينما وقف يخطب في الناس وقال: «**يا أيُّها الناس، أَلَا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى**»[(١)].

وقد روى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم، أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول دبر كل صلاة: «**اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أنا شهيدٌ أنَّكَ اللهُ وحدَكَ لا شريكَ لك، اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أنا شهيدٌ أن مُحَمَّدًا عبدُكَ ورسولُكَ، اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، أنا شهيدٌ أنَّ العبادَ كلَّهم إخوة**»[(٢)]. فكما شهد لله تعالى بالوحدانية، وكما شهد لمحمد بالعبودية والرسالة، شهد بأخوة العباد العامة بين بعضهم وبعض، أنَّ العباد ـ كل العباد ـ إخوة.

هذه هي الأخوة البشرية العامة، فلماذا نضيق إذا كان من أهداف الحوار الدعوة إلى الأخوة؟ نحن نرحب بهذه الأخوة البشرية العامة، لا نريد أن يستعبد بعض الناس بعضًا، لا نريد أن يبغي بعض الناس على بعض، فهذا هو الحوار الَّذي نؤمن به وندعو إليه.

عقبات في سبيل إنجاح الحوار:

وأودُّ أن أقول: هناك عقبات تقف في سبيل إنجاح مثل هذا الحوار، عوائق لا بدَّ أن نعترف بها، عوائق من التاريخ القديم، وعوائق من التاريخ الحديث، وعوائق من الواقع.

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٠.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحروب الصليبية:

من هذه العوائق القديمة الحروب الصليبية، اصطدم الإسلام بالمسيحيَّة في حروب مريرة معروفة، جاء الغرب بقضه وقضيضه، وثالوثه وصليبه لهذه الديار الإسلاميَّة؛ بدوافع دينية عند الكثيرين من الناس، ودوافع دنيوية عند آخرين، إنَّما الشعار المعلن هو الصليب المرفوع، وقبر المسيح، وأنقذوا المقدسات المسيحيَّة من المسلمين!

والمسلمون ما اعتدوا على المقدسات المسيحيَّة، وما كانوا إلا حماة وحرَّاسًا لها طوال التاريخ، وهذا ما عرفه التاريخ، ولكن ضُلل هؤلاء الناس؛ فجاؤوا في تسع حملات صليبية معروفة، وحدث ما حدث في هذه الحروب، ودخل الصليبيون بيت المقدس، وغاصوا في الدماء إلى الركب، وقتلوا عشرات الآلاف.

وفي طريقهم فعلوا ما فعلوا، وهم ذاهبون إلى بيت المقدس، وظل بيت المقدس في أيديهم تسعين سنة، إلى أن حرره القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، وظل الصليبيون مائتي عام في بلاد الشام، أقاموا ممالك وإمارات، وللأسف تعاون معهم بعض الملوك والأمراء إلى أن طهَّر الله الأرض منهم، كما نرجو أن تُطهَّر من أمثالهم إن شاء الله، فالحروب الصليبية تركت في النفوس أحقادًا!

والحقد الصليبي لا زال يعمل عمله في نفوس الغربيين، قد يخفي ذلك السياسيون، ولكنَّه يظهر أحيانًا على بعض الألسنة وخصوصًا عند العسكريين، عندما دخل القائد البريطاني اللنبي القدسَ سنة ١٩١٧م. قال

QaradawiBooks.com

كلمته الشهيرة: الآن انتهت الحروب الصليبية[١]. يعني أنَّه أنجز ما أخفقت فيه الحروب الصليبية، وعاد إلى القدس مرة أخرى!

وحينما دخل القائد الفرنسي غورو إلى دمشق، وذهب إلى قبر صلاح الدين قال كلمته المعروفة: ها قد عدنا يا صلاح الدين[٢].

ونحن إلى الآن نرى آثار هذه الصليبية في كثير من التصرفات، كما يظهر للأسف في قضية البوسنة والهرسك، نجد فيها الصليبية واضحة، نجد فيها الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية، الديانات المسيحيَّة كلها للأسف وقفت مع الصرب ضد المسلمين، فهذه الرواسب يجب أن نتخلص منها.

الاستعمار الحديث:

ومن العوائق في التاريخ الحديث الاستعمار، الَّذي دخل البلاد الإسلاميَّة واحتلها جميعًا تقريبًا ما عدا السعودية واليمن، فالعالم الإسلامي احتُل من الدول الغربية النصرانية، وطبعًا حدث ما حدث من إلغاء الشريعة الإسلاميَّة، ومن تغيير المفاهيم الإسلاميَّة، والتربية الإسلاميَّة، والآداب الإسلاميَّة، ولا زلنا نعاني من آثار هذا الاستعمار إلى اليوم، هم عندهم عقدة الاستعلاء أنَّهم استعمرونا، ونحن عندنا عقدة من أنَّنا استُعمرنا وأُخذنا من ديننا، أُخذ منا تشريعنا وثقافتنا، ومفاهيمنا وحضارتنا، إلى آخره، فهذا الاستعمار الحديث لا يزال مؤثرًا أيضًا.

---

(١) دروس وتأملات في الحروب الصليبية لأبي فارس صـ٣٥.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

عدم إنصاف الغرب:

وهناك العوائق في واقعنا المعاصر، أنا أقول بصراحة: الغرب للأسف ليس منصفًا معنا في قضايا كثيرة، أشرت إلى قضية البوسنة والهرسك، وطبعًا قضية فلسطين واضح فيها أنَّ الغرب ـ كل الغرب ـ وقف مع إسرائيل.

قبل أن تُنشأ إسرائيل من الَّذي أنشأها؟ وعد بلفور البريطاني في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، ثم الانتداب البريطاني ثلاثين عامًا، وقبل أن يخرج سلَّم فلسطين لليهود، وعاش ثلاثين سنة متحيزًا لهم: يُعدهم ويهيئهم، ويحارب العرب المسلمين في فلسطين، الذين ثاروا ثورات هائلة في سنوات عدة، هذا لا يمكن أن يُنسى، فإسرائيل قبل أن تُنشأ وقف الغرب المسيحي معها.

وبعد أن أُنشئت إسرائيل وقف الغرب المسيحي معها، من أول لحظة اعترف بها ترومان الرئيس الأمريكي، بعد دقيقة واحدة من قيام إسرائيل كان اعتراف أمريكا، وجاء اعتراف روسيا، وجاء اعتراف الجميع بهذا، وكان الجميع يُعلن هذه الكلمة: إن إسرائيل خُلقت لتبقى!

وكم اعتدت إسرائيل، وكم أخذت من أراضٍ، وكم سفكت من دماء، وكم انتهكت من حرمات، وكم طغت على حقوق، وكم، وكم، وما كان أمامنا إلا أن نشكو إلى مجلس الأمن، وإلى الأمم المتحدة، ونشجب وننكر، ولكن ما فائدة الشجب والإنكار وعندنا آلاف الشكاوى إلى مجلس الأمن؟ وعندنا قرارات من مجلس الأمن فماذا صنعنا بها؟

ومن هنا نقول: الغرب لم ينصفنا. ولذلك كثير من المسلمين يقول: كيف نتحاور مع هذا الغرب الَّذي ظلمنا ولا زال يظلمنا؟

هذه عوائق يجب أن نعترف بها.

QaradawiBooks.com

المتطرفون من الجانبين:

هناك متطرفون من الغربيين ومن المسلمين أيضًا، ولو أخذنا بأقوال المتطرفين من الفريقين، فلا يمكن أن نلتقي، لا بدَّ أن نقف عند الحد الوسط.

هناك من الغربيين من يريد إبادة الإسلام وأهله، وهذا ما نراه للأسف في مواقع شتى، هناك حرب على الإسلام، وعلى أمة الإسلام، وعلى صحوة الإسلام، وعلى حركة الإسلام، ينبغي أن نعترف بهذا، فكيف يمكن أن نحاور الغرب المسيحي خاصة إذا لم يغير موقفه منا؟

هناك أناس يقولون: إنَّ الإسلام هو الخطر القادم. يسمونه (الخطر الأخضر)، بعد أن زال (الخطر الأحمر) المتمثل في الاتحاد السوفيتي، دولة الشر كما كان يسميها ريجان وسقطت قلاعها، وبعد أن تقارب الغرب مع (الخطر الأصفر) الخطر الصيني؛ لم يبقَ إلا الخطر الأخضر: خطر الإسلام، هكذا يحاول الغرب أن يصنع من الإسلام عدوًّا جديدًا! الدول تحتاج إلى عدو تستنهض بسببه الهمم، وتستحث العزائم، وتبقي الأمة في حالة تحفز، فمن يكون العدو؟ جعلوا العدو هو الإسلام، فهؤلاء متطرفون من الغربيين.

ومن هؤلاء من يقولون: إنَّ الخطر في الإسلام ليس في المتطرفين، بل الخطر في المعتدلين، احذروا الإسلام المعتدل، الإسلام المتطرف قصير العمر، أمَّا الإسلام الأشد خطرًا، والأعمق أثرًا، والأطول عمرًا فهو الإسلام المعتدل، احذروا هؤلاء. ثم يعودون فيقولون: إنَّ الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلًا، إنَّه يبدأ معتدلًا ثم يتطرف، فاحذروا من الإسلام المعتدل!

هؤلاء هم المتطرفون من القوم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نماذج من المنصفين من الغربيين:

ولكن ينبغي أن نعترف أيضًا أنَّ في القوم معتدلين، مثل البروفيسور جون اسبوزيتو الأستاذ بجامعة جورج تاون، وقد دعاني في أوائل سبتمبر الماضي إلى ندوة في جامعة جورج تاون في واشنطن، ومعه أيضًا زميل له نسيت اسمه، وقد ألفا كتابين ينفيان فيه عن الإسلام صفة الخطر.

وفي كل بلد في أوروبا نجد أمثال هؤلاء، قرأنا قريبًا للمستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل التي ألفت نحو خمسين كتابًا في إنصاف الإسلام، واحتفل بها رئيس جمهورية ألمانيا، وقال كلامًا جيدًا عن العلاقة بين الإسلام والمسيحيَّة، ونحن للأسف لا نعرفها، ولم يدعها أي أحد في العالم العربي، دعونا سارتر ودعونا فلان وفلان، ولكن هذه لم يعرفها أحد، ولم يدعها أحد، ولم يكرمها أحد.

ومنذ سنتين قرأنا لولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز محاضرته القيمة عن الإسلام في مركز أكسفورد للدراسات الإسلاميَّة، وقد أنصف الإسلام.

هناك كثيرون ممن أنصفوا الإسلام من الغربيين، بعضهم انتهى به الأمر إلى الإسلام، مثل روجيه جارودي، ومثل مراد هوفمان السفير الألماني في المغرب صاحب كتاب «الإسلام كبديل»، وغيرهما، فينبغي أن نُحكِّم هؤلاء.

المتطرفون والمتشددون من المسلمين:

طبعًا عندنا أيضًا متطرفون ومتشددون يقولون: لا لقاء بيننا وبين هؤلاء؛ لأنَّهم ليسوا على شيء، ولأنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم.

QaradawiBooks.com

وهؤلاء يقولون: حتى نحن المسلمين لسنا على شيء؛ لأنَّنا لم نقم التوراة والإنجيل وما أنزل إلينا من ربنا. فهم ليسوا مستعدين حتى للحوار مع المسلمين!

هؤلاء لا يحكمون على جميع المسلمين، هم أناس مخلصون، ولكن هناك الخلل في الفكر؛ مثل الخوارج قديمًا.

الخوارج كانوا من أخلص الناس ومن أعبد الناس لله، ومن أكثر الناس صلاة وقيامًا وصيامًا، وكما جاء في الحديث المتَّفق عليه: «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامِهم، وقراءتَه إلى قراءتِهم، ولكنْ يمرقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّة**»[1]. خلل ليس في الضمائر ولكن في العقول.

تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة:

ونحن ندعو باسم تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة، هذا التيار هو الَّذي يجب أن يسود، هذا التيار الَّذي يتعامل مع النصوص جملة، لا يأخذ نصا واحدًا وينسى سائر النصوص، ويرد المحكمات إلى المتشابهات، وينظر إلى الجزئيات في ضوء الكليات، يوازن بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية العامة، ينظر إلى الإسلام نصًّا وروحًا، هذا هو التيار الَّذي ينبغي أن نحكمه في حياتنا.

ينبغي إذا أردنا الحوار أن نستبعد المتطرفين من الفريقين، وأن يحاول أن ينصف بعضنا بعضًا، ولا مانع أن نجلس على مائدة الحوار، وهذا ما حدث بالفعل في أكثر من لقاء وأكثر من مؤتمر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

لقاءات جادة وإيجابية:

منذ أكثر من ربع قرن ذهب وفد من رابطة العالم الإسلامي على رأسه الشيخ محمد علي الحركان: الأمين العام للرابطة، وفي أعضاء الوفد الدكتور معروف الدواليبي، والأستاذ محمد المبارك، وقد حدثني الأستاذ محمد المبارك أنَّهم ذهبوا إلى الفاتيكان، وقابلوا البابا والكرادلة والأساقفة، وقال: كانت لقاءات هامة وجادة وإيجابية ونافعة، وانتهت بأن اعترف البابا في أحد المجامع الماسونية بالمسلمين وبالإسلام باعتباره دينًا، وصدر في هذا الموضوع كتاب عن رابطة العالم الإسلامي.

وفي سنة ١٩٧٦م. حدث أيضًا مؤتمر بين الإسلام والمسيحيَّة ـ بالذات المسيحيَّة الكاثوليكية البابوية في روما ـ في الجماهيرية الليبية، وكان اللقاء مُعدًّا ومُهيَّأ، أُعدت فيه أربع موضوعات يتحدث فيها كل من الجانب الإسلامي والجانب المسيحي: (هل يصلح الدين أيديولوجية للحياة؟) والذي أعد هذا الموضوع أحد إخواننا، وهو الآن أستاذ في جامعة قطر أخونا الدكتور عبد الرحمة عتبة، وموضوع آخر عن (العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله)، وأعده أخونا الدكتور إبراهيم الغويل من ليبيا، وموضوع (مواضع للقاء بين الديانتين)، وكان يمثل الجانب الإسلامي في هذا الأستاذ الدكتور إسماعيل الفاروقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وموضوع (إزالة الأحكام المسبقة والخاطئة وإعادة الثقة بين الفريقين)، أعده أحد الإخوة الجزائريين اسمه الدكتور محمد اليعشوبي أو نحو ذلك، ومن الجانب المسيحي تحدث من تحدث، وتباحث الفريقان، وقدم كل منهما دراسات، وصدرت وثيقة رائعة، لو كان في الوقت متسع كنت عرضتها عليكم، ليس فيها أدنى تنازل من المسلمين، لكن الفريقان اتفقا على أن هناك أرضية مشتركة ينبغي أن

QaradawiBooks.com

يتعاون فيها الفريقان، يتعاونان على البر والتقوى، ويتعاونان على الإيمان والفضيلة، ويتعاونان على تدعيم الأسرة، ويتعاونان على الوقوف ضد المادية الطاغية، والإباحية المتحللة، ويتعاونان على الوقوف ضد الظلم والعدوان.

هذا ما ينبغي أن يكون هدف مثل هذه الحوارات، أن يقترب بعض الناس من بعض، وأن يتفهم بعض الناس بعضًا، وبدل أن يعيشوا في ظلمات التعصب الطائفي من أسفل إلى أسفل فلنعمل في النور علنا بدل أن يكيد كل منا لصاحبه، لا داعي لهذا.

المشروع الحضاري الإسلامي:

كنت في هذا الصيف أحاضر في دار الحكمة، في نقابة الأطباء بمصر، وكنت أعرض المشروع الحضاري الإسلامي، وكان يحضر فئات عدة، من كل الفئات: مسيحيون، وقوميون، ويساريون، وماركسيون. وبعد أن عرضت هذا المشروع سألني أحد الإخوة المسيحيين الدكتور جورج إسحاق، قال: ما موقع الأقباط في هذا المشروع الحضاري؟

قلت له: موقع الأقباط من هذا المشروع هو موقع المسلمين، يحدد هذا: لكم ما لنا، وعليكم ما علينا؛ إلا ما اقتضته طبيعة اختلاف الأديان، لا يمكن أن يمس أحد معابدكم أو حرماتكم، أو يعتدي على أموالكم؛ بل المسلمون مطالبون أن يحافظوا على هذا ويقاتلوا دونكم!

والمسيحيون واليهود في الحضارة الإسلاميَّة وصلوا إلى مرتبة الوزراء، طبعًا لا تطمعون أن يكون منكم رئيس الدولة. قال: لا. قلت: ولكن في الأشياء الأخرى لا يمنعكم الإسلام أن تأخذوا حقوقكم. وإذا كانت تسمية (أهل الذمة) هذه تزعجكم فلا حاجة إليها، مع أنَّها كلمة

QaradawiBooks.com

عظيمة؛ لأن الذمة معناها العهد، أي لكم عهد الله، وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين. لكن إذا كنتم تنزعجون منها فلتبقوا مواطنين!

الفقهاء يقولون: أهل الذمة هم من أهل دار الإسلام. أي من أهل الوطن، وبتعبيرنا المعاصر (مواطنون)، لا داعي لكلمة الذمة وابقوا مواطنين. الكلام الَّذي يؤذي نمتنع منه، إذا كانت كلمة الجزية تؤذي فلا داعي أن نسميها جزية، وأنا قلت هذا من قديم في كتابي «فقه الزكاة»، وذكرت أن سيدنا عمر اقترح عليه نصارى بني تغلب ـ وهم من نصارى العرب ـ وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن قوم عرب، ونحن نريد أن تأخذ منا ما تأخذ باسم الصدقة وليس باسم الجزية. فقال: لا مانع، آخذ منكم باسم الصدقة. وقال سيدنا عمر كما روى الإمام ابن قدامة: هؤلاء القوم حمقى؛ رضوا المعنى وأبوا الاسم[1].

لا فرق، المهم أن يدفعوا، وهم يدفعون للدولة؛ لأنَّ المسلم يدفع فيها زكاة، زكاة مال وزكاة فطر، فلا بدَّ أن يدفع غير المسلم أيضًا، لأن الدولة مسؤولة عن الجميع، ليس من الضرورة أن أسميها جزية، هي ضريبة يدفعها، وأنا قلت هذا: هي ضريبة التكافل. حين جاء النميري وطبق الزكاة في السودان فرض على غير المسلمين ضريبة سماها (ضريبة التكافل)، لأن مرجعه كان هو كتابي «فقه الزكاة».

بعد المحاضرة قال لي الرجل: ليتك تأتي إلى الكنائس، وتقول لنا هذا الكلام؛ لأن النصارى يعتقدون أنَّه لو قام حكم إسلامي أو انتصر الإسلام في بلد سيذبح النصارى، ولن تبقى لهم قائمة. قلت: هذا ليس بصحيح. قال: ليتهم يسمعون من مثلك هذا الكلام.

(١) الحاوي الكبير للماوردي (٣٤٦/١٤)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

نحتاج إلى التسامح والمصارحة:

نحن في حاجة إلى أن نتصافح ونتسامح، ويعلن كل منا عما عنده بصراحة، ونحن ليس عندنا ما يخيف، نحن ندعو إلى دين الله الحق، ودين الله الحق هو دين العدل ودين التسامح، نحن دعاة التسامح الحقيقي، التسامح هذا هو اختراع المسلمين وحدهم، هم الذين غرسوا هذا التسامح، وهو ليس قوانين فقط، التسامح روح، وأنا في كتابي «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» تكلمت عن روح التسامح، ودللت على هذه الروح بأدلة وفيرة وكثيرة جدًّا، فنحن دعاة العدل ودعاة التسامح فلا مانع أبدًا لدعاة العدل والتسامح أن يتحاوروا مع الآخرين.

قضية القدس:

في اللقاء الَّذي تمَّ في هذا الصيف ونظمه مجلس كنائس الشرق الأوسط مع بعض الإسلاميين اتفقوا على أشياء مشتركة، ومن هذه الأشياء المشتركة قضية القدس، هذه قضية ينبغي أن يقف فيها العالم الإسلامي والعالم المسيحي معًا؛ حتى تعود القدس عربية إسلاميَّة، وهي في هذه الحالة للعالم كله وللأديان كلها، وهذا ما ينبغي أن نضع أيدينا في أيدي إخواننا المسيحيين من أجله.

أيُّها الإخوة، هذا هو الحوار الإسلامي المسيحي الَّذي أؤمن به، وأدعو إليه، ولا أجد حرجًا فيه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَقِّهَنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنَّه سميع قريب، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

٩

مفهوم الأمن في الإسلام(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتم الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أُحَيِّيكم به أيُّها الإخوة الأحبَّة تحيَّة الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأشكر لدولة الإمارات العربيَّة المُتَّحِدَة: أن أتاحت لي هذه الفرصة لأتحدَّث إليكم، وألتقي بكم.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل حديثنا في هذه الليلة نافعًا، وأن يجعل قصدنا فيه وجهه ﷻ، وأن يجعل هذه الأمسية في ميزاننا يوم القيامة حسنات ودرجات عنده، اللهم آمين.

حديثنا حول (الأمن في الإسلام، مفهوم الأمن وقيمته ومنزلته في الإسلام). والأمن ضد الخوف، في اللغة العربية الأمن مقابل الخوف،

(١) ألقيت في دولة الإمارات المتحدة، في ثمانينيات القرن الماضي.

QaradawiBooks.com

الأمن هو طمأنينة، هو جانب نفسي قبل كل شيء، الأمن معنى يتصل بالنفس، وإن كان له مظاهر مادية؛ ولكن الأصل في الأمن أنَّه ينبع من النفس، كما أن مقابله وهو الخوف أيضًا أمر نفسي.

قيمة الأمن وأهميته:

والأمن هدف من أهداف الحياة الإسلاميَّة؛ بل من الأهداف الكبيرة والأساسيَّة في الإسلام، نستطيع إذا أردنا أن نجمل أهداف الحياة الإسلاميَّة كما يريده الإسلام في أمرين أساسيين: وهما الكفاية، والأمن، أي لا بدَّ للناس أن يكتفوا في حياتهم، أن يتحقق لهم ولمن يعولون الكفاية في غير إسراف ولا تقتير، هذا معنى الكفاية، الكفاية المادِّيَّة والاجتماعيَّة: المأكل والمشرب، والملبس والمسكن، والعلاج وكل ما يحتاج إليه الإنسان، ثم بجوار هذا: الأمن، لا بدَّ أن يتوافر هذا للإنسان حتى يستطيع أن يعبد ربه، وأن يشكره على نعمائه، ولهذا طالب الله قريشًا ـ بعد أن توافر لهم هذا الأمران ـ أن يعبدوه حق عبادته حيث قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ١ ـ ٤].

العبادة إذن يجب أن تتحقق؛ لأنَّ الله وفر لهم الكفاية؛ فأطعمهم من جوع، ووفر لهم الأمن؛ فآمنهم من خوف.

الأمن أحد هذين الهدفين الكبيرين في الحياة الإسلاميَّة، وهو هدف فردي، وهدف اجتماعي، الفرد لا بدَّ أن يتحقق له الأمن، ولا يمكن أن يحس الإنسان بالسعادة إذا عاش في خوف.

سُئل أحد الحكماء: ما السعادة؟ فقال: السعادة في الأمن؛ فإني رأيتُ الخائف لا عيش له. الإنسان إذا خاف لم يستمتع بعيش، ولم يقرَّ له

QaradawiBooks.com

قرار، ولم يهنأ له بال، الخائف لا يستطيع أن ينام، ولا يحس بطعم الأكل ولو أكل الطعام الشهي، الخوف يُذهب عنه كل لذة، ولهذا قال: إنِّي أرى السعادة في الأمن.

الجنة دار الأمن والأمان:

ومن هنا كانت الجنة دار أمن كامل، يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦]، ليس في الجنة خوف، لا يخاف الإنسان من شيء، ولا يخاف على شيء. ويقول الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]، فليس في الجنة خوف قط، ومن هنا كان الأمن نفحة من نفحات الجنة، حينما يتوافر للناس الأمن في الدنيا فمعناها أنَّهم هبت عليهم نفحة من نفحات الجنان، على حين أنَّ الخوف جحيم والعياذ بالله، من عاش في خوف فهو يعيش في جحيم؛ وإن توفر له ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، قد يكون في القصر، وقد يكون حوله الخدم والحشم؛ ولكنَّه خائف فزع فلا يستمتع بحياة، ومن هنا كانت قيمة الأمن، وكان الأمن نعمة أيَّ نعمة!

من مقومات سعادة الإنسان:

الأمن في نظر الإسلام نعمة عظيمة، النبيُّ ﷺ ذكر الأمن في حديث؛ فجعله أحد مقومات أساسيَّة لسعادة الإنسان، من الأشياء الضروريَّة الَّتي لا يتحقق للإنسان السعادة بدونها، وإذا تحققت فهي تعتبر الأساسيَّة، وما عداها يعتبر من الهوامش، جاء في الحديث:

QaradawiBooks.com

«**مَن أصبح آمنًا في سِرْبه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[١]، «**آمنًا في سِرْبه**» أي في جماعته، هذا هو العنصر الأول، «**آمنًا في سِرْبه**».

والعنصر الثاني: «**معافًى في بدنه**»، الصحَّة والعافية؛ فالمريض لا عيش له، ولا سعادة له، الإنسان الَّذي يعيش في ألم ـ مهما كان عنده من الأموال والملايين ـ لا هناءة له، ما قيمة الملايين وهو لا يستطيع أن ينتفع بها؟ هل يأكل الذهب والفضة؟ هب أن عنده في رصيده ألف مليون؛ هل سيأكل هذا الرصيد؟ ممكن الأطباء يحرمون عليه أن يأكل كذا وكذا، ماذا يفعل بأمواله؟ ماذا يفعل بملايينه وبلايينه؟ ولذلك كانت أهمية الأمن والعافية.

العنصر الثالث: «**عنده قوت يومه**»، ليس المهم أن يتوافر له ملايين، لا، المهم أن عنده قوت يومه، عنده رزقه ولو كان يأتيه يومًا بيوم، رزقه اليومي متوفر والحمد لله، كل يوم يجد أكله متوفرًا، يكسب الدرهم والدرهمين ونحو ذلك؛ ولكن يوفر له القوت، فإذا توفرت هذه الثلاثة قال ﷺ: «**فكأنَّما حِيزَت له الدُّنْيا بحذافيرها**».

والرسول ﷺ يجعل العنصر الأول في هذه المقومات هو الأمن في السرب أي في الجماعة، أن يكون آمنًا في جماعته، لا يخاف على شيء، لا يخاف على نفسه، ولا يخاف على أهله، ولا يخاف على ماله، ولا يخاف على عرضه، ولا يخاف على حرمة من حرماته، ولا يخاف على مسكنه،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، كلاهما في الزهد. وقال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

QaradawiBooks.com

ولا يخاف على شيء، وكذلك لا يخاف من شيء، إذا توافر له هذا الأمن مع عافية البدن، ومع قوت اليوم؛ فكأنَّما حِيزَت له الدُّنْيا بحذافيرها!

نعمة الأمن:

من هنا كان الأمن شيئًا مهمًّا جدًّا في حياة الناس، والقرآن امتن بالأمن، فقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤]، وحينما ذهب يعقوب عليه السلام وزوجته وأبناؤه وهم إخوة يوسف، استقبلهم يوسف عليه السلام وقال لهم هذه الكلمة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩]، فذكر الأمن قبل كل شيء، لم يقل ادخلوا مصر هانئين برغد العيش أو بكذا، إنَّما أهم من هذا كله أن تكونوا فيها آمنين، أن يتوفر لكم الأمن، ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾، وقال الله تعالى في أهل سبأ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨]. سيروا في البلاد والبراري والقفار، ليالي وأيامًا آمنين، امتن عليهم بالأمن.

نقمة الخوف:

إذا وُجد الأمن فهي نعمة عظيمة؛ بخلاف الخوف، فالخوف نقمة، والخوف مصيبة، والخوف بلاء، إذا كان الكفاية والأمن من أهداف الحياة، ومن أفضل ما يعطاه الإنسان في هذه الدنيا، فهناك في مقابل هاتين النعمتين مصيبتان: هما الجوع والخوف!

القرآن الكريم يقول: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]. هذا شر ما تبتلى به المجتمعات، الجوع والخوف، لا يجد الكفاية ولا يجد الأمن، لو وجد

QaradawiBooks.com

من الكفايــة ما يكفيه في حياتــه المادية: المأكل والمطعــم، والملبس والمســكن، والعلاج وكل هذه الأشياء؛ لا يشعر بسعادة حتى يأمن على نفسه، وهذا ما صنعته للأسف كثير من الأنظمة والمذاهب المستوردة في كثير من البلاد، بلت الناس بالجوع والخوف، لا شبع الناس من جوع، ولا أمن الناس من خوف، الناس ابتلوا بالفقر! وعدوا الناس بالرفاهية، فكانت النتيجة أنَّهم بدل أن يغنوا الفقير أفقروا الغني، سووا بين الناس في الفقر، وبعد هذا الناس لا يعيشــون آمنيــن، وكان الجوع والخوف، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

أهميَّة العمل في الإسلام:

من هنا حرص الإســلام علــى أن يحقق للناس هذيــن الأمرين: الكفاية والأمن، فلا يجوعون ولا يخافون، حقق الإســلام الكفاية عن طريق العمل أولًا، فعلى كل إنسان أن يعمل ويكسب رزقه؛ بكدِّ يمينه، وعرق جبينه.

وعلَّم الإســلام الناس أنَّ العمل عبادة، وأن العمل جهاد، وأن على الإنســان أن يعمل ما دام فيه عرق ينبض، ونفس يتردد، حتى لو قامت الساعة وفي يد إنسان فسيلة ـ نخلة صغيرة ـ يريد أن يغرسها؛ فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يغرسها فليغرسها[1]، هذا تكريم للعمل لذات العمل، اعمل إلى آخر لحظة، إلــى آخر نفس فــي الحياة، يجب أن يعمل الإنســان ويعطي، المسلم منتج معطاء إلى آخر رمق في الحياة، هكذا أمر الإسلام المسلم أن يعمل.

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وليعمل أي عمل، ولا يكن عالة على غيره، لا تكن عالة على غيرك، لا تنتظر الصدقة؛ فإنَّ الصدقة لمن لا يستطيع أن يعمل، كما جاء في الحديث: «**لا تحل الصدقة لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سويٍّ**»[١]، وذو المرة؛ أي: القوي، واحد سليم الأعضاء ليس عنده عاهة، وليس عنده مرض، وليس عنده ضعف، فلماذا لا يعمل؟ لماذا ينتظر الصدقة؟! لا، الصدقة ليست له، اعمل، واعمل في أيِّ عمل، النبيُّ ﷺ يقول: «**لأن يأخذَ أحدُكم حَبْلَه على ظهره، فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها، فيكفُّ الله بها وجهَه، خير من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه**»[٢].

العمل في الاحتطاب، جمع الحطب من البَرِّ وبيعه للناس مهنة شاقة، لا تعطي الإنسان إلا المدخول القليل الضئيل، ولكنها أولى من أن تمد يدك إلى الآخرين؛ سواء أعطوك أم لم يعطوك، «**فيكفُّ الله بها وجهَه**»، لا يريق ماء وجهه!

ولذلك لما جاء أحد الأنصار إلى النبي ﷺ يسأله الصدقة قال له: «**أمَّا في بيتك شيء؟**» قال: ما في بيتي شيء يا رسول الله؛ إلا حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْب نشرب فيه من الماء، فقال: «**ائتني بهما**»، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من يشتري هذين؟**»، قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**من يزيد على درهم؟**» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأخذ رسول الله ﷺ الدرهمين وأعطاهما للأنصاري، وقال له: «**اشترِ بأحدهما طعاما لأهلك، واشترِ بالآخر قدُومًا فأتني به**»، فذهب الرجل واشترى طعامًا لأهله،

(١) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)، وقال: حسن. كلاهما في الزكاة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٥٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الزكاة (١٤٧١)، عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

واشترى قدومًا، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال له: «**اذهبْ فاحتطبْ وبع، ولا أرينَّكَ خمسةَ عشر يومًا**»، وفعلًا ذهب الرجل واحتطب وباع، وجاء بعد خمسة عشر يومًا وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إنَّ المسألة لا تصلحُ إلَّا لثلاث: لذي فقرٍ مُدْقِع، أو لذي غُرم مُفْظِع، أو لذي دمٍ مُوجع**»[1].

معنى ذي فقر مدقع: أي لا يملك إلا التراب، كما نقول نحن: (يده والأرض)، كما قال الله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]، وذي غُرم مفظع: أي مدين دينًا ثقيلًا. وذي دم موجع: الدم يعني الدية، عليه دية ثقيلة لا يستطيع أن يحملها وحده: مائة ناقة، فالمسألة تحل لواحد من هؤلاء الثلاثة.

تحقيق الكفاية بالعمل:

انظروا كيف عالج رسول الله ﷺ هذا الموضوع، لم يعطِ الرجل صدقة وينتهي الأمر، ثم يرجع الرجل بعد أيام يطلب صدقة مرة أخرى، إنَّما أراد أن يَحُل مشكلته من جذورها، وعلَّمنا كيف تُحل المشاكل، تُحل المشاكل في حدود البيئة، وفي حدود الإمكانات المتاحة، كلٌّ على حاله وحسب وُسعه، هذه بيئة بدوية وبيئة محدودة الموارد؛ فأراد أن يعلمه أن يكتفي بنفسه، وألَّا يعتمد على غيره، حتى إذا أراد أن يكوِّن له رأس مال أراد أن يكوِّنه مما عنده.

---

(١) رواه أحمد (١٢١٣٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الزكاة (١٦٤١)، والترمذي في البيوع (١٢١٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في التجارات (٢١٩٨)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٩١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ماذا عندك؟ عندي شيء بسيط وقليل، هاتِ ما عندك ونبيعه، ولما بيع هذا الشيء بدرهمين؛ علمنا النبي ﷺ شيئًا مهمًّا جدًّا وهو أنَّ الثروة لا ينبغي أن تتحول إلى الاستهلاك، كان من الممكن أن يعطي النبي ﷺ الرجل الدرهمين ليشتري بهما طعامًا، ثم بعد يومين أو ثلاثة يأتي مرة أخرى يطلب ما يشتري به طعامًا آخر، إنَّما جعل نصف الثروة هذه للاستهلاك، ونصفها الآخر للإنتاج: أعطاه يشتري قدومًا، وهذه آلة إنتاجية، آلة يمكن أن تدر عليه دخلًا! انظروا كيف علمه النبي ﷺ: اشترِ طعامًا، واشترِ قدومًا، واذهب فاحتطب. واحتطب الرجل واكتسب مالًا، بعد هذا الحل العملي، أعطاه الدرس النظري وقال له: المسألة لا تحل إلا لكذا وكذا وكذا.

فالكفاية تُحل بالعمل أولًا، يجب أن يعمل المجتمع، كل المجتمع يجب أن يعمل، كان عيب المجتمع العربي من قديم أنَّه يكره الاحتراف، الحِرَف شيء مرذول عند المجتمع العربي، جرير هجا الفرزدق بأن أحد أجداده كان قيْنًا، يعني كان حدادًا، كأن هذه وصمة عار في جبين القبيلة، وماذا في أن يكون قينًا؟ ولذلك العرب للأسف إلى اليوم يعتبرون الحِرَف والمهن عيبًا، لا يحبون أن يشتغل الواحد حدادًا أو نجارًا أو ميكانيكيًّا، أو شيء هذه الحرف، لكن النبي ﷺ وجَّه هذا الرجل للعمل، اعمل أي شيء ـ ولو أن تحتطب ـ أفضل من أن تقول: يا فلان أعطني!

دور الزكاة في تحقيق الكفاية:

إذا لم يقدر المسلم على العمل، أو لم يجد العمل الملائم، أو كان دخله من عمله لا يكفيه هنا تأتي الزكاة في الإسلام. والزكاة في الإسلام ليست صدقة تطوعية، وليست إحسانًا اختياريًّا، بل هي حق معلوم،

QaradawiBooks.com

وتنظيم تشرف عليه الدولة، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. الزكاة تُؤخذ بواسطة جهاز إداري مالي سماه القرآن: (العاملين عليها)، تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم، لحل مشكلة الفقراء حلًّا جذريًّا.

فالأصل في الزكاة في الحقيقة أنَّها تحل مشكلة الفقر؛ لأن المفروض في المجتمع المسلم أنَّه يعمل، وأن الفقراء فيه.. الأصل أن يكونوا قليلين، والذين تجب عليهم الزكاة كثيرون، فتؤخذ هذه الزكاة الكثيرة، ونحاول أن نحل بها مشكلة الفقراء حلًّا جذريًّا، بمعنى ـ كما قال الشافعية ـ أن نعطي الفقير كفاية العمر، يعني نعطيه ما يغنيه طول عمره!

وكيف نعطيه ما يغنيه طول عمره؟ قالوا: إن كان محترفًا نعطيه آلة الحرفة، إن كان نجارًا نوفر له أدوات النجارة، ونستأجر له محلًّا، في هذه الحالة سينتقل في العام القادم من يد آخذة إلى يد معطية، من اليد السفلى إلى اليد العليا، يصبح قوة منتجة، وبدل أن يقول آتوني من الزكاة، يعطي هو الزكاة. وهكذا إن كان تاجرًا يُعطى رأس مال للتجارة، وإن كان زارعًا يُعطى مزرعة أو حصة في ضيعة أو كذا، وهكذا، على حسب اتساع حصيلة الزكاة.

والمذاهب الأخرى تقول: يُعطى كفاية السنة له ولمن يعول، فلو طبقت الزكاة كما ينبغي ما وُجد بين المجتمع الضائعون، والذين يعملون ضد أمن المجتمع.

موارد الدولة الأخرى:

وهناك موارد الدولة الأخرى، مثل الغنائم والفيء والخراج وغيرها، وأملاك الدولة كالنفط في عصرنا، كل هذا فيه قسم لكفاية المحتاجين،

QaradawiBooks.com

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧]، هذا كله لتحقيق الكفاية، فالكفاية ليست موقوفة على التبرعات كما يظن بعض الناس.

هناك طبعًا قدر فوق القانون؛ وهو ما يفعله الإنسان من عند نفسه اختيارًا، ليس واجبًا عليه كما قال القرآن: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، هذه الصدقة التطوعية شيء لا بدَّ منه، إنَّما ليست هي الأساس في حل مشكلة الفقر وتحقيق الكفاية.

الكفاية من وسائل تحقيق الأمن:

الكفاية طبعًا إذا حُققت، تكون في الحقيقة وسيلة من وسائل الأمن أيضًا، يعني هناك ارتباط بين الهدفين: الكفاية، والأمن؛ لأن كثيرًا مما يخل بالأمن، عدم وجود الكفاية عند كثير من الناس، ولذلك إذا حققت كفايتهم كان هذا سببًا من أسباب الأمن.

العقيدة الصحيحة من أسباب تحقق الأمن:

ولكن أسباب الأمن في نظر الإسلام كثيرة، من هذه الأسباب ما يرجع إلى العقيدة أولًا، العقيدة الإسلاميَّة نفسها عقيدة التوحيد هي مصدر من مصادر الأمن لصاحبها، القرآن الكريم يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ولما وُوجه بعض الصحابة بهذه الآية قال: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ ليس هناك أمن ولا اهتداء؛ إلا لمن لم يلبس إيمانه بظلم، ولم يخلط إيمانه وتوحيده بأي نوع من أنواع الظلم والمعصية؟ من الَّذي يتوافر فيه هذا؟ فقال

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ: «**أَمَا سمعتُم قولَ العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]»[(١)]، فمعنى ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾ لم يشوبوا إيمانهم بشيء من الشرك، يعني كان توحيدهم توحيدًا خالصًا لله، فالتوحيد الخالص لله هو سبب من أسباب الأمن النفسي والطمأنينة النفسية، حينما لا يرجو الإنسان إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يعبد إلا الله، ولا يحني رأسه إلا لله، ولا يطأطئ رأسه إلا لله.

وحينما يعلم أنَّ الرزق والحياة والموت، والضر والنفع، والخفض والرفع، كلها بيد الله وحده، هذا يجعله آمنًا، لا يخاف أحدًا، وهذا ما قاله القرآن تعقيبًا على قول حينما خوَّفوه بأصنامهم، فسيدنا إبراهيم قال: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ٨١]، من الَّذي يخاف؟ الَّذي يعبد الله وحده أم الَّذي يعبد الأصنام؟ ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالمؤمن الموحد هو أقرب الناس إلى الأمن: الأمن الداخلي، والأمن الروحي، والأمن النفسي، هو آمن حيث يخاف الآخرون، مطمئن حيث يضطرب الآخرون، آمن على وجوده، آمن على مصيره، آمن على غده ومستقبله.

الملحدون والشاكون دائمًا يعيشون في خوف مستمر، يخافون من المرض، ويخافون من الشيخوخة، ويخافون من الموت، ويخافون مما بعد الموت، ولكن المؤمن لا يخاف، فالمؤمن سدَّ أبواب المخاوف كلها؛ فلم يعد يخاف إلا الله، أمَّا الرزق فلا يخاف على الرزق، وأمَّا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الأجل، فلا يخاف على الأجل؛ لأنَّ الرزق مقسوم، والأجل محدود، لا يستطيع إنسان أن ينقص من رزقك درهمًا أو لقمة، ولا أن يزيدك درهمًا أو لقمة.

كذلك الأجل لن يستطيع أحد أن يؤخر أجلك لحظة من اللحظات، كما قال القرآن: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، فعلام يخاف المؤمن؟ الشيئان اللذان يخاف عليهما الناس هما الرزق والعمر، الرزق والأجل، وهذا بيد الله وحده، فالمؤمن في الرزق مطمئن، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وأيام الجهاد والفتوح الإسلاميَّة؛ حينما كانوا يأتون إلى أحد المسلمين ويقولون له: كيف تذهب وتترك أولادك؟ وكيف وكيف؟ يقول لهم: علينا أن نجاهد في سبيله كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا. نحن علينا الجهاد، والله عليه الرزق.

وإذا ذهبوا إلى امرأته وقالوا لها: يا أم فلان، كيف ذهب أبو فلان وترككِ وعيالكِ؟ من يطعمك، ومن يرزقك، ومن يكفيك حاجاتك؟ فتقول لهم: إنَّ أبا فلان ـ تعني زوجها ـ منذ تزوجته عرَفتُه أكَّالًا، وما عرفته رزَّاقًا، فلئن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزاق. فهي تعني أن زوجها أكَّال وليس برزَّاق، فإن ذهب الأكَّال لقد بقي الرزَّاق.

أثر عقيدة القضاء والقدر:

هذا هو الَّذي يخاف الناس عليه، الرزق مضمون عند الله تبارك وتعالى، والأجل مضمون محتوم معروف، أيام معدودة، وأنفاس

QaradawiBooks.com

محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر، ولذلك كان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما يدخل المعارك يتمثل بهذين البيتين، يقول:

أيُّ يومَـيَّ مـن المـوتِ أَفِـرُّ يـومَ لا يُقْـدَرُ أم يـومَ قُـدِرْ
يـومَ لا يُـقْـدَرُ لا أَحْـذَرُهُ ومنَ المقـدُورِ لا يُنْجِي الحَذَرْ(١)

اليوم الَّذي قدر علـيّ فيه الموت طبعًا لا أخافـه؛ لأنَّه ما دام مقدر سيقع، وإذا لم يكن مقدرًا فلماذا أخافه؟ يعني ليس هناك سبب للخوف، ولا مبرر للخوف إطلاقًـا، وهكذا كان المسـلمون يخوضون المعارك، لا يبالون أوقع الموت عليهـم، أم وقعوا على الموت؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ الآجال بيد الله سبحانه وتعالى.

بعض النـاس يظن أنَّ عقيـدة القضاء والقدر كانت سـبب ضعف للمسلمين؛ كما قال «هانوتو» وزير خارجية فرنسا، الَّذي ردَّ عليه الإمام محمد عبده قديمًا، بالعكس فإن عقيدة القضاء والقدر كانت مصدر قوة للإنسـان المسـلم، حيث يعتقـد أنَّ الأمـور بيـد الله عز وجل، وأن أحدًا لا يستطيع أن يسـلب حياته، ولا أن يقدمها سـاعة، ﴿**فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤]. والساعة هنا ليست الساعة الفلكية بمعنى ستين دقيقة، لا، ولكنها الساعة اللغوية، كلمة ساعة في اللغة: أي لحظة من اللحظات، ﴿**لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً**﴾ أي: لحظة أو برهة ـ مهما قلت من الوقت ـ ولا يستقدمون.

وهكـذا كان الإيمان بالقضـاء والقدر مصدر قوة، كمـا قال محمد إقبال رحمه الله: المؤمن الضعيف يحتجّ بقضـاء الله وقدره، والمؤمن القوي يعتقد أنَّه قضاء الله الَّذي لا يرد، وقدره الَّذي لا يُغلب. ولذلك لما سأل

(١) من شعر ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب. انظر: العقد الفريد (٩٦/١).

QaradawiBooks.com

أحد قادة الفرس المغيرة بن شعبة قال له: مَن أنتم؟ مِن أين أتيتم لنا؟ ما الَّذي أخرجكم من بلادكم من جزيرتكم؟ فقال المغيرة: نحن قدر الله، ابتلاكم الله بنا، كما ابتلانا بكم، فلو كنتم في سحابة لارتفعنا إليكم، أو لهبطتم إلينا!

هكذا كان الإنسان المؤمن، ولذلك نقول: إن أول مصادر الأمن بالنسبة للإنسان المؤمن هي عقيدة التوحيد.. عقيدة التوحيد هي المصدر الأول للأمن، الإنسان إذا توافر عنده هذا التوحيد الخالص لم يعد يخاف شيئًا، لا يخاف الموت فهو يأتي في وقته، ويعلم ماذا بعد الموت، هناك حياة برزخية، وهناك بعث، وهناك حشر، وهناك حساب، وهناك صراط، وهناك ميزان، وهناك جنة، وهناك نار، المؤمن عارف بالتفاصيل هذه الَّتي جاء بها قرآنه وسنته، فلا يخاف، بل بالعكس كما قال القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣٢]. فالمؤمن يستقبل الموت بغير خوف ولا حزن، بل يحب لقاء الله؛ فيحب الله لقاءه، وكما قال يحيى بن معاذ: لا يكره لقاء الموت إلا مُريب، فهو الَّذي يقرِّب الحبيب من الحبيب.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، الموت وما بعد الموت ليس مصيرًا مجهولًا عنده، بل يعلم أن هناك حياة آخرة يخلد الإنسان فيها في عمله، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

QaradawiBooks.com

دور الشريعة في تحقيق الأمن:

هذه العقيدة هي المصدر الأول للأمن والأمان في نفس الإنسان المسلم، ثم تأتي بعد ذلك الشريعة، الإسلام عقيدة وشريعة، الشريعة توفر للإنسان المسلم وللمجتمع المسلم الأمن، الأمن على كل ما يحرص عليه الإنسان: الأمن على نفسه، الأمن على عرضه، الأمن على أهله، الأمن على ماله، الأمن على حرماته كلها، الأمن في مسكنه.

الشريعة مهمتها أن توفر له الأمن في هذا كله، فلا يجوز أن يُعتدى عليه في نفسه، ولا في أهله، ولا في ماله، ولا في عرضه، ولا في أي شيء يحرص عليه، «**كلُّ المُسْلِمِ على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرْضه**»[1]. لا يجوز أن يُمسَّ المسلم بسوء في نفسه، في حياته.

حماية الإنسان قبل أن يُولد:

حياة الإنسان محترمة في نظر الإسلام، الحياة الإنسانية، كل إنسان: سواء كان مطيعًا أو عاصيًا، كبيرًا أو صغيرًا، غنيًّا أو فقيرًا، الإنسان من حيث هو إنسان حياته محترمه، تحترم حياته لا أقول فقط منذ أن يولد؛ بل وهو جنين في بطن أمه، تحترم حياته وهو جنين، يقول الإسلام للأم: إذا جاء رمضان وخفتِ على الجنين في بطنك من الصيام فأفطري، لا تعرضي هذا الكائن الحي للهلكة، لا يجوز للأم أن تُجهض هذا الجنين، ولا للأب، الأب لم يعد مسلطًا على حياة أولاده كما كان في الجاهلية؛ حيث كانوا يئدون الأولاد من إملاق، أو خشية إملاق، من فقر

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

واقع، أو خوف فقر متوقع، وبخاصة البنات، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

حمى الإسلام حياة الإنسان منذ يولد، بل حماها منذ أن كان جنينًا ـ ولو جاء من طريق حرام ـ انظروا إلى أي حدٍّ احترم الإسلام الحياة الإنسانية، الجنين إذا جاء من حرام؛ هو جنين لا ذنب له، هو مخلوق، هو إنسان!

ولذلك لما جاءت المرأة الغامديَّة إلى رسول الله ﷺ بدافع من إيمانها.. لم يأتِ بها جنود الشرطة، ولا أحد من وزارة الداخلية، هي جاءت منبعثة من ذاتها، من ضمير يخشى الله ﷻ، تقول: يا رسول الله زنيتُ فطهرني، أقم عليَّ حدَّ الله، وأنا حُبلى من الزنى، فماذا فعل النبيُّ ﷺ؟ قال لها: «**اذهبي حتَّى تلدي**»، يعني إن كان لنا سبيل عليكِ؛ فليس لنا سبيل على ما في بطنك، مع أنَّ ما في بطنها جاء من طريق الفاحشة، من طريق الحرام، من طريق كبيرة من الكبائر، ولكن ما ذنب هذا المخلوق؟ إذا كانت أمه قد ارتكبت خطيئة أو أبوه؟! هو لا ذنب له، حياته مصونة، ولما وضعت قال لها النبي ﷺ: «**اذهبي حتَّى تفطِميه**»[1].

حماية النفس البشرية من القتل:

إنَّ الحياة الإنسانية محترمة، الإنسان ينبغي أن يكون آمنًا على حياته، لا يجوز أن يُعتدَى على حياته، فهذه النفس الَّتي حرم الله قتلها إلا بالحق، القرآن يقول: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

QaradawiBooks.com

الاعتداء على نفس واحدة اعتداء على البشرية كلها؛ لأن من هان عليه أن يقتل نفسًا واحدةً يتجرأ على قتل الآخرين، وهذا فعلًا مشاهَد، وإحياء نفس كأنه إحياء للإنسانية كلها.

القتل يعتبر في الإسلام كبيرة من الكبائر، يأتي بعد الشرك بالله ﷻ؛ لأنَّه هدم لبنيان الله تبارك وتعالى، حرَّم الإسلام القتل إلَّا في حدود معيَّنة، «**لا يحل دم امرئ مسلم؛ إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[(١)]، ولا بدَّ أن يثبت ذلك بالبينة القاطعة، هذا ما جاء به الإسلام حماية للنفس، حماية للحياة، حق الحياة، لم يحترم الإسلام حياة الإنسان فقط؛ بل حتى حياة الحيوان، «**دخلت امرأة النار في هرَّة حبستها حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[(٢)].

فلا يجوز أن يُعتدى على حياة الإنسان، إلا حدود معينة، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٢]، الفساد في الأرض مثل الحرابة وقطع الطريق، قطَّاع الطريق الذين يروعون الناس، الإسلام يريد أن يحمي الأمن؛ فجعل جزاء هؤلاء: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فهناك حدود معينة لقتل النفس، الَّتي حرم الله قتلها إلا بالحق.

حماية الشريعة للجسد:

الشريعة الإسلاميَّة هيأت للإنسان أن يكون آمنًا على نفسه، على حياته، وعلى جسده كله، وليس على روحه فقط، لا يجوز أن يُعتدَى

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

عليه بالضرب أو بالإيذاء، «**مَن جرَّد ظهر مسلم بغير حقٍّ، لقي الله وهو عليه غضبان**»[١]، لا يجوز أن يجرَّد ظهره وأن يجلد إلا في حد من حدود الله، بعد أن تقوم عليه البيِّنة، أمَّا أن يُضرب بغير حق فلا يجوز، «**من ضرب سوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة**»[٢].

وجاء الحديث: «**لا يَقِفَنَّ أحدُكم موقفًا يُقتل فيه رجل ظلمًا، فإنَّ اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفعْ عنه**»[٣]، لا يجوز أن يُضرب مجرد ضرب، من ضربه بغير حق يُضرب، من حقِّه أن يرد اللطمة بلطمة، وهذا ما أصر عليه عمر بن الخطاب بالنسبة لجبلةَ بن الأَيْهم، ذلك الأمير الغسَّاني الَّذي دخل الإسلام، ولما داس أحد الأعراب على طرف رداء هذا الأمير وهو يطوف بالكعبة؛ استدار إليه ولطمه على وجهه، فالأعرابي هاله ما فعله هذا الأمير، فذهب إلى عمر بن الخطَّاب وشكا إليه، فقال عمر لهذا الأمير: مكِّنه من نفسك، إما أن ترضيه ويعفو عنك، وإمَّا أن يلطمك لطمة بلطمة. فأبى الأعرابيُّ إلَّا أن يلطمه، فقال له عمر: اقتصَّ لنفسك منه. فكانت النتيجة أنَّ هذا الرجل فرَّ بليل، خرج من المدينة، وذهب إلى بلاد الشام في ذلك الوقت، وكانت تابعة للروم، وغلبت عليه الشِّقوة وارتد عن الإسلام؛ لأنَّه لم يرضَ أن يُقتص منه اللطمة باللطمة، والسيئة بالسيئة.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٨)، والأوسط (٢٣٣٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٠٦): إسناده جيد. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢١)، وقال الحافظ في الفتح (٨٥/١٢): في إسناده مقال. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٢٧٥)، عن أبي إمامة.

(٢) رواه البزار (٩٤٤٦)، والطبراني في الأوسط (١٤٤٥)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤١٣)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني (٢٦٠/١١)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٧١٧٣)، وحسَّنه المنذري في الترغيب (٣٧٠٥)، وضعَّفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧١٠)، والألباني في غاية المرام (٤٤٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

بعض الناس لعلهم يقولون: لماذا تشدد عمر؟ كان عليه أن يحاول أن يتساهل! لكن لا، في المبادئ لا يتساهل، لأن يخسر الإسلام رجلًا خير من أن يخسر مبدأً، المبادئ لا تساهل فيها، أمَّا الأفراد يذهبون ويجيء غيرهم، عند الله الكثيرون غيره، فالإنسان لا يجوز أن يُعتدى عليه، ولا يجوز أن يُؤذَى وأن يضرب بغير حق، النبي ﷺ أخبر عن صنفين من أهل النار، وجعل من هؤلاء: «**قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس**»[١]، الجلادون الذين يعذبون الناس بغير حق، هؤلاء من أهل النار، أخبر رسول الله ﷺ أنَّهم من أهل النار؛ لأنَّه لا يجوز أن يعتدي الإنسان على إنسان بغير حقٍّ، ويؤذيه بغير حقٍّ، لا يجوز إطلاقًا.

حماية الإسلام للعرض:

فالأمن على الحياة، والأمن على البدن، وكذلك الأمن على العِرض، وعلى الأهل، كلمة (العِرض) تعني الكرامة، كرامة الإنسان في نفسه، أو فيمن حوله من أهله، يعني لا يجوز أن يُمس بكلمة تجرحه، لا في حضرته ولا في غِيبته، الكلمة الَّتي تسوؤه وتؤذيه لا يجوز أن تصدر، ليس من حقِّ أحد أن يؤذيه ويؤذي شعوره بكلمة، سواء كان حاضرًا أم غائبًا.

نعرف في الإسلام ما هو معروف باسم الغيبة، والغيبة أن تذكر الإنسان بما يكره ولو كان هذا حقًّا، السيدة عائشة رضي الله عنها لما قالت لرسول الله ﷺ: ما يعجبك من فلانة إلا أنَّها.. وأشارت بيدها ـ تعني قصيرة ـ فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»[٢]، فهي قالت نصف جملة ـ مبتدأ دون خبر ـ اسم (أن) من غير

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في =

QaradawiBooks.com

خبرها، (إلا أنَّها) يعني أشارت أنَّها قصيرة، إنَّما قال لها: هذه كلمة تعكر بحرًا؛ لأنَّها تسوء تلك المرأة في غيبتها.

الإسلام يحفظ الإنسان، يجب أن يكون الإنسان آمنًا على كرامته لا تُمس بسوء إطلاقًا لا في حضرته ولا في غيبته، وفي حياته وبعد مماته، حتى بعد ما يموت، «**لا تذكروا هلكاكم إلا بخير**»[(١)]، «**لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء**»[(٢)]، كما قال النبي ﷺ، كان بعض الناس يذكر أبا جهل؛ فيتأذى عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فيقول النبي ﷺ: «**لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضوا إلى ما قدموا**»[(٣)].

فالإنسان يُحفظ حقه حيًّا وميْتًا، إلى هذا الحد يُحترم الإنسان في نظر الإسلام، ينبغي أن يأمن الإنسان على حياته وبدنه، وعرضه وأهله وماله.

حماية الشريعة للمال:

لا ينبغي أن يخاف الإنسان على ماله، المفروض في المال أنَّ الإنسان يجمعه بتعبه وعرقه، وكدِّه وجدِّه، فهل يجوز أن يأتي إنسان ويأخذه منه؟! لا يجوز أن يعيش الإنسان خائفًا على ماله، ومن أجل هذا شرع الإسلام الحدود، والحدود مهمتها الحفاظ على هذه الأشياء، ما شرعه الإسلام بالنسبة لحد السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، أو حد

= الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧)، عن عائشة.

(١) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، وأحمد (٢٥٤٧٠)، والنسائي في الجنائز (١٩٣٦)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، هذا في الحقيقة لحماية الأمن.

بعض الناس يقول: أمن أجل بضعة دنانير أو دراهم تُقطع يد إنسان؟ الواقع أنَّنا لا نقطع يد إنسان من أجل هذه الدراهم والدنانير، إنَّنا نقطعها من أجل أنَّه يهدد أمن الناس. الإنسان يعيش في بيته وهو خائف أن يدخل إليه هذا اللص في وقت من الأوقات وينتزع منه ماله، ويهدده في حياته نفسها؛ لأن هذا اللص الَّذي يدخل على الإنسان بيته لا يبالي من يقتل، ولا يبالي من يضرب، ولا يبالي من يجرح في سبيل أن ينجو بسرقته وجريمته! فهذا يهدد الأمن.

والإسلام لا ينظر إليه على أنَّه فقط أخذ مالًا، لا، إنَّه أخذ مالًا، وهدد أمن المجتمع، هدد طمأنينة الحياة الإسلاميَّة، من أجل هذا اشتد عليه، وهذه الشدة في الحقيقة هي الرحمة بعينها، كما يشتد الأب على ابنه في تربيته، وكما يشتد الطبيب فيشق بطن المريض، أو يقطع عضوًا منه؛ ليحمي بقية الأجزاء والأعضاء.

قسًا ليزدجرُوا ومَن يكُ حازمًا فليقسُ أحيانًا على مَن يرْحمُ[1]

هذا السارق الَّذي تُقطع يده في الحقيقة نحمي به آلاف الناس الذين يُهددون في بيوتهم وحياتهم، ونحميه هو من نفسه؛ لأنَّه لو علم أنَّ

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٩٩/٢)، بلفظ مشابه، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

السرقة يكون فيها قطع يده يفكر مرة ومرة، وعشر مرات، ومائة مرة قبل أن يرتكب هذه الجريمة!

إنَّ الَّذي يشجع الناس على السرقات: أنَّهم يعلمون أنَّ هذه السرقات إنَّما أقصى ما فيها ـ إن ضُبط وقامت عليه الأدلة ـ أقصى ما فيها السجن، وماذا في السجن؟ السجن للرجال، هكذا يقول الجماعة المجرمون، فيدخل السجن ويبقى فيه أشهرًا أو سنين ثم يخرج، وللأسف كثيرًا ما يخرج من السجن أشد ضراوةً مما كان من قبل، وأكثر خبرةً بالإجرام مما كان من قبل؛ لأنَّه يجد هناك أساتذة له سبقوه في فن الجريمة، فلو كان معه ابتدائية في الجريمة يجد من معه إعدادية وثانوية، ولو كان معه ثانوية في الجريمة يجد ناسًا معهم ماجستير ودكتوراه، خبراء في الإجرام، أشياء غريبة، وكان بعض السجون مكتوب فيها: (السجن تأديب وتهذيب وإصلاح)، والواقع أنَّ الكثيرين يدخلون السجون ولا يتأدبون ولا يتهذبون ولا يصلحون، بل يخرجون أسوأ مما كانوا.

العقوبة تنفذ بشروطها:

الحد الشرعي أو العقوبة الشرعية هي القطع، طبعًا حين نقول العقوبة الشرعية هي القطع: يجب أن تنفذ بشروطها، وفي المناخ الَّذي يريده الإسلام، أي أن يطبَّق الإسلام كله، لا يُؤخذ من الإسلام حد السرقة وحده؛ بل يجب أن نأخذ من الإسلام الزكاة، والتكافل الاجتماعي، وتحقيق المعيشة الطيبة للناس، وتهيئة العمل للعاطل، وكذا، وكذا إلى آخره، كل هذا يمشي جنبًا إلى جنب، ولا آخذ من الإسلام الحدود وحدها، وأقول: هذا هو الإسلام!

حينما آخذ الإسلام كله، وأطبق هذه الحدود والعقوبات الشرعية:

QaradawiBooks.com

سأقطع دابر الجريمة؛ لأنَّ هذه هي العقوبة الرادعة، وبعض الناس يظنون أنَّه سيكون في كل شارع واحد تقطع يده، المملكة العربية السعودية مرت سنون لم يكد تقطع فيها يد. يمكن في بعض السنين بسبب دخول عناصر غريبة، ناس وعصابات تريد أن تسرق من الموسم، إنَّما سنون في عهد الملك عبد العزيز وبعده لم تقطع فيها يد واحدة، رغم ما كان هناك طبعًا قبل الحدود من تهديد للناس، كان من يذهب إلى الحج يذهب على أنَّ الذاهب مفقود، والعائد مولود، كان بعض الناس يذهب إلى الحج ومعه بندقية؛ ليدفع عن نفسه قطاع الطريق واللصوص والحرامية، ولكن لما أقيمت الحدود انبعث هذا الأمن.

الشريعة مصدر الأمن للناس جميعًا:

من هنا نحن نقول: إنَّ الشريعة الإسلاميَّة بحدودها وقوانينها كلها: قوانينها الجنائية والمدنية، والدستورية والإدارية ـ نحن نريد الشريعة كلها ـ لو طبقت الشريعة الإسلاميَّة قطعًا لوفرت الأمن للناس جميعًا، ونحن حين ندعو إلى الشريعة لا ندعو لجانب واحد، وإنَّما ندعو إلى الجوانب كلها؛ لأن القوانين وحدها لا تصنع المجتمعات، والحدود وحدها ليست كل القوانين.

الرسالة الإسلاميَّة عقيدة وأخلاق، وعبادات ومعاملات، وأنظمة وشرائع وآداب، يجب أن تسود كلها وتطبق، حين ذلك يتوافر الأمن حقيقة، حينما نعود إلى شريعة الإسلام يوجد الأمن الاجتماعي الَّذي ينشده الناس أجمعون، يحسّ الناس أنَّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأعراضهم وأهليهم، آمنون في بيوتهم، لا يخشون من اللصوص، ولا من الحرامية، ولا ممن يقطعون الطريق.

غير مرخصة للطباعة
نسخة وطنية
QaradawiBooks.com

دور الدولة أن تحفظ الأمن لا أن تروع الآمنين:

ولا يخافون من الدولة نفسها أيضًا؛ لأن أحيانًا الدولة إذا تجاوزت حدود الله، ولم تقم شرع الله.. الناس أنفسهم يخافون من الحكام، وهذه مصيبة أصيب بها المسلمون في بعض الأعصار، أنَّ الإنسان يخشى الحاكم نفسه، الَّذي يُفترض فيه أن يحمي أمنه، فيصبح هو الَّذي يهدد الأمن، يخشى الإنسان أن تتخطفه كلاب الصيد في وقت من الأوقات، وتأخذه إلى مكان لا يعلم أهله، ولا يعلم أحد أين هو.

الجميع يقف أمام القاضي:

مهمة الدولة أنَّها تحرس الأمن لا أن تهدد الناس، ومن ارتكب جريمة يقدم للقضاء، الإسلام يحترم القضاء، كل واحد يقدم للقضاء ليس في الإسلام إنسان أكبر من أن يُحاكم، حتى إمام المسلمين وخليفتهم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه تقاضى هو ونصراني أمام شريح.

علي بن أبي طالب سقطت منه درع، وجدها عند رجل نصراني، فقال له علي: هذه درعي. فقال له النصراني: يا أمير المؤمنين، لست عندي بكاذب؛ ولكن هي درعي. فقال علي: نحتكم إلى شريح. فذهبا إلى شريح القاضي، فقال شريح: ما دعواك يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه الدرع درعي، وجدتها عند هذا الرجل.

فقال للرجل: ما تقول أيُّها الرجل؟ فقال: الدرع درعي، وأمير المؤمنين ليس عندي بكاذب. يعني الرجل مؤدب يقول: أنا لا أُكذِّب أمير المؤمنين، ولكنَّه مخطئ، فهي درعي.

فقال القاضي: عندك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: إذن يحلف الرجل ويأخذها. وفعلًا الرجل حلف وأخذ الدرع، ومشى خطوات، ثم

QaradawiBooks.com

عاد وقال: أمَّا إنِّي أشهد أن هذه أحكام أنبياء، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك وأنت عائد من صفين؛ فطمعتُ فيها والتقطها!

أمَّا وقد حكم عليك قاضيك ـ وأنت أمير المؤمنين ـ فأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. عدل الإسلام جعل الرجل يدخل في الإسلام، فقال أمير المؤمنين: أمَّا وقد أسلمتَ فهي لك. أي تركتها وتنازلتُ عنها لك[١].

هكذا ليس هناك أحد أكبر من أن يقاضى ويحاكم؛ ولو كان رئيس الدولة نفسه، القضاء يحكم على الجميع، ويحكم على أمير المؤمنين لصالح رجل من أهل الذمة، هذا هو الَّذي يوفر الأمان للناس، كل واحد مطمئن أنَّه سيأخذ حقه؛ غير مضيَّع، وغير مُتعتَع، فلا قُدست أمة يضيع فيها حق الضعيف، ولا يجد فيها الضعيف حقه غير مُتعتَع، كما قال رسول الله ﷺ[٢].

لا يحل ترويع الآمنين في بيوتهم:

كل واحد في بيته آمن، لا يصح أن يقتحم أحد عليه حرمة مسكنه، لا يجوز إلا لقلة معينة، وبقرائن؛ حكم قضائي، أو نيابة، أو شيء من هذا، إنَّما يقتحم عليه أحد هكذا بلا سبب لا يجوز!

حتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع جماعة من الشباب كانوا يغنون؛ فتسوَّر الجدار، واقتحم عليهم البيت، وقال: ماذا تصنعون؟ قالوا: أمير المؤمنين إن كنا أخطأنا مرة؛ فقد أخطأت ثلاث

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٠/٤).

(٢) رواه الطبراني (٣٨٥/١٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٨/٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠٥٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات. عن معاوية.

QaradawiBooks.com

مرات. قال لهم: كيف؟ قالوا: قال الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، ولكنك تسورت علينا الجدار. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، ولكنك تجسست علينا، نحن نستتر بستر الله. وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧] ولكنك لم تستأنس ولم تسلم، فلم يجد عمر جوابًا، أفحموه.. فتركهم، وعمل صلحًا بينهم وبينه، ولم يستطع أن يفعل فيهم شيئًا.

الإنسان في مسكنه حر آمن مستقل، لا ينبغي أن يُتجسس عليه، أو أن يُتنصت عليه، أو يوضع له جهاز تسجيل أو شيء من هذا، وإلا يعيش الإنسان في رعب وخوف، والناس يخاف بعضهم من بعض.. يخاف في بيته أن يكون هناك شيء في الحائط، أو شيء تحت المكتب، وإذا كلم ابنه أو كلم زوجته أو كلم صديقه لا يعرف هل يوجد من يراقبه أو يسجل له أو كذا، مشكلة في البلاد الَّتي ينتشر فيها هذا النوع من الإرهاب، الفرد يعيش تحت وطأة الإرهاب؛ حتى وهو على سرير نومه، وبعض الناس يشك حتى في من حوله، حتى في أقرب الناس إليه، تعلمون أن بعض الأنظمة شككت الابن في أبيه، والأب في ابنه، والزوج في زوجته، والزوجة في زوجها، وجعلت الناس جواسيس بعضَهم على بعض، فأحسَّ الناس بالخوف في حياتهم كلها، وإذا عاش الناس خائفين فلا معنى للحياة، هذه ليست الحياة الَّتي يريدها الإسلام.

الإسلام يريد حياة آمنة:

الإسلام يريد حياة آمنة مطمئنة، يؤدي كل إنسان فيها واجبه ويأخذ حقه، الواجب أولًا، حياة واجبات قبل أن تكون حياة حقوق، ولكنَّه أيضًا

QaradawiBooks.com

كما يؤدي واجبه يجب أن يأخذ حقه، وإذا أدى كل امرئ واجبه وأخذ حقه: سعد الناس بالحياة، وسعدت بهم الحياة، وأدوا ما يجب عليهم لله ﷻ ولأنفسهم ولأسرهم ولمجتمعهم، وهذا هو أساس السعادة، فالسعادة حقًّا في ظل العقيدة الإسلاميَّة والشريعة الإسلاميَّة، والأمن الحق: الأمن النفسي، والأمن الفردي، والأمن الاجتماعي لا يتكامل ولا يتم ولا يتحقق إلا في ظل عقيدة التوحيد وفي ظل شريعة الإسلام، أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يوقفنا عند حدوده، وأن يغنينا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمن سواه، أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإجابة عن أسئلة المحاضرة

السؤال الأول:

كيف نجمع الزكاة وكيف نخرجها؟ وكيف يمكن تربية الناس على الإسلام؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

بالنسبة للسؤال الَّذي أثاره الأخ، وهو المتعلق بموضوع الزكاة، فأقول: الأصل في الزكاة أنَّها فريضة تقوم عليها الدولة الإسلاميَّة؛ بواسطة جهاز إداري سمَّاه القرآن: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ، وفعله خلفاؤه الراشدون من بعده، نصبوا جُباةً، كانوا يسمون (السُّعاة) أو (المصَدِّقين) أي الذين يقومون على الصدقات، كانت مهمتهم: الجباية والصرف معًا، فهي مهمة ذات شقين: التحصيل، والتوزيع، بعض المهمات تكون مثل مهمة مأمور الضرائب في عصرنا، والمهمة الأخرى هي أشبه بمأمورية جماعة الضمان الاجتماعي، وهكذا، فهي مهمة ذات شقين.

والأصل في الزكاة أنَّها تؤخذ من الأغنياء، وترد على الفقراء، ولهذا خاطب الله رسوله بقوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ونحن نعلم أنَّ القرآن كما ذكرتُ جعل صنفًا من مصارف الزكاة سمَّاه: ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، وجعل أجر العاملين على الزكاة من الزكاة نفسها، يعني يأخذون أجرتهم من الزكاة؛ حتى لا تتعطل الزكاة، فلا نبقى ننتظر من يتبرع بالقيام بهذا العمل فلا نجد، فجعل

QaradawiBooks.com

الإســـلام من يقوم بهذا الأمر ويأخذ أجره من الزكاة، وهذا يدل على أن حصيلة الزكاة حصيلة مستقلة، باب مخصوص داخل مع الميزانية العامة، هذا هو الأصل.

مسؤولية الدولة عن الزكاة:

ونحن نعلـــم أنَّ الدولة هـــي أول دولة في التاريـــخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء، أبو بكر الصديق الخليفة الأول: أول من شـــن الحرب، وجيَّش الجيوش لينتزع حقوق الفقراء من الأغنياء، قبل أن يعرف الناس الاشتراكية والشيوعية وغيرها، قال أبو بكر: والله لو منعوني عِقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[1]. وجهَّز أحد عشر لواءً، أحد عشر جيشًا يحارب المتنبئين: مســـيلمة وجماعته، ويحـــارب مانعي الزكاة، يحارب الاثنين معًا سواءً بسواء.

فالأصل في الزكاة أنَّها تُؤخذ أخذًا، وتُؤخذ جبرًا، ولكن هناك شيء ـ من الأمانة أحب أن أقوله ـ أن هناك بعض المذاهب ترى التفريق بين المال الظاهر والمال الباطـــن، يقولون: الدولة تأخذ الأمـــوال الظاهرة. والأموال الظاهرة هـــي الإبل والبقر والغنم والزروع والثمار، والأشـــياء الَّتي من هذا النوع.

والأموال الباطنة: أمـــوال التجارات، والنقود، يقولـــون: هذه تُركت لضمائر الناس فقد وكَّل ســـيدنا عثمان بن عفان أصحـــاب الأموال في إخراج الأموال الباطنة هـــذه. هذا ما اعتمد عليه بعـــض العلماء في أنَّنا نأخذ من الإبل والبقر والغنم والزروع والثمار، ولا نأخذ من الناس غير ذلك إلا من قدمها إلينا مختارًا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أنا في الحقيقة عارضتُ هذا الرأي في كتابي «فقه الزكاة» ونقضته، ونقضه من قبلي العلامة الشيخ محمد أبو زهرة، ومنذ حوالي عشر سنوات جئتُ هنا إلى (أبو ظبي) في ندوة عملت من أجل الزكاة، كان هناك مشروع مقدم من أجل الزكاة، وكان هذا المشروع يقوم على عملية التفريق بين المال الظاهر والمال الباطن، وأنا الحقيقة قلتُ: إنَّنا بالطريقة هذه معناها أن في بلد مثل (أبو ظبي)، أو بلد مثل (دبي) أو غيرها من البلاد التجارية هذه.. أين يوجد المال الظاهر؟! لا يوجد إبل ولا بقر ولا غنم! وأين الزروع والثمار؟ إنَّما هناك مئات الملايين وآلاف الملايين في التجارات والبنوك، فإذا أخذنا بالتفريق هذا معناه أن تصبح حصيلة الزكاة حصيلة ضئيلة، وليس لها قيمة تذكر!

وقلتُ: إنَّ الفقهاء لما فرقوا بين المال الظاهر والمال الباطن قالوا: إذا ظهر المال الباطن يجب أن تُؤخذ منه الزكاة. ولذلك قالوا: إذا انتقل الإنسان بماله من بلد إلى آخر عند الحدود، هناك حاجة يسمونها (العاشر) يأخذ المال؛ لأنَّه ظهر. كذلك قالوا ـ وهو مذهب الحنفية ـ: إذا امتنع الناس عن إخراج الزكاة، ورأى الإمام تهاون الناس في هذا الأمر: يجب أن يأخذ الزكاة عن المال الباطن منهم عنوة، ولهذا نقول: إنَّ الناس تهاونوا في عصرنا في إخراج زكاة الأموال الباطنة ـ الَّتي هي التجارات والنقود ـ وهي معظم أموال الناس في هذا العصر.

ومن ناحية أخرى أنَّ هذه الأموال أصبحت ظاهرة، ولم تعد باطنة، كانوا في السابق يقولون: كيف تفتش على الناس؟ واحد واضع أمواله (تحت البلاطة) كما يقولون؛ فكيف تعرفها؟ إنَّما الآن من الَّذي يضع المال (تحت البلاطة)؟ الأموال في البنوك والتجارات وأصبح من الممكن معرفتها، ولذلك الضرائب والأشياء هذه عندها وسائل تعرف بها

QaradawiBooks.com

الشخص هذا كم عنده، ما الَّذي يستورده وما الَّذي يعمله وكذا، وتستطيع أن تحاصره. فالأموال الباطنة الآن أصبحت ظاهرة في عصرنا، فيجب أن نعود إلى الأصل، وأن الزكاة هي عامة في كل الأموال، والنصوص لم تفرق بين مال ظاهر ومال باطن، والنبي ﷺ لم يرِد عنه أنَّه فرق بين هذا وذاك، وقد أخذ الزكاة من العباس وكانت أموال العباس في التجارة، فيجب أن نعود إلى هذا الأصل، ونأخذ الزكاة من الأموال كلها؛ جبرًا لا اختيارًا من المسلمين.

وبذلك نحل مشكلات كثيرة، ونقف أمام هذا الغزو التنصيري الَّذي نشكو منه، وتعلمون أنَّ النصارى اجتمعوا منذ عدة سنوات سنة ١٩٧٨م. وعقدوا مؤتمرًا في (كولورادو) وقرروا تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وأسس لذلك «معهد زويمر» لتخريج المتخصِّصين في تنصير المسلمين، وأنا منذ سنوات قلت: يا جماعة، إن كانوا هم رصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين؛ فلماذا لا نرصد نحن ألف مليون دولار لحماية المسلمين، ولا أقول لنشر الإسلام؟!

هؤلاء كيف ينصرون المسلمين؟ عن طريق الأعمال الاجتماعيَّة؛ ينشئون مدارس، وينشئون مستوصفات، وينشئون مستشفيات، وينشئون بيوتًا لليتامى، وبيوتًا للشباب، إلى آخره! ونحن لماذا لا نفعل مثل هذا؟ أنا أقول: لو أخرجنا الزكاة ـ والله زكاة بلاد الخليج نفسها ـ نستطيع أن نجمع منها الألف مليون وأكثر، ونقاوم هذا التنصير، فنحن معرضون لحملة تنصير من ناحية، والحملة الشيوعية من ناحية.. والشيوعية لم تعد تكتفي بالغزو الفكري؛ فبدأت الغزو العسكري الآن في أفغانستان، وأفغانستان هي البداية، وهي خط الدفاع الأول، لو سقطت ممكن أن يدخلوا على باكستان، ويأتوا إلى الخليج وهكذا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فنحن معرضون للتيار النصراني الصليبي من ناحية، والتيار الشيوعي من ناحية أخرى، ويجب أن نأخذ الزكاة من القادرين عليها، ونأخذها جبرًا لنعين المؤمن على شيطانه، وعلى شُحِّه، ممكن الواحد يشح بالزكاة، خصوصًا أصحاب الأموال الضخمة، حين يحسب المال؛ فيجد نفسه سيخرج مبلغًا كبيرًا، يمكن الَّذي معه عشرة آلاف ريال سيخرج عن كل ألف خمسة وعشرون، يعني مائتين وخمسين ريالًا، يقول: ندفعه فهو مبلغ بسيط. إنَّما الَّذي معه مليون سيخرج خمسةً وعشرين ألفًا، ومن معه عشرة ملايين سيخرج مائتين وخمسين ألفًا، يعني ربع مليون مبلغ ضخم، ولو عنده أكثر يخرج أكثر، فممكن أن يشح بالزكاة، ولذلك الكثير ممن يسألون عن الزكاة هم الموظفون والمدرسون وهذه الفئات، والذين عندهم الملايين لا يسألون، فنحن في حاجة إلى الزكاة لحل مشكلات الأمة الإسلاميَّة.

الجواب على الشق الثاني من السؤال:

وأمَّا بالنسبة للشق الثاني من السؤال الَّذي أثاره الأخ، وهو موضوع مهم، وهو أنَّنا في حاجة إلى أن نربي الناس على الإسلام منذ نعومة الأظفار، منذ الصغر، وهذه مسؤولية مشتركة: مسؤولية المدرسة، ومسؤولية الأسرة، ومسؤولية المسجد، ومسؤولية الإعلام، ومسؤولية المجتمع كله، كلنا مسؤولون، وينبغي أن نعمل على تربية الإنسان المسلم منذ الصغر؛ حتى نردم هذه الفجوة بين المسلمين الملتزمين، والناس المغزوِّين فكريًّا، الذين ينادون بالعِلمانية، وينادون بأن الدين انتهى عصره، ويقولون: ما لنا وللدين؟ نحن في عصر غزو القمر، وغزو الفضاء، هذا في الواقع يحتاج منا إلى جهود كبيرة يجب أن تتضافر فيها جهودنا، وكل المؤسسات تعمل لهذا إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

السؤال الثاني:

هل هناك فرق بين العِلميَّة والعِلمانيَّة؟

الجواب:

نعم هناك فرق بين العِلميَّة والعِلمانيَّة، أنا كتبتُ ثلاث مقالات، نشرتها بعض الصحف في مصر تحت هذا العنوان: (نعم للعِلميَّة، ولا للعِلمانيَّة)، بعض الناس يخلط بين المفهومين، العِلميَّة تعني المنهج العلمي، الَّذي يقوم على احترام العلم، وعلى تكوين العقلية العلمية، وعلى التفوق في كل العلوم الدنيويَّة: الرياضيَّة، والكونيَّة، والطبيعيَّة، وغير ذلك، وعلى استخدام المنطق العلمي حتى في حياتنا وعلاقاتنا كلها، هذا يفرضه الإسلام، والإسلام دين العلم، ودين العقل، ودين التفكير.. والتفكير عبادة إسلاميَّة وفريضة إسلاميَّة.

إنَّما العِلمانية: ما هي العِلمانية؟ العِلمانية هذه ليس معناها العلمية، لا، العِلمانية هذه كلمة ترجمة خاطئة للكلمة الإنجليزية (Secular)، يعني ما يقابل الدين، الترجمة الصحيحة لها: اللا دينية، هناك شيء ديني، وشيء لا ديني!

ولكنها تُرجمت خطأ باسم العِلمانية؛ لأنَّ الذين ترجموها كان عندهم المفهوم الغربي: أنَّ العلم ضد الدين فسموها العِلمانية؛ لأن المسيحيين عندهم العلم شيء، والدين شيء آخر، ولذلك قامت محاكم التفتيش، وقام الصراع بين العلم والدين عقودًا طويلة، والعقلانية شيء ضد الدين!

نحن ليس عندنا هذا، فترجمت الكلمة عِلمانية، هي معناها: لا دينية، يعني الاتجاه الَّذي يرفض الدين، ويفصل الدين عن الدولة، وعن

QaradawiBooks.com

المجتمع، وعن توجيه الحياة، فهذه مرفوضة؛ لأنَّنا نحن عندنا لا انفصال بين الدين والحياة، ولا انفصال بين الدين والدولة.

نحن ليس عندنا هذا الانفصال، نحن عندنا شريعة تطبق على الفرد، وعلى الأسرة، وعلى المجتمع، فكيف ستفصل الدين عن الحياة؟ لا يمكن، وحين تتلو القرآن الكريم تستطيع أن تدخل في معترك الحياة، لأنك إذا قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] دخلت في القانون المدني، وإذا قرأت: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] دخلت في القانون الجنائي، وهكذا.

ممكن وأنت في الصلاة تقنت، كنا ونحن طلبة في القسم الثانوي ندعو على الإنجليز، الإمام الشهيد حسن البنا دعا الناس إلى أن يقنتوا في صلواتهم، يدعون على الإنجليز، كنا ندعو: (اللهم رب العالمين، وأمان الخائفين، ومذل المتكبرين، وقاصم الجبارين، تقبل دعاءنا، وأجب نداءنا، اللهم إنك تعلم أن هؤلاء الإنجليز قد احتلوا أرضنا، وغصبوا حقنا، وطغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، اللهم فصب عليهم سوط عذاب، وأدِلْ دولتهم، وفُلَّ حدَّهم، ورد عنَّا كيدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وخذهم ومن وادَّهم أو عاونهم أو ناصرهم: أخذ عزيز مقتدر، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين)، ندعو في الصلاة، دخلنا في أعماق السياسة، هل أحد يستطيع أن يمنعنا؟ هذا اسمه قنوت النوازل، الفقهاء يقولون عنه: قنوت النوازل. يعني إذا نزلت نازلة بالمسلمين تدعو في الصلاة على من ظلم.

فنحن ليس عندنا انفصال، والذين يقولون: إنَّ الإسلام دين العلمية،

غير مرخصة للطباعة

وعلى هذا يرحب بالعِلمانية لم يفهموا معنى العِلمانية، إخواننا في المغرب وتونس وهذه البلاد يسمونها: (Laïque) بالفرنسية، يعني ما كان مقابل الدين أو ضد الدين.

السؤال الثالث:

ما الفرق بين البنوك الربوية والبنوك الإسلاميَّة؟

الجواب:

البنوك الربوية تقوم على أساس الفوائد، تقوم على أساس أنَّ الشخص يودع عندها المال بالفائدة، عشرة في المائة ـ مثلًا ـ وتُقرضه هي لشخص آخر بخمسة عشر في المائة، وتأخذ هي الفرق من هذا.

إنَّما البنوك الإسلاميَّة تقوم على المغنم والمغرم، على الربح والخسارة، فيقوم على المشاركة أو المضاربة أو المرابحة، أو غير ذلك من الأعمال المشروعة في الإسلام، فممكن البنك يتعرض للربح، أو ممكن يتعرض للخسارة، ولذلك بعض البنوك في وقت من الأوقات لم توزع ربحًا، في بعض السنين لم توزع بعض البنوك الإسلاميَّة ربحًا.

أنا مشترك في البنك الدولي الإسلامي، ولي عدة أسهم، في سنة من السنوات لم يوزعوا علينا شيئًا، وفي بيت التمويل الكويتي لم يوزعوا، الَّذي حصل أنَّهم اشتروا عقارات وأشياء من هذا، وبعد ذلك هبطت العقارات، فمن الممكن أن تربح البنوك أو تخسر، كل ما في الأمر قد لا يُلاحظ هذا؛ لأنَّه من الممكن صفقة تخسر وصفقة تربح، ولكن المال كله في سلة واحدة؛ فيكون في النهاية ربح للمجموع، فيأخذ الإنسان ربحًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأحب أن أقول شيئًا بالنسبة للبنوك الإسلاميَّة: هناك مشكلة بالنسبة للبنوك الإسلاميَّة لا يطبقون المعاملات كما ينبغي بشروطها الشرعية تمامًا؛ لأن كثيرًا من الذين جاءوا هم موظفون أصلًا في بنوك ربوية، جاءوا بعقلية مركبة تركيبًا ربويًّا، فأحيانًا نشرح لهم ونقول لهم: يا جماعة المرابحة هذه لها شروط معينة، يعني الَّذي جاء يريد أن يعمل مرابحة مع البنك الإسلامي، يريد أن يشتري سيارة، أو يشتري أجهزة، أو يريد يشتري أشياء من الخارج، لا بدَّ نحقق شروطًا معينة، الشروط المعينة: أن نشتري نحن السلعة باسم البنك أولًا، وندفع نحن ثمنها، ونتحمل هلاكها لو هلكت، ونتحمل ردها بالعيب إذا ظهر فيها عيب خفي، وبعد ذلك نبيعها لهذا الطالب.

في أول الأمر يطلب منا شخص نحن نسميه (آلة الشراء) أو (واعد الشراء)، ونكتب معه وعدًا، ولما تأتي السلعة نكتب معه عقد الشراء، بعض الموظفين ـ للأسف ـ لا يطبقون هذا، يظنون أنَّ العقود كلها مثل بعضها، فيعملون عقد الوعد وعقد البيع، وعقد كذا كله في وقت واحد.

سألني مرة موظف في بنك إسلامي قال لي: هل يصح أنَّ المال الَّذي أخذه الشخص مرابحة أن يشتري به حاجة أخرى؟ قلتُ له: يا بني هذا لا يصح؛ بل لا يُتصوَّر أصلًا. قال: كيف؟ قلتُ له: ما في شيء اسمه مال يأخذه شخص ليشتري به حاجة أخرى، الشخص لا يأخذ المال أصلًا، بل أنتَ كبنك أنت الَّذي يشتري له، كيف تعطيه أنتَ المال؟ هذا خطأ، البنك هو الَّذي يشتري للشخص، وليس الشخص يأخذ المال ويذهب يشتري.

فبعض الموظفين يعطي المال للشخص ويقول له: اذهب واشترِ ما تريد. ويكتب في الورق أنَّ البنك هو الَّذي اشترى له، هذه خيانة

QaradawiBooks.com

للأمانـــة، فهذه أغلاط ممكن تحدث، وســـتظل تحـــدث؛ لأن التجربة لا زالت في بدايتها، ولا زال البنك الإســـلامي نقطة من بحر بالنســـبة للبنوك الربوية.

وبعد هذا أحب أقول لكم شيئًا: ينبغي أن نكون واقعيين، بعض الناس يحاسب البنوك الإسلاميَّة على الذَّرَّة، وعلى النقير والقطمير، ويريد أن تكون البنوك الإســـلاميَّة صافية مائة بالمائة؛ كأن مجتمعنا مجتمع صافٍ مائة بالمائة، لا، البنوك الإسلاميَّة جزء من مجتمعنا، والناس الذين يعملون فيهـــا منا نحن، لماذا نريدهم أن يكونوا على (الفرازة) ولا يحصـــل منهم خطأ، هم جزء منا، فـــإذا صلحنا نحن صلح موظفو البنوك الإسلاميَّة، إنَّما المســـألة أنَّ البنوك الإسلاميَّة هذه تجربة في سبيل التخلص من الربا، ومن المعاملات المحظورة، ينبغي أن نرشدها ونقومها، ونسدد خطاها؛ حتى تصل إلى بر السلام إن شاء الله.

السؤال الرابع:

ذكرتم أنَّ من وسائل الأمن في الإســـلام الأمن الاقتصادي، نريد من فضيلتكم زيادة توضيح لهذا الأمر؟

الجواب:

أنا ذكرتُ أنَّ الكفاية الَّتي يحققها الإســـلام للشخص هذه تساهم في أمن المجتمع، يقول ســـيدنا أبو ذر رضي الله عنه: عجبـــت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شـــاهرًا ســـيفه. الشخص جائع، والجوع كافر، من هنا اســـتعاذ رسول الله ﷺ من الجوع فقال:

QaradawiBooks.com

«**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الجوع؛ فإنَّه بئسَ الضَّجِيع**»[١]، وقال: «**اللهمَّ! إنِّي أعوذُ بك من الفقر والكفر**»[٢].

فالإسلام حارب الفقر، ومن هنا يجب أن نحقق الأمن الاقتصادي للناس، وإلا عرَّضنا هؤلاء الناس أن يكونوا في خطر، وهذا معنى: «**حصِّنوا أموالكم بالزكاة**»[٣]، كيف نحصنها؟ نحصنها بالزكاة؛ لأنك حينما تطعم الجائع، وتكسو العاري، وتعلم الجاهل، وتؤوي اليتيم، وترعى المشرد، إذا عملت هذا في المجتمع حصنتَ مالك، وإلا أصبح هؤلاء بعد مدة ثوَّارًا عليك، يريدون أن ينتقموا من المجتمع؛ لأن المجتمع لم يطعمهم من جوع، ولم يؤمنهم من خوف، فمن هنا كان الأمن الاقتصادي أمرًا مهمًّا فعلًا، يجب أن تقوم به كل المؤسسات، والبنوك، والدولة، والأفراد، كلٌّ يجب أن يشترك في تحقيق الأمن الاقتصادي، بحيث يكون المجتمع مجتمعًا عنده الثروة الكافية، وهذه الثروة توزع، يعني لا بدَّ أن نعمل على تنمية الإنتاج، وعلى عدالة التوزيع، وعلى ترشيد الاستهلاك، وعلى سلامة التداول، هذا هو الَّذي يحقق الأمن الاقتصادي الحقيقي.

السؤال الخامس:

هل يجوز شرعًا استعمال الشدة، ضد متهم ثبت بالدليل اليقيني وشهادة الشهود: أنَّه ارتكب جريمة ما، ولكنَّه ينكر ذلك؟

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والنسائي في السهو (١٣٤٧)، وابن خزيمة في الصلاة (٧٤٧)، عن أبي بكرة.

(٣) رواه أبو داود في المراسيل (١٠٥)، عن الحسن البصري، مرسلا.

QaradawiBooks.com

الجواب:

إذا ثبت يقينًا وبشهادة الشـــهود فقد قامت عليه البيِّنة، فأنت تحاكمه على حسب البينة، إنَّما إذا لم تكن هناك بينة إذن ستحاكمه بالظِّنة، وقد يكون ظنك غلطًا، وإذا ثبت خطؤك فكيف ترجع إليه حقه؟ في الحقيقة نُســب إلى الإمام مالك أنَّه أجــاز ضرب المتهم إذا كانــت هناك قرائن معينة، ولكن هناك كلام كثير في هذا الموضوع، وفتح هذا الباب يؤدي إلى أخطار كثيرة، يجعل بعض الناس يتجــاوزون حدودهم، والحديث الَّذي رواه الحاكم يقول: «**ادرؤوا الحدود ما اســتطعتم، ومن وجدتم له مخرجًا فخَلُّوا سبيله، ولأن يخطئ الإمامُ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة**»[1]، فالخطأ في العقوبة أخف من أن نعرض متهمًا للعقوبة بغير حق، فالأولى الحفاظ على حرمات الناس.

السؤال السادس:

بيت يُعــرف بالدعارة، أهل الحي كلهم يعرفــون أنَّه بيت للدعارة، فهل يجوز كشف الستر عنه؟

الجواب:

الأصل إحسان الظن بالناس، وإحســان الظن له دلائل، وسوء الظن يمكــن يكون بدلائل، مثــلًا امرأة أيــم لا زوج لها ورأينا أناسًــا غرباء يدخلون بيتها؛ إذن أصبــح هناك قرائن بينة، لمــاذا يدخل عليها هؤلاء الناس وليســوا محارم لها وكذا؟ فإذا كانت قامت القرائن على أن هناك

(١) رواه الترمذي فــي الحدود (١٤٢٤)، وذكر أنَّه روي مرفوعًــا وموقوفًا، وأن الموقوف أصح، والحاكم (٣٨٤/٤)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: قال النسائي: يزيد بن زياد: شامي متروك. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢١٩٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بيتًا معينًا يمارس هذه الفاحشة: أن نرفع الأمر للمسؤولين، فالآن أصبحت هذه الأمور في عصرنا لها ضوابط، تستطيع أن تأتي بأمر من الجهات القضائية، أو من وكالة النيابة، أو من كذا بتفتيش هذا البيت.

كذلك لو عرفنا أن بيتًا مثلًا يصنع الخمر، أو يهربها أو يخبئها أو كذا، وقامت أدلة على هذا، في هذه الحالة هناك قرائن ودلائل واضحة، إنَّما بدون هذا لا يجوز لنا أن نقتحم على الناس حرماتهم.

السؤال السابع:

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن إمكانية تحديد نوع الجنين: هل هو ذكر أو أنثى، وقد تمكن الطب من ذلك، فما قولكم في هذا؟

الجواب:

لعل السؤال هذا نشأ من أنَّ بعض المفسرين في وقت من الأوقات كانوا يفسرون قول الله تعالى في آخر سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، أنَّه يعلم ما في الأرحام: أهو ذكر أم أنثى، ويعتبرون هذا من مفاتح الغيب؛ كما جاء في الحديث: «**مفاتيح الغيب خمسٌ، لا يعلَمها إلا الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ٣٤]»[1]، فكان بعض المفسرين يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ أنَّه يعلم: أهو ذكر أم أنثى، واعتبروا أن هذا من مفاتح الغيب الَّتي استأثر الله بعلمها، فكيف يأتي العلم الحديث ويقول: إنَّنا نستطيع أن نعرف إن كان هذا ذكرًا أو أنثى وهو في الرحم؟!

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٨)، وأحمد (٤٧٦٦)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بل الآن العلم يستطيع ليس في الشهر الرابع والخامس؛ بل في الأشهر الأولى للحمل: أن يحدد نوع الجنين، فهل هذا تطاول على علم الله؟ لا، بل هذا مما علمه الله للإنسان، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، كل ما في الأمر أن هذا الكلام الَّذي قاله المفسرون هؤلاء لا يُسلَّم؛ لأن من قال: إن قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي: يعلم أنَّه ذكر أو أنثى؟ لم يأتِ نص بهذا، لم يفسر هذا النبي ﷺ، إنَّما هو تصور منهم: أن هذا شيء لا يمكن أن يعرفه البشر.

علم الله يظل شيئًا فوق الطب، الطب يعرف أنَّه ذكر أو أنثى، لكن هل يعرف هل يظل في الرحم حتى ينزل حيًّا أو يموت وهو جنين، وإذا نزل بعد ذلك هل يكون صحيحًا أو مريضًا؟ وبعد ذلك هل يكون ذكيًّا أو غبيًّا؟ هل يكون ضعيفًا أو قويًّا؟ إلى آخره، علم الله فوق علم الطب وفوق علم البشر جميعًا.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصص للطباعة
QaradawiBooks.com

١٠

مفهوم الأمن في الإسلام(٢)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(وبعد)

الأمن هو الطمأنينة، وهو جانب نفسي، وإنْ كان له مظاهر ماديَّة، وهو هدف من أهداف الحياة الإسلاميَّة، من الأهداف الكبيرة والأساسيَّة في الإسلام، فهناك هدفان كبيران أساسيَّان في الحياة الإسلاميَّة، لا بدَّ منهما للإنسان ليعبد ربَّه حقَّ عبادته، وهما: الكفاية، والأمن. لهذا امتنَّ الله على قريشٍ بتوفير الكفاية، فأطعمهم من جوع، ووفَّر لهم الأمن، فآمنهم من خوف.

الأمن مصدر السعادة، فالخائف لا عيش له، من هنا كانت الجنَّة دارَ أمنٍ كامل ليس فيها خوف، لا يخاف فيها من شيءٍ ولا على شيء، ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦]، ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، فالأمن نفحة من نفحات الجنَّة، على حين

(١) ألقيت في وزارة الداخلية، بدولة الإمارات العربية.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معدلة
QaradawiBooks.com

الخوف جحيم، من عاش في خوف فهو يعيش في جحيم، وإن توفر له ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب، ولو كان حوله الخدم والحشم، لا يهنأ بطعامٍ ولا منامٍ ما دام فزعًا خائفًا، فلا يهنأ بالحياة ولا يستمتع بها، من هنا كانت نعمة الأمن.

الأمن نعمة عظيمة:

الأمن في نظر الإسلام نعمة أيُّ نعمة، نعمة عظيمة، النبيُّ ﷺ ذكر الأمن في حديث، فجعله أحد مُقَوِّمات أساسيَّة لسعادة الإنسان، قال ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، مُعافًى في جسده، عنده قوتُ يومِه، فكأنَّما حِيْزَت له الدُّنْيا**»[(١)].

وفي بعض الكتب المُنَزَّلة يقول الله: إذا أغنيتُ عبدي عن ثلاثٍ فقد أتممتُ عليه النعمة: إذا أغنيتُه عن طبيبٍ يداويه، وعن سلطانٍ يأتيه، وعمَّا في يد أخيه، فقد أتممتُ عليه النعمة[(٢)].

أسباب السعادة:

العنصر الأوَّل: الأمن. فالخائف لا سعادة له.

والعنصر الثاني: الصحَّة، والعافية. فالمريض لا عيش له، ولا هناءة له، فالألم ينغصُّ عليه عيشه، والأطبَّاء يحرمون عليه بعض المأكولات، وبعض المشروبات، لا قيمة لما يملكه إذا حرم نعمة العافية والصحَّة.

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦) وقال: حديث حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عن عبيد الله بن محصن الأنصاري.

(٢) انظر: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٢٢١/٦)، تحقيق د. وداد القاضي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

والعنصر الثالث: توفُّر القوت. قال: «**عنده قوتُ يَوْمِه**». ليس المهمُّ أنْ يتوفَّر له الملايين، المهمُّ أنْ يتوفَّر له رزقه ولو كان يسيرًا، فإذا توفَّرت للإنسان هذه الثلاثة، قال ﷺ: «**فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنْيا**».

فالعنصر الأوَّل: هو الأمن، «**آمنًا في سِرْبه**»، في جماعته، في قومه الَّذين يعيش بينهم، لا يخاف على شيء، ولا يخاف من شيء، لا يخاف على نفسه، لا يخاف على أهله، لا يخاف على ماله، لا يخاف على عرضه، إذا توافر للإنسان هذا الأمن مع عافية البدن وقوت اليوم، «**فكأنَّما حيزت له الدُّنْيا**». من هنا كان الأمن شيئًا مهمًّا جدًّا للناس.

القرآن يمتنُّ على قريش فيقول: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ [قريش: ٤].

وحينما ذهب يعقوب عليه السلام وزوجته وأبناؤه ـ إخوة يوسف ـ إلى يوسف، استقبلهم وقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقال الله تعالى في أهل سبأ: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨].

امتنَّ عليهم بالأمن، فهو نعمة عظيمة، بخلاف الخوف، الخوف نقمة، الخوف مصيبة، الخوف بلاء، القرآن يقول: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، هذا شر ما تبتلى به المجتمعات، الجوع والخوف، لا يجد ما يحتاج إليه من الأشياء المادية، من المأكل والمشرب والمسكن والدواء، وغيرها، ولا يأمن على نفسه. وهذا ما صنعته كثير من الأنظمة والقوانين

QaradawiBooks.com

المستوردة في كثير من البلاد؛ بلتهم بالجوع والخوف، أذاقهم الله الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

من هنا حرص الإسلام على أنْ يُحَقِّق للنَّاس هَذَيْن الأمرين: الكفاية والأمن، فلا يجوعون ولا يخافون.

طرق تحقيق الكفاية في الإسلام:

الكفاية حقَّقها الإسلام بطرق شـتَّى، عن طريق العمل أوَّلًا، أنْ يعمل الإنسـان ويكسـب، أنْ يأكل من كدِّ يَمِينه وعَرَق جبينه، وعلَّم النَّاس أنَّ العمل عبادة، وأنَّه جهاد، وأنَّ على الإنسان أنْ يعمل ما دام فيه عِرْق ينبض ونَفَس يتردَّد، حتَّى لو قامت الساعة وفي يد الإنسان فسيلة «**فإن استطاع ألَّا تقوم الساعة حتَّى يَغْرِسَها فليَغْرِسْها**»[١]. وهذا تكريم للعمل لذات العمل، هكذا أمر الإسـلام: اعمل أي عمل ولا تكن عالة علـى غيرك، ليس في الإسلام عمل حقير، قد يكون هناك عامل حقير، لكن لا يوجد عمل حقير.

اعمل أيَّ عمل ولا تنتظر الصدقة، فالصدقة لمن لا يقدر على العمل، كما جاء في الحديث: «**لا تحلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سَوِيّ**»[٢].

محاربة الإسلام للبطالة:

اعمل أي عمـل، النبي ﷺ يقـول: «**لأنْ يأخذ أحدُكـم حَبْلَه فيأتيَ بحزْمةٍ من الحطب فيبيعهـا للناس، خيرٌ له من أنْ يأتي رجلًا فيسـأله، أعطاه أو منعه**»[٣].

(١) سبق تخريجه صـ ٢٧١.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٧٢.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولما جاء أحد الأنصار إلى النبيِّ ﷺ يسأله الصدقة قال له: «**أَمَا في بيتك شيء؟**».

قال: بلى، حِلْس نَلْبَس بعضُه، ونبْسط بعضُه، وقَعْب نشْرب فيه من الماء.

قال: «**ائْتني بهما**». فأتاه بهما، فأخذها رسولُ الله ﷺ بيده، وقال: «**من يشتري هذَيْن؟**».

قال رجل: أنا آخذها بدرهم.

قال رسول الله ﷺ: «**منْ يزيد على درهم؟**». مرَّتين أو ثلاثًا.

قال رجل: أنا آخذهما بدرهمَيْن.

فأعطاهما إيَّاه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «**اشْترِ بأحدهما طعامًا لأهلِكَ، واشترِ بالآخر قدومًا فأْتِني به**». فأتاه به، فشدَّ فيه رسولُ الله ﷺ عودًا بيده، ثمَّ قال: «**اذهبْ فاحتَطِبْ وبِعْ، ولا أرينَّكَ خمْسةَ عشرَ يَوْمًا**».

ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**هذا خيْرٌ لك من أنْ تجيء المسألة نُكْتة في وجهك يومَ القيامة، إنَّ المسألة لا تصْلح إلَّا لثلاث: لذي فقرٍ مُدْقِع، أو لذي غُرْم مُفْظِع، أو لذي دَمٍ مُوجع**»[1].

لم يُعْطِه الصدقة، بل أعطاه الحلَّ العملي، وكون له رأس مال

(١) سبق تخريجه صـ ٢٧٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ممَّا عنده هو، وعلمنا كيف نقضي على المشكلة من جذورها في حدود الممكن والمتاح، وعلَّمنا النبيُّ ﷺ أنَّ الثروة لا ينبغي أنْ تكون كلها للاستهلاك، بل جعل نصف الثروة للاستهلاك، ونصفها الآخر للاستثمار والإنتاج، فالقدوم آلة إنتاجيَّة، يمكن أنْ تدرَّ عليه دخلًا.

وبعد هذا الحل العملي أعطاه الدرس النظري، وقال له: «**إنَّ المسألة لا تحلُّ إلَّا لثلاث...**»[1]. فالكفاية تتحقق بالعمل أولًا.

كل المجتمع يجب أنْ يعمل، كان عيب المجتمع العربي من قبل: أنَّه يكره الاحتراف، الحرف شيء مرذول عنده، ولا زال بعض العرب اليوم يعتبرون الحرف والمهن شيئًا مرذولًا، أنْ يعمل الإنسان في الحدادة أو النجارة أو الميكانيكا وما شابه ذلك. ومن المعلوم لنا: أنَّ جريرًا كان يهجو ـ في الشعر ـ خصمه الفرزدق، بأنَّ أحد أجداده كان قيْنًا، أي: حدادًا! وكان يسميه ابن القين.

الزكاة وحلُّ مشكلة الفقر:

فإذا كان الإنسان لا يجد عملًا، أو لا يجد العمل المناسب، أو كان دخله من عمله لا يكفيه، هنا تأتي الزكاة، والزكاة في الإسلام ليست إحسانًا تطوعيًّا، بل هي حق معلوم، وتنظيم تشرف عليه الدولة، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، الزكاة تؤخذ بواسطة جهاز إداري مالي سمَّاه القرآن:

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٤٤)، وأحمد (٢٠٦٠١)، عن قبيصة بن مخارق.

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠]، «**تؤْخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم**»[١].

تَحُلُّ الزكاةُ مشكلة الفقر حلًّا جذريًّا.

قال الشافعية: يعطى الفقير كفاية العمر، إنْ كان محترفًا نعطيه آلة الحرفة، كنجار نوفر له أدوات النجارة، ونستأجر له محلًّا، وإنْ كان تاجرًا يعطى رأس مال التجارة، وإنْ كان زارعًا يعطى مزرعة أو حصة في ضيعة، على حسب حصيلة مال الزكاة.

قال النووي: «قال أصحابنا العراقيون وكثيرون من الخراسانيين: يعطيان ما يخرجهما من الحاجة إلى الغنى، وهو ما تحصل به الكفاية على الدوام. وهذا هو نص للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. واستدلَّ له الأصحاب بحديث قبيصة بن المخارق ـ الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تَحِلُّ المسألةُ إلَّا لأحدِ ثلاثة...**»[٢]. رواه مسلم في «صحيحه».

قال أصحابنا: فإنْ كان عادته الاحتراف أعطي ما يشترى به حرفته، أو آلات حرفته، قلت قيمة ذلك أم كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالبًا تقريبًا، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص»[٣].

وهكذا، فينتقل في العام القادم من يدٍ آخذة إلى يدٍ معطية، من يدٍ سفلى إلى يدٍ عُلْيا، يصبح قوة منتجة، وبدل أنْ يقول: أعطوني من الزكاة، سيعطي هو الزكاة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن معاذ بن جبل.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٤٤)، وأحمد (١٥٩١٦).

(٣) انظر: المجموع للنووي (٦/١٩٣ ـ ١٩٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والمذاهب الأخرى تقول: يعطى كفاية العام له ولمن يعول[1]. فالزكاة لو طبقت كما يجب ما وجد من يفسدون في المجتمع، ويعملون أشياء ضد أمن المجتمع.

وهناك موارد الدولة من الفيء والخراج وأملاك الدولة، مثل النفط في عصرنا وغيرها، في كل هذا قسم منه لكفاية المحتاجين.

وهناك الصدقات التطوعية، أشياء فوق القانون، يفعلها الإنسان من عند نفسه، ليست واجبة عليه، وإنَّما يفعلها اختيارًا، كما قال الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

الكفاية في المعيشة من أسباب الأمن:

فالكفاية إذا حققت كانت وسيلة من وسائل تحقيق الأمن، فهناك ارتباط وثيق بين الكفاية وبين الأمن، فكثيرا مما يخل بالأمن أنَّه لا توجد الكفاية عند كثير من الناس، لذلك إذا تحققت الكفاية كان هذا سببًا من أسباب الأمن.

أسباب الأمن في الإسلام:

ولكن أسباب الأمن في نظر الإسلام كثيرة، من هذه الأسباب ما يرجع إلى العقيدة.

(١) انظر المسألة في كتابنا: فقه الزكاة (١/٥٧٥ ـ ٥٨٠)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

أسباب الأمن المتصلة بالعقيدة:

أولًا: العقيدة الإسلاميَّة، عقيدة التوحيد هي مصدر من مصادر الأمن لصاحبها، القرآن يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وبيَّن النبي أنَّهم الَّذين آمنوا ولم يخلطوا توحيدهم بشِرْك[1]، كما قال الله على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، كان توحيدهم توحيدًا خالصًا لله، فالتوحيد الخالص لله هو سبب من أسباب الأمن النفسي والطمأنينة النفسية.

حينما لا يرجو الإنسان إلا الله، ولا يخاف إلا الله، وحينما يعلم أنَّ الرزق والحياة والموت، والضر والنفع، كلها بيد الله وحده، هذا يجعله آمنًا لا يخاف أحدًا، لا يخاف من شيء، ولا يخاف على شيء، المشركون يخافون من كلِّ شيء، ويخافون على كلِّ شيء، كما قال الله ﷻ: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١].

فالمؤمن الموحد آمن حيث يخاف الآخرون، مطمئن حيث يضطرب الآخرون، آمن على وجوده، آمن على مصيره، آمن على غده ومستقبله.

الملحدون والشاكُّون يعيشون دائمًا في خوف مستمر: يخافون من المرض، ويخافون من الفقر، ويخافون من الشيخوخة، ويخافون من الموت، ويخافون مما بعد الموت، ولكن المؤمن لا يخاف، المؤمن سد منافذ المخاوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله، لا يخاف على رزقه،

---

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه عن ابن مسعود، قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قلنا: يا رسول الله، أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون: ﴿لَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤).

QaradawiBooks.com

لا يخاف على أجله؛ لأنَّ الرزق مقسوم، والأجل محدود، لا يستطيع إنسان أنْ ينقص من رزقك درهما أو لقمة، ولا أنْ يزيدك درهما أو لقمة، كما قال النبي لابن عباس: «**واعلمْ أنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك، لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أنْ يضرُّوكَ، لم يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام، وجفَّت الصُّحُف**»[(١)].

كذلك الأجل لا يستطيع أحد أنْ يؤخر أجلك لحظة من اللحظات، كما قال القرآن: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، فعلام يخاف المؤمن؟ الشيئان اللذان يخاف عليها الناس هما: الرزق والعمر. وهذان بيد الله وحده، فالله: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

كان بعض الناس يأتي إلى المجاهدين، فيقول لهم: لماذا تجاهد وتعرض نفسك للموت؟

فيقول: نحن نجاهد في سبيل ربنا كما أمرنا، والله يرزقنا كما وعدنا.

وإذا جاؤوا لزوجة المجاهد قالوا لها: يا أم فلان، لماذا يتركك زوجك ويخرج للجهاد؟ من يطعمك، ومنْ يسقيك، ومنْ يكفيك حاجاتك؟

فتقول لهم: إنَّ أبا فلان ـ تعني زوجها ـ منذ تزوجته عرفته أكالًا، وما عرفته رزاقًا، فلئن ذهب الأكال لقد بقي الرزاق[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٥٨/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

والأجل أيام معدودة، وأنفاس محدودة، لا تتقدم ولا تتأخر، لا تزيد بالإحْجام، ولا تنقص بالإقدام، ولهذا كان عليّ رضي الله عنه إذا دخل المعارك يتمثل بهذين البيتين، يقول:

أيَّ يومَيَّ من المَوْتِ أَفِرّ ... يومَ لا يُقْدَرُ أَمْ يومَ قُدِرْ
يومَ لا يُقْدَرُ لا أَحْذُرُهْ ... ومن المقدور لا يُنْجَى الْحَذِرْ[1]

وما بعد الموت أيضا لا يخافه، هو يعرف ماذا بعد الموت، يعرف أنَّ هناك حياة برزخيه، وهناك بعث، وهناك حشر، وهناك ميزان، وهناك جنة ونار؛ فلا يخاف، بل بالعكس كما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، فهو يعمل لهذا اليوم، فالمؤمن يستقبل الموت بغير خوف ولا حزن، بل يحب لقاء الله، ويحب الله لقاءه، وكما قال يحيى بن معاذ: حبذا الموت، فهو الذي يقرب الحبيب إلى الحبيب[2].

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، الموت وما بعد الموت ليس مصيرًا مجهولًا عنده، بل هو يعلم أنَّ هناك حياة آخرة يخلد الإنسان فيها في عمله، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

من هنا كانت العقيدة الإسلاميَّة المصدر الأول للأمن والأمان في نفس الإنسان المؤمن.

---

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (٩٦/١).

(٢) انظر: تفسير النسفي (٤١٣/٣)، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

أسباب الأمن المتصلة بالشريعة:

ثم تأتي الشريعة الإسلاميَّة، فالإسلام عقيدة وشريعة، الشريعة الإسلاميَّة توفر للإنسان المؤمن، وللمجتمع المؤمن الأمن على كل ما يحرص عليه: الأمن على نفسه، والأمن على جسده، والأمن على ماله، والأمن على عرضه وأهله، الأمن على حرماته كلها، الشريعة مهمتها أنْ توفر الأمن في هذا كله، فلا يجوز أنْ يعتدي عليه في نفسه ولا في أهله ولا في ماله ولا في عرضه، ولا في أي شيء يحرص عليه، «**كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمُه، ومالُه، وعرضه**»(١).

حفظ النفس البشريَّة المعصومة:

حياة الإنسان محترمة في نظر الإسلام، كل إنسان سواء كان مطيعًا أو عاصيًا، كبيرًا أو صغيرًا، غنيًّا أو فقيرًا، الإنسان ـ من حيث هو إنسان ـ حياته محترمة، ليس فقط منذ أنْ يولد، بل حتَّى وهو جنين في بطن أمه، حياة الجنين في بطن أمه محترمة، إذا خافت الأم على جنينها من الصيام في رمضان، فإنَّ الإسلام يقول لها: أفطري ولا تعرضي هذا الجنين للهلكة.

لا يجوز للأم ولا للأب أنْ يجهض الجنين، الأب لم يعد مسلطا على حياة أولاده كما كان في الجاهلية، حيث كانوا يئدون الأولاد من إملاق أو خشية إملاق، من فقر واقع، أو خشية فقر متوقع، وبخاصة البنات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

حمى الإسلام حياة الإنسان منذ أنْ يولد، بل حماها منذ أن كان جنينًا، ولو جاء من طريق حرام، انظروا إلى أي حد احترم الإسلام الحياة

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإنسانية، الجنين ولو جاء من طريق حرام، هو إنسان لا ذنب له، هو مخلوق، لذلك لما جاءت المرأة الغامديَّة إلى النبيِّ تقول: يا رسول الله، زنيتُ فطَهِّرْني، وهذا الحمل من الزنا.

فقال لها النبيُّ ﷺ: «**اذهبي حتَّى تضعي ما في بطنِكِ**». أي إن كان لنا سبيل عليك، فلا سبيل لنا على ما في بطنك. مع أنَّ ما في بطنها جاء من طريق الفاحشة، من طريق الزنا من طريق الحرام، لكن ما ذنب هذا المخلوق؟ إذا كانت أمه قد ارتكبت الخطيئة أو أبوه فهو لا ذنب له، حياته مصونة.

ولما جاءت قال: «**اذهبي فأَرْضِعِيه حتَّى تَفْطِميه**»[(١)].

نقول: إنَّ الحياة الإنسانية محترمة، الإنسان ينبغي أنْ يكون آمنًا على حياته، لا يجوز أنْ يعتدى على حياته، النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، القرآن يقول: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، لأنَّ من تجرأ على قتل نفس واحدة يتجرأ على قتل الآخرين.

موقف الإسلام من جريمة القتل:

القتل في الإسلام كبيرة من الكبائر يأتي بعد الشرك بالله، ولأنه هدم لبنيان الله تعالى، حرم الإسلام القتل إلا في حدود معينة، «**النَّفْس بالنَّفْس** ـ وهو القِصاص ـ **والثَّيِّب الزاني، والتارك لدينه...**»[(٢)]. أو المفسدين في

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة بن الحصيب.

(٢) إشارة إلى الحديث: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنِّي رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة». متَّفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الأرض، قطاع الطريق الَّذين يروعون الناس، ويهددون الأمن، فالإسلام يريد أنْ يحمي النفوس المعصومة، فجعل جزاء مثل هؤلاء: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، ولا بدَّ أنْ يثبت ذلك بالبينة القاطعة، هذا ما جاء به الإسلام، حماية للحياة.

احترام الإسلام لحياة الحيوان:

الإسلام لم يحترم حياة الإنسان فقط، بل احترم حتَّى حياة الحيوان، المرأة التي حبست الهرة حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، أخبر النبي أنَّها في النار، فقال: «**عُذِّبت امرأةٌ في هرَّة حبستها حتَّى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النَّار**»[(١)].

الشريعة الإسلاميَّة هيأت الأمن للإنسان، أنْ يكون آمنًا على نفسه، على حياته، بل وعلى جسده، ليس على روحه فقط، بل على جسده، فلا يجوز أنْ يعتدى على إنسان بالضرب، «**من جرَّد ظهر مسلم بغير حقٍّ لقي الله وهو عليه غضبانُ**»[(٢)]. لا يجوز أنْ يَجْلِدَ إلَّا في حدٍّ من حدود الله، بعد أنْ تقوم عليه البيِّنة.

وجاء في الحديث: «**لا يقِفَنَّ أحدُكم موقفًا يُقْتَلُ فيه رجلٌ ظلمًا، فإنَّ اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفَنَّ أحدٌ منكم**

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٨)، والأوسط (٢٣٣٩) وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٠٦): إسناده جيد. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢١)، وقال الحافظ في الفتح (٨٥/١٢): في إسناده مقال. عن أبي إمامة

QaradawiBooks.com

موقفًا يضرب فيه أحد ظلمًا، فإنَّ اللعنةَ تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه»[١].

لا يجوز أنْ يضرب إنسان بغير حق، ومنْ ضربه بغير حق يضرب، من حقه أنْ يرد اللطمة بلطمة، وهذا هو ما أصر عليه عمر بن الخطاب بالنسبة لجبلة بن الأيهم، ذلك الأمير الغساني الذي دخل الإسلام.

قال ابن كثير: «لما بلغ عمر إسلام جبلة فرح بإسلامه، ثمَّ بعث يستدعيه ليراه بالمدينة ـ وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له ـ فركب في خلق كثير من قومه، قيل مائة وخمسين راكبًا، وقيل خمسمائة، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أنْ يصل إلى المدينة بمراحل، وكان يوم دخوله يومًا مشهودًا، دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة، ولبس تاجًا على رأسه مرصعًا باللآلئ والجواهر، وفيه قرطا مارية جدته، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه.

فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه، وشهد الحج مع عمر في هذه السَّنَة، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ إزاره رجلٌ من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل، ومن الناس من يقول: إنَّه قلع عينه، فاستعدى عليه الفزاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة، فاستحضره عمر فاعترف جبلة، فقال له عمر: أَقَدْتُهُ منك.

فقال: كيف وأنا ملك وهو سوقة؟

فقال: إنَّ الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالتقوى.

---

(١) رواه الطبراني (٢٦٠/١١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٠٥): إسناده حسن. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فقال جبلة: قد كنت أظن أنْ أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

فقال عمر: دع ذا عنك، فإنك إن لم ترض الرجل، أقدته منك.

فقال: إذن أتنصر.

فقال: إن تنصرت ضربت عنقك.

فلما رأى الجد، قال: سأنظر في أمري هذه الليلة.

فانصرف من عند عمر، فلما ادلهم الليل ركب في قومه ومنْ أطاعه، فسار إلى الشام، ثمَّ دخل بلاد الروم، ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية، فرحب به هرقل وأقطعه بلادا كثيرة، وأجرى عليه أرزاقا جزيلة، وأهدى إليه هدايا جميلة، وجعله من سماره...»[١].

لم يرض أنْ يقتص منه السيئة بالسيئة! أنْ يخسر الإسلام رجلًا خير من أنْ يخسر مبدأ، المبادئ لا تساهل فيها، أمَّا الأفراد فيذهبون ويجيء غيرهم، فلا يجوز في الإسلام أنْ يؤذى الإنسان ويضرب بغير حق، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**صِنْفان من أهل النار لم أرَهما: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذناب البقر يضربون بها النَّاس. ونساءٌ كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة. لا يدخلن الجنَّة، ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٢]. الجلاَّدون الَّذين يُعَذِّبون الناس بغير حقٍّ، هؤلاء من أهل النار.

فهذا لحرص الإسلام على توفير الأمن على حياة الإنسان.

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٦٥/١١، ٢٦٦).

(٢) رواه مسلم في اللباس (٢١٢٨)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حفظ العرض:

كذلك الأمن على العرض، أي كرامة الإنسان في نفسه وأهله ومنْ يعز عليه، لا يجوز أنْ يمس بسوء، ولا حتَّى بكلمة، لا في غيبته ولا في حضرته، من هنا حرم الإسلام الغيبة، وهي كما في الحديث: «**أتدرون ما الغِيبَة؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**ذِكْرُكَ أخاك بما يكره**»[١].

ولما قالت عائشة للنبي ﷺ: حسبك من فلانة أنَّها... وأشارت بيدها. تعني: قصيرة. قال لها النبيُّ ﷺ: «**لقد قلتُ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه**»[٢].

لا بدَّ للإنسان أنْ يكون آمنًا على كرامته، فلا تمس بسوء، لا في حضرته ولا في غيبته، في حياته، وحتى بعد مماته، «**لا تسبُّوا الأموات، فإنَّهم قد أفضَوْا إلى ما قدَّموا**»[٣].

«**لا تذكروا موتاكم إلَّا بخير**»[٤].

«**اذكروا محاسنَ موتاكم**»[٥].

«**لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء**»[٦].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٩)، وأحمد (٨٩٨٥)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٨٥.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٤) سبق تخريجه صـ ١١٤.

(٥) سبق تخريجه صـ ١١٤.

(٦) سبق تخريجه صـ ١١٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حفظ المال:

كذلك حمى الإسلام المال، حتَّى لا يعيش الإنسان خائفًا على ماله، ومن أجل هذا شرع الإسلام الحدود للحفاظ على مال الإنسان وممتلكاته، شرع حد السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وحد الحرابة، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، هذا لحماية الأمن.

الإسلام لم يقطع يد الإنسان من أجل الدراهم والدنانير، إنَّما يقطعها لأنَّه يهدد أمن الناس، لا يأمن الناس في بيوتهم على أموالهم، بل ولا على حياتهم؛ لأنَّ هذا اللص لا يبالي أنْ يقتل أو يجرح لينجو بسرقته، فهو بسرقته هدد أمن المجتمع، هدد الحياة الإنسانية؛ لهذا اشتد الإسلام عليه ليحمي المجتمع منه، ويحميه هو من نفسه، فعندما يعلم أنَّه لو سرق ستقطع يده، سيفكر مرة وألف مرة قبل أنْ يرتكب هذه الجريمة، فهذه الشدة هي الرحمة بعينها، كما يشتد الأب على ابنه لتربيته، وكما يشتد الطبيب، فيشق بطن المريض، أو يقطع عضوا منه، ليحمي بقية الأجزاء والأعضاء.

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا، ومنْ يَكُ حَازِمًا فلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ[1]!

(١) البيت لأبي تمام كما في الزهرة لمحمد بن داود الظاهري (٦٧٧/٢)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقا، ط٢، ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

إنَّ الذي يشجع الناس على السرقات: أنَّهم يعلمون أنَّ أقصى ما فيها ـ إنْ قبض عليه وقامت عليه الأدلة ـ هو السجن، ماذا في السجن؟ السجن للرجال، كما يقول المجرمون بعضهم لبعض، وفي السجن تزداد خبرته بفنون الجريمة، ويخرج أكثر ضراوة من ذي قبل.

تطبيق الشريعة الإسلاميَّة ضمان للأمن الاجتماعي:

بالعودة للإسلام وشريعة الإسلام يوجد الأمن الاجتماعي الذي ينشده الناس على ما يجمعون، يحس الناس أنَّهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم، آمنون في بيوتهم، لا يخشون اللصوص والحرامية، ومنْ أخطا يقدم للقضاء، ليس في الإسلام إنسان أكبر من أنْ يحاكم، حتَّى إمام المسلمين وخليفتهم، يمكن أنْ يحاكم ويستدعيه القاضي ويحضر.

لمَّا توجه عليٌّ إلى حرب معاوية رضي الله عنهما، افتقد درعًا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له علي: يا يهودي، هذه الدرع درعي، لم أبع، ولم أهب.

فقال اليهودي: درعي وفي يدي.

فقال علي: نصير إلى القاضي.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين.

فقال: نعم، إنَّ هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع، ولم أهب.

فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟

فقال: درعي وفي يدي.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين، بينة؟

QaradawiBooks.com

قال: نعم، قنبر والحسن يشهدان أنَّ الدرع درعي.

قال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب.

فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحسن والحُسَيْن سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أنَّ هذا للحق، أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًّا رسول الله، وأنَّ الدرع درعك، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين فوقعت منك ليلًا، فأخذتها. وخرج يقاتل مع علي الشراة بالنهروان فقتل[1].

فلا أحد أكبر من أنْ يقاضى ويحاكم ولو كان رئيس الدولة نفسه، القضاء يحكم على الجميع، كما حكم هنا على أمير المؤمنين لصالح رجل من أهل الذمة.

هذا هو الذي يؤمن الناس، أنَّ كل واحد مطمئن أنَّه يأخذ حقه غير مضيع ولا متعتع، فلا قدست أُمَّة يضيع فيها حق الضعيف.

كل إنسان في بيته آمن، لا يجوز لأحد أنْ يقتحم عليه حرمة منزله، ولو كان أمير المؤمنين، إلا في حدود معينة وبأدلة وقرائن. عن عبد الرحمن بن عوف أنَّه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب، فبينا هم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه حتَّى إذا دنوا منه إذا بابٌ مجافٍ على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر، وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري بيت من هذا؟

قال: قلت: لا.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٠/٤، ١٤١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: هو ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرْبٌ، فما ترى؟

قال عبد الرحمن: أرى قد أتينا ما نهانا الله عنه، نهانا الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، فقد تجسسنا. فانصرف عنهم عمر وتركهم[١].

فالإنسان في بيته حر آمن، لا يجوز لأحد أنْ يقتحم عليه بيته، أو أنْ يتجسس عليه، كما تفعل بعض الأنظمة، شككت الرجل في أولاده، والزوجة في زوجها، وإذا عاش الناس خائفين فلا معنى للحياة، فهذه ليست الحياة التي يريدها الإسلام، الحياة التي يريدها الإسلام هي الحياة الآمنة المطمئنة، التي يؤدي كل إنسان فيها واجبه، ويأخذ حقه، الواجب أولًا، وكما أنَّه يؤدي واجبه يجب أنْ يأخذ حقه.

وهذا ما ينشده الإسلام، ويدعو إليه الإسلام. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٩٤٣)، والحاكم في الحدود (٣٧٧/٤) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

١١

التطرُّف الديني
دلائله ومظاهره(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على رحمة الله للعالمين، وحُجَّته على الناس أجمعين، البشير النذير، والسراج المنير، مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامِنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبعُوا النُّور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعَا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أُحيِّيكم ـ أيُّها الإخوة ـ بتحيَّة الإسلام، تحيَّةً من عند الله مباركة طيبة، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في دولة قطر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

فقد سألني بعض الإخوة ـ وأنا في دولة الإمارات ـ عن موضوعٍ طلبوا إليَّ أنْ أتحدَّث إليهم فيه، ولا بأس أنْ أُحدِّثكم بما حدثت به إخوانكم من قبل، ذلك الموضوع تلوكه الألسنة والأقلام، وتتحدث عنه الصحف والمجلات، والإذاعات والتليفزيونات، هو ما يُسمَّى «التطرُّف الديني»، فالناس الآن يتحدَّثون عن التطرف الديني، والمتطرفين الدينيين، فقد صار هذا النوع من التطرف في قفص الاتهام.

هذا موضوع لا بأس أن نعالجه، وقد كنت غير ناظر أنْ أتحدَّث فيه في هذه الظروف، ولكنَّ الكثيرين تحدثوا عنه، مَن يُحسن، ومَنْ لا يُحسن، مَنْ له صلة بالدين، ومَنْ ليس له أدنى صلة بالدين، إلا صلة الجهل والغباء، أو صلة الخصومة والعداء، أو صلة السخرية والاستهزاء، كلُّ هؤلاء تحدثوا عن التطرُّف الديني، والمتطرفين الدينيين، وأصبح كلُّ صحفي، أو كلُّ من يمسك بقلم في يده مفتيًا في هذا الأمر، فلا بأس أن نلقي بعض الضوء على هذا الموضوع، لنعرف ما هو التطرف الديني؟ وما هي أسبابه؟ وما هو علاجه؟

معنى التطرُّف وخطره:

تطرَّفَ أي وقف على الطَّرَف، وأصبح على الحافَّة، بدل أنْ يكون في الوسط، مع أنَّ الَّذي يقف في الوسط يكون محميًّا في العادة، بخلاف الَّذي يقف في الطَّرَف يكون على خطر باستمرار، كما قال الشاعر:

كانت هي الوَسَطَ المِحْمِيَّ فاكتنفت بها الحوادثُ حتى أصبحَتْ طَرَفَا[1]

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٤٢٥/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والإسلام يريد من أُمَّته أنْ تكون أمة وسطًا، أي أُمَّة التوازن والاعتدال في كلِّ شيء، وكذلك يريد من الفرد المسلم أنْ يكون وسطًا في تفكيره وتصوره، في اعتقاداته ومفاهيمه، في تعبُّده وتنسُّكه، في أخلاقيَّاته وقِيمه، في نظمه وتشريعاته، في كلِّ شيء يريد من المسلم أنْ يكون وسطًا، أنْ يكون الإنسان المعتدل.

من أجل ذلك حذَّر الإسلام من الغلو، وهذا هو التعبير الشرعي لما يسميه الناس الآن التطرف، فالتطرف في الشرع له أسماء مأثورة، فقد يسمى الغلو، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وجاء في حديث بن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك مَن كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»[(١)]. جاء ذلك في الحج حيث طلب النبيُّ ﷺ حصيات ليرمي بها الجمرات، فأُعطِي بعض الحَصَيَات، فقال: «**بمثلِ هذا فارمُوا، وإيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك مَن كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**». وقد يبدأ الغلوُّ بالحصى، كيف تختاره وتنتقيه؟ ثم يتَّسع الغلوُّ ويطَّرد، فهكذا جاء حديث ابن عبَّاس.

وفي حديث ابن مسعود أنَّ النبيَّ قال: «**هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون**»[(٢)]. والمُتَنَطِّعون هم المُتَعَمِّقون المُتَشَدِّدون، الَّذين شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، يريد الإسلام أنْ يكون الدين

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

يسر، لكن هذا يعسِّر على نفسه، فالنبي ﷺ كان يغتسل بالصاع، ويتوضأ بالمُدِّ[١]، والمد حوالي نصف كيلو ماء، والصاع حوالي اثنين كيلو، بينما يظل هذا المتشدد فاتحًا الصنبور حوالي ثلث ساعة لكي يتوضأ، ويُضيِّع هذا الماء على المسلمين، فهذا من التنطُّع، وقد مرَّ النبي ﷺ على سعد بن أبي وقاص فقال: «**لا تُسْرِفْ**». فقال: أوَفي الماء سَرَفٌ يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وإنْ كنت على نهرٍ جارٍ**»[٢]. ولمَّا توضأ ثلاث مرَّات قال: «**من زاد على هذا فقد تعدَّى وأساء وظلم**»[٣]. بهذه الصفات الثلاثة: التعدِّي، والإساءة، والظلم.

التنطع إذن هو تعمُّد التَّشديد على النفس، وهذا بداية الغلو، وقد قال النبي ﷺ هذه الكلمة «**هلك المُتَنَطِّعون**» ثلاث مرَّات، فهل كان هذا على سبيل الإخبار؟ أهو خبر عنهم؟ أم دعاءٌ عليهم؟ اللفظ يحتمل هذا وذاك، إمَّا أنَّه يخبر عنهم بالهلاك، أو أنَّه يدعو عليهم بالهلاك، وكلا الأمرين مصيبة، فقد يطلق على التطرُّف اسم الغلو، أو اسم التنطُّع، أو اسم التَّشدُّد، كما جاء في الحديث الآخر، عن سهل بن حنين أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيُشَدِّدَ الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات**»[٤]. كما

(١) مُتَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٠١)، ومسلم في الحيض (٣٢٥)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعَّفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسَّنه في الصحيحة (٣٢٩٢). عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (٦٦٨٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (١٣٥)، والنسائي (١٤٠)، وابن ماجه في الطهارة (٤٢٢)، ثلاثتهم في الطهارة، وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤١٧) عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٣/٦)، والأوسط (٣٠٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٠): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وثقه جماعة، وضعَّفه آخرون.

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. «**وإنَّما هلك مَنْ كان قبلكم بالتشديد على أنفسهم**».

وانظروا إلى الأحاديث الثلاثة، لقد استخدمت لفظة واحدة هي لفظة «الهلاك»، «**فإنَّما هلك مَن كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»، «**هلك المُتَنَطِّعون**»، «**وإنَّما هلك من كان قبلكم بالتشديد على أنفسهم**»، الهلاك بوار، وخسار، وضياع، فمن هنا جاءت الأحاديث بالنَّهي عن الغلو، والتنطُّع، والتَّشديد، ودعت إلى التوسط والاعتدال.

علاقة التشدُّد بالتطرُّف:

ولكن هناك أناسًا يأخذون أحيانًا بالأشد، أو بالأحوط، فهل يوصف مَنْ أخذ لنفسه بالأحوط في رأي من الآراء، ولو كان شديدًا على نفسه ـ بأنه متطرِّف في الدين؟ وإلى أي حد؟ هذه قضية مهمة جدًّا، هناك أناس يعتبرون مَنْ تمسك بدينه ـ لمجرد تمسكه بدينه ـ متطرفًا، وفي بعض الأحيان يسمَّى رجعيًّا، وفي بعض الأحيان يسمى إرهابيًّا، فما هو الحد؟

جرعة التديُّن وأثرها:

هذا أمر يختلف في الحقيقة باختلاف الجرعة، لو كانت جرعته من التَّديُّن كبيرة يعتبر من كان مقصرًا في السنن والنوافل ضائعًا، والعكس بالعكس، كما لو ذهب شخص إلى بلد فرأى أنَّهم لا يقومون الليل، وقال أحدهم لآخر يسأله: رأيت امرأة في الطريق فنظرت إليها. فقال له: ابتعد عني حتى لا تحرقني بنارك. فالجرعة من التديُّن تختلف.

وجاء عن أنس أنَّه كان يقول لمعاصريه من الصحابة والتابعين: «إنَّكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، إن كنَّا نعُدُّها على عهد

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ من الموبقات»[١]. لأنَّ موجة التديُّن كانت مرتفعة جدًّا، الطاقة الروحيَّة مرتفعة جدًّا، وتوجد رهافة حس بكلِّ شيء، فهكذا يختلف الحكم باختلاف جرعة التدين، لأنْ مَنْ عاشوا في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ورأوا جبريل روَّاحًا غَدَّاءً بآيات الله، ورأوا هذا النور المُحمديَّ، وعاشوا في تلك الحياة، حياة الجهاد، والزهد، والعمل الدائب، والتبتُّل إلى الله عز وجل، والروحانيَّة العالية، لمَّا وجدوا بعد ذلك الدنيا قد أقبلت على الناس، فخاضوا فيها كما خاض مَنْ قبلهم، ومن هنا حدث التفاوت بين الناس، ولذلك قالوا: حسنات الأبرار سيئات المقربين. كما لو رأينا شخصًا يؤدِّي الفرائض فنقول: هذا أمر عظيم. فيأتي مَنْ يقول: سبحان الله! ألَا يصلي السنن المؤكدة؟! وإذا صلاها يأتي مَنْ يقول: أليس له حظٌّ من قيام الليل وصيام النهار؟ وهكذا، فلا بدَّ أن نراعي هذا.

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تنشد بيتًا من الشعر للبيد بن ربيعة، أحد أصحاب المعلقات الَّذين دخلوا في الإسلام، ومن الشعراء الكبار مَنْ ترك الشعر بعد دخوله الإسلام إلا قليلًا، يقول:

ذهب الَّذين يُعَاشُ في أكنافِهم وبقيتُ في خَلَفٍ كجلدِ الأَجْرَبِ[٢]

فكانت تنشد عائشة هذا البيت وتقول: رحم الله لبيدًا بن ربيعة؛ كيف لو عاش إلى زماننا هذا[٣]؟ فقد مات لبيد مبكرًا، لكنها عاشت فرأت فتنًا، ورأت تغيُّرًا، ثم جاء بعدها عروة بن الزبير، ابن أختها أسماء ذات النطاقين، أحد علماء التابعين ومحدثيهم وفقهائهم، وأحد الصالحين

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢).

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة صـ٢٦، تحقيق حمدو طمّاس، نشر دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) رواه عبد الرزَّاق في جامع معمر (٢٠٤٤٨).

QaradawiBooks.com

الورعين، فكان ينشد البيت ويقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة؛ كيف لو عاشت إلى زماننا هذا[١]؟ فماذا نقول نحن الآن؟

نحن نقرأ عن الإمام مالك يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت، والرضا بأقل القوت؟ ونقرأ عن الإمام الغزالي يتكلم عن الفتن في زمانه، ويحكي عمن قبله:

هذا الزمان الَّذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم تحدث له غِيَرٌ ... لم يُبك ميت ولم يُفرح بمولود[٢]

تلك الأزمنة كان الإسلام فيها حيًّا، لم يجرؤ حاكم في وقت من الأوقات أنْ يلغي الشريعة الإسلامية مثلًا، كانت هناك انحرافات، واتباع للهوى، لكن الإسلام كان هو الدستور، هو الشريعة الَّتي يتحاكم الجميع إليها، لم يجرؤ الحَجَّاج ولا غيره أنْ يقول: لا نحكم بهذا الشرع. لا، فالإسلام هو الأصل، والأُمَّة مسلمة، ومع هذا قالوا في ذلك الزمان ما جاء في تلك الأبيات، فماذا يقول الناس في زماننا هذا؟

أريد أنْ أقول: إنَّ الحكم على الشخص بأنه متطرِّف أو غير متطرِّف، أو أنَّه متعصِّب أو غير متعصِّب، يختلف من بيئة إلى بيئة، ومن جوٍّ إلى جوٍّ، ومن شخص إلى شخص، فالشخصُ المتديُّن الَّذي يعيش في وطن متديِّن ينكر أي شيء بعيد عن الدين، إذا رأى ما يخالفه، خاصَّةً إذا لم يكن عنده من المعرفة الواسعة والثقافة والعلم بالخَلْق وبتيارات الناس وألوان النفوس فيصدم بما يرى.

---

(١) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٩٢٤)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) من شعر أبي سهل سعيد بن عبد الله الثكلي. انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي صـ١٧٦، نشر دار المناهل، بيروت.

QaradawiBooks.com

ومن هنا إذا كان الشخص شديد التديُّن يحكم بالبعد عن الدين لكلِّ شيء يراه مخالفًا، فإنَّ العكس كذلك يحدث، هناك أناس يرون مجرَّد أنك تصلِّي الفرائض متزمِّت، أو يرون شخصًا لا يحضر حفلة رقص، ولا يعرف ما يسمَّى الإتيكيت، وإذا ذهب إلى تجمُّع ما ووجد على طاولة فيه خمرًا فرفض أن يشرب حتى ما يسمُّونه نخب الصداقة اتُهِم بأنه إنسان متشدِّد، ورجعي، وكذا وكذا، فالناس الَّذين يعيشون في البلاد الإسلامية، بأسماء إسلاميَّة، وبعقول أوربيَّة أو أمريكيَّة يحكمون على كلِّ من يلتزم بأوامر الدين نواهيه، وفرائضه وسننه، أنَّه إنسان متزمِّت، متشدِّد، متطرِّف.

دلائل التطرُّف ومظاهره:

إذا كان الأمر كذلك، فهل يُترك تحديد التطرُّف لأهواء الناس، للقوى المختلفة من المُفْرِطين والمفَرِّطين؟ لا بدَّ إذنْ أن نضع بعض المقاييس والمعايير، لنعرف بها أماراته ودلائله.

(١) تجاهل الآراء الأخرى وإنكارها:

من دلائل التطرف تجاهل الآراء الأخرى وإنكارها، وأنا أقول: إنَّ مَنْ التزم رأيًا من الآراء المطروحة في ساحة الفقه الإسلامي وأخذ به، لأنَّه اقتنع به تقليدًا أو اجتهادًا، ولو كان في ذلك تشديدٌ على نفسه فليس متطرفًا، ما دام يرى أنَّ هذا أسلم لدينه، وأرضى لربه، وأحوط لآخرته. كيف أتهمه بالتطرف حينذاك؟!

إعفاء اللحية وحلقها:

من ذلك قضية إعفاء اللحية، فإذا رأى شخص ما أنَّ إعفاء اللحية واجب، وأنَّ حلقها حرام، ومن ثم يطيل لحيته، فلماذا أتهمه

QaradawiBooks.com

بالتطرف؟! أنا شخصيًّا لا أرى وجوب إعفائها، ولكن الرأي القائل بالوجوب موجود في الفقه الإسلامي، قال به عدد من الفقهاء، وتبناه كثيرون من علماء العصر، فإذا قال أحد: أنا آخذ به، وأخالف الغزالي، والقرضاوي، وشلتوت، وأبا زهرة، ومن يقول بعدم وجوبها، وسأطلق لحيتي. فهل أتهمه بالتطرف لأنَّه عمل برأي يرى أنَّه يرضي ربه، ويقربه من الجنة، ويبعِّده عن النار؟ هذا حجر على حريَّة الناس، إذا كان يشدِّد على نفسه فهو حر، لا ينبغي أنْ نتدخل في حريَّة الناس الشخصيَّة.

الحجاب والنقاب:

ومثل ذلك الفتاة الَّتي رأت أنَّ النقاب واجب، فلبست البرقع، أو ما شابه، لأنَّها اقتنعت بهذا، أو اقتنع زوجها أو أبوها بهذا وألزمها به، مخالفة بذلك الرأي الَّذي يقول به عدد كبير من الفقهاء من أنَّ الَّذي يجب تغطيته سائر الجسم ما عدا الوجه والكفين، وخالفت رأي ابن عباس وغيره في تفسير ما استُثني في سورة النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وأخذت بالرأي الآخر في تفسير: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، أخذت برأي المتشدِّدين في هذا الأمر، لأنَّها مسألة جنة ونار؛ فهل أتهمها بالتطرف لأنَّها أخذت بما رأت أنَّه أسلم لدينها وأحوط؟ أرى أنَّ هذا تدخُّل في الحريَّة الشخصيَّة للناس.

ويكون هذا التدخُّل سيِّئًا جدًّا إذا كنا لا نتدخل في حرية من تلبس الميني جب، والمايكرو جب، ونحو ذلك، ونقول: إنَّها حريَّة شخصيَّة. بينما نتدخل في حرية مَن تلبس النقاب، ونصفها بالمتطرفة، لا، ليس

QaradawiBooks.com

هذا هو التطـرف الديني، فمن أخذ رأيًا مـن الآراء، أيًّا كان هذا الرأي، ما دام أنَّه مطروح في ساحة الفقه، قال به مَنْ قال من الفقهاء، وشدَّد به على نفسه ـ لا يمكن في الحقيقة أنْ يُتَّهم بالتطرُّف الديني.

إسدال الثوب وتقصيره:

ومثل ذلك مَنْ يسدل ثوبه ويقصره، ويقول: أنا لا أريد أنْ ألبس ثياب الخواجـات، بنطلونًا وقميصًـا وبزةً مثـلًا، وإنَّما ألبـس الجلباب، أو الدشداشة، ونحوها. ويقصرها، لأنَّه يحرم أنْ يسدلها خيلاءً، كما هو رأي جمهور العلماء، أنَّ المحرم هو إسدال الثوب خيلاءً، أي تكبرًا وتبخترًا، كما صرَّحت بذلك الأحاديث، فأخذ برأي من قال: ما كان أسفل الكعبين فهو في النار. أخذ برأي قال به عدد من العلمـاء قديمًا وحديثًا، فكيف أتهمه بالتطرف الديني؟

إذنْ فمن أخـذ برأي من الآراء، مـا دام هذا الرأي قـد قال به أحد الفقهاء المعتبرين، أو ذهب إليه أحد المذاهـب المعتبرة، أو وصل إليه باجتهـاده إن كان من أهـل الاجتهاد، معتمـدًا على الأدلة الشـرعيَّة، لا أستطيع أنْ أتَّهم مثل هذا بالتطرُّف الديني.

متى أتَّهمه بالتطرُّف؟ إذا تعصَّب لرأيه، ورأى رأيَه وحده هو الحق، وما عداه ضلالًا، وأنَّ جميع الناس يجب أنْ يلتزموا بهذا، لا، بل هناك آراء أخرى، فإذا أسدلت ثوبك وقصرته، وجئت تقول: لا بدَّ أنْ يلبس كلَّ الناس جلابيب. نقول له: لا، أنت متشـدد. أو مَنْ يقول: كل المسلمين الَّذين يلبسون بزَّات يتشبَّهون بالكفار.

لا، بل يمكن أن يكون من فعل ذلك في أوَّل الأمر قصد التشبه، أمَّا من ينشأ في هذه البيئة، ووجد قومه يلبسـون هذه الثياب فليس متشبِّهًا

QaradawiBooks.com

بالكفار، هو يلبس ما يلبس قومه، وأنا أقول: مَنْ يلبسها خيلاء هو الَّذي لا ينظر الله إليه يوم القيامة، كما صحَّ في الحديث[١]، أمَّا مَنْ يلبسها لغير ذلك، لأنَّ هذه عادة الناس فلا يدخل في هذا الوعيد.

التطرُّف أنْ ترى أن كل مَنْ عداك آثمون لأنَّهم لا يلبسون الثوب الأبيض القصير، وأنَّ النساء، والفتيات المحجَّبات اللاتي يلبسن ما نسميه نحن الحجاب الشرعي، فلا تغطي وجهها وكفيها، آثمات لأنهن لا يلبسن النقاب، هذا هو التعصب، وهذا هو التطرف، أنْ تحجر على رأى الآخرين المعتبر، فنحن كما نقاوم أنْ يحجر على رأي الإنسان في أنْ يلتزم ما يراه وما يقتنع به، أيضًا نقاوم هذه النزعة الاستبداديَّة بمحاولة فرض الرأي على الآخرين ممَّن يخالفونه، فمن دلائل التطرف: التعصب الأعمى للرأي، ومحاولة فرضه على الآخرين، واتهام الآخرين ممن لا يقول بقوله، أو ينهج نهجه، أو يسلك سلوكه، ممَّن لهم أيضًا وجهة نظر شرعية معتبرة.

وليس معقولًا أنْ تقول للفتاة الَّتي خالفت المجتمع، وخالفت بنات قومها وعائلتها، وربما وقفت ضد أبيها وأمها ومَنْ حولها، فتركت لبس القصير من الثياب، والعاري منها والضيق، ولبست الثياب الشرعي، ولم يظهر منها إلا وجهها وكفاها، ليس معقولًا أنْ تقول لهذه الفتاة: أنت من أهل النار، لأنك لا تلبسن قفازين، ولا تغطين وجهك. فأول دلائل التطرف: أنْ تحاول أنْ تفرض رأيك، متجاهلًا أو منكرًا الآراء الأخرى.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) (٤٤)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

(٢) التزام التشديد وإلزام الآخرين به:

ومن دلائل التطرف: التَّشديد الدائم وإلزام الآخرين به، فلا مانع ـ كما قلت ـ أنْ يُشدِّد الإنسان على نفسه، وإنْ كان هذا التشدُّد ضد روح الشريعة الإسلامية المُيسِّرة، الَّتي قال مُنْزِلُها تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٨]. وقال المبعوث بها ﷺ: «**بُعثتُ بحنيفيَّةٍ سَمْحَة**»[(١)]. وقال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنفِّروا**»[(٢)]. ولما بعث أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصيَّة: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تختلفا**»[(٣)]. وقال: «**إنَّ الدِّينَ يُسْر، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوة والرَّوْحة وشيءٍ من الدُّلْجة**»[(٤)]. هذه هي وصايا النبيِّ ﷺ.

ولكن إذا قال أحد الناس: أنا لا أريد الرخص، أنا سآخذ بالعزائم. لا بأس، وقد وُجِدَ بعضُ السلف كان ينهج هذا النهج، ورغم أنَّ النبيَّ ﷺ أنكر على بعض الصحابة صيام الدهر، وقيام الليل كله، كما جاء في حديث الثلاثة، أن «**مَن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[(٥)]. رغم ذلك وُجِدَ مَنْ يرى أنَّه لا مانع من صيام الدهر، مثل عمر، وابن عمر، وغيرهما، وقال: إذا كان المقصود من النهي الرفق بالمكلف فمن حقِّه أن يأخذه أو

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

(٤) رواه البخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

لا يأخذه. ولهذا وُجِدَ من السلف مَنْ كان يصوم الدهر، وإن كان هذا منافيًا لما يراه الإنسان من أحاديث، «**فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[١].

لكن الأمر الَّذي لا يُقبل بحال أنْ يحاول المرء أن يُلزم الآخرين بهذا، فلا يكتفي بأنْ يشدِّد على نفسه، حتى يحاول أنْ يشدِّد على غيره، هذا هو التطرف، هذا هو المرفوض، شَدِّد على نفسك ما شئت، لكن لا تشدِّد على غيرك، خذ بالعزائم كما يحلو لك، لكن لا تجعل الناس جميعًا يأخذون بالعزائم، وهذا ما يجهله كثيرون من المفتين، فأنا حينما أفتي فإنما ذلك لجمهور الناس، للإنسان القويِّ والضعيف، للإنسان متين الدين ورقيقِ الدين، وللإنسان الَّذي يعيش في أوربا والذي يعيش في الجزيرة العربية، فكيف تفتي الناس جميعًا بفتوى لا تراعي فيها اختلافهم؟

كان النبي ﷺ أطولَ الناس صلاة إذا صلَّى بنفسه، وكان أخفهم صلاة إذا صلَّى بالناس، إذا صلَّى بنفسه يطيل الصلاة حتى تتورَّم قدماه، معروف من قيامه الليل أنْ كان يقوم حتى تتفطَّر أو تتشقَّق قدماه[٢]، أمَّا إذا صلَّى بالناس خفَّف في صلاته، وكما روى عنه أنس في البخاري، كان يقول ﷺ: «**إنِّي لأدخل الصلاة وأنا أريد أنْ أطيلَها، فأسمع بكاءَ الصبيِّ، فأتجوَّز فيها، لِمَا أعلمُ من وَجْدِ أُمِّه من بكائه**»[٣]. يخفِّف الصلاة ويُسرع فيها، لأنَّ قلبه ﷺ مع قلب الأم، فالأمُّ الَّتي تصلي يكون قلبها مع ابنها عندما يبكي، وقلب النبيِّ ﷺ مع الجميع، فمن أجل ذلك يخفِّف الصلاة، فالإنسان الَّذي يشدِّد على نفسه لا ينبغي أنْ يُشدِّد عل الآخرين.

---

(١) سبق تخريجه صـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٩)، ومسلم في الصلاة (٤٧٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولمَّا أطال معاذ رضي الله عنه في الصلاة شكاه بعضُ الناس إلى النبي ﷺ، فجاء به وقال له: «**أفتَّان أنت، أفتَّان أنت، أفتَّان أنت؟**»[١]. أتريد أنْ توقعَ الناس في الفتنة؟ وكذلك قيل عن أُبيٍّ بن كعب، قال بعضهم: إنِّي أخرج في صلاة الفجر لِما يطيل بنا فلان ـ يقصد أُبيٍّ بن كعب ـ فغضب النبي ﷺ غضبًا ـ كما قال راوي الحديث أبو مسعود الأنصاري ـ لم يغضب غضبًا مثله، وقال: «**إنَّ منكم مُنَفِّرين، مَنْ أَمَّ بالنَّاس فليتجوَّزْ، فإنَّ خلفه الكبير، والضعيف، والمريض، وذا الحاجة**»[٢].

المشكلة في التزام التَّشديد دائمًا، وإلزام الناس بالتَّشديد، هذا هو التطرُّف، وهو إنَّما يكون عن جهل بالناس وبالحياة، لأن جمهور الناس لا يطيقون هذا، ولو أطاقوه بعض الوقت لا يطيقونه كل الوقت، ولذلك كان «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومَها وإنْ قلَّ**»[٣]. فالتزام التشديد دائمًا، وإلزام الناس به من دلائل التطرف.

(٣) الخشونة والعنف في التعامل مع الناس:

من دلائل التطرف أيضًا: الخشونة والعنف في التعامل مع الناس، يقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. لم يقل: جادلهم بالتي أخشن. وإنَّما قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾. فالدعوة لا بدَّ أنْ تكون بالحكمة، أمَّا دعوة الناس بالعنف، والخشونة، والفظاظة والغلظة، لا تليق بداعية إطلاقًا.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٥)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٩)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الله تعالى وصف رسولَه ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. انظر إلى هذه الصفات، كلها تقطر رقَّة، فالرسول ﷺ إنسانٌ صاحب قلب، يتألم لآلام الناس، وتسره هداياتهم، وكان قلبه يتمزَّق حسرة عليهم، لم يعاملهم بالعنف، رغم معاملتهم له بالعنف، كان يقول: «**اللهمَّ اهدِ قومي؛ فإنَّهم لا يعلمون**»[١]. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

حاجة الداعية إلى الرفق:

هكذا ينبغي أنْ يكون الإنسان المتديِّن، وبالأخصِّ الداعية الَّذي يريد أنْ يشدَّ الناس إلى الله، وأنْ يجمعهم في ساحة الله، لا بدَّ أنْ يكون رفيقًا، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول: «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه**». قال ذلك لعائشة لمَّا دخل عليه بعض اليهود وقالوا: السام عليك يا محمَّد. تحريفًا لكلمة السلام، وجعلها بمعنى الهلاك، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وعليكم**». فردَّ عليهم بدون أنْ يسبَّهم أو يشتمهم، لكن عائشة قالت: وعليكم السام واللعنة والهلاك يا أعداء الله. فقال: «**ما هذا يا عائشة؟!**» فقالت: أما سمعتَ ما قالوا يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وقلتُ: وعليكم. يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه**»[٢]. وقال: «**ما دخل الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانه، وما دخل العنف في شيءٍ إلَّا شانه**»[٣].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٧٥)، عن عبد الله بن عبيد مرسلًا، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٣٦).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وما يشين العنف شيئًا كما يشين الدعوة إلى الله، لأنَّ الدعوة تجعل الإنسان ربَّانيًّا في مشاعره، وفي أفكاره، وفي سلوكه، حيث تنقله من المادة إلى الروح، ومن الأرض إلى السماء، تريد أن ترتقي به، تريد أنْ تأخذه من نفسه الأمَّارة بالسوء، إلى النفس اللوامة، ثم إلى النفس المطمئنة، فهي تعمل على تغيير الإنسان، وتغيير الإنسان من أصعب الأمور، دونه تغيير الجبال، ومن هنا لزم الرفق بالإنسان، أمَّا أنْ تعامله بالعنف والخشونة فلن يستجيبَ لك، لن يتأتى لك، ولذلك كان استعمال العنف في الدعوة من أمارات التطرُّف، والناس لن تأتي إليك بالعصا والسكين، أنت تريد أنْ تقنع الإنسان، ولا يأسره شيء كما تأسره الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، فالقلب يحرك الإنسان، والقلوب تتأثَّر، وما يؤثِّر فيها شيءٌ مثل القول الطيِّب، والكلام اللين، والوجه البشوش، ومن هنا كان العنف بعيدًا تمامًا عن طريق الدعوة.

حكا الإمام الغزالي أنَّ رجلًا دخل على المأمون، فأمره ونهاه، ولكن بطريقة شديدة، كأن قال: يا ظالم، يا فاسق، يا كذا يا كذا. وكان المأمون على قدر كبير من الفقه والعلم، فقال له: يا هذا، ارفق، فإن الله بعث من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مني وأمره بالرفق، بعث موسى وهارون ـ وهما خير منك ـ إلى فرعون ـ وهو شرٌّ مني ـ ومع هذا قال لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤][1]. ولذلك لما ذهب موسى إلى فرعون قال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]. وظلَّ يحاوره بالحسنى، وبالحكمة، وبالعقل.

(١) إحياء علوم الدين (٣٣٤/٢).

QaradawiBooks.com

هكذا كان موسى عليه السلام، ومثل ذلك إبراهيم عليه السلام، وتأمَّل كيف كان يدعو مؤمن آل فرعون قومه، كما جاء في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۞ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۞ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٢٨ ـ ٣٣]. أرأيت هذا الرفق في كلامه، وهو مع ذلك يقول: يا قوم، يا أهلي. لا يقول: يا كَفَرة، يا أعداءَ الله. هكذا يجب أنْ يكون أسلوب الدعاة.

أمَّا استعمال العنف والخشونة في الدعوة فهو من دلائل التطرُّف، وهو ينفِّر الناس، وينفِّر القلوب، فطبيعة الناس أنَّها لا تحب من يعاملها بغِلظة، إذا كان محمَّد ﷺ الَّذي بعثه الله بالهدى ودين الحق، وأنقذ على يديه الناس من الجاهليَّة، وأخرجهم من الضلالة والجهالة، ومن الظلمات إلى النور، يقول الله له في معاملته لأصحابه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. بما منَّ الله عليك من رحمة، وأهداك إيَّاها، ومنحك إيَّاها، حتى قال عن نفسه: «**إنَّما أنا رحمةٌ مُهداة**»(١). وقال عنه ربُّه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بهذه الرحمة لِنْتَ لهم ورفَقْت بهم، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾. هل ينفضُّوا من حوله وهو الَّذي هداهم؟ لكن هذه هي طبيعة البشر أنَّها لا تطيق الفظَّ الغليظ الَّذي يستعلي عليهم، فلا بدَّ من الرِّفق، ولا بدَّ من الليـن، ولا بدَّ من الحِلْم، ولا بدَّ من الحكمة، ولا بدَّ من الموعظة الحسنة، ولا بدَّ من الجدال بالتي هي أحسن، ولا بدَّ أن نراعي تفاوت الناس، فكلٌّ على قدر مستواه.

ليس هناك أشر من الكافر، ولكن مع ذلك أُمرنا أن نجادله بالتي هي أحسن، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. إلا الَّذين يسيئون إلينا منهم فنعاملهم في الجدال بمثل جدالهم.

(٤) سوء الظن بالناس:

ومن دلائل التطرف: سوء الظنِّ بالناس، وخاصَّة المسلم، فالأصلُ أنْ يحمل حاله على الصَّلاح، هكذا يقول فقهاؤنا، حتى لو صدر منه تصرُّف يحتمل الخير من وجه، والشر من وجه، أو من وجوه، نحمله منه على الخير، حتى قال بعضهم: إنَّ المسلم لو تصرَّف تصرفًا أو قال قولًا يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها، والإسلام من وجه واحد، حملناه على الوجه الَّذي يحتمل الإسلام إبقاءً له عليه. وهذا تحسين للظن بالمسلم، والقرآن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. وهو ظن السوء، ويقول النبيُّ ﷺ: «**إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إنَّ الشخص المتطرِّف يقدِّم الاتِّهام دائمًا، فعنده أنَّ النَّاسَ كلهم متَّهمون، الأصل فيهم التُّهمة، وليس كما تقرِّر الشرائع أنَّ الأصل في المتَّهم البراءة حتى تثبت إدانته، لا، بل الأصل فيه ـ عند المتطرِّف ـ الإدانة حتى يثبت براءته! وهيهات أنْ يستطيع إثباتها عنده، هذا هو الَّذي ينظر إلى الناس بالمنظار الأسود القاتم، ينظر إلى الأشياء بميكروسكوب، فيكبِّر الصغير منها، ولذلك كل الناس عنده مسيئون، وكلهم عنده مارقون، هذا هو سوءُ الظن.

وقد جاء فيما ورد من آثار: خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظنِّ بالله، وحسن الظنِّ بالناس، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس[1]. فالشخصُ الَّذي يسوء ظنُّه بالنَّاس وقع في هاوية الشرِّ والعياذ بالله، وهذا يدلُّ على نوع من الغرور، والكبْر الخفي، فمن يحتقر الآخرين يعظم نفسه، فهو وحده النَّاجي، وهو وحده الرابح، وهو وحده المؤمن، فالأمر خطير، حتى جاء في صحيح مسلم، أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم الرجلَ يقول: هَلَكَ الناس فهو أهلكهم**»[2].

وقد روي هذا الحديث بفتح كاف «أهلكهم» وضمهما، فمعنى «أهلكُهم» أنَّه أشدُّهم هلاكًا، أولهم هلاكًا، أو أسرعهم هلاكًا، وذلك لغروره، وسوء ظنِّه، وتألِّيهِ على الله ﷻ، ومعنى «أهلكَهم» أنَّه تسبَّب في إهلاكهم، وذلك لاستعلائه وسوء ظنِّه، وأولى بمثله أنْ يرفق بهم، ويعطفَ عليهم، ويعاملهم بالأُخوَّة الراضيَة، أو بالأُبوَّة الحانِيَة، بدل أنْ يقول: كلُّ الناس هلكى، وضائعون، هذه مشكلة.

---

(١) انظر: المحاضرات في اللغة والأدب لليوسي (١٠٨/١)، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد كان السلف ينظرون إلى أنفسهم نظرةَ اتِّهام، فموقف الإنسان المسلم أنَّه يتَّهم نفسَه، ويعذر غيرَه، وهكذا كان الصَّالحون، يقول أحدهم: ألتمسُ لأخي من عذر إلى سبعين، ثم أقول: لعلَّ له عذرًا آخر لا أعرفه. فإن لم يجده في صلاة الجماعة قال: لعله مريض، لعله مشغول، لعله كذا. فهو يلتمس الأعذار للآخرين، بينما يتَّهم نفسه.

والعكس من ذلك هو الخطر، أنْ يُعجب المرء بنفسه، ويتَّهم الآخرين، كما قال ابن مسعود: الهلاك خصلتان: العُجْب والقنوط[1]. العُجْب هو إعجابُ المرء بنفسه، وبعمله، وبطاعته؛ والقنوط هو اليأس، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ولذلك يقول ابن عطاء الله في حكمه: ربما فُتح لك باب الطَّاعة، وما فُتح لك باب القَبول. وهذا صحيح، فمن أين تعرف أنَّ طاعتك قد قُبلت؟ مرض بعضُهم فبكى، مخافة أن يكون مرض الموت، فقيل له: لِمَ تبكي وقد عملت كثيرًا من الصَّالحات؟ فقال: ومَنْ يدريني أنَّها قُبلتْ؟ واللهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. والتقوى في القلب، فمن أين يدري أنَّه من المتَّقين حقًّا حتى يتقبَّل الله منه؟ أمر غير مضمون، ولهذا سألت السيدة عائشة النَّبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. أهذا في الرجل يزني ويشرب الخمر؟ قال: «**لا، ولكنَّه الَّذي يصلِّي، ويتصدَّق، ويصوم، ولكنَّه يخشى ألَّا يكونَ الله قد قَبِلَ منه**»[2].

---

(١) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين صـ٤٨٥، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والتِّرْمِذي في التفسير (٣١٧٥) وسكت عنه، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح التِّرْمِذي (٢٥٣٧).

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي من الصَّالحات من الأعمال ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

ولهذا يقولون: المؤمنُ يعمل الصَّالحات ويقول: أخشى ألَّا يُقْبل منِّي، والمنافق يعمل السيِّئات ويقول: أطمعُ أنْ يُغفَر لي. فالمؤمن دائمًا يتَّهم نفسَه، إذا وقعت منه السيِّئات كبَّرها، وإذا أتى من الطاعات يخشى أن تكون ناقصة روحها وهو إخلاص النية، فتفقد شرط القبول، ولذلك يقول ابن عطاء: ربما فتح لك بابُ الطاعة، وما فتح لك باب القَبول، وربما قدَّر عليك المعصية فكانت سببًا في الوصول، معصيةٌ أورثت ذلًّا وانكسارًا خيرٌ من طاعةٍ أورثت عُجْبًا واستكبارًا[1]. فالمعصيةُ الَّتي تنكد على الإنسان، وتكدِّر عليه حياتَه، وتجعله يعيش في ألم، يتمزَّق ويحترق بسببها من الداخل، خير من طاعة يُدِلُّ بها ويشمخ، يريد أنْ يقول للناس: انظروا إلى ما أتيت من الطاعة. وهنا الخطر كله، ولذلك روي عن علي بن أبي طالب أنَّه قال: سيئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنة تُعجبك[2]. فهذا سوء الظن بالناس، والإعجاب بالنفس.

السقوط في هاوية التكفير:

ويبلغ سوء الظن غايته حينما يسقط الإنسان في هذه الهاوية الَّتي لا قرار لها، وهي هاوية التكفير، أنْ يكفِّر النَّاس بالجملة، ويخرجهم أفرادًا وجماعات من الملَّة، ويعتبر كل الناس كفَّارًا، إما أنَّهم ارتدوا

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٧٤/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

QaradawiBooks.com

بعد إسلام، أو كما يقول بعضهم: إنهم لم يدخلوا في الإسلام أصلًا. كنت أناقش أحدهم ذات مرة فقال لي: أنا لا أقول إنهم مرتدون، وإنَّما أقول: إنهم لم يسلموا، فكلمة «لا إلٰه إلا الله» لها مفهوم، وهم لم يفهموه.

وهذا التكفير هو مصيبةُ الخوارج، وهي أول بدعة كارثيَّة وقعت في الإسلام، وهي التكفير، لأنَّه يترتَّب عليها أشياء خطيرة بعد ذلك، فتكفير المسلم يعني أنك حكمت عليه بالخروج من الدين، وأصبح حلال الدم والمال، ولهذا لم يؤتَ الخوارج من فساد الضمير، وإنَّما أُتوا من فساد الفكر، من فساد التصوُّر، من قلَّة الفقه، لم يربطوا بين المُحكمات والمتشابهات، بين الأصول والفروع، بين القطعيَّات والظنيَّات، أخذوا بظواهر بعض النصوص، وردوا بعض السُّنن، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه، مع أنَّ فيهم العُبَّاد الصُوَّام القُوَّام الشجعان، ولكن مع هذا قال النبيُّ ﷺ فيهم: «**ليست صلاةُ أحدِكم إلى صلاتهم بشيءٍ، ولا صيامُه إلى صيامهم بشيء، ولا قيامُه إلى قيامهم بشيء، ولا قراءته إلى قراءتهم بشيء**». بلغوا في ذلك مبلغًا عظيمًا، ومع هذا يقول: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**»[1]. لم يتعمَّق القرآن داخلَ عقولهم وقلوبهم، لم يفهموه كما ينبغي، ووصفهم بأنَّهم «**يَمْرِقون من الدِّين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة**». وجعل لهم علامة مُمَيَّزة أنَّهم «**يقتلون أهلَ الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان**»[2]. يترك المشرك، ويقتل المسلم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)(١٤٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)(١٤٣)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

ولذلك حينما مرَّ أحد علماء المعتزلة ووقع في أسر أحد الخوارج، فسأله عن هُويته، من أنت؟ فقال: مشرك مُستجير، يريد أن يسمعَ كلام الله. فقال له: حقَّ لك أن نسمعك كلام الله، ونُجيرك حتى نبلغك مأمنك. فأسمعه بعض الآيات، ثم أخذه من يده حتى كان في مكان آمن، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]. ولو عرف أنَّه مسلم لقطع رقبته من فوره، وهذه مشكلة كبيرة حينما تفسد الأفكار، لقلَّة الفقه، وعدم الأصالة في فهم الدين، والتَّسرُّع والتَّهوُّر في فهم الدين، وأخذ أموره بسطحيَّة، وعدم الربط بين القضايا وأدلتها بعضها وبعض، فهذه مشكلة الخوارج أنَّهم أخذوا ببعض ظواهر الآيات والأحاديث حتى كفروا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا: كيف يُحكِّم النَّاسَ في دين الله، ولا حكم إلا لله؟ كما قالوا: مرتكب الكبيرة كافر. والكبائر أيضًا يؤولونها ويفسِّرونها كما يشاؤون، وهكذا.

هذه ـ أيُّها الإخوة ـ هي أهم دلائل التَّطرُّف الديني الَّذي ظهر عند بعض الناس، ولكن ليس ـ كما يقال ـ كل الشباب في الجماعات الإسلامية في البلاد الإسلامية متطرِّفون. هذا ليس صحيحًا، لقد خالطت هذا الشباب، وعايشته، وقد كان فيهم متطرِّفون بكثرة، ولكنهم باختلاط عدد من العلماء الفقهاء المعتدلين بهم ظلوا يعودون شيئًا فشيئًا إلى ساحة الاعتدال، هذا شيء لمسته بنفسي، حتى إنهم في المعسكر الإسلامي التاسع للجماعة الإسلامية بجامعة القاهرة أخذوا دراسة لي كنت قد نشرتها في مجلة «الأمة» هنا في قطر في مقالتين، بعنوان «صحوة الشباب الإسلامي ظاهرة صحيَّة يجب ترشيدها لا مقاومتها»، تكلَّمت فيها عن إيجابيات هذه الصحوة،

QaradawiBooks.com

ونوَّهت بهت بها، كما تكلَّمت عن المآسي والسلبيَّات الَّتي أُنكرت عليها، ورسمتُ الخطَّ الَّذي يجب أن نسير عليه مع هؤلاء الشباب، أن يكون هناك نقد بنَّاء وحوار علمي معهم، أخذ الشباب في جامعة القاهرة هذه الدراسة، وطبعوها في مطبعة الجامعة، ووزعوها على نطاق واسع، يعني أنَّهم الَّذين تبنوا خطَّ الاعتدال، إذنْ لم يعد التطرُّف هو الطابع العام لأغلبيتهم، لا بل هو طابع القليل منهم، أمَّا الطابع العام لهذا الشباب هو الاعتدال والحمد لله، ولو طال الزمن، وطال الأخذ والعطاء معهم، والحوار البنَّاء بين العلماء وبينهم لأمكن أنْ يعودَ الجميع إلى الصَّواب إنْ شاء الله.

وعلى كلِّ حال، فإنَّ معرفة أسباب التطرُّف، وعلاجَه، يحتاجان إلى حديث آخر، نعالجه معكم إن شاء الله، ونكتفي بهذا القدر، ونسأل الله ﷻ أنْ يعصمنا من الزَّلل، ومن الإفراط والتفريط، ولا يجعلنا من المتحلِّلين أو المتسيبين، ولا من الغلاة أو المتشدِّدين، وأنْ يرزقنا لمنهج الوسط، ويجعلنا من الأمة الوسط، خير أمة أخرجت للناس، اللهم افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، إنك نعم المولى ونعم النصير.

اللهمَّ أيِّد إخواننا في كل مكان، اللهمَّ خذ بأيدي إخواننا المجاهدين، والممتحنين والمضطهدين، اللهم فكَّ بقوَّتك أسرَهم، واجبُر برحمتك كسرَهم، وتَولَّ بعنايتك أمرَهم، واخلفهم في أهليهم وذويهم بخير ما تخلف به عبادَك الصَّالحين، اللهمَّ ارحم شهداءنا، وارض عمَّن لقيك من إخواننا، وكن لنا ولهم يا ربَّ العالمين.

QaradawiBooks.com

ربنا اغفر لنا ذنوبَنا، وإسرافَنا في أمرنا، وثبِّت أقدامَنا، وانصُرْنا على القوم الكافرين، ربنا اغفِر لنا ولإخواننا الَّذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبِنا غِـلًّا للَّذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيـم، وصلِّ اللهمَّ على سـيِّدنا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحبِه وسـلِّم، اللهم آمين، والسَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

١٢

التطرُّف الديني... أسبابه[١]

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، ربنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، ربَّنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً؛ إنك أنت الوهَّاب. اللهمَّ علِّمْنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزِدْنا علمًا، نحمدك اللهمَّ على كلِّ حال، ونعوذ بك من حال أهل النَّار.

وأحيِّيكم أيُّها الإخوة بتحيَّة الإسلام، تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معالم التطرُّف الديني:

كُنَّا نتحدث في المحاضرة الماضية عمَّا سمَّوه (التطرُّف الديني)، وألقينا عليه بعض الضوء، وحددنا بعض المعالم التي تدل عليه، مثل التشديد الدائم على النفس وعلى الناس، وإلزام الآخرين بالتشدد بما لم يلزمهم الله تعالى به، ومثل سوء الظن بجمهور الناس، واتهامهم بغير حق، ومثل التعصب للرأي وإسقاط رأي الآخرين، وعدم اعتبار وجهات النظر

(١) ألقيت في دولة قطر.

QaradawiBooks.com

الأخرى، ومثل اتهام الآخرين بالفسق أو بالكفر، وأحيانًا تكون هذه نهاية الخطر، ومثل: الخشونة والعنف في الدعوة إلى الله، واجتناب الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أخشن لا بالتي هي أحسن!

قلنا: إنَّ هذه بعض الدلائل التي تدل على هذا التطرُّف، ولكن يبقى هناك سؤال أو سؤالان: السؤال الأول: ما أسباب هذا التطرُّف؟ وما بواعثه؟ والسؤال الثاني وهو مترتب على السؤال السابق: ما علاج التطرُّف؟ كيف يُعالج التطرُّف؟

أسباب التطرُّف:

ولا يمكن العلاج إلا بعد معرفة الأسباب، إذا تعطلت سيارتك فلا يمكن أنَّ تحركها إلا إذا عرفت سبب التعطيل، هل هو سبب ميكانيكي؛ فتذهب بها إلى أخصاصي ميكانيكي، أو سبب كهربائي، أو سبب آخر غير هذا وذاك؟ لعلها ينقصها بترول؟

حاول أحدهم أن يشغل سيارته فلم تشتغل، وغفل أنَّه يشغلها بمفتاح غير مفتاحها، قد يكون سببًا قريبًا جدًّا، والإنسان غير متنبه له! لا بدَّ من معرفة السبب، فالسبب أمر مهم، وقديمًا قالوا: إذا عُرف السبب بطل العجب. ولكن القضية ليست بطلان العجب فقط، وإنَّما القضية أن نعرف السبب لنحدد على ضوئه كيف يكون العلاج، فهل لهذه الظاهرة من سبب أم لا سبب لها؟

قانون السببيَّة:

نحن نعرف أنَّ الله ﷻ أقام هذا الوجود على شبكة من الأسباب والمسببات، على قانون السببيَّة، كل مسبب لا بدَّ له من سبب، وكل

QaradawiBooks.com

معلول لا بدَّ له من علة، وكل أثر لا بدَّ أن يكون وراءه مؤثر. هذه سنة الله في الكون، وسنة الله في الحياة الفردية والاجتماعيَّة، فأي ظاهرة كونيَّة أو أي ظاهرة اجتماعيَّة لا بدَّ أن يكون لها سبب.

والوقائع والأعمال مثل الكائنات الحية، فالكائن الحي لا بدَّ أن يوجد من كائن آخر، عن طريق معين: طريق تزاوج بين الذكر والأنثى، بين عناصر التذكير وعناصر التأنيث، فالأشياء لا توجد وحدها، والنتائج لا تأتي من غير مقدمات، فهذه هي سنة الله.

ولذلك لا بدَّ من محاولة معرفة الأسباب، ما هي؟ يقولون: تطرُّف ديني. والتطرُّف الديني له سبب، ما الَّذي أدى إلى ذلك التطرُّف؟ فهو لم يُوجد وحده، بل أوجدته أسباب وأشياء؛ فما هي؟

تفسير الأسباب عبر مدارس شتَّى:

هنا نجد أنَّ هناك مدارس فكريَّة تحاول أن تجعل الأسباب سببًا واحدًا، مثلًا الجماعة السيكولوجيون أو النفسيون دائمًا يحاولون أن يردوا الأمور كلها إلى أسباب نفسية، وإلى عُقد، وإلى أشياء تكمن في العقل الباطن في اللاشعور، وخاصة مدرسة التحليل النفسي: فرويد وأتباعه، يريدون أن يجعلوا سبب كل شيء نفسي، وفي العقل الباطن، وإلى عقد تتصل بالناحية الجنسية، وبكذا وكذا، هذه مدرسة.

وهناك المدرسة الاجتماعيَّة، دوركايم وأتباعه، يقولون: كل الأشياء مردها إلى المجتمع، الفرد ضحية المجتمع، الفرد دُمية يحرك خيوطها المجتمع، فإذا أردت أن تعرف الأسباب؛ فابحث عن الأوضاع والتقاليد والظروف الاجتماعيَّة؛ فهي التي تصنع الأحداث، يُخيَّل إليك أنَّ

QaradawiBooks.com

الشـــخص مختار، ولكن المجتمع هو الَّذي يسوقه ســـوقًا! وبهذا ألغوا الإرادة الفردية، وألغوا كسب الإنسان واختياره، وأنَّه مسؤول عن عمله، هذه أيضًا مدرسة.

وهناك مدرســـة أخرى تجعـــل الناحيـــة الاقتصاديَّة هـــي المؤثرة ولا شـــيء غيرها، هي المدرســـة الماركســـية، كارل ماركـــس وأتباعه يقولـــون: لا، الإنســـان لا يحركـــه إلا الدوافـــع الاقتصاديَّـــة، الأمور الاقتصاديَّة: البطن والمعدة، والأكل والشرب، والحاجات التي يحتاجها الناس. والإنتاج وأدواته وعلاقاته هي التـــي تصنع الوقائع والحوادث والأعمال، ففتش عن الدافع الاقتصادي، غيِّـــر الاقتصاد يتغيَّر التاريخ وتتغير الحياة كلها. هذا منطقهم!

الواقع أنَّ هناك أسبابًا عديدة:

ولذلك إذا أردنا أن نبحث عن الســـبب وراء ظاهرة التطرُّف الديني كما يسمونها فهل نستطيع أن نصل إلى ســـبب؟ الناس الذين كتبوا في الصحف والمجـــلات عن هذه الظاهـــرة كل واحد تناولهـــا من زاويته، النفساني يجعلها أمرًا نفسيًّا، والاجتماعي يجعلها أمرًا اجتماعيًّا، وهكذا، والواقع أن كل واحد من هؤلاء عنده شـــيء من الحق، ولكنَّه أيضًا ترك كثيرًا من الحق، وخلط الحق بالباطل.

الواقع أنَّنا إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة نظرة شـــاملة متوازنة متكاملة: نجد أن هناك أســـبابًا عديدة، وكل ســـبب فيها له تأثير بقـــدر ما، هناك أسباب فكرية وعلمية، وأســـباب اجتماعيَّة، وأسباب اقتصاديَّة، وأسباب سياسية، كلها أدت إلى هذا الَّذي يُسمى التطرُّف.

QaradawiBooks.com

سبب علمي وفكري:

هناك لا شك سبب علمي وفكري، لا جدال في هذا، هناك نقص في العلم، وضعف في البصيرة بحقيقة الدين وحقيقة الحياة، وضعف البصيرة يعني ضعف الفقه، وكلمة الفقه هذه ـ إذا أخذناها بالمعنى القرآني والمعنى النبوي ـ لا تعني مجرد معرفة فرائض الوضوء وسننه وأحكامه، والرضاع والطلاق وكذا، لا، قد يعرف الإنسان أشياء متنافرة من هذا ولكنَّه لم يفقه، لم يصل إلى ما أراده النبيُّ ﷺ بقوله: «**مَنْ يُرد اللهُ به خيرًا يُفَقِّهه في الدِّين**»[1]. الفقه بسنن الله الكونيَّة، وسنن الله الاجتماعيَّة، وسنن الله الشرعيَّة، الفقه الَّذي نفاه الله عن الكافرين بقوله: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ**﴾ [الحشر: ١٣].

الفقه معناه التعمُّق في الأسرار، أن يصل إلى معرفة أغوار الشيء، لا يقف عند السطح، بل يغوص في الأعماق، لا يكتفي بالقشور، بل يحاول أن يدخل إلى اللبِّ، هذا هو الفقه.

علمٌ قاصرٌ وغرورٌ مُطْبِق:

ولذلك أنا لا أقول: إنَّ من أسباب التطرُّف الجهل المطلق بالدين. لا، الجهل المطلق بالدين لا يؤدي إلى التطرُّف، بل يؤدي إلى ترك الدين والتسيب منه، إنَّما يؤدي إلى التطرُّف نصف العلم بالدين مع الغرور، أن يعرف الواحد بعض الأشياء المتناثرة، ويظن أنَّه قد حصَّل كل شيء، وأنَّه أصبح عالِم الدنيا، وأصبح شافعي زمانه، وهو في الحقيقة إنَّما عرف جزئيات من هنا وهناك غير متماسكة، وغير مترابطة، لم يَرُدّ

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

فيها الأصول إلى فروعها، ولم يُحاكم الظني إلى القطعي، ولم يرجع بالجزئيات إلى الكليات، ولم يستشفّ المقاصد التي ينبغي أن تُحاكم إليها الفروع المختلفة، فهو قرأ بعض الأشياء من هنا وهناك، وهذه لا تُكوِّن الفقه الَّذي نريد.

ولذلك نصف العلم هذا هو الَّذي يؤدي إلى التطرُّف، لأنَّ صاحبه للأسف يظن أنَّه قد علم، وهو لم يعلم، وظنه أنَّه عالم لا يجعله يستزيد ويتعلم من غيره، ويقف موقف التلميذ. لا، بل هو يريد أن يكون أستاذًا كان السلف يقولون: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإذا ظن أنَّه علم فقد جهل[1]. ما دام يطلب العلم فهو عالم، الإمام الشافعي يقول:

كُلَّما أَدَّبَنِي الدَّهْرُ أراني نَقْصَ عَقْلِي
أو أَرَانِي ازْدَدْتُ عِلْمًا زادني عِلْمًا بجَهْلِي[2]

كلما ازددت علمًا يجعلني هذا العلم أزداد علمًا بأنِّي لا زلت أجهل الكثير، هذا هو شأن الإنسان العالم، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، أمَّا الَّذي يظن أنَّه قد وصل إلى نهاية العلم؛ فلم يعد محتاجًا إلى من يُعلمه فهذه نقطة الخطر كله، نقطة الخطر هي هذا القدر القليل من العلم الَّذي يصحبه الغرور.

آثار قلَّة العلم:

وهذا يؤدِّي إلى أشياء كثيرة في الحقيقة، أن يجري وراء المتشابهات ويترك المحكمات، فالله تعالى أنزل الكتاب منه آياتٌ مُحْكَمَات هنَّ أمُّ

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٣٠٨)، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ. وهو من كلام ابن المبارك. وليس حديثًا كما ظنَّ بعض الناس.
(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٧/٤).

QaradawiBooks.com

الكتاب، وأُخَرُ متشابهات، والأصل أن يردَّ العالمُ المتشابه إلى المحكم، أمَّا الَّذي خطف العلم خطفًا، ويحكم بالتسرُّع وبالتهوُّر؛ فهو للأسف لا يفعل هذا!

وقد كانت مصيبة هذا ما فعله الخوارج.. أخذوا بعض الظواهر وأمسكوا بها، ونسوا الأشياء الأخرى، قالوا: من يرتكب كبيرة كافر. أخذوا هذا من ظواهر آيات وأحاديث وأشياء، مثلًا حديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن**»[(١)]. فيقولون: السرقة تنافي الإيمان، وشرب الخمر ينافي الإيمان، والزنى ينافي الإيمان، من يفعل شيئًا من هذا ليس بمؤمن أي كافر. والكافر عندهم الخارج من الملة!

ولم ينظر هؤلاء إلى النصوص الأخرى، مثل أنَّ «**من قال: لا إله إلا الله دخل الجنَّة، وإن زنى وإن سرق**»[(٢)]! وأنَّ «**من مات وهو يعلم أنْ لا إله إلا الله دخل الجنَّة**»[(٣)]، وأن ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وهكذا. لا بدَّ أن تعرف هذه الأشياء؛ حتى تحاول أن تجمع وتوفق بين النصوص بعضها وبعض.

ثم إنَّه لو كان الزنى كفرًا؛ أي ردة عن الإسلام، وكذلك السرقة وشرب الخمر، لكانت هناك عقوبة واحدة لهذه الأشياء كلها، وهي عقوبة المرتد: القتل، لكن الله جعل عقوبة السارق قطع اليد، وشارب الخمر يُجلد، والزاني يُجلد أو يُرجم. تنوعت العقوبات؛ إذن هي ليست جريمة واحدة!

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) مُتَّفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم في الإيمان (٩٤)، عن أبي ذر.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٢٦)، وأحمد (٤٦٤)، عن عثمان بن عفان.

QaradawiBooks.com

المعاني الحقيقيَّة والمجازيَّة:

هذا يجعلنا نفكر: يا ترى ما المراد بالإيمان في هذا الحديث؟ لأنَّ المصيبة أنَّهم يحملون المجاز على الحقيقة، كما لو قلت: فلان ليس برجل. معروف أنَّ الرجل في اللغة: هو الذكر الحرُّ البالغ من بني آدم، فهل تريد نفي هذه الرجولة المطلقة عنه أم تريد نفي الرجولة المجازية عنه، مثل أنَّه فاقد الغيرة على أهله، لا يفعل أفعال الرجال؟! الأمر يختلف، والأخير يسمى (نفي مجاز)، كذلك حين تقول: «**ليس بمؤمنٍ**». أي ليس بمؤمن كامل، كما تقول: ليس برجل. أي ليس برجل كامل، ولكن هؤلاء لم يميزوا بين الحقيقة والمجاز؛ فحصل منهم هذا الخلط والخبط!

ومن ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»[(١)]. وقال: «**سباب المُسْلِمِ فسوقٌ، وقتالُه كفر**»[(٢)]. فهل إذا قاتل مسلم مسلمًا آخر أصبحا كافرين؟ هذا في الحقيقة ينافي القرآن نفسه، القرآن يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. فجعلهم مؤمنين مع أنَّهم يقتتلون، فأبقاهم على أصل الإيمان، كذلك قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. فأثبت لهم أخوة الإيمان، وطلب الإصلاح بينهم، وهكذا.

أهمية جمع النصوص المتعارضة في الظاهر:

إذن لا بدَّ من جمع النصوص المتعارضة في الظاهر بعضها مع بعض، حتى يمكن أن يوفق بينها، ويخرج منها بالحكم، هذا هو عمل العلماء، أمَّا السطحية والتسرع وخطف الأحكام خطفًا من النصوص

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ـ دون تأمل ودون موازنة ـ هو الَّذي يؤدي إلى هذا التطرُّف، فهذا لا يأتي من التعمق في العلم، وإنَّما يأتي من السطحية في العلم، هذا هو الخطر.

نموذج الخوارج:

فالخوارج قالوا: مرتكب الكبيرة كافر. ثم بدؤوا يفسرون ارتكاب الكبيرة على ذلك، وحينما قَبِل علي بن أبي طالب التحكيم، رفع الآخرون المصاحف، وقالوا: يحكم بيننا القرآن، واحد منا وواحد منكم. فكان علي رافضًا في البداية، ولكن قال بعض من معه: لا يسعنا أن يرفعوا المصاحف ونقول: لا. فقبل حفاظًا على وحدة جيشه. وبعد ذلك بعض الناس الذين دعوه إلى القبول هم أنفسهم تمردوا عليه، وقالوا: كيف يقبل تحكيم الرجال في دين الله، ولا حكم إلا لله؟! والقرآن طبعًا يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. إلى آخره، ولذلك لما سمع علي بن أبي طالب قولهم: لا حكم إلا لله. قال: كلمة حق أريد بها باطل[1]! صحيح لا حكم إلا الله، لكن ليس معنى هذا ألا يُحكَّم الناس في الخلافات، الحكم لله يعني أنَّ التشريع لله، والأمر لله، والتدبير الكوني لله، ولكن هذا لا ينفي أن يُحكِّم الناس بعضهم بعضًا في أمور النزاع.

ولذلك لما ذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى هؤلاء الخوارج ليجادلهم، قال لهم: تعالوا، أنتم تقولون: لا حكم إلا لله. فما قولكم في أنَّ الله تعالى حكَّم في أدنى الأمور، فيما هو أبسط من الخلاف بين المسلمين، حكَّم في شؤون الأسرة فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]. وحكَّم في أبسط من هذا وأيسر في قتل

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٦) (١٥٧).

QaradawiBooks.com

الصيد في الحرم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥][1]. فالتحكيم في مسائل النزاع أمر شرعي جاء به القرآن، وجاءت به السنة؛ إلا أن هؤلاء لم يفهموا، ولهذا كفروا عليًّا لأنَّه ارتكب كبيرة في نظرهم، وحكَّم الرجال في دين الله، كل هذا من التسرع والسطحية، الذين وقع فيهما الخوارج قديمًا.

نموذج التكفير والهجرة:

وهناك أيضًا (جماعة التكفير والهجرة) كما يسمونهم، هم في الحقيقة لم يسموا أنفسهم بهذا، وإنَّما سموا أنفسهم (جماعة المسلمين)، لكن الصحافة والإعلام هي التي أطلقت عليهم هذا الاسم، وأبرز ما يتميزون به أنَّهم يقولون بتكفير المجتمع، الجماهير عامة، لأنَّهم يكفرون بالجملة، وطبعًا ساروا وراء أشياء مما وصل إليه الخوارج قديمًا.

الفرق بين الحكم الظني والحكم القطعي:

وهناك غيرهم أيضًا تشككوا في مسائل؛ أخذًا بظواهر لم يوفقوا بينها وبين القواعد والأحكام الأخرى، فحصل هذا الخلط، والمفروض أن نوفق بين الحكم الثابت بالظن، والحكم الثابت بالقطع، هناك أحكام ظنية وأحكام قطعية، حتى في الثابت بالقرآن والسنة، ليس كل ما ثبت بالقرآن والسنة قطعيًّا، لأن القطعية تأتي بأن يكون الدليل قطعيًّا في ثبوته، وقطعيًّا في دلالته.

---

(١) رواه النسائي في الكبري في الخصائص (٨٥٢٢)، والحاكم في قتال أهل البغي (٢/١٥٠، ١٥١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

القطعي في الثبوت مثل القرآن والأحاديث المتواترة، والقطعي في الدلالة، أي: لا يحتمل وجهًا آخر، والأحكام قطعية الثبوت قطعية الدلالة معًا قليلة جدًّا، فمعظم السنة ظني الثبوت، ومعظم الأحكام في القرآن والسنة ظنية الدلالة، فالقطعي قليل جدًّا، وهذا من رحمة الله تعالى بالناس؛ لأنَّه قلما يوجد نص إلا وفيه أكثر من فهم، وأكثر من تفسير، وأكثر من رأي، هذا يستخرج منه شيئًا وهذا يستخرج منه شيئًا آخر، ولذلك كثرت المدارس الفقهية والمشارب العلمية المتعددة، وتعايشت في الإسلام في تسامح، وقبل بعضها بعضًا، ووسع بعضها بعضًا، لكن هؤلاء لم يفهموا هذا!

أحاديث التصوير:

بعضهم مثلًا جاؤوا بأحاديث التصوير، وأخذوا بأشد الآراء، متناسين أن هناك رأيًا آخر يستثني ما كان رقمًا في ثوب، وهذا أخذ به بعض الصحابة والتابعين، فاعتبروا فقط ما كان مجسمًا، أي: ما كان له ظل.

اختلفت المدارس في هذا، ولا نستطيع أن نجعل المختلف فيه كالمتَّفق عليه، هذا له مرتبته وهذا له مرتبته، ولذلك التماثيل المجسمة متفق على حرمتها، بينما الصور المرسومة على حوائط ولوحات وهذه المسطحات: ليست كحرمة الأشياء الأخرى، هي أخف من تلك.

والتصوير الفوتوغرافي هذا أمر آخر؛ لأنَّه لم يكن في عهد النبي ﷺ، فإدخاله في التصوير هو إدخال بالاجتهاد لا بالنص، وأنت تقول: لا، هو اسمه تصوير. ونحن من سميناه تصويرًا، كان يمكن أن نسميه أي اسم آخر! الناس هنا في الخليج يسمونه (عَكْس)، لأنَّه فعلًا عكس للصورة كما تنعكس في المرآة، ويسمون المصور (العَكَّاس)، ويذهب إليه

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أحدهم ويقول: اعكسني. فالقضية إذن لا تستطيع أن تجعلها من القضايا الثابتة بالنصوص؛ بل هي من الثابتة بالاجتهاد إلحاقًا بالنص، وهذا له مرتبة أخرى، مراتب الأشياء هذه لا بدَّ أن نعرفها، فإذا لم نعرفها فهذا يؤدي إلى التشدد، وليته يتشدد على نفسه فحسب، وإنَّما يتشدد على الناس، يرى الصور فيقول: حرام، أنت ارتكبت كذا. افرض أنِّي أخذت برأي الشيخ بخيت يا أخي، دعك من رأي القرضاوي، آخذ برأي الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي زمانه وعلامة زمانه، والذي ألف رسالة سماها (القول الكافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي)، فلا بدَّ أن تسلم له بحقه في الاختلاف.

إذن عدم التفقه والتعمق في معرفة الدين، وعدم التمييز بين مراتب الأعمال بعضها وبعض يؤدي إلى التطرُّف.

أخذ العلم من غير أهله:

وكثيرًا ما يكون السبب في هذا التطرُّف أنَّ بعض هؤلاء المتطرفين لم يأخذوا العلم من أهله المختصين به، كثير منهم يأخذ العلم من الكتب، والعلم من الكتب ليس كافيًا. كان السلف يقولون: لا تأخذ القرآن من مصحفي، والعلم من صُحُفي. فهو يأخذ القرآن من خلال القراءة في المصحف، وليس من شيخ قطعة فقطعة، يسمعها ويعرف أخطاءه ويصحح له كلمة كلمة؛ كما فعلنا نحن في الكُتَّاب، لا، وإنَّما أخذه من قراءة من المصحف.

هذا من الممكن أن يخطئ، ومثل هذا لا تتعلم منه القرآن، ممكن أن يوقعك في الخطأ وهو لا يدري، وكذلك لا تأخذ العلم من صُحُفي، أي من الَّذي يستقي معلوماته من الصحف، تعلم بمفرده بدون معلم، بدون

QaradawiBooks.com

شيخ يقف على الأشياء، يقول له: لا، أنت فهمت خطأ في كذا، والصواب كذا. ويناقشه ويرد عليه؛ لأن العلم بالحوار والمناقشة؛ فكثيرًا ما يفهم الإنسان الأشياء فهمًا خاطئًا: يسيء القراءة، أو يسيء فهم ما قرأ، أو يسيء الاستنباط فيما فهم، فوجوده في حلقة العلم هو الَّذي يصحح له ما وقع فيه، ومن هنا كان أخذ العلم من الصحف فقط مصدرًا من مصادر الخطأ والخطر.

فقدان العالم الناضج والقدوة الصالح:

وهناك شيء يجب أن نعترف به، أن بعض هؤلاء المتطرفين للأسف لم يجد العالم الناضج، الَّذي يأخذ عنه دينه باطمئنان، لأن كثيرًا من العلماء لم يجد فيهم هؤلاء الشباب الاطمئنان إلى علمهم ولا إلى دينهم، مثل بعض العلماء الرسميين الكبار، أسقطوهم من اعتبارهم لأنَّهم يفتون للسلطة، وهم مستعدون أن يفرِّخوا لهم الفتاوى لتسويغ أوضاعهم، فلهذا ابتعدوا عنهم! يقولون: لا نجد أحدًا يعلمنا، والميت آمن من الحي، فالقراءة في الكتاب آمنة عن الحي الَّذي يريد أن يضللنا، فهو يريد أن يرضي السلطة أو كذا.

وبعض هؤلاء العلماء للأسف يقولون أشياء غريبة فعلًا، تفتن هذا الشباب، أحدهم قال لي: إن بعض العلماء كتب في الصحف يقول: انتصار الشخص دليل على أنَّه على حق، وإذا انهزم دليل على أنَّه على باطل، وانهزام هؤلاء دليل على أنَّهم على باطل!

سبحان الله! أهذا مقياس؟ إذا انهزم الإنسان في معركة، وانتصر عليه خصومه: يكون خصومه على حق، وهو على باطل؟! كيف والرسول ﷺ انكسر هو وأصحابه في غزوة أحد؟! قد ينهزم الإنسان لأنَّه لم يستكمل

QaradawiBooks.com

الأسباب المطلوبة حسب السنن الكونيَّة، فليس معنى أنَّه على حق وخصمه على باطل: أن ينتصر على خصمه، وهو لم يتهيأ له بما يستطيع من أسباب، وقد رأينا يزيدَ ينتصر على الحسين، واستشهد الحسين ومن معه، هل معنى هذا أنَّ الحسين كان على باطل؟!

والذين خدوا الأخاديد انتصروا على المؤمنين المذكورين في سورة البروج، وأبادوهم عن آخرهم، حين خدوا لهم الأخاديد، وأشعلوا فيها النار، وحرَّقوهم واحد بعد الآخر، أبادوهم تمامًا، ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فيا ترى هؤلاء المؤمنين كانوا على باطل والذين خدوا لهم الأخاديد كانوا على حق؛ لأنَّهم تمكنوا منهم وقتلوهم؟!

فمثل هذا الكلام الَّذي يُقال في الحقيقة يجعل الشباب ينفر من العلماء ومن الناس الذين يتحدثون ويكتبون ويخطبون؛ فيجعلهم يعتمدون على الكتب، والكتب وحدها لا تُعلِّم العلم الصحيح، فتكون النتيجة التشدد أو التطرُّف.

هذا من الأسباب الأولية في الحقيقة للوصول إلى ما سموه التطرُّف، ضعف البصيرة بحقيقة الدين وأصوله ومقاصده.

ضعف البصيرة بالواقع وبسنن الله تعالى:

وأحيانًا يُضاف إلى هذا ضعف البصيرة بالواقع نفسه وبالحياة وبسنن الله تعالى في المجتمعات، هذا أمر مهم، أن يفهم الإنسان السنن الكونيَّة، كيف تسير الدنيا! وأحيانًا الذين لا يعرفون كيف تسير القوانين الكونيَّة والاجتماعيَّة يتخيل ما لا يقع، ويتمنى ما لا يحدث، وينتظر من دولاب الحياة أن يسير على هواه هو، ويذكر أشياء هي عبارة عن أوهام، ويرتب

QaradawiBooks.com

نفسه على ذلك، ولذلك يستعجل الثمرات قبل أوانها، يريد أن يغير المجتمع: يغير أفكاره ومشاعره، وتقاليده وأنظمته السائدة، ويبدل الكون كله في أيام معدودات! هذا غير ممكن.

لا بدَّ أن يعرف الإنسان أن لكل شيء أوانه، وله أسبابه واستعداداته، ولذلك ظل النبي ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكة يدعو قريشًا والمشركين ـ والأصنام من حوله ـ يذهب ليطوف بالكعبة وعندها ثلاثمائة وستون صنمًا، هل فكر في يوم من الأيام أن يجمع أصحابه ويقول: هيا نقوم بعملية فدائية فنكسر هذه الأصنام حول الكعبة. لا، ما فكر في هذا، بالعكس كان الصحابة يأتونه ما بين مضروب ومشجوج ومجروح، ومُعذَّبٍ ومؤذًى؛ يقولون له: ائذن لنا في الجهاد. فيقول: لا، كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة[1]. لم يحن الأوان بعد، ومرَّ على ياسر وامرأته سمية وابنهما عمار وهم يعذَّبون أشد العذاب من قريش: أبي جهل ومن معه؛ فماذا قال لهم؟ ما كان عنده شيء يقدمه لهم، قال: «**صبرًا آلَ ياسرٍ، فإنَّ موعِدَكم الجنَّة**»[2]. ومات أبو عمار وأم عمار تحت العذاب، الأمر يحتاج إلى الصبر، فإذا عرف الإنسان سنن الله لا بدَّ أن يصبر عليها، فلكلِّ شيء وقته.

---

(١) إشارة إلى حديث: أنَّ عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنَّا كنا في عزٍّ ونحن مشركون، فلما آمنَّا صرنا أذلَّة. فقال: «**إنِّي أمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا**». فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال، فكفَّوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]. رواه النسائي في الجهاد (٣٠٨٦)، والحاكم في الجهاد (٦٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

آثار تعجل الأمور قبل أوانها:

ولو فكر النبي ﷺ أن يقول لأصحابه: هيا نحطم هذه الأصنام. فماذا تكون النتيجة؟ عملية انتحارية، سيقوم المشركون بالدفاع عن أصنامهم، والمسلمون قلَّة قليلة، وأهل البلد كلهم إلا عشرات مشركون؛ فسيقفون ضدهم، وحسب السنن الكونيَّة لا بدَّ لهذه الكثرة أن تغلب هذه القلة، فهي قلَّة قليلة وليست لها أرض مستقلة، ويعيشون في وسطهم، ومعنى هذا أنَّهم يدخلون معركة فناء فعلًا مع الأكثرية المسلحة القوية!

وبعد ذلك لو كسروا الأصنام سيصنعون غيرها في اليوم التالي، حين تذبح العجل الَّذي يعبده الناس سيأتون بغيره، وكذلك الأصنام يصنعونها إذا حطمتها، ولهذا قبل أن تذبح العجل اذبح الفكر الوثني أولًا، وقبل أن تحطم الصنم حطم العقلية الوثنية الخرافية، التي تجعل الإنسان يذهب إلى الحجر ويسجد له، ويطلب منه النجاة والدفاع والبركة والنصر!

ولذلك لم يفكر النبي ﷺ أن يأمر أصحابه بتحطيم الأصنام، وجاء القرآن يأمرهم بالصبر، إلى أن جاء يوم مكنهم الله فيه، ودخل النبي مكة فاتحًا، وأمسك بالرمح في يده، يضرب هذه الأصنام حول الكعبة فتخر على الأرض، وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١][1]. فلكل شيء أوانه، فليس الفقه المطلوب فقط هو الفقه بدين الله، بل مطلوب أيضًا الفقه بسنن الله، بالقوانين التي يُسيِّر الله بها الكون؛ حتى لا يتورط الناس في أعمال لا معنى لها، لم يجئ أوانها بعد، فهذا سبب من أسباب التطرُّف.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٨٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

غلبة المنكرات وشيوع الفواحش:

وهناك سبب نفسي مهم جدًّا من أسباب التطرُّف، هذا السبب هو ما يحسه الشباب المؤمن المتدين، الملتزم بدينه، الحريص على هذا الدين، الغيور عليه، ما يحسه من توتر، ما يحسه من ألم يعتصر قلبه، ما يحسه من أسى ومن غليان؛ نتيجة ما يرى من المنكرات، كما جاء في بعض الآثار والأحاديث: «**يأتي على الناس زمانٌ يذوب فيه قلبُ المؤمنِ كما يذوب المِلْحُ في الماء**». قالوا: بِمَ؟ قال: «**بما يرى من المنكر، لا يستطيع تغييره**»[1]. منكرات في كل مكان: منكر عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، في البيت منكرات، وفي السوق منكرات، وفي الجامعات منكرات، وفي المحاكم منكرات، وفي الصحافة منكرات، وفي الإذاعة منكرات، وفي التليفزيون منكرات، وفي السينما منكرات، وفي التشريع، وفي الاقتصاد، وفي السياسة، وفي كل مكان، وفي كل مجال أمور ليست على وفق شرع الله.

وما دام التشريع لا يحكم بما أنزل الله، وما دامت التربية ليست على هدي الإسلام، وما دام الإعلام ليس سائرًا على سنن الإسلام، وما دامت المسلمة ليست مرتدية الزي الإسلامي، فهذا يعمل عمله السيئ في نفس الشاب الملتزم، منكرات في كل ناحية، ليست منكرات سياسية فقط؛ بل سياسية واقتصاديَّة واجتماعيَّة.

التفاوت الفاحش بين أفراد المجتمع:

حين يرى المسلم كيف تُنفَق الأموال في بلاد المسلمين، وكيف تُبعثر الملايين وعشرات الملايين، وأحيانًا مئات الملايين في الباطل،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٦).

QaradawiBooks.com

على القمار، على الموائد الخضـــراء، أو في الليالي الحمراء، في أوروبا وأمريكا وكـــذا، وعلى أفراح وأعراس، كيف تنفـــق الملايين على الفن، وعلى الرياضة، وعلـــى كذا، وأشـــياء أخرى لا تجد شـــيئًا! حين يرى الشباب هذا يهتاج ويغضب، يجد أناسًا يلعبون بالملايين، وأناسًا آخرين لا يجدون الملاليم، أناس يعيشـــون في الأكواخ، وأناس يعيشـــون في قصور ألـــف ليلة وليلة، هناك من يضع يده على بطنه يشـــكو من زحمة التخمة، ومن يضع يده على بطنه يشكو من عضة الجوع.

هذا التفاوت الشاسع في الأمة الإسلامية، بين الغنى الفاحش والفقر المدقع، كل هذا يولد أحقـــادًا وضغائن وكراهية فـــي المجتمع، ويأتي أنصار المبـــادئ الهدامـــة والمذاهب الباطلة فيســـتغلون هذه الأشـــياء ليستدرجوا ضحاياهم من ورائها.

أنا قلت مرة لأحـــد الأثرياء الكبار في الخليج؛ حيـــن قال لي: أنتم يا علماء الدين لماذا لا تحاربون الشيوعيَّة؟ قلت لهم: كيف وأنتم تدعون إلى الشيوعيَّة؟ قال: كيف ونحن أعداء الشيوعية؟ قلت: أعداؤها بالكلام، لكن تدعون إليها بالعمل، لأن العبث في إنفاق الأموال والسرف والترف وهذه الأشـــياء: هي التي تخلق الشـــيوعية، تجعل الشيوعي يأتي وينشر أفكاره بين الطبقات المعدومة.

فريضة تغيير المنكر:

هذه كلها أشياء تُرى: الكاســـيات العاريات، والمائلات المميلات، والفساد الاجتماعي، والتحلل الخلقي، والاضطراب السياسي، هذه كلها أشـــياء قائمة في العالم الإسلامي للأســـف، فإذا رأى الشاب الحساس صاحب القلب الصـــادق الصريح، الَّذي لم يعـــرف الخبث ولا الالتواء

QaradawiBooks.com

ولا النفاق، ولا المداهنة ولا المداراة، ماذا يفعل؟ الحديث يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»[1].

فإذا رضي بأضعف الإيمان فماذا تكون النتيجة؟ التغيير بالقلب معناه: أن تكره المنكر، وتكره الباطل، وتكره الفساد والظلم، ومعنى هذا أنك تعمل تعبئة شعورية ونفسية داخل الإنسان، يدخر هذه الغيرة بين جنبيه، وهذا يُكوِّن غليانًا نفسيًّا قد يستمر مدة من الزمن، تطول ولكن إلى متى يستمر هذا التخزين؟ قد يحتمل الشيوخ، ولكن الشباب لا يحتمل، وإذا احتمل بعضهم لن يحتمل كلهم، وإذا احتملوا بعض الوقت لن يحتملوا كل الوقت، ولذلك تكون نتيجة هذا الغليان النفسي أن يؤدي إلى شيء، كالقدر إذا طال غليانه وأُحكم غطاؤه لا بدَّ أن ينفجر، ولهذا يحدث هذا التنفيس وهذه الانفجارات بهذه الألوان المختلفة من التطرُّف.

وأساس هذا المجتمع نفسه، فالسلبيات وأنواع الفساد والمنكر داخل المجتمعات الإسلامية هي من أسباب هذا، يجب أن يعترف الناس بهذا، ولا توضع كل المسؤولية على هذا الشباب، لا بدَّ أن ننظر ما الَّذي أداهم إلى هذا، فهذا هو السبب النفسي لهذه الظاهرة.

مصادرة حرية الدعوة:

وهناك أمر آخر مترتب على هذا الأمر، هو مصادرة حرية الدعوة، فالواقع أنَّ الإسلام دين دعوة، ليس دينًا انعزاليًّا كاليهودية مثلًا، لا، بل هو دين انتشاري، دين يُكلف كل مسلم أن يدعو إلى ربه وإلى دينه، كل

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١١٥٠)، عن طارق بن شهاب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مسلم مخاطب بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]. والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فكل من اتبع رسول الله ﷺ يجب أن يدعو إلى الله على بصيرة، هذا أمر لا شك فيه.

فمن طبيعة المسلم أن يدعو، ولذلك كان من شعار المصلحين المجددين في عصرنا: أصلح نفسك وادعُ غيرك. لا يكتفي الإسلام منك بصلاح النفس، لا بدَّ من دعوة الغير، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

فكما أنَّ المؤمن عليه أن يؤمن ويعمل الصالحات، فعليه أيضا أن يوصي غيره بالحق وبالصبر، يُجنِّد نفسه للحق، فالدعوة طريق إلى الحق والخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أمور مطلوبة من المسلم، فلا يمكن أن يقول المسلم الحق: نفسي نفسي، ولا شأن لي بغيري. لا، ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، هؤلاء هم المؤمنون.

المؤمن مسؤول عن المجتمع. وفساد المجتمع تعم نقمته على الجميع، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥]؛ لأن الفساد كالحريق لا يلتهم البيت الَّذي وقع فيه فقط، لا، بل يمكن لشرارة واحدة أن تأكل بلدًا كاملًا إذا لم يسارع الناس إلى إطفائها، ولذلك مهمة الإسلام أن يقاوم الفساد، هذا جزء مهم من الإسلام.

وللأسف قلما تجد في البلاد الإسلامية حرية الدعوة إلى الإسلام،

QaradawiBooks.com

الإسلام مكبوت في بلاد الإسلام، قلما نجد بلدًا يدعو فيه أهل الإسلام بحرية!

الواقع أنَّ البلاد التي رأيت فيها حرية الدعوة إلى الإسلام هي أوروبا وأمريكا، يقيمون مدارس ومراكز إسلامية، واتحاد الطلبة المسلمين، وجمعية الطلاب المسلمين في إنجلترا، يشتغلون في بلاد غير المسلمين، ولكن في بلاد المسلمين لا، الإسلام الصحيح فيها بضاعة محظورة!

هناك إسلام طبعًا، لكنَّه لا يُقبل، إسلام الموالد والمناسبات والدروشة، والإسلام الَّذي يسير في ركاب الطغاة، ويؤيد الحكام في باطلهم، ويفصِّل له الفتاوى تفصيلًا، هذا الإسلام ليس فقط مسموح به، بل ومتمسح به ومؤيد، أمَّا الإسلام القوي فغير مسموح به؛ بل محارب، وهذه مشكلة!

فتح المجال للجميع إلا دعاة الإسلام:

حين يرى الشباب هذا يقول: يا ناس، كل دين له أهله وأنصاره، وكل مذهب له دعاته وأتباعه: اليهودية لها ناس، والنصرانية لها ناس، والشيوعية لها ناس، والماسونية لها ناس، والإسلام أليس له أحد؟ يعيش أهله غرباء، وغرباء في قلب ديار الإسلام. هذه مشكلة! يريدون حرية الدعوة؛ لكنها غير مكفولة.

في بلاد المسلمين للأسف يوجد دعاة الليبرالية، ودعاة الماركسية، ودعاة الاشتراكية، ودعاة المذاهب والأنظمة المختلفة، لهم جمعيات، ولهم منظمات، ولهم صحف ومجلات تنطق بأسمائهم، والإسلاميون ليس لهم مجال!

سمحوا في بعض بلاد الإسلام بأحزاب شيوعية، ولم يسمحوا بتجمع إسلامي ينادي بالإسلام، لا توجد حرية الدعوة، فماذا يفعل

QaradawiBooks.com

الشباب؟ أنا شخصيًّا من الناس الذين يقولون: اتركوا الشيوعيين يعملون في العلانية، أنا من أنصار العلانية، لا أحب السرية، أحب أن يعمل الناس في النور، دع الشيوعي يشتغل، والإسلامي يشتغل، وتتعارض التيارات بعضها مع بعض، ونرى من سيغلب، وأنا متأكد أنَّ الإسلام هو الغالب؛ لأنَّ رصيده في فطرة الأمة قائم، وما وجدت حرية نسبية وقتًا ما إلا كان الإسلام فيها أقوى واكتسح، وكان أتباعه بآلاف الآلاف، هذا ما رأيناه والله عبر التاريخ، ولذلك وجدنا الشباب يقبلون عليه.

وفي سنة ١٩٦٧م. بدأ المسلمون خاصة في العالم العربي بعد ما سموه (النكسة) يفكرون ما الحل؟ فلم يجدوا إلا الدين، فبدأ الشباب يتجهون إليه بعشرات ومئات الآلاف، والله أنا كنت أصلي العيد في مصر: في ميدان عابدين، والبعض يذكر أنَّ الحضور كان ربع مليون، وهو شيء لا يُعد أكثر بكثير، لأن الميدان ليس وحده هو مكان الصلاة؛ بل الميدان والشوارع المؤدية إليه من كل حدب وصوب، يشتري الناس الجرائد ويفرشونها ويصلون عليها: رجال، ونساء، وصبيان، جاؤوا من أماكن بعيدة، مهللين ومكبرين، شيء في الحقيقة يسر قلوب المؤمنين، ويغيظ الذين في قلوبهم مرض، فكل ما نريده أن تترك الحرية للمسلمين، خلِّ الجميع، لكن أن تسمح للماركسي والاشتراكي، والليبرالي والرأسمالي والوجودي: أن يعمل لمذهبه، والإسلامي وحده الَّذي لا يجد مكانًا! هل هذا معقول في بلاد الإسلام، في أرض الإسلام؟! رحم الله شوقي حين قال:

أحرامٌ على بلابلِهِ الدُّوحُ حلالٌ للطيرِ من كلِّ جنسِ؟!
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ إلَّا في خبيثٍ من المذاهبِ رِجْسِ[1]

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٤٦/٢).

QaradawiBooks.com

أثر التضييق على دعاة الإسلام:

أيُبعَد الإسلام وهو صاحب الدار؟ أيُضيَّق على أهل الإسلام وهم يُعَبِّرون عن سواد الشعب، وعن جمهور الشعب، وأعماق الشعب فعلًا؟! هذا التضييق في الحقيقة وهذا الضغط لا بدَّ أن يكون له أثر، وأثره في الحقيقة هو أنَّ شدة الضغط كما هو معلوم في قوانين الطبيعة تولد الانفجار، الضغط ومصادرة الفكرة تؤول إلى هذا!

ذلك أنَّ الأفكار مثل الماء المتدفق، إذا لم يجد أمامه مخرجًا، فلا بدَّ أن يوجد مخرجًا آخر، ولو من بين الصخور، لا بدَّ أن يبحث له عن مجرى، من لم يجد مكانًا في النور سيبحث له عن سرداب تحت الأرض، وإذا دخل السرداب تحت الأرض انتهى الأمر؛ فالسرداب تلتبس فيه الرؤية، ليس فيه أضواء، لا يرى الآخرين، ليس هناك انفتاح ولا حوار، وفي ظل هذا يمكن أن يحدث التطرُّف والتشدد وكل شيء، لكن أنت من ألجأت الناس إلى أن يعيشوا تحت الأرض، فاترك الناس يعملون في النور، اترك الحرية لهم، هذا في الحقيقة سبب من الأسباب المهمة.

استعمال العنف والإيذاء والتعذيب:

هناك سبب آخر مترتب أيضًا على مصادرة حرية الدعوة، ليس فقط مصادرة حرية الدعوة، بل هناك شيء أشد من هذا كله، وهو استعمال العنف والإيذاء والتعذيب، إلى حد التصفية الجسدية، يقول لك: هؤلاء لا ينفع معهم الكلام والحوار، هؤلاء لا بدَّ أن نؤدبهم!

وتأديبهم يعني المعتقلات والسجون والكرابيج، والكي بالنيران، وخلع الأظافر، وتطويق الرؤوس، ونفخ البطون، أشياء لا تُصور

QaradawiBooks.com

ولا تُتصور، من هولها حين يحكيها الذين رأوها لا يصدقهم الناس، لأنَّه شيء فعلًا فاق الخيال!

ما كان يفعله كفار قريش في بلال وعمار والضعفاء من المسلمين: يعتبر شيئًا بدائيًّا بجوار هذا الَّذي يحدث اليوم، كانوا يأتون ببلال ويدور به الصبيان في شوارع مكة، فلما لم تكن لذلك نتيجة وضعوا الصخرة على صدره، أقصى شيء ضربوه بالسياط.

لكن اليوم هناك وسائل جهنمية للتعذيب، ابتكرتها النازية والشيوعية، مثلًا كيف يعيش إنسان لمدة اثنين وسبعين ساعة لا ينام أبدًا، يوقفونه مثلًا في ماء مثلج إلى نصفه، فكيف ينام؟ وعمليات غسيل المخ، وأشياء كثيرة جدًا، استعمال العنف والتعذيب إلى الموت، والله رأيت بعيني أناسًا ضُربوا إلى أن ماتوا، وحين يموت الإنسان يُلف في بطانية ويدفن في الصحراء وانتهى الأمر، ويقال: أُفرج عنه في يوم كذا، أو حاول الهرب، أو تقطع الورقة التي دخل بها ويقال: لم يدخل السجن أصلًا!

العنف يولد العنف:

هذا العنف نتيجته العنف، فالعنف يولد العنف، تعرفون أين ولد فكر جماعة التكفير والهجرة، شكري مصطفى ومن معه؟ وُلد في داخل السجن الحربي في مصر، بعد هذا التعذيب الَّذي لا يُتصور جلس الشباب وبدؤوا يتساءلون سؤالًا بسيطًا جدًّا: الناس الذين يعذبوننا، أهم مسلمون أم كُفَّار؟ هذا الَّذي يضربني، ويكويني بالنار وبأعقاب السجائر، ويخلع أظافري ويقول لي: انتف لحيتك شعرة شعرة! ومن يأتي بزوجتي ويهددها أمامي وكذا، هؤلاء كفار أم مسلمون؟! من يقول: إنهم مسلمون؟ هؤلاء كفار!

QaradawiBooks.com

وهكذا انتهوا إلى هذه النتيجة، وبعد قليل يقولون: هؤلاء كفار؛ لكنهم أدوات، هم ينفذون أوامر، هناك من يحركهم ومن يأمرهم، هناك أسيادهم، فهؤلاء كفار، وأشد منهم كفرًا من هو فوقهم على رأس السلطة، وبعد أن ينتهوا من تكفير هؤلاء، يذهبون إلى زملائهم في السجن يقولون لهم: ما رأيكم في هؤلاء الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ويعذبون من ينادي بالحكم بما أنزل الله، هل هم مسلمون أم كفار؟ فإذا قال لهم أحدهم: هم كفار. يضمونه إليهم، ويقولون: أنت معنا، أنت المسلم الفقيه. وإذا قال لهم أحدهم: والله أنا متوقف في هذه القضية، وأكل أمرهم إلى الله. يقولون: أنت كافر مثلهم، أنت تشك في كفرهم، ومن شك في كفرهم فهو كافر. وبدؤوا يعاملون إخوانهم الذين في السجون معهم أنَّهم كفار!

ومن هذا المنطلق انتشرت موجة تكفير النَّاس بالجملة، وتفرعت عن هذه الفكرة الأساسيَّة أفكار فرعية متطرفة أخرى، إنَّها سُنّة الحياة المشاهدة المجرَّبة: إنَّ العنف لا يُوِّلد إلَّا عنفًا، وشدَّة الضغط لا يكون من ورائها إلا الانفجار.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٣

التطرُّف الديني... علاجه[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، ربنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً؛ إنَّك أنت الوهَّاب، اللهمَّ علِّمْنا ما ينفعنا، وانفَعْنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهمَّ على كلِّ حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

وأحيِّيكم أيُّها الإخوة بتحيَّة الإسلام؛ تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لا زلنا نتحدَّث عن هذا الشيء الَّذي سمَّوْه (التطرُّف الدِّيني)، وقد تحدَّثنا في إحدى الحلقات عن حقيقة هذا التطرُّف الدِّيني، هل هو حقيقة أم خيال؟ وما حقيقته؟ وما معالمه ودلائله ومظاهره؟ حددناها في صيغٍ مُعَيَّنة.

ثمَّ تحدَّثنا في حلقة تالية عن أسباب هذه الظاهرة، باعتبار أنَّ الوقائع والأعمال كالكائنات الحيَّة، لا توجد من غير شيء، ولكن لها أسبابها، ولها مُقَدِّماتها الَّتي تُوجِد النتائج والمُسَبَّبات.

---

(١) ألقيت في دولة قطر.

QaradawiBooks.com

واليوم نتحدث عن الحلقة الأخيرة في هذا الموضوع وهو العلاج، ما علاج هذه الظاهرة؟

سوء فهم معنى التطرُّف:

وأحب أن أوضح نقطة، فبعض الناس قد تلتبس عليه المفاهيم والأمور ويخلط بعض الأشياء ببعض، قد يفهم بعض الناس أو يتوهم بعض من سمع جزءًا من الحديث دون جزء، أو لم يربط الكلام بعضه ببعض أنني أتحدث مثلًا عن شباب الجماعات الإسلاميَّة.

وهذا وهْم، أنا أتحدَّث عن المُتطرِّفين، وليس كل من انتسب إلى جماعة إسلاميَّة متطرفًا؛ بل بالعكس إنَّ الجمهرة العظمى من هذا الشباب والحمد لله يُمَثِّلون الإسلام الصحيح، كان فيهم المُتطرِّفون والمُتَشَدِّدون، ولكنَّهم بطول الزمن، وبلقاءات أهل العلم معهم اعتدلوا، واقتربوا من المنهج المستقيم، ومن صفات الاعتدال، وأصبحوا والحمد لله يُمَثِّلون الأمل للأمة الإسلاميَّة.

الشباب أغلى ثروة في بلادنا:

وأنا طالما أعلنت هذا حقيقة في مصر، في حلقات وندوات ومؤتمرات كثيرة، أعلنت بصريح العبارة ـ ولا زلت أُعْلِن ـ أنَّ هذا الشباب هو أثمن ما في بلادنا، هو أغلى ثروة وأنفسها؛ لأنَّ الثروة البشريَّة هي أعظم الثروات، أعظم من النفط، وأعظم من الذهب، وأعظم من القطن، وأعظم من كل الثروات المادِّيَّة الَّتي يحرص الناس عليها.

والشباب في الحقيقة هو خلاصة الثروة البشريَّة ولبُّ لبابها. وقد لامست هذا الشباب وعايشته عن كثب في بلاد كثيرة؛ فوجدتهم

QaradawiBooks.com

والحمد لله خِيرة من خيرة، وجدت الصوامين القوَّامين، صُوَّام الاثنين والخميس، وقُوَّام الليل، وقُرَّاء القرآن، وطلبة العلم، والحريصين على التفقه في الدين، وجدت هذا في الشبان والشابات، فهذه حقيقة يجب أن نقررها، ولا ينبغي أبدًا أن نخلط بين الأشياء بعضها وبعض.

التطرُّف نتيجة أفكار خاطئة:

ولكن مع هذا قلت: إنَّ هناك منهم المُتطرِّفين فعلًا، هؤلاء المُتطرِّفون ليسوا أعداء للدين ولا للأمة، ولكنهم للأسف ساروا وراء مفاهيم خاطئة، وأثرت فيهم عوامل نفسية واجتماعيَّة وسياسية معينة ـ تحدثنا عنها في الحلقة الماضية ـ فانتهت بهم إلى هذا الَّذي يسمونه (التطرُّف)، وهم إلى حد كبير معذورون، والمجتمع يتحمل معهم المسؤوليَّة.

للأسف الناس يريدون أن يحملوا هؤلاء الشباب كل المسؤوليَّة، الحكام يريدون أن يتبرؤوا، والعلماء يريدون أن يتبرؤوا، والمربون يريدون أن يتبرؤوا، والآباء يريدون أن يتبرؤوا، مع أن كل واحد من هؤلاء عليه جزء من العبء، وعليه طرف من المسؤوليَّة.

مسؤوليَّة المجتمع:

ولهذا أول العلاج حقيقة هو الشعور بأنَّنا نحمل تبعة، ونحمل مسؤوليَّة تجاه هؤلاء، ولا يجوز لنا أن نطالبهم بكل شيء، ولا نطالب أنفسنا بشيء قط، كأنَّما على هؤلاء الشباب كل الواجبات، وليس لهم حق من الحقوق! مع أنَّنا نقرر دائمًا أن كل حق يقابله واجب، وكل واجب يقابله حق، فليس من العدل أن نطالب هؤلاء الشباب بالحكمة والهدوء والاعتدال وبكذا، ولا نطالب أنفسنا بشيء، هذا لا يجوز.

QaradawiBooks.com

يجب أن نعترف أنَّنا قصرنا مع هؤلاء الشباب، لقد وجد هؤلاء الشباب الآباء لهم مثبطين، والعلماء عنهم مشغولين، والحكام لهم مناوئين، والموجهين بهم ساخرين، ولم يجد عونًا؛ فسار في الطريق وحده، ويمكن لمن مشى وحده أن يضيع!

ومن هنا يجب أن يتحمل الجميع المسؤوليَّة، الكل مسؤول، وأنا دائمًا ضد من يريد أن يُحمِّل المسؤوليَّة لفئة واحدة، بعض الناس يريد أن يحملها لعلماء الدين فقط، والبعض يحملها للحكام فقط، والبعض يحملها للاستعمار أو الصهيونية فقط، ولا يريد أن يحمل نفسه شيئًا، ولا يريد أن يحمل من حوله شيئًا، لا، الكل مسؤول، «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»[1]، فالكلُّ عليه نوع من الرعاية، والرعاية تقتضي المسؤوليَّة، فهذا أمر ينبغي أن نقرره.

كل هذا المجتمع مسؤول عما يحدث فيه، ولا يمكن أن نعالج هذا الأمر ما لم نعترف كلنا بهذه المسؤوليَّة: علماء ومربين، وموجهين وأجهزة إعلام، وحكامًا وقادة وزعماء، وآباء وأسرًا، كل هؤلاء تتوزع بينهم المسؤوليَّة، يجب أن يعود المجتمع إلى الإسلام ويتحقق به، يجب أن يزول التناقض من حياتنا، يجب أن يزول هذا النفاق، نحن مسلمون، وديننا الإسلام، ودساتيرنا تعلن أن دين الدولة الإسلام، ثم أين الإسلام في التشريع؟ أين الإسلام في التوجيه؟ أين الإسلام في الإعلام؟ أين الإسلام في الفكر والثقافة؟ أين الإسلام في التقاليد والحياة الاجتماعيَّة؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ من العودة إلى الإسلام الصحيح:

وهكذا يبحث الشباب عن الإسلام من حوله؛ فلا يجد الإسلام الصحيح، يجد الإسلام الزائف، الإسلام الَّذي يروج له أهل الباطل الَّذي يريده الاستعمار وأعوانه، الإسلام المستأنس، الإسلام الَّذي ليس له أظافر ولا أنياب ولا يستطيع أن يقول: لِمَ؟ ولا يستطيع أن يقول: لا. فإذا لم يجد الإسلام كما قلنا يظل يغلي، ولا بدَّ أن يغلي، وللغليان وقت، لا يمكن أن يظل القدر يغلي باستمرار، لا بدَّ أن يطير أو ينفجر، هذا ما يحدث.

ولذلك لا بدَّ من العودة إلى الإسلام، لا بدَّ أن يعترف حكامنا ـ حكام البلاد الإسلاميَّة ـ أنَّهم يحكمون أناسًا مسلمين في ديار الإسلام، فهذه ديار الإسلام، وأهلها مسلمون، وهذا منطلق غير منطلق من يكفرون المجتمع، فمن يُكفر الناس يقول: هؤلاء الناس كفار، ونريد أن نبدأ معهم من الصفر، ندعوهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله حتى يدخلوا في الإسلام. لا، منطلقنا غير هذا.

نقول: يا ناس، هذه المجتمعات مسلمة، هؤلاء الناس مسلمون، حتى العصاة منهم مسلمون، العاصي يتمنى أن يتوب ويرجع إلى الله، ولو ذكرته الله لذكره، ولو خوفته الله لخافه، ولو وجد واعظًا يرغبه ويرهبه لبكى من خشية الله أمامه، فهؤلاء الناس هم مسلمون لم يكفروا بربهم ولا بقرآنهم ولا بمحمدهم، هم في بلاد الإسلام، ولذلك يجب أن يُحكموا وفقًا لعقيدتهم، لماذا لا يعترف حكام البلاد الإسلاميَّة بهذا، إذا لم يحكم الإسلام بلاد الإسلام، وأنا لا أقصد بأن يحكم مجرد تغيير القانون فقط، لا، بل يحكم الحياة الإسلاميَّة، لا بدَّ أن توجد حياة

QaradawiBooks.com

إسلاميَّة يعيش الناس فيها مسلمين: عقيدة وفكرًا وسلوكًا، وخلقًا وتشريعًا، مسلمين في كل أنظمة الحياة.

خطر التناقض بين الواقع والمنشود:

إذا لم يوجد هذا سيظل هذا التناقض يعمل عمله، وسيظل يفرز هذه الأنواع من الناس، الَّتي تجد الكلام عن الإسلام شيء، والعمل بالإسلام شيء آخر! وتظل تعيش في هذه الغربة النفسيَّة، وتحس بهذا التناقض بين عقيدتها وواقعها، بين الضمير والمجتمع، بين ما يؤمن به وما يشاهده ويعايشه، فهذا لا بدَّ أن يكون له أثره في النهاية، انفجار ولا بد، ضغط يولد انفجارًا.

قيمة الأمة بإسلامها:

ما لم تؤمن الأمة الإسلاميَّة بهويتها، أنَّها أُمَّة إسلاميَّة، ولا مُبَرِّر لوجودها إلا الإسلام، لماذا تعيش هذه الأمة إذا لم تعمل بالإسلام؟ ما قيمتها إذا كانت ستطبق الاشتراكية؟ هذا ليس انتصارًا لأمتنا، هو انتصار لروسيا أو الصين الشعبية، أو البلاد الاشتراكية الأم، وإذا انتصرت الليبرالية فهو انتصار للمعسكر الغربي.

إنَّما تنتصر هذه الأمة حقًّا حينما تنتصر بالإسلام، حينما تعيش بالإسلام، حينما يُطبَّق فيها الإسلام، فالذي يميز ويشخص هذه الأمة أن تكون مسلمة تعمل بالإسلام حقًّا، هذا هو مبرر وجودها. ما قيمة الأمة بغير إسلامها؟ يجب أن يعترف الناس حكامًا ومحكومين وموجِّهين وموجَّهين ورعاة ورعايا بهذه الحقيقة، نحن مسلمون؛ ولذلك يجب أن يضبط سيرنا الإسلامُ، أن ينظم حياتنا الإسلام، أن تكون حياتنا إسلاميَّة، بدون هذا فلا عجب أن نجد بين الحين والآخر أناسًا متطرفين بصورة أو بأخرى، هذا هو الشيء الطبيعي.

QaradawiBooks.com

التدرُّج في العودة إلى الإسلام الصحيح:

إذن فأول طريق العلاج أن يفكر المجتمع المسلم في العودة الحقيقة إلى الإسلام، وليس معنى هذا أن هذه العودة تتحقق بين عشية وضحاها، لا، بل على الأقل تكون هناك فكرة التحول إلى الإسلام، الناس الذين كانوا يدعون إلى الاشتراكية كانوا يقولون: نحن لا تستطيع أن نطبق الاشتراكية بين يوم وليلة، وكانوا يقولون: نحن في مرحلة التحول إلى الاشتراكية، أو إلى المجتمع الاشتراكي.

لذا فنحن نطالب: أعلنوا لنا مرحلة التحول إلى الإسلام، وقولوا لنا: ما معالم هذه المرحلة؟ ما هي الخطوات الَّتي ستوصلنا إلى الإسلام؟ ماذا فعلنا في سبيل ذلك؟ كيف نسير في طريق الإسلام؟ لا أحد للأسف يريد أن يعلن هذا، ثم يتساءلون: لماذا يظهر هؤلاء المُتطرِّفون؟

البداية الصحيحة إذن أن نشعر بالمسؤوليَّة، ليس الشباب وحدهم الذين يسمونهم المُتطرِّفين هم المسؤولين، كل المجتمع مسؤول، ولا بدَّ من العودة إلى هذا الدين عودة حقيقية إلى حياة إسلاميَّة صحيحة متكاملة بكل جوانبها، هذا شيء لا بدَّ منه.

إتاحة جو من الحرية للدعاة إلى الإسلام:

إذا لم نعد إلى الإسلام فعلى الأقل يجب أن نفتح الأبواب والنوافذ، يجب أن نتيح جوًّا من الحرية للدعوة إلى الإسلام، يجب أن نترك دعاة الإسلام يتحدثون عن الإسلام، هذا الجو هو الجو الَّذي لا بدَّ منه؛ لئلا توجد سراديب تحت الأرض، وإذا منعت الناس أن يعملوا في النور وفي العلانية لا بدَّ أن يبحثوا لهم عن سرداب، عن طريق خفي، كما قلت في

QaradawiBooks.com

المرة الماضية أنَّ الأفكار مثل الماء المتدفق، لا بدَّ أن يشق له مجرى ولو بين الصخور، فلا بدَّ من الحرية، حرية الدعوة والأفكار.

حرام أن توجد في البلاد الإسلاميَّة المذاهب المستوردة: ليبرالية أو اشتراكية، يمينية أو يسارية، يوجد لها دعاة وأنصار، وأحزاب ومنظمات، وصحف ومجلات ومنابر تنطق باسمها، ولا يوجد للإسلام مثل هذا، الحجر فقط يكون على أهل الإسلام ودعاة الإسلام؟! هذا غير مقبول، لا بدَّ من إتاحة جو الحرية.

تفرقة ظالمة:

وأنا في الحقيقة من الناس الذين لا يرون مانعًا أن تتاح الحرية للمسلمين ولغير المسلمين، أن يوجد تيار إسلامي وتيار غير إسلامي، خلِّ التيارات تتصارع، أمَّا أن تحجر على الإسلامي وتترك الآخرين! حتى أنك لا تتركهم يعملون تحت الأرض، الإسلام وحده هو الممنوع، لا، اترك الناس تدعو، وأنا واثق أنَّه لو تُرك الإسلام يتصارع مع غيره من التيارات؛ فإنَّ التيار الإسلامي هو الغالب، هو القوي؛ لأنَّه الحق وضده الباطل، ولأنَّه الَّذي يجد رصيده في فطرة هذه الأُمَّة. فطرة هذه الأُمَّة مع الإسلام، الناس يحبُّون الإسلام، ولو حدث استفتاء فعلًا حرٌّ نزيه لهذه الأمة، على أن تُحكم بالإسلام أم بالأنظمة المستوردة؟ فإنَّ الأغلبيَّة الساحقة قطعًا ستكون مع الإسلام، فالإسلام هو المعبر عن حقيقة هذه الأمة، وعن حقيقة نفسيتها ومطالبها وغاياتها، هذا شيء مؤكد قطعًا.

ولذلك لا ينتشر الإسلام، ولا تروج أفكاره، ولا ترتفع رايته إلا في مناخ الحرية، إذا سُمح للناس أن يتنفسوا، وسُمح للإسلام أن ينطلق، وسُمح لدعاته أن يتكلموا: ستجد السواد الأعظم مع الإسلام،

QaradawiBooks.com

وهذا ما يخشـــاه أعداء الإسلام دائمًا، يخشـــون من هذه الانطلاقة أن تمتد وتســـتمر، وأن يشـــع نورهـــا في الآفـــاق، ولذلـــك يعاجلونها بالضربـــات وبالإجهاض المســـتمر؛ حتى لا تؤتي أُكلها، ولا تســـير المســـيرة إلى النهاية، هذه هي المصيبة عندهـــم! فحرية الدعوة إلى الإسلام أمر لا بدَّ منه.

حرية الفكر الإسلامي في غير بلاد المسلمين:

في المرة الفائتة قلت لكم: للأسف البلاد الَّتي يستطيع المسلمون فيها أن يتكلموا عن الإسلام، وأن يدعو إليه ويتجمعوا عليه بصراحة؛ هي بلاد خارج العالم الإســـلامي، في أوروبا وأمريكا وأمثالهما، والله حضرت في أمريـــكا مؤتمرات تُعقـــد يحضرهـــا الآلاف، وتُقام فيها الصلوات، يُـــؤذن فيها الأذان علنا، ويتجمع المتجمعون من الشـــباب على محاضرات وندوات وجماعات، في قلب أمريكا، بينما لا يستطيع الشباب في أكثر البلاد الإسلاميَّة أن يفعلوا هذا، بل ربما في كل البلاد الإســـلاميَّة لا يســـتطيعون أن يتجمعوا مثل هذه التجمعات الضخمة ولعدة أيام.

ولذلك إذا أردنا أن نمنع التطرُّف لا بدَّ أن نتيح هذا المناخ، ليمكن أن تتعامل مع أصحابهم علانية، تراهم ويرونك، تســـمعهم ويسمعونك، تحدثهم ويحدثونك، لكن من يعيش تحت الأرض كيف تحدثه وتكلمه؟ لا بدَّ من هذا المناخ.

سعة الصدر أمام النقد البناء:

ولا بدَّ للناس أن يوســـعوا صدورهم، لماذا يضيق قومنا بأي كلمة؟ نخاف من خيالنا، وكان ســـيدنا عمر يقول: مرحبًـــا بالناصح أبد الدهر،

QaradawiBooks.com

مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا[١]. وكان يقول من فوق منبره: رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي[٢]. وقال له رجل يومًا: اتقِ الله يا عمر. فقال له بعض جلسائه: أتقول هذا لأمير المؤمنين؟ فقال عمر رضي الله عنه: دعه، لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها[٣]. ومعروفة قصته مع ذلك الأعرابي حين قال عمر: أيها الناس، من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومني. فقام أحد الأعراب وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقوَّمناه بحد سيوفنا يا عمر. لم يقل: بحد سيوفنا؟! اقبضوا عليه، أمسكوه، هذا إرهابي متطرف، انظروا معه كم سيف وكم مخزن للسلاح. لا، بل قال: الحمد لله الَّذي جعل في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بحد سيفه[٤].

هذا الجو من الحرية هو الجو الفطري المنطقي الطبيعي، وهذا للأسف موجود في بلاد غير المسلمين، هناك الرأي وضده، والحكم والمعارضة، وهذا التنوع والاختلاف، لو كان هذا موجودًا في بلاد المسلمين ما وُجِد المُتطرِّفون، نحن نخاف دائمًا، والخوف يدفع إلى العمل تحت الأرض للأسف.

قصور العلاج الأمني للظاهرة:

هناك شيء أكثر من هذا، رجال الأمن ليسوا فقط لا يفكرون في

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٤).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٧٧٣/٢)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.

(٤) ذكره على بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد محمد تامر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ورواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩) بنحوه بدون ذكر السيف.

QaradawiBooks.com

علاج مثل هذه الظواهر علاجًا سليمًا، وإنَّما عندهم وسيلة واحدة هي الضرب والحبس والتعذيب، العصا الغليظة والكرباج، والكي بالنار وكذا، ويظنون أن هذا يأتي بنتيجة، هذا لا يمكن أن يأتي بنتيجة، يأتي بنتيجة؛ ولكن عكسية! لأن الفكر لا يُحارب إلا بالفكر، واحد عنده مفاهيم معينة لصقت بذهنه، لا يمكن أن تخرجها من رأسه بالكرباج، إنَّما تخرجها بالحوار، بالإقناع، بالأخذ والعطاء معًا، وليس بالأوامر العسكرية، ولا بالبيانات الفوقية، لا، هذه عملية تحتاج إلى وقت طويل.

لا يتم انتزاع الأفكار من رؤوس الناس بين عشية وضحاها؛ وخاصة أنَّها تكونت على المدى الطويل فلا تخرج إلا على المدى الطويل، ولذلك الزعم بأن الضرب والتعذيب والسجن وهذه الأشياء تنتزع الأفكار من رؤوس أصحابها.. هذا قول باطل، واتجاه غير مجدٍ إطلاقًا، وأثبتت الأيام فشله، وحتى لو نفع مع بعض الناس فإنه لا ينفع مع الآخرين، ولو أنَّ العنف قضى على جماعة؛ فستولد بعدها جماعة وجماعات أخرى، فالفكر إنَّما يقاوَم بالفكر، والشبهة تقاوَم بالحجة، ولا يفل الحديد إلا الحديد، والحديد هنا هو الفكر.

خطأ محاربة التطرُّف بتطرف مماثل:

ولا يجوز أيضًا أن تحارب التطرُّف الفكري بتطرف فكري مماثل، مثلًا بعض الناس واجهوا فكرة التكفير وجماعة التكفير بتكفيرهم هم أيضًا، قالوا: كما كفرونا نكفرهم. وحجتهم أن من كفر مسلمًا فقد كفر، وباء بها أحدهما، وهذا خطأ؛ لأن هذا لا ينطبق على من كفَّر مسلمًا بتأويل عنده، وبشبهة قامت في رأسه، ولذلك بعض الصحابة اتهموا بعضهم بالنفاق أو بالكفر، كقول أحدهم: «دعني أضرب عنق هذا

QaradawiBooks.com

المنافق يا رسولَ الله»[١]. ولم يكفروا بهذا، لأنَّه قال هذا بناء على شُبهة، فالتكفير لا يجعل صاحبه مستحقًّا للكفر، ولذلك علي بن أبي طالب ﷺ رغم موقف الخوارج منه ـ أنَّهم كفروه واستحلوا دمه، وحملوا السيوف ليحاربوه ـ رغم هذا لم يكفرهم، ولما سئل ﷺ عن هؤلاء: أكفار هم؟ قال: لا، من الكفر فرُّوا. قيل له: أمنافقون هم؟ قال: لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلا قليلًا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بالأمس بغوا علينا اليوم[٢]. هذا من إنصافه ﷺ، فجعل لهم حكم البُغاة وليس حكم الكفار. والبغاة بتعبيرنا هم المعارضة المسلحة.

ومع أنَّهم حملوا السلاح وسعهم علي بن أبي طالب ﷺ، لما قالوا: لا حكم إلا لله. قال: كلمة حق يُراد بها باطل. ثم قال لهم: لكم علينا ثلاث: ألا نمنعكم من فيء الله، ولا نمنعكم من دخول المساجد، ولا نبدأكم بقتال ما لم تحدثوا فسادًا[٣]. قال لهم: الفيء لجميع المسلمين، ما دمتم مع جماعة المسلمين: تردون عدوهم، وتقاتلون معهم؛ فلكم حظكم في الفيء، والمساجد مفتوحة لكم كبقية المسلمين، ولا يمكن أن نبدأكم بقتال؛ إلا إذا أنتم بدأتم وأحدثتم فسادًا.

فاعتبر مجرد المعارضة بالرأي لا تستوجب أن يستعمل معهم العنف، مع أنَّهم طبعًا مسلحون، أنتم تعرفون الناس ـ وخاصة العرب ـ وقد كانوا الخوارج عربًا، وكل عربي في ذلك الوقت مسلح ومدرب، فكل واحد جندي مستعد للقتال في أي وقت، ويحمل سلاحه، يتنكب قوسه،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٨٩١٨)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٧٣/٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٨٥)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

QaradawiBooks.com

ويحمل رمحه وسيفه. لكن ما داموا لا يستعملوه (فلا نبدؤكم بقتال إلا إذا بدأتم). انظر إلى أي مدى جعل لهم رضي الله عنه حق البقاء معارضين، لأن أفكارهم في رؤوسهم، قولوا ما تريدون، ما دمتم لا تبدؤون بعدوان، ولا تحدثون فسادًا، هكذا ينبغي أن نفكر في الأمر.

معاملة الشباب بروح الأبوة الحانية:

هذا الشباب الَّذي يسمونه (المُتطرِّف) ينبغي أن يعامل بروح الأبوة الحانية والأخوة الراضية، الناس يعاملونهم باستعلاء عليهم، باستكبار وشموخ، أو يحدثونهم من أبراج عاجية وصوامع منعزلة، كأنهم ليسوا جزءًا من المجتمع، كأنهم ليسوا أبناءنا وفلذات أكبادنا، لا، هذا خطأ، لأن هذا الشعور نفسه، شعور أنَّه غريب على المجتمع، وأن المجتمع يلفظه ويرفضه، هذا الشعور نفسه هو الَّذي يولد العنف في النفس.

أمَّا لو عاملهم الناس أنَّهم جزء منهم حتى وإن تطرفوا، أنفك منك وإن كان أجدع كما يقول العرب، لو عوملوا بروح الأبوة والأخوة، وحاول الجميع أن يحتضنهم؛ لأمكن أن يغيروا موقفهم. يجب أن يعاملهم الناس خاصة أهل العلم والفكر والدعوة بهذه الروح، روح الأبوة والمحبة، عليهم أن يقفوا منهم موقف المحامي عنهم، والدفاع عنهم.

الرغبة في صلاحهم، لا القضاء عليهم:

لكن للأسف كما يقول المثل: إذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها. أيام جماعة التكفير، كان كل واحد يضرب فيهم من ناحية: هؤلاء كذا، وهؤلاء كذا، حتى محاسنهم جعلوها مساوئ، الَّذي يلتحي هذا أقام سنة، لكنَّه يُطعن من أجل لحيته، وكذلك من ترتدي الحجاب أو النقاب!

QaradawiBooks.com

مثل هذا هو الخطر في الحقيقة، فلا بدَّ أن يُعامل هؤلاء بروح الأبوة، ويجب أن يعاملهم الناس فعلًا بروح الدفاع، وليس بروح ممثل الاتهام، الَّذي يقف على المنصة يطالب بأقصى العقوبة: اقطعوا رقاب هؤلاء الذين فعلوا كذا وكذا.

لا يجوز للعلماء ولأهل الدين أن يقفوا موقف هؤلاء، لا يا أخي قِفْ موقف المحامي، وإذا لم تقف موقف الدفاع، فقف موقف القضاء، إذا لم تحامي عنهم وتلتمس لهم الأعذار، وتحاول أن تدرس الموضوع بإحاطة لعوامله وملابساته وأسبابه ودواعيه المختلفة: قِفْ موقف القضاء، احكم بالعدل، اقض بالحق، ادرس القضية، ادرس البينات والدعاوى، فلا يجوز أن تقضي دون أن تسمع الطرف الثاني.

خطورة التعميم في الأحكام:

للأسف نحن في القضايا الاجتماعيَّة كثيرًا ما نقضي بتسرع، نتعجل الأحكام ونعممها ونصدرها نهائية باتَّة، لا تقبل نقضًا ولا استئنافًا، ونحكم على الألف من أجل واحد، واحد عمل كذا، فنحكم على المجموعة كلها وندينها بسبب واحد أو اثنين أو ثلاثة، تعميم الأحكام لا يجوز، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، أمَّا أخذ الحابل بالنابل والبريء بالمسيء فهذا التعميم لا يجوز.

إذا كنا نريد أن نقضي ونحكم؛ فيجب أن نفصل كل قضية على حدة، ونعطيها حجمها ومساحتها، لا أحكم على المجموع من أجل قلة. فقهاؤنا يقولون: النادر لا حكم له، وللأكثر حكم الكل. ولذلك لا يجوز أن أحكم على مجموع الشباب بتصرف عشرة منهم مثلًا! للأسف معظم

QaradawiBooks.com

الناس في بلادنا يفعلون هذا، يحكم على الأكثرية بسبب أقلية، وربما كانت أقلية نادرة؛ بل شاذة، يعمم الحكم على الجميع.

غير مرخصة للطباعة

تقييم الشخص باعتبار مجموع أعماله:

وأحيانًا يحكم على الشخص بتصرف أو تصرفين، الإنسان لا يُقوَّم بعمل يعمله أو بتصرف يتصرفه، لا، وإنَّما يُقوَّم بمجموع أعماله: بحسناته وسيئاته، بمزاياه وعيوبه، بإيجابياته وسلبياته، ولو وقع منه صغائر تُغتفر، لأن هناك أشياء تُكفِّر الصغائر، «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مُكَفِّرات لما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائر**»[1]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، خاصة أن هذا اللمم فُسر أنَّها الكبائر إذا عملها مرة أو مرتين، تضيع في غمار حسناته، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

فلا يجوز أن تحكم على الشخص لأنك وجدته مرة عمل كذا، تقول: فلان يحسب نفسه شيخًا! أنا رأيته عمل كذا وكذا! أفمن أجل مرة أو مرتين تُسقط اعتباره؟! لو عامل الله الناس هذه لمعاملة لأدخلهم جميعًا النار، لكن الله يأتي بالناس يوم القيامة ويزن حسناتهم وسيئاتهم معًا، حسنات في مقابل سيئات، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، له سيئات كثيرة لكن الحسنات أثقل وأرجح ميزانًا عند الله، له ملايين السيئات ولكنها غُفرت، هكذا ينبغي أن يكون تقويمنا للأشخاص والجماعات، الحقيقة ينبغي أن نراجع أنفسنا في حكمنا، فإذا كان ولا بدَّ أن نقف موقف القضاة والحاكمين فلنراعي هذه الأصول!

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٩١٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

تكوين الانطباع الخاطئ:

بعض الناس يحكمون على هؤلاء الشباب دون أن يعرفوا عنهم شيئًا. والله سمعت من بعض الناس أحكامًا من أقسى ما تكون على هؤلاء الشباب، الذين قرؤوا عنهم، أو سمعوا عنهم. قلت لأحدهم: هل رأيت أحدًا منهم؟ هل عايشته؟ قال: أبدًا. فكيف حكمت عليهم؟ قال: نقرأ في الجرائد والصحف؟ مع أنَّ القضاء الحقيقي أن تسمع حجة الخصم، فلا يمكن أن يكون هناك قضاء عادل ما لم يُسمع الطرف الآخر، ولذلك من آراء بعض المفسرين في قصة داود عليه السلام: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]. البعض ذهب إلى ما ورد في الإسرائيليات: أنَّه كان عنده تسع وتسعون امرأة، وأراد أن يكملهم مائة، وبعض المفسرين أخذوا الآية على ظاهرها أنَّها نعاج وليست نساء، فداود عليه السلام قال: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

يقول بعض هؤلاء المفسرين: إنَّ خطأ داود هنا أنَّه حكم على الخصم الآخر دون أن يسمع حجته. بمجرد أن قص عليه شكواه حكم له ضد الآخر، وربما قال له الآخر: يا أخي، بدل أن تغدو وتروح كل يوم من أجل نعجة هاتها ترعى مع نعاجي، وأعطيك كل سنة نتاجها. لعله قال هذا، ولكن قبل أن يسمع داود حجته حكم عليه، وقال: لقد ظلمك. تأثر وانفعل بكلام أحد الخصمين، ولذلك قال له القرآن: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]. المسألة ليست عواطف، لا، المسألة إجراءات وحُجج، وأشياء لا بدَّ أن تُراعى، ولذلك يقول المثل السائر: إذا جاءك أحد الخصمين وعينه مقلوعة؛ فلا تحكم له، فلعل عيني الآخر الاثنتين مقلوعتان. الناس للأسف تحكم دون أن تسمع الأطراف.

QaradawiBooks.com

كل هذه أشياء ينبغي في الحقيقة أن تُراعى حينما نريد أن نعالج هذه القضية علاجًا جذريًّا، لا بدَّ أن يُعامل هؤلاء الشباب بروح الأخوة والمحبة والأبوة، ولا يُطارَدوا من المجتمع، كل واحد يمسك لهم هراوة، يريد أن يجري وراءهم بها، هذا يريد أن يضرب من اليمين، وهذا يريد أن يضرب من الشمال!

اتهام الفهم، لا اتهام النوايا:

هؤلاء الشباب إذا اتهمنا فهمهم فنحن لا نتهم نواياهم ودوافعهم، ويجب أن نرشدهم، ولذلك أنا حينما كتبت في مجلة (الأمة) قلت: إنَّ صحوة الشباب ظاهرة صحية، يجب ترشيدها لا مقاومتها. يجب أن نرشدها بحيث تسير في الطريق المستقيم، يجب أن نُعلِّم هؤلاء الشباب كيف يسيرون في الخط المعتدل، البعيد عن الإفراط وعن التفريط الَّذي ابتُليت به هذه الأمة، أنَّنا وقعنا بين الغلو والتقصير، يجب أن نُعلِّمهم هذا، ويجب أن ننزل إليهم ونعايشهم ليتعلموا كيف يتفقهون في شرع الله، وكيف يتفهمون لسنن الله، وكيف يفرقون بين المختلف فيه والمتَّفق عليه، وبين المظنون والمقطوع به، هذه أشياء مهمة.

مراتب الأحكام والأعمال:

وهناك مراتب الأحكام ومراتب الأعمال ينبغي أن تُعرف، هناك النافلة والفريضة، والله تعالى لا يقبل النافلة حتى تؤدَّى الفريضة، هذا أمر مهم جدًّا، فيمكن أن يشتغل إنسان بالنوافل وينسى الفرائض، يمكن أن يذهب إنسان لأداء عمرة وهو عليه دين، يا أخي سدد دينك، بدل أن تذهب لتعتمر في رمضان: أدِّ الديون الَّتي عليك للناس.

QaradawiBooks.com

والفرائض أيضًا ليست في درجة واحدة، كان بعض الناس يأتي إلى النبي ﷺ يريد أن يذهب معه إلى الجهاد، فقال له: «**ألكَ أبوان؟**» قال: نعم. قال: «**فماذا صنعتَ بهما؟**» قال: تركتُهما يبكيان. فقال: «**ارجعْ فأضحِكْهما كما أبكيتَهما**»(١). أو «**اذهبْ ففيهما فجاهدْ**»(٢). لماذا؟ لأنَّه حين يكون الجهاد فرض كفاية؛ فإن بر الوالدين فرض عين، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية.

أمَّا حين يكون الجهاد فرض عين، كأن يكون الإنسان في بلد دخله الأعداء الكفار؛ ففي هذه الحالة يجب أن يهُبَّ أهل البلد جميعًا؛ للدفاع ضد هؤلاء المغيرين على المسلمين، في هذه الحالة لا يُسمع لأب ولا لأم، ولا لزوج ولا لرئيس يأمره بغير هذا الواجب، فيخرج الولد بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن سيده، والمرأة بغير إذن زوجها، لأن فرض العين هنا يتعلق بمجموع الأمة؛ فهو مقدم على فرض العين المتعلق بالأفراد، الحق هنا أعظم، فلا بدَّ أن يعرف الإنسان الأمور بمراتبها.

وفقهاؤنا قسموا المصالح إلى ضروريات، وحاجيات، وتحسينات، وهي ما نسميه نحن في عصرنا (كماليات)، ولا يجوز أن ينشغل الإنسان بالتحسينات عن الحاجات، ولا بالحاجات عن الضرورات، كل شيء له مرتبته، فقه المراتب هذا أمر مهم جدًّا.

---

(١) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

فقه الاختلاف:

كثيـرًا ما يقيم هؤلاء الشـباب معارك حول أمـور خلافية، والأمور الخلافية ينبغي أن يُترك لكل إنسان رأيه فيها، ليس من حقك أن تجبرني على رأيك، وليس من حقي أن أجبرك على رأيي، كل ما أملكه أن أقول: والله أنا مقتنع بهـذا الرأي؛ لأن دليلي فيه كذا وكـذا، وأنت عندك رأي آخر، لا أستطيع أن ألزمك ولا أن تلزمني!

صحيح يمكن للحاكم أن يتبنـى رأيًا من هذه الأحـكام الخلافية، فيكون اختياره ملزمًا؛ لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف، أمَّا ما دمنا أفرادًا فلكل واحد رأيه، هـذه أمور يجـب أن ندركها، فـأدب الخلاف وفقه الخلاف من الأمور الَّتي نحتاج إليها ونعرفها ونُعرِّفها لشـبابنا، لا بدَّ أن نُعرِّف شبابنا كيف يتأدب بأدب السـابقين، حينما كان يخالف بعضهم بعضًا، ويصلي بعضهم وراء بعض، يرى غيـر رأيه ولكن يصلي وراءه، وكانوا يقولون: لا إنكار في المسائل الاجتهادية.

وموقف الصحابـة رضوان الله عليهم معروف فـي قصة بني قريظة: جماعة أخذوا بظاهر النص، وجماعة أخـذوا بفحواه. جماعة صلوا في الطريق، وجماعـة لم يصلوا إلا حينمـا وصلوا إلى بنـي قريظة. وبلغ النبي ﷺ فعل هـؤلاء وهؤلاء فلم يُعنف أحدًا مـن الفريقين، فهذا إقرار الاجتهاد.

يجب أن يكون عندنا هذه الروح السـمحة، ويجب أن يتعلم شبابنا هذا الفقه الَّذي نريده، والوعي الرشـيد لحقائق الإسلام، وهذا لا يكون إلا بمزيد من المعرفة.

QaradawiBooks.com

المشكل أنَّ الإنسان قد يعرف رأيًا معينًا ووجهة نظر واحدة فيظن أنَّها هي الحق وما عداها هو الضلال، ولو وسع أفقه لوجد أنَّ المسألة تحتمل أكثر من رأي، وأكثر من تفسير! كان علماؤنا قديمًا يقولون: من لم يعرف اختلاف العلماء فليس بعالم، من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم تشم أنفه رائحة الفقه[1]. لماذا؟ لأنَّه لو عرف اختلافهم ووجهات نظرهم، ومنازع كل منهم في الاجتهاد: سيعلم أن هذه الأقوال لا تُقال اعتباطًا ولا جزافًا، ولكن لها أسسها الفكرية والاجتهادية، لا بدَّ من هذا.

للأسف هناك أناس يريدون أن يُجمدوا الإسلام، وأن يقفوا عند رأي واحد، وأنا قلت في المقال الَّذي كتبته في مجلة الأمة: هناك ناس من المجمدين للإسلام، ناس من المقلدين الذين لا يقبلون أي اجتهاد إلا المذاهب الأربعة ولا شيء غيرها، وهو يعتبر مذهبه في المذاهب الأربعة هو المذهب الصحيح، ولا يقبل اجتهادًا قط، هذا لا يمكن!

ربما حكيت لكم مرة أنِّي كنت في بعض البلاد وألقيت محاضرة، ثم سئلت بعض الأسئلة فقلت: والله أنا أرجح كذا وأرى كذا في بعض المسائل. فقدم أحدهم ورقة يقول فيها: أسمعك تقول: أرجح كذا وأرى كذا؛ هل أنت أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي؟ هل أنت صاحب مذهب؟ قلت له: يا أخي، أنا حفظت القرآن، ثم دخلت الأزهر فمكثت فيه خمس عشرة سنة، حتى حصلت على العالمية وتخصص التدريس، ثم ظللت أدرس دراسات عليا كذا سنة، ومنذ تخرجت حتى الآن وأنا أقرأ وأدرس، ألا يعطيني كل هذا الحق في أن أقول: هذا الرأي صحيح، وهذا الرأي ضعيف، أرجح رأي على رأي؟ إذن أغلقوا الأزهر والمعاهد والكليات

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٢٣)، عن هشام بن عبيد الله الرازي.

QaradawiBooks.com

الدينية كلها؛ إذا كانت لا تستطيع أن تُخرِّج إنسانًا لا يستطيع أن يقول: هذا الرأي أرجح من هذا الرأي. فهناك أناس يريدون أن يحجروا ما وسع الله! هذه مدرسة.

وهناك مدرسة تقابلها تريد أن تأخذ بظاهر النص، أسميهم (الظاهرية الجُدد)، لا، هناك مدرسة النص ومدرسة الفحوى، لماذا تحمل على من يقول بالرأي، مثلًا الإمام مالك رغم أنَّهم يعتبرونه من مدرسة الأثر هو من أئمة الرأي، وليس أبو حنيفة فقط، وأبو حنيفة ما رفض حديثًا صح عنده، المسألة أن كل إمام له شروط، والأئمة كلهم في الحقيقة ليس فيهم إنسان رفض نصًّا صح عنده وكان له دلالة على الأمر، فهو إما لم يصح عنده، أو لم يبلغه، أو كان له فيه تأويل، أو فهم فيه فهمًا آخر.

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه ألف كتابًا في هذا يعلمنا أدب الخلاف كيف يكون، كتاب لطيف جدًّا، قليل الحجم ولكنَّه كبير المعاني، اسمه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، بين فيه فعلًا أن هؤلاء الأئمة الأعلام لم يكن أحد منهم ضد السنة ولا ضد الحديث ولا كذا، وإنَّما لهم أعذارهم إذا رفضوا حديثًا أو تركوا العمل به، هذا ما ينبغي أن نفهمه.

فقه روح الشريعة وحقائقها:

الفقه الَّذي نريده إذن هو الفقه الَّذي يطلعنا على روح الشريعة وحقائقها، ويجعلنا نربط بين الأحكام بعضها وبعض، لكنني للأسف وجدت المدرستين ـ المقلدين والنصيين ـ وقفا معًا ضدي في أمر، أنا في كتابي «فقه الزكاة» رجحت في الزروع والثمار مذهب الإمام أبي حنيفة، وهو أنَّ الزكاة في كل ما أخرجت الأرض، سواء كان ذرة أو شعيرًا، أو تمرًا أو زبيبًا، أو أي شيء، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز

QaradawiBooks.com

ومذهب داود الظاهري: أنَّ كل ما أخرجت الأرض فيه زكاة، القصب فيه زكاة، والقطن فيه زكاة، والتفاح فيه زكاة، والرمان فيه زكاة، والمانجو فيها زكاة، والزيتون فيه زكاة، وبنيت هذا على أنَّ العلة الَّتي أدار عليها الشرع الزكاة هي إيجاب الزكاة في المال النامي، كل مال نامي، أو من شأنه أن ينمو ـ بطبيعته أو بالعمل ـ ويدر دخلًا على صاحبه: المفروض أن تكون فيه زكاة.

ومما أذكره أنِّي كنت أزور من عدة سنوات الشرق الأقصى، زرت ماليزيا وإندونيسيا، ففي ماليزيا وجدت سؤالًا مطروحًا بقوة في جامعة الملايو، سألني فيه مدير الجامعة والطلاب، قالوا: هل يعفي الإسلام كبار الزراع والإقطاعيين من الزكاة، ويفرضها على صغار الزراع فقط؟ قلت: من قال هذا؟ قالوا: الجماعة الشيوعيون هنا يشيعون هذا. وقالوا: هذا ما تصنعه المجالس الملية هنا: أنَّها تأخذ الزكاة من الشعير والقمح والذرة ـ وأصحابها هم صغار المزارعين، ومعظمهم مستأجر ـ ولكنها لا تأخذها من مزارع الشاي وجوز الهند والمطاط، والتفاح والمانجو، تلك الحدائق الَّتي يملكها كبار الملاك والتي تبلغ مئات الأفدنة وآلافها!

فعرفت أنَّ سبب ذلك أنَّ البلاد هناك تدين بمذهب الشافعي، ومذهب الشافعي يرى فعلًا أنَّ الزكاة فيما يُقتات، الأقوات فقط، وليس في كل هذه الأشياء، قلت لهم: هذا مذهب من المذاهب، ولكن الواقع أن عموم النصوص وإطلاقها يقول: في كل ما أخرجت الأرض الزكاة. وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ومذهب عمر بن عبد العزيز الَّذي يقول: في كل عشر دستجات دستجة[1]. في كل عشر حزم حزمة،

(١) المحلى لابن حزم (١٦/٤) مسألة (٦٤١). والدَّسْتجة، بفتح الدال وسكون السين: الحزمة.

QaradawiBooks.com

والقاضي أبو بكر بن العربي وهو رأس المالكية في عصره لما كان يفسر في كتابه «أحكام القرآن» قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. حينما جاء إلى هذه الآية ذكر المذاهب فيها ومنها مذهبه مذهب مالك، ثم قال: وأمَّا أبو حنيفة فجعل الآية مرآته فأبصر الحق. لأن الآية كما ترى ذكرت النخل والزروع والزيتون والرمان، ثم قالت: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾. فكأنها شملت كل ما أخرجت الأرض، فرجح مذهب أبي حنيفة.

وفي كتابه «عارضة الأحوذي بشرح الترمذي» حين جاء إلى حديث: «**فيما سَقَتِ السماءُ العُشر**»[١]. قال: أقوى المذاهب في المسألة هو مذهب أبي حنيفة، وهو أحوطها للمساكين، وأليقها بشكر النعمة، وكذا وكذا[٢]. هكذا اختار ورجح مذهب أبي حنيفة وهو مالكي.

ولذلك قلت لهم في ماليزيا: ليس معنى أنَّكم شافعيَّة ألَّا تأخذوا من أيِّ مذهب آخر. قلت لهم: كان للشافعي مذهبان قديم وجديد، كان له في العراق مذهب قديم، ولما جاء إلى مصر صار له مذهب جديد، ولعله لو بعثه الله الآن، ورأى ما رأينا من تغير الحياة وهذه التناقضات، وهؤلاء الشيوعيين الذين يريدون أن يجعلوا من هذا طعنًا في الإسلام، لعله لو رأى هذا لغير اجتهاده.

---

(١) رواه البخاري (١٤٨٣)، وأبو داود (١٥٩٦)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

(٢) انظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٣٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

هذا ما قلته، ولكن للأسف المقلدون قالوا: لا، نحن شافعيَّة ولا نخرج عن مذهبنا. والظاهريُّون قالوا: لا، كيف توجب الزكاة في شيءٍ لم يوجبه النبيُّ ﷺ؟ ومن قال هذا؟

كلُّ ما في الأمر أنَّ النبيَّ ﷺ لم يأخذ من الخضروات صدقة، لأنَّه لم تكن هناك ثلاجات ولا وسائل لحفظ الخضروات، فإن أخذها هلكت بعد أيام، لكن كان يأخذ من الأشياء الجافَّة الَّتي يمكن حفظها.

الجرأة في إصدار الفتاوى:

نحن إذن نريد أن نفقه الإسلام، نريد فقهًا عميقًا، نريد مزيدًا من المعرفة، لا نريد الجرأة في إصدار الفتاوى، أرى بعض الشباب بمجرد أن يقرأ بعض الأحاديث وبعض المراجع يجعل نفسه مفتيًا على عجل، ويفتي في أعوص المسائل وفي أعقد الأمور، والله إن هناك مسائل صار لي سنون وأنا أبحث فيها ولم أصل فيها إلى رأي، لم أُكوِّن فيها رأيًا، ولكن هناك أناس متسرعون يريدون أن يجيبوا على كل شيء، لا، تمهل يا أخي، الصحابة أنفسهم كانوا يهربون من الفتوى، وكل واحد يحيل السائل على أخيه يقول: اذهب إلى فلان.

وكان ابن عمر يقول: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورًا إلى جهنم؟[1] تريد أن تضعها في رقبة عالم وتخرج منها سالمًا كما يقولون! لا، كان العلماء يخافون من الفتوى، بعض الناس يجعل نفسه مفتيًا في كل شيء، لا، يجب أن يحترم التخصص، فهذه أشياء لا بدَّ منها.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أهميَّة احترام التخصص:

ممَّا لا بدَّ منه في العلاج حقيقة أن يفهم شبابنا، أن نحترم التخصص، ونحترم أهل العلم، ونعرف أن لكل علم أهله، ولكل صناعة أربابها، لا يمكن أن نجد طبيبًا يفتي في القانون، ولا قانونيًّا يفتي في شؤون الهندسة والتصميم، كل صناعة لها أهلها، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، لا بدَّ أن نحترم هذا كله، وكما قال النبي ﷺ لجماعة أفتوا رجلًا بأن يغتسل: أن يستحم، وعنده جراحة؛ فاستحم فمات، أهلكه الجرح، فقال النبيُّ ﷺ: «**قتلوه قتلهم اللهُ، هلَّا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنَّما شفاءُ العِيِّ السؤال**»(١). فاسأل يا أخي بدل أن تورط نفسك، هذه أمور لا بدَّ أن تُعرف.

لكلِّ داءٍ دواء:

يا أيُّها الإخوة، إن علاج قضية التطرُّف ليس بأمرٍ ولا أمرين، ولكن بروح عامة يجب أن تسود المجتمع، كل شيء له علاج، وممَّا صحَّ عن النبيِّ ﷺ: «**ما أنزل اللهُ داءً إلَّا وأنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»(٢). وهذا يشمل الأمور البدنيَّة، والأمور النفسيَّة، والأمور الاجتماعيَّة، كل داء له دواء. وكما يقل المثل: (كل عُقدة لها حلَّال).

---

(١) رواه أحمد (٣٠٥٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، كلاهما في الطهارة، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٣٩٢٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الطب (٣٤٣٨)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

عدم المبالغة في تصوير الأمور:

إنَّ لكل شيء علاجًا لو تعود الناس على العلاج، وصدقوا النية في أن نعالجهم، ولم يبالغوا أيضًا في الأمور، فتضخيم هذه الأمور والنظر إليها بميكروسكوب أو تلسكوب؛ بحيث (نجعل الحبة قبة) والقط جملًا كما يقولون؛ فهذا أيضًا لا يقربنا من العلاج.

فمن الطبيعي أن يوجد في المجتمع متطرفون، بل وهناك متطرفون في الجانب المقابل، المُتطرِّفون في التحلل من الدين أليسوا موجودين؟ لماذا لا تشتد عليهم الحملة كما تشتد على هؤلاء؟ بل هؤلاء في الحقيقة يُعتبرون رِدة فعل لهذا التطرُّف في الجانب الآخر، هذا هو قانون الفعل ورد الفعل، هو قانون طبيعي، وهو قانون اجتماعي أيضًا، لا بدَّ أن يوجد، هذه طبيعة الحياة.

فلا ينبغي أن نبالغ في تصور الأمر أو في تصويره؛ لأن هذا في الحقيقة يبعدنا عن العلاج، أي أشياء يمكن أن تحدث في أي مجتمع، ما دام للناس عقول يفكرون بها، ولهم أنفس تنفعل بما يجري حولهم، والشباب شعلة من الجنون، والشباب لا يمكن أن يكون له تأني الشيوخ ونظرهم في العواقب؛ فلا بدَّ أن تحدث بعض هذه الأشياء، لو فكرنا هذا التفكير وسرنا على هذا الطريق يمكن أن نهتدي إلى الحل، ونهتدي إلى العلاج.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن ينير الطريق أمامنا، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن يهدينا جميعًا إلى الَّتي هي أقوم، وأن يردنا حكامًا ومحكومين إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله، وأن ينصر أمة الإسلام، ويعلي راية القرآن، اللهمَّ آمين.

وصلِّ اللهمَّ على محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

١٤

حقيقة العولمة وخطرها وموقفنا منها[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، وقائد الخلْقِ إلى الحق، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد: سيِّدنا وإمامنا وحبيبنا وأسوتنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَنْ دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة والأخوات تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإنِّي لسعيد أن ألتقي بكم في هذه الأمسية في دولة البحرين الشقيقة، وفي جمعية الإصلاح الحبيبة إليّ والأثيرة لديّ، وفي هذا المؤتمر الثالث الذي نسأل الله أن يتبعه رابع وخامس وعاشر ومائة، وما بعد ذلك إن شاء الله، وأن يستمر العطاء موصولًا، وإن كنت أطالب الإخوة والأخوات

(١) ألقيت في المؤتمر الثالث لجمعية الإصلاح الاجتماعي بمملكة البحرين الذي انعقد في قاعة الشيخ عبد الرحمن الجودر بالجمعية تحت عنوان (ثوابت المجتمع وتحديات النهوض والانفتاح)، بتاريخ: ٨ نوفمبر ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

الذين طلبوا أن يكـــون مثل هذا المؤتمر مفتوحًا لأبنـــاء البحرين وبنات البحرين. ولا بدَّ أن تحاول الجمعية حل مشـــكلة المكان، فلا ينبغي أن يُحرم من يريد طلب العلم من إخوتنا وأبنائنا وبناتنا في هذا البلد الكريم.

وأحيي الجمعية على اختيار موضوعاتها الحيَّة والمتفاعلة، مع تطور المجتمع وحاجات الأمة الفكرية والثقافيـــة، ولهذا أعجبني هذا العنوان الذي اتخذته الجمعية شعارًا لهذا المؤتمر (ثوابت المجتمع، وتحديات النهوض والانفتاح).

بين تغيير الثوابت وتثبيت المتغيرات:

لا شـــك أنَّ مما تعاني منه أمتنا أن هناك من يريـــد تغيير الثوابت، وهناك من يريد تثبيت المتغيرات، وكلا هذين الأمرين خطر على الأمة، لا يجوز أن تغير ثوابت الأمة، الثوابت هي الَّتي تحفظ للأمة شخصيتها، وتحميها مـــن الذوبـــان، وتمســـك عليها عقائدهـــا وشـــرائعها وقيمها وأخلاقياتها، الَّتي تميزها باعتبارها أمة لها رسالة، فلا بدَّ أن نحافظ على هذه الثوابت.

ولكن هناك أيضًا تيار معاكس يريد أن يثبِّت المتغيرات، وأن يجمد الحياة، يريد أن يجعل الأشياء المختلف فيها أشياء متفقًا عليها، بل يريد أن يجعل من النوافل فرائض، ومن المكروهات محرمات، ومن الصغائر كبائر، هذا أيضًا أمر خطر.

لا بدَّ أن نعرف أن هناك ثوابت، وهناك متغيـــرات، وينبغي أن يظل الثابت ثابتًا، وأن يظل المتغير متغيرًا، وإلا كان هذا خطرًا على مجتمعنا وعلى أمتنا، ولهذا انشـــرح صـــدري لهذا الشـــعار (ثوابـــت المجتمع وتحديات النهوض والانفتاح).

QaradawiBooks.com

واعتبر الإخوة العولمة في هذا الموضوع وسيلة من الوسائل الَّتي تحاول تغيير الثوابت، وتذويب الفوارق والحدود بين الأشياء، فهذا نظر صحيح من الذين نظموا هذا المؤتمر.

معنى العولمة:

العولمة أيُّها الإخوة مصطلح جديد علينا، وهو مترجم قطعًا، والتعبير لغة صحيح، عولمة مشتقة من العالم، وقولبة مشتقة من القالب، ومعنى العولمة: تحويل العالم من الإقليميات والمحليات إلى العالميَّة، ولذلك بعضهم يقول: نريد أن يتحول العالم إلى قرية كونية، أو أسرة كونية، أو ثقافة كونية.

وبعضهم يعبر عنها بالكوننة؛ مأخوذة من الكون، وبعضهم يعبر عنها بالكوكبة مأخوذة من كوكب الأرض، هذه كلها مصطلحات تؤدي إلى معنى واحد.

الإسلام دين عالمي:

ونحن باعتبارنا مسلمين نرحب بالخروج من قمقم العَصبيَّة العِرْقيَّة، أو العَصبيَّة اللونيَّة، أو العَصبيَّة الإقليميَّة، كل العصبيات نحن نرفضها، وفي الحديث: «**ليس مِنَّا من دعا إلى عَصبيَّة، أو قاتل على عَصبيَّة، أو مات على عَصبيَّة**»[1]. نحن أمة عالميَّة، فالإسلام رسالة عالميَّة، ليس رسالةً لجنسٍ مُعَيَّن من البشر، ولا لإقليمٍ مُعَيَّن من الأرض، ولا لجيلٍ خاصٍّ من الناس، يُعَبِّر الإمامُ حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الرسالة فيقول: الإسلام هو الرسالة الَّتي امتدَّت طولًا حتَّى شملت آبادَ الزمن، وامتدَّت

(١) رواه أبو داود في الأدب (٥١٢١)، عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

QaradawiBooks.com

عرضًا حتَّى انتظمت آفاقَ الأمم، وامتدَّت عمقًا حتَّى استوعبت شؤونَ الدُّنْيا والآخرة[١].

لو اعتبرنا الإسلام جسمًا له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ، فطوله الزمن كلُّه؛ لأنَّه من آدم إلى مُحَمَّد، الإسلام دينٌ واحد، وعرضه الكون كلُّه، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، وعمقه الحياة كلُّها، استوعب شؤون الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فمن حيث العالميَّة نحن أُمَّة عالميَّة، ورسالتنا رسالة عالميَّة. وإذا نظرنا إلى ديانة مثل اليهوديَّة نجدها ديانة شعبٍ مُعَيَّن، كلُّ التوراة تتحدَّث عن إسرائيل، وبني إسرائيل، وقبائل بني إسرائيل، وملك إسرائيل، وتاريخ إسرائيل، ومستقبل إسرائيل، فهي ديانة لشعب.

أمَّا نحن فعندنا في أوَّل آية في المصحف بعد البسملة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. ليس ربَّ المسلمين، ولا ربَّ العرب وحدهم، وإنَّما ربُّ العالَمِين، وآخر سورة في المصحف: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٣]. فنحن أهل العالميَّة.

والرسول ﷺ وقف في حجة الوداع ـ أمام عشرات الألوف من الناس ـ يعلن على الملأ: «**أيُّها الناس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على أعجمي، ولا لأعجميٍّ على عربي، ولا لأحمر**

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، صـ١، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م.

QaradawiBooks.com

على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[1]. هذه هي العالميَّة، البشريَّة أسرة واحدة تشترك في العبوديَّة لله والبنوة لآدم، هذا معنى: «**إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد**».

حقيقة العولمة:

نحن نؤمن بالعالميَّة؛ فلماذا إذن نتوجس من العولمة؟ لو كانت العولمة تريد العالميَّة كما يريدها الإسلام؛ لأنَّ الإسلام بعالميَّته يريد عالمًا مفتوحًا، ويريد إزالة الفوارق بين الناس: الفوارق العِرْقيَّة، والفوارق اللونية، والفوارق النسَبية، والفوارق اللغوية، والفوارق الإقليمية، والفوارق الطبقية، ويصهر الجميع في بوتقة واحدة: هي الأخوة الإنسانية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣]. لو كانت العولمة تعني هذا لرحبنا بها، وفتحنا لها صدورنا، وقلنا: أهلًا بالعولمة؟ ولكن العولمة كما يُراد لها اليوم شيء آخر، غير هذه العالميَّة الإسلامية.

العولمة في حقيقتها تحويل العالم إلى قرية تابعة للسيد الأكبر، الذي يتحكم في العالم، العولمة في حقيقتها (أمركة) العالم، ولذلك هي عولمة سياسية، وعولمة اقتصادية، وعولمة ثقافية، وعولمة دينية.

العولمة السياسية:

أول ما تعنيه هذه العولمة عولمة السياسة، ماذا تعني عولمة السياسة؟ أن يدور العالم في فلك أمريكا، كان العالم يتنازعه قطبان، قوتان

(١) سبق تخريجه صـ١٣٠.

QaradawiBooks.com

تتجاذبان العالم: الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، والاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه، وكان اختلاف هؤلاء رحمة، كما أن اتفاقهم نقمة.

كان هذا الاختلاف فرصة للشعوب والدول الضعيفة أن تختار أحد القطبين أو تقف على الحياد، مثل كتلة عدم الانحياز والحياد الإيجابي، فهم ليسوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وهذا معقول، وكان من أدعية السلف الصالح: اللهم اشغل الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين. فانشغال الظالم بظالم مثله هو من مصلحة الضعفاء والمظلومين الآخرين.

أمَّا حينما يتفق الظُّلَّام بعضهم مع بعض: تكون بلوى ومصيبة، أو يصبح هناك ظالم واحد، وهذا ما حصل الآن أصبح هناك ظالم متفرعن، كما قال فرعون قديمًا: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. أو كما قال النمروذ لإبراهيم: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. هذا التأله في الأرض هو الخطر، وهذا خطر العولمة السياسية: أنَّها تريد أن تفرض على العالم نمطًا واحدًا، ومن لا يقبل هذا يُعتبر ناشزًا متمردًا، ويجب أن يعاقب! يمكن أن يعاقب اقتصاديًّا بالحصار الاقتصادي، ويمكن أن يُعاقب عسكريًّا بالتهديد أحيانًا، وبالضرب المباشر أحيانًا، وقد رأينا الضرب المباشر لليبيا والسودان وأفغانستان، وهكذا بحجج شتَّى، هذه سياسة الخضوع للنمط الأمريكي وللقوة الأمريكية.

يقولون هم في سياستهم: نحن نريد أن تعم الديمقراطيَّة الغربيَّة أنحاء العالم. ونحن نرحب بهذا، ولكنهم يرحبون بالديمقراطية في كل مكان إلَّا في العالم الإسلامي، فهم يؤيدون الديكتاتوريات المتسلطة على المسلمين، وحينما وصل الإسلاميُّون إلى الحكم في بلدة من البلدان

QaradawiBooks.com

مثل الجزائـــر، وحصلوا علـــى الأغلبيَّة في انتخابات حُـــرَّة ونزيهة ـ لم تشرف عليها حكومة إسلاميَّة ـ رفضوا هذا!

ولا زالوا يُؤَيِّدون الدولة التركيَّة العلمانيَّة الَّتي ترفض الإسلام، وترفض الإســـلاميِّين، ولا تريد أن تجعل لهـــم حقًّا، لا يريـــدون أن يعطوا الحرية للمرأة لأن تلبس الحجاب، أعطوا المرأة حريـــة التعرِّي لكنَّهم لم يعطوها حرية الاحتشـــام ولبس الحجاب، كان هناك آلاف المـــدارس القرآنيَّة في تركيا، لم تنشئها الدولة، وإنَّما أنشأها الشعب بأمواله الخاصة، أغلقوا هذه المدارس، الآن يريـــدون أن يعملوا قانونًا بفصل كل من تثبت إســـلاميته، كيف تثبت إســـلاميته؟ بأن يكون ممَّن يصلي في المســـجد، أو أن تكون امرأته أو بنته محجبة، فيفصـــل من الجيش ومن الوظائف العامة، هذه هي الديمقراطية الَّتي تؤيدها هذه العولمة، هذا هو ما نراه في الواقع حقيقة.

عولمة سياسية ظالمة:

العولمة السياسية إذن عولمة ظالمة، وهي تكيل بمكيالين، وتتعامل بمعيارين: معيار للمســـلمين، ومعيار لغير المسلمين. حقوق الإنسان إذا كانت في البـــلاد الإســـلامية لا تهتم بهـــا، وإذا كانت في غيـــر البلاد الإسلامية تهتم بها وتبعث أناسًا من عندها لمتابعتها.

والحرب الَّتي حدثت في الشيشان، وقُتل فيها من قُتل من المدنيين والبرآء.. لم يُحقق فيها؛ لأن هؤلاء القتلى من المســـلمين، وتُتهم بعض البلاد الإســـلامية مثل مصر بأنها تضطهـــد الأقلية القبطيـــة، وهذا غير صحيح بالمرة، ومن يعرف مصر يعرف أنَّ الأقباط يعيشون ملوكًا، يعيش الكثير منهم أثرياء، أعظم ثري في مصر الآن واحد اســـمه ساويرس يُعد في قائمة الملياردريات في العالم، لا يوجد مســـلمون مثل هذا، ولكنهم

QaradawiBooks.com

يريدون أن يشوشوا على المسلمين، يقولون: مصر تضطهد الأقليات القبطية، والسودان يضطهد الأقليات المسيحية. إنَّها عولمة تتعامل بمعايير مزدوجة، وليس لها معيار واحد، فهذه ملامح العولمة السياسة.

العولمة الاقتصادية:

وهناك عولمة الاقتصاد، ولعل هذه أشهر العولمات، والتي كتب فيها الكثيرون في عصرنا؛ لأن الاقتصاد في عصرنا له قيمة كبيرة، وهو الذي يُسيِّر السياسة، وهو الذي يغير الأوضاع، فهم يريدون أن يكون الاقتصاد أيضًا تابعًا لهم في الإنتاج وفي الاستهلاك، وفي التداول وفي التوزيع.

هذا الاقتصاد يسير على النمط الغربي، أو يسير لخدمة الاقتصاد الغربي، أي نكون سوقًا مفتوحة لهم، يأخذون منا المواد الخام بأرخص الأسعار، ثم يصنعونها ويصدرونها لنا ثانية ويبيعونها لنا بأغلى الأسعار، ويوم رخص النفط الذي هو ثروة كثير من البلاد العربية والإسلامية ووصل إلى تسع وعشر دولارات لم يتحرك أحد، ويوم غلا هاجت الدنيا وقامت ولم تقعد.

ليس هناك عدل في هذا الاقتصاد، هو اقتصاد يعمل بالنسبة للعالم لمصلحة الأقوياء ضد الضعفاء، لمصلحة الشمال الغني ضد الجنوب الفقير، وبالنسبة لكل دولة يعمل لمصلحة الطبقات الغنية والمترفة؛ ضد الطبقات المسحوقة والبائسة، هذا هو الاقتصاد العالمي.

التنمية الَّتي يتحدثون عنها ليست تنمية للإنسان من حيث هو إنسان، ولكنها تنمية الجمادات كما قال ألكسيس كاريل صاحب الكتاب الشهير «الإنسان ذلك المجهول»، يقول: إن من آفات حضارتنا ـ يعني حضارته الغربية ـ أنَّها اهتمت بالجمادات على حساب الإنسان.

QaradawiBooks.com

وجاء بعده رجل أمريكي أيضًا، وكلاهما أمريكي الجنسية فرنسي الأصل، تعرفون أن أمريكا أخذت العباقرة من العالم، هاجروا إليها وانتفعت بهم ونُسبوا إليها وأصبحوا أمريكيِّ الجنسية، فجاء هذا الرجل وكتب كتابًا تُرجم إلى العربية تحت عنوان «إنسانية الإنسان»، وقال: إن هذه التنمية الَّتي ينشغل بها الغرب ستؤدي إلى دماره، لأنَّها تنمية تقول: أنتجوا أكثر؛ لكي تستهلكوا أكثر، لكي تنتجوا أكثر. تريد إغراء الناس بكثرة الاستهلاك ليكثر الإنتاج؛ وإن لم يكن للإنسان حاجة، ولذلك هذا الاقتصاد يدعو الناس إلى الإسراف في الاستهلاك، وبعضهم يسمي الحضارة الغربية (الحضارة الاستهلاكية) لأنَّها تغري الناس بالاستهلاك الزائد.

نحن نقول عندنا: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]. أمَّا هم فعندهم الإسراف، يخترعون هذه السنة آلة أو جهازًا معينًا، وتقوم الدعايات لهذا الجهاز، والطنطنة على فوائدة وحاجة الناس إليه، وبعد سنتين يُنشأ جهاز جديد، وتُوضع كل العيوب في الجهاز القديم! ومعنى هذا أن عليك أن ترمي الجهاز القديم، وتشتري الجهاز الجديد! وأصبح من مشكلات أمريكا الآن كيفية التخلص من الأشياء القديمة، وهذه من مشكلات البيئة الَّتي يتحدثون عنها، كل هذا بسبب الاستهلاك الزائد عن الحاجة.

حرب الإعلانات:

وهناك حرب الإعلانات للبضائع الجديدة، بعض الناس كان يتحدث معي ويقول: الحرب الجديدة: أن تنفق سبعين في المائة على الإعلان، وثلاثين في المائة على السلعة. قلت له: هذا حرام. قال: لماذا؟ قلت: لأن السبعين في المائة هذه الَّتي تنفقها على الإعلان للمادة والتسويق لها والترويح لها هي من حق المستهلك، ومع هذا أن تأخذها منه، فهذا

QaradawiBooks.com

لا يجوز، ومع هذا نحن نفعله. وهذا من ضمن العولمة الثقافية، إن طريقة الإعلانات الأمريكية هذه طريقة ليست إسلامية بالمرة؛ لأنَّها تغري الناس بأن يستهلكوا ويزيدوا في استهلاكهم.

وأحيانًا يصدرون إلينا الأشياء الَّتي لا يجيزون أن يستعملوها في بلادهم، وبعضهم قال: إن علينا أن نقيم المصانع الَّتي فيها تلويث للبيئة في العالم الثالث. كأن العالم الثالث مزبلة، ليس فيه أناس لهم عقول وضمائر، ولهم شخصية إنسانية.

بعض الأدوية الَّتي لا يجيزونها عندهم يبيعونها عندنا، بعض السجائر الَّتي لا يسمحون بها عندهم؛ لأن فيها مقدارًا معينًا من النيكوتين يبيعونها عندنا، الشروط الَّتي توضع عندهم لسلامة الأغذية يُتساهل فيها إذا صُدرت إلينا، وبعض الناس الذين لا ضمائر لهم يشترون الأشياء المخصصة عندهم للكلاب والقطط ليُغذَّى بها البشر عندنا.

هذه هي العولمة الاقتصادية الَّتي يريدون أن يغزونا بها، ونحن للأسف نستجيب لهذه العولمة الاقتصادية.

العولمة الثقافية:

والذي يجعلنا أيُّها الإخوة نستجيب للعولمة الاقتصادية هو العولمة الثقافية، عولمة العقول والأفكار، إنهم أرادوا أن يغيروا تفكيرنا، وأن يغيروا ثقافتنا، وأن يصنعوا لنا ثقافة جديدة، وأذواقًا جديدة، وميولًا جديدة، هذه الثقافة هي الَّتي جعلتنا نعيش الآن على المصنوعات الأمريكية: نشرب البيبسي والكوكاكولا، ونأكل (الهامبورجر والبيتزا والكنتاكي)، ونلبس (الجينز)، ونركب السيارات الأمريكية، ونشتري المصنوعات الأمريكية، ونعتبر أن هذه لا غِنى لنا عنها!

QaradawiBooks.com

غيـــروا أذواقنا، تخلينـــا عن مواريثنا، كل الشـــعوب لهـــا مواريث في المأكولات تشتهيها، وبعض الشعوب مصرة على أن تبقى كما هي إلا نحن.

وأضرب لكم مثلًا: أنا في صباي وشـــبابي كنا نشـــرب العِرقســـوس، والخرُّوب، والتمر هندي، والســـوبيا من ماء الشعير، وأشـــياء كلها نافعة، فجاءت البيبســـي والكولا فقضت على هذه المشروبات نهائيًّا، وأذكر أول مرة شـــربت فيها الكولا، كنت طالبًا لا أســـتطيع أن أشتريها، ولكن قلت: أجربها. ولم تكن باردة، فلما شربتها مججتها وقلت: إنَّها مقرفة. وبعد فترة أعطاني بعضهم زجاجة فقلت: شربتها من قبل ولم تعجبني. فقال: اشربها فإنها جيدة. وشـــربتها وكانت باردة، وهم يضعون فيها مادة تجعل الإنسان يعتاد هذه الأشياء، ولذلك أصبح أبناؤنا وأحفادنا يدمنون هذه الأشياء.

المقاطعة سلاح اقتصادي وثقافي:

ومن هنا أقول أيُّها الإخوة: هذه حرب ثقافية، أنا الآن أدعو إلى مقاطعة هذه الأشـــياء، وأرى أن فائدة هـــذه المقاطعة ليســـت فقط فـــي الناحية الاقتصادية، بل أيضًا في الناحية الثقافية والناحية التربوية، نحن نعيد تربية الأمة من جديد، نريد الأمة أن تتعلم الاستقلال، فليس الاستقلال فقط أن يخرج المحتلون من بلادنا، وهم حتَّى لم يخرجوا منها، وإنَّما الاستقلال أعمق مـــن هذا، أن تكون لنـــا إرادتنا، وأن يكون لنـــا تفكيرنا الحر، وأن تكون لنا أذواقنا الخاصَّة، وأن تكون لنا شخصيتنا، لا نكون عبيدًا لغيرنا، ما معنى أن شعوبًا كاملة لا تشرب إلا البيبسي والكولا وهذه الأشياء؟!

اتصل بي أحد التجار وقال: يا أخي، أنت دعوت إلى مقاطعة البضائع الأمريكية، وهذا الأمر تسبب في خســـارتنا وكذا. قلت له: الحمد لله أنَّ الأمة تســـتجيب. وأنا أقول لكـــم بصراحة: الأمة بدأت والله تســـتجيب

QaradawiBooks.com

استجابة ملفتة فعلًا، هذه الأمة فيها خير، إذا وجدت دعوة صادقة تجاوبت معها في المشارق والمغارب، في البلاد العربية وخارجها.

وبدأ هؤلاء يشعرون بأثر المقاطعة فأخذوا يملؤون الصحف بالإعلانات الضخمة لبضائعهم، واحد قال لي: وقفت على مطعم كانت تقف أمامه السيارات بالعشرات، لم أجد أمامه إلا سيارة واحدة. قلت: لعلها سيارة المدير أو أحد الموظفين. وبعضهم قال لي: نحن شركات عربية ولسنا أمريكان. قلت له: تنازلوا إذن عن التوكيل. فقال: سنخسر الملايين كما خسر فلان. قلت له: هذا من ملياردير العالم لو خسر كذا مليون لن يؤثر فيه. قلت له: هذا الأمر يقوم على شيِّ الدجاج ألا نستطيع أن نشوي الدجاجة؟! ماذا يعني أن نأخذ الخلطة الخاص بهم؟!

العولمة الثقافية وتغيير هوية الأمة وأخلاقها:

هذا أيُّها الإخوة نتيجة العولمة الثقافية، فهذه العولمة تريد أن تغير هوية الأمة، وذوق الأمة، واتجاه الأمة النفسي والأخلاقي، ونحن نريد أن نحتفظ بأمتنا أمة حية، أمة مستقلة، أمة ذات إرادة، فالعولمة الثقافية دخلت علينا بهذه الطريقة من الإغراء في الاستهلاك، والإغراء بالإسراف المحرم عندنا دينًا، وبالإعلانات.

كما تغريهم بالجوائز الكبرى الَّتي أصبح الناس يتنافسون فيها، معقول أن تُعطى الجوائز لمن يشتري سلعة من المحل أن يأخذ سلعة فوقها.. لكن ما معنى أن أعطيه سيارة بخمسين أو بعشرين ألف ريال أو درهم أو كذا؟ هذا لا معنى له، وأنا أصدرت فتوى بأنِّي أميل إلى تحريم جوائز السحب الكبرى هذه، لأنَّها أشياء تغري الناس بروح القمار، بدل أن يريد المرء أن يكسب من كدِّ يمينه وعرق جبينه: يريد أن تأتيه ضربة حظ؛

QaradawiBooks.com

فيأخذ كيلو ذهبًا أو كذا، ما هذا؟! كأني أغرس في الأمة روح القمار الذي هو كسب من غير تعب ومعاناة، وأغري التجار بأن ينافس بعضهم بعضًا.

كان التجار قديمًا حينما يرى أحدهم جارَه لم يبع يقول للزبون: البضاعة الَّتي عندي هي نفس البضاعة الَّتي عند جاري، وأنا لم أجد أحدًا جاءه من الصباح، فلو اشتريت منه يجزيك الله خيرًا. وأحيانًا إذا رأى هذا يغلق دكانه حتَّى يتيح فرصة لجاره أن يبيع مثلما باع هو، هكذا كان الأمر قديمًا، وليس كهذه الرأسمالية الشرهة المفترسة الآن، بعضهم يقول عن العولمة: هي (رسملة) العالم. أي تحويل العالم إلى هذه الرأسمالية المغالية الَّتي يقول فيها كل فرد: أنا، وليخرب العالم! هو يريد أن يربح ولو من جماجم الناس، يبني قصره من جماجم البشر، ويزخرفه بدماء البشر، نحن ليس عندنا هذا.

مقاومة العولمة الثقافية بثوابت الشريعة:

تريد العولمة الثقافية هذه أن تغيرنا من الداخل، وأن تجعلنا طوع إرادتها، ولذلك لا بدَّ أن نقاومها بالثوابت، هي لا تريد أن تبقي لنا شيئًا ثابتًا، حتَّى الشريعة تريد أن تغير ثوابتها، لعلكم الآن رأيتم مؤتمرات العولمة، في سنة ١٩٩٤م. عُقد أحد هذه المؤتمرات في القاهرة اسمه (مؤتمر السكان)، وكان يريد إخراج الأسرة المسلمة من إسلاميتها، وإخراج المرأة المسلمة من إسلاميتها، يريد إباحة الإجهاض بإطلاق، يريد الإباحية الجنسية، يريد ألا يكون للآباء سلطة على الأبناء ولو كانوا في الصغر، يريد إقامة الأسرة الوحيدة الجنس، ومعنى وحيدة الجنس أن يتزوج الرجل بالرجل، وتتزوج المرأة بالمرأة، وهذا ما حدث في الغرب، ويباركه للأسف بعض القسس وبعض الكنائس، ويقولون في التليفزيون:

QaradawiBooks.com

القس الفلاني يعقد في الكنيسة الفلانية عقود الزواج للرجال أو للنساء. وبعض القوانين الأوروبية أباحت هذا الزواج، هذه الثقافة الإباحية الَّتي يُراد أن تسود هي من نتائج العولمة الثقافية.

وهذا المؤتمر قاومه المسلمون وقاومه النصارى، واتفق الفاتيكان مع الأزهر ومع رابطة العالم الإسلامي في مقاومة هذا التيار الإباحي، وجاء مؤتمر المرأة في بكين في السنة التالية ١٩٩٥م. يمشي أيضًا في هذا الاتجاه، وجاء مؤتمر المرأة في نيويورك هذا العام عام ٢٠٠٠م. ينسج على نفس المنوال، وهذه كلها مؤتمرات خطيرة تريد أن تنزع الإنسان من القيم الَّتي تمثل الثوابت للحياة، والعالم الإسلامي هو الذي لا يزال إلى الآن متشبثًا بقيمه.

صحيح نحن نشكو من ضعف العالم الإسلامي، والأخ تكلم في المقدمة عما حدث وتيارات التغريب، ولكن مع هذا أيُّها الإخوة تظل الأمة الإسلامية هي أرسخ الأمم في التمسك بقيمها وبثوابتها، هم يريدون خلخلة هذه الثوابت، يريدون تذويب هذه الثوابت، حتَّى المصادر الثابتة عندنا: القرآن، والسنة.. لا يريدون لها أن تثبت، يتبنون كل ما يزعزع هذه الثوابت: سلمان رشدي، وتسليمة نسرين، ونصر أبو زيد، ومحمد شحرور، وسعيد عشماوي، كل هؤلاء الناس الذين يريدون أن يزلزلوا الثوابت، الَّتي أجمعت عليها الأمة في كل مذاهبها، وبكل تياراتها وفي كل عصورها، وأصبحت تمثل الإجماع الذي يمثل وحدة الأمة العقدية، ووحدتها الفكرية، ووحدتها الشعائرية، ووحدتها الوجدانية، ووحدتها السلوكية، هذه الثوابت لا يريدون أن تظل ثوابت.

ولذلك نجدهم يقولون: أنتم تقولون: الخنزير حرام. وهذا إنَّما كان

QaradawiBooks.com

في خنزير الزمن الماضي، أمَّا خنازير اليوم فتشرف عليها هيئات صحية، وتأكل طعامًا جيدًا. وأنتم تقولون: الرجال قوامون على النساء. وهذا كان في الزمن الماضي قبل أن تتعلم المرأة وتتقلد الوظائف وكذا، ولذلك المرأة في عصرنا قوامة على نفسها، ولعل النساء قوامات على الرجال. فهم لا يريدون أن يظل شيء ثابتًا.

هذه هي العولمة الثقافية الخطرة: عولمة الإجهاض، وعولمة الاستهلاك، وعولمة التهويد، وعولمة التطبيع، الآن الثقافة العولميَّة الجديدة تريد التطبيع مع الصهاينة، ومعنى التطبيع أن يكون الشيء غير طبيعي؛ فتريد أن تجعله طبيعيًّا، تريد أن تكون علاقتنا طبيعية مع من اغتصب الأرض، وسفك الدم، وشرَّد الأهل، وانتهك الحرمات، وفعل الأفاعيل! كيف هذا؟!

بعد اتفاقية كامب ديفيد الأولى في مصر أرادوا أن تُطبَّع العلاقة مع مصر، وأن يكسروا الحاجز النفسي بين المسلمين واليهود، ولم يستطيعوا، وأثبت الشعب المصري الأصيل أنَّه رافض تمامًا لهذا التطبيع، رفض شراء البضائع اليهودية، ورفض إلى الآن أن يذهب إلى إسرائيل، وأن تأتي أفواج السياح من تل أبيب، ويجب أن نذكر بالخير والفخر غرفة التجارة المصرية، الَّتي دعت وأجمعت على مقاطعة البضائع الإسرائيلية، ونشكر لبلدية محافظة الجيزة الَّتي أطلقت على الشارع الذي تقوم فيه سفارة إسرائيل (شارع محمد الدرة)، فعولمة الثقافة أيُّها الإخوة هي أخطر العولمات، ولا أطيل فيها أكثر من ذلك.

العولمة الدينية:

وبقي هناك عولمة تدخل أيضًا في عولمة الثقافة وهي عولمة الدين، إنهم يريدون أن يعولموا الدين، كيف ذلك؟ بأن ينصروا العالم، وهذه

QaradawiBooks.com

أمنية عند كثير من المبشرين أو دعاة التنصير، أن يصبح العالم نصرانيًّا. في سنة ١٩٧٧م. انعقد مؤتمر تحت هذا العنوان (تنصير العالم).

وفي سنة ١٩٧٨م. انعقد مؤتمر من المبشرين البروتستانت الأمريكان بالذات في ولاية (كلورادو) تحت عنوان (تنصير المسلمين في العالم)، فأول من أرادوا أن ينصروه من العالم المسلمون، وليس الشيوعيين الملحدين! واجتمع مائة وخمسون من عتاة المنصرين في العالم في (كلورادو)، وقدموا أربعين دراسة حول العلاقة بين الإسلام والنصرانية، وأنشؤوا معهدًا سموه (معهد زويمر)، وزويمر هذا كان عندكم هنا في البحرين في أوائل هذا القرن، أحد المبشرين العتاة، وهو الذي رأس المؤتمر التبشيري في القاهرة سنة ١٩٠٦م. أرادوا أن يحيوا ذكراه بأن أنشأوا معهدًا باسمه لتخريج متخصصين في تنصير المسلمين، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار جمعوها في الحال من ألف ملياردير، كل واحد دفع مليون دولار.

وهذا ما جعلني أحاضر في عدد من البلاد العربية والإسلامية، وأنادي بأن نجمع ألف مليون دولار من المسلمين في الحال للحفاظ على الوجود الإسلامي. كان المفروض أن تكون لأسلمة العالم، لكننا لم نصل إلى هذه الدرجة من القوة فقلنا: للحفاظ على الوجود الإسلامي، لنحمي المسلمين من هجمات التنصير العالميَّة، لأنَّهم كيف ينصرون المسلمين؟ يذهبون إلى البلاد الفقيرة، ويقيمون المؤسسات التعليمية والصحية، والاجتماعية والطبية وغيرها، والمسلمون من فقرهم يذهبون إلى هذه الأشياء، وفعلًا وجدنا في بعض البلاد من يتنصرون، التنصير في البلاد العربية أيُّها الإخوة لا يسعى لتغيير المسلم من الديانة الإسلامية إلى الديانة النصرانية، لا يريد أن يحول محمد وأحمد، وحسن

QaradawiBooks.com

وحسين، وعبد الرحمن وعبد الله.. إلى جورج وبطرس وحنا، لا، إنَّما يريد زعزعة إسلامه، يريد أن يزلزل ثقته بالإسلام.

أمَّا في غير المنطقة العربية فالتنصير يعمل بالفعل على إخراجهم من الإسلام إلى النصرانية، وهذا ما رأيناه في أفريقيا وفي آسيا، رأينا أحد رؤساء نيجيريا في وقت من الأوقات مسيحيًّا وجده مسلم، لأنَّه من قبيلة مسلمة أساسًا، ولكنَّه تعلم في المدارس التنصيرية فنُصِّر.

أول مرة أذهب إلى إندونيسيا وبلاد الشرق الأقصى كان سنة ١٩٦٤م. وفي الطائرة الإندونيسية الَّتي كنت أركبها ذاهبًا إلى جاكرتا سألت المُضيِّف: هل أنت مسلم؟ قال: لا، لست مسلما، ولكن زوجتي مسلمة. فكيف تزوجها؟ وسألت المُضيِّفة: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، ولكن عائلتي مسلمة!

معناه أنهما ارتدا والعياذ بالله، ولذلك هم كانوا وضعوا خطة لتحويل إندونيسيا من الإسلام إلى النصرانية، انظر هم يعملون على تنصير المسلمين في أكبر دولتين في أفريقيا وآسيا: نيجيريا، وإندونيسيا، ووضعوا خطة لتنصير إندونيسيا في خمسين عامًا، ودخلوا بخيلهم ورَجْلهم، كان لهم حوالي ستين مطارًا في إندونيسيا، تعرفون أن إندونيسيا آلاف الجزر، المسلمون يتنقلون بينها عن طريق القوارب، والمنصرون يتنقلون عن طريق الطائرات، مليارات رُصدت لهؤلاء، فهؤلاء أرادوا أن ينصروا العالم، هذه هي العولمة الدينية.

العولمة تصب في مصلحة الصهيونية:

وأحب أن أقول أيُّها الإخوة: إن هذه العولمة الدينية كالعولمة الثقافية، وكالعولمة الاقتصادية، وكالعولمة السياسية، كلها تصب في النهاية في

QaradawiBooks.com

خدمة الصهيونية، هذا التنصير والعولمة الدينية تصب في صالح الصهيونية، لعلكم تعرفون أن هناك في أمريكا الآن شيئًا اسمه (الأصولية المسيحية)، وهي تعتمد على التوراة اعتمادًا أساسيًّا، ولها الآن انتشار هائل في أمريكا، يتبعها عشرات الملايين هناك، هذه الأصولية المسيحية تخدم إسرائيل، وترى أن انتصار إسرائيل، واحتلال اليهود للمسجد الأقصى، وإقامتهم للهيكل هو بشير للعودة الثانية للمسيح، ولذلك يؤيدون إسرائيل. والرؤساء الأمريكان الذين وقفوا مع إسرائيل بقوة.. هؤلاء كانوا يقفون من منطلق ديني، كارتر وريجان، وكلينتون وبوش.. هؤلاء ينطلقون من الأصولية المسيحية، يتعبدون بتأييد الكيان الصهيوني: إسرائيل.

ونحن نرى في المعركة الانتخابية الأمريكية الآن المرشحين من الحزبين الكبيرين؛ كلاهما ينافس الآخر ويزايد عليه في التقرب إلى إسرائيل، وخطب ودها، ولا تجد هذا أفضل من ذاك في هذه القضية، فعولمة الدين تعني في النهاية خدمة الصهيونية، وكل العولمات الَّتي تحدثنا عنها تصب في النهاية في خدمة الصهيونية.

ما موقفنا من هذه العولمة؟

بعض الناس يريد أن نغلق الأبواب، ونعيش في صومعة، ولا يكون لنا علاقة بالعالم من حولنا، هذا لم يعد ممكنًا. طريقة جماعة طالبان في أفغانستان أن نعيش وحدنا بعيدًا عن العالم، ونمنع التليفزيون، ونمنع المرأة من التعلم ومن الذهاب إلى المدرسة والجامعة، لا يمكن لدولة مثل هذه أن تعيش عالمها وعصرها.

ولا يمكن أيضًا أن نذوب في هذه العولمة الجديدة وتياراتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، ونتخلى عن شخصيتنا الإسلامية.

QaradawiBooks.com

الموقف الثالث إذن هو الموقف الوسط، أن نأخذ من العولمة خير ما فيها، نستفيد من آليات العولمة، من التقارب بين العالم. كان أحد الأدباء يقول: العالم أصبح قريتنا الكبرى، وأنا أقول: لا، بل العالم أصبح قريتنا الصغرى، لأن القرية الكبرى لا يعرف الناس في شرقها ما يجري في غربها، وأنا من قرية كبرى في مصر، كان فيها خمسة وعشرون ألفًا حين كنت صبيًّا، الآن لعلها مائة وخمسون ألفًا، هذه القرية في حينها لا يعرف الناس في شرقها ما يحدث في غربها إلا بعد يوم أو يومين.

أمَّا العالم الآن، فنحن نعرف ما يحدث في شرقه وما يحدث في غربه، بعد لحظات من وقوع الحادث، وأحيانًا نتابع الحادث أثناء وقوعه، تنقله وسائل الإعلام في الحال مصورًا في التليفزيون وغيره، فنحن في هذا العالم المتقارب لا نستطيع أن نعيش وحدنا، لا بدَّ أن نستفيد من هذا العالم ومن آلياته، وهذا ما جعلنا ندخل في القنوات الفضائية، بعض الناس يقول: يا أخي، هذه القنوات فيها مناظر محرمة وكذا. قلت له: يا أخي أنا أذهب إلي أي مكان وأستفيد من إمكاناته وأخاطب العالم بدعوتي.

والآن يوجد الإنترنت: هذه الشبكة الجبارة، لماذا لا نستفيد منها؟ وهذا ما جعلنا نقيم هذا الموقع الإسلامي العالمي العظيم موقع (إسلام أون لاين)؛ لنُكلم العالم من خلال هذه الشبكة، ونبلغ رسالتنا بلسان العصر، الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وما معنى بلسان قومه؟ أنا أفهم من هذه الآية معنى أعمق مما يرون أن معناها أن تكلم الإنجليز بالإنجليزية، والروس بالروسية، والصينيين بالصينية، هذا صحيح، ولكن أنا أفهم منها أيضًا أن

QaradawiBooks.com

تكلم الخواص بلسان الخواص، وتكلم العوام بلسان العوام، وتكلم أهل البدو بلسان أهل البدو، وتكلم أهل الحضر بلسان أهل الحضر، وتكلم الناس في الغرب في بلسان أهل الغرب، وفي الشرق بلسان أهل الشرق، والناس في القرن الحادي والعشرين تكلمهم بلسانهم لا بلسان عدة قرون مضت، هذا معنى ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾. هذا اللسان يعني مع لغة القوم عقلية القوم، فكل ناس لهم مدخل، يجب أن تدخل إليهم من المدخل الذي يؤثر فيهم والذي يقنعهم.

هذه هي العولمة إذا أردنا أن نستفيد منها، لا نرفضها رفضًا كليًّا، ولا نذوب فيها وننسى شخصيتنا وهويتنا، ولكن نأخذ منها وندع: باختيارنا، بحريتنا، بإرادتنا، لسنا عبيدًا لأحد، قد خلقنا الله أحرارًا فلن نكون عبيدًا لغيره، وقد خلقنا الله رؤوسًا فلن نكون أذنابًا لأحد، نحن خير أمة أخرجت للناس، نحن الأمة الوسط الَّتي جعلها الله شهيدة على البشرية، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فعلى هذه الأمة أن تعرف منزلتها وقيمتها ورسالتها في هذا العالم، ولا ينبغي لها أبدًا أن تغفل عن ذاتها، أو تتخلى عن رسالتها؛ فإن العالم محتاج إليها، عالمنا الذي استطاع أن يصل إلى القمر ويحاول أن يغزو الكواكب الأبعد، هذا العالم أشد ما يكون حاجة إلى رسالة الإسلام، هي طوق النجاة وسفينة الإنقاذ للعالم من المادية المسرفة، ومن الإباحية المجحفة، ومن هذا الضياع الذي يعيش فيه الناس في الغرب، هم في حاجة إلى ما يطفئ هذا السعار المادي، وهذا الحريق الإباحي.

QaradawiBooks.com

ولا يستطيع أحد أن يقدم لهذا العالم المنكود رسالة إنقاذ إلا أمة الإسلام، فعلى هذه الأمة أن تتقدم بمضخة الإطفاء وبقارورة الدواء لهذا العالم؛ حتَّى يعتصم بالله، وبهداية الله، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٥

الخطاب الإسلامي في عصر العولمة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومُخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزَّروه، ونصروه، واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

(١) أُلقيت في «جمعية الإصلاح» بدولة البحرين، على هامش المشاركة في مؤتمر «التقريب بين المذاهب الإسلامية»، في سبتمبر ٢٠٠٣م، وقدم لها الدكتور عصام البشير بكلمة تمهيدية، وكان مما قاله: أعترف في هذا المقام أنِّي تلميذ للشيخ يوسف القرضاوي، وامتداد لمدرسته ومنهجه المبارك، في الفكر والدعوة، وفي التجديد والاجتهاد، وفي الحركة والصحوة؛ لِمَا أرى من التزام هذا المنهج الذي يقوم على الشمول والتكامل والتوازن والاعتدال ورعاية الأولويات ما يكون سدادًا بين طرفي الإفراط والتفريط، وأحسب ـ ولا أقول ذلك إلا عن قناعة صادقة ـ أنَّ الشيخ القرضاوي علَّامة العصر، وفقيه الأمة، وشيخ الدعاة، وأستاذ المربين، وقد ترك لنا من منارات الهدى وبشائر الخير ما يكون هاديًا في هذا الظلام المدلهم، وهذه الخطوب التي تداعت على أمتنا، وما أقوله بين يدي الشيخ ما هو إلا ثمرة لما تعلمته من مدرسته الكبيرة، ومن ظله الوارف، ومن رياضه النضيرة:

نزلنا دوحة فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم.

QaradawiBooks.com

خيــر ما أحيِّيكم به أيُّها الإخــوة والأخوات تحيَّةُ الإســلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قدم عهدي بالبحرين:

عهدي بالبحرين ليس من ثلاثين سنة كما قال أخي الدكتور خالد، ولكنَّه منذ ســنة ١٩٦٢م، جئت قطر ســنة ١٩٦١م وفي الســنة الثانية زرت البحرين، وكانت هذه الجمعية تُسمى نادي الإصلاح، ولم يكن لها هذا المبنى الفخم، لكنا التقينا بالإخوة الأحبة منذ ذلك الحين، منهم من قضى نحبه مثل الأخ عبد الرحمن الجودر رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلًا.

الحقيقة أيُّها الإخوة أنِّي أعتبر البحرين بلــدي، وأعتبر أهلها أهلي، وأعتبرهم إخواني وأحبَّتي، ولا أعتبر نفســي في البحرين ضيفًا كما قال أخي الدكتور خالد، وهذا ما قاله لي أمس الشيخ خليفة بن سلمان رئيس الوزراء حفظه الله، وما قاله لي اليوم الملــك حمد بن خليفة حفظه الله، وأنا أعتبر نفسي هكذا في هذا البلد الكريم.

وأشكر لأخي الدكتور عصام البشير كلمته الوافية في هذا الموضوع، كما أشكر له كلمته عني وحسن ظنه بي، وهو في الحقيقة قمة من قمم العطاء في الفكــر والدعوة والتوجيه والتربية، وأســأل الله أن يبارك فيه، وإذا كان هو يعتبرني شيخه فأسأل الله أن يجعله خيرًا من شيخه، فالآباء دائمًا يتمنون أن يكون أبناؤهم خيرًا منهم، والشيوخ المخلصون يتمنون أن يكون تلاميذهم خيرًا منهم.

حديثنا أيُّها الإخوة عن الخطاب الإســلامي في عصر العولمة، فما الخطاب الإسلامي؟ وما عصر العولمة؟ وماذا ينبغي أن يكون عليه هذا الخطاب؟ وهل يتغير الخطاب من عصر إلى عصر؟

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الخطاب الإسلامي:

أوَّلًا: الخطاب الإسلامي هو كل بيان يُوجَّه إلى مسلم أو غير مسلم؛ لتعليم الإسلام، أو الدعوة إلى الإسلام، سواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملات أو الأخلاق، أو في أي ناحية من نواحي الإسلام.

وقد يكون هذا البيان في صورة فكريَّة فلسفيَّة؛ كما يفعل أهل الفلسفة والفكر وعلم الكلام، وقد يكون في صورة فقهيَّة تشريعيَّة؛ كما يفعل أهل الفقه، وقد يكون في صورة دعوية توجيهية، وهذا الجانب الدعوي هو ما يغلب على الخطاب الإسلامي، ولكنَّه يشمل أيضًا الجانب الفقهي والجانب النظري والفلسفي في تقديم الإسلام.

هذا البيان يأخذ صورًا عدة، قد يكون في صورة محاضرة كهذه المحاضرة، قد يكون في صورة خطبة منبريَّة يوم الجمعة، قد يكون في صورة درس من الدروس في مسجد أو في ناد أو في جمعية، قد يكون في صورة الحديث العادي عن الإسلام، قد يكون كلمة مكتوبة في مقالة أو رسالة أو كتاب، قد يكون في صورة قصة أو رواية، قد يكون في صورة قصيدة شعرية، قد يكون في صورة عمل درامي، تمثيلية أو فلم أو مسلسل أو مسرحية، كل هذه صور من صور الخطاب الإسلامي.

ولذلك إذا أردنا ـ أيُّها الإخوة ـ أن نتحدَّث عن الخطاب الإسلامي فيجب أن نعمم هذه الصور كلها؛ إذ لم يعد الخطاب الإسلامي مقصورًا على خطبة الجمعة، ودرس المسجد، ومحاضرة الجمعية، لا، بل أصبحت عندنا وسائل هائلة وآليات ضخمة جدًّا يمكن أن تخدم الخطاب الإسلامي.

هذا من ناحية مفهوم الخطاب الإسلامي كما يتبين لي.

QaradawiBooks.com

تغير الخطاب الإسلامي:

نحن نتحدث عن الخطاب الإسلامي في عصر العولمة، فهل يتغير الخطاب الإسلامي من عصر إلى آخر؟

نعم يتغير الخطاب الإسلامي من عصر إلى آخر، ويتغير من بيئة إلى أخرى، ويتغير من حال لآخر، إذا كان علماؤنا الأقدمون قالوا: الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. وهذا ما ذكرناه في كتبنا، ودللنا عليه بأدلة كثيرة، ومثَّلنا له بأمثلة شتى، من ذلك ما ذكرته في كتابي «عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية»، ذكرت أنَّ النبي ﷺ كان يجيب عن السؤال الواحد بعدة إجابات، يُسأل: ما أفضل الأعمال؟ فيقول: «**برُّ الوالدَيْنِ**»[(١)]. ويقول لآخر: «**أن تُطْعِمَ الطعامَ، وتقرأَ السلامَ**»[(٢)]. ويقول لآخر: «**الجهادُ في سبيل الله**»[(٣)]. ويقول لآخر: «**الصلاةُ لوَقْتِها**»[(٤)]. وهكذا!

لماذا اختلف الجواب عن السؤال الواحد؟ لأنَّه يراعي حال المخاطَب، ويُعطي كل واحد ما يحتاج إليه، يرى واحدًا فيه نوع من العصبية وشدة الغضب وسرعته فإذا طلب منه وصية يقول له: «**لا تغضبْ**»[(٥)]. هذا الأوفق لحاله، ويقول لآخر: «**قلْ: آمنتُ بالله ثمَّ استَقِمْ**»[(٦)]. ويقول لآخر: «**كُفَّ عليكَ لسانَكَ**»[(٧)]. سأله سائل عن القبلة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (٨٥)، عن ابن مسعود.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، كلاهما في الإيمان، عن عبد الله بن عمرو.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.
(٤) جزء من الحديث السابق.
(٥) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.
(٦) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.
(٧) رواه أحمد (٦٩٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الملاحم (٤٣٤٣)، =

QaradawiBooks.com

للصائم، فرخَّص له أن يُقبِّل امرأته وهو صائم، وآخر لم يُرخِّص له، فإذا الَّذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب[١]، الشيخ الَّذي يأمن على نفسه رخَّص له أن يُقبِّل، والشاب الَّذي لا يأمن على نفسه لم يُرخِّص له في هذا الأمر، وهكذا يعطي كل إنسان من الدواء ما يرى أنَّه أشفى لمرضه، وأصلح لأمره.

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، جاء رجل إلى ابن عباس يسأله: هل للقاتل من توبة؟ فأمعن النظر في الرجل، ثم قال له: ليس للقاتل توبة. فقال له أصحابه: كنا نسمع منك أن للقاتل توبة! فقال لهم: إنِّي نظرت في عينيه فجدته رجلًا مُغضَبًا؛ يريد أن يقتل مؤمنًا[٢]. فهناك فرق بين رجل ارتكب الخطيئة وجاء يقول له: أنا قتلت، فهل للقاتل من توبة؟ في هذه الحالة سيفتح له الباب، لكن هذا الرجل جاء يريد فتوى من ابن عباس تجيز له القتل فسد عليه الباب، وقال: لا، ليس للقاتل توبة. حتى لا يقع في هذه الخطيئة الكبرى! ولذلك قال العلماء: الفتوى قبل الوقوع في العمل غير الفتوى بعد الوقوع في العمل. وأنا أحيانًا يأتيني واحد يقول: أنا حلفت على زوجتي بالطلاق ألا تفعل كذا. فأقول له: هل فعلت؟ قال: لا. فأقول: خلنا حتى تفعل ما حلفت عليه. لكن لو قال: حلفت ألا تفعل كذا وفعلته. حينها أنظر له فتوى على مذهب ابن تيمية أو غيره، وهكذا.

= والحاكم في الأدب (٢٨٢/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(١) سبق تخريجه صـ ٢٢٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الديات (٢٨٣٢٦)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٤٥٤/٤): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

تغير الفتوى بتغير موجباتها:

الشـــاهد أيُّها الإخوة أنَّ علماءنا قرروا أنَّ الفتوى تختلف وتتغير بموجبات شتى، وهذا ما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية كما روى ابن القيم في فصله الممتع في «إعلام الموقعيـــن» أن ابن تيمية مر على جماعة من التتار، وكان التتار قد أســـلموا، وفي أول أمرهم لم يكن إسلامهم حسنًا، فكانوا يرتكبون الموبقات، ويقتلون الناس، ويشربون الخمور، وينهبون الأموال، فمر ابـــن تيمية ومعه جماعة من أصحابه على جماعة من التتار ســـكارى يشـــربون الخمـــر، فزجرهم بعض أصحابه: يا أعداء الله تشربون الخمر أم الخبائث، وكذا. فقال لهم ابن تيمية: إنَّما حـــرَّم الله الخمـــر لأنَّها تصد عن ذكـــر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن ســـفك الدماء ونهب الأموال، فدعهم في سكرهم ولهوهم[1]. هذا يدلنا على أنَّ الفتوى إذا كانت تتعلق بأحكام شـــرعية، بحلال وحرام، ووجوب، واســـتحباب تتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان.

وإذا كان الأمر هكذا أفلا يتغير الخطاب الإسلامي؟

قطعًا يتغير الخطاب الإســـلامي: خطاب المسلمين غير خطاب غير المسلمين، خطاب المسلم العاصي غير خطاب المسلم الملتزم، خطاب العاصي المصر على المعصية غير خطاب العاصي التائب، خطاب الرجل غير خطاب المرأة، خطاب الكبير غير خطاب الصغير، خطاب الناس في الريف غير خطاب الناس في الحضر.

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (١٣/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

معنى (بلسان قومه):

وقد أشار الأخ الدكتور عصام البشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤]. وأنا ذكرت فعلًا أنَّ اللسان هنا ليس مجرد اللغة ـ أن تكلم الإنجليز بالإنجليزية، والروس بالروسية، والصينيين بالصينية، هذا طبعًا لا بدَّ منه، لأنَّه ليس معقولًا أن تكلم إنسانًا بغير لسانه ـ لكن كلمة اللسان لها معنى أعمق وأخص من هذا، وهو أن تكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، وأهل القرية بلسان أهل القرية، وأهل المدينة بلسان أهل المدينة، وأهل الغرب في أوروبا وأمريكا تكلمهم بلسان أهل الغرب، والناس في القرن الحادي والعشرين تكلمهم بلسانهم لا بلسان عدة قرون مضت.

بعض الدعاة ذهب إلى أمريكا وألقى محاضرة طويلة عريضة في الحملة عن الَّذين يزورون أضرحة الأولياء، ويتمسحون بها، وينذرون لها النذور، ويوقدون لها الشموع، وليس في أمريكا أولياء ولا أضرحة ولا هذه الأشياء، لكنَّه جاء من قرية من قرى مصر أو باكستان أو اليمن أو الهند، وفي ذهنه أشياء معينه حفظها وجاء ليلقيها، لا، هذا لم يتكلم بلسان قومه، ولذلك لم يبين لهم، فمن المهم فعلًا أن يُراعي الإنسان الزمان والمكان والحال والإنسان فيمن يخاطبهم؛ فالخطاب الإسلامي يتغير فعلًا.

حينما ننظر إلى القرآن الكريم نجد ـ كما يقول علماء القرآن ـ هناك قرآن مكي، وقرآن مدني، هناك نحو ثمانين سورة نزلت في مكة، وسور أخرى نزلت في المدينة، تجد الخطاب القرآني في مكة غير الخطاب

QaradawiBooks.com

القرآني في المدينة، لأن هذا يخاطب مشركين وهذا يخاطب مؤمنين، قالوا: لم يوجد خطاب (يا أيُّها الَّذين آمنوا) في القرآن المكي. قبل الهجرة لم يُعرف الخطاب بـ (يا أيُّها الَّذين آمنوا)، لكن بعد الهجرة تكونت الجماعة المؤمنة في يثرب، أو المدينة؛ كما سميت، فأصبح الخطاب موجَّهًا إليها: (يا أيُّها الَّذين آمنوا).

والخطاب في مكة له أسلوب خاص، نبرة سريعة، كأنه سياط تلهب، حينما تقرأ سورة الشعراء مثلًا أو سورة الرحمن أو سورة الواقعة، غير ما تقرأ سورة المجادلة مثلًا، أو تقرأ جزء تبارك المكي، وجزء (قد سمع) المدني، تجد الموضوع غير الموضوع، والأسلوب غير الأسلوب؛ لأن المخاطَب غير المخاطَب، وهذا يدلنا أنَّ الخطاب لا بدَّ أن يتغير، لا يلزم صورة واحدة، وصيغة واحدة، وأسلوبا واحدًا.

تجديد دين الأمة:

وفي السُّنَّة نجد النبي ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائةِ سنةٍ من يُجَدِّد لها دِينَها**»[1]. ما معنى يُجَدِّد لها دِينَها؟

بعض كبار الدعاة أنكر هذا الحديث وقال: وهل يتجدد الدين؟ هل سنعمل طبعة جديدة للقرآن؟ ولكن الحديث صحيح، صحَّحه الأئمة المعتبرون في هذا الشأن، وهو فسره على أنَّه تغيير الدين بالكلية، لا!

ما معنى تجديد الشيء؟ إذا كان عندك جامع أثري أو قصر أثري، وأردت أن تجدده فليس التجديد أن تهدم هذا القصر، ثم تعمل مكانه

(١) سبق تخريجه صـ١٢.

QaradawiBooks.com

قصرًا على أحدث طراز، لا، ليس هذا من التجديد في شيء، التجديد أن تُبقي على أصله وعلى جوهره، وترمم ما بلي فيه أو ضعف، وتحافظ على نقوشه، يمكن أن تطعِّمها، أو تعيد صباغتها، لكن يبقى الجوهر والمعالم الأساسية.

كذلك إذا أردنا أن نجدد الدين نُبقي جوهره، نعيده إلى ما كان عليه الحال يوم نشأة الدين وظهوره، نعيده إلى طرازه الأول، نجدد أساليب الدعوة إليه، أساليب عرض الدين، هذه هي التي تتغير، فهذا الحديث يعطينا شرعية التطوير والتجديد لأسلوب الخطاب الديني بحيث يلائم عصرنا، ويخاطب العقل المعاصر.

معالم الخطاب الإسلامي:

وإذا أردنا في الحقيقة أن نتحدث عن معالم هذا الخطاب فأنا أعتقد أن عندنا آية كريمة هي التي تحدد وتجسد معالم الخطاب الإسلامي، وهي قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. هذه الكلمات القرآنية الموجزة المركزة تحدد معالم هذا الخطاب المنشود.

المكلفون بالقيام بالدعوة:

أولًا من الداعي؟ كلمة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، هي خطاب للنبي ﷺ ولكل من يتأتى خطابه من الأمة من بعده، فليس النبي ﷺ هو المخاطَب فقط المطلوب منه أن يدعو، لا، كل مسلم موجه إليه هذا الخطاب، ولذلك أنا أقول: كل مسلم داعية، لأن الله تعالى يقول: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت من أتباع

QaradawiBooks.com

محمد ﷺ فيجب أن تكون داعيًا إلى الله، وداعيًا على بصيرة! كل مسلم داعية، غاية ما في الأمر أن هناك من يدعو بتأليف كتاب، ومن يدعو بإلقاء محاضرة أو خطبة أو درس، ومن يدعو بالأسوة الحسنة، بالصحبة الطيبة، بالمعاشرة الكريمة.

بماذا نشر المسلمون الإسلام في الزمن الأول؟ نشروه بأخلاقهم، هناك بلاد معروفة لم يدخلها جيش إسلامي قط، مثل ماليزيا وإندونيسيا والفلبين، وكثير من بلاد أفريقيا، كل هذه بلاد ما دخلتها جيوش إسلامية، انتشر الإسلام فيها بانتشار أخلاقيات المسلمين، ولم ينشر هذه الأخلاقيات دعاة محترفون، لم ينشئ المسلمون مؤسسة دعوية محترفة كما فعل النصارى، وإنَّما جماعة من إخواننا في اليمن من حضرموت والمناطق الجنوبية هناك، كانوا يذهبون إلى تلك البلاد للتجارة، يبيعون لهم أشياء، ويشترون منهم أشياء، ويجلسون عندهم مددًا فيرى الناس فيهم حب الخير، والمعونة للناس، وإغاثة الملهوف، والرحمة بالضعيف، وإعطاء كل ذي حق حقه، والصدق في القول، والأمانة في المعاملة، والإتقان للعمل، مجموعة أخلاقيات! ثم إذا جاء وقت الصلاة قاموا وتوضؤوا وصلوا وكذا! ناس يؤدون حق الله وحق عباده، فيسألهم الناس: من أنتم؟ نحن مسلمون. وما الإسلام؟ وطبعًا عندما يشرح الإسلام واحد غير متخصص يشرحه بكلمات بسيطة واضحة، يقول: الإسلام أن تعبد الله، وتصلي وتزكي مالك، وتحب للناس ما تحب لنفسك وكذا. فيسأله الناس: وكيف أصير مسلمًا؟ يقول: قل: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. ليس هناك أي طقوس ولا أي مراسم ولا أي اشتراطات كما تشترط الأديان الأخرى، فيدخل الناس في دين الله أفواجًا.

QaradawiBooks.com

ولذلك فأنا أقول: كل المسلمين دعاة، يجب أن يحمل كل مسلم الدعوة إلى الله، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، هذا خطاب للمسلمين جميعًا، وهذا لا يمنع أن نكوِّن أناسًا متخصصين في الدعوة، أمة للدعوة، طائفة للدعوة كما قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. على أحد التفسيرين، لأن هناك تفسيرًا يقول: اجعلوا منكم طائفة متخصصة. وهناك تفسير آخر يقول: كلمة (مِنْ) تفيد البيان في الآية ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾. أي: كونوا جميعًا أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، كما تقول: ليكن لي منك الصديق الصالح. أي: كن أنت الصديق الصالح، فأول معلم من معالم الدعوة إذن هو عموم الدعوة لكل المسلمين.

محتوى الدعوة وهدفها:

ثم إلامَ ندعو؟ الدعوة إلى سبيل ربك، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، طريق ربك، منهج ربك، الدعوة إلى منهج الله، ما قاله الدكتور عصام (الربانية)، ربانية المصدر، وربانية الغاية، الدعوة في الإسلام مصدرها وأساسها رباني، لسنا مبتدعين في الدعوة، بل لابد أن نعتمد على أصول ربانية، على الوحي الإلٰهي، هذا معنى الربانية! الإنسان لا يدعو إلى نفسه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، كل الأنبياء والرسل يدعون إلى الله، كان النداء الأول في كل رسالة: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛

QaradawiBooks.com

فالدعوة إلى توحيد الله ﷻ. ورفض كل الآلهة الزائفة، والأرباب الباطلة هي دعوة الإسلام ودعوة الأنبياء.

غير مرخصة للطباعة

ربانية المصدر والغاية:

وكان النبي ﷺ يختم رسائله إلى الملوك؛ وخاصة ملوك وأمراء أهل الكتاب ـ قيصر والمقوقس والنجاشي ـ بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. هذه دعوة لتحرير البشر من العبودية للبشر، ليس هناك رب غير الله، الَّذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، والذين اتخذوا ملوكهم وأباطرتهم أربابًا من دون الله، كل هؤلاء مرفوضون في الخطاب الإسلامي والدعوة الإسلامية، الدعوة إلى الربانية مصدرًا، وإلى الربانية غاية.

ومعنى الربانية غاية أنَّ الغاية القصوى هي إرضاء الله تبارك وتعالى، هناك غايات قريبة، وهناك غاية بعيدة، يقولون في الأمثال: الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش. ولكن العيش أيضًا ليس هو الغاية الأخيرة، فالسؤال قائم: ولماذا يعيش العاقل؟ يعيش العاقل ليعرف الله تعالى ويعبده، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هذه هي غاية الغايات، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، فالمعلم الثاني للدعوة أنَّ الخطاب الإسلامي خطاب رباني، رباني في مصدره وأساسه، ورباني في غايته ووجهته.

QaradawiBooks.com

خطاب العقول بالحكمة والحجة:

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. الحكمة وضع الشيء في موضعه، فلا بدَّ أن تخاطب الناس بالحكمة، ومعناها أن تخاطبهم بما يقنع عقولهم، ويقيم عليهم الحجة، ولا يبقي لهم عذرًا، هذا هو الخطاب بالحكمة، الخطاب الَّذي يخاطب العقول فيقنعها ولا تجد مهربًا، وهذا ما جاء به الإسلام.

جاء الإسلام يخاطب العقول، هناك بعض الأديان أيُّها الإخوة تعتبر العقل بمعزل عن قضية الدين، وتعتبر أنَّ الدين يقوم على الوجدان فقط، ولذلك يقولون عندهم: اعتقد وأنت أعمى، أو أغمض عينيك ثم اتبعني.

أمَّا عندنا في الإسلام فيجب أن تعتقد وأنت تعقل، المحققون من علمائنا يقولون: إن إيمان المقلد لا يُقبل. لا بدَّ أن يكون إيمانًا مبنيًّا على دليل، ولو إجماليًّا، ليس من المهم أن يبني الدليل بناء منطقيًّا؛ من مقدمة ونتيجة كما يعرفه المتخصصون، لكن إذا سألته: لماذا تؤمن بالله؟ يقول ببساطة: ولِمَ لا أؤمن؟ من الَّذي خلقني إذن؟ ومن الَّذي خلق السموات والأرض؟ هو يشير إلى قانون السببية أو قانون العلة، أن كل معلول له علة، وكل حركة لها محرك، الَّذي عبر عنه الأعرابي ببساطة حينما سألوه: كيف عرفت الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي القدير؟ وإذا سألته: لماذا آمنت بمحمد؟ يقول ببساطة: ومن أين جاء هذا القرآن الَّذي أعجز العرب؟ إذا كان كاذبًا فكيف نصره الله على أعدائه؟ هذه كلها أدلة قوية رغم بساطتها.

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أن تقوم العقيدة على البرهان اليقيني لا على الظن، الله تعالى يقول عن المشركين: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]. ويقول عن النصارى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧]. الظن في مقام تأسيس العقائد لا يغني، لا بدَّ أن تقوم العقائد على اليقين البرهاني، الَّذي لا يتزعزع في نفس الإنسان قط.

ولهذا يخاطب القرآن العقول، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، يقول لهم: أنا أطلب منكم خصلة واحدة فقط: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾: أي تقوموا مخلصين في طلب الحقيقة، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، بعيدًا عن تأثير العقل الجمعي؛ لأن الإنسان وسط العقل الجمعي لا يفكر، وإنَّما يغلب عليه المحاكاة والتقليد والخوف والوجل والمجاملة، ففكر إما مع صديق لك تأنس إليه، وإما وحدك، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، فكروا في أمر النبوة هذا: هل صاحبكم هذا كذاب أو ساحر أو مجنون أو صادق؟ فهذا هو الإسلام دعوة للتفكر.

الإسلام يقوم على مخاطبة العقول وتحريكها، لا يخاف من تحريكها، بل يرى أنَّ العقول يجب أن تتحرك، ولذلك هو هنا يخاطب الناس بالمنطق العقلي، بالحكمة التي تخاطب العقول، وتنير العقول، وتقنع العقول، وليس قائمًا على الغوغائية أو العاطفية، لا، بل قائم على

QaradawiBooks.com

العقلانية، انظر إلى القرآن الكريم يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]. عالج هذه القضية الخطيرة؛ قضية وجود الله بهذه الكلمة القليلة، ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾؟ يتحدث عن قانون العلية، أنَّه لا شيء مخلوق بغير خالق، لا، بل لكل حركة محرك، ولكل معلول علة، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟ هل هم الَّذين خلقوا أنفسهم؟ ليس معقولًا أن يخلق الإنسان نفسه، لأنَّه كان عدمًا؛ فكيف ينشئ العدم الوجود؟ هذا لا يُعقل، ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟ لم يدع أحد هذا، لأن السموات والأرض كانا مخلوقين قبل الإنسان، حين قال فرعون: أنا ربكم الأعلى. أو حين قال النمروذ: أنا أحيي وأميت. كانت السموات والأرض مخلوقتين قبلهما، فلا يمكن أن يكونا خلقاهما، هذا هو منطق الحكمة، ومنطق العقل، فأول أسلوب من أساليب الدعوة التي يرسمها القرآن: الدعوة بالحكمة. والدعوة بالحكمة أيضًا أن تخاطب كل أناس أولًا بما يفهمونه، وثانيا بما يَلزمهم!

خطاب مبين واضح:

والخطاب الإسلامي يمتاز بأنَّه خطاب مبين، الله تعالى يقول: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]. لا بدَّ أن تتوافر في الدعوة الإبانة والإيضاح الكامل، القرآن يقول: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. ولذلك فإن الخطاب الغامض الملغز ليس خطابًا إسلاميًّا، لا بدَّ أن يكون خطابًا مبينًا يفهمه الخاص والعام، ويصل إلى كل الناس، وإلا لم يكن خطابًا إسلاميًّا، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، إذا لم يكن

QaradawiBooks.com

الخطاب مبينًا فلن يؤدي الرسالة، فمن الحكمة أن نخاطب الناس بما يصل إلى عقولهم، ويستطيع الجميع أن يفهموه! يمكن أن تفسر الحكمة بأشياء كثيرة، بحيث لا نصف الخطاب بالحكمة إلا إذا استجمع هذه الأشياء كلها.

خطاب القلوب بالموعظة الحسنة:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]. الموعظة هي مخاطبة القلوب والمشاعر بما يحركها، ويثير فيها البواعث الدافعة إلى فعل الخير، أو الزاجرة عن فعل الشر، وهذا الخطاب يناسب صنفًا من الناس، الخواص يغلب أن تخاطبهم بأسلوب الحكمة، بما يستثير عقولهم ويقنعها، والعوام يغلب أن تخاطبهم بأسلوب الوعظ، بما يحرك عواطفهم.

وإن كان المفروض أن يجمع الخطاب الإسلامي بين الأمرين؛ على طريقة الخطاب القرآني الَّذي يجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة، لأن الخطاب القرآني ليس خطابًا فلسفيًّا، أو خطابًا على طريقة علماء المنطق، انظر إليه يقول: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. يمزج بين الإقناع بالإمتاع؛ لأنَّه يخاطب الكيان البشري كله، لا يخاطب العقل فقط؛ بل يخاطب القلب والوجدان أيضًا، يخاطب الكيان الإنساني كله، يحركه كله! المفروض أن نمزج بين هذا وذاك في كل الخطابات، ولكنْ هناك أناس ينبغي أن نغلب الجانب العقلي في مخاطبتهم، وهناك أناس ينبغي أن نغلب الجانب العاطفي في مخاطبتهم.

QaradawiBooks.com

الموعظة هي التي تحرك القلوب، وكثيرًا ما يحتاج الإنسان إلى الوعظ الَّذي يحرك قلبه، خصوصًا أنَّ العوائق عن الخير كثيرة، والمغريات بالشر كثيرة، والإنسان في حاجة إلى من يحركه؛ حتى يسابق إلى فعل الخيرات، ويمتنع عن ارتكاب الشرور والقبائح، وهذا كله يحتاج إلى مشاعر، فالإنسان لا يحركه العقل وحده، لا، بل للقلب أو ما نسميه العاطفة أو المشاعر أهمية كبيرة، لا بدَّ من هذا بجوار ذاك؛ ولذلك قال القرآن لسيدنا موسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]. هذا الرجل الجبار في حاجة إلى تحريك مشاعر الخوف والرجاء عنده: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾، ولذلك حينما ذهب سيدنا موسى إليه قل له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]. بهذا العرض، لم يقل له: يا رجل يا جبار كذا.

دخل أحد الوعاظ مرة على الخليفة المأمون وقال له: يا ظالم، يا جبار، يا فاسق، يا كذا. فقال له: يا هذا، ارفق؛ إنَّ الله بعث من هو خير منك، إلى من هو شر مني وأمره بالرفق. قال: من؟ قال: بعث الله موسى وهارون، وهما خير منك، إلى فرعون، وهو شر مني، فقال لهما: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤][1].

لا بدَّ إذن من استعمال الموعظة، بل والموعظة الحسنة، هناك بعض الناس تسمع لهم كأنهم يقذفونك بالحجارة: كلامهم خشن، كأنهم يقرؤونها: الموعظة الخشنة، بدلًا من الموعظة الحسنة! لا، نحن نريد

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣١٧/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الموعظة الحسنة، الحسنة في أسلوبها، في رقة ألفاظها، في جمال أسلوبها، في أن تضعها في موضعها أيضًا، وقد سمعتم الدكتور عصام يقول: لا تأت إلى عرس وتتكلم في الأحزان.

لكل مقام مقال:

وفي السنوات الأخيرة حضرت كثيرًا من الأعراس، حتى وجدت الأخوات يغنين للعروسة يقلن: يا عروسة وتحجي بيت الله أو نحو ذلك. قلت لهن: ولما لا تقلن: يا عروستنا يا لوز مقشر.. كذا. على طريقة المصريين، هذا غناء العرس، لكن: تحجي بيت الله هذه موعظة، درس في الدين وليست أغنية عرس، ولذلك عرف العلماء البلاغة بأنها مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، أن تراعي الحال، حال الحزن لها كلام، وحال الفرح لها كلام، وحال الحرب لها كلام، وحال السلم لها كلام، فلا بدَّ أن يراعي الإنسان المقام، لكل مقام مقال.

الحوار بالتي هي أحسن:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. أحيانًا يكون الخطاب بالحكمة، وأحيانًا يكون بالموعظة، وأحيانًا يكون بالجدال بالتي هي أحسن!

الجدال هو ما نسميه في عصرنا (الحوار)، لأن كلمة الجدال توحي بالغلبة والمماراة، فاختار الناس كلمة الحوار، والحوار والجدال نفس الشيء، القرآن يقول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة: ١]. فلا بأس أن نستخدم كلمة الحوار؛ إذا كانت كلمة الجدال لها وقع أو إيحاء يوحي بغير المقصود منها.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت الحكمة والموعظة تستخدم كلتاهما مع الموافقين فالجدال يستخدم مع المخالفين، ولذلك لم يقل في الجدال: وجادلهم جدالًا حسنًا. كما وصف الموعظة بالحسنة، ولكن قال: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. معنى هذا أنَّه إذا كانت هناك طريقتان للجدال: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فالمطلوب من الداعية المسلم أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود؛ لأن الموافق يكفيه أقل شيء، يكفيه أن تكون الموعظة حسنة، أمَّا المخالف فيحتاج أن تختار له أحسن الطرق، أرق الألفاظ، وأجمل الأساليب، الأشياء التي تقربه إليه وتؤنسه بك، وتذهب من قلبه وغارة الصدر، يحتاج إلى هذا كله.

والقرآن ضرب لنا أمثلة في هذا الجدال، حينما كان القرآن يُعلِّم الرسول أن يقول للمشركين: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]. هل كان الرسول يشك في أنَّه على الهدى وأن المشركين في ضلال؟ لا، ولكنَّه يعلمه أن يخاطبهم بما يقربهم إليه، ما يسميه العلماء: (إرخاء العنان للخصم)، أرخِ له العنان حتى يستطيع أن يقترب منك، لا تفاجئه بما يصدمه أو بما يبعده عنك، لا، بل يقول لهم: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾. ثم قال: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. كان مقتضى المقابلة أن يقول: قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون. لكنَّه نسب الإجرام إلى نفسه، ولم يرد أن ينسب الإجرام إلى مخالفيه، قال: ﴿وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾. انظر أي أدب، وأي ذوق، وأي تلطف في جدال الخصم وحواره؟ هذا ما يريده الإسلام منا.

QaradawiBooks.com

ونقول: إذا كان هو المطلوب منا في خطاب غير المسلمين، فما بالك بخطاب المسلمين مع المسلمين؟ مهما كانت الخلافات بين بعضهم وبعض، الله تعالى يقول في خطاب أهل الكتاب وحوارهم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. ما عدا الظالمين منهم مثل اليهود الآن، فهؤلاء ظلمونا، وليس بيننا وبينهم الآن إلا الجهاد والمقاومة، لكن أهل الكتاب عامة مطلوب منا ألا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن، بصيغة أشد من: جادلوهم بالتي هي أحسن، لا، بل لا تجادلوهم إلا بالتي هي أحسن، كأن كل طريقة محظورة وممنوعة إلا طريقة الجدال بالتي هي أحسن، كأنها هي الطريقة الواجبة اللازمة المفروضة على المسلمين.

من مجالات التعاون مع غير المسلمين:

ومن هذه الطريقة الأحسن: أن تذكروا الجوامع المشتركة بينكم وبين من تجادلونهم، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾، أي اذكر ما يجمع بينك وبين خصمك، هناك أشياء مختلف فيها. وليس من مقام الحوار بالتي هي أحسن أن تذكر نقاط التمايز ونقاط الاختلاف، ولكن اذكر نقاط الاتفاق، ولذلك نحن التقينا بالمسيحيين والكرادلة والأساقفة، وأنا قلت: إن هناك مجالات نستطيع أن نتعاون فيها، ونعمل فيها جنبًا إلى جنب، من هذه المجالات مقاومة الإلحاد، الناس الَّذين يقولون: ليس هناك إلٰه ولا وحي ولا آخرة ولا عبادة لله ولا قيم أخلاقية ثابتة، هؤلاء الَّذين يقولون: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله. الماديون عامة يقولون: فكرة الألوهية هذه فكرة

QaradawiBooks.com

مخترَعة، اخترعها الإنسان. ولذلك يجب على أهل الأديان السماوية جميعًا أن يتعاونوا ويتكاتفوا ليقفوا ضد موجة الإلحاد هذه.

ومن مجالات التعاون أيضًا مجال مقاومة الإباحية السارية في الحضارة الغربية، فكما تتميز هذه الحضارة بجذورها المادية تتميز بفلسفتها الإباحية، أنَّها حللت الإنسان من الفضائل والأخلاق، وأصبح كل شيء مباحًا عندها، الزنا مباح، والشذوذ مباح، وشرعت زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، الأسرة ذات الجنس الواحد، وللأسف كثير من الكنائس باركت هذا الزواج، وكثير من القوانين أباحت هذا الزواج، وأصبح لهؤلاء الشذاذ والعراة قيمة في المجتمع، أصبحوا يفرضون آراءهم ويؤثرون في الانتخابات، هذا موجود في المجتمع الغربي، فعلى أهل الأديان السماوية أن يقفوا معًا ضد هذه الإباحية.

ولذلك في مؤتمر السكان الَّذي عُقد في صيف ١٩٩٤م في القاهرة وقف مندوب الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان، مع رجال الأزهر، مع رابطة العالم الإسلامي مع مندوب جمهورية إيران الإسلامية؛ جنبًا إلى جنب، ضد الدعوة إلى العري والإباحية ورفع سلطة الوالدين عن الأولاد، وإطلاق الحرية الجنسية للأولاد، وإباحة الإجهاض بإطلاق إلى آخره، فهذا من مجالات التعاون بين الأديان السماوية.

ومن مجالات التعاون أيضًا مجال حقوق الإنسان وتحقيق العدل، والقضايا التي يُظلم فيها الإنسان؛ مثل قضية فلسطين وغيرها، يجب أن يتعاون أهل الأديان جميعًا فيها.

الشاهد أيُّها الإخوة أنَّ ذكر الجوامع المشتركة مع من تحاوره هو من معالم الخطاب الإسلامي.

QaradawiBooks.com

الخطاب الإسلامي الناجح:

إنَّ الخطاب الإسلامي الناجح في عصرنا هو الَّذي يراعي هذه الأمور كلها، يتمسك بالأصول، وكما قالوا: ما حرمنا الوصول إلا بتضييعنا الأصول.

ويراعي المعاصرة، يعيش هذا العصر، كان السلف يقولون: رحم الله امرأً عرف زمانه، واستقامت طريقته[١]. وفي صحف إبراهيم كما روى ابن حبان في صحيحه، من حديث أبي ذر: ينبغي للعاقل أن يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلًا على شانه[٢]. فيجب أن يعرف العصرَ صاحبُ الخطاب الإسلامي الَّذي يمكن أن يكون داعية، ويمكن أن يكون إعلاميًّا، ويمكن أن يكون قصَّاصًا! يجب أن يعرف عصره، ويخاطبه باللغة التي تناسبه، وبالأسلوب الَّذي يؤثر فيه!

بهذا ننجح في هذا العصر، الَّذي أصبحنا نحن المسلمين فيه في وضع عصيب، وفي حال يرثى لها، وأصبحنا نُغزى في عقر دارنا، وطمع فينا من لا يدفع عن نفسه، وغلبنا كل مُغلَّب، وتجرأ علينا الجبان، وتعزز علينا الذليل، في هذا العصر ينبغي أن نعتمد على إسلامنا، ونكون دعاة لهذا الدين بكل أسلوب.

أساليب الخطاب الإسلامي في هذا العصر:

وقد أعطانا عصرنا أساليب لم يكن عند الأولين منها شيء، مثل أسلوب الإنترنت، ونحن قمنا بإنشاء موقع اسمه (إسلام أون لاين) يدعو

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٢٩/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٦١)، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدًّا. عن أبي ذر. ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣١)، عن وهب بن منبّه، قال: في حكم آل داود. فذكره.

QaradawiBooks.com

إلى الإسلام عن طريق هذه الشبكة الجبارة التي تدخل على الناس بيوتهم في كل مكان في العالم، ولا تحتاج إلى إذن من دولة، ولا من حاكم، ولا من سلطة، أصبح الكل يراها، والقنوات الفضائية أيضًا، كل هذه الأساليب العصرية الكبيرة أصبحت عندنا، ويمكن أن نستخدمها، ولكنا لا نستخدمها كما ينبغي.

تقصير المسلمين نحو دينهم:

أنا أقول: المسلمون مقصرون في أداء واجبهم نحو خطابهم الإسلامي، لم يبلغوا العالم دينهم، منذ سنتين تقريبًا بدأ العالم في المليار السابع، العالم الآن زاد عن ستة مليارات من البشر، أنا أعتقد أن هناك ثلاثة مليارات يعيشون ويموتون ولم يسمعوا عن الإسلام شيئًا، كثير من الشعوب في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ما سمعوا عن الإسلام، وهناك ثلاثة مليارات أخرى سمعوا عن الإسلام ما لا يرغب فيه، أخذوا عن الإسلام صورة شائهة! تعرفون أنَّه منذ عهد الحروب الصليبية أشاع الصليبيون عن الإسلام إشاعات كاذبة، أن في بلاد العرب قام رجل يمسك السيف بيده اليمين يُقتِّل الناس، وكلما وجد امرأة جميلة يضمها إلى حريمه، وأن هؤلاء المسلمين مصاصو دماء وكذا، وظلت هذه الصورة مطبوعة في أذهان الكثيرين!

لم نبذل جهدًا في تصحيح هذه الصورة، نحتاج إلى مجهود جبار لذلك، نحن جعلنا موقع (إسلام أون لاين) باللغة العربية ولم نؤد فيه كما ينبغي، وباللغة الإنجليزية والأداء بها أقل قليلًا، وهناك مئات اللغات تحتاج أن نبلغ الإسلام بها، ولكن لا نجد رجالًا، نحتاج إلى مال وإلى رجال لتحقيق هذا الأمر، أين الرجال الَّذين ينذرون أنفسهم للدعوة إلى الإسلام؟

QaradawiBooks.com

حماسة غير المسلمين لخدمة معتقداتهم:

أنا أذكر لكم قصة أختم بها ذكرها لنا أحد الإخوة اللواءات في الجيش السوداني، كنا في مدينة كمبالا في اجتماع مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، كانت تعقد اجتماعاتها كل مرة في مدينة من مدن البلاد الأفريقية، وقام أحد اللواءات نسيت اسمه وقال: أحكي لكم قصة حدثت لي:

حينما استقل السودان ذهبنا نحن مجموعة من شباب الضباط إلى قرية من قرى الجنوب، وكنا نزور الجنوب لنعرف القرى هناك ومشاكلها، أول ما دخلنا القرية؛ وكنا نركب سيارة جيب خاف الناس من هذه السيارة، ما رأوا في حياتهم سيارة من قبل، فقالوا: ما هذا الشيء الَّذي يمشي وليس هو بغلًا ولا حمارًا. فخافوا ودخلوا البيوت، وظللنا نناديهم وندعوهم حتى اجتمعوا علينا، قلنا لهم: نحن سودانيون مثلكم، وجئنا لنبحث عن حاجاتكم ومشكلاتكم ونعاونكم وكذا. ونحن نكلمهم سمعنا جرسًا يدق، فقلنا لهم: ما هذا الجرس؟ هل هنا مدرسة؟ قالوا: لا، ليس في القرية مدرسة ولا كُتَّاب، وليس فيها أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا: وما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا. قلنا: من أبوكم؟ وعرفنا منهم أنَّه رجل يأتيهم كل أسبوع مرتين، راكبًا دراجته، ومعه حقيبتان الأولى فيها حلوى للأطفال، والأخرى فيها أدوية خفيفة، إسبرين، بنادول، قطرة، مرهم، أشياء من هذا النوع، وأول ما يصل يدق الجرس فيجتمع عليه الناس، فيعطي الأولاد الحلوى، ويعالج ما استطاع منهم، ويجلس يحكي لهم حكايات عن المسيح والعذراء، ويتركهم ليتجه إلى قرية أخرى، يزورهم مرة في كل أسبوع.

QaradawiBooks.com

يقول: ذهبنا إلى هذا الرجل، وسألناه: من أي البلاد أنت؟ قال: أنا من بروكسل من بلجيكا. قالوا له: كم سنة لك هنا؟ قال: ثلاثون سنة. قالوا: وكم مرة زرت بلدك في هذه المدة؟ قال: لم أزرها ولو مرة واحدة. قالوا: ومتى تنوي أن تعود إلى بلدك؟ قال: أنا بلدي هنا، وعيشي هنا، ورسالتي هنا، وموتي هنا، وقبري هنا!

تأمل: ترك الرجل بروكسل، والأزرار الأوتوماتيكية، والأدوات الكهربائية، وعيشة الرفاهية والنعيم؛ ليعيش في هذه الأدغال، في بلد لم تر سيارة في حياتها، ويمر حول هذه القرى الأربعين بدراجته، في طرق غير مرصوفة، وصار له ثلاثون سنة وهو على ذلك، ويريد أن يقضي عمره في هذا البلد، وهو يدعو إلى ديانة يقول عنها ابن حزم: لو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، ونسمعهم بآذاننا، ونجادلهم بألسنتنا ما صدقنا أن في الوجود من يقول: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة[1]. ولكنهم وجدوا جيوشًا من المبشرين والمبشرات تعمل من أجل هذا الدين.

جهود غير المسلمين لنشر دينهم:

كنت مرة في برنامج (الشريعة والحياة) أقول: هناك نصف مليون مبشِّر ومبشِّرة في أنحاء العالم. فبعث لي أخونا أبو بدر عبد الله المطوع يقول: لا، معلوماتك قديمة جدًّا، الآن هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسون ألفًا من المبشرين والمبشرات منتشرون في أنحاء العالم. وجاء لي بإحصائيات من مجلاتهم الرسمية.

أين نحن من هذا؟ أين الدعاة إلى الإسلام؟ أين من يحملون الخطاب

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الإسلامي إلى العالم؟ ونحن نقول: إنَّنا دعوة عالمية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. أين عالمية الإسلام؟ لم نحققها للأسف.

تُرجم الإنجيل بآلاف اللغات واللهجات، وليس لنا ترجمة واحدة للقرآن بأوسع اللغات انتشارًا وهي اللغة الإنجليزية، التي يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين في باكستان وفي الهند وفي بنجلاديش وفي ماليزيا وفي نيجيريا وفي غيرها، لا توجد ترجمة باللغة الإنجليزية يرضى عنها المسلمون تمامًا؛ في دقتها وأمانتها وبلاغتها، أين أمة الإسلام؟ أين الدعاة.

بين الموت والحياة في سبيل الله:

أنا قلت من قبل: لو طلبت مائة من المسلمين ليموتوا في سبيل الله فسيأتيك ألف، ولو طلبت ألفًا يأتيك عشرة آلاف مستعدون أن يموتوا في سبيل الله، ولكن لو طلبت منهم من يعيش في سبيل الله، من يفعل مثل هذا المبشر البلجيكي، يعيش بين الناس في الغابات، ويحيا حياتهم، ويصبر على شظف الحياة، وينذر حياته لدعوته، لا تكاد تجد إلا من ندر! ونحن أمة الدعوة، وخير أمة أخرجت للناس، والأمة الوسط.

الحاجة إلى تهيئة الدعاة إلى الإسلام:

الخطاب الإسلامي أيُّها الإخوة يحتاج في عصر العولمة إلى أناس يتقنون لغات العالم المختلفة، يكلمون الناس بلغاتهم، الإنجليز بالإنجليزية، والصينيين بالصينية، والروس بالروسية، كما يحسنون أن يكلموا الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، والناس في

QaradawiBooks.com

القرن الحادي والعشرين بلسان هذا القرن، ويحسنون الخطاب بأوجهه المختلفة، بكل الوسائل والأساليب والآليات.

المسلمون في الواقع مقصرون تقصيرًا شديدًا في هذا، وسيسألهم الله تعالى عن ضلال الأمم التي لم تعرف الإسلام، لم تعرف دين الله الخاتم، لم تعرف هذه الرسالة التي ختمت بها الرسالات، ومن أين يعرفون؟ هؤلاء لا يُعذَّبون: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولا بدَّ أن تبلغهم الدعوة، وتبلغهم بلوغًا مشوِّقًا يدعو إلى البحث والنظر، أمَّا هذا البلوغ المشوَّه فلا يحمل أحدًا على أن يبحث في هذا الدين، نحن مقصرون أيُّها الإخوة.

مطلوب منا أن نهيئ دعاة على كل مستوى، ونبعثهم في الأمم، أو على الأقل نعدهم ليعملوا في الفضائيات، نهيئ فضائيات دعوية، ونهيئ شبكات إنترنت بلغات العالم المختلفة، أو اللغات الأساسية على الأقل، ليس عندنا من يبلغ باللغة الفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والصينية اليابانية ولغات الهند الكبرى، ليس عندنا من يتقن هذا، ومن يفرغ نفسه للدعوة.

نحن نريد من أمة الدعوة، الأمة العالمية، صاحبة الرسالة العالمية، والرسالة الخاتمة، والرسالة التي تحمل رحمة الله للعالمين أن تبرئ ذمتها بإبلاغ العالمين دعوتها، وعسى أن يكون الغد خيرًا من اليوم، وأسأل الله أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: هل يمكن الفصل بين الخطاب الإسلامي السياسي والخطاب الدعوي والفقهي؛ خصوصًا في ظل الهجمة الشرسة على الإسلام بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م؟

الجواب: لا يعرف الإسلام هذه التقسيمات، اخترع الناس الآن أسطورة أو أكذوبة اسمها (الإسلام السياسي)، وكأنَّ هناك إسلامًا سياسيًّا، وإسلامًا روحيًّا، وإسلامًا اجتماعيًّا، وإسلامًا ثقافيًّا! الإسلام هو الإسلام؛ بما فيه من اهتمام بأمر الفرد، وأمر الأسرة، وأمر الجماعة، وأمر الدولة، وأمر الأمة، وأمر العالم، كل هذا من الإسلام.

بماذا تُسمِّي قول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]. هل هذا دين أم سياسة؟ وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. هل هذا دين أم سياسة؟

الدين والسياسة ممتزجان في الإسلام، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ لأن الإسلام دين الحياة كلها، ودين الإنسان كله، لم يجئ لروح الإنسان دون جسمه، أو جسمه دون عقله، أو عقله دون مشاعره، وإنَّما جاء للإنسان كله، والإنسان فردًا، والإنسان مجتمِعًا، والإنسان في أسرة، والإنسان في أمة، والإنسان صغيرًا، والإنسان شابًّا، والإنسان شيخًا، والإنسان حتى بعد أن يموت!

الإسلام رسالة تصحب الإنسان في كل مراحل حياته، وفي كل جوانب حياته: تصحبه وهو وليد، بل تصحبه وهو جنين في بطن أمه؛

QaradawiBooks.com

لأنَّ الإسلام يقول للمرأة الحامل: إذا كان الصيام يضرك أو يضر جنينك فحرام أن تصومي، أفطري من أجل جنينك. فهو يحفظ حياة الجنين ولو جاء من حرام!

لما جاءت المرأة إلى الرسول ليقيم عليها الحد قال لها: «**اذهبي حتَّى تضعي**»[1]. لأنَّنا إذا كان لنا عليك سبيل فليس لنا سبيل على ما في بطنك، فهو يحترم حياة الجنين؛ ولو جاء من طريق غير مشروع، وكذلك يصحب الإسلام الإنسان حتى بعد أن يموت؟

عندنا أحكام تسمى (أحكام الجنائز)، كيف يُغسَّل الميت، وكيف يُكفن، وكيف يصلى عليه، وكيف يشيع، وكيف يدفن، وكيف توزع تركته، وكيف تُقضى حقوقه إلى آخره؟ فليس هناك شيء اسمه إسلام سياسي وإسلام كذا.

كل ما في الأمر أنَّ الإنسان ينبغي عليه أن يعطي لكل ذي حق حقه: أحيانًا يكون الناس محتاجين إلى حديث روحي بحت، وأحيانًا تكون الحاجة إلى واقع المسلمين وقضاياهم، هل أترك مثلًا قضية العراق والغزو الأمريكي له أو فلسطين وما يجري فيها وأتكلم عن عذاب القبر؟ لا يمكن، أحيانًا الواقع يتطلب أن أتحدث في سياسة الأمة وقضاياها المصيرية؛ لأن الإسلام جاء لهذا كله.

كانوا قديمًا يعيبون على المشايخ أنَّهم يظلون يتكلمون في الحيض والنفاس، وحين أخذوا يتكلمون في السياسة عابوا عليهم، وينبغي أن نتكلم في هذا في وقته، وفي هذا في وقته: أحيانًا نتكلم في الدعوة، وأحيانًا نتكلم في الفقه، وأحيانًا نتكلم في العقيدة، وأحيانًا نتكلم في

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة بن الحصيب.

QaradawiBooks.com

التفسير، وأحيانًا نتكلم في الحديث، وموضوعات هذه الأشياء تختلف باختلاف النص الَّذي نفسره أو نشرحه. والظروف هي التي تحتم على الداعية البصير أن يراعي في خطابه الزمان والمكان والإنسان.

السؤال الثاني: أليس في خطابنا للكفار أنَّهم غير مسلمين بدل أنَّهم كفار، أو أنَّهم إخوة بدل أنَّهم أعداء مجاملة ومداهنة لأعدائنا، فنحن لا نحتاج إلى إسلامهم وإيمانهم، فعلينا البلاغ في عزة وأنفة، فإن أسلموا فبها وإلا فلا، فما تعليق فضيلتكم؟

الجواب: الخطاب الإسلامي يقع في أخطاء كثيرة؛ منها: أنَّه يخاطب الناس بأنَّهم كفار وأنَّهم كذا، والقرآن لم يخاطب الكفار بعنوان الكفر، ولم يقل: يا أيُّها المشركون أو يا أيُّها الكفار. كان في مكة يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [فاطر: ٥]. ويقصد بذلك المشركين بالذات، يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]. حتى لما ذكر الناس وهم عصاة وظالمون قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. مع أنَّهم عصاة لم يحرمهم من شرف العبودية.

خاطب القرآن الكفار بعنوان الكفر في موضعين: آية في خطاب الآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]. الخطاب الثاني في سورة الكافرون المعروفة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. وكان هذا في قضية خطيرة، حينما قالوا له: نعبد إلهك سنة، وتعبد إلهنا سنة. فأحب أن يقطع هذا الأمر بحسم، وهذه السورة التي كانت

QaradawiBooks.com

بدايتها في غاية الصرامة والقوة كانت نهايتها في غاية التسامح واللين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. كل واحد مسؤول عن دينه.

ولذلك ألفت كتابًا سميته «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» بدل أن أقول: الكفار في المجتمع الإسلامي. وحتى كلمة أهل الذمة هم ينزعجون منها؛ فلا ضرورة لها، يكفي أن يقال: مواطنون.

سيدنا عمر غيَّر ما هو أهم من كلمة أهل الذمة، حين جاءه نصارى بني تغلب وقالوا له: خذ منا الجزية باسم الزكاة أو الصدقة؛ ولو مضاعفة! ولا داعي لكلمة الجزية لأنَّنا قوم عرب، ونأنف من كلمة الجزية. فتردد في أول الأمر، ثم قال له بعض الأصحاب: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قوم لهم بأس وقوة، ويمكن أن يلتحقوا بالروم فيكونون ضدنا. فنظر سيدنا عمر في الأمر، وقال: هؤلاء القوم حمقى؛ رضوا المعنى، وأبوا الاسم[1]. وبذلك قرر سيدنا عمر قاعدة مهمة جدًّا: أنَّ العبرة بالمسميات والمضامين وليست بالأسماء والعناوين. فإذا كانوا يتضررون من كلمة أهل الذمة نسميهم مواطنين، وكل الفقهاء يقولون: أهل الذمة من أهل دار الإسلام. ومعنى هذا أنَّهم مواطنون من أهل الوطن، فلنجعلها مواطنة ومواطن ونحل المشكلة، فالخطاب الإسلامي يقع في أخطاء من هذا النوع.

وحتى في الأدعية التي يُدعى بها في يوم الجمعة أجد من يقول: اللهم أهلك اليهود والنصارى، اللهم يتم أطفالهم، وخرب ديارهم، واجعلهم وأموالهم وأولادهم غنيمة للمسلمين. أولًا لا يصح الدعاء بهذه الطريقة؛ لأن هناك نصارى في بعض البلاد الإسلامية، يعتبرون

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٩/٣٤٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مواطنيك، كأنك في مصر تقول: اللهم أهلك الأقباط. ليس معقولًا هذا، وأنا أحيانًا أدعو فلا يفهم بعض الناس خطابي أو دعائي حين أقول: اللهم عليك باليهود الغاصبين المعتدين، اللهم عليك بالصليبيين الحاقدين الكائدين. ليس لمجرد يهوديتهم أو نصرانيتهم، وإنَّما أضع أوصافًا معينة، ولا أقول أبدًا على عموم اليهود والنصارى: اللهم يتم أطفالهم.

هل رأينا في أدعية القرآن أو أدعية السنة أو أدعية الصحابة دعاء بتيتيم أطفال الناس وما شابه؟ لم نرَ هذا الأسلوب، القرآن يقول: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]. والرسول ﷺ يدعو فيقول: «**اللهمَّ يا مُنْزِلَ الكتاب، ويا مُجريَ السَّحاب، ويا سريعَ الحساب، ويا هازمَ الأحزاب، اهزِمْهم وانصُرْنا عليهم**»[(١)]، «**اللهمَّ إنَّا نجعلُكَ في نحورِهم، ونعوذُ بك من شرورهم**»[(٢)].

كل ما في الأمر أن أحد الصحابة دعا على الَّذين أخذوه وصلبوه وقال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا[(٣)]. هو يدعو على هذه المجموعة. فلا يصح أن يعمم الناس هذا الدعاء، ويدعو به على الكفار جميعًا؛ لأن هذا ضد مشيئة الله تعالى، التي اقتضت أن يكون في الناس مؤمنون وكفار، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، فليس في هذا تنازل،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٢٤) ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن الله بن أبي أوفى.

(٢) رواه أحمد (١٩٧٢٠)، وقال مُخَرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في أبواب الوتر (١٥٣٧)، وصحَّح إسناده النووي في الأذكار (٣٥٧)، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بالعكس: هذا من الجدال بالتي هي أحسن، والجدال بالتي هي أخشن طريقة لا يعرفها القرآن، ولا يعرفها الإسلام.

نحن في حاجة إلى أن نطور خطابنا الإسلامي، خصوصًا في عصر العولمة، وأهم ملامح عصر العولمة ـ الَّذي نسيت أن أحدثكم عنه ـ أنَّه عصر التقارب، أنَّ العالم فيه تقارب وتقارب حتى أصبح قرية واحدة، بعض الأدباء قال: العالم قريتنا الكبرى. وأنا علقت على هذا وقلت: لا، بل العالم قريتنا الصغرى. لماذا؟ أنا نشأت صغيرًا في قرية تعدادها خمسة وعشرون ألفًا، فأحيانًا كان الإنسان يموت في شرق البلد ولا نسمع بموته إلا في اليوم التالي، فالقرية الكبرى لا تعرف الأحداث فيها إلا بعد فترة، الآن نعرف الأخبار بعد لحظات، وقد نتابع الأحداث وهي تقع أولًا بأول من خلال التلفاز، صار للعالم الآن أدوات لالتقاط ما يقال في قرية صغيرة في صعيد مصر أو ريف باكستان، فينبغي لأهل الدعوة أن يراعوا هذا العصر، عصر العولمة، لم يعد الإنسان قابلًا للعزلة، ولم يعد قادرًا على أن يغلق عليه بابه ويقول ما يشاء، يشتم من يشاء، ويهاجم من يشاء، ويقول: لا يسمعني أحد. لا، سيسمعك الناس في أنحاء العالم، وينقلون كلامك، ويعلقون عليه، ويرتبون عليه أحكامًا وآثارًا وأشياء كثيرة جدًّا، ينبغي لأهل الدعوة أن يضعوا هذا كله في اعتبارهم إذا كانوا يريدون أن يعطوا للإسلام حقه، وأن يضعوا الأمور في نصابها.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

١٦

الإسلام والعلمانيَّة.. مناقشات وردود[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

عندما كنت طالبًا كنت آخر من يُمتحن في الغالب؛ لأن حرف الياء في (يوسف) يلاحقني دائمًا، فكثيرًا ما أكون في الختام، وأرجو أن يكون ختامًا طيبًا إن شاء الله.

أبدأ حديثي بنقاط ينبغي الاتفاق عليها، أولًا: ينبغي تحديد المفاهيم. ثانيًا: ينبغي تحرير موضع النزاع. ثالثًا: ينبغي تحديد المعايير الَّتي يُحتكم إليها عند الخلاف.

أمَّا الموضوع الأوَّل: الإسلام والعلمانيَّة؛ فما هو الإسلام؟ وما هي العلمانيَّة؟ وإن كان هناك من يقول: إن استعمال (هو) و(هي) في مثل هذا المقام ليس صحيحًا لغويًّا. فما الإسلام؟ وما العلمانيَّة؟ و(الواو) لمطلق

(١) ألقيت في ندوة «الإسلام والعلمانية» التي انعقدت بدار الحكمة بدعوة من اللجنة الثقافية بنقابة الأطباء في القاهرة، وبمشاركة الشيخ محمد الغزالي والدكتور فؤاد زكريا رحمهما الله، في صيف عام ١٩٨٥م، كما أشار الشيخ إلى ذلك في مذكراته.

QaradawiBooks.com

الجمع كما يقول اللغويون، ولا تفيد تضادًّا ولا غير تضاد، قد نقول: الإسلام والعلمانيَّة، الإسلام والعلم، الإسلام والفكر، الإسلام والاقتصاد. وهذا العطف لا يقتضي إلا المغايرة، ولكن لا يقتضي التضاد ولا التناقض.

لا بدَّ أن نُعرِّف الأمرين اللذيْن دعينا إلى الحديث عنهما أو الحوار حولهما، وليس الأمر مبارزة كما قال الدكتور فؤاد زكريا، لا، هو نوع من التقارب والتفاهم، ونحن نرحب دائمًا بالحوار، والدكتور فؤاد زكريا دعا إلى الحوار في جريدة الأهرام في العام الماضي، وقال: إنَّ الموضوع خطير، ولم يحدث فيه حوار من قبل.

لا قيمة لحوار من جانب واحد:

ولكن اسمحوا لي أن أقول: إنَّه كان حوارًا من جانب واحد، لم يُسمح فيه بالحوار لكل الأطراف، كتب أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي مقالتين، وأرسلهما إلى الأهرام ولم يُنشرا، فإذا كان الحوار لمن يملكون الحديث في الصحف الكبرى دون الآخرين لا يكون هذا إنصافًا ولا عدلًا!

حوار من جانب واحد على غرار ما قيل عن الانتخابات والاستفتاءات في البلاد الاشتراكيَّة؛ كما قال أحد الكتاب اليوغسلافيين: إنَّه سباق يعدو فيه حصان واحد. نحن نريد أن يكون الحوار للجانبين، وهذا هو العدل.

نحن لا نعتقد أنَّنا على صواب في كل شيء؛ لأنَّنا بشر كما قال الدكتور فؤاد نفسه، حتَّى وإن تحدثنا عن الشريعة، فنحن نتحدث عنها بصفتنا بشرًا، فكلام الله كله صواب، ولكن كلامنا نحن البشر يشوبه الصواب والخطأ، هذه مُسَلَّمة.

QaradawiBooks.com

تعريف وتحديد المصطلحات:

الإسلام والعلمانيَّة: الإسلام معروف، هو الدين الَّذي بعث الله به خاتم رسله، وأنزل به آخر كتبه مما يصلح الأنفس، ويسعد البيوت، وينظم المجتمعات، ويهدي البشرية إلى الَّتي هي أقوم، مصدره كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهو الدين الَّذي امتن الله به على عباده حينما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. هذا هو الإسلام.

أمَّا العِلمانية، وأنا أفضلها بكسر العين لأني لا أعرف وجهًا للعَلمانية بفتح العين، وإنَّما سميت العِلمانية؛ لأنَّ العلم والدين في أوروبا الَّتي نُقل عنها هذا المفهوم أمران متضادان، هناك الدين والعلم، أو اليقين والعقل، أو العقيدة والفكر، أو الشريعة والحكمة، أمران متضادان، فقالوا: العِلمانية بمعنى أنَّها الأمر الَّذي يتصل بالعلم والعقل والتفكير الإنساني، ولا يستمد من الدين. فكأن هذا في جانب، والدين والوحي في جانب آخر، هذا أصل كلمة العلمانيَّة، والألف والنون زائدتان على نحو ما يقولون: العقلانية والشخصانية إلى آخره.

تحديد مفهوم العلمانيَّة:

ماذا تعني العلمانيَّة؟ لا بدَّ من تحديد هذه الكلمة حتَّى ننتقل إلى الموضوع الآخر لنحرر موضع النزاع، العلمانيَّة ليست هي الإلحاد كما يظن بعض الناس، بعض الناس يقول: يا أخي أنا مسلم، أنت تتهمني بالكفر! أنا أؤمن بالله وبرسوله وبالقرآن وبالدار الآخرة. وقد يصلي؛ كما ذكر الدكتور فؤاد عن النحاس باشا، ولهذا ينبغي أن نحدد الموضوع.

QaradawiBooks.com

العلمانيَّة هي فصل الدين عن الدولة، دين لا دولة له، أو دولة لا دين لها، كما عبَّر بعضهم: لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين. هذا معنى العلمانيَّة، أن يكون الدين عقيدة بلا شريعة، أنَّ التدين مسموح به كتدين فردي، لك أن تصلي، وأن تصوم رمضان، والستة من شوال، والاثنين والخميس، وصيام داود؛ أن تصوم يومًا وتفطر يومًا، تحج وتعتمر كل سنة في رمضان، لا علاقة لنا بذلك، بالعكس بعض الدول الَّتي ترفض الشريعة تشجع مثل هذه الأمور، قد تشجع الطرق الصوفية، وأنواعًا معينة من الاحتفالات الدينية، وقد تشجع التدين الفردي، ولكن أن يخوض الدين معترك الحياة، أن يمسك بزمام المجتمع، أن يسود ويقود، أن يؤثر ويوجه وينظم، هنا تقف العلمانيَّة وتقول: لا. فالعلمانيَّة ليس معناها الإلحاد، ولذلك لا نتهم العلمانيين بأنَّهم ملحدون.

بل أنا أقول أيُّها الإخوة بصراحة: الأصل أن مصر ليس فيها ملحدون، هذا البلد بلد متدين بفطرته، الدين يسري في دمه ولحمه وعظمه وعصبه وعروقه، مصر بلد متدين منذ بنى الأهرام وإلى اليوم، ولا يحركه شيء كما تحركه كلمة الدين، فليس هناك اتهام بالإلحاد، ولا نتحدث عن الإلحاد.

قبول العقيدة ورفض الشريعة:

وأقول في هذا طرفة ذكرها الأستاذ أحمد أمين: واحد تعلم في جامعات أوروبا، جاء متفرنجًا، وقال لهم: أنا ملحد. قالوا: ليس في هذه البلاد ملحد. قال: أنا ملحد. قال: لا. قال: والله العظيم أنا ملحد.

الخلاصة أنَّ العلمانيَّة هي قبول العقيدة ورفض الشريعة، نقبل الإسلام عقيدة ونرفضه شريعة، هذا هو المدلول النهائي للعلمانيَّة، أو نقطة الخلاف بيننا، أن هل الإسلام شريعة كما أنَّه عقيدة أم لا؟ لا خلاف

QaradawiBooks.com

على أصل العقيدة، (لا إلٰـه إلا الله، محمد رسـول الله) متفقون عليها، لا ينكرها الأسـتاذ فؤاد زكريا، ولا الأستاذ فرج فودة، ولا أي واحد من هؤلاء، كلهم يقولون: نشـهد أن لا إلٰه إلا الله، ونشـهد أن محمدًا عبده ورسوله، آمنا وصدقنا.

ونقول: أنتم آمنتم بالشهادتين، لكن هناك بعد الشهادتين أشياء أخرى جاء بها الإسلام، الإسـلام عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريع ينظم شؤون الحياة، فما موقفكم من هذا كله؟

هنا نراهم أحيانًا يقبلون الإسـلام عقيدة، ولكن لا يقبلون أن تكون هذه العقيدة أسـاس الانتماء، أو أسـاس الـولاء، أو أسـاس الترابط، فيرفضـون أن يكون بين أصحـاب العقيدة الواحـدة ترابط بعضهم مع بعض، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

قبول بعض الأخلاق دون بعض:

كما نراهم يقبلون الأخلاق الإسـلاميَّة، ولكن يرفضون أيضًا أنواعًا معينة من هذه الأخلاق، تعرفون أنَّ الأخلاق نوعان: هناك أخلاق إنسانية عامة، مثل الصـدق والأمانة والتعـاون والنظافة والنظـام، هذه أخلاق يحرص عليها كل الناس، ولكنْ هناك أخلاق تتميز بها بعض الحضارات عن بعض، مثلًا نحن عندنا أخلاقيات تميزنا عن الحضارة الغربيَّة، مثل الأخلاقيات المتعلقة بالجنس والمرأة وهذه الأشياء، هذه أخلاق منبثقة عن عقيدتنا وحضارتنا، وهنا يشـتد الخلاف بيننا وبين العلمانيين، رغم أنَّهم يقولون: إنَّنا متفقون أخلاقيًا. لكن لا، هذه أخلاقيات تميز الحضارة الإسـلاميَّة، حضارة العفاف والإحصان، لكنهم في هذه الناحية ينبهرون بالحضارة الغربيَّة، ويقفون منها موقف المقلد والتابع أحيانًا.

QaradawiBooks.com

ضرورة انفتاح العلمانيين على الكتابات الإسلاميَّة:

قد يكون إخواننا العلمانيون ودعاة الفكر الغربي في وقت من الأوقات معذورين إلى حد كبير في هذا الأمر؛ يوم كنا في الحضيض، وكانت الحضارة الغربيَّة في القمة، وكان تراثنا مجهولًا، وكان يُعرض عرضًا سيئًا، لكن أعتقد أنَّهم اليوم لم يعد لهم عذر، يجب أن يقرؤوا التراث.

كما يجب أن يقرؤوا ما تكتبه الأقلام الإسلاميَّة، أنا قرأت فيما كتبه الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا أنَّه يعيب على دعاة الإسلام أنَّهم لا ينفتحون على الثقافات المعاصرة، مع أنِّي أعرف أن من دعاة الإسلام من يقرؤون في الثقافات المعاصرة، وفي الفلسفات، وفي علم النفس، والاجتماع، والاقتصاد وغيرها، ولكن أرى إخواننا المثقفين ثقافة غربيَّة لا يقرؤون ما يكتبه المسلمون، مستعلين عن هذا، من قرأ كتب الشيخ الغزالي؟ ومن قرأ كتب الإسلاميين الآخرين؟

أرى بعض الناس يكتب عن الزكاة ويقول: المجتمع الحديث لا يقوم على الصدقات. ويعتبر أنَّ الزكاة نوع من الإحسان الفردي التطوعي الاختياري. وأنا كتبت مجلدين عن الزكاة، من قرأ هذا من إخواننا المثقفين ثقافة مدنية، بتعبير أخف؛ بدل أن نقول: المثقفين ثقافة علمانيَّة؟

العلمانيَّة تقبل العقيدة ولكن لا تقبلها أساسًا للانتماء!

وتقبل الأخلاق ولكنها لا تقبل الأخلاق الَّتي تميز الحضارة الإسلاميَّة!

وتقبل العبادات ولكن ليس كل العبادات أيضًا، نحن عندنا العبادات الكبرى في الإسلام أربع كما نعلم: الصلاة والزكاة والصيام والحج.

QaradawiBooks.com

هناك ثلاثة مقبولة وواحدة مرفوضة، الزكاة مرفوضة، لا أزال أذكر سنة ١٩٤٩م. وأنا معتقل في البوليس في قسم ثاني طنطا، وأنا طالب في السنة الخامسة الثانوية، ومعي الأخ أحمد العسال؛ أنَّ الحكومة في ذلك الوقت، ولعله من باب المزايدة كما يحدث أحيانًا، أرادت أن تشرع قانونًا للزكاة، فقام سياسي كبير من حزب معارض، وكتب في ذلك الوقت ملاحظتين على مشروع قانون الزكاة، كانت إحداهما أن هذا يعيدنا إلى الوراء، ويعيدنا إلى عهد تحكم الدين في الدولة، أو صلة الدولة بالدين! فحتى الزكاة مرفوضة من جهة العلمانيَّة، ولذلك فالعبادات الشخصية عندها مقبولة، أمَّا أن تكون عبادة مالية اجتماعية تُعتبر من أركان النظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي، فهي مرفوضة.

قبول بعض التشريعات دون بعض:

وهناك التشريع، طبعًا هناك جانب من التشريع مقبول، وهو ما يسمى عند القانونيين (الأحوال الشخصية)، الفقه المتعلق بالأسرة، الزواج والطلاق والرضاع إلى آخره، هذا باق، حتَّى وإن كان بعض الناس يريدون أن يغيروا عليه، على هذه البقية الباقية، وقد حدث، ولكن هناك قوانين أخرى تُرفض.

الدكتور فؤاد زكريا تحدث عن القانون والشريعة، وأنَّ هناك تداخلًا بين القانون الوضعي والشريعة الإلٰهية، وأن التشريع الإلٰهي لا يمكن أن يكون إلهيًّا؛ بالمعنى الَّذي يمكن أن يفهم، لأن الَّذي يفهمه هو الإنسان، والذي يطبقه هو الإنسان؛ فكيف يكون تشريعًا إلهيًّا؟ وقال فيما كتبه في الأهرام في العام الماضي: لو كانت الشريعة من عند الله كما يقول الدعاة الإسلاميون لحُسم الموضوع على الفور، لكن الشريعة ليست بهذه الصورة.

QaradawiBooks.com

وأنا أتساءل حقيقة: كيف لا تكون الشريعة من عند الله؟ إذن ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]؟ كيف أنزل الله كتابًا للناس، وهذا الكتاب هو إلٰهي، ومع هذا لا يمكن أن يكون إلهيًّا لأن البشر هم الذين يفهمونه، والبشر هم الذين يطبقونه؟

هل معنى هذا أنَّ هذا الكتاب ليس مبينًا، مع أنَّ الله وصفه بأنه كتاب مبين؟ ألا يوجد فيه أساسيات وقطعيات على الأقل تمثل الأسس الَّتي لا بدَّ منها لتقوم الحياة عليها؟ الله تعالى أنزل هذا الكتاب: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧]، المتشابهات ترد إلى المحكمات، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي أصله ومعظمه، فهناك آيات محكمات واضحة الدلالة على المراد، وهناك متشابهات تختلف فيها الأفهام والعقول، وهذا مقصود من الله ﷻ؛ حتَّى يمكن أن تجتهد العقول وأن تعمل، وأن يوجد المتشدد كابن عمر، والمترخص كابن عباس، ومدرسة الرأي ومدرسة الحديث، ومدرسة الظاهر ومدرسة المقاصد، ومن يقول بالمصلحة المرسلة، ومن يقول بالاستحسان، ومن لا يقول بذلك، هذا كله إثراء وليس إفقارًا، فمهما قيل: إنَّ البشر هم الذين يفهمون الكتاب ويطبقونه؛ فهناك مرتبة الأحكام القطعية الَّتي يقول عنها العلماء: هي المعلوم من الدين بالضرورة.

موضع الخلاف مع العلمانيين:

وهذا في الحقيقة موضع الخلاف بيننا وبين العلمانيين، ليس موضع الخلاف هو الأشياء الَّتي يمكن أن تحكم فيها لجنة علماء، لا، نحن بل نحن نختلف معهم في أشياء مهمة، مثل إباحتهم الزنى أو شرب الخمر،

QaradawiBooks.com

أو الحدود، أو رفض إقامة الحياة الإسلاميَّة، الحياة القائمة على الإيمان والخلق والاستقامة والطهارة، ومنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحقيق العدل الإسلامي والكفالة الإسلاميَّة والشورى الإسلاميَّة، إلى آخره، هذه أشياء لا ينبغي أن يكون عليها خلاف، ليتنا نتفق على القطعيات، فالقول بأن التشريع لا يمكن أن يكون إلهيًّا قول مردود، هناك جانب من التشريع هو تشريع إلٰهي، هو القطعيات المحكمات.

وحتى في المتشابهات: كيف يكون موقفنا من المتشابهات؟ المسلمون لم يدَعوا هذا الأمر يعبث به العابثون: لقد وضع المسلمون علمًا يُعتبر مفخرة من مفاخر التراث الإسلامي، يضبط الاستدلال والاستنباط، ويضع القواعد، وهو العلم المعروف بعلم أصول الفقه، كيف نستنبط فيما لا نص فيه؟ وكيف نستدل بما فيه نص؟ فالنصوص المتشابهة لم تُترك للأهواء.

وما تُرك من الأمور بغير نص، فهذا أيضًا رحمة من الله، كما جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائضَ فلا تُضَيِّعوها، وحرَّم أشياءَ فلا تنتهكوها، وترك أشياءَ رحمةً بكم غيرَ نِسيانٍ فلا تبحثوا عنها**»[(١)].

موضع الخلاف هو الثلاث الأُوَل: الحدود والفرائض والمحرمات، أمَّا منطقة العفو، «**ما سكت عنه فهو عَفْوٌ**»[(٢)]، فهي منطقة واسعة، ومن

(١) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (١٨٣٢)، وقال الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية صـ٤٤: حسن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

(٢) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، =

QaradawiBooks.com

فضل الله أنَّه ترك هذه المنطقة، لم يفصل في كل شيء، ولم يشرع في كل شيء، هذه المنطقة المسكوت عنها، منطقة الفراغ التشريعي، أو ـ بتعبير الحديث ـ منطقة العفو هذه يمكننا أن نملأها بالقياس، بالاستحسان، بالمصلحة المرسلة، بمراعاة العرف، إلى آخره.

العلمانيَّة ترفض التشريع بحجج، منها ما قال الدكتور فؤاد: كيف يكون التشريع إلهيًّا، والبشر هم الذين يفهمون النصوص ويطبقونها؟ مهما كانت النصوص، فلا بدَّ فيها من أساسيات غير قابلة للاختلاف، حتَّى النصوص البشرية يؤخذ منها أشياء أساسية.

أسأل الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا؛ وهو من أساتذة الفلسفة المعدودين: ألا نستطيع أن نقول: إنَّ لأرسطو فلسفة، وإن له أفكارًا أساسية معروفة عن الكون والسياسة والأخلاق إلى آخره؟ مهما اختلف شارحو أرسطو من ابن رشد، ومن بعده، ومن قبله، الفارابي، الَّذي كانوا يسمونه المعلم الثاني، حاول أن يوفق بين أرسطو وأفلاطون، ويجمع بين أقوال الحكيمين!

مهما يكن من اختلاف المفسرين والشراح هل ينكر أحد أن لأرسطو فلسفة معينة ذات معالم معينة في تفسير الكون والحياة والنظرة إلى الإنسان وكذا؟ إذا كان هذا شأن البشر! أيعجز رب البشر أن ينزل على الناس كتابًا يحدد ما يرضيه منهم وما يسخطه منهم؟ هذا لا يمكن أن يقال.

هناك شريعة إلهية معروفة في عدد من نواحي الحياة، هي أمور قطعية، أمَّا الأمور الخلافية فيمكن أن تُرد إلى الأمور الاتفاقية، المختلف

= ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

فيه يُرد إلى المتَّفق عليه، والظني يُرد إلى القطعي، والمتشابه يُرد إلى المحكم؛ حسب أصول الاستدلال، هذا الَّذي نقوله بالنسبة لمسألة التشريع الإلٰهي.

الفرق بين الشريعة والقانون:

وهناك القانون، الدكتور فؤاد قال: إنَّ القانون البشري الوضعي يقنن عادات الناس، وأعراف الناس. وهذا صحيح، وخاصة بالنسبة للقانون الروماني! قالوا بأن القانون الروماني يقنن الأعراف والعادات المعمول بها، وإن كان هناك فرق أساسي وجوهري بين الشريعة والقانون: القانون يقنن ما اعتاده الناس وتعارفوا عليه، خيرًا كان أم شرًّا، فضيلة أم رذيلة، الشريعة تحاول أن ترتقي بالناس، فتقر الخير، وترفض الشر، ولذلك حينما جاء النبي ﷺ إلى المجتمع العربي كانت هناك أشياء في هذا المجتمع، لم يغير كل ما في المجتمع، لا، هناك أشياء أقرها وأشياء رفضها، كان عندهم أنواع من الزواج، زواج الاستبضاع وكذا.. ألغاها، وكان هناك الزواج الَّذي فيه خطبة ومهر وكذا.. أبقاه، وكان هناك بعض البيوع مثل المضاربة، كانت بمكان في المجتمع: المال من جانب، والعمل والخبرة من جانب، فأقرها، وهكذا جاء الشريعة لترتقي بالناس.

التدرج في تطبيق الشريعة:

اعتاد العرب الخمر، ذكروا لها نحو مائتي اسم، ومن يقرأ أشعار العرب يعرف كيف أولع العرب بالخمر، ولكن لو كانت الشريعة كالقانون الوضعي لجاءت تقرُّ العرب، وتقرُّ شرب الخمر، ولكن لا، أراد النبي ﷺ أن يرتقي بالمجتمع، ومن هنا حرم شرب الخمر، حرمها بالتدريج، المنهج الإسلامي الحكيم في معاملة النفس البشرية أنَّه

QaradawiBooks.com

يأخذها بالتدرج، وهذا ما ننادي به، حينما ننادي الآن بالشريعة الإسلاميَّة نقول بالتدرج، لا مانع، لا نقول بالتطبيق الفوري: أن اهدموا البنوك الربوية من الصباح، لا، تُعطى فترة انتقال.

أنا ذكرت فيما ذكرت ما كتبه مؤرخو عمر بن عبد العزيز، وما كتبه الإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات»: أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة كانت هنا مظالم كثيرة، وكان له ابن تقي ورع، مثل شباب الجماعات الإسلاميَّة المتحمسين، فجاءه وقال: يا أبي، أراك تأخذ الأمور ببطء، ما لك لا تسارع في رد المظالم، وإقامة كذا وكذا، فو الله ما أبالي لو غلت بي وبك القدور في سبيل الله!

فقال له: يا بني لا تعجل؛ فإن الله ذم الخمر في آيتين، وحرمها في الثالثة، وإنِّي أخشى لو حملت الناس على الحق جملة أن يدفعوه جملة[1]. نحن نقول بهذا، نقول ما قاله الأستاذ خالد محمد خالد، نقول: إنَّ التشريع استقر، وأحل الحلال، وحرم الحرام، وفرضت الفرائض. ولكن نقول بالتدرج في التطبيق، التدرج سنة من سنن الله الكونية، وسنة من سنن الله البشرية، وسنة من سننه التشريعية، فهناك فرق بين الشريعة والقانون.

القانون الوضعي جاء مخالفا لعقائد الناس وقيمهم:

ومع هذا نقول: إنَّ القانون الوضعي الَّذي وضع في بلادنا؛ في مصر وفي البلاد الإسلاميَّة قانون ـ للأسف ـ لم يقنن ما اعتاده الناس وتعارفوه!

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/٩٣ ـ ٩٤).

QaradawiBooks.com

المفروض أن يكون القانون صورة للمجتمع، القوانين الَّتي تحكمنا ليســت صورة لمجتمعنا؛ لأنَّ هذه القوانين في الأصل قوانين مستوردة من مجتمع غيــر مجتمعنا، لــه عقائد غيــر عقائدنا، وقيم غيــر قيمنا، ومنطلقات غير منطلقاتنا، وموازين غير موازيننا، ولهذا فكثيرًا ما يتعارض القانون الوضعي مع المسلمات الفكرية والأخلاقية والدينية لمجتمعاتنا، لأنَّه قانون غريب، قانون لقيط دعي؛ فلو أنَّه قانون انبثق فعلًا من حاجة المجتمع لاختلف الأمر، وإنَّما هي قوانيــن جاءت إلينا بقرارات فوقية، حينما دخل الاستعمار بلاد المسلمين فرض علينا قوانين من عنده، من دياره، وبعد ذلك حاولنا أن نُطعِّمها بشيء من الفقه الإسلامي إلى آخره، فكيف نقول: إن هذه القوانين قننت ما اعتاده المجتمع؟

مثلًا نحن في المجتمعات الإســلاميَّة نؤمن بأن الزنى حرام ومنكر وجريمة، ولكن القوانين الَّتي جاءت من بلاد الغرب تقول: ما دام الزنى بالتراضي فليس جريمة. لا يجرمون كل أنواع الزنى، يُجرَّم الزنى إذا كان بالإكراه، يُجرَّم إذا كان مع بنت صغيرة دون البلوغ، يُجرَّم إذا كان وراءه نوع من الدعارة والاتجار به، أمَّا مجرد الزنى فليس جريمة في ذاته.

مثال صارخ على حيف القانون الوضعي:

وهناك قصة يذكرونها في هذا: لو أن أحــدًا جاء فوجد مع امرأته رجلًا أجنبيًّا في الفراش، فحاول أن يقتله، ولكن الزاني عاجله بالقتل، ماذا تكون النتيجة بالنسبة للقانون الوضعي؟ أولًا هناك جريمتان: جريمة الزنى وجريمة القتل، أمَّا جريمة القتل فتعتبر فــي القانون الوضعي دفاعًا عن النفس، وأمَّا جريمة الزنى فالمرأة راشدة فتنتفي الجريمة برضاها، لكن هناك اعتداء على بيت الزوجية، على بيت الرجــل، فهناك حق للــزوج، ولكن الزوج مات

QaradawiBooks.com

فسقط حقه، وبقي مسألة الاعتداء على النفس يتولى أمرها (محام شاطر) فيأخذ للقاتل حكمًا مخففًا، هل هذا يعبر عن واقع مجتمعنا الإسلامي؟ لا يعبر عن واقع مجتمعنا الإسلامي، فالقانون الَّذي يفترض فيه أن يقنن أخلاقيات الناس، وما تعارفوا عليه قانون غريب، قانون دخيل.

مصدر الإلزام بين الشريعة والقانون:

ثم من ناحية أخرى أنا أقول: حتَّى الأشياء الَّتي يوافق فيها القانون الشريعة: هناك فرق بين أن يؤخذ القانون على أنَّه قانون وضعي ـ جاء مع نابليون، أو مع من بعده ـ وبين أن يؤخذ على أنَّه شرع الله تبارك وتعالى! فرق كبير أن تقول: القانون الوضعي يقرر المسؤولية الفردية، وأن كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا يتحمل عمل غيره. وبين أن تقول: هذا انبثاق من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فرق كبير بين أن تستمد الشريعة من الجذور الربانية، وبين أن تكون مجرد قوانين وضعية.

حاولت أمريكا في وقت من الأوقات أن تصدر تشريعًا بتحريم الخمر، وجندت لذلك كل قواها: الأسطول في البحر، والجيش، والشرطة، وأجهزة الإعلام، وسودت ملايين الصفحات من أجل ذلك، ثم كانت النتيجة ما يعرفه الذين أرخوا لذلك؛ بفشل كل ما جندوه، ونجاح المهربين. وكذا ولم تنجح في منع الخمر!

بينما الإسلام حينما أخذهم بالتدرج حتَّى وصل إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١]. قالوا: قد

QaradawiBooks.com

انتهينا يــا رب[١]. كان في يد الرجل كأس خمر شــرب منه بعضًا وبقي بعض، فكانت النتيجة أن يفرغ بقية الكأس، قد انتهينا يا رب.

إذن هناك فرق بين الشريعة والقوانين الوضعية؛ حتَّى لو كانا متفقين أحيانًا!

وفعلًا القوانين الوضعية في أغلبها متفقة مع الإسلام!

هناك بعض الأشــياء في القانون المدني فيها خلافات مع الشــريعة كالربا والغرر، وهناك خلاف كبير طبعًا في القانون الجنائي كما نعلم!

إسلاميَّة المنطلق:

لكن حتَّى فيما يتفق فيه القانون مع الشريعة نريد أن يكون المنطلق إســلاميًّا، نريد أن نقول للناس: هذه القوانين الَّتي تحكمكم هي شريعة الله. هنا تجد الفرق في الانقياد والقبول، الضريبة ضريبة والزكاة ضريبة، لكن حينما تأخذ الزكاة على أنَّها من عنــد الله يأتي الرجل فيقول: خذ؛ أريد أن أزكي نفسي وأطهر مالي. كما كان يفعل أمثاله مع النبي ﷺ ومع الخلفاء، هذا فرق بين الشريعة والقانون.

هذا هو موضع الخلاف وموضع النزاع الَّذي يجب أن نحرره ـ كما يقول علماء أدب البحث والمناظرة في تراثنا ـ نحن لا نختلف في مسألة التدين الفردي، ولا نقول: إنَّ العلمانيين ملحدون. لا نتهمهم بالإلحاد؛ وإن كانت العلمانيَّة قــد تنتهي بصاحبها إلى إنــكار المعلوم من الدين بالضرورة، وهذا كفر والعياذ بالله: إذا عاند، وأصر، ورفض القطعيات من شرع الله؛ فهو ينتهي إلى هذا.

(١) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، والنسائي في الأشربة (٥٥٤٠)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

المعيار الَّذي نحتكم إليه:

هنا الأمر الثالث الَّذي ينبغي أن نصل إليه: ما هو المعيار الَّذي ينبغي أن نحتكم إليه إذا اختلفنا؟

افرض أنَّ الدكتور فؤاد زكريا قال: الإسلام هو الصلاة والصيام والتدين الفردي والعبادة لله تعالى فيما بينك وبين ربك. وقلنا له: لا، الإسلام أوسع من ذلك مدًى.

هو ينكر شمول الإسلام، ونحن نقول بشمول الإسلام، إذا اختلفنا في هذه القضية أو في غيرها من القضايا الَّتي تُحِدِّث عنها لا بدَّ أن يكون هناك مقياس نتفق عليه!

إذا قلت: هذه طولها كذا. وقال آخر: لا، بل طولها كذا. لا بدَّ أن يكون هناك مقياس متر، أو ذراع، أو شيء نحتكم إليه، فما الَّذي نحتكم إليه في هذه الأمور؟

أول شيء طبعًا ما دمنا نتحدث عن الإسلام والعلمانيَّة، وما دمنا نحن مسلمين، فلا بدَّ أن يكون معيارنا هو الإسلام، نحن لم ننكر هويتنا الإسلاميَّة، وكل منا يقول: أنا مسلم، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأؤمن بالقرآن، وأؤمن برسول الله ﷺ. فالاحتكام إذن ينبغي أن يكون إلى القرآن وصحيح السنة، وهذا ما يقوله الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ومن هنا عندما نحتكم: هل الإسلام نظام شامل للحياة؟ أم هو دين بالمعنى الغربي لمفهوم الدين؟ أنَّه علاقة فقط في ضمير الفرد بينه

QaradawiBooks.com

وبين الله، فإن خرج من ضميره، فيكون في المسجد مثلًا؟ هذا هو الَّذي نختلف فيه حقيقة.

الإسلام ليس مجرد ركن أو زاوية:

نحن لا نقبل أن يكون للدين ركن، وهذا هو الَّذي انتهى إليه الوضع الآن: أن هناك شيئًا اسمه (ركن الدين)، ركن الدين في الإذاعة، ركن الدين في التليفزيون، صفحة الدين يوم الجمعة في الصحف، الأحوال الشخصية في القانون.

والإسلام لا يقبل أن يكون مجرد ركن أو زاوية، الإسلام هو الحياة، إنَّه رسالة للإنسان كله، وللزمن كله، وللعالم كله، عبَّر عنها الشهيد حسن البنا في مقالة من مقالاته بكلمة من أبلغ الكلمات، قال:

إنَّها الرسالة الَّتي امتدت طولًا حتَّى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتَّى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتَّى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة[1]. فهذا هو الإسلام بشموله، وهذا هو القرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الإسلام رسالة شاملة:

الإسلام رسالة شاملة، يشمل الإنسان من مهده إلى لحده، منذ أن يولد إلى أن يموت، هناك أحكام تتعلق بالولادة، ابن القيم ألَّف كتابًا سماه «تحفة المودود في أحكام المولود»، حين يولد الطفل تعرف ماذا تصنع له! ما واجب أبويه نحوه! يسن لك أن تؤذن في أذنه، وتختار له

(١) مقال من وحي حراء للإمام حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون اليومية، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، صـ١، ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ ـ ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م.

QaradawiBooks.com

اسمًا حسنًا، وتعق عنه، إلى آخره، أحكام الرضاعة، ومن يرضعه، ومدة الرضاعة: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وحينما يبلغ السابعة: «**مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشرٍ**»[(١)]!

يمشي الإسلام مع الإنسان منذ طفولته، طفلًا ويافعًا وشابًا وكهلًا وشيخًا؛ إلى أن يحتضر على فراش الموت، بل هناك أحكام تتعلق بالحمل في بطن أمه، تتعلق بالإنسان بعد أن يموت، أحكام الجنائز، غسله وتكفينه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه، وتنفيذ وصاياه، وقضاء ديونه، وتوزيع تركته، الإسلام إذن يصحب الإنسان في رحلة حياته كلها.

كما ينظم الإسلام حياة الإنسان، من أدب المائدة إلى بناء الدولة!

وليس معنى هذا أنَّه قيد الإنسان بتفصيلات في كل الأمور، لا، فكما قلت: هناك منطقة العفو. لكن هناك توجيهات أساسية تُعلِّم المسلم حتَّى في أكله، يقول له: هذا حرام، وهذا حلال، لا تأكل الخنزير ولا تشرب الخمر، «**سمِّ اللهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ**»[(٢)]، لا تأكل ولا تشرب في آنية الذهب ولا الفضَّة.

في كلِّ الأمور توجد آداب إسلاميَّة، وتقاليد إسلاميَّة، وتوجيهات وتشريعات إسلاميَّة، فحصر الإسلام في ضمير الفرد أو في المسجد هو ظلم للإسلام، ليس هو الإسلام الَّذي جاء به مُحَمَّد ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٣٠١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

QaradawiBooks.com

الإسلام إذن له صفة شموليَّة، وليس الإسلام وحده، الاشتراكيُّون أنفسهم يقولون: يجب أن تشمل الاشتراكيَّة الحياة. ولا يقبلون من يقول: إنَّ الاشتراكيَّة مذهب اقتصادي. يقولون: هي مذهب اجتماعي شامل؛ لأن الحياة كنهر واحد، متصل بعضه ببعض. وهذا هو الواقع: لا يمكن أن تأخذ جانبًا وتترك جانبًا، ما معنى أن يحارب شخص الخلاعة على المنبر، ثم تأتي أجهزة الإعلام بما يُغْري بالخلاعة والتَّخَنُّث والمجون؟

مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إذا كُنْتَ تَبْنِيهِ وغَيْرُكَ يَهْدِمُ؟[1]

لا بدَّ من تكامل الحياة الإسلاميَّة بعضها مع بعض، ولا يحدث التناقض.

مُبَرِّر العلمانيَّة في أوروبا:

العلمانيَّة ـ أيُّها الإخوة ـ كان لها مبررها في أوروبا، وليس لها أي مبرر في بلادنا، وقد ذكر الأستاذ الدكتور فؤاد نفسه أنَّ العقل الإنساني في أوروبا أراد أن ينشط من عقاله، وأن يتحرَّر من إساره، وأن يخرج من القيود الَّتي وضعها فيه رجال الكهنوت، فكان لا بدَّ أن يتحرَّر من دين الكنيسة، ومن إلٰه الكنيسة، ومن تفكير الكنيسة؛ لينطلق إلى الآفاق.

لا أريد أن أتحدَّث فيما تحدَّث فيه فضيلة الشيخ الغزالي، وما هو معروف تاريخيًّا، الأسباب التاريخيَّة الَّتي أدَّت إلى نشوء العلمانيَّة في الغرب ليست موجودة في بلادنا، هناك في الغرب تسلُّط الكنيسة، ووقوفها في وجه العلم والتَّحَرُّر والتقدُّم، ووقوفها مع الإقطاع ضد

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

الفلاحين، وضدَّ الطبقات الكادحة، ووقوفها مع الملوك ضد الشعوب، وقوفها مع الجمود ضدَّ التفكُّر والتحرُّر، فكان لا بدَّ أن يكون هناك علمانيَّة مقابل هذا.

نعم للعِلميَّة، ولا للعلمانيَّة:

أمَّا نحن فما الَّذي يدعونا إلى العلمانيَّة؟ والإسلام يدعو إلى العِلميَّة بكل معانيها، وأنا كتبت في جريدة الشعب منذ أشهر قريبة مقالة: (نعم للعِلميَّة ولا للعلمانيَّة)!

نحن مع العِلميَّة، وهي فريضة عندنا، العقلية العِلميَّة الَّتي توازن بين الأمور وتحكم بالعقل، في الأمور الحسية تحتكم إلى الملاحظة والتجربة، وفي الأمور البرهانية تحتكم إلى البرهان، هذه هي العقلية الإسلاميَّة الَّتي قامت عليها الحضارة الإسلاميَّة بالفعل، لم تكن هذه العقلية عند الغربيَّة فاحتاجوا إلى العلمانيَّة، نحن لسنا في حاجة إلى العلمانيَّة.

التجزئة غير مقبولة عندنا:

والذي ساعد على هذا أنَّ التعاليم الدينية عندهم توافق على هذا في ظاهر منطوقها، في الإنجيل يقول: دعْ ما لقيصرَ لقَيْصَرَ وما لله لله[1]. أي إنَّ الإنجيل قبِل قسمة الحياة بين قيصر وبين الله! هذا غير مقبول عندنا، لأنَّ عندنا قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد، لا يقبل الإسلام الثنائيَّة في الإنسان، ولا الازدواجيَّة في الحياة، ولا الصراع بين سلطتين!

(١) إنجيل مَتَّى (٢١/٢٢).

QaradawiBooks.com

الإنسان وحدة وليس ثنائيَّة، والحياة وحدة متكاملة، فإذا كان عندهم ما يبرر قسمة الحياة فليس عندنا ما يبرر قسمتها: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

التجزئة غير مقبولة عندنا، فإذا قُبِل هذا عند المسيحي لا يُقبل هذا عند المسلم، لأنَّكَ إذا قلت للمسلم: اجعلْ على جانب قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. أو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]. أو قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. أو قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. لا يقبل المسلم أن يهمِل شيئًا من هذا في نظره! حينما تقول هذا للمسلم فكأنما تنتزعه من دينه، أو تنتزع منه دينه، أنت تقيم في هذه الحالة توترًا في النفسية الإسلاميَّة، تناقضًا بين العقيدة والواقع، بين ضمير الإنسان وما ينبغي أن يكون في الحياة، ولا يكون من وراء هذا خير لا للدين ولا للدنيا، لا يُقبل منه دينًا، ولا يصلح هذا للحياة، الإنسان الَّذي يعيش وهو يشعر أن ما يقع في المجتمع ضد عقيدته الَّتي فرضها الله عليه لا يكون إنسانًا سويًّا، لا يكون صاحب النفس المطمئنة، لا يكون الإنسان المنتج اقتصاديًّا، لا يكون الإنسان الموالي لمجتمعه ووطنه، إنَّه يعيش دخيلًا غريبًا على هذا الوطن؛ لأنَّ الوطن يضغط عليه بما لا يقبله في دِين الله.

ومن هنا نقول: إذا أجازت الكنيسة وأجاز الإنجيل قسمة الحياة فالإسلام لا يقبل هذا.

QaradawiBooks.com

النظرة القاصرة للإله في الفلسفة الغربيَّة:

وليس فقط تعاليم الإنجيل تقبل بهذه القسمة، بل حتَّى الفكر الغربي يقبل بها: أنَّ (الإلٰه) عند الغربيين ليس مثل (الله) عندنا نحن المسلمين، الإلٰه عندهم خلق العالم وتركه، لم تعد له علاقة به، ومعروف في الفلسفة القديمة ـ والأستاذ الدكتور فؤاد أعرف بهذا ـ أنَّ الفيلسوف الَّذي يُلقب بالمعلم الأول (أرسطوطاليس) يرى أنَّ الإلٰه لا علاقة له بهذا العالم، عالم الكون والفساد، لا يعرف فيه شيئًا ولا يدبر فيه أمرًا، إنَّه لا يعلم إلا ذاته، ولا يعقل إلا ذاته، وهذه إحدى مواضع النزاع بين الفلاسفة الإسلاميين وبين المتكلمين، أو بين الغزالي والفلاسفة كما هو معروف في معركة «تهافت الفلاسفة» و«تهافت التهافت» إلى آخره، أرسطو كما يقول مؤرخ الحضارة ول ديورانت في كتابه «مباهج الفلسفة»: يا لإله أرسطو من إلٰه مسكين؛ إنَّه يملك ولا يحكم مثل ملك الإنجليز[1]. وإذا كان إلٰه أرسطو مسكينًا فإله أفلوطين صاحب الأفلوطينيَّة الحديثة أشد مسكنة منه، لأن إلٰه أرسطو يعلم ذاته فقط، وإله أفلوطين لا يعلم حتَّى ذاته، فالفكر الغربي يقبل مثل هذا التفكير، فكرنا الإسلامي لا يقبل هذا بأي وجه من الوجوه، ولذلك فالعلمانيَّة مقبولة عند الغربيِّين.

النصارى ليس لهم تشريع في الإنجيل:

ومن ناحية أخرى فالنصارى ليس عندهم تشريع يأمرهم به الإنجيل، بحيث لو أنَّهم أخذوا تشريعًا آخر يكونون في حالة تناقض مع دينهم، من قرأ منكم الأناجيل الباقية من الأناجيل السبعين، الأناجيل الأربعة ـ يوحنا

(١) مباهج الفلسفة صـ١٦١، ١٦٢، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، نشر مكتبة الأنجلو فرنكلين.

QaradawiBooks.com

وبولس ولوقا ومتى ـ لا يجد فيها تشريعات: ما عدا تشريع الطلاق، وأشياء بسيطة جدًّا، إنَّما هي مواعظ ووصايا وشيء من سيرة المسيح، ليس هناك تشريعات في الأناجيل تناقض أي قانون وضعي، ولذلك فالنصراني إذا حُكِم بقانون وضعي علماني لا حرج عليه، لكن المسلم إذا حُكِم بقانون يقول: عقوبة السرقة السجن. والقرآن يقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]. سيظل المسلم يشعر أن ما يقوله القانون ضد دينه، ضد قرآنه: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، أنا كمسلم كيف تحكم عليَّ بما لا يرضاه عقلي وقلبي وديني؟ أنا رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد رسولًا؛ فكيف تفرض عليَّ ما ترفضه عقيدتي؟ الحقيقة أن مبررات العلمانيَّة في الغرب لا وجود لها عندنا.

العلمانيَّة في الغرب لم تسلب الكنيسة حقها:

ثم هناك شيء أيضًا أريد أن أذكره، ما الَّذي حدث حينما أخذ الغرب العلمانيَّة وفصل الدين عن الدولة؟ هو حَرَم بذلك الكنيسة من سلطتها الظاهرة طبعًا، ولكن بقيت للكنيسة سلطة باطنة، تُحرك السياسة من وراء ستار في أمور كثيرة، هذا من ناحية!

ومن ناحية أخرى بقيت للكنيسة سلطتها المستقلة، نحن نعلم أن هناك بابوية، وهذه البابوية دولة داخل الدولة، لها أملاكها، سمعتم أستاذنا الشيخ الغزالي في المحاضرة الماضية يقول لكم: إن أملاك الكنيسة الكاثوليكية تأتي في الدرجة الثالثة بعد أمريكا وروسيا من ناحية الغِنى، ولها جيش جرار من المُبَشِّرين في أنحاء العالم، وله كذا وكذا. سُلطة، دولة فعلًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلام، فليس له مثل هذه السلطة، ليس عندنا سلطة بابويَّة، بل ليس عندنا رجال دين، الحقيقة أنَّه ليس في الإسلام رجال دين، هناك علماء دين، ويمكن لكل واحد أن يكون عالم دين، يدرس فيصبح عالم دين، الأمر ليس بالوراثة، ولا بالزي، علماء الدين هم أناس متخصصون في فقه الدين والدعوة إليه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فليس في الإسلام طبقة لها سلطانها داخل المجتمع الإسلامي، يتحكمون في رقاب الناس وفي ضمائرهم.

حرمان الإسلام من سلطة سياسية أو دينية:

ولذلك إذا لم يكن للإسلام سلطة سياسية تتمثل في حكم إسلامي، وليس هناك سلطة دينيَّة ـ كما في المجتمع الغربي ـ فمعناه أنَّ الإسلام بقي بلا سلطة، أصبح بلا شيء أبدًا!

ولذلك كنتُ أنادي بمشروع لمواجهة التيارات التنصيريَّة وغيرها، مشروع الألف مليون دولار، وكنت أقول: كيف نأتي بهذا المبلغ؟ لو كان لنا خليفة لنادى الناس: يا مسلمون، هبُّوا لنصرة دينكم! لو كان عندنا بابا لنادى الناس إلى هذا باسم الدين! ولكن ليس عندنا خلافة إسلاميَّة، ولا بابوية دينية؛ ففرض العلمانيَّة عندنا معناه تجريد الإسلام من كل قوة، فما كان في المجتمع الغربي لا يجوز أن يفرض في المجتمع الإسلامي! قياس المجتمع الإسلامي على المجتمع الغربي هو ـ كما يقول الأصوليون ـ قياس مع الفارق، بل مع الفوارق العديدة، لأن تاريخنا غير تاريخهم، وعقائدنا غير عقائدهم، وتشريعاتنا غير تشريعاتهم، ومقاييسنا غير مقاييسهم، لم يحدث عندنا ما حدث عندهم من صراع

QaradawiBooks.com

بين العلم والدين، بل الدين عندنا علـــم، والعلم عندنا دين، ما حاجتنا إذن إلى العلمانيَّة؟ لا حاجة إلى العلمانيَّة أيُّها الإخوة.

الإسلام لا يعرف الحكومة الدينيَّة:

طبعًا أريد أن أكون منصفًا، هناك بعض أشـــياء تُخوِّف الذين يدعون إلى العلمانيَّة، من هذه الأشـــياء أنَّهم يخشون أن تقوم حكومة دينية كما قامت في البلاد الأوروبية، والإسلام لم يعرف الحكومة الدينيَّة، حكومة الكهنة، ليس في الإسلام حكومة كهنة، حكومة الدراويش، لا!

وحين تقوم حكومة إســـلاميَّة هـــل معناها أن يكون الشـــيخ الغزالي رئيس الجمهورية؟ لا، إنَّها حكومة تضع كل إنسان في موضعه، لا يمكن أن تقدم أبا هريرة وتؤخـــر خالد بن الوليد! وهذا ما حـــدث فعلًا، فمنذ أسلم خالد بن الوليد أخذ موضعه وتصدر الصفوف، سيف سلَّه الله على المشركين، ومنذ أســـلم عمرو بن العاص تصدر الصفوف وقاد المعارك، وكان معه كبار الصحابة من الســـابقين الأولين، مواهـــب قيادية أخذت موضعهـــا، وأبو ذر ـ علـــى ما كان لـــه من ســـبق وفضـــل ومنزلة عند رســـول الله ﷺ ـ لما طلب الإمارة قال له الرســـول ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، إنَّكَ ضعيفٌ، وإنَّها أمانةٌ، وإنَّها يومَ القيامة خزيٌ وندامة، إلَّا من أخذها بحقِّها، وأدَّى الَّذي عليه فيها**»[1]. ليس معنى أنَّه أصدق لهجة أنَّه يصلح للإمارة.

للإمام ابن تيمية كتاب اسمه «السياسة الشـــرعيَّة في إصلاح الراعي والرعيَّة»، تعلمـــون أنَّ كلمة (السياســـة) كلمة قديمة عندنا، «السياســـة الشرعيَّة» فيها كتب مؤلَّفة من قديم ومن حديث، من أحدث ما ألف فيها

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥)، عن أبي ذر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد الرحمن تاج له كتاب «السياسة الشرعية»، وكتاب الشيخ عبد الوهَّاب خلَّاف عن السياسة الشرعية، أو نظام الدولة الإسلاميَّة، ولذلك لا معنى لكلام من يقول: لا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة.

يقول ابن تيمية في هذا الكتاب نقلًا عن الإمام أحمد بن حنبل: أنَّه لما سئل:

هناك أميران، أمير تقي ضعيف، وأمير فاجر قوي؛ مع أيِّهما أغزو؟ رجل طيب ولكنَّه ضعيف لا يعرف في فنون الحرب والناحية العسكريَّة، والآخر ليس من أهل التقوى ولكنَّه قوي خبير، فمع أيهما أغزو؟ قال له: اغزُ مع القوي الفاجر، أمَّا الفاجر ففجوره على نفسه، وقوَّته للمسلمين، وأمَّا الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين[1].

من يقول هذا هو أحمد بن حنبل إمام الورع، ولذلك مقياس تولية الأعمال في الإسلام القوة والأمانة، أو الحفظ والعلم: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، العلم والقوة والكفاية من ناحية، والأمانة والحفظ والصيانة والرعاية لحقوق الله وحقوق الناس من ناحية أخرى، هذا هو ما يريده الإسلام، فليس في الإسلام حكومة دينية بالمعنى الغربي.

المبررات عند الغرب لا توجد في الإسلام:

أقول: إنَّ المبررات الَّتي عند الغرب لا توجد عندنا، والتخوفات الَّتي عند إخواننا من دعاة العلمانيَّة، ومن أتباع الأديان الأخرى لا محل لها!

(١) مجموع الفتاوي ابن تيمية (٢٨/٢٥٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لم التخوف من قيام حكومة دينية؟ لم يكن في تاريخنا حكومة دينية، نحن ندعو إلى حكومة إسلاميَّة تعطي كل ذي حق حقه، وتضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، و«**إذا وُسِّدَ الأمر إلى غيرِ أهْلِه فانتظر الساعةَ**»[١]، فهي حكومة شوريَّة تقوم على البيعة والاختيار الحر، وتوسيد الأمر لأهله، ومراقبة الحاكم ومحاسبته، ويقول الحاكم فيها: من رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم. إلى آخر ما تعلمون، فهي حكومة شورية، تقوم على البيعة، وأن تعطي الأمر لأهله، وتحاسب الحاكم وتراقبه؛ كما قال عُمر: مَن رأى منكم فيَّ اعوجاجًا فليقومني[٢]، وكما قال الصديق من قبل: إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم[٣]، إلى آخر ما تعلمون، فهي حكومة إسلاميَّة، وليست حكومة دينية كما أشار فضيلة الشيخ الغزالي.

التخوف من جمود بعض العلماء:

وهناك التخوف من جمود بعض علماء الدين، وأن هناك من العلماء من يقف جامدًا، ولكن أعتقد أن هذه مرحلة قد انتهت، تجاوزها الزمن، لا أجد عالمًا الآن له اعتباره يقول بإغلاق باب الاجتهاد! هل هناك أحد يقول الآن: إن باب الاجتهاد مغلق؟ نحن ننادي بفتح باب الاجتهاد، الاجتهاد الإنشائي الإبداعي، والاجتهاد الترجيحي الانتقائي! الانتقاء من التراث، والاجتهاد في المسائل

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.
(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٢٩).
(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، وصحَّح ابن كثير إسناده في البداية والنهاية (٨٩/٨ ـ ٩٠).

QaradawiBooks.com

الجديدة! وهناك مجامع قامت على هـذا. والأمور الاجتهادية كثيرة، ولا نزال ندعو إلى هذا وننـادي، وإذا كان هناك من العلماء من يقول بغلق باب الاجتهاد فنحن أول من يقف ضده.

غير مرخصة للطباعة

التخوف من الجماعات المتشددة:

هناك أيضًـا بعض فصائل الجماعـات الدينية الَّتـي تتبنى مقولات متشددة، أو آراء متشنجة، أو تقف لتحارب غير معركة في مسائل جزئية، نحن لا ننكر هذا، ولكن ليس هؤلاء هم السواد الأعظم لأبناء الجماعات الإسـلاميَّة، كان هذا منذ زمن، وأنـا عاصرت هذا وعايشـته في أوائل السـبعينيات، حينما جئت من قطر بعد غياب مدة وجدت الشباب يقول بأفكار غريبة جدًّا، فقاومناها، وقاومها الشـيخ الغزالـي وأمثاله؛ حتَّى اعتدل الشـباب، وأصبح الغالب عليه هو الاعتدال والتوازن، بل أصبح الشباب يتبنون الكتب الإسلاميَّة المعتدلة، ويوزعونها بعشرات الآلاف، فلا ينبغي أن يُتهم شـباب الجماعات الدينية بإطـلاق بأنَّهم متطرفون! المتطرفون أجنحة يسـيرة من هـذه الجماعات، ومع هذا نسـتطيع أن نحاورهم ونقنعهم، ونحن بالفعل أول من يحاورهم ويقاومهم، من يقرأ كتب الشيخ الغزالي الأخيرة، وهي عديدة، كلها تقاوم التطرف والتشنج والتزمت، ولعل الفقير إلى الله تعالى قد سـاهم بشـيء من ذلك، فهذا لا ينبغي أن يخيفنا.

التخوف من التجارب المتعددة:

هناك أيضًا تخوف مـن التجارب الَّتي حدثت، بعـض الناس يرفع شعار: تريدون

أن تحكمونـا بإسـلام النميري أم بإسـلام ضياء الحق أم بإسـلام

QaradawiBooks.com

الخميني؟ نحن نريد أن نُحكم بإسلام محمد ﷺ، إسلام مصدره القرآن والسنة، والاجتهاد القائم عليهما بما يلائم عصرنا، هذه التجارب الَّتي قامت يمكن أن تخطئ، وتجربة السودان فيها أخطاء في الفهم، وفي التطبيق من غير شك، ولكن من يتبنى هذا؟

للأسف بعض الذين يدعون إلى العلمانيَّة نقلوا على لساني كلمة فوجئت بها اليوم وأنا أقرأ، كلمة لم أقلها قط، والذين حضروا المناسبة الأولى عن تطبيق الشريعة الإسلاميَّة يعرفون ماذا قلت، أنا لست من الذين يلقون الكلام على عواهنه، ما قلت كلمة في مدح النميري، بالعكس أنا قلت: إنَّها مجرد تجربة، وأن المسألة ليست مجرد قوانين. هناك خطأ كبير جدًّا، الخلاف ليس في القوانين أيُّها الإخوة، وهذا ما قلته في السودان فعلًا: نحن لا نريد القوانين الإسلاميَّة فقط، نحن نريد حياة إسلاميَّة متكاملة توجهها العقيدة الإسلاميَّة، وتحكمها الشريعة الإسلاميَّة، وتسودها المفاهيم الإسلاميَّة، وتضبطها القيم والأخلاق الإسلاميَّة، هذا ما نريده! القوانين جزء من هذا، والقوانين وحدها لا تصنع المجتمعات، هناك الفكر والتوجيه والتربية، هذا كله لا بدَّ منه! والقوانين ليست هي الحدود فقط، من الظلم أن يقال هذا، ركز الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا فيما قاله في الأهرام أنَّ دعاة الإسلام ليس عندهم إلا الحدود، من قال هذا؟ نحن طالما قلنا: يا جماعة، الآيات الَّتي ذكرت الحدود في القرآن بضع آيات، ولكن الآيات الَّتي ذكرت العقيدة والأخلاق والتكافل والعدل الاجتماعي وتطهير المجتمع إلى آخره آلاف الآيات. فمن قال: إنَّ الحدود وحدها هي الإسلام؟ نحن لا نقول هذا، ولا تلزمنا مقولة غيرنا، لا داعي للتخوف إذن من الإسلام.

QaradawiBooks.com

التخوف على الحريات الأساسية:

وهناك التخوف على الحريات، وبالعكس: نحن دعاة الحرية، الإسلام لم يُطعن ولم يضرب إلا تحت مطارق الاستبداد السياسي، ويوم تتاح الحرية للإسلام ليتنفس، وليقول كلمته، وليوجه الشعوب فإن الإسلام دائمًا هو المنتصر، ولذلك نحن نرحب بالحرية، ونحن ندعو إلى الحرية: حرية الرأي، وحرية الاعتقاد، وحرية الكلمة، وحرية الاجتماع، وحرية تكوين الأحزاب، وأقولها بملء فيَّ: إنَّ الإسلام لا يمنع أن تكون هناك أحزاب، ما دامت في ظل أصول الإسلام القطعية، توجد أحزاب ومدارس متعددة وتتحاور، ونحتكم في النهاية إلى الناس، فلا داعي للتخوف من الحريات.

التخوف على غير المسلمين:

والذين يقولون: هناك تخوف على غير المسلمين: غير المسلمين عاشوا في المجتمع الإسلامي أربعة عشر قرنًا ـ أو نقول: ثلاثة عشر قرنًا قبل أن يأتي الاستعمار ـ حينما كان الإسلام يحكم، لم يوجد دين حفظ لهؤلاء حرماتهم، وحمى دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وقاتل عنها كما يقاتل عن المسلمين سواء بسواء؛ إلا الإسلام، وأنا كتبت في هذا كتابًا اسمه «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، لهم حقوقهم، لا يمكن أن نصادر حريتهم، أو نلغي شخصيتهم، وهم جزء من الوطن، أو بتعبير الفقهاء: هم من أهل دار الإسلام. وبالتعبير الحديث: الذين يحملون الجنسية السياسية الإسلاميَّة. ولهم ما لنا وعليهم ما علينا؛ إلا فيما استُثني مما له طابع ديني، لهم الحق في أن يكون لهم تمثيل ملائم في المجالس الشورية، في الحكومة، فهم جزء من الوطن، ولكن لا ينبغي

QaradawiBooks.com

أن نجاملهم على حساب الدين، إذا كان المسيحي قبل بالقانون الوضعي لماذا لا يقبل القانون الإسلامي؟ أنا آخذه على أنَّه من عند الله، وهو يأخذه على أنَّه قانون الأغلبية، أليست الديمقراطية مقبولة، والديمقراطية هي حكم الأغلبية؟ فلما لا يُحكَّم رأي الأغلبية بشرط ألا نحيف على الأقلية، أن نحفظ لها كيانها وحقوقها؟

لماذا الخوف إذن؟ لماذا نخاف من الشريعة الإسلاميَّة ومن الحياة الإسلاميَّة؟ بالعكس، بدل النفاق السياسي نكون صرحاء: لكم دينكم ولي دين، أنا لا مانع عندي أن يكون المسيحي متدينًا بدينه، هذا أفضل من أن يكون ملحدًا، نحن مع التدين، ولكنا لسنا مع الطائفية، التدين شيء، والطائفية شيء، التدين أن يلتزم الإنسان بدينه بأخلاقه بقيمه، أمَّا الطائفية فهي حقد على الآخرين، التعصب ضد الآخرين، ونحن لا نقبل بهذا لا عند المسلمين ولا عند غير المسلمين.

حجة عليه لا له:

الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا قال: إنَّ العلمانيَّة مطلوبة لأجل الطوائف الأخرى. وذكر أمثلة هي حجة عليه لا له، احتج بالهند، والهند من يومها علمانيَّة، ولم تنفع العلمانيَّة في إخماد الطائفية، نحن نعرف فتنة السيخ، ونحن نعرف عصبية الهندوس، ونحن نعرف المجازر الَّتي تحدث للمسلمين ما بين حين وآخر، هؤلاء الذين لا يجيزون قتل الفئران وهي تأكل القمح، ولا يجيزون استعمال المبيدات الحشرية في الفنادق هناك؛ لأنَّهم لا يجيزون قتل البعوض لأنَّه ذو روح، ولكن يجيزون قتل المسلمين وحدهم، ماذا صنعت العلمانيَّة في الهند؟ أبقت الطائفية، وزادتها اشتعالًا.

QaradawiBooks.com

ولبنان من يوم استقلاله وهو علماني، ومع هذا لن تستطع العلمانيَّة أن تلغي الطائفيـة، وكانت الحرب الأهلية في ظـل العلمانيَّة، فلا لبنان يحكم بالشـريعة الإسـلاميَّة، ولا الهند تحكم بالشـريعة الإسـلاميَّة، العلمانيَّة هي أساس الحكم فيهما، ومع هذا لم تغن عنهما شيئًا.

لماذا نرفض العلمانيَّة؟

يا أيُّها الإخوة، نحن نريد الشـريعة الإسـلاميَّة، ونرفض العلمانيَّة، نرفض العلمانيَّة لأنَّها ضد عقيدتنا وشريعتنا، ونرفض العلمانيَّة لأنَّها ضد مصلحتنا، نحن نريد أن نجند هذا الشـعب تحت راية الإيمان، في جو نظامي، جو أحكام، يتيح للإنسـان أن يتطهـر، وأن يتخلق، وأن يكون إنسانًا فعَّالًا، نريد أن نفجر طاقات هذا الشعب؛ ولن نفجر طاقاته إلا في ظل الإيمان، هذه الأمة لا تفجر طاقاتها إلا إذا قدتها بـ (الله أكبر)، أمَّا إذا قدتها بشـيء آخر، فلا يمكـن أن تصنع بهـا العجائـب، أو تحل بها المشكلات المستعصية.

كما نرفض العلمانيَّة لأنَّها ضد الديمقراطية! أليست الديمقراطية أن تحكم الأغلبية؟ إذن فلنستفت الأغلبية!

بيننا وبين العلمانيين اسـتفتاء حر نزيه: شريعة إسـلاميَّة أم قوانين علمانيَّة؟

وما يقوله الشعب نقف عنده، والشعب مع الإسلام، وهذا ما اعترف به الدكتور فؤاد من أنَّ المسـألة لو كانت إسلامًا وعلمانيَّة، فالإسلام هو الرابح من غير كلام؛ وذلك لأنَّ الإسـلام فطرة هذا الشـعب، الشـعب مسلم، فالعلمانيَّة ضد الديمقراطية.

QaradawiBooks.com

العلمانيَّة نبتة خرجت من غير تربتنا:

العلمانيَّة مبدأ مستورد من أرض غير أرضنا، لها تاريخ غير تاريخنا، ولذلك إذا حكَّمنا منطق الدين أو منطق المصلحة، أو منطق الديمقراطية، أو منطق الأصالة، فكلها ترفض العلمانيَّة، ولا تقبل إلا الشريعة الإسلاميَّة، أمَّا التقدم والعلم والتكنولوجيا فمرحبًا بها؛ هي فريضة إسلاميَّة، مرحبًا باقتباس الحكمة من أي وعاء خرجت، نلتمسها من الشرق والغرب، أي نظام شرقي أو غربي، نظام اقتصادي، نظام اجتماعي، نظام لمصلحة الناس، ما دام لا يتعارض مع قيمنا وشرائعنا وأخلاقياتنا فنحن نقتبسه، وندخله في الإسلام، ويصبح جزءًا من الإسلام كما صنع عمر وأخذ نظام تدوين الدواوين من الحضارات الأخرى ثم أُسلمت، أي نظام نأخذه من أي حضارة أخرى نؤسلمه، أي يفقد جنسيته الأولى، ويصبح جزءًا من النظام الإسلامي العام.

هذا ما ننادي به أيُّها الإخوة، ولسنا منغلقين، ولسنا ضد التقدم، ولسنا ضد العلم والتكنولوجيا، ولسنا ضد طائفة من الناس، ولا نكفِّر أحدًا، ولا نتهم أحدًا، بل نحسن الظن بكل مسلم!

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجمعنا على الحق والهدى، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا؛ إنَّه سميع قريب.

ومعذرة إذا أطلت؛ فالموضوع خطير كما قال الدكتور فؤاد نفسه في مقالاته، ويستحق مثل هذا، وأكثر منه، معذرة أيُّها الإخوة في النهاية، وشكر الله لكم، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٧

التبشير في العالم الإسلامي(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رُسُل ربِّنا بالحق، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله على آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وأُحيِّيكم ـ أيُّها الإخوة والأخوات ـ بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وشكر الله لرئاسة المحاكم الشرعية، ولإدارة الشؤون الإسلامية، أنْ أتاحت لي هذه الفرصة، لأتحدَّث إليكم عن قضية خطيرة من قضايا المسلمين اليوم، وهي قضية «التبشير في العالم الإسلامي».

بين التبشير والتنصير:

التبشير كلمة في اللغة العربية معناها: الإخبار بخبرٍ سارٍّ في

(١) ألقيت في الدوحة، بدعوة من رئاسة المحاكم الشرعيَّة، بدولة قطر، عام ١٩٨٣م.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الغالب، يظهر أثره على البَشَرة، وإنْ استُعملت ـ من باب التبكيت والسخرية ـ في غير ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

غير مرخصة للطباعة

والله ﷻ أرسل الرسل مُبشِّرين ومنذِرين، واختار النَّصارى كلمة التبشير على كلمة الإنذار، مع أنَّ وصف الرسل بالمنذرين هو الأوفق والأوْلى؛ لأنَّ غفلة الناس عن الطريق وعن الآخرة تجعلهم أحوج ما يكونون إلى الإنذار؛ ولذلك كثيرًا ما يسمَّى النَّبيُّ نذيرًا، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

على أيِّ حالٍ فهم قد اختاروا هذا الاسم التبشير؛ لأنَّ معنى الإنجيل في اليونانية هو البشارة كما قالوا. وأصبح التبشير في اصطلاحهم: دعوة الناس إلى الدخول في الديانة المسيحية، ولا مُشاحَّة في الاصطلاح كما قال علماؤنا.

بعض الإخوة يجعلون التَّنصير مكان التَّبشير، والحقيقة أنَّه ليس كلُّ تبشير تنصيرًا، فالتَّبشير وسيلة، والتَّنصير غاية، فقد يصل التَّبشير إلى التَّنصير، وقد لا يصل، ونسأل الله ألَّا يصل التَّبشير إلى غايته أبدًا.

التَّبشير في العالم الإسلامي هو موضوع حديثنا، والتبشير في العالم كلِّه معروف، نشرت مجلة «التايم» في ديسمبر سنة ١٩٨٢م ـ أي منذ عام مضى ـ إحصائية عن المبشِّرين في العالم، قالت: إنَّ عددهم مائتان وعشرون ألفًا، من هؤلاء مائة وثمانية وثلاثون ألفًا من الكاثوليك، واثنان وستون ألفًا من البروتستانت، ومن هؤلاء ثمانية وثلاثون ألفًا من الأمريكان وحدهم. وهناك عدد ضخم من هؤلاء يعمل فيما يسمونه العالَم الثالث، وفي العالَم الإسلامي منه خاصة.

QaradawiBooks.com

أخطار خارجية تُهدِّد العالَم الإسلامي:

ونحن في عالَمنا الإسلامي نتعرض لأخطار خارجية ثلاثة:

(١) الخطر اليهودي:

ويُعبِّر عنه بعضهم بالخطر الصهيونـــي، ولا فرق عندنا بين اليهودية والصهيونية، فـــكلُّ يهودي في الحقيقة صهيونـــي، بِحُكْم تعاليم التوراة نفسها، وبِحُكْم تعاليم التلمود التي تجعل كلَّ يهودي صهيونيًّا.

(٢) الخطر الصليبي:

ويُعبِّر عنه بعضهم بالخطر الاســـتعماري أو الغربـــي فِرارًا من كلمة الصليبيَّة، وكلمة الاستعماري في الحقيقة ينبغي أنْ تُطلق على الاستعمار الشرقي، كما تُطلق عن الاستعمار الغربي، فكلاهما استعمار، وربما كان الاستعمار الشرقي أخبث، وأقسى، وأشد من الاستعمار الغربي، وهو إذا دخل بلدًا لا يخرج منها، فهو خطر صليبي.

(٣) الخطر الشيوعيّ:

خطر الشيوعيَّة الحمراء، التي ترفض الدين جملة، وتخص الإسلام بمزيد من العداوة.

هذه أخطار ثلاثة، وهي تختلف فيما بينها، وتتفق علينا نحن، إذا كان العدو هو الإســـلام اجتمعت كلمتهم جميعًا، رغم خلافهم في الأهداف والوســـائل، وخلافهم في الأصول والفروع، إذا كنَّـــا نحن العدو اجتمع اليهودي والصليبي والشـــيوعي، وهذا ما جعل فقهاءنا يقولون من قديم: الكفر كلُّه ملة واحدة.

QaradawiBooks.com

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. والمعنى: إلَّا يوالي بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم كما يفعلون، ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

وهذا الأمر معروف من قديم، رأينا ولاء التتار والصليبيين بعضهم لبعض، رغم تباعد الشقَّة المكانية بينهم، ورغم اختلاف الديانتين، واختلاف الاتِّجاهين، إلَّا أنَّه كان هناك تواصل بينهما، كما أثبت التاريخ ذلك.

الخطر الصليبي:

وحديثنا اليوم هو عن الخطر الثاني، عن الخطر الصليبي، وهذا الخطر يحاربنا بسلاحين: سلاح التبشير، وسلاح الاستشراق. وفي مثل هذه المناسبة، وفي هذا المكان، تحدَّث الأخ الدكتور محمود زقزوق عن الاستشراق، وبقي أن نتحدَّث عن السلاح الثاني التبشير.

بين الاستشراق والتبشير:

ولا فرق بين التبشير والاستشراق، إلَّا أنَّ الاستشراق يلبس رداء العلم، والتبشير يلبس مسوح الدين، الاستشراق يلف ويدور حول أهدافه، والتبشير يهاجم هجومًا مباشرًا، المستشرقون قد يكون فيهم بعض المنصفين، ولكننا لم نرَ مبشرًا منصفًا قط، قد يكون في عمل المستشرقين بعض النفع من الناحية العلمية، ولكنَّ كل عمل المبشرين هدم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نظرة تاريخيَّة على لقاء الإسلام بالمسيحيِّة:

حديثنا عن التبشير في العالم الإسلامي، التبشير بين المسلمين بصفة خاصة، وهذا يجعلنا نعود إلى الوراء لإلقاء نظرة تاريخية على اللقاء بين الإسلام والنصرانية، وهو لقاء قديم، يرى بعض الناس أنَّ هذا اللقاء بدأ مع الحروب الصليبية.

أولًا: العصر النبوي:

ولكن جذور لقاء الإسلام بالنصرانية أبعد من هذه الحروب، منذ الفتوح، بل قبل الفتوح، منذ الرسالة المحمدية، منذ بعث رسول الله ﷺ رسالته إلى هرقل عظيم الروم قائلًا له: «**أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يؤتِكَ الله أجرك مرَّتين، فإن لم تفعلْ فعليك إثم الأَرِيسِيِّين**». وختم رسالته بالآية الكريمة: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤][1].

من هنا بدأ الاحتكاك بين الإسلام والنصرانية، وبدأ دعاة الإسلام يذهبون إلى النصارى، وتعرَّض بعضهم للقتل، وكانت معركة مؤتة، وغزوة تبوك، وهذا في اللقاءات التي تمَّت في العهد النبوي بين الإسلام والنصرانية، المتمثلة في أقوى دولة في الأرض حينئذ، دولة الروم البيزنطية.

ثانيًا: عصر الراشدين:

ثمَّ كان اللقاء في عصر الصحابة، عصر الراشدين، فحدثت معركة اليرموك وغيرها، وفُتِحت بلاد الشام: سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وحدثت معركة أجنادين، ثم بعد ذلك فتحت مصر، وفتحت شمال إفريقيا، وقُصَّ بذلك جناح الإمبراطورية الضخمة، ودخل الإسلام هذه البلاد وتمكَّن فيها، فأسلم أهلها ودخلوا في العربية، أسلموا واستعربوا، فقد كانت سياسة الصحابة الإسلام واللغة العربية معًا.

لم تكن مصر وشمال إفريقيا عربًا، ولكن الإسلام عرَّبهم، ودخل الناس في دين الله أفواجًا دخولًا مُلفتًا، حتى إنَّ والي مصر في عهد عمر بن عبد العزيز انزعج من كثرة دخول الناس في الإسلام؛ لأنَّ هذا أثَّر على ميزانية الولاية، فالذين يدخلون في الإسلام لا يدفعون الجزية بحكم أنَّهم أسلموا، ولا يدفعون الزكاة إلَّا بعد مرور حول، ومعنى هذا أنَّ استمرار دخول الناس في الإسلام يؤثر على الميزانية، فبعث الرجل إلى عمر بن عبد العزيز يقترح أن تُفرض الجزية على مَنْ دخل في الإسلام؛ فأرسل إليه عمر يقول له: قبَّح الله رأيك، إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ هاديًا ولم يبعثه جابيًا[1]. هو رسول هداية، وليس رسول جباية.

انتشر الإسلام إذنْ في البلاد النصرانية كلَّها، ودخل أتباع النصرانية ـ شعوبًا وأممًا ـ في الإسلام، لا بالسيف كما زعموا، ولكن بأخلاق المسلمين، بوضوح الإسلام، بوضوح العقيدة الإسلامية، ونبل الأخلاق الإسلامية، وعظمة المعاملة الإسلامية، كان المسلمون يؤثِّرون بأخلاقهم، فلم يكن دينهم يتطلب فلسفة ولا تعقيدًا ولا شيئًا من هذا، فدخل الناس في هذا الدين أفواجا، وهذا مما أزعج المستشرقين والمبشرين فيما بعد، حتى إنَّ مبشرًا ومستشرقًا من كبارهم المعروفين،

(١) رواه سعيد بن منصور، كما في سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات. نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

هو المستشرق الإيطالي الأمير «ليون كايتاني»، له كتاب ضخم اسمه «حوليات الإسلام»، قال فيه: أنا أردت بهذا الكتاب أنْ أبحث عن سرِّ المصيبة الإسلامية التي انتزعت من المسيحية أتباعها، ولم يعودوا إليها أبدًا. المصيبة الإسلامية التي أدخلت الناس في الإسلام، هكذا يراها، فعلاقة الإسلام بالمسيحية علاقة قديمة.

وكان الإسلام منتصرًا دائمًا، انتصر من الناحية العسكرية، وانتصر من الناحية السياسية، وانتصر من الناحية الدينية العقدية، انتصر الإسلام دينيًّا دون أدنى إكراه، وهذا ما اعترف به مؤرخوهم أنفسهم، فكتب رجل مثل «توماس أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، يقول: لم يثبت أنّ شعبًا أو جماعةً قط أُكرهت على الدخول في الإسلام[1]. لم يحدث أن انتصر الإسلام بالسيف، بل انتصر الإسلام على السيف، كما قال الشيخ الغزالي[2]. السيف هو الذي رُفع في وجه الإسلام من أوَّل يوم، وانتصر الإسلام دائمًا في أوقات السلام، والسماحة، والهدوء، منذ عهد الحديبية، انتشر الإسلام لأنَّه دين الفطرة، ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم: ٣٠]، انتصر الإسلام عسكريًّا، وثقافيًّا، ودينيًّا، وسياسيًّا.

ثالثًا: عصر الحروب الصليبيَّة:

ثم جاءت بعد ذلك الحروب الصليبية لتحاول أنْ تنتزع هذا النصر، انتعشت أوربا في وقت من الأوقات، فأحبَّت أنْ تُفرغ طاقات أبنائها، في ماذا؟ بدل أنْ يحارب بعضهم بعضًا ـ كما كان هذا معروفًا عندهم ـ

(١) راجع: الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد صـ٦٣ وما بعدها.

(٢) انظر: الاستعمار أحقاد وأطماع للشيخ محمد الغزالي صـ١١٤، نشر دار نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وجَّهوا هذه الطاقات الجديدة لحرب المسلمين، وجَّهوها بعناوين كاذبة، وشعارات فارغة: انتزاع قبر المسيح، وتأمين الطريق للحُجَّاج المسيحيين، وكان الحُجَّاج يذهبون ويجيئون في حضانة المسلمين وفي حمايتهم.

وظلَّت الحروب الصليبيَّة قرنين، أو أكثر من قرنين، قامت للصليبيين إمارات وممالك، وظنوا في وقت من الأوقات أنَّ علَم الإسلام قد طُوي، وانتهى أمره، وغابت شمسه.

ثمَّ هيَّأ الله للإسلام رجالًا نفخوا في الروح الإسلامية، فأحيوا الأُمَّة من موات، وجمعوها من شتات، وأيقظوها من سُبات، وكان عماد الدين زنكي، وكان الشهيد نور الدين محمود، وكان صلاح الدين الأيوبي، وكان هؤلاء الأبطال الذين استعادوا الأرض الإسلامية، بعد أن استعادوا الروح الإسلامية، ورجع الصليبيُّون مدحورين، هذا هو اللقاء الثالث.

رابعًا: عصر التبشير:

بعد هذه الحروب الصليبية بدأ الغربيُّون الصليبيُّون أنفسهم يفكرون، قالوا: ما عاد ينفع اللقاء المُسلَّح بيننا وبين المسلمين، لا بدَّ من طريق آخر، فكَّر في هذا «لويس التاسع»، الذي كانوا يسمونه «القديس لويس»، صاحب الحملة المشهورة على المنصورة، وعلى دمياط، وغيرهما، الذي أُسِرَ في دار بن لقمان بالمنصورة، وسخر منه الشاعر ابن مطروح:

أتيتَ مِصْرًا تبتغي مُلكَها ... تَحْسِبُ أنَّ الزَّمْرَ يا طَبْلُ رِيحْ
فساقَكَ الحَيْنُ إلى أَدْهَمٍ ... ضاق به عن ناظِرَيْكَ الفَسيحْ
وكلُّ أصحابِكَ أودعتْهم ... بحُسْنِ تدبيرك بَطْنَ الضَّرِيحْ
سبعونَ ألفًا لا تَرَى مِنْهُمو ... إلَّا قتيلًا أو أسيرًا جَرِيحْ

QaradawiBooks.com

وفَّقَكَ اللهُ لأمثالها ... لعلَّ عيسى منكمُو يَسْتَرِيحْ
إن كان باباكُمُو بذا راضيًا ... فرُبَّ غشٍّ قد أتى من نَصِيحْ
فاتَّخِذُوه كاهنًا إنَّه ... أنصحُ من شِقٍّ لكم أو سَطِيحْ
وقلْ لَهم إنْ أضمروا عودةً ... لأخْذِ ثأرٍ أو لِفِعْلٍ قبيحْ
دارُ ابن لقمانَ على حالِها ... والقَيْد باقٍ والطواشي صَبِيح[1]

فأوصاهم لويس أنْ يغيِّروا طريقتهم، وكذلك أوصاهم بعض المبشرين منهم، قال لهم بعض كبار آبائهم: لا بدَّ من طريق أخرى لمواجهة المسلمين غير طريق السلاح. وقد نقل الأخ الدكتور عبد العظيم الديب في مجلة «الأمة»، عن المؤرخ النصراني اللبناني المتأمرك المعروف «فليب حتِّى»، من الجزء الثاني من كتابه «تاريخ سوريا»، ما قاله القوم في هذه الناحية: أنَّه لا بدَّ من عمل آخر يتجه ناحية الفكر، التأثير الفكري والثقافي، بدل المواجهة بالسلاح[2].

نقل هذا الكلام منه، وهو كلام قديم منذ سنة ١٣١١م، أيْ في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، أي بعد الحروب الصليبية بسنوات قليلة، فاتفقوا على هذا، ولذلك كان همهم أنْ يؤثِّروا في المسلمين عن طريق الفكر، والتعليم، والدعوة، ونحو ذلك، وكان هذا أسلوب التبشير.

صحيح أنَّه حدثت بعد ذلك مواجهات عسكريَّة بينهم وبين المسلمين، ولكن ذلك في وقت كان المسلمون فيه غافلين.

(١) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١٩٧/١٠)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: بضعة أسطر في كتاب التاريخ للدكتور عبد العظيم الديب صـ٢٩ ـ ٣٠، نشر دار دَوِّن القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

ثم حدثت مواجهات بينهم وبين الدولة العثمانيَّة، وهي في أوج قوتها، وكان النصر حليفًا للمسلمين مدة طويلة، حتى طرق العثمانيُّون أبوابَ ڤِينَّا في النمسا.

ثمَّ حدث ما حدث وقام الباطل في غفلة الحق، وقام الاستعمار الأوربي وجاء إلى بلاد المسلمين، وحدثت المواجهات المعروفة، ودخل «اللمبي» ـ القائد الإنجليزي ـ مدينةَ القدس، وقال قولته التاريخية المعروفة: اليوم انتهت الحروب الصليبية. وقال نظيره القائد الفرنسي حينما دخل دمشق، ووقف عند قبر القائد المسلم صلاح الدين، قال بشماتة: ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين[1].

الحقيقة أنَّ القائد الإنجليزي قال ما قاله بعد انتهاء الحروب الصليبيَّة، والواقع أنَّ الحروب الصليبيَّة لم تنتهِ، الحرب مستمرة بصورة وبأخرى، ومنها الحرب التي نواجهها الآن في صورة الاستشراق، وفي صورة التبشير، وفي صورة المكايد، وفي صورة المؤامرات المختلفة.

من أهداف التبشير:

نريد الآن ـ بعد هذه النظرة التاريخيِّة ـ أن نلقي أضواءً كاشفة على التبشير: أهدافه، ووسائله، وأهم العوامل المساعدة له، ثم نتحدث عن مواجهة التبشير، ومجالات المواجهة، ومقومات النجاح، فلنبدأ ـ أولًا ـ بالحديث عن أهداف التبشير.

للتبشير في العالم الإسلامي أهداف عديدة:

(١) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني صـ٢٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) نشر المسيحيَّة:

الهدف الأول من التبشير هو الهدف الديني، نشر المسيحيَّة بين المسلمين، يريدون لنا الهداية نحن المسلمين! هكذا يزعم بعضهم، أنْ يأخذوا بأيدينا نحن الضالِّين ليهدونا إلى الوثنية المسيحية! إنْ صحَّت أنْ تسمَّى مسيحيَّة، والأوْلى في الحقيقة أنْ تُسمَّى «بُولسيَّة»؛ لأنَّ الديانة الحاضرة ليست ديانة المسيح، بل هي ديانة «سانت بولس»، بولس الرسول كما يسمُّونه، واسمه اليهودي الحقيقي «شؤول»، فهذا هو الذي صنع المسيحية الحاضرة، أو النصرانية الحاضرة.

فهناك من يزعم أنَّ هناك هدفًا دينيًّا، ولا شك أنَّ هناك بعض المتدينين لهم أهداف ودوافع دينية للتبشير، ولكن هناك دوافع أخرى وأهداف أخرى لدى المبشرين.

(٢) تحطيم الشخصية الإسلامية:

منها أنَّهم يريدون تحطيم الشخصية الإسلامية، توهين الإنسان المسلم، وهذا ما قاله رئيسهم القديم «صموئيل زويمر»، أحد المبشرين العتاة عندهم، قال: ليس المهم أنْ يدخل المسلم في النصرانيَّة، ولكن المهم أنْ يخرج من الإسلام[١]. لأنَّهم جرَّبوا أنْ يدخلوا المسلم في النصرانية فوجدوا ذلك صعبًا جدًّا، أنْ يتحوَّل المسلم من محمد وأحمد إلى جورج وبطرس، هذا عمل في غاية الصعوبة، ولذلك قالوا: يكفينا أنَّنا نزعزع ثقة المسلم في الإسلام، ونحطِّم فيه الأصالة الإسلامية، والنشاط الإسلامي. هذا هدف من أهداف التبشير بالنسبة للشخصيَّة المسلمة.

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب للدكتور مانع حماد الجهني (٦٧٩/٢)، نشر دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، ط٣، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

(٣) تفكيك وحدة المجتمع:

كما أنَّهم حاولوا نشر التفكك بين طبقات المجتمع الإسلامي وفئاته بعضهم وبعض، حتى يسهل بعد ذلك التَّسـلُّل والدخول إلى المجتمع وتهديـده، فهم حريصـون جدًّا على تمزيـق الوحدة الإسـلامية، ومن أهدافهم الكبرى تمزيق وحدة المسـلمين، بحيث لا يلتئم لهم شـمل، ولا يجتمع لهم صف، ولا يقوم لهم بناء متماسـك، فهم يعملون دائمًا كما يعمل السوس للنخر في جسم الأُمَّة الإسلامية.

وهذا ما اعترف به بعضهم، ويمكن أنْ أقـرأ لكم تصريحاتهم، قال لورنس براون: إذا اتَّحد المسـلمون في إمبراطوريـة، أمكن أنْ يصبحوا لعنة على العالم، وأمكن أنْ يصبحوا نعمة له، أمّا إذا بقوا متفرقين فإنهم يبقون حينئذ بلا قوَّة ولا تأثير[١].

إذا كان هناك احتمال أنْ يكون المسـلمين باتِّحادهم مسـتقيمين أو منحرفين، فهو ـ أي لورنس براون ـ يريد زوال هذا الاتحاد، فقط لمجرد الاحتمال، لا يريد ألا يكون للمسلمين وزن ولا تأثير في العالم، ومن ثَمَّ يدعو إلى تفريقهم.

ويقول القس سـيمون: إنَّ الوحدة الإسـلامية تجمع آمال الشعوب السود والملوَّنين، وتساعدهم على التملُّص من السيطرة الأوربية، ولذلك كان التبشير عاملًا مهمًّا في كسر شـوكة هذه الحركات التوحيديَّة؛ ذلك لأنَّ التبشـير يعمل على إظهار الأوربيين في نـور جديد جذَّاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها[٢].

---

(١) التبشير والاستعمار للدكتورين مصطفى الخالدي وعمر فروخ صـ٣٧، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

وهكذا صرَّح كثيرون منهم بذلك، تمزيق الوحدة الإسلامية، فهذا أيضًا من أهدافهم القوية.

غير مرخصة للطباعة

(٤) خدمة الاستعمار:

ومن أهدافهم خدمة الاستعمار، وأهدافه، فقد كانت هناك صلة دائمة بين المستعمرين والمبشرين، فكان المبشرون يمهِّدون للمستعمرين؛ ولذلك قال بعض زعماء الأفارقة: هؤلاء الناس جاؤوا إلينا فأعطونا الإنجيل وسلبوا منَّا الأرض. أخذوا أرضنا وأعطونا الإنجيل بدلًا عنها، فكان المبشِّرون يعملون على تأييد الاستعمار.

فلا عجب إذنْ أنْ يكون الاستعمار دائمًا في خدمة التبشير، يفرض الحماية له، ويعمل على تثبيت المبشِّرين، فهي خدمة متبادلة بين الاستعمار والتبشير.

(٥) هدم الحياة الإسلامية:

ومن أهداف التبشير في الحقيقة: أنَّهم يعملون على هدم الحياة الإسلامية، كلُّ ما يقيم الحياة الإسلامية، ليس العقيدة فقط، بل العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والشريعة، واللغة.

وتعرفون أنَّ الحرب الضروس على اللغة العربية بدأت من المبشِّرين، والذين دعوا إلى العامِّيَّة مبشِّرون معرفون، بدأ ذلك في مصر، وفي لبنان، في وقت واحد، في أواخر القرن التاسع عشر، وكتبت ذلك الدكتورة نفوسة زكريا سعيد في كتابها «تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر»، وذكر ذلك الأستاذ العلَّامة محمود شاكر، في مقالاته التي كتبها منذ سنوات في مجلة «الرسالة»، التي كشف بها زيف لويس عوض

QaradawiBooks.com

وأشباهه من الدعاة إلى العامية، والتي نشـرت في جزئين تحت عنوان «أباطيل وأسمار»، فهذا الأمر معروف.

وتجد النصارى سـواء في لبنان أو في مصر مثل سـلامة موسـى، ولويس عوض، وأنيس فريحـة، كلهم يدعون إلى اللغـة العامية، وإلى الكتابة باللاتينيـة، وإلى محاربة الشـعر العمودي، كلُّ هـذا يعمل له المبشرون.

فلا نظن أنَّ هدف المبشرين فقط هو نشـر الديانة النصرانية، لا، بل لهم أهداف كثيرة، وأكثر أهدافهم تتصل بهدم مقوِّمات العالم الإسلامي، حتى لا تقوم له قائمة، هم يخافـون جدًّا أنْ تقوم له قائمة، و«جبت» في كتابه «أين يتَّجه الإسـلام؟» يقول: إنَّ الحركات الإسلاميَّة تتطوَّر بسرعة مذهلة بما يشـبه الانفجار، حتـى إنَّ المراقب ليذهل وهـو يراها وقد تطورت، ولم يكن يلحظ ذلـك[1]. ينذر ويحذِّر في حرب العاشـر من رمضان عام ١٣٩٣هـ.

وطالما كتب هؤلاء يخوِّفون من المدِّ الإسـلامي الجديد، ويقولون: إنَّ العرب لا ينقصهم إلَّا رجل يخاطبهم باسم الله، لا ينقصهم إلَّا صلاح الدين من جديد، هكذا كتبت إحدى صحفهم. فكل ما يخافونه أن تنطلق القوة الإسلامية من جديد، وأنْ يظهر صلاح الدين الذي هزمهم من قبل، ولذلك هم يجتهدون بقدر الإمكان أنْ يحولوا بين المسلمين وبين ظهور صلاح الدين فيهم، ولهذا يعملون دائمًا على ضرب أي حركة إسلامية، ولذلك هم الآن يحاربون الصحوة الإسلامية.

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين (٢١١/٢)، نشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

وأنا في مصر ـ منذ أسابيع ـ ذكر لي محرر من صحيفة الأهرام في حواره: أنَّ إحدى الصحف الفرنسية كتبت عدة مقالات تهاجم الصحوة الإسلامية الجديدة، تسميها الصحوة الإسلامية المعادية للغرب، وتُحذِّر من الخطر الإسلامي، وتقول: إنّ الإسلام دينٌ غريب جدًّا، يدخل فيه العوام والجماهير من الناس، ويدخل فيه كبار المفكرين والفلاسفة، مثل «روجيه جارودي» و«موريس بوكاي» وغيرهما.

وقد قرأنا في يوم الأربعاء ما نشرته جريدة «الراية»، أنَّ أكبر اقتصادي في ألمانيا ـ أو بريطانيا ـ دخل في الإسلام، وقال: إنِّي وجدت في نظام الإسلام ما كنت أنشده من قبل ولا أجده. وقال: إنَّ عيب المسلمين أنَّهم متقوقعون على أنفسهم، ولا يعرفون قدر إسلامهم.

فالمهمة الجديدة تقول: إنَّ الإسلام دين خطر، دين يمكن أنْ يقنع خواص الناس وعظماءهم وعباقرتهم، وفي الوقت نفسه يُقنع ويرضي الإنسان العامِّيَّ، فهذه الصحيفة الفرنسيَّة وأمثالها تستعدي على الإسلام، وهم يهدفون من وراء هذا العداء العمل على ألَّا تقوم للمسلمين قائمة، على ألا تتحول هذه الصحوة إلى قوَّة مؤثِّرة.

(٦) وقف المد الإسلامي:

من أهدافهم أيضًا: أنْ يحولوا بين الإسلام وبين الانتشار، وهو نوع من الحماية لقومهم، الهجوم على الإسلام وتشويه صورة الإسلام هذا لأهم يخافون على قومهم من دخول الإسلام إليهم، فهم في الحقيقية يريدون أنْ يحمُوا قومهم من الإسلام أكثر ممَّا يريدون أنْ يُنصِّروا المسلمين.

QaradawiBooks.com

من وسائل التبشير:

هذا كلُّه من الأهداف الكثيرة للتبشير، وللتبشير أيضًا وسائل عديدة يحقِّق بها أهدافه، سنحاول أن نلقي بعض الضوء عليها.

(١) المطبوعات:

هم يملكون الوسائل الثقافيَّة، يملكون الكتاب، النشرة، والملصقات، والمجلات والصحف، يملكون كلَّ هذه الأشياء.

والوسائل الثقافية والإعلامية تبدأ من منشور صغير قدر الكف، كالذي يرسلونه إلى الناس هنا، تصوروا أنَّهم يبعثون إلى الناس في قطر رسائل صغيرة مكتوبة بخط الثلث، يكتبون فيها مثلًا: المسيح يخلِّصك من الآلام والقلق والاكتئاب. إلى النشرة المكوَّنة من عدَّة صفحات، إلى الكتيب المكوَّن من عشرات الصفحات، إلى الكتاب الكبير.

يكتب بعضهم كتبًا كبيرة، مثل أحد رجالهم في بيروت، اسمه يوسف الحداد، متفرغ منذ سنين ليخرج كُتبًا يقول فيها: إنَّ القرآن دعوة نصرانية. والعجيب أنّه من وقاحته يريد أنْ يستدل على ذلك بالقرآن، ويكتب عن لقاء القرآن والإنجيل، ويزعم انَّه يريد أنْ يقرِّب بين الديانتين!

وهناك كتب عديدة مطبوعة على ورق مصقول، وتباع بأرخص الأثمان، وتهدى إذا أردت، وهكذا، فهم عندهم هذه الوسائل الثقافية الإعلامية.

(٢) الإذاعات:

وعندهم كذلك إذاعات مسلَّطة على الشعوب الإسلامية، تُذيع الإنجيل وتعاليمه، وتبث هذه الإذاعات على المسلمين من أكثر من

QaradawiBooks.com

جهة، وبعضهم قدَّم دراسة عن الإذاعة يقول فيها: لا يكفينا أن نرسل إلى المسلمين، ولكن المهم هل يسمع المسلمون أم لا يسمعون. لأنَّ ما يزعج بعضهم أنَّه يقول: جاءتنا رسائل من مصر تدلُّ على أنَّ الناس في مصر يسمعوننا، ولكنها جاءت من مسيحيين في مصر، من أقباط مصر، وليس هؤلاء هم الهدف. وذات مرة جاءتهم رسالة من شاب بنغالي، فنوَّهوا بها أيَّما تنويه، أنَّ إنسانًا بنغاليًّا يسمعهم! والأصل في البنغاليين أنَّهم مسلمون، ومن أهل سُنَّة. المهم أنَّهم يبذلون لهذا الكثير.

(٣) المطابع:

وعندهم مطابع ضخمة، تطبع وتنشر، وكتابهم المقدس ـ فيما يزعمون ـ وأناجيلهم، تُتَرجم إلى لغات كثيرة، الآن في مؤتمرهم المعروف بمؤتمر كولورادو، سنة ١٩٧٨م، قالوا: لا بدَّ أن نغيِّر طريقة الترجمة، كانوا قديمًا يتحاشون الجملة القرآنيَّة، العبارة القرآنيَّة، والعبارة النبويَّة، كانوا يريدون أنْ يكون أسلوبهم متميزًا عن الأساليب الإسلامية، لكن هؤلاء أوصوا وقالوا: أدخلوا العبارات الإسلامية في الترجمة، العبارات القرآنية، والعبارات النبويَّة، حتى لا يشعر المسلم أنَّ هذا الكلام غريب عنه، فهناك تطوير في وسائلهم.

(٤) وسائل الخير:

هناك أيضًا وسائل أخرى معروفة، يسمونها الوسائل الخيريَّة، عن طريق إنشاء الجمعيات، وعمل المخيمات، وعمل بيوت للطلاب وللطالبات، ومعسكرات يشرف عليها الآباء، يحضرونها بأنفسهم، والأعمال الخيريَّة من المستشفيات، ومستشفياتهم الطبيَّة معروفة، وفي بعض البلاد الإسلامية كُثِّفت هذه الأشياء تكثيفًا ضخمًا.

QaradawiBooks.com

(٥) وسائل التعليم:

وبجوار هـذا ـ وأخطر من هـذا كلِّـه ـ الوسـيلة التعليميَّة، مثل المدارس والجامعات؛ فهم يأخذون الطفل من الحضانة، إلى المدرسة الابتدائيَّة والإعدادية، والثانوية، ثم إلى الجامعة، هذا موجود في البلاد الإسلاميَّة، العربية وغير العربية، وهناك الكلية الإنجيلية المعروفة التي سمِّيتْ فيما بعد الجامعة الأمريكية، وهناك الكلية اليسوعية التي صار اسمها الجامعة اليسوعية ويطلقون عليها: جامعة القدّيس يوسف، ونحو ذلك، وهناك مدارس الراهبات، والمدارس المختلفة التي يدخل إليها أبناء خواص النـاس، عِليَة الناس كما يسـمُّونهم، الذين يصنعون قادة المستقبل في كثير من البلاد، فالمداس والجامعات من أخطر الوسائل التي يتخذها هؤلاء.

ويركِّزون على بعض البلاد الإسلامية، فنراهم مثلًا يركِّزون على بلد مثل إندونيسيا في آسيا، وبلد مثل نيجيريا في إفريقيا، أكبر بلد في آسيا، وأكبر بلد فـي أفريقيا، يركـزون عليهما، وقـد وضعوا خطَّـةً لتنصير المسلمين في إندونيسـيا في خمسين سـنة، هم زعموا أنَّهم سيفعلون ذلك، والله من ورائهم محيط.

العوامل المساعدة للتبشير:

وهم يملكون في الواقع الإمكانيَّات الماديَّة الهائلة التي تسـاعدهم على ذلك، ويجب أن نعترف بذلـك، ونحن نعـرف أنَّ الفاتيكان يُعدُّ أصغر دولة في العالم، فهو من حيث المسـاحة، ٤٤ هكتار، ومن حيث عدد المنتميـن إليه ألف شـخص، ولكنَّه يُعدُّ الدولـة الثالثة من حيث الثراء، بعد أمريكا وروسيا يأتي الفاتيكان.

QaradawiBooks.com

(١) كثرة الأموال:

وأموال الفاتيكان لا يعرفها إلَّا ستة كرادلة فقط، هم الذين يعرفون حقيقة الثروة التي يملكها الفاتيكان مع البابا، والباقي لا يعرفون عن هذه الثروة شيئًا، وهي ثروة ضخمة هائلة، ممتلكات في أنحاء العالم، في الشركات والبنوك، وكان قد أخرج مركز الدعوة السعودي هنا في قطر نشرة بأسماء الشركات والبنوك والمؤسسات التي يملكها أو يشترك فيها الفاتيكان، فهي أموال ضخمة، يقولون: إنَّ ميزانية الفاتيكان كلِّ سنة، ألف مليون دولارًا، أو تزيد.

وتعرفون طبعًا أنَّ المؤتمر الذي عقد في سنة ١٩٧٨م، في ولاية كلورادو بأمريكا، واجتمع فيه مائة وخمسون من كبار المبشِّرين الأمريكان، وقُدِّم فيه أربعون بحثًا عن الإسلام والمسلمين في العالم، هذا المؤتمر قرَّر العمل على تنصير المسلمين في العالم، فرصد لذلك ألف مليون دولار، وقد جمعت هذه الأموال، ألف مليون دولارًا، لتنصير المسلمين في العالم.

ولذلك أطلق بعض الإخوة عليه مؤتمر «حكماء كلورادو»، تشبيهًا بمؤتمر «حكماء صهيون» قديمًا، الذي قرر قرارات وظنَّ الناس أنَّها مجرد خيالات، ثمَّ تحققت، قرروا أنْ تقوم إسرائيل بعد خمسين سنة، وقامت كما قرَّروا.

وما دام أهل الحقِّ غافلين عنه فلا بدَّ أنْ ينتصر أهل الباطل؛ لانَّ الحق لا ينصر نفسه، الحق ينتصر بأهله، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

(٢) إعداد المبشِّرين:

أقول: قرر مؤتمر كلورادو تنصير المسلمين في العالم، ورصد لذلك ألف مليون دولارًا، وأنشأ معهدًا لتكوين مبشِّرين متخصِّصين فقط في

QaradawiBooks.com

التبشـــير بين المسلمين، اسمه «معهد زويمر»، ســـموه باسم هذا المبشر القديم المعروف، رئيس المبشرين في الشـــرق الأوسط، وكانوا يسمونه قبل ذلك الشرق الأدنى.

وقد بدأ القوم عملهم بالفعل، فالذي يقرأ الأخبار يجد أنَّهم قد بدؤوا العمل، وخاصة بيـــن الجاليات الإســـلامية في أوربـــا، وأمريكا، وبين الأقليات المختلفة، وغير ذلك.

(٣) وسائل الانتقال السريعة:

لقد بدؤوا العمل، فنحن إذنْ في معركة، هم عندهم إمكانيات، ألف مليون عند البروتستانت، وألف وخمســـون مطارًا للإرساليات التبشيرية في إندونيســـيا، وأنتم تعرفون أنَّ إندونيســـيا جزر، فهـــؤلاء يريدون أنْ يستغلوا الوقت ـ خمسين ســـنة ـ لينصِّروا المسلمين، فهم لا يريدون أنْ يستعملوا القوارب وأمثالها، لا؛ إنَّما يســـتعملون الطائرات الهليكوبتر، والطائرات العمودية، وعندهم أسطول من الطائرات، واللنشات، والسفن، والســـيارات الكبيرة والصغيرة، إمكانات هائلة حقًّا، مدارس وجامعات ومستشفيات مجهَّزة بأحسن الأجهزة، تساعدهم هذه الإمكانات المادية.

(٤) الاستعمار وأذنابه:

يساعدهم كذلك الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، صحيح أنَّ البلاد الإسلامية استقلَّت، ولكن لا ينبغي أن نخدعَ أنفسنا، لا زال للنفوذ الغربي أثره وسيطرته في كثير من بلاد المسلمين، ولذلك يعمل كثير من هؤلاء في بـــلاد المســـلمين تحت ســـمع حكومات البلاد الإســـلامية وبصرها، فالنفوذ الغربي يســـندهم من ناحية، وضعف حكام المسلمين يســـندهم من ناحية، لا نريد أن نقـــول: خيانة هؤلاء الحـــكام. لنخفِّف

QaradawiBooks.com

القول، ونقول: ضعف هؤلاء الحكام الذين يسكتون عنهم، أو ييسِّرون لهم السبل، رغبًا أو رهبًا، أو نفاقًا، أو جهلًا بما يصنعون.

غير مرخصة للطباعة

(٥) سوء الأوضاع:

ثمَّ من ناحية أخرى يساعدهم انتشار الفقر والجهل والمرض في كثير من المجتمعات الإسلامية، إنَّهم يستغلُّون هذا الأمر بين المسلمين، وقلَّما يتحوَّل مسلم من الإسلام إلى النصرانيَّة، إلَّا لقيط يجدونه، أو يتيم لا يجد له راعيًا، أو نحو ذلك، فهم يضمُّون هؤلاء وينصِّرونهم، فحينما وُجِد في الصومال ثلاثون ألف طفل يحتاجون إلى من يرعاهم، لم يتقدَّم من أثرياء المسلمين من يقول: أنا أرعى هؤلاء. فجاء مليونير بلجيكي وقال: أنا أرعاهم! هل يأخذهم هذا البلجيكي لله؟ لا؛ بل يأخذهم ليكونوا تحت تأثير التبشير ولا شك، فعندنا نحن المسلمين هذا الضعف، ضعف المسلمين من ناحية انتشار الأميِّة، وانتشار الأمراض، وانتشار الفقر والجوع.

معظم البلاد التي يطوقها حزام الجوع هي بلاد إسلامية، هناك من يموت من الجوع في بلاد المسلمين، في بنغلادش وغيرها من بلاد المسلمين يموت الإنسان جوعًا، فهؤلاء يصطادون ضحاياهم بين الناس من الذين يشكون المجاعة.

ويصطادون ضحاياهم كذلك من اللاجئين، وقد كتب أخونا الأستاذ فهمي هويدي في مجلة «العربي»، في السنة الماضية، عن التبشير بين اللاجئين من المسلمين، مدعِّمًا قوله بالوثائق، واللاجئون في الواقع كثيرون، هناك لاجئون من المسلمين في إريتريا، والصومال، والسودان، وبورما، هناك لاجئون من حروب لبنان، وغيرها، هناك لاجئون كثيرون من المسلمين للأسف.

QaradawiBooks.com

هؤلاء اللاجئون يعتبرون مرتعًا خصبًا للعمل التبشيري، فضحايا المجاعات، وضحايا الحروب، يُعدَّون فرصة للمبشِّرين بالنصرانية.

كان هنا في قطر، العام الماضي، وفدٌ من أوغندا، قالوا: إنَّنا لا نجد ما نشتري به ما يحتاج إليه الطالب المسلم، فهو يحتاج إلى كراسة، إلى كتاب يقرأه، إلى مصحف، إلى قلم رصاص، إلى ممحاة فلا يجد شيئًا من ذلك، في الوقت الذي نجد فيه بجوارنا مدارس الإرساليات، تأتيها أطنان من الكتب والكراسات والأدوات المكتبية، تتدفَّق عليهم، ويقولون لنا: ما لكم تجهدون أنفسكم؛ هاتوا أولادكم عندنا ونحن نعلمهم لكم بالمجان. ولهذا جاء هذا الوفد إلى هنا يطلب المعونة من المسلمين، فانتشار الفقر والجوع والجهل والأمية والأمراض بيننا نحن المسلمين، جعل هؤلاء فرصة للتبشير.

(٦) الابتعاد عن الإسلام الحق:

ثمَّ من ناحية أخرى: أصبح بُعْدُنا نحن المسلمين عن الإسلام، أصبحت المسافة التي بيننا وبين الإسلام الحقيقي حجة علينا، فالإسلام يدعو إلى العلم، ونحن نعاني للأسف من الجهل والأمِّيَّة، الإسلام يدعو إلى النظام، ونحن نُعاني من الفوضى، الإسلام يدعو إلى التقدُّم، ونحن نعاني من التخلُّف، الإسلام يدعو إلى النظافة، وبلاد المسلمين أقذر بلاد الدنيا، الإسلام يدعو إلى الوحدة، ونحن متفرِّقون، الإسلام يدعو إلى الإخاء، ونحن يقتل بعضُنا بعضًا.

نحن للأسف صورة سيئة للإسلام، نحن الحجاب الحاجز الذي يحجز غير المسلمين في بلاد الدنيا عن الإسلام، إنَّما انتشر الإسلام في الزمن الأول بالأخلاق العمليَّة للمسلمين، بالصدق والعدل والإحسان والفضائل التي نشرها المسلمون.

QaradawiBooks.com

ولكن صورتنا نحن صورة مزْرية، وطالما ذكرنا قصة الرجل الغربي الذي أسلم عن طريق الكتب، عرف الإسلام بالقراءة عنه، فأعجب به ودخل فيه، فلمَّا أراد أنْ يعرف الإسلام في أرضه، وبين أهله، جاء إلى موسم الحجِّ ورأى حال المسلمين، رأى سوء الأخلاق، وسوء النظام، وسوء كذا، رأى ما رأى فقال كلمته المعروفة: الحمد الله الذي عرفني الإسلام قبل أنْ أعرف المسلمين. فنحن في الواقع حجاب غليظ، يحجب الناس عن الإسلام.

قد تنتشر النصرانية وتجد لها بعض الضحايا، لا لأنَّ النصرانية قويَّة، ولكن لأنَّنا نحن ضعفاء، ومن حكايات العرب على ألسنة الحيوانات: أنَّ ثعلبًا ضغط على أرنب، ضمه فصرخ، فانتفش الثعلب، فقال له الأرنب: هذا ليس لقوتك، ولكن لضعفي. فإذا نجح التبشير فليس لقوَّة المسيحيَّة، ولكن لضعفنا نحن المسلمين، لتخلفنا نحن المسلمين، ولبعدنا نحن المسلمين عن الإسلام، فهذا مما يساعد التبشير على أنْ ينجح.

(٧) غياب الدعاة الواعين:

ومما يساعد التبشير على أنْ ينجح: غياب الدعاة الواعين المدرَّبين، الذي يستطيعون أنْ يُبرزوا قيمة الإسلام الحق، وأنْ يكشفوا عن وجه الإسلام الصحيح، فقد كان علينا أن نُعِدَّ دعاةً من نوع جديد يستطيعون أنْ يقفوا في وجه هؤلاء، ولكن دعاتنا للأسف مشغولون بقضايا جزئيَّة، ومسائل فرعيَّة، وبمناطحة بعضهم البعض، وتركوا المسائل الكليَّة، والقضايا الأصليَّة.

كنت في إندونيسيا فذكر لي أحد كبار الناس هناك: أنَّ إحدى القبائل الكبرى أرادت أنْ تدخل في الإسلام، فعرضوا الأمر على بعض العلماء

QaradawiBooks.com

فقال لهم: لا بدَّ أنْ يختتنوا. فخاف الناس من هذا الأمر، وكان هذا سببًا في أن ترفض هذه القبيلة الكبرى الدخول في الإسلام! ولماذا هذا؟ هل الاختتان عقيدة من العقائد الستة؟ أو هو ركن من أركان الإسلام الخمسة؟ أو أنَّه أصل من أصوله؟

كنت في أمريكا منذ سنوات، فسأل أحد الأمريكيين الجدد عن حكمة الصوم، فقال له بعض العلماء، من مشايخنا الكبار حقيقة: انتظر إلى يوم الثلاثاء، هناك درس في الفقه، فنحن نشرح من كتاب «الشرح الصغير للدردير»، وسنأتي إلى باب الصوم! وهذا الكتاب يُدرَّس في ثانوي الأزهر، سبحان الله! ما حاجة المسلم الأمريكي الذي دخل في الإسلام جديدًا، أنْ يدرس الفقه من كتاب «الشرح الصغير»؟ فنحن في الحقيقة في حاجة إلى دعاة واعين جدد؛ لأنَّ غياب هذا النوع من الدعاة، ساعد دعاة التبشير، وساعد النصرانيَّة.

هل حقَّق التبشير أهدافه؟

هذه كلُّها بعض العوامل المساعدة على نجاح التبشير، ولو أنَّها بعض نجاح، يجب أن نعترف أيُّها الإخوة أنَّ التبشير نجح في بعض أهدافه، صحيح أنَّه لم يُنصِّر المسلمين، ولكن أحبُّ أنْ أقول لكم شيئًا: لقد رأيت أنَّ للتبشير في المنطقة العربية هدفًا، وأنَّ له في غير المنطقة العربية هدفًا آخر، فهو في المنطقة العربية يكتفي بزعزعة المسلم عن إسلامه، أمَّا إخراجه من الإسلام فليس مهمًّا، المهم عنده التشويش على الإسلام، واللغة العربية، إلى آخره، هو يكتفي بهذا القدر.

ولكنَّه في غير العالم العربي يُنصِّر المسلمين فعلًا، يجب أن نعترف بهذا، فقد حدث التنصير فعلًا، هناك مائتان وخمسون ألفًا نُصِّروا في

QaradawiBooks.com

إندونيسيا، وأُعلِن عن ذلك منذ عدة أعوام، وبعض الإخوة الذين ذهبوا إلى نيجيريا قالوا: إنَّك تجد هناك مثلًا رجلًا اسمه حنَّا عبد الله أحمد! أيْ أن جدَّه أو أباه أو قبيلته مسلمة، وهو غير مسلم، وهذا ممَّا جرَّفته أمواج التبشير.

وحينما ذهبت منذ سنوات إلى إندونيسيا، وفي الطائرة الإندونيسيَّة سألت المضيِّفة: هل أنت مسلمة؟ المفروض أنَّ تسعين في المائة من أهل إندونيسيا من المسلمين، فأنا أظنُّ أنَّ الذين يخدمون في الطائرة من المسلمين، فقالت: لا، لست مسلمة أنا كريستيان، ولكنَّ أسرتي مسلمة. معنى ذلك أنّها ارتدَّت والعياذ بالله، وسألت المضيِّف الرجل: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكن زوجتي مسلمة. وهذه مصيبة أخرى، كيف تتزوج المسلمة غير مسلم، حدث خلل في دينهم.

في مواجهة التبشير:

فينبغي أن نعترف أنَّ القوم يعملون بجِدٍّ وبإخلاص في كل مكان، وفي منطقة الخليج العربي، أمامي اليوم كتاب عن التبشير في الخليج العربي[1]، وأصله رسالة علمية ـ ماجستير أو دكتوراه ـ لا أدري ربما في الكويت، وهناك إحصاءات نشرها رجل ألماني عن التبشير في بلاد الخليج، فهم في كلِّ مكان يعملون، ولا يملُّون ولا ييأسون.

إذا كان التبشير يعمل بهذه الهمة، فكيف نواجهه؟ لا بدَّ من مواجهة على كلِّ المستويات: المستوى العلمي والثقافي، ومواجهة على المستوى التعليمي، ومواجهة على المستوى الاجتماعي والخيري أيضًا.

(١) للدكتور عبد المالك خلف التميمي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) المجال العلمي:

ففي المواجهة على المستوى العلمي، لا بدَّ من إعداد دعاة مسلمين قادرين على مواجهة المسيحية، ونحن عندنا من رصيدنا التاريخي في هذا المجال الكثير، مما كتبه ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل»، وما كتبه الشهرستاني، وما كتبه صالح بن الحسين الجعفري في «تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل»، وما كتبه ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح»، في أربعة أجزاء، وما كتبه ابن القيم في «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى».

وعندنا ما كتبه المُحْدَثون، مثل الشيخ رحمةِ اللهِ بن خليل الهنديِّ، في كتابه القيِّم العظيم «إظهار الحقِّ»، الذي فضح فيه النصرانيَّة من كتبها نفسها، وقد عُقدت مناظرة بين الشيخ رحمةِ الله، وقسيس مُبشِّر معروف، اسمه «فندر»، حُدِدت في خمس موضوعات، وأقيم لها سرادق، حضر فيه أفراد المجتمع، وكبار القوم، وكلُّ من له اهتمام بهذا الأمر، وناقشوا موضوعين في ليلتين، ثمَّ فرَّ المبشر بعد ذلك ولم يحضر الموضوعات الثلاث.

وبعد ذلك ذهب هذا المبشر إلى إستانبول، وشوَّش على المسلمين هناك، وقال: أنا مستعد لأنْ يناظرني أي أحد! فقالوا: هاتوا له الشيخ رحمةَ الله. فقال الشيخ رحمةُ الله: نحن حاضرون؛ إنْ عادت العقرب عُدنا لها بالنعل، والنعل لها حاضرة. فما أنْ سمع المبشِّر بأنَّ الشيخ رحمةَ اللهِ هو الذي سيأتي ليناظره، ولَّى هاربًا ولم يعقب، فكتاب «إظهار الحق»، للشيخ رحمةِ الله، يُعتبر في الحقيقة عملًا من الأعمال الجليلة في تراثنا المعاصر، والواجب علينا أن نبني على هذا التراث، القديم والمعاصر.

QaradawiBooks.com

ويساعدنا على ذلك أيضًا ما كتبه الكثيرون من نُقَّادهم، تعرفون أنَّ الغربيين أنفسهم نقدوا النصرانية، ونقدوا اليهودية، ونقدوا الكتاب المقدس، ونقدوا الأناجيل، نقدها الأحرار من الغربيين، فيجب أنْ ننتفع بنقد هؤلاء.

هناك ستة من كبار القسس، أخرجوا كتابًا بالإنجليزية عن خرافة تأليه المسيح أو تجسد الألوهية في المسيح، هذا الكتاب أحدث ضجة كبيرة، يجب أنْ ننتفع بهذه الكتاب وأمثاله.

النقد العلميِّ للنصرانية:

والواقع أنَّ المواجهة العلميَّة للنصرانيَّة لا تحتاج إلى جهد كبير، فالنصرانيَّة في الحقيقة دين متهاوٍ، هي أشبه بالثوب الخَلِق، إذا حاولت أنْ ترقِّعه من جانب تمزَّق من جوانب، إذا نظرت إلى المسيحيَّة في ناحية العقيدة، أو ناحية الشريعة، أو ناحية الأخلاق، أو ناحية الأثر التاريخي، أو ناحية المصادر، لا تجد شيئًا، لا تثبت هذا النواحي أمام أيِّ نقدٍ علميٍّ موضوعيٍّ.

(أ) في العقيدة:

فعقيدتهم نفسها لا تقوم على العقل، عندهم العقيدة شيء خلاف العقل، تقوم على الشعور فقط، ولهذا يقولون: اعتقد وأنت أعمى، أغمض عينيك واتبعني. وهذا شعارهم: آمن ثمَّ اعلم بعد ذلك. لأنَّه لا يمكن أنْ يقبل العقل الإنساني أنَّ الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وأنَّ هذا الإنسان الذي كان يأكل ويشرب، ويبول ويتغوَّط، ويُصلب ـ كما قالوا هم أنفسهم ـ هو نفسه الإلٰه! ويقولون: إلٰه حق من إلهٍ حق. هذا تخريف لا يمكن أنْ يقبله عقل سليم؛ ولذلك كانت المسيحية على امتداد تاريخها ضد العقل

QaradawiBooks.com

وضد العلم، ومن هنا قال الإمام ابن حزم: لم توجد مقولة في الدنيا أشدُّ فسادًا وبطلانًا من مقولة النصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة، الأب والابن والروح القدس. أنَّهم ثلاثة ولكنهم واحد، وأنَّهم واحد ولكنَّه ثلاثة! هي مقولة لا يوجد أشدُّ فسادًا وبطلانًا منها. ويقول: لو لم نرَ هؤلاء الناس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذاننا، ما صدقنا أنَّ في الوجود من يقول هذه المقالة[١]. فهذه هي العقيدة عند القوم.

(ب) في الشريعة:

ولو نظرت إلى شريعتهم، تجد أولًا أنَّ الإنجيل ليس كتاب شريعة، وإنَّما شريعتهم هي شريعة التوراة، وشريعتهم حرَّمت الطلاق بحجَّة أنَّ ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان! مع أنَّ معنى أنَّ الله هو الذي جمع، أنَّه هو الذي أذِنَ وشَرَعَ، والذي شَرَع الزواج له أنْ يُشرِّع الطلاق، فالطلاق مشروع، فما جمعه الله فرّقه الله، لكن هذا الحكم بتحريم الطلاق عندهم لم يستطع النَّصارى أنْ يُطبِّقوه، وفي عصرنا هذا أباحوا الطلاق وتوسعوا فيه لأدنى شيء، حتى لو أنَّ زوجًا لم يُصبِّح على كلب زوجته يمكنها أنْ ترفع عليه دعوى للطلاق، هؤلاء هم القوم، حتى روما في إيطاليا كانت كاثوليكيَّة من عدة سنوات، ومع ذلك أجازوا الطلاق.

(ج) في الأخلاق:

والأخلاق المسيحية التي يطنطنون بها، أين هي في واقعهم؟ إنهم يقولون مثلًا: أحبوا أعدائكم، باركوا لاعنيكم[٢]. والإسلام لم يطلب من

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤٨/١).
(٢) إنجيل متَّى (٤٤/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإنسان أنْ يُحبَّ عدوَّه؛ لأنَّ تكليف الإنسان أنْ يُحبَّ عدوَّه أمر فوق طاقته، أنا لا أستطيع أنْ أحبَّ عدوي، إنَّما المطلوب مني أنْ أعدل معه، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ولمَّا قال عمر بن الخطاب لقاتل أخيه: لا أحبك، أو لا أحبُّ أنْ أراك. قال: أيمنعني ذلك حقًّا من حقوقي؟ فقال: لا. قال: إنَّما يأسى على الحبِّ النساء[1]. ليس المهم أنْ تحبني أو، لا، المهم ألا تظلمني.

ومع هذا لم يطبق المسيحيون مقولتهم تلك، فهم أبعد الناس عن هذه الأخلاق.

(د) في الحضارة:

أين أثر المسيحية في العالم؟ الحضارة الأوربيَّة ليست حضارة قائمة على المسيحيَّة، بل هي لم تقم إلَّا بالتخلص من النصرانيَّة، التي أقامت محاكم التفتيش وغيرها ضد المفكرين والعلماء والمخترعين. كيف؟

الجواب: أنَّه لمَّا مسَّ الغربَ قبسٌ من الشرق الإسلامي عن طريق صقليَّة، وعن طريق الحروب الصليبيَّة، وعن طريق الأندلس والقنوات المختلفة المعروفة، بدأ الغرب ينهض، والتقط بعض الأفكار والأشياء، هنا أنشؤوا محاكم التَّفتيش، وحُرِّقت الجثث في الحياة وبعد الممات، فمن آثار المسيحيَّة في العالم: أنَّ الحضارة الغربية قامت على التضاد مع الدين، على الفصل بين الدين والحياة، وبين الدين والدولة.

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ١٣٨، نشر دار مكتبة الحياة، سنة ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

ومن أثار الحضارة المسيحية في العالم: تلك الحروب المستمرَّة بين النصارى بعضهم وبعض، بين مَن يختلفون: هل للإله طبيعة واحدة، أو له طبيعتان؛ وهل له إرادة واحدة، أو له إرادتان؛ وهل هو ناسوت ولاهوت، أو هو لاهوت فقط، أو هو ناسوت فقط. هذه مشكلات قامت بسببها حروب طاحنة، قَتَل فيها بعضُهم بعضًا، وهذا غير ما فعلوه مع غيرهم في أنحاء العالم، ولذلك كتب بعض الغربيين مرة يقول: لو صحَّت نبوءة من نبوءات المسيح لكانت قولة: لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سلامًا على الأرض، ما جئتُ لأُلْقِيَ سلامًا بل سيفًا[1]. فهذه آثار المسيحيَّة.

(هـ) في مصادر الدين:

مصادر المسيحية ما هي؟ من أصحاب هذه الأناجيل؟ فليست هي الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح، بل هي أناجيل منسوبة إلى أصحابها، وهي مختلفة فيما بينها، والدارسون أظهروا تناقضها مع بعضها البعض، وهي منتقاة من سبعين إنجيلًا، بل ظهرت بعض الدارسات التي تقول أنَّها منتقاة من ألف إنجيل، وفي كلِّ مدة من الزمن تظهر دراسات تُؤكِّد على تحريفها وبطلان نسبتها إلى السماء، وما كان فيه من مواضع تشعر معه بنسبته إليه ضئيل جدًّا، وكانت هناك مقولة في بعض كتبهم المقدسة بها بشارة بالنبي ﷺ، ولكن لا نجدها الآن، معنى ذلك أنَّ القوم حذفوها كما حذفوا غيرها، والشيخ رحمةُ اللهِ الهنديُّ قال: أنا أنقل هذا الكلام من كتب البروتستانت؛ واحذروا فهؤلاء الناس يغيِّرون في كلِّ طبعة ويبدلون. وقال لي الأخ الكريم الدكتور زغلول النجار: أصدر مجلس الكنائس طبعة منقحة، أحدث طبعة في الإنجيل؛

(١) إنجيل متَّى (١٧/٥).

QaradawiBooks.com

فغضبت منها النساء العصريات وثُرْنَ عليها، وقلن: لقد ظلمت المسيحيَّةُ المرأة، ماذا للمرأة من حقوق؟ وكان لآخرين ملاحظات تضمَّنتها الطبعة الجديدة، فأيُّ كتاب مقدَّس هذا الذي يتلاعب الناس فيه إلى هذا الحد من الحذف والإثبات؟!

فإذا أردنا أن ننقد النصرانيَّة نقدًا علميًّا فلن تستطيع أنْ تقف في الحقيقة أمام النقد في أيٍّ من جوانبها.

(٢) المجال التعليمي:

ولا بدَّ من دعاة مُدرَّبين، ولا بدَّ أن نستخدم الوسائل المختلفة لتبليغ كلمة الإسلام، فنحن من ناحية ننقد المسيحية نقدًا علميًّا، ومن ناحية أخرى نُبيِّن محاسن الإسلام. وبيانُ محاسن الإسلام لا يجعلنا ندخل في التفاصيل، ولا في أمثال «الشرح الصغير للدردير»، إنَّما يهمنا أن نعرض أصولَ الإسلام، عقائدَ الإسلام، وقيمَ الإسلام، وشعائرَ الإسلام، وأصولَ الإسلام، هذا من ناحية المواجهة العلميَّة للنصرانيَّة.

(٣) المجال الاجتماعيُّ والخيريُّ:

ومن ناحية أخرى المواجهة الاجتماعيَّة والخيريَّة، لا بدَّ أيضًا ألا نترك المسلمين، وهذا ما جعلني منذ مدَّة في الحقيقة أنادي بأنَّه لا بدَّ أنْ تقوم مؤسَّسة لاستنقاذ المسلمين، لا يمكن أن نسكت على هؤلاء المسلمين الفقراء الذين يقعون ضحايا للتبشير.

وقد قلنا من قبل: إذا كان هؤلاء قد رَصَدوا ألف مليون لتنصير المسلمين، فيجب أن نرصد نحن ألف مليون أو أكثر لحماية المسلمين، يجب أن نجمع هذا المبلغ، وأكثر منه، من المسلمين في

QaradawiBooks.com

العالم. ونحن قادرون على ذلك، عندنا أمـــوال كثيرة منَّ الله بها على المســـلمين وأفاءها عليهم من رزقه، وتستطيع بلاد الخليج وحدها أنْ تجمع الألف مليون بسهولة.

كانوا اليهود يقولون: ادفع دولارًا تقتل عربيًّـــا. فقلت: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا. لو دفع كل مســـلم دولارًا واحدًا لأنقذنا المسلمين، كتب إليَّ أخٌ من السعودية يقول: يمكن أن نحصي مليون مسلم من متوسطي الحال، ونطلب من كلِّ واحد ألـــف دولار، فنجمع الألف مليون. يعني يمكن بأكثر من طريقة جمـــع الألف مليون، فليس في ذلك مشـــكلة، بعض النـــاس ينفقون في ليلة عـــرس ثلث هذا المبلـــغ، أو نحو ذلك، فالمال كثير وموجود، ولكننا نحتاج إلـــى العقل الذي يُنظِّم، ونرجو أنْ تقوم «المؤسســـة الخيريَّة الإســـلامية العالمية» عن قريب إنْ شـــاء الله، وهناك خطوات في سبيل إنشائها[١].

يا أيُّها الإخوة؛ نحن قادرون على أن نواجه ما يواجهوننا به، هناك في السياسة العســـكرية مبدأ مسلم به، أشـــار إليه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من قديم، حينما أوصى خالدًا رضي الله عنه، فقال له: حاربهم بمثل ما يحاربونك به، السَّيفُ بالسَّيفِ، والرُّمحُ بالرُّمحِ، والنَّبْلُ بالنَّبْلِ[٢].

ونحن ينبغـــي أن نحاربَهم بمثل ما يحاربونَنا به، إذا كانوا ينشـــئون مدرســـة نصرانية، ننشئ نحن مدرسة إســـلامية؛ أو يؤلفون كتابًا، نؤلف نحن كتابين.

(١) صدور مرسوم أميري كويتي بنظامها الأساسي بتاريخ ٤ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٨٧م.

(٢) انظر: تفسير المنار (٢٠٤/٥، ٢٠٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

من عوامل النجاح:

ونحن أصحاب الحقِّ، أصحاب السلاح الأقوى، ولا يفل الحديدَ إلَّا الحديد، وحديدُنا أقوى من حديدهم، إذا كانت عندهم عوامل مساعدة، فعندنا أيضًا عوامل مساعدة كثيرة:

(أ) المناعة الإسلاميَّة:

عندنا نحن المسلمين المناعة، مناعة الإنسان المسلم، لا شكَّ أنَّ المبشرين أنفسهم يشكون من صلابة الإنسان المسلم أمام التَّبشير، اعتقاد الإنسان المسلم أنَّ دينه خير الأديان، وأنَّه ينتمي لخير أمة، وأنَّ كتابَه أفضل الكتب، ونبيَّه أعظم الأنبياء، هذه المناعة من العوامل المساعدة عندنا.

كتب أحد المبشرين في بداية هذا القرن، أثناء الحملة التبشيريَّة على مصر وعلى بلاد العالم الإسلامي، كتب تقريرًا قال في نهايته: سيظلُّ الإسلام صخرة عاتية في مصر، تتحطَّم عليها محاولات التبشير بالمسيح، ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين[1].

ما دام القرآن يُحفظ، ويُقْرأ، ويُتلى، ويُسْمع، ويُوقِظ، ويُحرِّك؛ وما دام هناك الأزهر يُخرِّج علماءً يعلمون الناس، ويعرِّفونهم ويذكِّرونهم، فسيظل الناس مشدودين إلى الدين؛ وما دام هناك اجتماع الجمعة الأسبوعي يربط الناس بالمسجد، ويربط الناس بالدين، وبالعلم، وبالموعظة، وبذكر الله، سيظلُّ الناس أيضًا مرتبطين بالإسلام؛ وما دام هناك مؤتمر الحج السنوي الذي يذهب فيه المسلم عاصيًا فيعود تائبًا،

(١) انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب للدكتور مانع حماد الجهني (٦٧٩/٢).

QaradawiBooks.com

يذهب بعيدًا عن الله ويعود قريبًا من الله، سيظل أيضًا مستمسكًا بدينه محافظًا عليه.

وهذه الدعائم الأربع موجودة في كلِّ بلد، فليس المقصود بالأزهر هذا البناء المعروف، المقصود بالأزهر هو العلماء، المؤسَّسة التي تُخرِّج علماء الدين ودعاته، والقرآن في كلِّ بلد، وفيها العلماء، وفيها اجتماع الجمعة، وفيها الحج، ولذلك لم يستطع التبشير أنْ ينجح.

ومثل ذلك ورد في كتاب مشهور اسمه «الغارة على العالم الإسلامي»، قال القائل فيه: ما دام هناك القرآن، وما دامت هناك الكعبة، فلن نستطيع أن نغزو المسلمين[1].

وستظلُّ الكعبة، وسيظلُّ المصحف، وسيظلُّ القرآن إن شاء الله، فما دامت هذه الأركان راسخة بين المسلمين ستظل محاولات التبشير تتحطَّم عليها.

صحيح أنَّهم حاولوا أنْ يضعفوا هذه الأركان، ولكنها ستظل باقية إنْ شاء الله، فهي من المناعة الإسلامية التي لدينا، ومن ذلك ما حكاه بعضهم: أنَّ أحدَ المبشِّرين ذهب إلى قرية في مصر، في بداية هذا القرن، فأخذ يُحَدِّث الناس عن المسيح، وعن العذراء، ساعات طويلة، والناس يجلسون يستمعون في صمت، فظنَّ أنَّهم استجابوا له، وتجاوبوا معه، وآمنوا بدعوته، حتى مرَّ عليهم أحد الناس فقال: وحِّدُوه. فردُّوا جميعًا: لا إلٰه إلا الله. وقال: صلُّوا على النبيِّ. فردُّوا جميعًا: عليه الصلاة والسلام. فأدرك الرجل إذْ ذاك أنَّ دعوته ذهبت هباءً، فالأمر كما يقول المثل: ما يجمعه النمل في

(١) الغارة على العالم الإسلامي لألفريد لوشاتلييه صـ٩٣ ـ ٩٤، تعريب مساعد اليافي، ومحب الدين الخطيب، نشر منشورات العصر الحديث، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

ســنة، يأخذه الجمل في خُفِّه. هكذا ظلُّوا يعملون في مصر، ولا يجدون من يستجيب لهم. فهناك أشياء كثيرة تتجلى فيها هذه المناعة الإسلاميَّة.

(ب) قوة الإسلام الذاتيَّة:

نحن عندنا القوة الذاتيَّة للإســلام، عندنا نحن المسلمين الدين الذي لا يغلب، ولا يقهــر، عندنا الكتاب الــذي لا يأتيه الباطل مــن بين يديه ولا من خلفه، إذا كانوا يغيِّرون في كلَّ طبعة من كتابهم، فيحذفون ويثبتون، فنحن عندنا كتاب لا يستطيع أحدٌ أنْ يزيد فيه كلمة واحدة ولا حرفًا واحدًا.

ولقد هيَّأ الله تعالى العرب والعجم لهــذا الكتاب فحفظوه، وقد اختبرنا هنا في قطر أناسًــا مــن الباكســتانيين والهنــود وغيرهم، يقــرؤون القرآن ويحفظونه، لا يخرمون منه حرفًا، كأنَّ أحدهم مسجل، ولو سألته: ما اسمك؟ لا يعرف معنى ما اسمك! وأطفال المسلمين وصبيانهم يحفظون هذا القرآن عن ظهر قلب، والله لقد رأيت صبيًّا في «دكَّا»، في بنجلاديش، عمره ســبع سنوات فقط، ويحفظ القرآن، لا يُسقِط منه كلمة، قالوا لي: هذا الصبي يحفظ القرآن، فظللت أمتحنُه في الحواميم، والطواســيم، والمتشابهات، فما أخطأ في كلمة، أو حرف واحد، وقديمًا ظننت نفســي شيئًا، حينما حفظت القرآن وأنا ابن تسع ســنين تقريبًا، الآن أقول: هذا أعجمي يحفظ القرآن، وهو ابن سبع سنين! فســبحانَ من ألَّف القلوب على كتابه، وهيَّأ الصدور لاستيعابه! وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فنحن المســلمين عندنا كثير من العوامل المساعدة في هذه المواجهة.

لقد أخفق الغرب الآن وفشــل وأفلس، ولا يمكن أنْ تسدَّ المسيحيَّة الفراغ الروحي عند الناس هناك، وما يكون «الهيبيز»، وغيرهم إلا تمرُّدًا على الحضارة الآلية الصناعية الماديَّة، فلا تســتطع النصرانيَّة أنْ تُشــبع

QaradawiBooks.com

النَّهم الروحي، لا تستطع أنْ تسدَّ هذا الفراغ، ولا يمكن أنْ يسدَّه الإلحاد الشيوعي طبعًا، ولا يمكن أنْ تقوم بذلك اليهودية؛ لأنَّها دين غير قابل للانتشار، وأهله ليسوا حملة رسالة، لا يمكن أنْ تقوم بذلك أبدًا، لم يبق إلَّا الإسلام، فالإسلام هو المنقذ.

(ج) المبشرات بانتصار الإسلام:

وعندنا نحن المسلمين من المبشرات ما يجعلنا أهلًا لحمل هذه الرسالة المرجوة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

ومن ذلك حديث تَمِيمٍ الدَّاريِّ، أنَّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ، عزٌّ يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلٌّ يُذلُّ الله به الكفر**»(١).

ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد، عن أبي قبيل، قال: كنَّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد سُئل: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق، قال: فأخرج منه كتابا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئِل رسول الله ﷺ: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا: قسطنطينيَّة أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولًا**»(٢). يعني قسطنطينيَّة، كأنَّه كان

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد =

QaradawiBooks.com

مقـــرَّرًا أنَّ المدينتيـــن مفتوحتـــان، ولكن الســـؤال: أيُّهما تُفتـــح أولًا، قسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، أم روميَّة عاصمة إيطاليا؟ رومية هي روما الآن، وقد فُتِحت المدينة الأولى القسطنطينية، ادَّخر الله تعالى هذا الفضل للشـــاب القائد المســـلم ذي الثلاث والعشـــرين سنة، محمد بن بايزيد الفاتح، بقيت المدينة الثانية روما، ونحن على موعد إن شـــاء الله مع روما، ومع أوربا من جديد، فلا بدَّ أن تظهر شمس الإسلام.

(د) الصحوة المتجدِّدة:

ولا بدَّ ألَّا نيأس أيُّها الإخوة، فالصحوة الإســـلامية المعاصرة في كلِّ مكان، والإسلام قادر على أنْ يثبت وجوده، وقد أثبت التاريخ أنَّ الإسلام يكون أصفى ما يكون جوهرًا، وأصلب ما يكون عودًا، وأشدُّ ما يكون قوَّةً، حينما تحيط به الأزمات، وتدلهم من حوله الخطوب، حين ذلك يظهر قـــوَّةً مؤثِّرةً، ظهر ذلك أيام التتـــار، وظهر ذلك أيام الصليبيين، وظهر ذلك في مراحل شـــتَّى من التاريخ، فالإسلام قادر بقوَّته الذاتيَّة على أنْ يُنشئ أمَّته من جديد، دخل التتار بغداد عاصمة الخلافة العباسية ودمَّروها، وسالت دماء أهلها أنهارًا من الميازيب في سطوح المنازل، سنة ٦٥٦هـ، وبعد ســـنتين ـ ليس أكثر من سنتين ـ كانت هناك معركة، ردَّت للمســـلمين اعتبارهم، ولم تقم لهم بعدها قائمة عســـكرية، تلك هي معركة «عين جالوت»، ســـنة ٦٥٨هـ، التي قادها المملوكي الصالح المظفر قُطُز، فالإســـلام قادر على أنْ يُنشئ أُمَّة مسلمة.

= (١٠٣٨٥): رواه أحمـــد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقـــة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤).

QaradawiBooks.com

كلمة الختام:

علينا نحن أن نُصحِّح مفاهيمنا، وأن نخلص نيَّاتنا، وأنْ يضعَ كلٌّ منا يده في يد أخيه، علينا أن نتناسى الخلافات الصغيرة، والمعارك الجانبيَّة التافهة، وأن نقف صفًّا واحدًا أمام أعدائنا، فإنَّه يجتمعون علينا، وإن لم نجتمع نحن على حقِّنا ـ كما يجتمعون هم على باطلهم ـ فإنّ النتيجة كما توعد الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

يا أيُّها الإخوة؛ إنَّ الإسلام قوي، وسيظلُّ قويًّا إن شاء الله، ولكنَّه يحتاج إلى عمل، ويحتاج إلى رجال، فعسى أن نكون نحن رجال الإسلام المرجوِّين لغدِ هذا الدين، وإلَّا ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وصلَّى الله علي سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة

دور الحكومات في مواجهة التبشير:

السؤال الأول: جزاكم الله خيرًا، ولكن ما هو دور الدول والحكومات في العالم الإسلامي في مواجهة حملات التبشير، خاصَّة أنَّ بعضها يحميها ويساعدها، بل يشرع قوانين لتيسير أعمالها في بلادنا، بالإضافة دعم هذه الحملات ماديًّا وسياسيًّا، على الصعيد الدولي؟

الجواب: أنا أرى أنَّ أقلَّ شيء تقدِّمه هذه الحكومات أنْ تساعد دعاة المسلمين، والواجب أنْ يُمنع هؤلاء من ديار المسلمين؛ لأنَّهم مُخرِّبون حقيقة، وتعرفون أنَّه قامت في نيجيريا الشرقية دويَلة، تُسمَّى دولة بيافرا، كان يُراد منها أنْ تحارب بقية نيجيريا، حتى تُحطم هذه الدولة الكبرى.

وبعد أن انتصرت نيجيريا ـ الدولة الأم ـ على بيافرا، وقضت عليها، وجدوا آلافًا من المبشِّرين والمبشِّرات، دخلوا بطرق غير قانونيَّة لمساعدة هذه الدولة، فكانت النتيجة أنَّهم أخذوهم إلى لاجوس، وأخرجوهم من البلاد فورًا، فهؤلاء الناس مخرِّبون.

وكما قلت: إنهم لا يفعلون ذلك في الناحية الدينية فقط. لا، إنهم يعملون على هدم مقومات الإسلام، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والقيم، واللغة، وكلِّ شيء، ولذلك ينبغي أنْ يُمنَعوا، خاصَّة من بلاد الخليج والجزيرة العربية، ينبغي ألا يكون لهم فيها مكان، وفي الحديث: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»[1].

---

(١) رواه أحمد (٢٦٣٥٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني في الأوسط (١٠٦٦)، =

QaradawiBooks.com

وهناك فتوى للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود حفظه الله ـ رئيس المحاكم الشرعية في قَطَر ـ نشرت في مجلة «الأمَّة»، أنَّه لا يجوز استحداث الكنائس في بلاد المسلمين، خاصة في بلاد الخليج والجزيرة العربية؛ لأنَّ الإسلام يريد أنْ يجعل هذه المنطقة حَرَمًا وحِمًى له، فلا يجوز أنْ تُفتح لهؤلاء المبشِّرين المخرِّبين، ونحن لا يمكن أن نمنع أيَّ نصراني من أهل البلاد في هذه المنطقة كلِّها، من أنْ يتعبَّد، ولكن عليه أنْ يتعبَّد في بيته، أمَّا أن نقيم له كنيسة، لا، فهذا هو الواجب على الحكومات والدول الإسلامية.

ضرورة فهم أحاديث الفتن:

السؤال الثاني: هل يمكن إزالة التعارض بين حديث: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار**»[1]. وحديث: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا**»[2]؟

الجواب: الواقع أنّ أحاديث الفتن ـ كما أشرت غير مرة ـ من الأحاديث التي تُفهم على غير وجهها، والناس يريدون أنْ يتَّخذوا من هذه الأحاديث وسيلة للتثبيط عن العمل.

وهل يُعقل أنَّ محمدًا ﷺ يقول للناس أحاديث تُثبِّطهم عن العمل لنصرة دينه؟ كيف، وهو يوجب على المسلم أنْ يعمل من أجل دنياه إلى

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦٦١): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. عن عائشة، ولفظه: «**لا يُترك بجزيرة العرب دينان**».

(١) سبق تخريجه صـ١٩٦.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

آخر نفسٍ فيها؟ كما في الحديث المعروف: «**إذا قامت الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ فلْيَغْرِسْها**»[١]. يعني لو أنَّ الساعة ستقوم، وإسرافيل سينفخ في الصُّور، وفي يدك شتلة تريد أن تغرسها، فاغرسها، وإن لم ينتفع بها أحد، وفي هذا إشارة على أنَّ العمل يجب أنْ يظلَّ قائمًا، وأنَّ المسلم نافع منتج إلى آخر نَفَسٍ في حياته.

إذا كان هذا شأنُ العمل للدنيا، فما بالنا بأمر العمل للدين؟ هل نترك أمر الدين بلا عمل؟! فهناك في الحقيقة مَنْ يفهم أحاديث الفتن وأحاديث آخر الزمان وأشراط الساعة فهمًا خاطئًا.

وقد كان لأخينا الدكتور موسى شاهين لاشين في ندوة قريبة كلام هام عن حديث: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**». فقال: إنَّ هذه الغربة ليست غربةً دائمةً، ولا مطلقةً، ولا عامَّةً. وذكر ابن القيم هذا في كتابه «مدارج السالكين»، فقال: إنَّ الغربة قد تكون غربة في مكان دون مكان، وزمان دون زمان، وحال دون حال[٢]. فالغربة ليست هي النهاية، ولكنها الغربة التي تحدث من الطوارئ والأزمات التي تطرأ على الإسلام.

وكما أنَّ الغربة الأولى زالت بقوَّة الإسلام، فالغربة الثانية ستزول أيضًا، ولذلك قال النبيُّ ﷺ في آخر الحديث: «**فطوبى للغرباء**». قيل مَنْ الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سُنَّتي**»[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٠٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

(٢) انظر: مدارج السالكين (١٨٦/٣).

(٣) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسن. والطبراني (١٦/١٧)، عن عمرو بن عوف المزني.

QaradawiBooks.com

يعني أنَّ الغرباء ليسوا جماعة سلبيِّين قابعين في ركن من أركان الحياة، لا؛ بل إنهم أناس يعملون، ويصلحون ما فسد من سنن النبوة، ويُحيون ما مات من هدي الإسلام، فليس هناك أي تناقض.

وأنا في الحقيقة أحثُّ إخواننا الدعاة دائمًا على أنْ يذكروا الأحاديث المُبشِّرة بجوار هذه الأحاديث، مثل الحديث الذي ذكره السائل: «**ليَبْلُغنَّ هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهارُ**»[١]. وحديث: فتح رومية[٢]، وأمثالهما، فهذه الأحاديث يجب أنْ تُذكر حتى يحفظها المسلمون، وحتى يفهون غيرها في ضوئها.

ويكفي أنَّ عندنا من المبشِّرات في القرآن قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. وغيرهما من الآيات، فلا داعي لليأس أبدًا.

التحضير للهيئة الخيريَّة العالميَّة:

السؤال الثالث: ما الذي يمنع أو يؤخر مشروع «الألف مليون دولار» في سبيل الإسلام، الذي أشرتم إليه؟ ولماذا لا يُفتح الباب حتى الآن للتبرع؟

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩٦.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩٦.

QaradawiBooks.com

الجواب: ليس هناك مانع من التبرع، والمشروع مستمر والحمد الله، وهناك لجنة تحضيريَّة أُعدَّت، وهناك نظام أساسي، وبيان للأهداف والوسائل، ومصادر التمويل، وألوان العمل، وقد أُرسِل لعدد من الناس، وأكثرهم أجاب بالموافقة.

كل ذلك تمَّ إعداده، ويُنتظر عن قريب ـ إنْ شاء الله ـ أنْ يجتمع هؤلاء الذين يُعتبرون مؤسسين لهذا المشروع، وتقوم الجمعية المنشودة، وأنا عندي أمل كبير أنْ يتم أول اجتماع في خلال شهر أو شهرين بإذن الله، ويُعلن عن قيام المشروع بإذن الله تعالى، ومن ثَمَّ يُفتح باب التبرع لكل المسلمين. وفقنا الله جميعًا إلى ما فيه خير ديننا ودنيانا، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص بطباعة

١٨

التأخر التقني لدى المسلمين
الأسباب والحلول[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنَا وإمامَنا وأسوتَنا وحبيبَنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، مُعلِّم الإنسانية، وطبيب البشرية، وهادي الناس إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النُّور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وسار على دربه، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة الأحبَّة تحيةُ الإسلام، وتحيةُ الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في النادي العلمي القطري في منتصف التسعينيات.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

همُّ التخلُّف:

وأشكر للنادي العلمي القطري دعوته لي؛ لأحدِّثكم في هذا الهمِّ من الهموم التي تؤرقني، وهو همُّ التخلُّف أو التأخُّر، سمِّه ما شئت أنْ تسميه: تخَلُّفا، تأخُّرًا، تراجعًا، انتكاسًا، انحطاطًا، فهو اسم على مسمًّى معروف، وهو تلك الحالة التي صنفتنا في دائرة ما سُمِّي البلاد النامية، أو العالم الثالث، وهو تعبير مُهذَّب أو مُلطَّف عن البلاد المتخلِّفة، أراد الناس ألَّا يجرحوا مشاعرنا فسمونا البلاد النامية، ولعلَّهم كانوا خبثاء في إطلاق هذه التَّسمية لإشعارنا أنَّنا ننمو حقيقة، ويبدو أن نموَّنا نموٌّ بطيء، أبطأ من السلحفاة في مشيها، كل البلاد الإسلامية مصنَّفة في دائرة البلاد النامية، أو ما سُمِّي العالَم الثالث، ولو كان هناك عالم رابع لنُسبت إليه بعض بلادنا العربية والإسلامية.

التَّخلُّف الزِّراعي والصناعي:

هذا هو الوضع الذي نعيش فيه اليوم، وضع التأخُّر أو التخلُّف أو التراجع أو الانحطاط، بالنسبة لما يعيشه غيرنا، فنحن نستهلك ولا نكاد ننتج، نحن نستورد ولا نكاد ننشئ، حتى في الزِّراعة؛ معظم بلاد العرب بلاد زراعيَّة، ومع هذا نعتمد في أقواتنا اليومية والأساسية على غيرنا، نستورد أكثر من خمسين بالمائة (٥٠٪) من أقواتنا، بلادنا زراعية ولا تنتج ما يكفي لخُبزها ورغيفها وقوتها اليومي.

نحن كذلك في الميدان الصناعي متخلِّفون، نستورد ـ كما يقول القائلون ـ من الإبرة إلى الصاروخ. يعني في الميدان المدنيّ، والميدان العسكريّ نستورد ولا نكاد نصنع، إلا القليل من الصناعات اليسيرة، التي يسمونها الصناعات التجميعية، أمَّا الصناعات الثقيلة الأساسية فلا نقوم بها، فضلًا عن أن نُحسنها.

QaradawiBooks.com

وأنا أقول دائمًا: أُمَّة سورة الحديد لم تتعلَّم صناعة الحديد، فالله تعالى أنزل في كتابه الكريم سورة سمَّاها سورة الحديد، وفيها الآية التي تقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

هذه الآية الكريمة لها أهميَّتُها ومكانتها؛ فقد ربطت بين الكتاب: النص الإلٰهي. والميزان: العدل. والحديد: القوة التي تحفظ الحق، وتحفظ الكتاب. فلا بدَّ للناس من كتابٍ هادٍ وحديدٍ ناصرٍ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ﴾ إشارة عمَّا ينشأ عن الحديد من صناعات حربيَّة عسكريَّة، وفي قوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى ما ينشأ عن الحديد من صناعات مدنيَّة، يمضي بها دولاب الحياة.

ونحن للأسف لم نُتقن الصناعات المدنيَّة، ولا الصناعات العسكريَّة، سلاحنا الأساسي الذي ندافع به عن أنفسنا، ونذود به عن حِمانا، نستورده من الخارج، لو أراد الذين يصنعون السلاح أنْ يُعطونا إيَّاه أعطونا، ولو أرادوا أنْ يكفُّوا أيديَهم فعلوا، وهم لا يُعطونا من السلاح إلا ما أرادوا، وبالقدر الذي يُريدون.

من أجل هذا نقول: إنَّنا في دائرة التَّأخُّر التِّقْنيّ والتكنولوجيّ، هذه حقيقة ينبغي أن نعترف بها، صحيحٌ أنَّ عندنا في هذا السبيل ومضات

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية صـ١٣٣، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

ولمحات ومحاولات، ولكنها للأسف لم تؤتِ أُكُلها، لم تُحقق أهدافها، منذ بداية النهضة، فقد بدأت النهضة في تركيا في عهد الإصلاحات والتجديدات ولكنها لم تؤدِّ إلى النتيجة المطلوبة، ثم بدأت في مصر ـ في عهد محمد عليّ ـ مع اليابان، أو قبيل اليابان، وانظروا في هذا: أين اليابان الآن، وأين مصر؟ وأين العالم العربي والإسلامي كلُّه؟

لهذا نقول: نحن في حالة تأخُّر أو تخلُّف. فما هي أسبابها؟ وهل هي أسباب ذاتية تكمن فينا؟ أم هي أسباب خارجية تُكرس لبقائنا في هذه الحالة؟

غير مرخصة للطباعة

هل نحن أغبياء؟

هل السبب في تأخُّرنا أنَّنا أغبياء؟ هل هذه الأُمَّة لا تلد العباقرة والنوابغ؟ هل عقمت أرحام الأمهات عن أنْ تلد العقول المبتكرة؟

ليس صحيحًا؛ فهذه الأمة خِصبة ولود، قادرة على الإنجاب والإنتاج، بدليل هذه العقول المهاجرة، التي نراها تتبوَّأ أرفع الأماكن في بلاد الغرب، في أوربا وأمريكا وأستراليا وغيرها، هناك عقول كبيرة أخذت مكانها في تلك البلاد.

حين كنت في أمريكا، رأيت في مدينة شيكاغو أعلى عمارة في العالم في ذلك الوقت، والذي صمَّمَ هذه العمارة مهندس باكستاني، ونعرف العالم المصري الدكتور فاروق الباز وجهوده في الأبحاث الفضائيَّة، والأسماء كثيرة، عشرات الآلاف من العقول موجودة في العالم الغربي، نحن إذنْ لا نعدم العباقرة والنوابغ والمبتكرين.

QaradawiBooks.com

هل الإسلام سبب تخلفنا؟:

ربما خُيِّل لبعض الناس أنَّ السبب في تأخرنا هو دين الإسلام، حينما وجدوا التقدم كُلَّه غربيًّا، أو أوربيًّا، أو مسيحيًّا، أو بوذيًّا، ورأوا التَّخلُّف إسلاميًّا، فتوهم بعض الناس أنَّ الإسلام هو السبب في ذلك.

الإسلام ينشئ العقليَّة العلميَّة:

والواقع أنَّ الإسلام مظلوم ومفترًى عليه؛ فالإسلام هو الدِّين الذي حرَّر العقل، وصنع العقليَّة العلميَّة، من قرأ القرآن وتدبَّره وجده ينشئ العقليَّة العلميَّة.

هناك عقليَّة نسمِّيها العقليَّة العاميَّة، أو العقليَّة الخُرافيَّة، التي تُصَدِّقُ كلَّ شيء، وتقبلُ أيَّ أمرٍ يُعرض عليها.

عقليَّة ترفض الظن موضع اليقين:

وفي المقابل هناك العقليَّة العلميَّة، التي ترفض الظنَّ في موضع اليقين، القرآن يقول: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦].

وهذه العقليَّة ترفض الظن وتطلب اليقين؛ فهي عقلية موضوعية حيادية، ترفض الأهواء والعواطف، ولذلك ذمَّ الله تعالى المشركين فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، أبْعِدْ الأهواءَ والعواطف جانبًا، وكن رجلًا موضوعيًّا.

QaradawiBooks.com

عقلية ترفض الجمود والتقليد:

العقليَّة العلميَّة هي التي ترفض الجمود والتقليد، سواء كان تقليدَ الأبناء للآباء، والأحفاد للأجداد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، أو كان تقليدَ الشعوب للسادة والكُبراء: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، أو كان تقليدَ الجمهور، شأن الإمَّعة من الناس، كما سمَّاه الحديث: «**لا تكونوا إمَّعةً تقولون: إنْ أحسن الناس أحسنَّا وإنْ ظلَموا ظلمْنا**»[1].

إنَّ الإسلام يُنشئ العقليَّة التي ترفض الجُمودَ والتقليد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

عقليَّة تُفكِّر وتنظر:

إنَّها العقليَّة التي تتعبَّد لله بالتفكُّرِ والنظرِ في الآفاقِ وفي الأنفسِ، كما يقول الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

إنَّها العقليَّة التي تنظر في كلِّ المخلوقات، في الأفلاك والعالم العُلوي، وفي العالم السُّفلي، وفي النفس الإنسانيَّة، هذه العقليَّة تتعبَّد لله بالتفكير، كما قال الأستاذ العقَّاد في كتاب عنْونَه بهذا العنوان «التفكير فريضة

(١) رواه الترمذي في البرِّ والصلة (٢٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

إسلامية»، وهذا كلام صحيح؛ لأنَّ الله تعالى كما أمر بالعبادة أمر بالتفكير: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

عقليَّة تطلب البرهان:

هذا الإسلام لا يقبل دعوى إلا ببرهان، ولذلك نادى أصحاب العقائد الباطلة: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، هذا هو القرآن لا يقبل دعوى إلا ببرهان، وكلُّ دعوى لها برهان يناسبها.

في الأمور العقليَّة يكون البرهان عقليًّا، وفي الأمور الحسيَّة والتجريبيَّة يكون البرهان حسيًّا، بالمشاهدة: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] هل رأيت هذا؟ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وفي الأمور التاريخيَّة يكون البرهان نقليًّا توثيقيًّا، ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]

القرآن يؤسس ويُنشئ هذه العقليَّة العلميَّة، التي تنظر وتتأمَّل في الكون وتربط الأسباب بأسبابها، ترعى سنن الله، وتعلم أنَّ هذا الكون لا يسير جُزافًا، ولا يمضي اعتباطًا، إنَّما توجد سنن وقوانين تُنظِّمه، وهذه السنن ثابتة: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

الأُمَّة الإسلامية تقود العالم قُرونًا:

هذه العقليَّة التي يُنشئها الإسلام هي التي صنعت الحضارة الإسلاميَّة، وأنشأت العلوم والمعارف الإسلاميَّة المختلفة، وجعلت الأُمَّةَ الإسلامية هي الأُمَّةَ الأولى في العالم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنْ كانوا يقولون عنَّا الآن: العالم الثالث أو الرابع. فقد كنَّا نحن العالم الأوَّل، الأمَّة الأُولى، ما يقرب من ألف سنة، وكان الآخرون لا يرون الضوء إلا من سَمِّ الخِياط، كانوا في غايةٍ من التَّخلف والانحطاط، وكنَّا نحن الرَّادة، والقادة، والسَّادة في العالم.

كانت الجامعات الإسلاميَّة مَوْئِلَ الطُّلاب من أنحاءِ العالم، في الأندلس والمشرق وغيرها، تعلَّمُوا منَّا ومن جامعاتنا، وأخذوا عنَّا واقتبسوا منَّا، من قنواتنا المختلفة، من الأندلس ومن صقليَّة، من اللقاء في الحروب الصليبيَّة في الشرق.

كانت كتُبنا هي المراجع العالميَّة في كل العلوم والفنون، كانت أسماءُ علمائنا أشهر الأسماء في العالم: الحسن بن الهيثم في الطبيعة، وجابر بن حيان في الكيمياء، والبيروني في الرياضيَّات، والخوارزمي مخترع عِلم الجبْر، والأطباء والجرَّاحُون، والفيزيائِيُّون، والفلكِيُّون، إلى آخر كلِّ هذه الألوان من العلم، كنا نحن المتفوِّقين فيها وأصحابَ السبْق، وهذا ما شهد به الغربيون أنفسهم.

اقرأ ما كتبه «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية»، أو «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»، أو «درايبر» في كتابه «النِّزاع بين العلم والدِّين»، أو ما كتبه «جورج سارتون» في كتابه «تاريخ العلم والدِّين»، تجد أنَّ العرب هم من اكتشفوا المنهج العلمي التَّجريبي، كما قال بريفولت: ليس «فرانسيس بيكون»، ولا سميُّه «روجر بيكون» هما اللذان اكتشفا المنهج العلمي، بل كانا رسولين من رسل الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وكان «روجر بيكون» قد تعلَّم العربية، وأخذ المنهج العلمي من العرب[1].

(١) انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي =

QaradawiBooks.com

وهذا صحيح؛ فأصل المنهج العلمي عربي إسلامي، وقد اكتشف المحقِّقون هذا الأمر، فعلماؤنا رفضوا المنطق الصُّوري ـ منطق أرسطو ـ وحلَّلوه، وردُّوا عليه، ردَّ عليه الإمام ابن تيمية في كتابين: صغير وكبير، وقال: إنَّ منطق أرسطو لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد[1].

قال هذا قبل أن يأتي «ستيوارت مِل» أو «ديفيد هِيوم» أو غيره ممن نقدوا بعد ذلك المنطق الأرسطي، وعلماؤنا لم ينقدوا المنطق الأرسطي فقط، بل اكتشفوا المنهج العلمي، وطبقوه في سائر أنواع العلم.

العلم عندنا دين والدين عندنا علم:

كان الدين عندنا علمًا، والعلم عندنا دينًا، لم يكن عندنا نزاع بين العلم والدين قط، لم يعرف المسلمون هذا النزاع، بل إنَّ كثيرًا من علماء الدِّين كانوا علماء في الكون، وفي الطبيعيَّات، والرياضيَّات، وغيرها.

وقد ألَّف الخوارزميُّ كتابه في الجبْر؛ ليحلَّ بعض المسائل في فقه الوَصايا والمواريث، من أجل ذلك تجد جزءًا من رسالته فقهيًّا، وجزءًا رياضيًّا، حتى إنَّ الدكتور محمد مرسي أحمد ورفاقه، الذين نشروا رسالة الخوارزميِّ في الجبْر، لم يكونوا يفهمون في الجزء المتعلّق بالمواريث والفرائض والوصايا، فلم يعلقوا عليه بكلمة واحدة، واكتفوا بالتعليق على الجزء الرياضي من رسالته، فلم يكن عندنا هذا الفصام المشؤوم بين العلم الديني، والعلم الدنيوي.

= د. علي سامي النشار صـ٣٨٢ ـ ٣٨٥، نشر دار المعارف، ط٢، وشمس العرب تسطع على الغرب للمستشرقة الألمانية زيجريد هونكه صـ٤٠١، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، نشر دار الجيل بيروت، ط٨.

(١) الرد على المنطقيين صـ٣، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وكان ابن رشد الحفيد فيلسوفًا، وهو أعظم شارح لأرسطو، حتى إنَّ فلسفة أرسطو انتقلت إلى العالم عن طريق شروح ابن رشد، وكان طبيبًا كبيرًا، فهو صاحب «الكُلِّيَّات» في الطب، الذي تُرجم إلى اللاتينيَّة وانتفع به الغربيُّون قرونًا طويلة، وهو ـ في الوقت نفسه ـ فقيه مالكي من أعظم الفقهاء، وصاحب كتاب من أعظم كتب الفقه المُقارَن، هو كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، هكذا كان العلم والدين يمشيان جنبًا إلى جنب.

والإمام الفخر الرازي، صاحب كتاب «التفسير الكبير: مفاتيح الغيب»، وصاحب كتاب «المحصول في علم الأصول»، و«مُحَصِّل أفكار المتقدمين والمتأخرين»، وغيرها من كتب أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير، هذا الفخر الرازي كان طبيبًا، وقال المترجمون له: كانت شهرته في الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين.

وكان الطبيب الشهير ابن النفيس ـ الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى ـ من فقهاء الشافعيَّة، ترجم له العلَّامة ابن السُبكي في كتابه الشهير «طبقات الشافعية»[1]، هكذا كان علماؤنا.

نحن كنا قادة العالم في كل ناحية، ولو نظرنا إلى الطبِّ لوجدنا الكتب الطبيَّة الإسلامية هي الكتبَ العالميَّةَ لعدة قرون، وقد ذكرنا كتاب «الكليات» لابن رشد، وكذلك لابن سينا كتاب «القانون»، و«الحاوي» لأبي بكر الرازي، و«التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم الزهراوي، وهكذا.

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣٠٥/٨)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

إذنْ ليس التخلف الذي حلَّ ببلاد المسلمين بسبب الدين، وإلا لما صنع الإسلام هذه الحضارة العظيمة، التي قادت العالم، وكانت مرجعًا لطلاب العلم في العالَم كلِّه.

لغة تدريس العلوم:

وقد كُتِبتْ هذه العلوم أيام ازدهار الحضارة الإسلامية باللغة العربيَّة، وللأسف نحن الآن بضع وعشـــرون دولة، أكثر من مائة مليون، وعندنا أكثر من مائة جامعة، ومع هذا ما زلنا نُدَرِّسُ العلوم، والطب، والهندسة، والصيدلة، وغيرها باللغة الإنجليزيَّة أو الفرنســيَّة، ونقــول: إنَّ العربية عاجزة عن اســتيعاب هذه العلوم. لكنَّ الأمر كما قال حافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، على لسان اللغة العربية:

وَسِــعتُ كِتابَ اللهِ لَفظًــا وَغايَةً ... وَمــا ضِقْتُ عَن آيٍ بِــهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ ... وَتَنســيقِ أَســماءٍ لِمُختَرَعــاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشــائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... فَهَل سَاءلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي[1]

للأسف عجز العرب عن تدريس العلوم بلغتهم، ما عدا سوريا؛ فهي تدرس الطب والعلوم بالعربيَّة، ومن المُخزي أنَّ إسرائيل استحيت لغتها العِبرية لتُدرِّس بها علومها، ونحن لا نُدرِّس علومنا بالعربية، وهي التي شهد لها الخُبراء بتفوُّقها وتميُّزها!

المعتزلة وعلماء الحديث:

إذا كان الدين ليس ســببًا في تخلُّفِ الأمة، فما سبب التخلف إذنْ؟

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ٢٥٤، تصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

كنا قادة، متفوقين في عالمنا، فما الذي هوى بنا من القمة إلى القاع؟ ما الذي جعل الأُمَّة تتعثر بعد نهوض، وتتراجع بعد تقدم، وتنهزم بعد انتصار، وتضعف بعد قوة؟

هناك من يقولون: إنَّ سبب ذلك هو انتصار أهل الحديث على المعتزلة؛ فالمعتزلة كانوا يدعون إلى التفكير الحُرّ، لكنهم انهزموا، وجاء أهل الحديث والفقهاء فكانوا سببًا في نكبة العلم، ونكبة الحضارة.

وهذا تعليل غير صحيح؛ لأنَّ المعتزلة كانوا يهتمون بالجانب الميتافيزيقي، ولم يكونوا يهتمون بالعلوم الطبيعية، والرياضية، والكونية، كانوا يشتغلون ـ كما ذكر الدكتور محمد البهي ـ بالجانب الإلٰهي، مع أنَّ هذا الجانب أغنى فيه القرآن وكفى وكفى، لكن المعتزلة انشغلوا بهذا الجانب، حتى إنَّ قضية منه شغلتهم طيلة عهود عدد من الخلفاء، وأدخلوا بها المسلمين في محنة قاسية، وهي قضية خَلْقِ القرآن: هل القرآن مخلوق، أم غير مخلوق؟ ودخل الإمام أحمد بن حبل من أجل هذه القضية السجن، وعُذِّب وأُوذي وجرى له ما جرى، وهؤلاء أنصار الحرية العقلية استعملوا السَّوط والسجن والتعذيب ضد مخالفيهم من الأئمة الكبار.

ثم إنَّ قضية انهزام المعتزلة كانت في القرن الثالث الهجري، وجاء بعده القرن الرابع وفيه نمت الحضارة الإسلامية، وظهر كبار الفلاسفة، وكبار العلماء في كلِّ ناحية.

نقد الغزالي للفلسفة:

وهناك من يقولون: إنَّ السبب ليس انهزام المعتزلة أمام أهل الحديث والفقه، وإنَّما انهزام الفلسفة أمام الفقهاء وعلماء الكلام، وخصوصًا بعد حملة الغزالي عليهم.

QaradawiBooks.com

الإمام أبو حامد الغزالي ألَّف كتابه الشهير «تهافت الفلاسفة»، ونقد فيه الفلسفة، بعد أنْ فَهِمَها وهضمها وألَّف كتابه فيها «مقاصد الفلاسفة»، ثم كرَّ عليها بالهدم والإبطال، فخطَّأ الفلاسفة في سبع عشرة مسألة، وكفرهم في ثلاث مسائل.

وقد كانت الفلسفة اليونانية في ـ ذلك الوقت ـ صنمًا معبودًا لدى الناس، كانت فتنة المثقفين في ذلك الوقت، وكان الناس يؤولون من أجلها صريح القرآن، وصريح الأحاديث، والثابت من العقائد الإسلامية؛ لكي توافق مقرَّرات أرسطو، فكان لا بدَّ من رجل في قُدرة الغزالي وعَمْلقتِه وعبقريته ليهدم هذا الصنم، ويحرِّر الناس ليفكروا بعقولهم، لا بعقول اليونانيين.

لكنَّ الغزالي أضعف الفلسفة، ولم يهدمها تمامًا، كما قال «دي بور» في كتابه «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، بأنَّ الفلسفة قامت بعد الغزالي، وكان هناك عشرات، بل مئات من الفلاسفة، ويكفي أنَّه ظهر بعد الغزالي من يعتبره كثير من مُؤرِّخي الفكر أعظمَ الفلاسفة على الإطلاق، وهو ابن رشد، فقامت الفلسفة بعد الغزالي في غرب العالم الإسلامي، على يد ابن باجة، وابن طفيل، وابن رشد، وغيرهم.

ثم أي فلسفة هذه التي يهدمها كتاب واحد من رجل واحد؟ إذا كانت فلسفة تُهدم بكتاب فلا تستحق أنْ تعيش.

على أنَّ الغزالي ـ وإنْ أبطل الفلسفة ـ لم يُبطل العقل، بل دعا إلى إعماله، وهو القائل: من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في متاهات العمى[1]. فدعا إلى أنْ ينفك الإنسان من آصار التقليد.

(١) ميزان العمل للغزالي صـ٤٠٩، تحقيق د. سليمان دنيا، نشر دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٤هـ.

QaradawiBooks.com

الأسباب الحقيقية لتخلفنا:

إذنْ ما هي الأسباب التي جعلت أمَّتنا تعيش في إطار التخلف والتراجع التقني الذي نتحدث عنه؟ لقد بدأنا في مصر ـ في عالمنا العربي ـ قبل اليابان، فسبقتنا سبقًا هائلًا، فما الذي أدَّى إلى تخلُّفنا؟

إنَّها في الحقيقة أسباب كثيرة، وليس من منطق العلم الصحيح أن نردَّ أمرًا كبيرًا ـ مثل تراجع الحضارة الإسلامية بعد تقدُّم ـ إلى سبب واحد، فهي أسباب متعدِّدة: تاريخيَّة، وداخليَّة، وخارجيَّة.

إنَّها مجموعة أسباب خلاصتها قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]. لقد غيَّر الناسُ ما بأنفسهم فغيَّر الله ما بهم.

(١) تقدُّم التقليد على الاجتهاد:

ولهذا كان **السبب الأول** سببًا تاريخيًّا، فقد غيَّر الناس ما بهم من نعمة، وضُرِبت حياتهم بالعفن، وأصابها الجُمودُ والتقليد في كلِّ نواحيها، الجمود والتقليد في الفقه، والأدب، والصناعة، والعلم، أصبح الناس وعندهم من يقول: ليس في الإمكان أبدعُ مما كان، وما ترك الأول للآخر شيئًا. فاكتفوا بالقديم ولم يُعملوا عقولهم.

واطَّرد التقليد في كلِّ ناحية من النواحي، فغَلَبَ على الفقه التقليد المذهبي، ولم يظهر المجتهدون إلا قليلًا، وُجِدت بالطبع اجتهادات في كلِّ عصر، وغلبت على الأدب المُحَسِّنات اللفظية والبديعية، ولم يعد هناك المبتكِرون، فهذا التقليد والجمود هو السبب التاريخي للتخلُّف.

QaradawiBooks.com

وهناك مجموعة أسباب داخلية للتخلُّف، وأنا أحب أنْ أركِّز دائمًا على الأسباب الداخلية.

(٢) قصور نظامنا التعليمي:

السبب الثاني: يتعلَّق بنظامنا التعليمي، فأنظمتنا ومناهجنا التعليميَّة تُخرِّج أغلب ما تُخَرِّج جيوشًا من الموظفين، يُحسنون أنْ يحفظوا الكتب ويتقيؤوها في الامتحانات، وبعد أنْ تنتهي الامتحانات ينسون كلَّ شيء.

هذا النظام التعليمي وضعه أول ما وضعه المستعمرون، لأنَّهم كانوا يحتاجون إلى موظفين يشتغلون عندهم، فهم الذين يحكمون البلاد، لكننا أصبحنا الآن مستقلين، وأصبح أمر التعليم والتربية في أيدينا، فلماذا لا نراجع مناهجنا وفلسفتنا التعليمية كلَّها؟

إذا كان الأمريكان، وهم الذين وصلوا إلى القمر، ويعتلون قمة التكنولوجيا المتطورة، وما يُعرف بثورة البيولوجيا وثورة المعلومات، يقولون عن أنفسهم: إنَّ نظامنا التعليمي أصبح متخلفًا.

ولعلَّكم قرأتكم ما كتبه بعض رجالهم الكبار في كتاب «أُمَّة على حافَّة الخطر»، يقولون: إنَّ التعليم لم يعد يقوم بما نهدف إليه، لقد تخلف تعليمنا، وأصبحت الأمة الأمريكية على حافة الخطر، ولا بدَّ من تغيير مناهج التعليم وفلسفة التعليم. وجاؤوا بفريق ياباني لينظر في نظامهم التعليمي، ومناهجه وأسسه، ويقترح الحلول لما يعانيه من قصور ونقص، هذا ما فعله الأمريكان.

أمَّا نحن فنقول: إنَّنا على ما يُرام، والسفينة سائرة إلى برِّ الأمان، ونُخَرِّج كلَّ سنة الآلافَ وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف في بعض البلاد.

QaradawiBooks.com

لكن هؤلاء المتخرجين قلَّ فيهم المبتكرون؛ لأنَّ النظام التعليمي بصفة عامة لا يُحقق ما تريده الأُمَّة، فأول ما ينبغي أن نعالجه هو نظام التعليم، نحن نتحدث عن الأسباب والحلول، والحلُّ هنا مراجعةُ الأنظمةِ التعليميَّة، في ضوء ظروف العصر وتطوُّراته، ينبغي أن نُعطي هذا الأمر حقَّه من العناية والرعاية.

(٣) الاستبداد وغياب الحريات:

السبب الثالث: أنَّ الأنظمة السياسية التي تحكم البلاد الإسلامية هي في مجموعها أنظمة خانقة، لا تُتِيح للزَّهْرات أنْ تتفتح، لا تُفَتِّحُ الأبوابَ لتهبَّ أنسام الحرية على الناس، الناس في معظم البلاد مكتومةٌ أنفاسُهم، لا يستطيعون أنْ يُعبِّروا.

نريد للفرد أن يُعبِّر عن نفسه بحرية، ويقول رأيه ولا يُؤخَذ إلى غيابة الجُبِّ أو إلى ما وراء الشمس، أو يذهب إلى حيث لا يعلم أحد عنه شيئًا، أو يُحاكَم محاكمة عسكرية.

لا يمكن أنْ يُبدع الفرد في ظل الاستبداد الخانق والقاتل، إنَّما تتفتح العقول والمواهب في ظل الحرية، والأدب العربي يجود علينا بمعاني الحرية، من ذلك قصة عنترة بن شداد العبْسي.

كان عنترة أسود اللون، فلم يكن يُعِيرُه أبوهُ التفاتًا ولا يهتم به لسواد لونه، عامله كما يعامل العبيد، وتركه يرعى الأغنام والإبل مع رُعَاته من عبيده، ولكنَّ عنترة ظلَّ يُكوِّن نفسه تكوينًا عسكريًّا بالرياضة وتعلُّم الفروسية والرماية.

وفي يوم من الأيام أغارت إحدى قبائل العرب على بني عبْس، وهُزم

QaradawiBooks.com

بنو عبْس حتى كاد المغيرون أنْ يدخلوا الدور ويغتصبوا النساء، وعنترة واقف يتفرَّج، فقال لـــه أبوه: كِرّ. قال له: يا أبتِ العبد لا يُحســـن الكَرّ، وإنَّما يُحسن الحلاب والصَّرّ. يعني: أنَّ العبد لا يُحسن الكفاح والسلاح، وإنَّما يُحســـن حلب الإبل ورعاية شـــؤونها، فقال له أبوه: إذنْ كُرّ وأنت حُرّ. فامتطى عنترة جَوَادَه، وامتشق حُســـامَه، وحمل نَبْلَه ورُمحَه، وأخذ يُغِير على الأعداء وهم يرتدُّون أمامه حتـــى دحرهم، وأصبح عنترة بعد ذلك أســـطورة[1]، والســـر: كُرّ وأنت حُرّ. لقد شعر بإنســـانيته، بآدميته، بكرامته، وأصبح إنسانًا آخر.

وهذا الذي نقوله في الميدان العســـكري، نقوله في ميدان الحضارة والعلم والتقنية: أعطني الحرية أُعطك رجالًا، أعطك نوابغ ومبتكرين.

هجرة النوابغ:

لقد هاجر كثير من أبنائنا النوابغ إلى بلاد الغرب، وصاروا يُفضِّلون البقاء هنـــاك، لماذا؟ لأنَّهـــم إذا عادوا إلى بلادهم لـــم يأخذوا مكانتهم المناســـبة، يكون أحدهم عالمًا مبتكرًا ذا عقليَّة ضخمة، فيؤخذ ليوضع على مكتب، بينما يُقدَّم عليه الشخص المحسوب على الرئيس أو الوزير أو الوكيل، أو يُقدَّم الشخص المنافق أو الثرثار، من هنا يُفضِّل كثير من النوابغ البقاء فـــي الغرب، وكثير منهم حين يعـــود إلى بلاده لا تتاح له الفرصة ليبذل جهده ويُحقِّق ما يريد.

منذ سنوات ذهب مندوبون إلى حاكم عربي في شمال أفريقيا، كان متحمِّسًـــا للتطوير، وذهبوا إلـــى مجموعة من العرب والمســـلمين، من

(١) انظر: الأغاني للأصبهاني (١٧٠/٨)، تحقيق إحسان عباس وآخرين، نشر دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

النوابغ الذين يعيشون في أوربا وأمريكا، وقالوا لهم: تعالوا عندنا، نحن نريد أن نُقيم مدينة علميَّة إسلامية، سنُتِيح لكم فيها كلَّ ما تريدون، ونعطيكم كلَّ ما تطلبون، تعالوا إلى هنا واتركوا هذه البلاد؛ فأنتم تخدمون غير المسلمين، ولعلكم تخدمون أهدافًا تضر ببلادنا.

فاستجاب لهم كثير من النوابغ في أوربا وأمريكا، وعادوا معهم إلى ذلك البلد، فما إن نزلوا من الطائرة حتى أُخِذَتْ جوازات سفرهم، وأصبحوا لا يستطيعون أنْ يتنقلوا إلا وفق نظام مُعيَّن، كأنهم أسرى في حرب، أو جنود في مُعسكر من المُعسكرات، حياتهم مُقيَّدة، وأنفسهم في خوف ورعب، ولذلك حينما كانت تُتاح لأحدهم الفرصة ليتخلَّص من هذا الأَسْرِ كان يركب الطائرة، ويقول ما قال الشاعر العربي قديمًا:

عَدَس، ما لِعَبَّاد عليكِ إمارةٌ أمنتِ وهذا تحملينَ طَلِيقُ[1]

فهذه هي الحريَّة، وهذا هو واقعنا.

(٤) التفرُّق والتمزُّق:

السبب الرابع: أنَّنا نفكر في التقدُّم بالعقليَّة القُطريَّة، المحليَّة، الإقليميَّة، نريد أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطوِّرة، وعصر الكمبيوتر، وعصر الهندسة الوراثيَّة، وعصر غزو الفضاء، فرادى مُبعثرين، وهذا غير ممكن، إذا لم ندخله جماعة، يشدُّ بعضنا أزر بعض، لنُكوِّن كتلة بشريَّة قويَّة، فلن نستطيع أن نتقدم.

(١) البيت لابن مُفَرِّغ الحِمْيَري. انظر: البغال للجاحظ صـ٥٩، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

نحن نرى أحيانًا بلدين من البلاد الصناعية الكبرى يتعاونان لإنشاء طيَّارة مُتَقَدِّمة؛ لأنَّ بلدًا واحدًا لا يستطيع، ونرى الآن كيف تتجمَّع أوربا لتُكوِّن كتلة واحدة، وكيف تتجمع أمريكا مع بعض البلاد، وكيف تتجمَّع اليابان مع بعض البلاد، كُتَل عالمية يواجهون بها التحديات، ونحن وحدنا الذين نريد أن ندخل عصر التكنولوجيا متفرقين! وهذا يستحيل، فلا بدَّ أن يُكمل بعضنا بعضًا، لا بدَّ أن نتكتَّل كما يتكتلون.

إننا لو ظللنا على هذا التمزُّق الذي نعيشه في عالَمنا العربي والإسلامي فلا يمكن أن نتقدَّم، لا بدَّ أن نتغلب على الإقليمية والمحلية، لا بدَّ أن نكون أكبر من محاولات التمزيق التي تُراد بنا، بالإيقاع بين بعضنا البعض، لا ينبغي أن تظل آثار حرب الخليج تحكمنا إلى الأبد.

لا بدَّ أنْ تخرج الأُمَّة الكبرى ـ أُمَّة العرب والمسلمين ـ من تمزُّقها؛ لِتلُمَّ شعَثها، وتضمَّ أجزاءها إلى بعض، إذا أردنا أن نتقدَّم لا بدَّ أنْ تتعاون أقطار الأمَّة على جميع الأصعدة، لا بدَّ أن نُكوِّن كتلة عربية إسلامية قادرة على أنْ تواجه التَّحدِّي الأوربي والأمريكي والياباني، فهذا سبب رابع من أسباب تخلفنا: التفرق والتمزق.

(٥) الاعتماد على غيرنا:

السبب الخامس: هو أنَّنا للأسف نعتمد على غيرنا، نظن أنَّ غيرنا مخلص في تعليمنا، وهم يُعلِّموننا بقدر معين، لا يعطوننا الأسرار والمفاتيح، وبعضنا يظنُّ أنَّ التكنولوجيا يمكن أنْ تُشتَرى، لكنها لا تُشتَرى، إنَّها تُصنَع.

نحن نستطيع شراء أدوات الحضارة، أفخر الأجهزة الإلكترونيَّة والكهربائيَّة وأغلى السيارات وأحدثها، ولكن ما قيمة ذلك إذا كنت لا تستطيع أنْ تصنع مسمارًا فيها؟

QaradawiBooks.com

في أحد بلاد الخليج خربت محطَّة كهربائية كانت تغذي ثُلث المدينة، فوقف حمار الشيخ في العقبة، كما يقول المثل. وما استطاعوا أنْ يفعلوا شيئًا، وظل هذا الجزء من المدينة مُعطَّل الحال، حتى جاء الخواجة الذي اشتُرِيَتْ منه المحطَّة ليصلح الخلل الذي أصابها، فالتكنولوجيا لا تُشترى، بل إنَّها تُصنع، ولهذا لا بدَّ أن نعتمد ـ بعد الله ـ على أنفسنا.

ولا يشفع لنا أن نقول: نحن أسرى مخططات الآخرين. فهذا ليس عذرًا؛ لماذا لا نُخطط لأنفسنا؟ إلى متى نظل أسرى تخطيط الغير؟ ينبغي أن نتحرَّر من هذا الأسر، وأن نعرف قدر أنفسنا ونخطِّط لأنفسنا، ونقف وقفة الرجال ونقول: نحن أُناس لنا كرامتُنا، ولنا تاريخُنا، ولنا مواريثُنا، ولنا حضارتُنا، ولنا تميُّزُنا واستقلالُنا، فدعونا نخطط لأنفسنا، فنحن جديرون بذلك.

(٦) ضعف التعبئة المعنويَّة:

السبب السادس: أنَّنا لم نعبِّئ شعوبنا التعبئة المعنويَّة المطلوبة، نحن في معركة، والمعركة تحتاج إلى تعبئة، وهي ليست معركة عسكريَّة فقط، إنَّها مع ذلك معركة حضاريَّة، وعلميَّة، وتكنولوجيَّة، واقتصاديَّة، إنَّها معركة كبيرة ولا بدَّ أن نُعبِّئ لها الأفراد، والتعبئة لا تكون إلا بإيقاد جذوة الإيمان والحماسة في الصُّدور، حتى تستطيع الأُمَّة أن تُعوِّض ما فاتها.

من المعروف أنَّ بيننا وبين القوم مراحل ومراحل، أين نحن، وأين هم؟ مسافة بعيدة جدًّا، كانوا يقولون: هناك عصر الصناعة الأول، وهو العصر الذي اخترع فيه الإنسان الآلة لتوفِّر جهده البدني.

QaradawiBooks.com

أمَّا الآن فنحن في عصر الصناعة الثاني، الذي اخترع الإنسان فيه الآلة التي توفِّر له الجهد الذهني، ما نسمِّيه عصر الكمبيوتر، وهم صنعوا الكمبيوتر وطوَّروه، جيلًا بعد جيل، فأول ما ظهر الكمبيوتر كان كبيرَ الحجم، قليل الاستخدام، أمَّا الآن فقد صغر حجمه وقَلَّ ثمنُه، وأصبح يُحقِّق أمورًا ضخمة جدًّا؛ فأين نحن من هذا؟

قلت ذات مرة: إنهم صنعوا الكمبيوتر، ونحن مختلفون في تسميته، هل هو الحاسب الآلي، أم الحاسب الإلكتروني، أم الدماغ الإلكتروني، أم المِحْسَاب، أم الحَسَّابة، أم الحاسوب؟ حتى اسمه لم نتفق عليه!

وإسرائيل صنعت قمرًا صناعيًّا، يُصوِّر الأرض العربية شبرًا شبرًا؛ ولا يزال بعضنا يتجادل: هل التصوير حلال، أم حرام؟!

إنَّ المسافة بيننا وبين القوم بعيدة جدًّا، والغريب أنَّ مُضِيّ الزمن لا يُقرِّبُ المسافة، بل كلما مضى الزمن اتَّسعت الهُوّة، وتعمَّقت الفجوة العلمية بيننا وبينهم؛ لأنَّنا نسير بسرعة الجمل وهم يسيرون بسرعة الصاروخ، فإذا ركبنا سيارة ركبوا هم الطائرة، وإذا ركبنا طائرة ركبوا هم الصاروخ، والواقع أنَّ السيارة والطائرة التي نركبها هي من صُنعهم، فنحن نعتمد على الصناعات التَّجميعيَّة، ولم نصنع ـ حتى الآن ـ مُحرِّكًا (موتورا) في بلادنا العربية.

مضاعفة الطاقات:

نحن في حاجة إذنْ إلى أن نُعبِّئ الأُمَّة؛ لتستطيع أنْ تُعوِّض ما فاتها، وتلحق بالركب، وهذا يعني أنَّ على الأُمَّة أنْ تعمل بأضعاف طاقتها العاديَّة، وهذا لا يكون إلا بأنْ تعيش الأُمَّة لهدف كبير، ورسالة عظيمة، هي رسالة الإسلام.

QaradawiBooks.com

إذا ربطنا الأُمَّة بالإسلام، بمشروعها الحضاري الأصيل الذي لا مشروع لها غيره، وهي أنْ تعيش بالإسلام وللإسلام، وتؤدِّي رسالته إلى العالم ـ نستطيع أن ننفخ في روحها، ونجدد شبابها.

بهذا الإيمان تستطيع الأُمَّة أنْ تعمل بأضعاف طاقتها، بعشرة أضعاف الطاقة، والقرآن أعطانا مثلًا لذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فكما يمكن أنْ يكون الواحد بعشرة، والمائة بألف في الميدان العسكري، فكذلك يمكن أنْ يكون الحال في الميدان العلمي والحضاري، يستطيع الواحد أنْ يعمل بعشر طاقات ما يعمل غيره، إذا حقنَّاهُ بالإيمان، وسلَّحْناهُ بالعلم، وصبَبْنا في عروقه هذا الدم الجديد.

نستطيع أن نُعبِّئ الأُمَّة تعبئة معنويَّة، والدين له دخل كبير في هذه التعبئة، ليجعل منها أُمَّة قائدة، هذا هو السبب السادس.

(٧) السبب الخارجي لتخلُّفنا:

السبب السابع لتأخُّرنا وتخلُّفنا سبب خارجي، ويكمن في القوى المعادية للإسلام والخائفة منه، والتي تعتبره خطرًا عليها، وتسمِّيه «الخطر الأخضر»، هذه القوى لا تريد للمسلمين أنْ يتقدَّموا ويتفوَّقوا، ولذلك تعمل على إبقائهم في دائرة التَّخلُّف، وهذا ما لاحظناه.

يريدون أن نظلَّ سوقًا لهم، يأخذون منا المواد الخام بأرخص الأسعار، ثم يعيدونها إلينا مُصنَّعةً، ويبيعونها لنا بأغلى الأسعار، فنحن بالنسبة إليهم سوق، نستهلك ما يُنتجوه، ولا نُنتج ما نستهلكه، وهذا هو الخطر.

QaradawiBooks.com

لا يريدون منا أن نكون كغيرنا، مَلَكَ القومُ أسرار النَوَاةِ والذَّرَّةِ، وصنعوا القُنبلة الذَّرِّيَّة، إلا المسلمين لم يُسمَح لهم بهذا، الغرب المسيحي، واليهود، والشيوعيون، والبوذيون، كلهم امتلكوا القنبلة النوويَّة، وحين اقترب المسلمون من هذا الأمر ـ مجرَّد اقتراب ـ وقفوا ضدَّهم.

نعرف كيف حوصرت باكستان، وكيف صُبَّت عليها سياط العذاب من كلِّ جانب؛ لأنَّها أرادت أنْ تُنشئ مفاعلًا أو محطة نووية لتدخل في هذا المجال، كما دخلت فيه جارتُها الهند، لم يسمحوا لها بذلك، كما لم يسمحوا بأيِّ محاولة عربية في هذه الناحية.

ونعرف ماذا جرى على العراق حينما اقترب من هذا الأمر، جُرَّ جرًّا إلى أنْ يدخل هذه الحرب المجنونة، فأُغري بغزو الكويت؛ حتى يمكن ضربُ مفاعله النوويّ، وتُدمَّر هذه القوة العلميَّة النابتة، والآن تُحارَب إيران لأنَّها تريد أنْ تملك قوة نوويَّة سلميَّة.

هذا أمر في غاية الغرابة، لماذا لا يُراد للمسلمين أنْ يقتربوا من عصرهم؟ هذا ما يكرهه الغرب ويخافه، ولذلك يريد لنا أن نبقى في دائرة التَّخلف.

ولكننا ـ أيُّها الإخوة ـ لسنا عبيدًا لأحد، فقد ولدتنا أمهاتنا أحرارًا، نحن أُمَّة مستقلَّة ذات سيادة، أُمَّة لها تاريخها ولها حضارتها، ولها مواريثها العظيمة، فلا ينبغي أنْ تظلَّ حبيسة ما يريده خصومها لها، نحن في حاجة إلى أن نتحرَّر، وأن ندخل عصرنا هذا ـ عصر العلم ـ كما دخله غيرنا.

QaradawiBooks.com

هذه ـ أيُّها الإخوة ـ بعض الأسباب المهمَّة لتأخرنا التَّقني ومعها الحلول؛ لأنَّنا إذا عرفنا الأسباب عرفنا الحلول، وعلاج الأمراض إنَّما يتم إذا عرفنا أسباب المرض، فإذا عرفت سبب المرض وشخَّصْتَه فقد وصلت إلى العلاج، فهذه هي الأسباب التاريخية، والداخلية، والخارجية، لهذا التأخُّر التِّقني الذي تعانيه وتشكو منه أُمَّتنا العربية والإسلامية.

لا بدَّ من التجديد والاجتهاد، لا بدَّ أن نراجع نظامَنا التَّعليمي، لا بدَّ أن نعمل على إيجاد الحرية، ونكافح من أجل أنْ تتحرَّر الشعوب من ظلم الاستبداد، واستبداد الظالمين، لا بدَّ أن نهيئ الأُمَّة للوحدة ونخرجها من التمزُّق، لا بدَّ من التوعية بهذه الأمور، لا بدَّ أن نعتمد ـ بعد الله ـ على أنفسنا، ولا نعتمد على غيرنا.

لا بدَّ أن نعمل على تعبئة الأمة التعبئة المعنويَّة الإيمانيَّة، ولا نثق بالآخرين؛ فإن الآخرين لا يريدون لنا خيرًا.

ومن لم يكرهنا منهم فهو يخاف منا، ونحن لا نخوِّف أحدًا في الحقيقة، نحن لسنا خطرًا على أحد، نحن ـ فقط ـ خطر على الإلحاد، وعلى الفساد، وعلى الاستبداد، أمَّا الإسلام فهو رحمة الله للعالمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

السبيل إلى التقدم هو العمل على إيقاظ الأُمَّة، بإيقاظ الأفراد؛ فالفرد هو بداية المجتمع، بدعوة الأفراد إلى أنْ يكونوا مسلمين صالحين، وأداء كل إنسان واجبه في موقعه، وأنْ يتجمَّع الناس على الخير، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى، هذا هو السبيل الذي لا بدَّ منه ولا سبيل غيره.

QaradawiBooks.com

أسأل الله تعالى أنْ يُنير بصائرنا، وأنْ يسدِّد خطانا، لنعالج مشكلاتنا في ضوء ديننا ومُسلَّماتنا، وأنْ يجعل يوم هذه الأمَّة خيرًا من أمسها، ويجعل غَدَها خيرًا من يومها.

أقول قولي هذا ـ أيُّها الإخوة ـ وأستغفر الله لي ولكم، وصلَّى الله على محمدٍ، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص
QaradawiBooks.com

١٩

ثقافتنا بين الأصالة والتغريب[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وأشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الَّذي أُنزِل معه، أولئك هم المفلحون، ورَضِيَ اللهُ عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهادَه إلى يوم الدِّين.

ربَّنا آتِنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهَّاب، اللهمَّ علِّمْنا ما ينفعنا، وانفعْنا بما علَّمتنا، وزِدْنا علمًا، نحمدُكَ اللهمَّ على كلِّ حالٍ، ونعوذ بكَ من حال أهل النَّار.

خير ما أحيِّيكن به ـ أيَّتها الأخوات العزيزات ـ تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فأبدأُ بكلمةٍ موجَزةٍ عن الموضوع الَّذي طلب مِنِّي الأخواتُ

(١) ألقيت في جمعية الإصلاح بالبحرين، تحت رعاية اللجنة النسائية بالجمعية عام ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

من قبــلُ أن أتحدَّث فيــه، ثمَّ ندع البــاب مفتوحًا للحوار وللأســئلة والأجوبة؛ فلعلها تشــفي الصدور، وتجيب عن التساؤلات، وترد على الاستفســارات. كان الأخوات قد طلبن مني أن أتحدث عن ثقافتنا بين الأصالة والتغريب.

بين العلم والثقافة:

ما معنى كلمة (ثقافة)؟ هناك العلم، وهناك الثقافة، العلم لا يختلف من بلــدٍ إلى بلدٍ، ولا من قــومٍ إلى قوم، ولا من دينٍ إلــى دين، العلم للجميع: علم الفيزياء أو الكيمياء، أو الطبِّ أو التشريح، أو الرياضيَّات أو غيرها.. هو علم للجميع، لا وطن له، ولا دين له، ولا جنسيَّة له.

أمَّا الثقافة فهي الَّتي تتلوَّن بلون أهلها، كلُّ جماعة لها ثقافتها الخاصَّة بها، وكل مجتمع له ثقافته، وكل أمة لها ثقافتهــا؛ لأنَّ الثقافة هي الَّتي تعبر عن هوية الإنسان، وعن هويَّة الجماعة، فثقافة المسلمين غير ثقافة النصارى، غير ثقافــة اليهود، غير ثقافة البوذييــن، غير ثقافة الهندوس، الثقافة تختلف باختلاف الملل والنحل والأمم، فلذلك كل أمة تحرص على أن تكون لها ثقافتها الخاصَّة، الَّتي تعبــر عن عقائدها وعن قيمها، وعن أخلاقياتها وعن تقاليدها وأعرافها، هذه هي الثقافة.

أهم مكونات الثقافة:

وأهم مكونــات الثقافة في الأمم أمران أساســيان: الديــن، واللغة. والإسلام بالنسبة لنا نحن العرب هو المكوِّن الأساسي لثقافتنا، هو الَّذي يعبر عن اعتقاداتنا، وعن مشــاعرنا، وعن أفكارنا ومفاهيمنا، وعن قيمنا الأخلاقية والاجتماعية، والروحية والاقتصادية، وعن علاقاتنا المختلفة، الإسلام هو الَّذي يعبر عن هذا كله.

QaradawiBooks.com

نحن ننطلق من الإسلام في كل أمور حياتنا، لأنَّ المسلم من أول أن يولد يُؤذن في أذنه، أول ما نُسمع الطفل نُسمعه: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، الله أكبر، الله أكبر. وإلى أن يموت ـ وهو على فراش الموت ـ نلقنه أيضًا شهادة أن لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، فهو يستقبل الحياة بالتوحيد، ويودعها بالتوحيد، وما بين استقبال الحياة ووداعها، يعيش أيضًا لرسالة التوحيد، ولرسالة الإسلام.

الإسلام يصبغ حياة الإنسان كلها:

الإسلام يتدخل في حياة الإنسان كلها: كيف يأكل، وكيف يشرب؟ كُلْ كذا، ولا تأكل كذا، لا تأكل الميتة ولا الدم، ولا لحم الخنزير، ولا ما أُهلَّ به لغير الله، ولا تشرب الخمر، ولا تتناول المخدرات، لا تتناول ما يضرك.

لا تأكل في آنية ذهب ولا فضة، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، حتى الأكل والشرب يأكل في حدود الإسلام، ويشرب في حدود الإسلام، ويلبس ويسكن ويعيش في حدود الإسلام، فالإسلام يتدخل في كل جوانب حياته.

كما يتدخل الإسلام في كل مراحل حياته، لأنَّه كما قلت لكم: هناك أحكام تتعلق بالمولود منذ يولد، ولابن القيم كتاب اسمه (تحفة المودود في أحكام المولود)، بل هناك أحكام تتعلق بالجنين في بطن أمه، من هذه الأحكام أن حياته محترمة، لا يجوز الاعتداء عليه، حتى من أبيه ولا من أمه، لا يجوز للمرأة أن تجهض جنينها متى شاءت، قامت معركة في مؤتمر السكان الَّذي عُقد في القاهرة منذ أشهر من أجل قضية الإجهاض، لأنَّه كائن حي محترم.

QaradawiBooks.com

حينما جاءت المرأة الغامدية إلى النبي ﷺ، وقالت: يا رسول الله، إنِّي زنيت، وإنِّي حُبلى من الزنى، فأقمْ عليَّ حدَّ الله، وطَهِّرْني. قال لها: «**حتَّى تضعي ما في بَطْنِك**»[1]. معنى هذا أنَّه إن كان لنا سبيل عليك؛ فليس لنا سبيل على ما في بطنك، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، فهناك أحكام تتعلق بالأجنة في بطون أمهاتها، وهناك أحكام تتعلق بالإنسان وهو يحتضر على فراش الموت، وأحكام تتعلق بالإنسان بعد أن يموت، بتغسيله وتكفينه، ودفنه والصلاة عليه، وتنفيذ وصاياه، وقضاء ديونه إلى آخره.

الإسلام إذن هو رسالتنا الَّتي تشمل جميع جوانب حياتنا، وجميع مراحل حياتنا، تنظم حياة الإنسان طفلًا ويافعًا وشابًّا وكهلًا وشيخًا، فلذلك المعبر عن ثقافتنا الحقيقية هو الإسلام، هو المُكوِّن الأساسي لثقافتنا.

اللغة العربية أداة التعبير:

وكذلك اللغة العربية من مكونات ثقافتنا الأساسيَّة؛ لأنَّها أداة التعبير، لا يمكن أن ينفصل التعبير عن التفكير، فلغة كلِّ قومٍ هي الألفاظ الَّتي يُعَبِّرون بها عن أغراضهم، سواء كانت هذه الأغراض دينيَّة أو دنيويَّة، مادِّيَّة أو معنويَّة، فرديَّة أو اجتماعيَّة، فلذلك كانت اللغة أيضًا أساسًا لثقافتنا، ومن هنا لكي نحافظ على ثقافتنا فينبغي أن نحافظ على ديننا ولغتنا، هذه هي الأصالة، الثقافة الأصيلة هي المُعَبِّرة عن الدين واللغة.

أدوات الثقافة:

أمَّا إذا كانت أدوات الثقافة لا تُعَبِّر عن دين الأُمَّة ولغتها؛ فهي أدوات مدخولة مدسوسة، هناك أدوات للثقافة: المسجد أداة للثقافة، وكذلك

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، عن بريدة بن الحصيب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصحافة، والإذاعة والتليفزيون، والمسرح والسينما وغيرها.. كل هذه أدوات لتثقيف الناس، فإذا كانت هذه الأدوات تعبر عن ثقافة الأمة الحقيقيَّة كانت أدوات للأُمَّة، وإلا كانت على الأُمَّة، وهذا ما نعانيه في عصرنا أن كثير من هذه الأدوات لا تعبر عن حقيقة ثقافتنا؛ لأنَّنا غُزينا، حدث شيء يسمونه (الغزو الفكري) أو (الغزو الثقافي) أو (الاستعمار الثقافي)، لم يكتفِ الاستعمار بأن يحتلَّ الأرض؛ بل أحبَّ أن يحتلَّ الرؤوس والعقول والنفوس، وهذا هو الأخطر لأن احتلال الأرض يُقاوَم، إنَّما إذا احتل عقولنا لم نعد نقاومه، بل ننفذ مخططاته بإرادتنا، لأنَّه سمم عقولنا، وسمم أفكارنا، فأصبحنا طوع أمره ونحن لا نشعر، هذا هو أخطر ما نجده في عصرنا نتيجة الاستعمار الثقافي، نتيجة الغزو الفكري التغريبي.

معنى التغريب:

ومعنى التغريب جعل الأمة غربية، نحن أمة شرقية وأمة إسلامية، ومعنى تغريبنا: أن نصبح ذيلًا للغرب، نصبح غربيين في تفكيرنا، غربيين في سلوكنا، غربيين في توجهاتنا، نفكر كما يفكر الغرب، ونفعل ما يفعل الغرب.

وهذا بالفعل ما دعا إليه بعض الناس في وقت من الأوقات، وقالوا: إنَّه لا سبيل إلى نهضة هذه الأمة إلا إذا أخذت بالحضارة الغربيَّة: خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب[1].

ومن ظنَّ غير ذلك فهو خادع أو مخدوع! لم يقولوا: نأخذ الخير ونترك الشر، ونأخذ الحلو ونترك المر، ونأخذ ما يحب وندع ما يُترك،

(١) مستقبل الثقافة لطه حسين صـ٣٩، نشر دار المعرفة، ط٢، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ونأخذ ما يحمد ونترك ما يُعاب. لا، بل قالوا: نأخذ هذه الحضارة كلها، الحضارة لا تتجزأ، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها.

الحضارة يمكن أن تتجزأ:

هكذا أفهمونا أو أوهمونا في فترة من الفترات، وهذا ليس بصحيح، حتى إنَّ الغربيين أنفسهم أخذوا منا الجانب العلمي والجانب التجريبي من الحضارة الإسلامية، المنهج التجريبي الَّذي قامت عليه النهضة العلمية في الحضارة الغربية ـ هذا المنهج في الحقيقة هو منهج إسلامي، أخذه الغربيون من الحضارة الإسلامية العربية ـ ومع هذا لم يأخذوا العقيدة الإسلامية، والآن في عصرنا نجد اليابان أخذت الجانب التكنولوجي والجانب العلمي من الحضارة الغربية، وتفننت فيما أخذته، ولكنها لم تتنازل عن ديانتها الآسيوية.

إذن ليس من الضروري ما يقال أنَّ الحضارة لا تتجزأ، لا، بل الحضارة تتجزأ، يمكن أن نأخذ الجانب التكنولوجي والجانب العلمي من الغربيين، ولا نأخذ القيم من عندهم، ولا نأخذ الشرائع، ولا نأخذ الأخلاق، ولا نأخذ التقاليد! والحقيقة حينما نأخذ منهم الجانب العلمي فهي بضاعتنا تُرد إلينا.

آثار الغزو الفكري:

حدث هذا الواقع التغريبي للمسلمين؛ فأصبحنا ونحن نسير سير الغربيين، ونصنع صنيع الغربيين، وأصبحت أدوات الثقافة كما أنَّها أدوات غربية! غُزينا في أفكارنا، وغُزينا في تقاليدنا، حتى التقاليد كنا في وقت من الأوقات نرى المرأة المسلمة كأنها امرأة أوروبية أو أمريكية:

QaradawiBooks.com

في ملبسها، وفي مشيتها، وفي حركتها! بعد أن غُزي فكرها غُزي خُلقها وسلوكها، لأن السلوك تابع للفكر، فبحسب فكر الإنسان يكون سلوكه، فكانت النتيجة هذا الانهيار الَّذي حدث، وكنا نمشي في العواصم العربية والإسلامية؛ فلا نكاد نجد امرأة محجبة، حتى العجوز الشمطاء لا نراها محجبة، فهناك أشياء غزينا فيها وهزمنا فيها، كان منها موضوع المرأة.

كذلك غُزينا في موضوع الاقتصاد، لأن أهم شيء في موضوع الاقتصاد إيجاب الزكاة وتحريم الربا، فُعطلت الزكاة وأبيح الربا، وقامت بنوك تعمل على إباحة الربا والتعامل به.

كما غُزينا أيضًا في موضوع الفنون: في الإعلام، والدراما والسينما، والمسرح والتمثيل، والغناء والموسيقى، والفنون المختلفة، هذه كلها أصبحت غير خاضعة لشيء، خرجت عن الخط الإسلامي تمامًا، وأصبحنا نُغزى إعلاميًّا بما هو ضد عقائدنا وشرائعنا وقيمنا وأخلاقنا، أشياء تُلقى ضد العقيدة الإسلامية، وضد الشريعة الإسلامية، وضد الآداب الإسلامية، وضد التقاليد الإسلامية، وضد المفاهيم الإسلامية، هذا موجود نقرؤه ونسمعه ونشاهده.

المرأة في الثقافة التغريبيَّة:

كنت من قريب أقرأ لأحدهم يقول: المرأة سبب شقاء البشرية، هي الَّتي أخرجت آدم من الجنة. هذا الكلام يقوله الكتاب عندنا ويلوكونه باستمرار، وهو كلام لا أصل له في الإسلام، الَّذي أخرج آدم من الجنة ليس حواء، وإنَّما إبليس، هو الَّذي وسوس له وأغراه بالأكل من الجنة فخرج بسبب هذا، والمرأة بالعكس ما أغرته بالأكل، كل ما في الأمر أنَّها أكلت معه، ولذلك أحيانًا تجد الكلام في القرآن موجه إلى آدم نفسه:

QaradawiBooks.com

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢]، فالكلام عن آدم نفسه لأنَّه هو الأساس، أمَّا المرأة فأكلت معه؛ فكانت تبعًا له. ولم يأتِ في القرآن أنَّ المرأة كان لها دور أساسي في هذه المخالفة الَّتي صنعها آدم، لكن الناس يقولون هذا الكلام الَّذي لا أساس له إطلاقًا.

الإعلام التغريبي وإفساد المجتمع:

نرى التمثيليات والمسلسلات والأفلام في التليفزيون؛ فنرى أشياء ضد الإسلام، وتهكم بالمتدينين، وسخرية بهم: أحيانًا يسمونهم المتطرفين، وأحيانًا المتشددين، وأحيانًا الإرهابيين، إلى آخره، ولا نراهم مرة في هذه المسلسلات يقولون: يمكن لتعدد الزوجات أن يحل المشكلة. بحيث يكون واضحًا في المسلسل أو التمثيلية أنَّ الَّذي يحل المشكلة هو أن يتزوج الرجل المرأة الثانية؛ بدل أن يعيش معها في الحرام ويعتبر خائنًا لزوجته، لا، لا يمكن أن يعترفوا بهذا الأمر، فهم يسيرون على خط غير خط الإسلام تمامًا.

حاجتنا للثقافة العربية والإسلامية الأصيلة:

ولذلك نحن في حاجة إلى أن نؤصل ثقافتنا بحيث تكون ثقافة أصيلة، لا ثقافة مُغرَّبة، مشكلتنا هو تغريب الثقافة، أنَّنا نعيش في ثقافة مكتوبة بالعربية، ولكن الَّذي يوجهها في كثير منها للأسف هو الفكر الغربي.

طبعًا هناك أناس تحرروا والحمد لله من أسر الفكر الغربي، ومن أسر الثقافة الغربية، واستطاعوا أن يستقلوا بأنفسهم، وأن يكتبوا وأن يحاضروا،

QaradawiBooks.com

وأن يدرِّسوا بأصالة؛ بعيدًا عن هذا التقليد الأعمى لكل ما هو غربي، وبعيدًا عن دخول هذا الأسر الغربي، هناك أناس نشهد لهم بهذا، ولكن الكثيرين لا يزالون للأسف أسرى التغريب، ومن هؤلاء الكثيرين من هم متمكنون من أجهزة الإعلام، متمكنون من الجامعات وكراسي الأستاذية في الجامعات، متمكنون من المراكز الثقافية والعلمية، متمكنون من المسؤولية في بعض الدوائر والوزارات، فهم يؤثرون على ثقافتنا!

ولذلك علينا نحن أن نقاوم ونحاول أن نسترد هويتنا، والهوية تعني انتماءنا الأصلي، من نحن؟ نحن مسلمون، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، هذه هويتنا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، هذه هي الهوية الَّتي يجب أن نتمسك بها ونعض عليها بالنواجذ، ونقاوم كل محاولة لتغريبنا، هذا هو الَّذي ينبغي أن نصر عليه ونثبت عليه، ونكون كما قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤]. فنستمسك بالذي أوحي إلى رسولنا، ونعتز به؛ فنحن على الحق، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

أنا أكتفي بهذه الكلمات أيَّتها الأخوات، وأدع الفرصة للاستفسارات وللأسئلة؛ عسى أن يكون فيها إن شاء الله ما يكفي ويشفي.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات عن أسئلة المحاضرة

السؤال الأول: ما التصوف؟ وما الموقف منه؟

الجواب: أحبُّ أن أقول: إذا كان معنى التصوف تزكية النفس فهو مقبول، هناك شيء في القرآن اسمه التزكية، وهي إحدى مهمات النبي ﷺ، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالتزكية هذه معناها التربية الإيمانية، والتربية الأخلاقية، وهي غير تعليم الكتاب والحكمة، وغير تلاوة الآيات.

التصوف الصحيح:

فالتصوف إذا كان معناه تزكية الأنفس، ولا زكاة للإنسان؛ إلا إذا زكت نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]. لا يفلح إلا من زكى نفسه، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]، فالتصوف الحقيقي هو الَّذي يعمل على تزكية النفس ووصولها إلى مقام الإحسان.

نحن نعلم أنَّ جبريل عليه السلام حينما جاء إلى النبي ﷺ وسأله جملة أسئلة، سأله عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان. فالإنسان يسلم، ثم يرتقي فيؤمن، ثم يرتقي فيحسن، الأول مقام الإسلام: الأعمال الظاهرة، ثم مقام الإيمان: الأعمال القلبية، ثم مقام الإحسان: وهو الإتقان، حينما قال: «**الإحسانُ أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالتصوُّف عُني بهذا الجانب النفسي، وعُني بعلاج مداخل الشيطان إلى النفس، وعلاج أمراض القلوب، وتذكير الناس بالله تعالى وبالآخرة؛ لأنَّ الناس كثيرًا ما يشغلهم حبُّ الدُّنيا والمعيشة، والآل والمال والأولاد؛ فينسون الله تعالى، وهذا هو الخطر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإذا كان التصوف بهذا المعنى؛ فهذا أمر جاء به القرآن والسُّنَّة، وكان في الصحابة الزُّهاد والعُبَّاد، والخائفون من الله، والمحبون لله، ونحن في حاجة إليه في حياتنا، والصوفية عُنوا بهذا الجانب أكثر من غيرهم.

دخول بعض البدع في التصوف:

كل ما في الأمر أنَّ التصوف دخلت عليه بعض البدع: بدع في العقيدة؛ كبعض الشركيات، وبدع في العبادة؛ كبعض المبتدعات الَّتي لم تجئ بها سُنَّة، ولم يصح بها حديث، وبعض المبتدعات أيضًا في السلوك والتربية، كأن يكون الإنسان سلبيًّا أمام الحياة؛ فيقولون: اترك الملك للمالك، ودع الخلق للخالق! ويقولون: أقام العباد فيما أراد! انشغل بنفسك، ولا تنشغل بهموم المسلمين.. إلى آخره، هذه أخطاء دخلت التصوف.

نأخذ الجوانب الإيجابية ونترك السلبية:

ولذلك إذا استطعنا أن نأخذ من التصوف أحسن ما فيه لعلاج أمراض القلوب؛ من حب الدنيا ومن سطوة الشهوات نأخذه، ولا نأخذ ما في التصوف من السلبيات الَّتي يمكن أن تؤثر على سلوكنا، فيمكن أن يحضر إنسان عند رجل عنده نزعة صوفية أو امرأة عندها نزعة صوفية ويأخذ منها الجانب الإيجابي والخيِّر، ولا يأخذ الجانب الآخر، إلا إذا

QaradawiBooks.com

خاف على نفسه، لأنَّه يمكن بعد مدة يتعلق بهذا الشخص، ولا يستطيع الانفكاك عنه، في هذه الحالة يصبح الطريق خطرًا، فالمسلم هو الَّذي ينبغي أن يزن نفسه، هناك إنسان قوي لا يهمه يمكن أن يسمع الخير ويرفض الشر، وهناك إنسان يخاف على نفسه الانقياد الأعمى.

ويمكن أيضًا أن يجد الإنسان عند هذا الشخص بدعًا كثيرة، وخصوصًا بدع العقيدة والعبادة، فهنا من الأفضل أن يبتعد عنه؛ لأنَّ عندنا قاعدة في الشرع: إذا كان الضرر أكثر من النفع نترك النفع، كما جاء في القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. فكل ما كان ضرره أكبر من نفعه ينبغي أن يتجنبه الإنسان المسلم.

السؤال الثاني: هل تعلُّم لُغة الغرب، يُعد من التأثر بالغربيين في ثقافتهم؟

الجواب: لا أرى مانعًا أن نتعلم لغة الغرب، وخصوصًا أنَّ الغربيين سبقونا في ناحية العلم، أخذوا العلم منا وسبقونا فيه، فأصبحنا محتاجين إلى أن نتعلم لغتهم، والنبي ﷺ كان عنده من يجيد اللغات ـ إلا لغة اليهود ـ فأمر زيد بن ثابت أن يتعلمها، واللغة هي إطلالة على ثقافة كاملة، فلا مانع من تعلم اللغات المختلفة ولكن لا يكون هذا على حساب لغة قومه، فينبغي أولًا أن يتقن الإنسان لغته الأصلية، ثم يتعلم لغة الآخرين، فليس هناك مانع شرعي من تعلم اللغة الأخرى بشرط ألا يكون ذلك على حساب اللغة الأصلية.

ثم نحن أصحاب رسالة عالمية، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولا يمكن أن نبلغ رسالة الإسلام إلى العالم إلا باللغات

QaradawiBooks.com

المختلفة، ولذلك لا بدَّ أن يكون عندنا دعاة بلغات مختلفة؛ حتى يوصلوا رسالة الإسلام إلى أمم العالم، نحن العرب بالذات مسؤولون عن ضلال الأمم؛ لأن الله تعالى كما سيسأل هذه الأمم: لماذا لم تسلموا؟ سيسألنا: لمَ توصلوا الإسلام إلى هذه الأمم؟ ولا يمكن أن نوصل الإسلام إليهم إلا بلغتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

السؤال الثالث: هل عمل المرأة من الأصالة أم من التغريب؟

الجواب: عمل المرأة أمر جائز إذا كانت تعمل في عمل مشروع، أنا نشأت في الريف في مصر، وكانت المرأة تعمل مع الرجل، تذهب معه إلى الحقل وتساعده، وفي البوادي ترعى المرأة الغنم مع الرجل، فالأمر حسب الحاجة، أحيانًا تكون المرأة نفسها في حاجة إلى العمل، إذا مات زوجها، وترك لها شيئًا تعمل فيه فهي تعمله، أو مات ولم يترك لها موردًا تعيش منه هي وأولادها، وتستطيع أن تؤدي عملًا؛ فلها أن تعمل بدل أن تسأل الناس وتتكففهم، فقد تكون هي محتاجة إلى العمل فتعمل.

وقد تكون الأسرة هي المحتاجة كما ذكر لنا القرآن في سورة القصص حين ذهب سيدنا موسى إلى مدين، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٣]، قالوا: ننتظر حتى يسقي الناس مواشيهم ثم نسقي نحن، ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾، معناه أنهما ليس لهما إخوة ذكور؛ فاضطررن أن يقمن برعاية الغنم وسقايتها، فهذا دلنا على أنَّ المرأة يمكن أن تقوم بهذه الأمور عند حاجة الأسرة إليها، الأب كبير، وليس هناك إخوة ذكور.

QaradawiBooks.com

وقد يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة مثل تعليم البنات، بدل أن يعلم البنات رجل تعلمهن امرأة، ومثل تمريض النساء، وتطبيب النساء، بدل أن يعالج المرأة طبيب الأوْلى أن تعالجها امرأة مثلها، وخصوصًا الولادة وأمراض النساء؛ فالمرأة أوْلى بعلاج المرأة من الرجل.

فإذا كان العمل مشروعًا، وكانت المرأة محتاجة إليه، أو المجتمع محتاجًا إليه، وخرجت في حشمتها وآدابها الإسلامية، فراعت مثلًا ألا تختلي برجل، وألا تكون متبرجة، وتمشي على استحياء، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وتغض بصرها، ولا تخضع بالقول فيطمع الَّذي في قلبه مرض، إذا راعت هذه الآداب كلها، ولم يكن ذلك على حساب بيتها وزوجها وأولادها؛ فلا مانع شرعًا من هذا العمل.

السؤال الرابع: أنا امرأة تعمل في حقل التدريس في إحدى الجامعات، ومن متطلبات الوظيفة الحصول على درجة الماجستير من إحدى الجامعات البريطانية أو الأمريكية، وهذا يعني السفر والتغرب لما يقرب من عام واحد، فبماذا تنصحني؟

الجواب: أنصحها بأنها لا بدَّ أن يكون معها مَحْرَم، وخصوصًا في هذه البلاد، إما أن يكون معها زوج أو أخ أو ابن، أو أحيانًا يكون في بعض البلاد بيت للطالبات؛ فتذهب البنات لتحضير الماجستير والدكتوراه مع مجموعة من البنات، إذا وجد مجموعة من البنات، ويعشن بعضهن مع بعض؛ فلا مانع من ذلك، أمَّا أن تذهب إلى مجتمع غير مسلم، تتغرب وتعيش وحدها؛ فهذا في الحقيقة لا يُقبل، لا بدَّ أن تحاول أن تحل هذه المشكلة باصطحاب المَحْرَم.

QaradawiBooks.com

السؤال الخامس: نودُّ أن نعرف كيفية الصلاة الفائتة علينا وقت المرض، خاصة إذا كانت عملية كبيرة استغرقت عشرة أيام مثلًا؟

الجواب: أولًا ليس هناك صلاة فائتة وقت المرض، المفروض أنَّ المسلم أو المسلمة تصلي وهي مريضة، لأنَّه ليس هناك عذر للصلاة قط، لا يوجد أي عذر للصلاة، في حالة الحرب نقول للمسلم: صلِّ وأنت تحارب. هناك صلاة اسمها صلاة الخوف، حتى إنَّها صلاة جماعة، بعضهم يصلي وراء الإمام، وتأتي أخرى وتصلي كذلك، حتى وقت الحرب يصلي وهو يضرب بالسيف، أو وهو في الطائرة، القرآن يقول: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨ ـ ٢٣٩]. رجالًا: أي صلوا راجلين، مشاة على أرجلكم. وركبانًا: أي راكبين، يكون راكبًا الطائرة، أو الدبابة أو المصفحة؛ ومع هذا يصلي، وأيضًا في المرض.. النبي ﷺ قال لعِمْرَان بن حُصَيْن: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْب**»[1]. صلِّ واقفًا، فإن لم تستطع فصل وأنت جالس، فإن لم تستطع فصل وأنت مستلق على جنبك، أو حتى بحواجبك بالإيماء.

لا يوجد عذر للصلاة إلا فقد الوعي، إذا كان مخدرًا بالبنج فترة طويلة أو في غرفة العناية المركزة وغائب عن الوعي؛ فهذا ليس عليه صلاة، لكن ما دام يعي ويعقل فعليه الصلاة، إذا استطاع أن يتوضأ يفعل، فإن لم يستطع يتيمم، فإن لم يستطع يصلي من غير وضوء ولا تيمم؛ إذا لم يكن هناك من يساعده على الوضوء أو التيمم، ليس

(١) رواه البخاري في أبواب تقصير الصلاة (١١١٧).

QaradawiBooks.com

هناك عذر لترك الصلاة، أنا كنت عاملًا عملية وأصلي وأنا نائم على السرير، وتيممت كذلك.

وعلى كل حال إذا ترك إنسان فترة من الزمن، لو كانت أسبوعًا أو أسبوعين فإنه يقضيها، ويحسن أن يقضي مع كل صلاة حاضرة صلاة فائتة أو صلاتين حسبما يتسع له وقته، هذا في المدة القليلة.

لكن المشكلة في الفترة الطويلة، واحدة لم تهتدِ إلا بعد أن أصبح عمرها ثلاثين سنة، ففات عليها عشرون سنة لم تصل، أو أربعون سنة؛ تابت متأخرة، فماذا تفعل في هذه السنوات الطويلة هذه؟

هنا اختلف الفقهاء، الرأي السائد أن عليها أن تصلي هذه الفوائت؛ لأنَّها حق ولا يسقط بالتقادم، وتوزع أداءها على الصلوات الحاضرة، وهي أولى من صلوات النوافل في هذا الرأي.

وهناك رأي آخر يقول: إنَّ هذه المدة الفائتة انتهت، فاتت الصلاة وفات وقتها، ولم يعد ينفع أنَّها تقضي، فهي تبدأ الصلاة من جديد، خصوصًا مع القول الَّذي يعتبر أن تارك الصلاة كافر؛ كأنها أسلمت من جديد، وعليها أن تعوض ما فاتها بكثرة النوافل والتطوع، تحسن الصلاة وتخشع فيها وتطمئن، وتحاول أن تحافظ على السنن الرواتب: تصلي صلاة الضحى، تصلي صلاة الليل، هذا كله تعويض عن فوائت المدة الطويلة. وأنا أرجح هذا الرأي الَّذي ذهب إليه ابن تيمية[١] وابن القيم[٢]، وأرى أنَّه الأوْلى بالنسبة لترك الصلاة.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣٢٠/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) الصلاة وحكم تاركها صـ٩٣، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

السؤال السادس: كنت في الفترة السابقة لا أقرأ لك أي كتاب، ولا أسمع أي فتوى من عندك؛ لأنني كنت أعتقد أنك متساهل جدًّا في الفتاوى الشرعية، أمَّا الآن فقد فهمت واقع الأمر فأرجو أن تسامحني على ذلك وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: أختي العزيزة، أنا مسامحك، ومسامح الكثيرات من أمثالك، مثل هذا السؤال جاءني من عدة سنوات في الجزائر من بعض الأخوات، وجئنني يبكين! فسألت: لماذا يا بنات؟ قلن: إنَّنا كنا نسيء بك الظن، أفهمونا أنك رجل قليل الدين، وأنك متساهل في الدين، وبلقائنا بك مرات ومرات عرفنا غير ذلك. قلت لهن: أنا مسامح في حقي، ولا أريد مسلمًا يُعذَّب بسببي، فأنا متصدق بعرضي على كل مسلم أساء إلى شخصي، وهذا أمر أحمد الله تعالى عليه.

هناك أناس للأسف ليس لهم هم إلا تجريح الآخرين، والطعن في الآخرين، وكأن كل من يخالفهم ليس له دين، عندهم فكرة خاطئة أنَّ الَّذي ييسر في أمر الدين يعتبرونه إنسانًا ليس عنده دين، وهذا ليس صحيحًا، حتى إنِّي منذ أكثر من خمس وعشرين سنة كنت في الحج، وقابلني واحد وقال: أنا أول مرة أراك وما كنت أعرف أنك ملتح! ظننت أنك حليق لأنك في كتاب «الحلال والحرام» قلت: إنَّ اللحية ليست فرضًا، وأن حلقها ليس محرمًا. فهناك أناس يظنون أنَّ التيسير من قلة الدين، وهذا ليس صحيحًا.

وأنا ذكرت لبعض أخواتكم في الظهيرة أن هذه طبائع، سيدنا عبد الله بن عمر كان مشددًا، وسيدنا عبد الله بن عباس كان ميسرًا،

QaradawiBooks.com

وكلاهما من كرام الصحابة، المشدد والميسر، لكنها طبائع، فابن عمر يبعد أولاده عنه خشية أن يسيل لعاب الولد عليه؛ فينجسه في ظنه! وابن عباس يضم الأولاد ويحتضنهم ويقبلهم، ويقول: هؤلاء رياحين نشمها. ابن عمر يزاحم على الحجر الأسود حتى يُجرح[١]، وابن عباس يقول: لا يؤذِي ولا يؤذَى[٢]. هذ اختلاف طبائع، فأنا أحمد الله تعالى أنني ميسر، جعلني الله هكذا، وأنا أرى أنَّ التيسير طبيعة الإسلام؛ لأن الإسلام قام على التيسير لا على التعسير، والنبي ﷺ حينما بعث أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصية الموجزة الجامعة: «**يسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[٣]. فأنا منهجي التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، أبشر ولا أنفر، وأيسر ولا أعسر، بعض الناس وخصوصًا من النساء يرسلون إلي يقلن: نريد أن تحدثنا عن عذاب القبر وكذا. لكن أنا ما أريد هذا التهويل الَّذي يفعله بعض الناس، جاءني بعض الآباء وقال لي: بنتي تقوم من الليل فزعة، سمعت شريطًا في عذاب القبر فعمل لها عقدة، هذا ليس من الدين في شيء، الدين توازن، ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، لا بدَّ من هذا التوازن، فهذا هو منهجي، وأحمد الله على هذا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

السؤال السابع: أرجو أن يدلنا الشيخ عن كيفية مقاومة التغريب، واستعادة هويتنا الإسلامية، فإن كل ما حولنا غربي، وإذا حاولنا أن نتصرف كشرقيين؛ نصبح كأننا غرباء في بلادنا؟

الجواب: ليس هناك لمقاومة التغريب إلا الإيمان والاستمساك بالإسلام، وأن يقوي بعضنا بعضًا، الإنسان وحده يمكن أن يضعف، لكنَّه في الجماعة يقوى، كما تقول الحكمة: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته. ربما لا تستطيعين بمفردك أن تقاومي التيار، لكن مع مجموعة من الأخوات في جمعية الإصلاح مثلًا تستطيعين المقاومة.

كما نقاوم التغريب بالثقافة أيضًا، فنقاوم الثقافة بثقافة، ونقاوم الفكر بفكر، لا نستطيع أن نقاوم الفكر الغربي بالخرافات، ولا نستطيع أن نقاومه بالخواء، أن نكون فارغين ونريد أن نقاوم، لا، الفارغ لا يقاوم، لا بدَّ أن يكون مليئًا، ومليئا بالأفكار الأصيلة، فلا بدَّ أن نتثقف، ومعنى هذا لا بدَّ أن نقرأ، ولا بدَّ أن نتخير ما نقرأ لأنَّه للأسف ليس كل ما تخرجه المطابع يصلح للقراءة، هناك أشياء غثة كثيرة، وتمتلئ بها الأسواق للأسف، وخصوصًا في الجانب الديني، بعض الناس يرون أن هذا جانبًا رائدًا فأصبح كل من هبَّ ودبَّ يكتب في الدين، وأصبح كلأ مباحًا، فلا بدَّ أن نثقف أنفسنا ثقافة أصيلة حتى نستطيع أن نقاوم تيار التغريب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٠

الأقلِّيَّات المُسْلمة.. إضاءات وحوارات[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقَّق المقاصد والغايات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مُعلِّم الناس الخير، وهادي البشريَّة إلى الرُّشد، ومُخرج الناس من الظُّلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراط العزيز الحميد، سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة الأحبَّة تحيَّةُ الإسلام، وتحيَّةُ الإسلام السَّلام، فالسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العلماء ورثة الأنبياء:

وإنِّي لأشعر بالسرور والسعادة حين ألتقي بإخواني وأبنائي من العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، والذين هم الحُفَّاظ على هذا الدين،

(١) ألقيت ضمن زيارتي إلى جنوب أفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي هناك، في أبريل ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

والحُرَّاس على هذه الأمة، وإذا كان في الأمة علماء أمناء أوفياء لدينهم، مخلصون لنصرة هذا الدِّين، حريصون على أن تظلَّ أمَّتُهم مسلمة قرآنيَّة، مُحمَّديَّة ربَّانيَّة، فالأُمَّة بخير إن شاء الله.

وإذا فقدت الأُمَّة هذه المصابيح الهادية؛ فإنَّ الأُمَّة يُخشى عليها من كلِّ شرٍّ، وقد جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من صدورِ النَّاس، ولكنْ يقبضُ العلم بقبضِ العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جُهَّالًا؛ فسُئلوا فأفتَوْا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا**»[1].

والحمد لله لم نصل إلى هذه الدرجة، لا زال في الأُمَّة علماء ودعاة وهُداة، يُنيرون الطريق للأمة، ويقفون بالمرصاد لأعدائها، الذين يعادون شريعتها، ويعادون رسالتها، ويقفون ضد مصالحها، فإذا التقيتُ بالعلماء؛ فإنما ألتقي بحراس الأمة الأمناء.

وأود أن أقول أيُّها الإخوة: إنَّ الأمة تظل بخير إذا ظل علماؤها أقوياء أمناء، الَّذي طمأننا على هذه الأقلِّيَّات، ولا أسميها (الجاليات)، لأن كلمة (جالية) معناها أنَّها ستجلو راحلة، ولكن الإسلام إذا دخل في منطقة توطن فيها، لا يجوز أن يجلو عنها ولا أن يرحل، جاء المسلمون هنا ويجب أن يبقوا، ولذلك لا نسميهم (جاليات إسلاميَّة).

حينما أنشأنا المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث كان القصد منه أن يفتي للأقلِّيَّات الإسلاميَّة الأوروبية، ولم نشأ أن نقول: الجاليات. هي أقلِّيَّات جاءت أوروبا ولكن ستبقى في أوروبا إن شاء الله.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أقول: منذ أن جاءت هـذه الأقلِّيَّات مهاجرة إلى هذه البلاد أصبحت أماكنها دار إسـلام، المنطقة الَّتي يعيش فيها المسلم تصبح دار إسلام، فلا يجوز أن يخرج عنها، ولا أن يتركها لغير المسلمين، وإنَّما تبقى دار إسـلام إذا بقي العلماء يوجهون النـاس، وظل الناس فـي حاجة إلى العلماء، يسـألونهم فيما يعنُّ لهم، إذا لم يشـعر النـاس بحاجتهم إلى العلماء فهذا خطر، وإذا لم يكن هناك علماء يجيبون الناس إذا سـألوهم أيضًا يكون هناك خطر، وإذا وُجد أدعياء العلماء الذين يُسـألون فيفتون بغير العلم؛ فيَضلون ويُضلون، فهذا خطر أكبر!

إنَّما المؤمنون إخوة:

نحن أيُّها الإخوة نظنُّ أنَّ الأمة المسـلمة بخير، سواء كانت هنا في هذا البلد أو في دربن أو في أي مكان، هم مسلمون، وإياكم أيُّها الإخوة أن تفرقوا بين المسلمين بسبب أن هذا أصله هندي، وهذا أصله ماليزي أو إندونيسي، أو أن هذا مذهبه حنفي، وهذا مذهبه شافعي، لا يجوز أن نفرق بين المسلمين بحال من الأحوال، بل يجب أن يكون هدفنا توحيد الجماعة الإسلاميَّة؛ حتَّى تكون قوية، خصوصًا الأقلِّيَّات المسلمة يجب أن تترابط.

أنا قلت كلمة فـي الاحتفال المئوي لجامعـة (ديوبند)، ربما يكون بعضكم حضر هذا الاحتفال، وكان أكبر احتفال رأيته في حياتي، وأنتم تعلمون منزلة هـذه الجامعة وتاريخها، كانت قـد وصلت مائة وخمس عشـرة سـنة، فقالوا نحتفل بمئويتها، ورأيت أعظم تجمع إسلامي في حياتي، حتَّى رأيت الناس يذهبون إلى قرية ديوبند، هي قرية في الحقيقة من نيودلهـي، الذين يذهبـون بالحافـلات، والذين يذهبـون بعربات

QaradawiBooks.com

(الكارو) الَّتي تجرها البغال والحمير، والذين يركبون الدرجات الهوائية، والذين يذهبون مشيًا على أرجلهم، وتجمع حوالي مليونين من المسلمين، التقوا في هذا الاحتفال، تدفق الناس من كل مكان، وهناك من جاء من خارج الهند، وأنا جئت من قطر.

وكانت الكلمة الافتتاحية لأنديرا غاندي في ذلك الوقت، نوهت بشأن المسلمين وأهمِّيَّة المسلمين في تحرير الهند، ولعلكم تعلمون أنَّ العلماء هم الذين قادوا حركة التحرير، مولانا أبو الكلام آزاد، والشيخ محمود حسن، والشيخ المدني وغيرهم، المشايخ هم الذين قادوا معركة الجهاد.

كلمتي في احتفالية ديوبند:

وفي ذلك الاحتفال ألقيت كلمة، وقلت لهم: إنَّ المسلمين في الهند يُعتبرون أقلية، ولكنها أقلية كبرى، أكثر من مائة وخمسين مليونًا في ذلك الوقت، لعلهم الآن حوالي مائتي مليون، تقارب العالم العربي، ولكن هذه الأقلية للأسف مختلفة فيما بينها، وأنا أرى كل الأقلِّيَّات في العالم تتضام وتتلاحم فيما بينها؛ إلا الأقلِّيَّات الإسلاميَّة! تجدهم دائمًا (شُطَّارًا) ونُبغاء في إثارة الخلافات فيما بينهم، والخلاف دائمًا يضعف الكثرة، والاتحاد يقوي القلة، القلة تقوَى بالاتحاد، والكثرة تضعُف بالخلاف.

ولهذا قلت للمسلمين في الهند: يكفي أن تكون مسلمًا لتضع يدك في يد أخيك، كُن ما شئت: كُن حنفيًّا، كن ديوبنديًّا، كن ندويًّا، كن سلفيًّا، كن من الجماعة الإسلاميَّة، كُن ما تكون، يكفي أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وأن تلتزم بالإسلام لتضع يدك في يد إخوانك.

QaradawiBooks.com

ما يجمع، لا ما يفرق:

وهذا ما أقوله لكل أقلية إسلاميَّة، ما دام المسلم يلتزم بالحد الأدنى من الإسلام فهو أخوك، هذا ما أنصحكم به أيُّها الإخوة، إياكم أن تبحثوا عن المفرِّقات، ولكن ابحثوا عن المُجَمِّعات، بدل أن تبحث عما يفرق ابحث عما يجمع، الإنسان المصلح دائمًا يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، انظر هؤلاء المسلمون الكبار تعاونوا مع الهندوس في سبيل هدف واحد، هو الوقوف ضد الاستعمار الإنجليزي.

إذا كان هناك هدف كبير يمكن أن نتعاون حتَّى مع غير المسلمين، فكيف بالمسلمين وإن اختلفت اتجاهاتهم، العلامة الشيخ رشيد رضا وضع قاعدة اسمها (قاعدة المنار الذهبية)، احتفى بها الإمام حسن البنا، واتخذها شعارًا، وأنا أيضًا أتخذها شعارًا، هذه القاعدة الذهبية تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتسامح فيما اختلفنا فيه»[1]. هناك أشياء كثيرة جدًّا نتفق عليها فهيَّا نعمل فيها، وهناك أشياء نختلف فيها فعلينا أن نتسامح فيها، لا يمكن أن يتفق الناس في كل شيء، مستحيل أن يتفق الناس تمامًا وأبدًا، لا بدَّ من وقوع الاختلاف، الناس لم يتفقوا حتَّى على وجود الله، لكن حسبنا أن نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه، نتحاور معًا لنضيق مساحة الاختلاف ما استطعنا، فإذا لم نستطع يعذر بعضنا بعضًا.

المسلم عضو نافع في مجتمعه:

هذا ما أنصح به إخواني في هذه البلاد حتَّى تقوى شوكتهم، وتشتد صلابتهم، وحتى يكونوا أقدر على أن يساهموا في تقوية أنفسهم

(١) انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

QaradawiBooks.com

وإسعادها، ويساهموا أيضًا في تقوية البلاد الَّتي يعيشون فيها، يكون لهم سهم في حضارتها، حتَّى يشعر أهلها أنَّ المسلمين أناس نافعون منتجون، ولا يقولوا: إنهم أناس أنانيون، يفكرون في أنفسهم فقط.

حينما خرج نيلسون مانديلا من سجنه ذهب لزيارة أحد المساجد؛ لماذا؟ لشعوره أنَّ المسلمين كانوا مع الأكثرية السوداء، وكانوا يقاومون التمييز العنصري، وكانوا يهتمون به وهو في سجنه، ونحن كلنا في بلاد الشرق العربي كنا مهتمين به وهو في سجنه، فنحن ينبغي أن نساهم في تنمية المجتمعات الَّتي نعيش فيها.

علاقتنا بغير المسلمين:

ولذلك إذا كان هناك قول في الفقه يضيِّق وآخر يوسع: خُذ القول الموسع، إذا وجد من يقول: لا تُساعد غير المسلم. لماذا يا أخي؟! الله تعالى يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ٩]. والأسير حينها كان من المشركين.

ولما وجد سيدنا عمر يهوديًّا يسأل على الأبواب سأله: لماذا تسأل؟ قال: أسأل للجزية والحاجة والسن. فقال له: ما أنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شابًّا وأهملناك شيخًا كبيرًا، اذهبوا به إلى خازن بيت المال؛ ليفرض له ولأهله ما يكفيهم من بيت مال المسلمين[1].

ينبغي إذن أن نشيع ثقافة التسامح بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم، وهذه ثقافة لا تُوجد في دين غير دين الإسلام، ومن يقرأ تاريخ المسلمين يجدهم أكثر الناس تسامحًا، بدليل أنَّ المسلمين حكموا

(١) الخراج لأبي يوسف صـ١٣٩.

QaradawiBooks.com

بلادًا كثيرة، وبقيت الأقلية فيها مصانة الحقوق، عزيزة الجانب، كريمة العيش، لم يفكر حاكم مسلم أو يقول: هاتوا الكفار لنقطع رقابهم!

بينما المسلمون حين كانوا في الأندلس، وذهبت دولتهم، وبقيت بقية من المسلمين؛ ما مرَّ عليهم قرن حتَّى لم يبقَ فيها من المسلمين أحد، من يزور أسبانيا يعرف هذا، فنحن نريد أن نشيع ثقافة التسامح بيننا وبين غيرنا؛ حتَّى يحب الناس الإسلام، كل ما يحبب الإسلام إلى الناس نفعله.

عدم الانغلاق على مذهب واحد:

بعض الإخوة سألني أمس ونحن على الغداء: هل يجوز أن نعطي الزكاة لبعض الفقراء من الوثنيِّين أو المسيحيِّين أو هؤلاء الناس؟ قلت له: نعم، إذا كانوا فقراء وأغنينا المسلمين جميعا، وبقيت عندنا حصيلة من الزكاة؛ فيمكن أن نعطي هؤلاء ونحببهم في الإسلام، ولذلك شرع الإسلام تأليف القلوب وجعله من المصارف الثمانية.

طبعا أنا أعرف أنَّ المذهب الحنفي يقول: إنَّ المؤلفة قلوبهم انتهى سهمهم. ولكن نحن نعرف أنَّ المذاهب قد تُخطئ في بعض الجزئيات، إياكم أيُّها الإخوة أن تعتقدوا أنَّ الأئمة معصومون، وما قال إمام منهم أبدًا: إنَّني معصوم.

ولذلك لو تراءى لنا ضعف جزئية في هذه المذاهب لا يضرها، لا يضر أبا حنيفة قط أن يكون في مذهبه قول ليس على المسار الصحيح؛ لأنَّ هذا نصٌّ قرآني: المؤلفة قلوبهم، ولم يأتِ نصٌّ آخر ولا حديث آخر ينسخ هذا، ولا يُنسخ نص بعد رسول الله ﷺ، فأنا أقول: كل ما يحبب الإسلام إلى الناس نفعله، حتَّى لو كان مذهبي لا يرجحه، ويقول به مذهب آخر.

QaradawiBooks.com

وهـذا أيضًا مطلب مهـم، إنَّنا نطلب مـن العلمـاء ألا ينغلقوا على مذاهبهم، خصوصًا الذين يعيشـون في مجتمعـات أخرى في حاجة إلى الانفتاح، لا بـدَّ أن تحاول معرفة المذاهب الأخـرى، يمكن لمذهب أن يضيق في مسألة، ويتسع في مسألة أخرى، يصلح لبيئة ولا يصلح لأخرى.

وأنا قلت للإخـوة أمس ونحن علـى الغداء: لمـا أردت أن ألتحق بالأزهر كان هناك طلب انتسـاب علينا أن نملأه، وكان في الطلب خانة المذهب، وصعيد مصر مذهبها مالكي، والوجه البحري شـافعي غالبًا، وكانت قريتنا شافعية، فهممت أن أقول للشـيخ عبد المطلب الَّذي كان يملأ لي طلب الالتحاق: اجعلني شافعيًّا.

ولكنَّه بادرني قائلًا: ما رأيك يا شيخ يوسف أن تكون حنفيًّا مثلي؟ قلت: لا بأس، اجعلني حنفيًّا مثلك. ودرسـت المذهب الحنفي، ولكن الحياة علمتنا أنَّ الإنسـان يمكن أن يوسـع علمه، يمكـن أن تقرأ في المذاهـب الأخرى، وكلهم من رسـول الله ملتمـس، وكلهم على حق، فبدأت أقرأ في المذاهب الأخرى.

وسألني بعض الإخوة: ما مذهبك؟ فقلت مازحًا: كنت حنفيًّا وصرت (حنفشـعيًّا)! مزيج من المذاهب! ولذلك أنصح خاصة إخواننا الشباب ـ والأغلبية أمامي شـباب ـ أن ينفتحوا، وأن يوسعوا آفاقهم، وألا يسدوا الطرق على أنفسهم، وسَّع الله عليك؛ فوسع على نفسك.

هذا ما أنصح به إخواني؛ حتَّى ينهضوا بقومهم في هذه البلاد، وحتى يسـتطيعوا أن يصلوا بهم إلـى ما يحبون من خير فـي الدنيا والآخرة، وأسأل الله ﷻ الَّذي جعل يوم المسلمين في هذه الديار خيرًا من أمسهم أن يجعل غدهم خيرًا من يومهم، إنَّه سـميع قريب، وأكتفي بهذا لأترك المجال لأسئلتكم إذا أحببتم.

QaradawiBooks.com

إجابات عن أسئلة الحضور

غير مرخصة للطباعة

تقنين فقه الأسرة:

السؤال الأول:

فضيلة الشيخ، نرجو منكم الحديث عن تقنين فقه الأسرة، وكيف نستفيد من هذا التشريع في حياتنا العملية؛ وبخاصة في قانون الأحوال الشخصية، وما هي التجارب السابقة الَّتي يمكن أن نبني عليها؟

الجواب: الأحوال الشخصية ترجمة لفقه الأسرة، الفقه الَّذي يتعلق بالعائلة المسلمة؛ بما فيها من زواج وطلاق، ووصايا وميراث، وغير ذلك.

وفي البلاد العربية اتجاهان:

اتجاه تغريبي: يريد أن يأخذ من القوانين الغربية والفلسفة الغربية: ما يغير به طبيعة الأحكام الشرعية، والفقه الإسلامي، وللأسف جرى هذا في المغرب ما يسمونه (مدونة الأحوال الشخصية)، وفيها أشياء ليست منطلقة من الفقه الإسلامي.

والاتجاه الآخر: هو اتجاه إصلاحي، ينطلق من الفقه الإسلامي، وأصله في مصر، فمثلًا قانون الخلع، إجبار الرجل على قبول الخلع، هذا مأخوذ من الفقه الإسلامي.

الاتجاه الإصلاحي:

وبدأ الاتجاه لإصلاح قوانين الأحوال الشخصية في مصر من قديم، أول من بدأ هذا الأمر الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي: شيخ الأزهر في زمنه، وقد تولى مشيخة الأزهر مرتين: مرة سنة ١٩٢٩م. ومرة

QaradawiBooks.com

سنة ١٩٣٥م. في المرة الثانية بدأ حملته لإصلاح قوانين الأحوال الشخصية، كان قد بدأ قبل ذلك على خفة، وكانت قوانين الأحوال الشخصية مستمدة من الفقه الحنفي.

وأنتم تعرفون أن مصر كانت ولاية من ولايات الخلافة العثمانية، وكل ولايات الدولة العثمانية كانت ملتزمة بالفقه الحنفي، حتَّى بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م. كانت ملتزمة بالفقه الحنفي.

وفي سنة ١٩٣٥م. شعر الناس أن هناك تضييقات في المذهب الحنفي، في البداية قالوا: نخرج من المذهب الحنفي إلى المذاهب الأربعة. ثم خرجوا من المذاهب الأربعة إلى مذاهب الصحابة والتابعين.

وأنتم تعرفون أنَّ الأئمة ليسوا أربعة فقط، هناك أئمة التابعين بالعشرات، وهناك أئمة الصحابة، فلا مانع أن نأخذ برأي أُبيِّ بن كعب، أو معاذ بن جبل، أو عائشة، أو ابن عباس، أو ابن عمر، أو أحد الخُلَفاء الراشدين في إحدى المسائل وإن لم يقل به إمام من الأئمة الأربعة، فتبنى هذا الشيخ المراغي، أن نأخذ من الفقه الواسع، ما دام مذهبًا، أو قولًا له دليل يُعتد عليه؛ من قرآن أو سنة، أو قياس أو إجماع، أو مصلحة مرسلة أو قول صحابي، من الأدلة الأصلية أو الأدلة الفرعية؛ الَّتي يسمونها: أدلة التشريع فيما لا نص فيها.

جهود الشيخ المراغي:

بدأ الشيخ المراغي هذا الإصلاح، وهاج عليه مشايخ الأزهر، وقالوا: باب الاجتهاد قد أُغلق، من أين لكم هذا الاجتهاد؟ وهل أنتم مجتهدون حتَّى تجتهدوا؟ وبدأ الشيخ المراغي يدافع عن رأيه، ويقول: إن باب الاجتهاد لم يُغلق قط، وإن أئمة المذاهب ظلوا يجتهدون، في كل مذهب

QaradawiBooks.com

ظهر من يجتهد في مسألة أو أكثر، إلى أن جاء الإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ. وادعى الاجتهاد، حتَّى إنَّه قال: الناس يدعون الاجتهاد في شيء واحد، وأنا أدعي الاجتهاد في ثلاثة أشياء: في الفقه والحديث واللغة[١].

وثار على السيوطي العلماء؛ فألف رسالته الشهيرة (الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أنَّ الاجتهاد في عصر فرض)، وجاء بأدلة من العلماء الذين اجتهدوا في مسائل، خالفوا فيها أئمتهم، وإن لم يدعوا الاجتهاد، فالاجتهاد قائم، وهذه حقيقة؛ فالشريعة لا تتجدد إلا بهذا، إذا جدت أشياء جديدة لا بدَّ للعلماء أن يقولوا فيها رأيهم، بالتخريج على قول، أو بالاستناد إلى قاعدة من القواعد الفِقهيَّة، أو إلى مقاصد الشرع، أو المصالح المرسلة؛ إلى آخره.

فالشيخ المراغي قال بهذا ودافع عن رأيه، وقال: إذا لم يكن الأزهر بمعاهده وكلياته قادرًا على تخريج عالم، يستطيع النظر في الأدلة، وينظر في الوقائع، ويرى الرأي الَّذي يستند إلى اعتبارات شرعية فأغلقوا الأزهر، إذا لم يكن قادرًا على أن يخرِّج من آلاف الدارسين فيه واحدًا أو اثنين أو ثلاثة، قادرين على أن يردوا الفروع إلى أصولها، ويجتهدوا لما يستجد من مسائل؛ فلا فائدة من الأزهر!

تجربة اللجنة المشتركة لمصر وسوريا:

كان هذا أول إصلاح كبير في قضايا الأحوال الشخصية في مصر، وقلدتها بلاد أخرى، وأعظم تجربة أرى أن على الإخوة أن ينتفعوا بها في هذه القضية: تجربة اللجنة المشتركة، عندما توحدت مصر وسوريا،

(١) انظر: الحاوي (٣٨٩/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعرفون في عهد جمال عبد الناصر اتحدت مصر وسوريا تحت اسم (الجمهورية العربية المتحدة)، وأنشأت لجنة من كِبار العلماء من المصريين والسوريين؛ لعمل قانون موحد، يراعي مطالب الناس وحاجاتهم، ويعالج المشاكل الَّتي تقع، وكان على رأس هذه اللجنة العلامة الكبير الشيخ مصطفى الزرقا السوري الحلبي، صاحب الكتب المعروفة الَّتي شرَّقت وغرَّبت، ووضعت اللجنة بالفعل مشروع قانون هائل جدًّا، ثم انتهت الوحدة وانفصلت مصر وسوريا، ولم ينتفع بالقانون أحد، لكنَّه موجود، لم يكن مطبوعًا، ثم طبعته دار القلم الدمشقية، طبعه محمد علي دولة؛ ضمن منشورات الشيخ الزرقا.

فأنا أنصح من يريد أن يستفيد في قانون الأحوال الشخصية أن يجعل هذا أصلًا يُرجع إليه، فالذي قام به مجموعة من العلماء، وليسوا من العلماء الذين يتماشون مع الغرب، لا، هؤلاء علماء مؤتمنون، وفطاحل عاشوا في الفقه الحنفي سنين طويلة، وكان بعضهم شافعيًّا وبعضهم مالكيًّا، لكن معظمهم كانوا أحنافًا، فأنا أطلب من الإخوة أن ينتفعوا بهذه التجربة.

أهمِّيَّة تقنين الفقه الإسلامي الواسع:

وأرى أن تكون عندنا قواعد في هذا الأمر، فلا مانع أن يقنن الفقه الإسلامي، والعالم كله يقنن الأحكام، الناس يريدون أن يعرفوا بماذا يحكم القاضي؟ في قضايا الحضانة مثلًا، ويريدون أن يعرفوا متى يحكم القاضي للأب ومتى يحكم للأم؟ يريدون أن يكونوا على بينة مما سيكون، ربما لو المرأة عرفت أنَّه سيحكم للأب لرضيت بالأمر الواقع ورفضت الطلاق، فمن حقنا أن نسعى إلى تقنين الأحكام.

وليس من حقنا أن نقول: مذهب واحد هو الَّذي يسود. وإلا فماذا

QaradawiBooks.com

يفعل إخواننا الشافعية هنا؟ وماذا يفعل إخواننا الذين تعلموا في السعودية وأصبحوا حنابلة مثلهم؟ وإذا جاء بعض إخواننا من المغرب والجزائر وبعض البلاد الأفريقية المالكية، وأقاموا هنا فماذا يفعلون؟ مستحيل أن تقول: يجب أن نلتزم مذهبًا واحدًا. وإنَّما نلتزم ما يحقق مطالب المسلمين الكبرى، ومصالحهم العليا، ما يحقق مصلحة أكبر قد يكون في المذهب الحنفي، وقد أجده في المذهب الشافعي، وقد أجده في المذهب المالكي، فلماذا أضيق على نفسي؟

يجب أن أوسع الاختيار في هذه المذاهب، والمهم أن نكون متفاهمين على هذا، أمَّا إذا لم نتفاهم؛ فلن نصل إلى نتيجة، إذا تشبث كل واحد بمذهبه؛ فلا يمكن أن تتفق الجماعة على شيء يصلحها. فالجماعة الخيرة والتي تفقه دينها وتعرف دنياها، هي الَّتي تتفق على ما هو خير لمجموعها، ويتنازل بعضها لبعض، فتمسك يا أخي هنا وتنازل هنا؛ حتَّى يمكن أن نلتقي.

فأنا أرى أن عقلاء المسلمين، والحكماء من علمائهم، الذين يعرفون مصلحة الأقلية الإسلاميَّة هنا يجب أن يتفقوا على وضع الأحكام في صيغة قانون، ولا يجب أن نلتزم بمذهب واحد، ويجب أن يتنازل بعضنا لبعض، ونبحث عن أصلح الأحكام لتحقيق حياة عائلية للأسرة الإسلاميَّة في هذا البلد.

بقاء المسلمة مع زوجها غير المسلم:

السؤال الثاني: عرفت أنَّ هناك فتوى، لا أعرف صحتها، صادرة عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث بجواز بقاء المسلمة مع زوجها غير المسلم بشروط، ولكن لا أعرف ما هذه الشروط، فما رأي فضيلتكم؟

QaradawiBooks.com

الجواب: يسأل الأخ عن فتوى أصدرها المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، الَّذي أتشرف برئاسته: أنَّه أجاز للمرأة إذا أسلمت وزوجها باقٍ على دينه أن تبقى معه، بناء على ما جاء عن الصحابة.

أنا ظللت معظم عمري أقول: في هذه الحالة تفارق المرأة زوجها، ثم قرأت بعد ذلك في كتاب «أحكام أهل الذمة» لابن القيم الجوزية أن في المسألة تسعة أقوال، ومنها أن تُطلَّق، ومنها أنَّها تُخيَّر، ومنها أنَّها تبقى على نكاحها الأول ما لم يُفرق بينهما سلطان، أي ما لم تصل قضيتهما إلى محكمة، ويقضي بينهما القاضي ويفرق بينهما، وكان معنا أحد الإخوة من العلماء الذين لهم اطلاع واسع، ولهم فقه وعقل حر اسمه الشيخ عبد الله الجُديع، بحث في كتب السنن والآثار: الطحاوي، والبيهقي، وابن أبي شيبة، والصنعاني، وأمثال هذه الكتب، ووجد أن في المسألة ثلاثة عشر قولًا، فبعض المسائل الَّذي يُظن فيها إجماع قد لا يكون فيها إجماع، فوجدنا هذا حلًّا للمسلمة الَّتي تريد أن تسلم، وزوجها باقٍ على دينه، تذهب إلى إمام المركز الإسلامي وتقول له: أنا أريد أن أسلم وزوجي لا يمنعني من الإسلام. يقول لي: أنت حرة في عقيدتك. وأنا لي أولاد منه، وهو يحبني وأنا أحبه. فإمام المركز يقول لها: لا يجوز أن تبقي معه. فتترك ما عزمت عليه من الإسلام!

فأيُّهما أوْلى: تسلم وتبقى مع زوجها غير المسلم مع شعورها أنَّها ترتكب حرامًا؟ أم تتخلى عن الإسلام وتظل كافرة؟ فرأينا أن من الأوْلى أن نأخذ بمجموع من الروايات تجيز للمرأة المسلمة أن تبقى مع زوجها غير المسلم، خصوصًا أنَّ المذهب الحنفي يقول: تبقى حتَّى يُعرض على زوجها الإسلام ويرفضه. فهذا هو الأساس في تبني هذه الفتوى، ونحن منهجنا هو التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، منهج الوسطية

QaradawiBooks.com

الإسلاميَّة الَّذي أتبناه في حياتي هو التيسير والتبشير، وهذا منهج نبوي، النبي ﷺ يقول: «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[١]. وأنا أقول دائمًا: إذا كان أمام المفتي الأحوط والأيسر فبِمَ يفتي الناس بالأحوط أم بالأيسر؟ أكثر العلماء يقولون: يفتي بالأحوط. وأنا أقول: لا، بل يفتي بالأيسر، خصوصًا مع عامة الناس، ومع عصرنا، ومع الأقلِّيَّات الإسلاميَّة الَّتي تعيش في مجتمع غير إسلامي، فمن حقها أن نيسر عليها، قال لي أحدهم: وما دليلك في هذا؟ قلت: دليلي ما ورد أنَّ النبيَّ ﷺ: «ما خُيِّر بين أمرين؛ إلَّا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا»[٢]. فهذا ما أراه.

الاجتهاد والتقليد:

السؤال الثالث: يوجد بين الأقلِّيَّات الإسلاميَّة أتباع للمذاهب الفِقهيَّة المختلفة، فهل على جماهير الأمة أن تتبع هذه المذاهب؛ إذا ظهر رأيٌ راجح مستندًا إلى دليلٍ صحيحٍ من الكتاب والسُّنَّة ومخالف لهذه المذاهب؟

الجواب: أنا لي كتاب هو الجزء الخامس من سلسلة (نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام)، هذا الكتاب اسمه «كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف؟» المذهبيَّة ماذا نقول فيها؟ هناك ناس يقولون: التمذهب واجب. وهذا ما درسناه في الأزهر في كتاب الجوهرة للَّقاني يقول:

ومالكٌ وسائرُ الأئمَّةْ كذا أبو القاسمْ هداةُ الأُمَّةْ
فواجبٌ تقليدُ حَبْرٍ منهمُو كذا حكى القومُ بلَفْظٍ يُفْهَمُ[٣]

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.
(٣) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، على هامشه التحرير الحميد صـ٣٩٩ ـ ٤٠٣.

QaradawiBooks.com

مالك وسائر أئمَّة المذاهب، وأبو القاسم الجُنَيْد الإمام الصوفي المعروف، يعني أنَّ كلَّ واحد ينبغي أن يُقَلِّد شيخًا في المذهب، وشيخًا في الطريقة، فهذا اتِّجاه.

واتِّجاه آخر يمثله الإمام ابن حزم والإمام الشوكاني وغيرهما، يرى أنَّ التقليد حرام، ويجب على كل أحد أن يبحث عن الحق بنفسه.

الناس صنفان: عالم، وعامي:

وأنا لا أتبع هذا الاتجاه ولا ذاك، أنا أقول: الناس أنواع، هناك عالم، وهناك أُمِّي؛ كيف تُكلِّف الأُمي أن يبحث عن الدليل، وكيف يعرف من القرآن خاصه وعامه، ومجمله ومفصله، ومطلقه ومقيده، ومنسوخه وناسخه، إلى آخره؟ هذا مستحيل، والناس الذين لا يعرفون العربية أهل الهند وباكستان، وماليزيا وإندونيسيا، وفي أفريقيا وهذه البلاد، كيف تُكلف غير العربي أن يأخذ الحكم من القرآن؟ هذا مستحيل.

أنا أقول: العالم الَّذي آتاه الله القدرة على الفهم والعلم وإدراك المسائل عليه أن يعرف، خصوصًا إذا اشتبه عليه الأمر: أي المذهبين أرجح، وأي الرأيين أقوى؟ إذا اطمأن قلبه فلا مشكلة، لكن عندما يشتبه عليه الأمر، عندما يناقشه أحد في مذهبه ويقول له: يا أخي مذهبك ضعيف، أو مذهبك باطل. في هذه الحالة يجب أن يبحث. وكما أشار السائل: كيف يتبع شيئًا بلا أساس؟ فالعالم مطالَب في هذه الحالة أن يبحث، ويتبع ما يراه راجحًا بالدليل.

أمَّا العامِّيُّ، فمذهبه مذهب من يفتيه، لا مذهب له، لأن ما معنى أن له مذهبًا؟ حين يقول: أنا مذهبي مالكي. فماذا يعني هذا؟ يعني أنَّه يعرف أن مذهب مالك يقول بالمصالح المرسلة، ويعرف أن عُرف أهل

QaradawiBooks.com

المدينة مقدم على حديث الآحاد، إلى آخره، وهذه أشياء لا يعرفها إلا العلماء، فالذي يقول: أنا مذهبي مالكي. يعني أنَّه يرى أصول مالك أولى من أصول غيره، وهذا لا يكون إلا للعلماء، فالعلماء هم الذين لهم مذهب، والأميون والعوام لا مذهب لهم إلا مذهب من يفتيهم.

كلمة نيِّرة للشيخ حسن البنَّا:

وهناك كلمة قالها الإمام الشهيد حسن البنَّا في أصوله العشرين الَّتي لخَّص بها بعض المسائل، أرى أنَّها تُؤَصِّل هذا الأمر، يقول في الأصل السابع: ولكلِّ مسلمٍ لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعيَّة أن يتَّبع إمامًا من أئمَّة الدِّين، ويحسُن به ـ مع هذا الاتِّباع ـ أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلَّته، وأن يتقبَّل كلَّ إرشاد مصحوب بالدليل؛ متى صحَّ عنده صلاحُ مَنْ أرشده وكفايتُه، وأن يستكمل نقصه العلمي ـ إن كان من أهل العلم ـ حتَّى يبلغ درجة النظر[1].

قال: لكلِّ مسلم. ولم يقل: على كل مسلم. فلم يجعله واجبًا، وقال: ويحسُن به أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه. وخصوصًا في المسائل الَّتي فيها شبهات، أو الَّتي يخالفه فيها الآخرون، كأن يقول شافعي لحنفي: لماذا لا ترفع يدك عند الركوع وعند القيام من الركوع؟ فيسأل ويعرف أن ابن مسعود روى أنَّ النبي ﷺ ما كان يرفع يده إلا عند تكبيرة الإحرام. فيقول له: ولكن روى فلان وفلان، واحد وعشرون صحابيًّا رووا أنَّه ﷺ كان يرفع يده. فيوجد بذلك مجال للترجيح، ويأخذ الإنسان بالقول الَّذي يترجح عنده.

(١) انظر: رسالة التعاليم ضمن مجموعة الرسائل صـ٣٥٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مشقة مواجهة من اعتاد التقليد:

حكى لي الشيخ أبو الحسن الندوي أنَّه لما خرج من الهند سنة ١٩٥١م. وزار مكة، ومصر، والبلاد العربية، وكان حنفيًّا ككل علماء الهند، فلما زار هذه البلاد وجد الناس ترفع يديها عند الركوع وعند القيام منه، ودرس مع بعض العلماء فوجد أنَّ الأرجح في السنن، والأغلب من الصحابة رووا هذا، فلما رجع إلى لكنو في الهند وبدأ يرفع يديه: تعجب الناس واستنكروا هذا منه، ثم لم يعودوا يصلون وراءه، وكان لم يزل شابًّا، فقال: هل أفض الناس من حولي من أجل هذا؟ فرجع مرة أخرى مقتديًا بالمذهب الحنفي، ثم في أواخر حياته لما أصبح إمامًا التزم الرفع، فقد بلغ الإمامة، ولا يستطيع أن ينكر عليه أحد.

ولهذا الشيخ حسن البنا يقول: ويحسُن به أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ـ حتى يكون على نور، وعلى بصيرة ـ وأن يتقبَّل كل إرشاد مصحوب بالدليل. افرض أنَّ واحدًا قال له: مذهب الشافعي في هذه القضية ضعيف، وأنا أرى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء. كما رجحت هذا وأنا طالب، وظللت أفتي الناس بمذهب أبي حنيفة؛ وكانت قريتنا شافعية؛ فهاج الناس عليَّ، حتَّى علماء الأحناف حين كانوا يدرسون الناس الفقه يدرسونه على مذهب الشافعي، ومعروف أن مذهب الشافعي أشد المذاهب، في مسائل الطهارة والنجاسة وهذه المسائل، حتَّى الإمام الغزالي في كتابه (الإحياء)، وهو شافعي خدم المذهب بمؤلفاته المعروفة، كما قال القائل:

هذَّب المذهبَ حَبْرٌ أحسنَ اللهُ خلاصَهْ
ببسيطٍ ووسيطٍ ووجيزٍ وخُلاصَة[1]

(١) من شعر أبي حفص عمرو بن عبد العزيز الطرابلسي، انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦/٢٢٣).

QaradawiBooks.com

فالإمام الغزالي يقول: كنت أود أن يكون مذهب الشافعي في المياه كمذهب مالك[١]. وأيد مذهب مالك بسبعة أوجه، فإذا وجدت إرشادًا مصحوبًا بالدليل ينبغي أن تتقبله، إذا وجدت هذا المذهب يا أخي أيسر وأفضل وأصح فلماذا ترفضه؟

ثم قال الإمام البنا: «ويحسن به أن يستكمل نقصه العلمي ـ إن كان من أهل العلم ـ حتَّى يبلغ درجة النظر».

من ضيق التقليد إلى رحابة الاجتهاد:

لا يظل في مرتبة التقليد المطلق، افرض أنَّ الشيخ شعيب عنده استعداد لأن يكون رجلًا مجتهدًا؛ فلماذا يحبس نفسه في المذهب، ومذهبه في هذه المسألة ضعيف؟ إذا كان منشرح الصدر يترك المذهب فيها إلى ما هو أقوى، لا يضر أبا حنيفة أن يخالفه عالم.

مقاومة منع المرأة من المسجد:

أنا قلت للإخوة أمس: لن يضر أبا حنيفة، أن نبيح للمرأة أن تأتي إلى المسجد لتشارك في الصلاة، وتشارك في المحاضرات، وتكون عضوًا في المجتمع المسلم، لأن المجتمع المسلم يقوم على المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [التوبة: ٧١]. ويقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. أي إنَّ

(١) إحياء علوم الدين (١/١٢٩).

QaradawiBooks.com

الرجل من المرأة، والمرأة من الرجل، فلا يجوز عزل نصف المجتمع عن المسجد.

وقلت: إنَّ هذا منطق أبي حنيفة، فأبو حنيفة هو الإمام الَّذي أباح للمرأة أن تزوِّج نفسها مخالفًا الأئمة، ومضعفًا كل ما ورد من أحاديث، لأن هذا هو ظاهر القرآن: ﴿تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، ﴿يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فنسب النكاح للمرأة. وأبو حنيفة هو الَّذي أجاز للمرأة أن تكون قاضية في غير مسائل الجنايات، في الأحوال الشخصية، وفي القانون المدني، وفي القانون الإداري، فكيف ننسب إليه أنَّه يمنع المرأة من المسجد؟!

والله أنا متأكد لو أنَّ أبا حنيفة عاش بيننا، ورأى حياتنا ومجتمعاتنا هذه لقال: لا بدَّ أن تشارك المرأة المسلمين. أمَّا أن تُعزل المرأة فهذا لا يليق، أنتم حضرتم اليوم فهل سيذهب أحد منكم ليقول لزوجته: الشيخ القرضاوي قال لنا كذا وكذا؟ لا يفعل هذا أحد، فالمرأة معزولة عن الثقافة في المجتمع، فأنا أرى أنَّ الكلام الَّذي قاله الإمام حسن البنا، وأنا شرحته في كتابي هذا «كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف» شرحًا واضحًا ومبينًا، أرى ألا نكون ضد المذاهب مثل الذين يقولون عنهم: اللامذهبيين. ولا أن ينغلق كل صاحب مذهب على مذهبه، وإنَّما نحن نتبع المنهج الوسط بين هؤلاء وهؤلاء.

التأهل للفتوى:

السؤال الرابع: كثر في هذه الأيام المفتون، ومنهم من له نصيب في العلم، ومنهم من ليس له نصيب في العلم، ومنهم شباب لم يختبروا الحياة بعد، فما هو الواجب فيمن يتقلد منصب الإفتاء من حيث المنهج والعمر وشروط الإفتاء؟

QaradawiBooks.com

الجواب: أنا ـ وأعوذ بالله من شر كلمة أنا ـ شاركت في المؤتمر العالمي الَّذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي منذ سنة ونصف تقريبًا عن الفتوى، وكان لي بحث بعنوان (الفتاوى الشاذة.. معاييرها وتطبيقاتها وأسبابها، وكيف نعالجها ونتوقاها؟)، وأنا أنصح الذين يهتمون بالفتوى بقراءة هذا الكتاب.

وأنا لي ثلاثة كتب مهمة في الفتوى: كتاب «الفتوى بين الانضباط والتسيب»، من حوالي عشرين عامًا، وكتاب آخر اسمه «موجبات تغير الفتوى في عصرنا»، الأمور الَّتي تقتضي الفتوى أن تتغير بسببها، والكتاب الثالث هو «الفتاوى الشاذة»، فالفتاوى الشاذة لها معايير وتطبيقات وأسباب.

غير مرخصة للطباعة

الوقاية من الفتاوى الشاذة:

وذكرت في الوقاية من الفتاوى الشاذة: أن يُختار للفتوى أهلها، واقترحت أن ننشئ معاهد متخصصة للفتوى، حينما قام الأزهر بالتنظيم الحديث لم يولِ اهتمامًا بهذا، كان طلاب الأزهر قديمًا يدرسون كل شيء: النحو والصرف، والبلاغة وعلوم اللغة، والتفسير والحديث، والتوحيد والمنطق، والفقه والأصول.

ثم رأى الأزهر أنَّ الطلاب الآن قد ضعفت هممهم؛ فعزموا على تقسيم هذه العلوم إلى كليات: كلية الشريعة لدراسة الفقه وأصوله، وآيات وأحاديث الأحكام. وكلية أصول الدين لدراسة العقائد وما يتعلق بها، من التفسير والحديث. وكلية اللغة العربية لدراسة النحو والصرف والبلاغة ونحوها.

ثم عملوا تخصصات في هذه الكليات: هناك تخصص القضاء لخريجي كلية الشريعة، بعد أن يتخرج ويأخذ شهادة العالمية في

نسخة مجانية

الشريعة، يعود ليدرس تخصص القضاء سنتين أو ثلاثة، وهناك تخصص الوعظ والإرشاد لخريجي أصول الدين، وهناك تخصص للكليات الثلاثة اسمه تخصص التدريس، وأنا دخلت هذا التخصص، كنا ندرس علوم التربية وعلم النفس وهذه العلوم، وكنت الأول بحمد الله على الكليات الثلاث.

إعداد المفتي القادر على الفتوى:

فأنا قلت لهم في هذا المؤتمر: كان ينبغي أن يُضاف تخصص مع هذه التخصصات، وهو تخصص الفتوى، نحن أنشأنا تخصصًا للقضاء، ومهمة القضاء محدودة، القاضي يحكم بين المتخاصمين، أمَّا الفتوى فالناس كلهم محتاجون إليها، فكان لا بدَّ أن ننشئ تخصصًا للفتوى؛ حتَّى نخرِّج إنسانًا مؤهلًا ليفتي الناس عن علم، أو على الأقل عن أناة، إذا لم يكن عالمًا يستطيع الرجوع إلى كتب العلم، ويشاور إخوانه، هذا ما اقترحته، وقد استقبله الناس بقبول حسن.

لا بدَّ من إعداد المفتي إعدادًا خاصًّا، أنا أرى بعض الشباب مستعدًا أن يفتي في كل شيء، فإذا عرضت عليهم رأي أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل؛ يقول لك: هُم رجال، ونحن رجال! يجعل رأسه برؤوسهم، وبعضهم أدعياء على العلم، لم يدرس العلم قط، ويمكن لو أعطيته كتابًا مثل «الصنائع» أو «الهداية» أو «كنز الحقائق» ليقرأ منه صفحة يغلط فيها مائة غلطة، هؤلاء الناس يتصدرون الفتوى، وزاد الخطر الآن مع وجود الفضائيات الَّتي تعطي هؤلاء الناس فرصة، فبعد أن كان يفتي عشرة أو خمسين شخصًا في المسجد أصبح هناك ملايين يسمعونه فصارت مصيبة كبرى.

QaradawiBooks.com

ولذلك هذا الأمر يحتاج إلى توعية قبل أن يحتاج إلى قانون، لأن أحيانًا لا تصلح القوانين وحدها، وإنَّما يحتاج الأمر إلى وعي عام، حتَّى إذا وجد الناس مثل هذا المدعي رفضوه؛ فلا يجد من يسمعه، ولا يجد من يقبله فينسحب، فلا بدَّ من وعي عام، ولا بدَّ أن ينتبه المجتمع لخطورة الفتوى، خصوصًا في المسائل العامة والكبرى.

الصلاة وراء البر والفاجر:

السؤال الخامس: جاء في حديث: «**صلُّوا خلفَ كلِّ بَرٍّ وفاجر**». ومع هذا تتعدد الجماعات في صلاة القيام في مسجد واحد في شهر رمضان، فماذا تقولون في هذا؟

الجواب: حديث: «**صلُّوا خلفَ كلِّ برٍّ وفاجر**»[1]. حديث ضعيف لكن معناه متَّفق عليه، أنَّه لا بدَّ من وحدة جماعة المسلمين، لا يجوز أن تقول: أنا لا أصلي وراء هذا الإمام؛ لأنَّه يرتكب بدعة، أو لأنَّه يفعل كذا، أو لأنَّه من الجماعة الفلانية. لا، ولذلك صلى سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا أنس بن مالك وراء الحجَّاج الثقفي الجبار سفاك الدماء، لا يريدون أن يمزقوا وحدة المسلمين، فخوفًا من هذه الفتنة انتهت المذاهب الإسلاميَّة كلها إلى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر؛ حتَّى يبقوا على وحدة الأمة.

دار الإسلام ودار الحرب:

السؤال السادس: ما هي العلامات الَّتي تدلُّ على أنَّ هذه البلدة بلدة كفر، أو بلدة حرب، أو بلدة إسلام؟

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٥٩٤)، والدارقطني في العيدين (١٧٦٤)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الجواب: أرجو قراءة كتابي «فقه الجهاد»، لأنَّ فيه فصلًا كبيرًا عن دار الحرب ودار الإسلام، واختلاف العلماء في ذلك، واختلاف أبي حنيفة وصاحبيه، ومتى تكون دار الإسلام دار حرب؟ وهل هما داران أم ثلاثة دور؟ وأنا رجحت أنَّها دور ثلاثة: دار إسلام، ودار عهد، ودار حرب، وأنتم في هذه الدار في دار عهد، وبلاد المسلمين الَّتي يعيشون فيها كلها دور إسلام، ودار الحرب الوحيدة هي إسرائيل، هذا خلاصة ما ذهبت إليه.

النفقة والتعويض:

السؤال السابع: رجل يعمل محاسبًا، وهو مستريح ماديًّا، تزوج امرأة أمية فقيرة من المغرب لمدة ثلاثة أشهر، وأتى بها إلى جنوب أفريقيا، ثم لسبب من الأسباب طلقها، فما هي نفقتها الشرعية؟ وخصوصًا أنَّه نقلها من بلدتها إلى هنا؟

الجواب: نفقتها نفقة المعتدة، وعليه أن يعوضها عن الخسائر الَّتي لحقت بها، وهذا أمر يقدره قاضٍ أو يُحكَّم في خسائرها خبراء، ليقدروا ما يلزمها من تعويض، ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام، فلا بدَّ أن تعوض المرأة عن الضرر الَّذي لحق بها، النفقة هي النفقة، لكن هذا تعويض وليس نفقة.

خروج المرأة:

السؤال الثامن: ذكرتم ضرورة السماح للنساء بالخروج إلى المساجد، كما سُمح لهن بالخروج إلى المدارس والجامعات؛ فماذا عن قول عائشة رضي الله عنها: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن؟

الجواب: السيدة عائشة رضي الله عنها في عيوننا وعلى رؤوسنا، ولكن أنا أقول مخالفًا عائشة: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده في عصرنا

QaradawiBooks.com

لطلب إليهن الذهاب إلى المساجد، أمَّا أن تذهب إلى السينمات والمسارح والملاهي، وكل مكان إلا المسجد فهذا غير مقبول، وهل المسجد يُعلِّم أم يُجهِّل؟ يُنوِّر الإنسان أم يُظلمه؟ المسجد مكان للعلم والنور والخير، فإذا كان في المسجد خير فليشاركن في هذا الخير، ولنمنعها مما تخوفت منه عائشة، مع أن كلامها مردود عليها، فالرسول ﷺ لا يمكن أن يأمر بشيء ينهى الله عنه، وإلا فلماذا كان رسولًا يوحى إليه؟ فكلامها غير منطقي، وهي لم تقل هذا لتغير حكم رسول الله ﷺ، وإنَّما كان كلامها إنكارًا على بعض النساء اللاتي كُنَّ يخرجن متعطرات وكذا، والرسول ﷺ قال: «**وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَات**»[1]. أي بغير تزين وتكلف، ولكن لم يمنعهن.

وأنا أقول لكم صادقًا أيُّها الإخوة: من الضروري لكي نعلم بناتنا ونساءنا الإسلام، وأن نشركهن في النهضة الإسلاميَّة أن يشاركن الرجل في كل خير، كيف تقوم نهضة بجناح واحد؟ كيف تتنفس برئة واحدة؟ لماذا نعطل أحد العنصرين؟! فالمرأة مثل الرجل، أنا أؤكد أن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ لو كان موجودًا الآن لقال بمثل ما قلت؛ لأنَّه كان رجل المنطق ورجل الرأي، الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، لم يكن يخالف المنطق إطلاقًا، فأنا أرى أنَّه من المهم جدًّا أن تشارك المرأة الرجال في هذه المجتمعات الدينية، كيف تشارك في كل شيء، وتترك المسجد وأمور الدين؟! والمرأة أكثر إقبالًا على الدين من الرجل، قلت لكم هذا أمس وأصر عليه.

---

(١) رواه أحمد (٩٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الصلاة (٥٦٥)، وابن خزيمة في الإمامة (١٦٧٩)، وابن حبان في الصلاة (٢٢١٤)، وحسَّنه النووي في المجموع (٨/٥)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٦/٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

البيع بالتقسيط:

السؤال التاسع: هل يجوز البيع بالتقسيط؟

الجواب: نعم يجوز البيع بالتقسيط، وهو الآن شبه متَّفق عليه بين الناس، وهو عكس السَّلَم، السَّلَم مُجمع عليه بين المسلمين، والبيع بالتقسيط مختلف فيه، ويكاد الآن أن يكون متفقًا عليه، والبيع بالسلم هو أن يكون عند أحد سلعة مؤجلة ولكنَّه يحتاج إلى المال، كأن يبيع القمح أو الأرز أو القطن، الَّذي سيُحصد بعد أشهر بأقل من ثمنه لحاجته، ولذلك يسمونه بيع المحاويج أو بيع المفاليس، والبيع بالتقسيط نفس الشيء بالعكس يبيع بأكثر من ثمنه لأنَّه بيع بالأجل، وفيه زيادة في المال لزيادة الأجل، ولذلك قال العلماء كما ذكر ابن عابدين في حاشيته: لو سدَّد الشخص قبل انتهاء الأجل، يحسن أن يسقط البائع من الزيادة في الثَّمن بقدر مدة التعجيل في السداد، لو زاده على حسب اثني عشر شهرًا؛ فسدد إليه بعد ستة أشهر يخصم نصف الزيادة، وهكذا.

الاقتراض من البنك لشراء البيوت السكنية:

السؤال العاشر: هناك مشكلات تواجه غير المواطنين منها ارتفاع إيجار البيوت السكنية، فهل يجوز التعامل مع البنوك غير الإسلاميَّة لشراء مسكن؟

الجواب: بالنسبة لشراء البيوت، نحن أفتينا في المجلس الأوروبي للإفتاء للأقلِّيَّات المسلمة في أوروبا بجواز شراء بيوت السكنى فقط عن طريق البنك إذا لم يكن الشخص موسرًا، وليس له سكن، ولم يجد من يقرضه من إخوانه، وبنينا ذلك على الحاجة الَّتي تُنزَّل منزلة الضرورة،

QaradawiBooks.com

والضرورات تبيح المحظورات، ولا شك أنَّ الإنسان يحتاج إلى بيت يملكه لسكناه وسكنى عائلته، وخصوصًا في أوروبا، وهذه البلاد يضيق الأمر فيها على أصحاب الأسر الكبيرة، ولا يريح المسلم إلا أن يسكن في بيت يملكه، ولكي نعين المسلم على هذا؛ فلا مانع من أن يأخذ هذا القرض.

وكتب الفقه نصَّت على أنَّه إذا كان الاستقراض لحاجة ماسة فيجوز، أمَّا الإقراض فلا يجوز، يؤيد هذا مذهب أبي حنيفة بجواز التعامل بالعقود الفاسدة في غير دار الإسلام، وما ليس بدار إسلام يسميه الإمام أبو حنيفة دار حرب؛ وإن لم يكن فيها حرب، فالتقسيم عنده ثنائي، ولذلك أنا أسمي هذه البلاد دار عهد، فنحن أجزنا هذا في المجلس الأوروبي، وأعتقد أنَّ الناس هنا في جنوب أفريقيا مثل الناس في أوروبا في حاجة إلى هذا الأمر، قال لي أحد الإخوة: صار لي في ألمانيا ثلاثة وأربعون سنة، ولو أفتانا أحد بهذه الفتوى قبل ذلك لامتلكت بيتًا من أكثر من عشرين سنة بما أدفعه من إيجار. وأحيانًا يكون الإيجار أكبر من القسط، ثم إنَّ الشخص المدين في النظام الغربي ينال تخفيفًا في الضرائب والأشياء الأخرى؛ فيستفيد من عدة نواحي، وقد كنت أيضًا ضد هذا الرأي، وقابلني الشيخ الزرقا في أمريكا وظللنا ساعتين نتجادل في هذا الأمر، وكان يرى جوازه للحاجة، وكنت أخالفه، ثم بعد ذلك اتفقنا معًا في الحقيقة.

حكم التصوير:

السؤال الحادي عشر: ما حكم التصوير الفوتوغرافي؟ كثير من العلماء يرون أنَّه حرام بسبب الحديث: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة المُصَوِّرون**»[1]. فما تقولون في هذا الأمر؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩)، كلاهما في اللباس، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الجواب: هذا التصوير ليس هو الَّذي جاء النهي عنه في أحاديث النبي ﷺ، فلم يكن هذا التصوير أيَّام النبي ﷺ، وجاء في الحديث: أنَّ هؤلاء المُصَوِّرون يضاهون خلق الله[1]، ومن يصور بالكاميرا لا يضاهي خلق الله، بل هو نفسه خلق الله، وعندنا في قطر يسمون التصوير (عكس)، ويقول للمصور: اعكسني. ويقال: أنا ذاهب للعكَّاس. ويقول له: متى آتي لآخذ العكوس من عندك؟

وللعلامة محمد بخيت المطيعي الحنفي: مفتي مصر وعلامة زمانه، رسالة اسمها «القول الكافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي»، وبناها على أنَّ التصوير عبارة عن حبس الظل، كما استطعنا أن نعكس الصورة في المرآة، كذلك استطعنا تثبيت الصورة على الورق، فليس هذا العكس هو التصوير الَّذي جاء النهي عنه في أحاديث النبي ﷺ، ولذلك لا يجوز التشديد في هذا الأمر.

كان مشايخ السعوديَّة أشد الناس في التصوير، حتَّى حينما كنا في المؤتمر العالمي للدعوة والدعاة، تحت رعاية الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، وكانوا قد دعوا أربعمائة عالم من خارج السعودية، جاء مصورو التليفزيون ليأخذوا لقطة لهؤلاء العلماء؛ فقام أخونا الشيخ عبد المحسن العباد: نائب رئيس الجامعة أكرمه الله، ومعه بعض المشايخ بطرد هؤلاء المصورين، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز موجودًا وأقر هذا، لكن بعد مدة ذهبت في رحلة إلى الحج، وذهبت إلى رابطة العالم الإسلامي ووجدت الشيخ عبد العزيز يقول محاضرة، وهي تصور بالفيديو؛ فتغير رأي الشيخ، وبدأ المشايخ يسمحون بهذا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧)، كلاهما في اللباس، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكنت قريبًا في السعودية لإجراء عملية، ودعانا بعض المشايخ، وأراد بعضهم أن يتصوروا، فقلت ممازحًا: يا جماعة التصوير حرام! قالوا: كان هذا قديمًا! فأعجب وأنتم في جنوب أفريقيا لا زلتم على هذا، الناس في كل بلد الآن يبيحون التصوير، من يستغني عن الصور؟ الصور هي تاريخ، يمكن أن تسجل تاريخ أولادك في أوقات، معينة وفي رحلة معينة.

هناك صور محرمة: الصور العارية وشبه العارية، الصور الَّتي تمجد الظلمة والجبابرة، صور الممثلات والمطربات، والراقصات الكاسيات العاريات، أمَّا الصور مع إخوانك فلا حرمة فيها.

وقد دعانا العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللَّهُ في الاحتفال بمرور خمسة وثمانين عامًا على إنشاء (ندوة العلماء)، وقال الشيخ أبو الحسن: نحن علماء الهند متشددون في مسألة التصوير، ولكن إكرامًا لإخواننا العرب لا مانع من التصوير.

وزرت لاهور سنة ١٩٦٩م. وكان أحد الإخوة قد دعانا إلى الغداء، وقال أحد الإخوة للشيخ أبي الأعلى المودودي: هل تسمح لنا يا فضيلة الشيخ بالتصوير؟ فقال: صوروا على مذهب الشيخ القرضاوي. وكنت قد أصدرت كتاب الحلال والحرام وناقشت فيه قضية التصوير، ولذلك لم تعد هذه القضية مطروحة للمناقشة الآن.

لا داعي أيُّها الإخوة للتشديد في غير موضع التشديد، لولا التصوير لما كان التلفزيون والإنترنت وغيرهما، كل هذه الأشياء قائمة على التصوير، وكان بعض المشايخ لا يسمحون بإدخال التليفزيون بيوتهم، ثم رأيتهم كلهم على الفضائيات الآن، من يستغني عن التصوير: التصوير التليفزيوني، وتصوير الفيديو، والتصوير الفوتوغرافي؟! كل التصوير

QaradawiBooks.com

أصبح مطلوبًا، لكن المهم هل وراءه شيء محرم؟ هل وراءه خلاعة؟ هل وراءه نشر للفسوق أو للظلم أو لكذا؟ هذا ما نبحث عنه.

غير مرخصة للطباعة

قضية القدس:

السؤال الثاني عشر: نلتمس النصيحة من فضيلتكم في هذه الدقائق الأخيرة عن دور العلماء في قضية القدس والمسجد الأقصى المبارك؟

الجواب: أحسنت يا شيخ إحسان باعتبارك مسؤولًا عن مؤسسة القدس الدولية في هذا البلد الكريم، والله يا إخوة إن قضية القدس لتبكي العيون، والله إنَّ الأمة مسؤولة عن المسجد الأقصى، يكاد المسجد الأقصى يُهدَّم، فالحفريات من تحته، والاعتداءات من فوقه، ومنع المصلين من الدخول إلى المسجد، واعتقال المصلين من داخله، وبناء المستوطنات فوق أرض القدس، ومنع الفلسطينيين من البناء، وهم يضيقون على أهل القدس الأصليين، وأنتم تعرفون أنَّ الناس تتزايد، الأسرة الَّتي كانت في وقت من الأوقات عشرة أفراد أصبحوا الآن مائة، عندهم أرض، لكن لا يسمحون لهم أن يبنوا أراضيهم، يريدون أن يضطروهم اضطرارًا إلى الخروج من هذا البلد.

ولذلك حينما أسسنا مؤسسة القدس الدولية، كانت مهمتنا الدفاع عن القدس دفاعًا مدنيا، سميته (الجهاد المدني) حتَّى لا يمنعونا من الدخول إلى البلاد المختلفة، ويقولوا: أنتم عسكريون وإرهابيون. ونحن نجاهد جهادًا مدنيا بالتعاون على دعم صمود أهل القدس، ولتبقى القدس عربية إسلاميَّة مسيحية، حتَّى المسيحيون العرب يريدون أن يُخرجوهم من القدس، ولذلك بعض إخواننا المطارنة والأساقفة العرب معنا في المعركة، منهم الأب حنا عطا الله.

QaradawiBooks.com

نريد أن يثبت أهل القدس، وألا يخرجوا من ديارهم، وأن نعينهم على أمرهم، هم فـــي حاجة إلى مدارس وإلى مستشـــفيات وإلى مراكز ثقافية وإلى كل شـــيء: الماء، والكهرباء، وغير ذلك، ولذلك أرى أن علينا في كل مكان أن نتبنى هذه القضيـــة، وأن نقف وراء إخواننا في القدس؛ كما نقف وراء إخواننا في غزة، ولكن مسألة القدس مسألة ملحة.

وللأسف استغل نتنياهو الضعف الإسلامي، والعجز العربي، والتخاذل العالمي، والتسلط الإسرائيلي، والتحالف الأمريكي؛ وظل يبني المستوطنات داخل القدس نفســـها، ومن ضعف العرب قالوا: نبدأ مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل بشرط أن توقف بناء المستوطنات مؤقتًا طوال فترة المفاوضات. لكن نتنياهو رفض وقال: إنَّ البناء في القدس مثل البناء في تل أبيب تمامًا. وضرب بتعهدات أوباما عُرض الحائط، فليس لنا إلا الأمة الإسلاميَّة.

الحكام المسلمون للأسف ليسوا عند ما تريده الأمة، وقد رأيتم آخر قمة عربيـــة في ليبيا؛ لـــم يصدروا شـــيئًا ذا بال! ظهرت القمة مُفلســـة للأســـف، ما وقفوا موقفًا رجوليًّا، لم يحتجوا حتَّى احتجاجًا قويًّا، هناك احتجاج صـــارخ يهز النـــاس، وهناك احتجـــاج خافت ينيـــم اليقظان، واحتجاجهم من هذا النوع الخافت المنوم، الَّذي ليس له تأثير.

لم يبقَ إلا جماهير الأمة الإسلاميَّة، يجب أن تعلن أنَّها وراء القدس ووراء فلسطين، ومستعدة لبذل النفس والنفيس، والغالي والرخيص في سبيل قضية هذه الأمة.

إنَّنا أيُّها الإخوة لا نســـتبعد أن ننام يومًا ونســـتيقظ فيُقال: إنَّ المســـجد الأقصى قد هُدِّم. ما دامت الأمة في غفلة لا نستبعد هذا، لا بدَّ أن تشعر الأمة أن هناك قضية خطيرة وأنَّها يجب أن تكون يقظة دائمًا ومستعدة وبالمرصاد.

QaradawiBooks.com

منذ أربعين سنة حينما أُحرق جزء من منبر صلاح الدين في المسجد الأقصى هاجت الأمة الإسلاميَّة، وأجبرت القادة والملوك والرؤساء على أن يجتمعوا في المغرب في أول قمة إسلاميَّة، وهي الَّتي أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامي، والآن المسجد الأقصى في أشد الخطر؛ والأمة لا تهتم للأسف، فلم يبقَ إلا أنتم أيُّها الإخوة، إلا المسلمون، إلا الأفراد، إلا الجماهير، هم سند هذه القضية، وما دام المسلمون مستعدين يقظين لهذا الخطر؛ فلن يضيع المسجد الأقصى، ولن تضيع القدس، وسيظل هذا القدس دون تغيير حتَّى يعود للمسلمين كما كان.

نسأل الله ﷻ أن يحرر المسجد الأقصى من أعدائه، وأن ينصر المسلمين على أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الماكرين الغاصبين الظالمين، اللهم انصرنا على الصهاينة البغاة الطغاة المستكبرين في الأرض بغير الحق، وانصرنا على كل من حالفهم وشد أزرهم، وافتح لإخواننا المجاهدين في فلسطين فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهمَّ كُن لإخواننا في القدس، وكُن لإخواننا في غزة، وكن لإخواننا المضطهدين في كل مكان، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولَّ بعنايتك أمرهم، اللهم انصرنا ولا تخذلنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلِّم.

والسَّلام عليكم أيُّها الإخوة ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

٢١

الأقلِّيَّات المُسْلِمة في المجتمع غير المسلم[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمُتَّقين، وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالَمِين سيِّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، اللهمَّ عَلِّمْنا ما ينفعنا، وانفَعْنا بما علَّمْتنا، وزِدْنا علمًا. سبحانك لا علم لنا إلَّا ما علَّمْتَنا، إنَّك أنت العليم الحكيم.

خير ما أُحَيِّيكم به أيُّها الإخوة والأبناء تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أتحدث إليكم كلمة عن «الأقلِّيَّات المسلمة في المجتمع غير المسلم» ثمَّ نفتح الباب للأسئلة حول هذا الموضوع وحول غيره من الموضوعات الإسلاميَّة العامَّة، الَّتي تُهِمُّكم وتشغل أفكارَكم.

غير المسلمين في المجتمع الإسلامي:

كنتُ قد أخرجتُ كُتيِّبًا تحت عنوان: «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، يتحدَّث عن الأقلِّيَّات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، ذلك

(١) ألقيت في الجامعة النظيمية في سيريلانكا.

QaradawiBooks.com

أنَّ الإسلام لم يفرض على من يعيش في دياره أنْ يترك دِينه ويدخلَ في الإسلام، لم يقهر أحدًا على ترك دينه، إذ لا إكراه في الدين، كما أكَّد ذلك القرآن الكريم في سوره المكية والمدنية، في القرآن المكي يقول الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وفي القرآن المدني يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن أجل هذا ساد الإسلام وحكم قرونًا من الزمن، وبقي أناس غير مسلمين، ولم يُعرف في تاريخ الإسلام أنَّه أجبر فئةً من الناس على أن تترك دينها، وإنَّما دعا الناسَ إلى الإسلام ورغَّبهم فيه، فمن دخل فيه كان أخًا للمسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم. ومن بقي على دينه؛ فإنَّ له حقوقًا أيضًا مستمدة من الشريعة الإسلاميَّة وعليه واجبات، وحول هذه الحقوق والواجبات، وضمانات حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وروح التسامح الَّتي اتسم بها المسلمون تحدَّثتُ في هذا الكتاب، الَّذي صدر منذ سنوات وعنوانه: «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي».

وقال لي أحد الإخوان من الهند، بعد صدور هذا الكتاب منذ زمن: حبذا لو كتبتَ كتابًا آخر عنوانه «المسلمون في غير المجتمع الإسلامي»، على عكس هذه القضية؛ إنَّ هناك أيضًا مسلمين يعيشون في مجتمعات غير إسلاميَّة، فما حكم هؤلاء وما هي حقوقهم؟ وما هي واجباتهم؟ وماذا يصنعون؟

وقلت له: والله هذا أمر وارد، ولعلَّ الله ﷻ يُيسِّر هذا الأمر، ولم يُيسِّره لي إلى الآن، لم يتيسر لي أن أكتب كتابًا عن مسلمين في مجتمعات غير إسلاميَّة، مثل وضعكم هذا، ومثل المسلمين في الهند، أو المسلمين في الفلبين، أو المسلمين في بلاد كثيرة، يعيشون أقلِّيَّةً وسط أكثريَّة غير مسلمة.

QaradawiBooks.com

ولهذا، لن أتحدث طويلًا في الموضوع؛ لأنـــي لم أهيئ له الأهبة، ولم أُعِدَّ له العدة من الناحية العلمية، ولكنِّي أتحدث عن لمحات عامة، بالنسبة للأقلِّيَّات الإسلاميَّة الَّتي تعيش في مجتمعات غير إسلاميَّة.

ما واجبات هذه الأقلِّيَّات؟

الحفاظ على الوجود الإسلامي التميز:

أول واجب على هذه الأقلِّيَّات أن تحافظ على وجودها الإســـلامي المتميز؛ فمن الخطر على الأقلِّيَّة الإسلاميَّة: أنْ تدَع نفسَها للتيار العام؛ فتذوب في الأكثريَّة، وتفقد خصائصَها الإســـلاميَّة، ويصبح كأنه لا فرق بينها وبيـــن غيرها: لا في الشـــعائر، ولا في الشـــرائع، ولا في الآداب، ولا في القِيَم، وهذا خطر!

بل أحيانًا تنضح عقائد الأكثريَّة على الأقلِّيَّة المسلمة، فنجد كثيرًا من الخرافات الشركيَّة، والأباطيل الَّتي تروج عند غير المسلمين تدخل على المســـلمين، ومن هنا نجد كثيرًا من الشـــركيَّات، والأشـــياء الَّتي تتعلق بالأولياء أو القبور، والطواف حولها والنذر لها، والأشياء من هذا النوع تروج في هذه البيئات كثيرًا. وكذلك الاعتقادات المبالغ فيها في الأولياء والصديقين والصالحين، هذا عادة يكون من نضح الأكثريَّة المشـــركة أو الأكثريَّة غير المسلمة.

ومن هنا يجب على الأقلِّيَّة المســـلمة أن تحافظ على نفســـها، على ذاتيتها الإسلاميَّة، تحافظ على عقائدها من الشرك، تحافظ على عباداتها من البدع، تحافظ على تقاليدهـــا الاجتماعية من عدوى التقليد: لا تقلد الآخرين في اللبس، وفي عادات المأكل والمشرب، وفي عادات الزواج والطلاق والميراث إلخ، كما شـــاهدنا في كثير من البلاد: أنَّ المرأة هي

QaradawiBooks.com

الَّتي تغرم عند الزواج، وليس الرجل هو الَّذي يدفع. هذا كله من نضح البيئة غير الإسلاميَّة على البيئة الإسلاميَّة.

فالواجب على الأقلِّيَّة المسلمة أن تحافظ على شخصيتها وعلى خصائصها ولا تتشبَّه بغير المسلمين فيما هو من خصائصهم، فلا يجوز للمسلم أن يتشبه بغير المسلم ويفقد شخصيته، ويصبح كأنه واحد من الآخرين، وفي هذا جاء الحديث الَّذي حسَّنه جماعة من العلماء: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[1]، هذا أمر مهم جدًّا: المحافظة على الذاتية الإسلاميَّة.

مخالفة غير المسلمين:

وفي هذا ألَّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا قيمًا سمَّاه: «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم»، أي: إنَّ المسلمين يسألون الله كلَّ يوم سبع عشرة مرة على الأقل أن يهديهم الصراط المستقيم، حينما يقرؤون الفاتحة في الفرائض، لو فُرِض أنَّ المسلم اقتصر على الفرائض فهو يسأل اللهَ حينما يقرأ الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فالصراط المستقيم ـ الَّذي يسأل المسلم ربَّه أنْ يهديه إيَّاه كلَّ يوم ـ هو صراطٌ مُتَمَيِّز، طريق ليس كطريق الآخرين، طريق الَّذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وليس طريق المغضوب عليهم من الكفرة، الَّذين عرفوا الحقَّ وعاندوه، ولا من الضالَّين الَّذين جهلوا الحقَّ وضلُّوا عنه.

(١) رواه أحمد (٥٦٦٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في اللباس (٤٠٣١)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٠٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الصراط المستقيم يقتضي أن يكون طريق المسلمين متميزًا عن طريق أهل الجحيم، فهو مُتَمَيِّز بمخبره، ومُتَمَيِّز بمظهره، ومُتَمَيِّز بعقائده، ومُتَمَيِّز بشرائعه، ومُتَمَيِّز بآدابه، ومُتَمَيِّز بأخلاقه، ومُتَمَيِّز بمعاملاته، ومُتَمَيِّز بتشريعه؛ فلا ينبغي أن يفنى في الآخرين أو يذوب فيهم.

ومن هنا أنكر ابن تيمية على المسلمين الَّذين يحتفلون بأعياد غير المسلمين مثلًا كأنهم هم، وهذا للأسف وجدناه في بعض البلاد الَّتي فيها أناس من النصارى، حتى وإن كانوا أقلِّيَّة من النصارى نرى المسلمين يحتفلون بما يُسمَّى «أعياد الكريسماس»، أعياد الميلاد، رأس السنة الميلاديَّة، ويحتفلون بهذه الأعياد ما لا يحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى، مثل هذا لا يجوز في الأشياء الَّتي أصلها ديني، عيد الميلاد أصله ديني، فلا ينبغي للمسلم أن يحتفل به احتفالًا يجعله كأنه واحد من هؤلاء، ففيه نوع من تعظيم شعائر القوم، وهكذا.

فأول واجب على الأقلِّيَّة الإسلاميَّة ـ والأكثريَّة بالطبع ـ أنَّها تحافظ على شخصيتها، وعلى هويتها الدينية، بحيث تظل متماسكة متميزة، ولا تذوب في الآخرين. من الخطر جدًّا عملية التقليد الأعمى، الَّذي حذَّر منه النبي ﷺ حينما قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قبلكم شِبْرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه**»[1]، هذا هو التقليد الأعمى، فلا بدَّ من الاحتفاظ بالشخصيَّة، وهذا يقتضي من المسلمين أن يكون لهم وجودهم الخاص، يكون لهم مساجدهم، تكون لهم مدارسهم، تكون لهم جامعاتهم، ومن هنا كان إنشاء هذه الجامعة أمرًا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

مهمًّا لتلقين العلم الإسلامي والثقافة الإسلاميَّة الصحيحة، حتى يكون عند المسلم وعي بإسلاميته، وبحقيقته، هذا أمر في غاية الأهمية.

التنشئة على الأخلاق والآداب الإسلاميَّة:

ويجب أن يُنشَّأ أبناءُ المسلمين وبناتهم منذ نعومة أظفارهم على الأخلاق والآداب والشعائر الإسلاميَّة، من الصغر، كما جاء في الحديث: «**مُروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»[(١)]. ينشأ الطفل المسلم والطفلة المسلمة من أول الأمر على الإسلام، يُعلَّم الصلاة: يُؤمر بها من السابعة، ثمَّ بعد ثلاث سنين إذا أهمل فيها يُضرب. أعطيناه فرصة ثلاث سنين، فإذا أهمل وترك الصلاة يُضرب عليها، بناء على الجِدِّية وأنَّ الأمر ليس مجرد كلام يُقال، إنَّما هو إصرار على الصلاة، ومثل هذا الصوم إذا أطاقه.

من المهم جدًّا أن نُنشِّئ أبناءَنا وبناتنا على التعاليم الإسلاميَّة، في الأخلاق والعبادات والآداب والتقاليد، إلخ، فإنَّ من شبَّ على شيء شاب عليه، والعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

وينشأُ ناشئُ الفتيان منَّا على ما كان عوَّده أبُوهُ[(٢)]

المصريون عندهم مثل: (بعد ما شاب ودُّوه الكتاب؟) يعني لا ينفع أن تدخله الكتاب وقد شاب شعره، وكبر سنه، أوصله للكتاب

---

(١) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (٣٠١)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩): إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) من شعر المعرِّي، كما في اللزوميات (٤١٣/٢)، تحقيق أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وهو صغير ليتعلم، فلا بدَّ من التعلم في الصغر، فهو كالنقش على الحجر، ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره، ولهذا يقول الشاعر:

وينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ ... وليس ينفعُ عندَ الشّيبَةِ الأَدَبُ
إنَّ الغصونَ إذا قوَّمْتَها اعْتَدَلَتْ ... ولن تَلِينَ إذا قَوَّمْتَهَا الخُشُبُ[1]

الغصن الطري اللَّيِّن تُقوِّمه فيتقوم، وإذا كان معوجًّا وقوَّمته اعتدل؛ لأن غصن الشجرة لا زال لينًا، ولكن الخشبة لا تلين إلا إذا كسرتها، فكذلك الإنسان في حالة الصغر قابل للتشكيل، وقابل للتكوين، وقابل للتوجيه، ولكن بعد أن يكبر ويشيخَ يشيخُ ويشب على ما شاب عليه، فعلى الأقلِّيَّة المسلمة أن تحافظ على وجودها ابتداءً من المحافظة على ناشئتها من الصغر. هذا واجب أول.

وحدة الكلمة للأقلِّيَّات المسلمة:

واجب ثانٍ بعد ذلك: أن توحِّد الأقلِّيَّات كلمتها، على الأقلِّيَّة الإسلاميَّة أن توحد كلمتها؛ لتحافظ على حقوقها وعلى وجودها، وعلى ذاتيتها وهويتها في مواجهة الأكثريَّة، وهذا أمر يفرضه الإسلام، وتفرضه ضرورات الواقع، الإسلام يأمر بالاتحاد: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال رسول الإسلام: «**لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[2]، الاتحاد قوة، والاتحاد مطلوب، كما قال رجل لبنيه قديمًا:

---

(١) من شعر سابق البربري، كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١).
(٢) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

كُونُوا جَمِيعًا يا بَنِيَّ إذا اعترى خَطْبٌ ولا تتفرَّقوا آحادَا!
تأبى العِصِيُّ إذا اجتمعْنَ تَكَسُّرًا وإذا افْتَرَقْنَ تكسَّرتْ أفرادَا[1]**!**

إذا كانت عصًا أو رمحًا، وأردت أن تكسرها تنكسر، ولكن إذا كانت حزمة وأردتَ أن تكسرها لا تنكسر، كما قلنا في الصباح بالنسبة للَّبنة المفردة، وللبناء المتجمع المتماسك، «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا**»[2].

ومن هنا إذا كان واجبًا على المسلمين عمومًا أن يتحدوا فهو أوجب وأوكد على الأقلِّيَّة الإسلاميَّة؛ لأنَّها إذا لم تتحد أُكِلت، وديست، وضاعت، وهلكت. والذي نراه أنَّ الأقلِّيَّات في العالم كله تتحد وتتجمع، وتنسى الخلافات فيما بينها، الخلافات الجزئية، والخلافات الجانبية.. تتناساها وتقف صفًّا واحدًا؛ حتى تحافظ على ذاتها، هذا ما نرى في كل الأقلِّيَّات.

في بلاد المسلمين نرى الأقلِّيَّات غير المسلمين هم أقلِّيَّة ضئيلة جدًّا، ثلاثة في المائة، اثنين في المائة، ولكنها تتماسك فيما بينها، وتكوِّن قوةً هائلة بالتماسك، ولكنِّي للأسف لاحظت أنَّ المسلمين حينما يكونون أقلِّيَّة يختلفون فيما بينهم، ويجعلون للخلافات الجزئية أكبر الأثر؛ بحيث تأتي مواقف مصيرية توجب عليهم أن يتحدوا ولا يختلفوا، ومع هذا للأسف وبكلِّ الأسف يختلفون ويتفرقون، وهذا شاهدناه في بلادٍ كثيرة،

(١) ديوان الطغرائي صـ١٣٦، تحقيق د. على جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري، نشر مطابع الدوحة الحديثة، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

الاختلاف بسبب أشياءَ مُعَيَّنة: فكريَّة أو سياسيَّة، أو فقهيَّة أو مذهبيَّة، أو غير ذلك، وهذا لا يجوز.

غير مرخصة للطباعة

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة:

وأذكر أنَّني منذ عدة سنوات كنت في الهند، حضرت مؤتمرًا أقامته جامعة (ديوبند) في الهند، وهي الجامعة الكبرى الَّتي خرَّجت الآلاف وعشرات الآلاف، والتي يسمونها «أزهر الهند»، حضرتُ مؤتمرًا ضخمًا أقيم في قرية ديوبند هناك، وأقيم احتفال كبير في ذلك الوقت حضرته رئيس الوزراء أنديرا غاندي، وحضر من المسلمين حوالي مليون ونصف تقريبًا، أكبر تجمُّع رأيته في حياتي: مليون ونصف في مكان واحد، وكان لي كلمة ألقيتها في ذلك الوقت، وكانت كلمتي مركزة على توحيد الكلمة، فالإسلام يقوم على أمرين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، كلمة التوحيد كلمة «لا إلٰه إلَّا الله»، ولكن يجب أن نوحِّد الكلمة على كلمة التوحيد، يجب أن يكون همنا توحيد الكلمة على كلمة التوحيد.

قلتُ للمسلمين في الهند وهم يُكوِّنون أقلِّيَّة ضخمة، هم أقلِّيَّة صحيح، ولكن أقلِّيَّة تقارب أو تزيد عن مائة مليون، قلتُ لهم في ذلك الوقت: إنكم تمثِّلون التجمع الثاني للمسلمين في العالم، أكبر تجمُّع للمسلمين في العالم في إندونيسيا، بعد انفصال باكستان إلى باكستان وبنغلاديش؛ أصبح أكبر تجمُّع للمسلمين في دولة إندونيسيا، وثاني تجمع للمسلمين هو تجمُّع المسلمين في الهند، أقلِّيَّة ولكنها أقلِّيَّة ضخمة، ولكن هذه الأقلِّيَّة مضيعة بسبب الخلافات، فلذا دعوتهم إلى الاتحاد.

قلت: يا قوم، اتحدوا، ألَا تتفقون على الأركان الخمسة؟ ألَا تتفقون على شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام

QaradawiBooks.com

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا؟ ألا تتفقون على كلمة التوحيد، على ما يصير به المسلم مسلمًا؟ عندنا الحد الأدنى الَّذي يمكن الاتفاق عليه، ينبغي أن نتفق عليه، لماذا الخلاف؟ كُن ديوبنديًّا، أو كُن ندويًّا، أو كُن إصلاحيًّا، أو كن من جماعة التبليغ، أو من الجماعة الإسلاميَّة، أو من أهل الحديث إلخ، ولكن أنت قبل كل شيء مسلمٌ، تضع يدك في يد إخوانك، وقفوا صفًّا واحدا حتى لا تضيعوا. بدون هذا لا يمكن أن يكون لأي أقلِّيَّة مسلمة وجود.

الآن مما سرَّني وحدَّثني عنه العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي: أنَّ المسلمين الآن وقفوا صفًّا واحدًا في مواجهة قضية معينة، قضية في قانون الأحوال الشخصيَّة، المحكمة العليا هناك قضت لامرأة مسلمة طُلِّقت بأن زوجها الَّذي طلَّقها عليه أن ينفق عليها طول الحياة حتى تموت أو تتزوج! هنا ثار المسلمون جميعًا، قالوا: إن هذا ليس من الشرع الإسلامي في شيء، إنَّ المرأة بعد أن تُطلَّق وتنقضي عدتها أصبحت امرأة أجنبية من الرجل، فليس عليه نفقتها، هي تعود إلى أسرتها، صحيح ممكن هناك شيء اسمه المتعة، كما جاء في القرآن: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ومن الفقهاء من اعتبر ذلك مندوبًا، ومنهم من اعتبره واجبًا، ولكن المتعة هذا شيء كهدية، يجبر الرجل به خاطر هذه المطلقة ويدفع لها شيئًا مرة واحدة يرضيها به، ولكن ليس معناها أنَّه ينفق عليها طول الحياة!

فالمسلمون وجدوا في هذا الحكم خطرًا عليهم، إذا سكتوا عنه يمكن أن تُفرض عليهم أحكام تتعلق بشؤونهم الخاصة؛ فوقوا صفًّا واحدًا، والوقوف صفًّا واحدًا هذا جعل الحكومة نفسَها تحترم رأيه؛ لأن

QaradawiBooks.com

أي حكومة تحاول أن تسترضي مائة مليون مسلم؛ حتى يعطوها أصواتهم للانتخابات وهذه الأشياء، ليس بالأمر الهين تجافي هذه الأقلِّيَّة.

وقفوا صفا واحدًا، وهذا هو الَّذي ينبغي، في هذه القضايا ينبغي أن تُنسى الخلافات وتقف الأقلِّيَّة المسلمة صفًّا واحدًا.

نتعاون فيما اتفقنا عليه:

الذي أنصح به الأقلِّيَّة المسلمة هنا في سريلانكا وفي أي بلد من بلاد الله: أن يتحدوا، وأن يتناسوا الخلافات الجزئية. وهناك قاعدة المنار الذهبية، الَّتي وضعها السيد محمد رشيد رضا وأصَّلها من بعده الإمام الشهيد حسن البنا، وهي قاعدة «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه». هناك أشياء نتفق عليها، وهناك أشياء نختلف فيها، ليكن تعاوننا في المتَّفق عليه وهو كثير، نحن نتفق على محاربة الإرهاب، وعلى مقاومة الكفر، وعلى مقاومة التحلُّل والإباحيَّة، وعلى الوقوف في وجه القاديانيَّة مثلًا والبهائيَّة، وعلى الوقوف في وجه الماسونيَّة، وعلى الوقوف في وجه التبشير الصليبي، وعلى محاربة المظالم الاجتماعيَّة، وعلى المحافظة على الأسرة والمرأة المسلمة والبنت المسلمة، وعلى المحافظة على الشباب المسلم من الانهيار الأخلاقي إلخ، عندنا مائة قضية وقضية نتفق عليها، فلنتعاون في هذه القضايا.

وهناك أشياء نختلف فيها، فليعذر بعضنا بعضًا فيها، لك رأي ولي رأي، وكما قال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب. لا أدِّعي أن رأيي هو الصواب كله، ولا أدعي أن رأيك هو الخطأ كله. هذا هو الَّذين ينبغي للأقلِّيَّة الإسلاميَّة بصفة خاصة

QaradawiBooks.com

وللمسلمين بصفة عامة: الاتحاد والتماسك. بدون هذا يضيعون، ولا يكون لهم من باقية. هذا هو الواجب الثاني للأقلِّيَّة المسلمة في مجتمع غير مسلم.

غير مرخصة للطباعة

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

الواجب الثالث: هو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، واجب الدعوة، كون المسلمين أقلِّيَّة لا يمنعهم أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، فكم من أقلِّيَّة أثرت في الأكثريَّة، وكم من مغلوب أثَّر في الغالب، التتار دخلوا بلاد المسلمين فاتحين، وكانوا كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم: حطَّموا المدن، وهدَّموا الحضارات، وأحرقوا الكتب، وألقوا الكتب في نهر دجلة؛ حتى صار النهر أسود من كثرة المداد، وذبَّحوا الناس حتى سالت من الميازيب: الميازيب الَّتي تنزل الأمطار من السطوح، كانت تنزل منها الدم! ومع هذا بعد مدة من الزمن ـ رغم غلبة هؤلاء ـ أثَّر الإسلام فيهم عن طريق الدعوة؛ فدخلوا في الإسلام، ولأول مرة يُسجِّل التاريخ دخول الغالب في دين المغلوب.

أن نكون صورة حسنة للإسلام:

ليس هناك استبعاد من أنَّ الأقلِّيَّة تؤثر في الأكثريَّة، إذا أحسنَّا الدعوة، وعرفنا المفاتيح الَّتي ندخل بها إلى عقول الآخرين وقلوبهم. وأكثر من هذا أن نكون مُثُلًا طيبة للدين ندعو إليه، أتعرفون ما هو أغلظ حجاب يحجب غير المسلمين عن الدخول في الإسلام؟ الحجاب الحاجز الغليظ هو المسلمون أنفسهم، المسلمون صورة سيئة للإسلام، الناس يقولون: لماذا لا نرى أدب الإسلام في المسلمين؟ يقولون: الإسلام يدعو إلى العلم؛ فلماذا نرى المسلمين جهلاء؟ والإسلام يدعو إلى

QaradawiBooks.com

التقدم؛ فلماذا نرى المسلمين متخلفين؟ والإسلام يدعو إلى القوة؛ فلماذا نرى المسلمين ضعفاء؟ والإسلام يدعو إلى الوحدة؛ فلماذا نرى المسلمين متفرقين؟ والإسلام يدعو إلى المحبة والأخوة؛ فلماذا نرى المسلمين متعادين؟ والإسلام يدعو إلى النظافة؛ فلماذا نرى بلاد المسلمين أقذر بلاد الله؟ والإسلام يدعو إلى كذا وكذا؛ ولكن المسلمين شيء آخر غير ما يدعو إليه الإسلام!

فالمسلمون بهذا يُنفِّرون الآخرين من الإسلام، ولذلك لكي ننجح في الدعوة إلى الإسلام؛ يجب أن نكون أسوة حسنة، وأن نكون قدوة طيبة لغيرنا، ينظر الناس إلينا فيرون فينا الإسلام مجسدًا فيقولون: ما أجمل الإسلام! وما أعظم الإسلام! وما أروع تعاليم الإسلام! ولكن المسلمين للأسف لا يمثِّلون الإسلام الحقيقي.

أسلم أحد الغربيين أظنه رجلًا أمريكيًّا، دخل في الإسلام عن طريق الكتب، قرأ الكتب فأُعجب بالمبادئ الإسلاميَّة، والقيم الإسلاميَّة، والعقائد الإسلاميَّة، والمفاهيم الإسلاميَّة؛ فأعلن الإسلام، ودخل في هذا الدين، ثمَّ أراد أن يرى الإسلام في أرضه، في دياره، فجاء إلى بلاد المسلمين، ففوجئ بأن المسلمين صورة بعيدة عن الإسلام، لم يجد ما توقَّعه من أخلاق وآداب وقِيَم، وأعمال وسلوك يُجسِّد فكرة الإسلام، وعقيدة الإسلام، وقِيَم الإسلام، فقال كلمته المؤثرة: الحمد لله الَّذي عرَّفني الإسلام قبل أن أعرف المسلمين، أراني الإسلام قبل أن أرى المسلمين!

مع أنَّه لو رأى المسلمين أولًا لكان ذلك حاجزًا له عن الإسلام، ولنفَّره هؤلاء عن الإسلام، ولكنَّه عرف الإسلام من الكتب فلم يضره؛ لأنَّه اعتقد أنَّ الإسلام حجة عليهم، وليسوا هم حجة على الإسلام، وهذا

QaradawiBooks.com

هو الصحيح. ولكن الناس ليسوا فلاسفة، لا يستطيعون أن يُجرِّدوا بين المثال والواقع، وإذا رأوا المسلمين يقولون: انظر إلى هذا التخلف، وهذه القذارة، وهذا الضياع، وهذا الضعف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والتفكك والانهيار، هذا هو الإسلام!

فهو يحكم على الإسلام من خلال المسلمين، ولهذا لكي ننجح في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ينبغي أن نحسِّن إسلامنا، أن نكون صورة مشرِّفة لهذا الدين، ينظر الناس إلى الإسلام من خلالنا فيعجبهم الإسلام، ويقولون: ما أعظم هذا الدين!

هذا هو الواجب الثالث، واجبنا نحو غيرنا ممن يعايشوننا من غير المسلمين، إنَّما نؤثر فيهم بحسن تمسُّكنا بالإسلام. لا بالتعصب الأعمى، ولكن نكون مسلمين صادقين، بحسن الخلق مع هؤلاء الناس، بأن نكون أمناء معهم، بأن نكون صادقين معهم، بأن نكون إنسانيين معهم، بأن نكون أخيارًا معهم، بأن نكون ملتزمين بقيمنا الإسلاميَّة، من خلال هذا يحبون الإسلام ويحبون أن يتعرفوا عليه. هذا هو الواجب الثالث.

وأكتفي بهذه الواجبات الأساسية الثلاثة في هذا الموضوع؛ لأدَع لكم الفرصة بعد ذلك لتسألوا وتناقشوا.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يلهمنا رشدنا، وأن يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يُرِيَنا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، إنَّه سميع قريب.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابة سؤال المحاضرة

السؤال: بعض الأحاديث مفهومها: أنَّ المسلم الَّذي يعيش في دار الكفر، يجب عليه اختيار أحد الأمـور الثلاثة: إما الجهاد، أو الإعداد له، أو الهجرة، وإلا يكون آثمًا، مثلًا ورد في الحديث: «أنا بريء من كل مسـلم يُقيم بين أظهر المشـركين»[1]، فنرجو من فضيلة الأستاذ التوضيح.

الجواب:

هذا الحديث فيمن يقيم بين أظهر المشـركين مختارًا، أمَّا من يقيم بين أظهر المشركين مضطرًّا؛ كأن يكون هذا هو مجتمعه الَّذي عاش فيه ووُلِد فيه، فلا تفرض على المسـلمين جميعًا أن يهاجروا، كيف تفرض على مائة مليون مسـلم في الهند أن يهاجروا؟ يذهبوا إلى باكسـتان أو بنغلاديش الفقيرة المسكينة؟

---

(١) روي موصولًا ومرسلًا فرواه موصولًا أبو داود في الجهاد (٢٦٤٥)، والترمذي في السير (١٦٠٤)، والطبراني (٣٠٣/٢)، والبيهقي في القسامة (١٣١/٨)، عن جرير بن عبد الله.
ورواه مرسلًا: الترمذي في السير (١٦٠٥)، والنسائي في القسامة (٤٧٨٠)، وسعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٦٣)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٧٨٥)، والبيهقي في القسامة (١٣٠/٨)، عن قيس بن أبي حازم.
ورجح المرسـل: البخاري فيما نقله عنه الترمذي في العلـل الكبير (٤٨٣)، وأبو حاتم في العلل (٩٤٢)، وأبو داود عقب الحديث رقم (٢٦٤٥): رواه هشيم، ومعمر، وخالد الواسطي، وجماعة لم يذكـروا جريرا. والترمـذي عقب حديث رقـم (١٦٠٥)، والنسـائي (٤٧٧٩)، والدارقطني في العلل (٣٣٥٥)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٦٤٣٥)، وانظر: تخريج أحاديث الكشـاف للزيلعي (٤٠١/١ ـ ٤٠٣)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

QaradawiBooks.com

أيُّ بلد يقبل مائة مليون مهاجر؟ هذا يُحدث مشكلة، لا يحدث هذا، لا يمكن، لا يقول أحد بأن المسلمين عليهم أن يتركوا بلادهم الَّتي وُلِدوا فيها ويهاجروا، لا. وإنَّما هذا فيمن يقيم بين أظهر المشركين مختارًا، يذهب يجلس بين أناس لا يمكِّنونه من إقامة دينه مثلًا، إنَّما القرآن أشار إلى أنَّه يمكن أن يكون هناك إنسان مؤمن في مجتمع غير مؤمن، كما قال القرآن في سورة النساء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ انظروا القرآن يقول: ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: يعيش مع قوم كفار معادين للمسلمين وهو مؤمن، معناه أنَّه وصف في القرآنُ بأنه مؤمن، مع أنَّه يعيش في قوم كفار معادين، عدو للمسلمين، هذا لم يخرجه عن الإيمان.

وكذلك: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ كفار؛ ولكن بينهم وبين المسلمين معاهدة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، الَّذي يعيش في قوم معادين للمسلمين من الكفار؛ عليه تحرير رقبة فقط، كفارة وليس عليه دية؛ لأنَّه إذا دفع الدية يُقوِّي المحاربين، يحاربون المسلمين وسيتقوَّوْن بها، ولكن الَّذي بينه وبين المسلمين معاهدات ومواثيق عليه الدية والكفارة: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. هنا أشار القرآن إلى أنَّه يمكن أنَّ المسلم يكون موجودًا في مجتمعات غير مسلمة؛ معادية أحيانًا، أو بينهم وبين المسلمين مواثيق.

وفي الآية الأخرى في سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾، يوم كانت الهجرة إلى المدينة فرضًا، فمن

QaradawiBooks.com

لم يهاجر ليس له ولاية، ليس له حق الموالاة من المسلمين حتى يهاجر، ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، رغم أنَّهم يعيشون في مجتمع غير مسلم، وعليهم الهجرة فرض كما كان ذلك في أول الإسلام قبل الفتح، لأن بعد الفتح قال النبي ﷺ: «**لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنْفِرْتم فانفروا**»[1]، فمع هذا اعتبر هؤلاء لهم حق النصر: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾.

والآن الوضع مختلف، ومعظم البلاد الَّتي يعيش فيها المسلمون بينها وبين بلاد المسلمين مواثيق ومعاهدات، على الأقل كلهم أعضاء في مؤسسة دولية واحدة، الأمم المتحدة، بينهم مواثيق مشتركة. ومن هنا لا يمكن أن يُقال: إن على المسلمين أن يهاجروا ويتركوا ديارهم. أولًا لا يقبله أحد؛ يهاجر أين؟ لو فُرض أن مليون مسلم، أو مليون ونصف مسلم يريدون أن يهاجروا؟ أي بلد يقبلهم؟ هذه مشكلة.

إخواننا البورميون الَّذين اضطهدوا وخرجوا من بورما؛ نتيجة اضطهاد الشيوعيِّين ومذابح الشيوعيِّين.. هؤلاء مساكين واقفين على حدود بنغلاديش، لا يستطيعون أن يعملوا شيئًا؛ فالتفكير في أنَّ الناس تهاجر من بلادهم تفكير لا يقول به أحد، ولكن المهم أنَّ المسلم يجاهد، الجهاد مطلوب منه، ولكن الجهاد هو ماذا؟

الجهاد أنواع، الإمام ابن القيم ذكر في كتابه «زاد المعاد» ثلاث عشرة مرتبة للجهاد: جهاد النفس؛ وهو أربع مراتب، وجهاد الشيطان؛ وهو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٣)، ومسلم في الحج (١٣٥٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

مرتبتان، وجهاد المجتمع؛ وهو أربع مراتب أخرى، ثمَّ جهاد المنافقين والكفار باليد واللسان والمال، والحديث الَّذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم قال: «**جاهدوا المشْركينَ بأموالِكم وأنفسِكم وألسنتِكم**»[1]، فهناك جهاد بالمال، وجهاد باللسان؛ وهو جهاد الدعوة، وهذا هو الجهاد المطلوب منا الآن: جهاد الدعوة.

الجهاد الحقيقي والجهاد الأكبر في عصرنا جهاد الدعوة والفكر، ولذلك القرآن يقول مخاطبًا النبي ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، ﴿بِهِۦ﴾ يعني بالقرآن، جاهدهم بالقرآن، الجهاد بالقرآن اعتبره القرآن في سورة الفرقان جهادًا كبيرًا، وهي سورة مكية؛ قبل أن يُشرع الجهاد بالسيف، هذا هو الجهاد، جهاد المحافظة على الذات مهما ابتُلي الإنسان، كما جاء في أوائل سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وفيها: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ ـ ٦]، الجهاد هنا جهاد الصبر على الابتلاء. الأقلِّيَّات الإسلاميَّة تستطيع أن تجاهد بصبرها ومصابرتها، ومحافظتها على ذاتيتها الدينية، ودعوتها الآخرين، هذا هو الجهاد المطلوب.

وأحيانا يجد المسلمون في الدول غير المسلمة، من الحرية للدعوة إلى الإسلام؛ ما لا يوجد في بلاد المسلمين، وأنا حضرت مؤتمرات في أمريكا عدة مرات، حوالي ست مرات ذهبت في أمريكا، مؤتمرات

(١) رواه أحمد (١٢٢٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، كلاهما في الجهاد، وابن حبان في السير (٤٧٠٨)، والحاكم في الجهاد (٩١/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن أنس.

QaradawiBooks.com

يقيمها اتحاد الطلبة المسلمين، أو رابطة الشباب المسلم العربي، يحضرها حوالي أربعة آلاف، تؤجَّر جامعة من الجامعات لمدة أربعة أيام أو خمسة أيام، ويقام مخيم، أو معسكر، من قبل أذان الفجر؛ يوقظون الشباب لقيام الليل، ثمَّ صلاة الفجر في جماعة، وبعد ذلك قراءة الأدعية المأثورة، وبعد ذلك محاضرات وندوات، وتمرينات رياضية، ومناقشات، وأناشيد إسلاميَّة إلخ، مهرجان ضخم يُقام في بلد غير إسلامي، والله للأسف هذا البرنامج لا تستطيع أن تفعله في بلاد كثيرة للمسلمين، لا تُمكَّن من هذا.

ينبغي أن ننظر إلى هذا الأمر في ضوء ظروف العصر، فليس الحديث الَّذي ذكره الأخ محمد يؤخذ على إطلاقه، لا، إنَّما هذا فيمن يقيم بين أظهر المشركين راضيًا بإشراكهم، وهو غير قادر على أداء دينه، وهو قادر على أن يهاجر؛ ولم يهاجر.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٢

واجبات الأقلِّيَّة المسلمة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، وبتوفيقه تتحقق الغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، البشير النذير، والسراج المنير، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط الله المستقيم، ومَنَّ به على المؤمنين، ليتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ورضي الله عن آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، وعمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خير ما أحيكم به أيُّها الإخوة والأبناء، بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن إخوانكم في البلاد العربية عامة، وفي قطر التي أعيش فيها خاصة، خير ما أحيكم به تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في الكلية الغفورية العربية، في حرم الجامعة النظيمية الإسلامية في سيريلانكا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأحمد الله تبارك وتعالى قبل كل شيء: أن هيَّأ لي فرصة زيارة المسلمين في هذا البلد الطيب، وزيارة المعاهد الإسلامية، والمؤسسات الإسلامية، ومنها هذه الكلية، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزي خيرًا على من عمل على تأسيسها، وأن يغفر له، وهو الأخ الحاج نور الدين عبد الغفور، أدعو الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، ويتقبله في الصالحين هو ومن ساهم معه، وأن يمدَّ هذه الكلية بروح من لدنه، حتى تستمر في رسالتها موفقة، مسددة الخطى إن شاء الله.

المسلمون أمة واحدة ووطن واحد:

ثمَّ إنَّني أحبُّ أن أقول: إنَّني هنا لست ضيفًا، أنا أعتبر نفسي في كل مكان ترتفع فيه المآذن، ويرتفع فيه صوت أشهد ألا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، حيث يوجد المسلمون، فأنا في وطني، بين أهلي وإخواني وأبنائي؛ ولهذا لا أعتبر نفسي ضيفًا، إنَّما أعتبر نفسي واحدًا منكم، وقد علمنا الإسلام أنَّ المؤمنين إخوة حيثما كانوا.

ولذلك لا نعترف بهذه الفواصل الجغرافية، ولا الحواجز اللغوية، ولا الفواصل العنصرية أو القومية، هذه كلها تذوب أمام الإسلام، الإسلام يوحد ولا يفرق، يجعل المسلمين جميعًا أمة واحدة؛ ولذلك أنا لا أقبل قط أن يُقال: الأمم الإسلامية، هي أمة إسلامية، كلمة أمم إسلامية كلمة دخيلة على المصطلح الإسلامي، الله ﷻ سمَّى هذه الأمة أمة، سمَّى أبناء الإسلام أمة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فنحن أبناء أمة واحدة، ومن هنا وطن المسلم كل أرض، فيها من يقول: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، هذه حقيقة أراها واضحة في نفسي

QaradawiBooks.com

وضوح الشمس، ومن هنا حيث حللت بين المسلمين، لا أعتبر نفسي غريبًا، ولا أعتبر نفسي ضيفًا.

كلماتي للمسلمين في هذه البلد:

ثم هناك بعد هذا كلمات أوجهها للمسلمين عامَّة، وإلى أبنائي الطلبة في هذه الكُلِّيَّة خاصَّة.

كلمتي للمسلمين عامَّة:

المسلمون عامة في هذه البلد يعيشون أقَلِّيَّة مسلمة في وسط أكثريَّة غير مسلمة، وإنِّي أنصح دائمًا أي أقلية مسلمة بعدة نصائح:

المحافظة على الوجود الإسلامي:

أولى هذه النصائح: أن تحافظ على وجودها الإسلامي، على شخصيتها الإسلامية، أن تحافظ على كيانها، وما معنى كيانها؟ كيان الأمة بعقيدتها ورسالتها، لا يكفي بأن يحتفظ الناس بأسمائهم، اسم محمد وأحمد، وعبد الله وعبد الرحمن، وحسن وحسين، ولكنَّه بعد ذلك ليس له من الإسلام إلا اسمه، هذا ليس محافظة على الشخصية وعلى الكيان، إنَّما يحافظ المسلم على كيانه إذا ظلَّ سليم العقيدة، صحيح العبادة، مستقيم الأخلاق، محافظًا على القيم والآداب والشرائع الإسلامية، متميزًا عن غيره، لا يذوب في الآخرين، ولا يفنى فيهم، المحافظة على الشخصية الإسلامية.

المسلم متميز عن غيره:

الإسلام حرص على أن يكون المسلم متميزًا، في مظهره ومخبره، بمجرد أن يراه الإنسان يعرف أنَّه مسلم، إذا لقي آخر قال له: السلام عليكم،

QaradawiBooks.com

ويرد عليه الآخر: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فهو متميز بتحيته، تحية الإسلام السلام. إذا عطس إنسان يقول: الحمد الله، ويشمته من يجلس معه ويقول له: يرحمك الله، ويرد عليه الآخر قائلًا: يهديكم الله ويصلح بالكم. حتى في الآداب العادية، يعرف المسلم من غير المسلم، إذا أكل يأكل بيده اليمنى، ويقول: باسم الله، وإذا فرغ من طعامه قال: الحمد الله.

المسلم متميز بعقيدته، متميز بعبادته، متميز بآدابه، متميز في أخلاقه، متميز في كلِّ شيء.

ومن هنا يجب على المسلمين إذا كانوا أقلية في بلد، أن يحافظوا على الشخصية الإسلامية بكل مقوماتها، وبكل خصائصها؛ حتى يُعرف أنَّ هذا مسلم.

والرجل يبقى مسلمًا، والمرأة تبقى مسلمة في زيها وفي مظهرها، تبقى مسلمة في ملبسها؛ فلا تلبس ما تلبسه غير المسلمة، الإسلام فرض عليها زيًّا معينًا ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] إلى آخر هذه الآداب التي جاء بها الإسلام.

فينبغي على الأقلية المسلمة أن تحافظ على كيانها، وعلى شخصيتها، وعلى وجودها الإسلامي، لا يجوز لها أن تذوب في غيرها، وتُؤْثر دنياها على دينها، من أجل منافع مادية أو مصالح دنيوية، فتنسى ربها، وتنسى عقيدتها، وتنسى رسالتها، لا.

اليهود أقلية حافظت على شخصيتها:

هناك أناس عاشوا أقليات صغيرة جدًّا في مجتمعات كبيرة، ولكنهم لم يذوبوا في المجتمع الكبير، كوَّنوا لهم مجتمعاتهم الخاصة داخل

QaradawiBooks.com

المجتمع الكبير، وإذا كانت الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها، وإذا كان الإنسان يتعلم حتى من عدوه، فهنا نضرب مثلا باليهود: اليهود عاشوا أقليَّة في كل مجتمعات العالم، ومع هذا حافظوا على شخصيتهم التاريخية، حافظوا على شخصيتهم بالمحافظة على تعاليم التوراة فيما بينهم، وعلى التعاليم الدينية، ولم ينصهروا في المجتمعات الأخرى، حارة اليهود كانت هي الإطار الذي يعيشون فيه، فعاشوا في بلاد المسلمين، وعاشوا في بلاد النصارى، ولكنهم ظلُّوا على عقيدتهم.

المسلمون أولى الناس بأن يحافظوا على رسالتهم وعقيدتهم، وقيمهم وآدابهم، ولا يذوبوا في غيرهم.

هذه نصيحتي الأولى للمسلمين، المحافظة على الذاتية الإسلامية، على هويتهم الدينية، نظرًا وعملًا، مظهرًا ومخبرًا، تفكيرًا وسلوكًا، هذا ما ينبغي على أيِّ أقلية إسلامية.

توحيد الكلمة:

هناك واجب آخر على كل أقليَّة إسلامية، أن توحد كلمتها فيما بينها، أن تتعاون ولا تتخاذل، أن تكون كما قال ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»[1]، اللبنة الواحدة ضعيفة يمكن كسرها، ولكن لبنة على لبنة، بينهما ما يشدهما تكوِّن صفًا قويًا متينًا، تكوِّن جدارًا تضربه فلا يقع، وجدار مع جدار يكوِّن بناءً مثل هذا، فيصبح هذا البناء متينًا لا يمكن لأحد أن ينال منه بسهولة؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البرِّ والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

ويقول النبي ﷺ يحثنا على الجماعة: «**يدُ اللهِ على الجماعة**»[١] وفي رواية: «**ويد للهِ مع الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ إلى النار**»[٢]، و«**إنَّما يأكلُ الذئبَ من الغنمِ القاصيةَ**»[٣].

الشاة وسط القطيع محمية، وإنَّما إذا خرجت عن القطيع وشذَّت عنه، افترسها الذئب، كذلك المسلم الذي يشذُّ عن الجماعة، ويعيش وحده يضيع، لأنَّ الجماعة قوة له.

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «**ومَن شذَّ شذَّ في النار**»، وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣). ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧/٣)، وقال: غريب، من حديث سليمان عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في تخريج المختصر (١٠٩/١): حديث غريب خرَّجه أبو نعيم في الحلية، واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح؛ لكنَّه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب؛ والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد صـ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

قلت: ولكن هناك من الدلائل ما يشهد لهذا الحديث، منها قوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]، فوجود هذه الأمة الهادية بالحق، يمنع أن تجتمع على ضلالة، ومنها قوله تعالى: ﴿**فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ**﴾ [الأنعام: ٨٩]، ومنها قوله سبحانه: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومنها أحاديث الطائفة القائمة على الحق إلى قيام الساعة، التي سماها العلماء، (الطائفة المنصورة)... فليعلم هذا.

(٣) رواه أحمد (٢٧٥١٣)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، وابن حبان في الصلاة (٢١٠١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥١١)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

الإسلام يحث على الجماعة:

ولذلك الإسلام يحثنا على الجماعة، ومن هنا علمنا القرآن أن نقول ونحن نقرأ الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تقول هذا وأنت تصلي وحدك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بصيغة الجمع، نون المتكلمين هذه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] لماذا؟ لأن المسلم يستحضر إخوانه المسلمين، فإذا ناجى الله ناجاه بلسان الجماعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإذا دعا الله يسأله بلسان الجماعة، فيدعو الله له وللمسلمين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

الخطاب القرآني خطاب جماعي:

وخطاب الإسلام لم يأتِ للأفراد، خطاب القرآن بالتكاليف لم يقل يا أيها المؤمن افعل كذا، ولكن يا أيها الذين آمنوا، الخطاب للجماعة؛ لتكون متضامنة متكافلة في تنفيذ الأوامر الإلٰهية، وهذا ما علمناه الإسلام، الإسلام لم يعلمنا الفرقة، بل علمنا الوحدة، علمنا أن نكون أمة واحدة.

الإسلام يقوم على دعامتين أساسيتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، كلمة التوحيد، كلمة لا إلٰه إلا الله، وتوحيد كلمة المسلمين؛ وهذا واجب المسلم حيث ما كان، لا ينبغي للمسلم أن يعيش وحده ولا يهتم بأمته؛ لأنَّ هذا معناه أنَّه خرج عن الأمة الإسلامية، نحن جزء من الأمة الإسلامية، وهذا ما يجب أن يكون شعور كل مسلم في أي بلد كان، فهذا واجب ثان.

دعوة غير المسلمين:

وهناك واجب ثالث على كل أقلية إسلامية: وهو واجبها مع غير المسلمين، واجبها مع غير المسلمين أن تدعوهم إلى الإسلام، الدعوة

QaradawiBooks.com

إلى الإسلام، والمسلم بطبيعته داعية، أي مسلم، الله تبارك وتعالى يخاطب رسوله ﷺ فيقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] معنى ذلك: أن من اتبع رسول الله ﷺ عليه أن يدعو إلى الله، وأن يدعو على بصيرة، فكل من اتبع النبي ﷺ فهو داعية، وهو مخاطب بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعوة بالعمل أبلغ من القول:

ومن هنا كان علينا واجب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، والدعوة ليست كلامًا فقط، الدعوة تكون بالقول: القول المشافهة، والقول المكتوب، وتكون بالعمل، ولعلَّ الدعوة بالعمل أهم من الدعوة بالقول، الدعوة بالأسوة الحسنة، بالقدوة الطيبة، الإسلام انتشر في العالم بأخلاق المسلمين، هل جاءت جيوش المسلمين إلى سيريلانكا؟ هل دخل هنا الفاتحون؟ أو إندونيسيا، أو الفلبين، أو هذه البلاد؟

ما دخلت الجيوش الإسلامية إلى هذه البلاد، إنَّما جاءت عن طريق التجار من اليمن أو حضرموت، أو من جنوب الهند، أو من غير ذلك، جاؤوا إلى هذه البلاد وغيرها، وأدخلوا الإسلام فيها بأخلاقهم، رآهم الناس فأعجبوا بتعبدهم، بخشوعهم، بصدقهم، بأمانتهم، فسألوا: من أنتم؟ فقالوا: مسلمون. سألوا: ما دينكم؟ قالوا: الإسلام، فقالوا: ما هو الإسلام؟ فعرفوا الإسلام فأحبوه، وشهدوا ألا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ ولذلك ينبغي على المسلمين قبل كل شيء أن يكونوا قدوة طيبة للإسلام، وإن كان هذا مطلوبًا من الناس جميعًا، فهو مطلوب من أبناء الكليات الإسلامية، الذين يدرسون القرآن والسنة، ويدرسون التفسير والحديث الشريف، ويدرسون الفقه، ويدرسون العقيدة،

QaradawiBooks.com

ويعيشون في ظلال الإسلام، هؤلاء هم أولى الناس بأن يكونوا صورًا مشرفة لهذا الدين، يراهم الناس فيقولون: ما أجمل هذا الدين، وما أعظم هذا الإسلام.

الإسلام دين المستقبل:

ومن هنا نقول إنَّ هناك واجبًا رابعًا على كل أقليَّة إسلاميَّة أن تدعو غير المسلمين إلى الإسلام، أن تحببهم إلى الإسلام، تنشر هذا الدين، وهو دين المستقبل، ليس هناك دين يستطيع أن يقف في وجه المادية الطاغية إلا الإسلام؛ لأنَّه الدين الذي يقيم التوازن في حياة الإنسان، يوفق بين المادة والروح، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، يصل الأرض بالسماء، ويصل الخلق بالخالق، دون وساطة كهنوتية.

ليس في الإسلام وساطة:

الإسلام ليس في حاجة إلى ما ذهبت إليه أديان أخرى، إلى وسيط سمسار محتكر، بين الله تعالى وبين عباده، باب الله مفتوح لمن يشاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. حتى العاصي يستطيع أن يقرع باب الله كما شاء ويدخله، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

الله تعالى ليس في حاجة إلى واسطة، فقد فتح الباب على مصراعيه، «**إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها**»[1]. ليس عند المسلمين

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

كرسي الاعتراف الذي عند النصارى، من أذنب ذنبًا أو أخطأ خطيئة عليه أن يذهب إلى الكاهن أو القسيس؛ ليعترف بذنبه، ويقر بخطيئته، ولا يقبل إلا إذا فعل هذا، لا، كل إنسان في حاجة إلى الله وحده، وليس في حاجة إلى أحد بينه وبين الله، وليس في حاجة إلى أن يكشف أسراره ويفضح نفسه؛ بل جاء في الحديث: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**»[(١)]. إذا عمل شيئًا في السرِّ بينه وبين الله، عليه أن يتوب منه بينه وبين الله؛ دون وساطة من أحد، لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده.

الله تعالى قريب من عباده:

ليس الله سبحانه كالملوك الجبارين، الذين يحتاجون إلى وسطاء وشفعاء وحجَّاب يحجبون الناس عنهم، لا، باب الله ليس عليه حاجب ولا بوَّاب، الله تعالى يدعو الناس إليه دائمًا في كل وقت، مهما كان أمرهم، ومهما عظم ذنبهم، يناديهم إلى حظيرة قدسه، يناديهم إلى فردوس جنته، ويتجلى الله تبارك وتعالى كلَّ ليلة في الثلث الأخير من الليل فيقول: «**هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من كذا؟ هل من كذا؟ حتَّى يَطْلُعَ الفجر**»[(٢)].

نريد أن نعلم الآخرين أنَّ الإسلام هو دين التوحيد الحقيقي، دين البساطة، دين الفطرة، هذا الدين هو الدين الذي يوازن بين الإنسان كفرد، وبين الإنسان كمجتمع، بين الدنيا والآخرة، لا يقيم حربًا بين دين الإنسان ودنياه، شعار المسلم ما ذكره القرآن: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المؤمن قوي مؤثر في مجتمعه:

ولهذا دعا الإسلام المسلم إلى أن يكون قويًّا فـ«**المؤمن القويُّ، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»[١] قويًّا في بدنه، قويًّا في عقله، قويًّا في روحه، قويًّا في اقتصاده، ينبغي أن يكون المسلم من الناحية الاقتصادية قويًّا: يزرع، ويصنع، ويتاجر، الحديث الشريف يقول: «**إذا قامت الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ يريد أن يغرسَها، فإن استطاع ألَّا تقوم حتَّى يَغْرِسَها، فليَغْرِسْها**»[٢] حديث صحيح.

والفسيلة: النخلة الصغيرة، هذه الشتلة الصغيرة إذا كانت في يده والساعة على الأبواب، وهو قادر على غرسها فليغرسها، لماذا يغرسها والساعة ستقوم؟ لماذا يغرسها ولن ينتفع هو بها، ولا أحد من بعده؟ هذا تكريم للعمل، تكريم لذات العمل، إشارة إلى أنَّ المسلم يظلُّ معطاءً منتجًا، عاملًا للحياة إلى النفس الأخير، إلى الرمق الأخير في الحياة، هذا هو الإسلام.

ينبغي أن نعرف الإسلام على حقيقته، ونعرضه على الآخرين، ونحبب إليهم هذا، وهذا هو واجب رابع.

هذا هو واجب أي أقلية إسلامية في أي بلد كان.

واجب طلاب المدارس والجامعات الإسلامية:

ولكن يبقى هناك واجبات أخرى على من يتعلمون في المدارس

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الإسلامية والكليات الشرعية؛ عليهم أن يحسنوا فهم الإسلام وفقهه، لا بدّ أن يفقهوا الإسلام فقهًا كاملًا شاملًا.

الإسلام عقيدة وعبادة، ومعاملات وأخلاق، وتشريع، تشريع لكل شؤون الحياة: اقتصادها، وسلمها وحربها، وسياستها الداخلية، وسياستها الخارجية، العلاقة بين الأغنياء والفقراء، العلاقة بين أرباب العمل والعمال، العلاقة بين الحكام والمحكومين، العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، كل هذه جاء بها الإسلام، وتدرس في الفقه الإسلامي؛ ولذلك الفقه الإسلامي من كتاب الطهارة، من آداب الاستنجاء، إلى بناء الدولة، موجود هذا في كتاب الجهاد والسير والعلاقات الدولية، كل هذا يدرس في الفقه الإسلامي، فيجب أن نفقه الإسلام فقهًا شاملًا.

الإسلام كلٌّ لا يتجزأ:

بعض الناس يريد أن يجزِّئ الإسلام، يريد أن يجعل الإسلام عقيدة بلا شريعة، أو عبادة بلا أخلاق، أو أخلاقًا بلا معاملات، أو عقيدة وعبادة بلا تشريع، بلا نظام للحياة، بلا حكم.

بعض الناس يريدون أن يعزلوا الإسلام عن الحياة، ويقولون: الإسلام لا علاقة له بالسياسة، ولا علاقة له بالدولة، ولا علاقة له بالاقتصاد! هؤلاء لم يفهموا الإسلام فهمًا سليمًا، الإسلام نظام شامل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. ولا يجوز التفريط في بعض الإسلام: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]

QaradawiBooks.com

الإسلام كل لا يتجزأ، فلا بدَّ لمن يدرس في هذه الكليات أن يحسن فهم الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

الجمع بين العلم والعمل والسلوك:

ثمَّ بعد ذلك عليه أن يحسن العمل بالإسلام، الإسلام لا يكتفي من الإنسان أن يدرسه كما يدرسه المستشرقون مثلا، الإسلام ليس مجرد فقه وعلم فقط، هو علم وعمل، ولا خير في علم لا يؤدي إلى عمل، ولا خير في فكر لا يؤدي إلى تطبيق؛ ولذلك لا بدَّ أن يكون مع العلم عملًا.

الذين يدرسون الإسلام، لا بدَّ أن يكونوا مُثلًا طيبة للإسلام، في محافظتهم على فرائض الإسلام، وعلى شعائر الإسلام وشرائعه، وعلى أخلاق الإسلام، يجب أن يكونوا أسوة حسنة، هذا هو شأن العالم العامل، هذا هو شأن طالب العلم المسلم، العمل بالإسلام، الخشية لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]

خشوع القلوب هذا أمر مهم جدًّا، القلب الخاشع: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] القلوب الحية المؤمنة التي ترجو الله وتخشاه، هذا ما نريده من طالب العلم المسلم.

الدعوة إلى الإسلام:

دعوة المسلمين:

ثم عليهم بعد ذلك أن يجندوا أنفسهم للدعوة إلى الإسلام، أن يكونوا رجال دعوة، لا رجال وظيفة، فرق بين من يتعلم ليتوظف فقط، ليحصل على وظيفة ينال منها بعض الروبيات، وفرق بين من يتعلم ليكون صاحب

QaradawiBooks.com

دعوة، وحامل رسالة، وخصوصًا أنَّ الإسلام في هذا العصر يتعرض لتيارات تريد أن تقتلعه من جذوره، تيارات التبشير الصليبية، وتيارات الغزو الماركسي الشيوعي، وتيارات القاديانية، وتيارات البهائية، وتيارات الفرق المنشقة على الإسلام، وتيارات العلمانية اللادينية، ينبغي أن نواجه هذه التيارات بالدعوة إلى الإسلام، الإسلام الحقيقي، لا بدَّ من الدعوة، دعوة المسلمين أولا ليحسُن إسلامهم، ليكون إسلامًا صحيحًا، بعيدًا عن الخرافة في العقيدة، والابتداع في العبادة، والجمود في الفكر، والسلبية في الأخلاق، نريد الإسلام الصحيح، نريد إسلام الصحابة ومن تبعهم بإحسان، نريد أن نفهم الإسلام كما كانوا يفهمون، وأن نعمل به كما كانوا يعملون، وقد قال ناظم الجوهرة:

وكلُّ خيرٍ في اتِّباع من سَلَفْ وكلُّ شرٍّ في ابتداع من خَلَفْ[1]

نريد أن نعود إلى الإسلام الأول، يوم كان الإسلام إسلامًا، ويوم كان المسلمون مسلمين، فمهمتنا دعوة المسلمين حتى نصحح إسلامهم، وحتى نردهم إلى الإسلام ردًّا جميلًا، حتى يكونوا مسلمين حقًّا، لا مجرد مسلمين بالوراثة، مسلمين بالأسماء، مسلمين جغرافيين، أي ولدوا في أرض الإسلام، حظهم من الإسلام أنَّهم ولدوا في أرض الإسلام، لا، نريد أن يكونوا مسلمين حقيقيين، وهذا واجب الدعاة.

دعوة غير المسلمين:

ثمَّ علينا أن ندعو غير المسلمين كذلك، لا بدَّ أن نبذل جهدنا لندعو غير المسلمين، إذا كانت النصرانية تريد أن تُنصِّر العالم كله، وتنشر

(١) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ٤٣٦، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق.

QaradawiBooks.com

وتنشر دعاتها من مبشرين ومبشرات، في أنحاء العالم، وتنفق عليهم آلاف الملايين، فنحن أصحاب الدين الحق أولى الناس بأن ننشر ديننا، وأن ننشر نوره ونمد شعاعه في العالم كله، وهو دين المستقبل إن شاء الله، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، هذا وعد من الله تبارك وتعالى، ووعدنا رسوله ﷺ ألا يبقى بيت مدر ولا وبر؛ إلا أدخله الله تعالى في هذه الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل الله به الكفر[١].

الإسلام ينتصر بالرجال:

ولكن لا ينتشر الإسلام إلا على أيدي أبنائه، الإسلام لا ينتصر وحده، الحق لا ينتصر إلا برجاله، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] لا بدَّ من المؤمنين، وكما قال الشاعر:

وعادةُ السيفِ أن يُزْهَى بجوهرِهِ ... وليسَ يعملُ إلا في يدَيْ بطلِ![٢]

ونحن نريد الأبطال، وأنتم أيها الشباب أبطال المستقبل، أنتم سيوف هذا الإسلام، أنتم دعاته في الغد، فإلى هذا أدعوكم، أحسنوا فهم الإسلام، افقهوا الإسلام فقهًا حقيقيًّا، لا تنعزلوا عن الحاضر، عيشوا مع الحاضر، اعرفوا المسلمين، انظروا إلى الإسلام بعين، وإلى العصر الذي تعيشون فيه بعين أخرى، فالمسلم ليس معزولًا عن الواقع وعن الحياة،

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والطبراني (٥٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٣٠/٤)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٠٧): رجال أحمد رجال الصحيح. عن تميم الداري.

(٢) ديوان الطغرائي صـ٣٠٧، لامية العجم.

QaradawiBooks.com

ثم بعد ذلك كونوا صورًا طيبة، ومثلًا حيَّة لهذا الإسلام: بسلوككم وأعمالكم، وأخلاقكم وعبادتكم، ثم بعد ذلك جندوا أنفسكم لهذا الإسلام، لهذا الدين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإجابة عن سؤال المحاضرة

طرق تحصيل العلم:

قبل أن نستمع إلى الأسئلة أحب أن أبين أنَّ العلم في الإسلام له طريقتان: طريقة الإلقاء، وطريقة الإجابة على السؤال، بل هذا هو نهج القرآن في بيان الأحكام، أحيانًا القرآن الكريم يبين الأحكام مباشرة مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وهكذا.

وأحيانًا عن طريق يسألونك ويستفتونك؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

وهكذا.

QaradawiBooks.com

ونحن قد بدأنا بالطريقة الأولى: طريقة الإلقاء، والآن نبدأ بطريق السؤال؛ لأنَّه كما قيل: حُسن السؤال نصف العلم، إذا أُحسن السؤال؛ فإنه يوجه لخير كثير.

السؤال: هل باب الاجتهاد أُغلق أم أنَّه ما زال مفتوحًا؟

الجواب:

للإجابة عن هذا السؤال نقول: من الذي فتح باب الاجتهاد؟ أظن الإجابة واضحة، الذي فتح باب الاجتهاد هو النبي ﷺ؛ منذ أباح للصحابة أن يجتهدوا، اجتهدوا حتى في المدينة، وذلك حينما قال ﷺ بعد فراغه من غزوة الأحزاب: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يصلِّيَن العصر إلا في بني قريظة**»[1] وفي الطريق قال بعض الناس: أوشك العصر أن يضيع وما أراد منا رسول الله ﷺ أن نضيِّع وقت العصر، إنَّما أراد منا سرعة النهوض، فأخذوا بفحوى الأمر: بالمقصود من الأمر، وصلُّوا في الطريق.

وقال آخرون: لا، النبي ﷺ قال: «**لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم العصرَ إلَّا في بني قريظة**» فلا نُصَلِّي إلَّا في بني قريظة؛ وإن دخل علينا الليل هناك، وبلغ النبيَّ ﷺ فعلُ هؤلاء وهؤلاء، فلم يعنف أحدًا من الفريقين، لم يعنف هؤلاء ولا هؤلاء، أقرَّ كلا منهم على اجتهاده.

وحينما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وقال له: «**بمَ تقضي يا معاذ؟**» فقال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: فبسُنَّة رسول الله ﷺ،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

قال: «**فإن لم تَجِدْ؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصِّر ولا أدَّخر وُسْعًا). فضرب النبيُّ ﷺ على صدره، وقال: «**الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله؛ لما يُرْضي رسولَ الله**»[1]. وهذا حديث جوَّد إسناده ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وعدد من العلماء.

فالنبي ﷺ أقرَّه على اجتهاده.

فالاجتهاد مشروع، وقد جاء في الحديث: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[2]، فالاجتهاد فتح بابه رسول الله ﷺ؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يُغلق بابًا فتحه رسول الله ﷺ؟! من عنده هذه السلطة؟ هل هناك مؤتمر عُقد من علماء المسلمين وقال:

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٠٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذ، وجهالة الحارث بن عمرو. وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٢)، والترمذي في الأحكام (١٣٢٨)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٧٧٠).

قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٩/١، ١٩٠): فإن اعترض المخالف بأن قال: لا يصح هذا الخبر، لأنَّه يروى عن أناس من أهل حمص لم يسموا؛ فهم مجاهيل! فالجواب: أن قول الحارث بن عمرو، عن أناس من أهل حمص، من أصحاب معاذ، يدلُّ على شهرة الحديث، وكثرة رواته... على أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ـ وذكر أحاديث ـ وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، لكن لما تلقتها الكافة عن الكافة، غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها. وقال ابن القيم في إعلام الموقعين (١٥٥/١) نحو هذا، ثم قال: كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق بالمحل الذي لا يخفى، ولا يعرف في أصحابه متهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، لا يشك أهل العلم بالنقل في ذلك. كيف وشعبة حامل لواء هذا الحديث، وقد قال بعض أئمة الحديث: إذا رأيت شعبة في إسناد حديث فاشدد يديك به. وجوَّد إسناده ابن تيميه مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٣)، وابن كثير في التفسير (٧/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

لا يجوز الاجتهاد؟ لا، لم يُعقد هذا المؤتمر، ولو حدث هذا لكان خطأ، والأمة لا تجتمع على ضلالة، ولم يحدث أن اجتمع أحد، ولم يقل عالم معتبر: إنَّ الاجتهاد قد أغلق بابه، كل ما قالوه في وقت من الأوقات أنَّه لا يوجد عالم مجتهد، بعض الناس قالوا: الآن لا يوجد مجتهد، لا يوجد المجتهد المطلق، وإنَّما يوجد مجتهد في المذهب، فهذا الذي قيل، وقد ناقشه آخرون وعارضوه، يعني الحنابلة عندهم لا يجوز أن يخلو عصر من إمام مجتهد، لا قدرًا ولا شرعًا، في كل عصر لا بدَّ أن يكون هناك مجتهد، ونفوا خلو عصر من العصور من إمام مجتهد.

وهل الذين قالوا بغلق باب الاجتهاد مجتهدون أم مقلدون؟ إن كانوا مقلدين فقولهم غير معتبر؛ لأنَّه كيف يحكم المقلد على أنَّه لا يوجد اجتهاد؟ والمقلد لا يُقَلد، نفس المقلد لا يقلد، وإن كانوا مجتهدين فوجودهم معارض لقضية غلق باب الاجتهاد من أصلها، فالاجتهاد مشروع وقائم ولم يُغلق بابه أحد.

والواقع يشهد أنَّ هناك أناسًا مجتهدين؛ وإن لم يدَّعوا الاجتهاد، يعني أشد الناس قولًا بغلق باب الاجتهاد؛ هم الشافعية، ومع هذا قال الشافعية في وقت من الأوقات: كان هناك الإمام تقي الدين السبكي، كان مجتهدًا ولم يدعِ الاجتهاد، وكان هناك ابن دقيق العيد قد بلغ مرتبة الاجتهاد، وتلميذه سراج الدين البلقيني بلغ مرتبة الاجتهاد، وتلميذه الحافظ العراقي بلغ مرتبة الاجتهاد، وابن سيد الناس بلغ مرتبة الاجتهاد، والحافظ ابن حجر، بلغ مرتبة الاجتهاد، والحافظ السيوطي بلغ مرتبة الاجتهاد، وهو شافعي، ومع ذلك يقول: أنا بلغت درجة الاجتهاد، قال عندي أدوات الاجتهاد، بل قال: الناس يدعون اجتهادًا واحدًا، وان أدَّعي اجتهادات ثلاثة: مجتهد في الفقه، ومجتهد في الحديث، ومجتهد في

QaradawiBooks.com

اللغة، وكان عنده أدوات، وكان متبحـرًا في هذه العلوم كلها، ولمَّا هاج عليه أهل عصره، كتب رسـالته القيمة وسمّاها: «الردُّ على من أخلد إلى الأرض، وأنكر أنَّ الاجتهاد فـي كل عصر فرض» وذكر الأشـياء التي خالف فيها الشـافعية، وقال، أرتضي أصول الشافعي، ولكن أخالفه في كذا وكذا وكذا، فالاجتهاد قائم.

ثم جاء بعد ذلـك أناس بلغـوا مرتبة الاجتهاد، مثل شـاه ولي الله الدهلوي، الذي نظر في الحديث والسنن نظرة مستقلة، وإن كان مذهبه في الأصل حنفي، ومثل الإمام محمد بن علي الشـوكاني، صاحب نيل الأوطار، وكان في أصله زيدي، ولكنَّه خرج على مذهب الزيدية، ونظر في الأحاديث كما يعرف ذلك كل من قرأ كتابه نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من كلام سيد الأبرار، ومثل الأمير الصنعاني صاحب كتاب سبل السلام، ومثل العالم الهندي السيد الصديق حسـن خان، هؤلاء جميعًا بلغوا مرتبة الاجتهاد واجتهدوا.

أنواع الاجتهاد:

وأحب أن أقول لكم: هنـاك نوعان من الاجتهـاد: اجتهاد انتقائي، واجتهاد إنشائي.

الاجتهاد الانتقائي الترجيحي:

هناك اجتهاد ترجيحي انتقائي، وهو أن ينظر العالم في الآراء التي وردت، ينظـر في هذه الأقـوال، ينظر في أدلتها، ويـوازن بين هذه الأدلة، ويرجح أقواها دليلًا، وهذا أمر فعله كل الناس المنصفين من علماء المذاهب، يعني الكمال ابن الهمـام حنفي، ولكنَّه في بعض

QaradawiBooks.com

الأحيان رجح مهذب غير الحنفية، ويقول: مذهب غير الحنفية أقوى في كذا وكذا.

وكذلك الإمام النووي شافعي، ولكن أحيانًا يقول. وقول أصحابنا في هذه المسألة ضعيف، والصواب أنَّه كذا وكذا؛ لأنَّه موافق للحديث، والذي ينظر موسوعته المجموع شرح المهذب للشيرازي، يجد أنَّه ليس كتابًا شافعيًّا، وإنَّما هو كتاب عالم نظر في الأدلة، واختار من بينها حسب ما أدَّى إليه اجتهاده، فأحيانًا يرجح قول الخراسانيين، أو قول العراقيين، أو قول هؤلاء وهؤلاء، وهكذا؛ لأن الاجتهادات غير ثابتة، أحيانًا تتغير، الإمام الشافعي نفسه صاحب المذهب، ألم يكن له قول قديم قبل أن يأتي إلى مصر، وقول جديد بعد أن قدم إليها؟ وأصبح معروف لمن يدرس مذهب الشافعي أن يقول: قال في القديم كذا، وقال في الجديد كذا، غيَّر مذهبه كله إلا قليلا في سنوات معدودة؛ لأنَّه لما ذهب إلى مصر رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن قد سمع، فتغيَّر اجتهاده.

كذلك في مذهب أبي حنيفة؛ نجد أصحاب أبي حنيفة: أبا يوسف ومحمد الصاحبين، وزفر، هؤلاء خالفوه في أكثر من ثلث المذهب؛ لأنَّه تبين لهم ما لم يتبين لأبي حنيفة، وقال أبو يوسف في إحدى القضايا: لو رأى صاحبي مثل ما رأيت، لقال بمثل ما قلت! لأنَّه تبين له ما لم يتبين لصاحبه. وأحيانًا يقول فقهاء الحنفية في بعض الخلافات: والاختلاف هنا اختلاف عصر وزمان، وليس اختلاف حجة وبرهان؛ لأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان؛ ولذلك لمَّا تغير زمان الشافعي ومكانه غير فتواه، فالفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، والعرف والحال.

QaradawiBooks.com

وهـذا ما قاله المحققـون من العلمـاء؛ قال ذلك الإمـام القرافي صاحب الكتاب القيم الفخم كتاب «الفروق، وصاحب كتاب «الذخيرة» في الفقه المالكـي، من أعظم الكتب، وصاحب كتـاب «الإحكام في تمييز الفتاوى والأحـكام»، قال هذا: إنَّ الفتـاوى تتغير بتغير العرف، وتغير الزمان، وتغير المكان.

وقال هذا ابن القيم في كتابه القيم: «إعـلام الموقعين»، وكتابه وإن كان صاحبه حنبليًا إلا أنَّه خرج على مذهبهم في قضايا.

وقال هذا ابن عابدين في رسـالته المعروفة، «نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العرف»، معنى ذلك أنَّه عندما يتغير العرف تتغير الفتـوى، أو يتغير الحكم، هـذا قاله ابن عابدين، وقال: إن مشـايخ الحنفية القدامى كانوا يرون بعـض الأمور وخالفهم المتأخرون، مثلًا يقولون: لا يجوز أخذ الأجرة على الآذان، ولا على الإمامة، ولا على الخطابـة، ولا على الوعظ الدينـي، هكذا كان يـرى المتقدمون من الأحناف، ولكن المتأخرين أجازوا هذا، لمـاذا؟ قالوا: إنَّ الناس في القديم كانوا يقومون بهذا احتسـابًا وتطوعًا، فلو وكلنا هذا الأمر إلى التطوع والاحتساب، لضاعت هذه الشـعائر والقربات؛ ولهذا أجازوا أخذ الأجرة عليها.

الاجتهاد الإنشائي:

وهناك نوع آخر من الاجتهاد، وهو الاجتهاد الإنشـائي، والمراد به: استنباط حكم جديد في مسألة من المسائل، لم يقل به أحد من السابقين، سواء كانت المسألة قديمة أم جديدة.

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا: أنَّ الاجتهاد الإنشائي قد يشمل بعض المسائل القديمة؛ بأن يبدو للمجتهد المعاصر فيها رأي جديد لم يُنقل عن علماء السلف.. ولا حجر على فضل الله تعالى.

والقول الصحيح الـذي نرجحـه: أنَّ المسـألة الاجتهادية التي اختلف فيها الفقهاء السابقون على قولين، يجوز للمجتهد فيما بعد أن يُحدث قولًا ثالثًا، وإذا اختلفوا على ثلاثـة أقوال، يجوز أن يحدث رابعا، وهلم جرا.

وذلك لأنَّ الخلاف فيها يدل على أنَّها قابلـة لتعدد وجهات النظر، واختـلاف الآراء، وآراء أهـل النظـر والاجتهـاد لا يجـوز تجميدها، ولا إيقافها عند حد معين.

وهذا ما جعلنـي أختـار فـي زكاة الأرض المُسـتأجَرة: أن يزكي المسـتأجر الزرع والثمر الذي يحصلـه من الأرض ـ إذا بلـغ نصابًا ـ محسـومًا منه مقدار الأجرة التي يدفعها لمالـك الأرض ومؤجرها له؛ باعتبارها دينًا عليه، وبذلك يزكي ما خلص له من زرع الأرض.

وأمَّا المالك المؤجر، فهو يزكي ما يقبضه من أجرة الأرض ـ إذا بلغ نصابًا ـ محسـومًا منه ما يدفعه من ضرائب عقاريـة مفروضة على رقعة الأرض. وبذلك يزكي كل منهما ما وصل إليه من مال عن طريق الأرض، كما لو اشتركا فيها بطريق المزارعة، فإن كلًّا منهما يزكي نصيبه.

وهذا القول بهذه الصورة لم يذهب إليه أحد ممن سـبق. وإنَّما قال أكثرهم: زكاة الزروع والثِّمار في الأرض المستأجرة على المستأجِر، وقال أبو حنيفة: على المالك المؤجِّر.

QaradawiBooks.com

وسبب الخلاف كما قال العلامة ابن رشد في «بداية المجتهد»: هل الزكاة ـ أو العشر ـ حق الزرع أو حق الأرض، أو حق مجموعهما؟ إلا أنَّه لم يقل أحد: إنَّه حق لمجموعهما، وهو في الحقيقة حق مجموعهما.

ومثل ذلك اجتهادنا: أن يكون للزكاة في النقود اليوم نصاب واحد لا نصابان، وأن الأولى أن يقدر النصاب بقيمة نصاب الذهب لا الفضة، وأنَّ هذا ليس خروجًا على النص ولا الإجماع، كما هو مبين في موضعه.

على أن أكثر ما يكون الاجتهاد الإنشائي في المسائل الجديدة، التي لم يعرفها السابقون، ولم تكن في أزمانهم، أو عرفوها في صورة مُصغَّرة، بحيث لا تكوّن مشكلة ولا تدفع الفقيه إلى البحث عن حل لها باجتهاد جديد. فكما أنَّ الحاجة هي التي تدفع إلى الاختراع، فإن معاناة المشكلة هي التي تدفع إلى الاجتهاد.

من ذلك ما ذهب إليه علامة زمانه مفتي الديار المصرية: الشيخ محمد بخيت المطيعي في رسالته «القول الكافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي» أنَّ هذا التصوير حلال، لأن علة التحريم هي مضاهاة خلق الله، وهذا التصوير ليس مضاهاة لخلق الله تعالى، وإنَّما هو خلق الله نفسه انعكس على الورق، كما تنعكس الصورة في المرآة، واستطاع الإنسان بالعلم أن يثبتها بوسائط معينة، إلخ.

وهذا في نظري اجتهاد إنشائي صحيح، يؤيده أنَّ أهل قطر والخليج يسمون التصوير «عكسًا» والصور «عكوسًا» والمصور «عكَّاسًا» ويقول أحدهم للمصور «اعكسني» أو «متى آخذ منك العكوس»، إلخ.

ولو أنَّ الناس سموا هذا التصوير أول ما عرف في بلادنا «العكس»، ولم يطلقوا عليه لفظ «التصوير» ما ثارت الشبهة في أذهان كثير من

QaradawiBooks.com

المتشـــدِّدين الذين يحرمـــون كل «عكس» ولـــو كان «تليفزيونيًّا» مع أنَّ الصورة التي نشـــاهدها في التلفاز هي انعكاس خلق الله نفســـه، وليس صورة مضاهية له.

ومن ذلك ما ذهب إليه جماعة مـــن علماء العصر من وجوب الزكاة في إيراد العمارات الســـكنية المؤجَّرة، وكذلك المصانع ونحوها. وهو رأي المشـــايخ: محمد أبي زهرة، وعبد الوهاب خلَّاف، وعبد الرحمن حسن، وهو ما رجحناه وأيدناه بالأدلة في كتابنا «فقه الزكاة»[1].

* * *

(١) فقه الزكاة (٤٦٩/١) وما بعدها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢٣

السبق الزمني في الإسلام[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

خيرُ ما أحيِّيكم به أيُّها الإخوة الأحبَّة تحيَّة الإسلام، تحيَّة من عند الله مباركة طيِّبة، فسلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته.

ونحمد الله تبارك وتعالى أن جمعنا في هذه الأيَّام الطيِّبة على نعمة الإسلام، وعلى أخوة الإسلام، وعلى بركة الإيمان والقرآن، فنحن في هذه الأيام نعيش في رحاب القرآن، وفي ظلال سيرة محمد ﷺ، وفي ظلال سيرة الأماجد من أصحاب رسول الله ﷺ. نحن في أيام طيبة نسأل الله ﷻ أن يجعل ثمرتها أن يُظلنا في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، وأن يدخلنا جنته ببركة الحب فيه، حيث يقول ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

(١) ألقيت ضمن زيارتي إلى جنوب أفريقيا، بدعوة من مجلس القضاء الإسلامي هناك، في أبريل ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

المسجد الأول:

نحن نلتقي أيُّها الإخوة في المسجد الأول، الَّذي أسس في هذا البلد، وللأولية والسبق الزمني قيمة عند الله وعند الناس، وفي الإسلام، وفي كل العالم، الزمن الأوَّل والسبق الزمني له قيمة، القرآن الكريم يقول عن الكعبة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. كانت الكعبة أعظم بيوت الله؛ لأنَّها أوَّل بيت وضع في الأرض، ليُعبد الله ﷻ فيه، ولهذه الأولية قيمتها.

القرآن يقول: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. ويقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فالأنصار أيضًا فيهم سابقون، الَّذين عاهدوا النبي ﷺ في بيعة العقبة، هذا السبق له قيمة وأفضلية، حتى إن من فضلهم أنَّ القرآن جعل الَّذين اتبعوهم بإحسان يدخلون معهم في قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

وحينما أراد النبيُّ ﷺ أن يفتح مكَّة أرسل أحد الصحابة رسالة إلى أهل مكة يخبرهم فيه بقدوم جيش النبيِّ ﷺ، وكان النبيُّ ﷺ حريصًا على السرية، حريصًا على ألا يعلم أهل مكة وقريش بقدوم النبيِّ ﷺ فيستعدوا للقتال والسلاح، والحراب والرماح. ولكنَّ النبيَّ ﷺ أحبَّ أن يفاجئهم حتى يجبرهم على التسليم بأقل قدر ممكن، فهذا الصحابي

QaradawiBooks.com

حاطب بن أبي بلتعة أرسل إليهم كتابًا يخبرهم بقدوم النبي ﷺ إلى مكة، واكتشف النبي ﷺ هذا الكتاب من خلال الوحي، وأرسل بعض أصحابه في طلبه، فأخذوه من المرأة التي حملته معها، وعادوا به إلى النبيِّ ﷺ.

ولما علم الصحابة رضوان الله عليهم بشأن هذا الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا الرجل؛ فقد نافق. لأنَّه ارتكب خطيئة نعتبرها في عصرنا خيانة كبرى للدولة، فقد أخبر الأعداء بأسرار الجيش، وهذا يترتب عليه قتل آلاف، وتغيير مسار المعركة، فمن شأن هذا الجاسوس أن يُقتل، ولذلك قال سيدنا عمر: دعني أضرب عنقه فقد نافق. فقال له النبي ﷺ: «**وما يُدريك يا عمر، لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شِئتم؛ فإنِّي قد غفرتُ لكم**»[1]. شفعت للرجل سوابقه التاريخيَّة.

أهميَّة السبق الزمني:

السبق الزمني أيُّها الإخوة له قيمة، ولذلك نحتفي دائمًا ونقول: هذا أوَّل من فعل كذا، وهذا أوَّل من بدأ كذا. ولذلك نحن نحتفل هنا بالشيخ عبد السلام في الحقيقة، اجتماعنا في هذا اليوم هو احتفال بهذا الرجل الَّذي أدخل الإسلام إلى هذا البلد، فالشيخ عبد السلام له قيمة تدعونا إلى أن نحتفل به، لأنَّه من السابقين الَّذين أدخلوا الإسلام بإصرار إلى هذا البلد.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.

QaradawiBooks.com

ونرى أسرار الله ﷻ في شأن هذا الرجل أيُّها الإخوة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، أراد الهولنديون أن ينفوا هذا الرجل، ويبعدوه عن أهله وبلده، ومسقط رأسه ومنبت نفسه، ومجمع حلفائه وملتقى أحبائه، يبعدوه عن هذا كله من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ولكن شاء الله أن يخيب سعيهم، وأن يعمل الرجل على إقامة الإسلام في منفاه.

والمسلم أيُّها الإخوة حيثما حلَّ وُجِد الإسلام معه، خصوصًا إذا كان من أهل العلم، وكان من أهل الدَّعوة، لا يمكن أن يحتكر هذا الخير لنفسه، أعطاه الله نورًا وهداية، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، فلا بدَّ أن ينشر هذه الهداية إلى الآخرين، ليس أنانيًّا، لا يريد أن يدخل الجنة وحده، بل حرص على إدخال الآخرين الجنة معه.

جهود الشيخ عبد السلام الأندونيسي:

ولذلك عمل الشيخ عبد السلام رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وأدخله الفردوس الأعلى، وجزاه على صبره وثباته وجهاده، ونشره دعوة الله في هذه البلاد هذه السنين كلها، نسأل الله تعالى أن يجعله من الصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. كان من عمله إقامة هذا المسجد الأول، والأولية تبدو في بنائه حتى أنَّهم لم يتقنوا تحديد القبلة، لم يكن يوجد رجال مهندسون يعرفون هذا الأمر بالضبط فاجتهدوا وسعهم.

وهذا المسجد الأوَّل يجب أن نحتفي به، ونحتفي بالروَّاد الأوائل، حينما يريد الله ﷻ لهذا الدين أن ينتشر يهيئ له الأسباب، الَّذين قالوا: إنَّ الإسلام انتشر بالسيف؛ فالشيخ عبد السلام لم يرفع السيف، بل كان السيف مرفوعًا فوق رأسه!

QaradawiBooks.com

كيف انتشر الإسلام؟

ومن أين جاء الشيخ عبد السلام؟ جاء من إندونيسيا، إندونيسيا كيف دخل إليها الإسلام، لم يأتِ جيش إلى إندونيسيا، ولم يدخل جيش إلى ماليزيا، إنَّما انتشر الإسلام بالمسلمين، وبأي مسلمين؟ ليسوا من العلماء والدعاة المجهزين، والمتخصصين والمتفرغين لنشر الدعوة، لم يفعل المسلمون كما يفعل النصارى في تنصير الناس يُلقون الدروس والمواعظ وينفقون الأموال، أمَّا المسلمون فينشرون دعوتهم بما تيسر، بعض المسلمين من اليمنيين والحضارمة وشبه الجزيرة العربيَّة وجنوب اليمن: ذهبوا إلى ماليزيا، وذهبوا إلى إندونيسيا تُجارًا، يأخذون التوابل والأشياء من هناك ويأخذون معهم أشياء مقابلة، وتعاملوا مع الناس، وعاشوا معهم مدَّة، وتزوَّجوا منهم، وأحبهم الناس؛ فقد وجدوا فيهم الصدق والأمانة في معاملاتهم، يحبون الخير لخلق الله، يتطهرون وهم يتعبدون، فسألوهم من أنتم؟ فقالوا نحن مسلمون. ومن هنا بدأ السؤال عن الإسلام، والتعرف عليه.

دعوة بالفطرة:

وربَّما يكون الشخص العادي أنفع في نشر الدعوة من الشخص المتخصص؛ لأن المتخصص في دعوته للإسلام يظل يفصل ويشرح تعاليم الإسلام، من عقيدة وعبادة، وأخلاق ومعاملات، وتشريعات، وقد يزيد في الشرح والتفصيل؛ فيقول: العقائد إلهيات، ونبوات، وسمعيات، أمَّا الإلهيات فهي كذا وكذا. ثم يمضي في بيان مبادئ الإسلام.

أمَّا الرجل العادي إذا سُئل عن الإسلام أجاب: الإسلام أن تقول:

QaradawiBooks.com

يا رب. أن تقول: لا إلٰه إلا الله، وألا تعبد صنمًا ولا وثنًا، وأن تصلي خمس صلوات في اليوم والليلة، وأن تحب الخير للناس. بهذا انتشر الإسلام أيُّها الإخوة، حتى أصبحت إندونيسيا أكبر بلد إسلامي الآن! المسلمون فيها مائتان وخمسون مليون من البشر، هكذا انتشر الإسلام.

ولذلك نحن في هذه الليلة نحيي الرواد، الَّذين جاؤوا بالإسلام من الشرق الأقصى إلى هذه البلاد، ونشروا هذا الدين، وأنتم خلفاؤهم ووارثوهم إن شاء الله، نسأل الله أن ينشر بكم الإسلام في هذه البلاد.

وأنا معتقد أنَّ يومًا آتيًا إن شاء الله سينتشر نور الإسلام في هذه البلاد، لن تجد الدنيا نورًا تهتدي به، ولن تجد دواءً تتداوى به، ولن تجد ما يطفئ سُعارها المادِّي الَّذي تشكو منه البشرية كلها الآن، ولن تجد ما يهديها من حيرتها إلا الإسلام! الإسلام هو الَّذي يعطيها قارورة الدواء، وهو الَّذي يعطيها مضخة الإنقاذ، فتجد نور الله الحقيقي غير محرَّف ولا مبَدَّل، لهذا الدين الَّذي أكرمنا الله به، وجاء به محمد ﷺ، وامتن الله به علينا حينما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

نسأل الله أن يحيينا على الإسلام، ويمتنا على الإسلام، ويعزِّنا بالإسلام، ويعزَّ بنا الإسلام، ويرفع بنا راية القرآن، ويحبب إلينا الإيمان، ويزينه في قلوبنا، إنَّه سميع قريب.

أكتفي بهذا القدر لنتلقى الأسئلة من الإخوة ومن الأخوات أيضًا، فمن حقهن أن يسألن، كان النساء يجلسن مع رسول الله ﷺ، ويسألنه

QaradawiBooks.com

فيما يحتجن من أمر الدنيا والآخرة، ولم يكتفين بهذا؛ بل طلبْنَ من النبيِّ ﷺ أن يُخَصِّص لهنَّ يومًا يعظهنَّ فيه، قلن: يا رسول الله، لقد ذهب الرجال بحديثك، فاجعلْ لنا من نفسك يومًا. نريد أن تزيدنا يومًا خاصًّا بنا، وقد استجاب النبي ﷺ لطلبهن[1]، فنحن نستقبل الأسئلة من الجميع إن شاء الله.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣١٠)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٣)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

إجاباتي على الأسئلة

غير مرخصة للطباعة

المشاركة في الانتخابات البرلمانيَّة:

السؤال الأول: ما حكم المشاركة في الانتخابات البرلمانية، التي تجري في البلدان الإسلامية؟

الجواب: الانتخابات معناها: أن تختار بين اثنين أو أكثر، وهذا مهم، أن يكون للإنسان حق الاختيار، لأنَّ الإنسان الحر هو الَّذي له حق الاختيار، والإنسان المستعبد ليس له إرادة، لا يستطيع أن يختار شيئًا، فالاختيار أمر مهم جدًّا.

وقد بدأ منذ حياة النبي ﷺ في صورة مصغرة، حيث قال ﷺ للأنصار في ليلة العقبة: «**اختاروا نُقباءَكم**»[1]. لا أستطيع أن أكلم كل واحد منكم، فاختاروا نقباء عنكم، ومعنى هذا أن كلَّ نقيب يمثل جماعته، هم الَّذين يختارونه فيكون الممثل لهم، هذه صورة مبسطة للانتخابات، وهذا من طبيعة الأشياء تبدأ صغيرة ثمَّ تكبر، وتبدأ مبعثرة ثمَّ تنتظم.

والانتخابات في عصرنا هي وسيلة لما يسمونه وسائل الديمقراطيَّة، والديمقراطيَّة الحقيقية يقف الإسلام معها، لأنَّها تمثل ما يريده الإسلام في حكم الناس، الإسلام يريد للناس أن يحكمهم من يريدونه، لا من يقهرهم. والحكم الإسلامي يقوم على أن يختار الناس رئيسهم أو إمامهم أو ملكهم، أو غير ذلك من الألقاب، أو أيًّا كان اسمه.

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٩٨)، وقال مخرِّجوه: حديث قويٌّ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٨١): رجال أحمد رجال الصحيح؛ غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. عن كعب بن مالك.

نسخة مرقمة
QaradawiBooks.com

سألني بعضهم هل يجوز أن يسمَّى الحاكم ملكًا؟ قلت: نعم، كان سيدنا سليمان عليه السلام ملكًا، وبعث الله طالوت ملكًا، ومدح الله ملكة سبأ، ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣٢]، طلبت منهم أن يشاركوها رأيها، فهذا هو الحكم الديمقراطي، أن يختار الناس رئيسهم وممثليهم أو يبايعوهم، وفي الإسلام أيضًا يختار الناس ويبايعون.

ولكن على أي أساس يبايعون؟ يبايعون على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فنحن نؤيد الديمقراطيَّة في المجتمع المسلم، لا بدَّ أن يُوجد المجتمع المسلم؛ حتى تكون الديمقراطيَّة على الأساس الإسلامي، فنحن لا نأخذ من الديمقراطيَّة فلسفتها الليبرالية وغيرها، لا، ندع هذه الفلسفة لأهلها، ولكننا نأخذ الآليات والوسائل والضمانات، ومن وسائل الديمقراطيَّة أن يكون للناس الحرية في أن ينتخبوا من يشاؤون.

وهناك الديمقراطيَّة في البلاد الاشتراكيَّة؛ قال أحد الكتاب في يوغسلافيا الَّذين نقدوا الاشتراكيَّة ـ وقد كان اشتراكيًّا ـ قال: إنَّ الانتخابات في البلاد الاشتراكيَّة سباق يعدو فيه حصان واحد. فلست تنتخب فلانًا أم فلان؟ لا يخيرك بين عدة أشخاص؛ بل هو هذا الشخص نفسه تختاره أم لا؟ وفي الغالب تخرج النتيجة أربع تسعات (٩٩,٩٩٪).

الانتخابات إذن هي الوسيلة الصحيحة لمعرفة من يختاره الناس، ويريدون أن يقودهم؛ بشرط ألا تُزيَّف نتائج الانتخابات، إنَّما يكره الإسلام الَّذين يقودون الناس بالعنف وبالجبروت!

QaradawiBooks.com

لماذا ذمَّ القرآن فرعون؟ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، لأنَّهم يقودون الناس بالجبروت، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]، فالإسلام يحب أن يقود الناس من يختارونه بكل حرية، وبكل إرادة، وفي الحديث الصحيح الَّذي رواه الإمام مسلم: «**خيار أئمَّتكم الَّذين تُحِبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصَلُّون عليهم، ويُصَلُّون عليكم**». الصلاة هنا بالمعنى اللغوي، أي تدعون لهم ويدعون لكم، «**وشرارُ أمرائكم الَّذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[1]. وهذا للأسف حال الكثير من حكَّام المسلمين! فالانتخابات وسيلة عظيمة نتمنى أن تشيع في بلاد العرب والمسلمين، على أن تكون انتخابات حقيقية، وليست مُزيَّفة.

الأكل من طعام أهل الكتاب:

السؤال الثاني: يقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥]. وعندما يزورنا بعض علماء الشرق ينكرون علينا الأكل من طعام أهل الكتاب، فما حكم الأكل من ذبائح النصارى؟

الجواب: طبعًا هناك اتجاهات، هناك أناس متشددون وهناك أناس ميسرون، الميسرون يقولون: الله تبارك تعالى أباح لنا طعام أهل الكتاب، وهو سبحانه أعلم بما يأكلون وأعلم بما يقولون. فلا يشترطون أن يسمي الكتابي على الذَّبيحة باسم الله، يقولون: الله أعلم إن كانوا يسمون على الذبيحة أم لا، وإن كانوا يذكرون اسم الله أم اسم المسيح أو غير ذلك،

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

علم الله هذا وقال: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: ٥]. والإمام ابن العربي له كلام كثير في هذا، حتى إنَّه يبيح أكل طعامهم حتى وإن لم يكن على مذبوحًا على طريقة المسلمين، وهذا الاتجاه موجود في المذهب المالكي.

وأنا ممَّن يتساهلون في هذه الأمور، ولا أحب التشديد فيها، ولكن مع هذا أمام المسلمين فرصة، فإن كان المتشدد متحرجًّا من أكل لحوم أهل الكتاب؛ فليس ضروريًّا أن يأكلها، يمكنه أن يأكل سمكًا أو بيضًا أو نحو ذلك، «**دعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ**»[1].

حكم الغناء:

السؤال الثالث: الغناء هل هو حلال أم حرام؟

الجواب: الغناء الحلال حلال، والغناء الحرام حرام، وهذا الجواب أخذته من الإمام حسن البنا، سألوه ذات مرة في حديث الثلاثاء: يا فضيلة المرشد، هل الحب حلال أم حرام؟ فقال لهم: الحب الحلال حلال، والحب الحرام حرام.

حكم التدخين:

السؤال الرابع: ما حكم تدخين السجائر؟

الجواب: أنا لي فتوى مطولة في الجزء الثاني من كتابي (فتاوى معاصرة)، بينت فيها حكم التدخين، وذكرت فيها أقوال العلماء، وأنا

(١) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٥١٨)، وقال: صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وصحح إسناده الحافظ في التغليق (٢١١/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٢)، عن الحسن بن علي.

QaradawiBooks.com

ممن يميلون إلى تحريم التدخين، وأرى أنَّ كلَّ الأدلَّة الشرعيَّة والصِّحِّيَّة، والعقليَّة والنقليَّة تقول: إنَّ هذا التدخين حرام. إنسان يشتري ضرره بالمال، هل يجوز لأحد أن يضرَّ نفسه؟ هذا حرام، «**لا ضررَ ولا ضرارَ**»[(١)]، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذ من هذه الآية أنَّه لا يجوز للإنسان أن يتناول أي شيء يضره، والتدخين قتل للنفس ولكنَّه قتل بطيء، الَّذي يشرب ويتناول هذه السيجارة ينتحر انتحارًا بطيئًا، وأصبحت الأمراض التي يسببها التدخين من سرطانات وغيرها أمرًا معروفًا، فهو يشتري ضرره وموته بماله، وهذا يزيد التدخين حُرمة: حُرمة من الناحية الصحية، وحُرمة من الناحية المالية.

وأيضًا حُرمة من الناحية الاجتماعية، أنَّه يؤذي غيره، هناك نوع من التدخين يسمونه (التدخين القسري)، فأنا مثلًا لا أدخن، ولكن حين أركب تاكسي أو سيارة قد يكون بجانبي من يدخن؛ فلا أطيق منه هذا،

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري. وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا.
قال ابن الملقِّن: وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث. وقال أبو عمرو ابن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به. وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. انظر: جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢، ٢١١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ويغمني طول الطريق بما يفعله، ويمكن أن أتضرر أكثر منه، فهذا فيه ضرر بالآخرين.

والضرورات الخمسة التي تحدث عنها علماء أصول، وهي المحافظة على الدين، والمحافظة على النفس، والمحافظة على العقل، والمحافظة على النسل، والمحافظة على المال، كل هذه الضرورات تؤدي إلى تحريم التدخين، لأنَّه يضر النفس، ويضر العقل، ويضر المال، ويضر النسل، فهذه الضروريات تؤذن بتحريم التدخين.

وانظر إلى اللفظ (السيجارة) فهي نار مسجرة مسعرة، نشتريها من شركات رأسمالية يهودية صهيونية، تعمل ضد المسلمين، تأخذ مالك وتعطيه لأعدائك، فهل يفعل هذا عاقل؟ أنا لا أشك لحظة واحدة في أنَّ التدخين من المحرَّمات، ومستعد أن أجادل علماء العالم كلهم في ذلك.

وعندما ظهر التدخين أيُّها الإخوة عام ١٠٠٠هـ. اختلف العلماء في حكمه، فمن قائل بحله، من قائل بحرمته، ومن قائل بكراهته، ومن قائل بأنه تجري عليه الأحكام الخمسة، قد يكون حلالا، وقد يكون حرامًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون مباحًا، وقد يكون مستحبًا، وقد يكون فرضًا! وأحد الناس قال لي في مرة: هو ليس حرامًا إنَّما هو مكروه فقط. فقلت له: طيب يا أخي، إذا سلمنا أنَّه مكروه، فكم مرة تفعل هذا المكروه في اليوم؟ قال: أربعين مرة تقريبًا. فقلت له: ألا يصير أربعون مكروهًا حرامًا؟! فلا شك في تحريم التدخين.

الشذوذ الجنسي والتعامل معه:

السؤال الخامس: الشذوذ الجنسي ظاهرة جديدة، فكيف نتعامل معها والنبيُّ ﷺ يقول: «**اقتلوا الفاعلَ والمفعولَ**»؟

QaradawiBooks.com

الجواب: أوَّلًا هذه الظاهرة ليست جديدة، وإنَّما كانت جديدة في عصر سيِّدنا لوط عليه السلام، لأنَّه قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]. وقد سمَّاهم الله بالمجرمين والمفسدين والجاهلين والعادين، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وصفهم بكل سوء والعياذ بالله.

كان هذا في عصر لوط، ولم يعودوا في عصرنا يسمونه (الشذوذ)، لأن لفظ الشذوذ فيه إنكار، فسموه (المثلية)، يقولون: واحد يميل إلى مثله فليس في ذلك شيء.

وأنا كنت في لندن سنة ٢٠٠٤م. حين أنشأنا الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هاج عليَّ اللوبي اليهودي في لندن، وأرادوا أن يخرجوني من لندن بعد أن دخلت بفيزا، ولكن الله نصرنا عليهم بحمد الله، وكان من ضمن الأسباب التي جعلتهم يصرون على إخراجي من لندن ثلاثة أسباب أساسية، هناك أسباب كثيرة، **ولكن أهمها ثلاثة:**

الأول: أنِّي أفتي بجواز العمليات الاستشهادية على أرض فلسطين، ويعتبروننني المفتي الأوَّل في هذه القضية، الَّذي يتحمل مسؤوليتها.

والأمر الثاني: أنِّي أجيز ضرب المرأة.

والأمر الثالث: أنِّي أتخذ موقفًا عدوانيًّا من الشَّواذ جنسيًّا.

وقد دافعت عن نفسي أمام التلفزيون البريطاني، وقلت لهم: أمَّا مسألة العمليات الاستشهادية فهذه ضرورة، أعطوا الفلسطينيين بعض

QaradawiBooks.com

ما عندكم من الدَّبابات والطائرات، والصواريخ والمدافع، ولن تجدوا أحدًا منهم يقوم بهذه العمليات، هم أناس يدافعون عن أنفسهم، ولا يملكون شيئًا، ولو قليلًا من السلاح؛ فماذا يفعل أحدهم؟ لم يجد إلا أن يجعل من نفسه قنبلة بشرية يدافع بها عن نفسه وقومه وأرضه، وعن عرضه وحرماته، فهذه ضرورة، ويوم يجدون غيرها سيستغنون عنها، وهذا ما حدث بعد أن ملك الإخوة ـ نسأل الله أن ينصرهم ويؤيدهم بروح من عنده ـ بعد أن صنعوا صواريخ القسَّام وهي صواريخ محدودة التأثير، ومع هذا منذ أن ملكوها لم يقوموا بهذه العمليات الاستشهادية. فسكت المذيع، وهو مذيع مشهور في بريطانيا، له برنامج يومي مشهور.

وقلت له: أمَّا ضرب المرأة فلست أنا الَّذي أبحته، القرآن هو الَّذي شرعه، فإذا كنتم تريدون أن تلغوا الضرب الغوا القرآن، أمَّا أنا فلا أستطيع أن أفعل شيئًا من هذا، ثم أنتم لا تفهمون هذا التشريع الَّذي شرعه القرآن، أنتم تتصورن أن يأتي الرجل بسوط أو كرباج ويضرب امرأته، لا، بل هناك قبل مرحلة الضرب مرحلتان: مرحلة الوعظ، ثم مرحلة الهجر في المضاجع، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

ثم إنَّ الضرب المشروع هو الضرب غير المُبَرِّح، كما قال ﷺ: «**واضربوهنَّ ضربًا غير مُبرِّح**»[1]. والنبيُّ ﷺ قال للجارية وقد أغضبته

(١) رواه الترمذي في الرضاع (١١٦٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في النكاح (١٨٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٠)، عن عمرو بن الأحوص.

QaradawiBooks.com

يومًا في شيء: «**لولا مخافةُ القَوَدِ** (القِصَاص) **يومَ القيامة؛ لأوجعتُكِ بهذا السواك**»[١]. فكان الرجل معجبًا بهذه الردود.

وقلت له: وأمَّا الشَّواذ فأنا موقفي منهم ليس غريبًا، هو موقف اليهودية والمسيحية والإسلام، هو موقف التوراة والإنجيل والقرآن، هو موقف حاخامات اليهود، وآباء النصارى، ومشايخ الإسلام؛ اسأل أي أحد من هؤلاء؛ فلن تجد أحدًا يجيز هذا الشذوذ، ولو أنَّ البشرية اتفقت على جواز هذا الأمر لفنيت بعد جيل واحد، لو استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء لانتهت البشرية.

بعد تلك الردود وبعد انتهاء البرنامج قال لي المذيع: لقد تعلمت منك في هذه الجلسة. فهؤلاء الشواذُّ هم أسوأ فئة للأسف وإن كانت بعض الكنائس تبارك فعلهم، ويظهر في وسائل الإعلام القسيس الفلاني، وهو يعقد زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وهذا شيء يؤسف له أن يبارك رجال الدين هذا المنكر، فالمفروض أن تتعاون الأديان كلها في محاربة هذه الجريمة النكراء والوقوف ضدها، لأن هذا الأمر ضد الفطرة.

وإذا كان عند بعض الناس نوع من الميل للجنس ذاته؛ فيجب أن نعتبره مثل الَّذين عندهم إدمان، ونعالجه من هذا المرض بطريقة معينة، ولا نتركه للميول والأهواء والغرائز؛ لأن الإنسان لو تُرك للغرائز فسد

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوَّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

QaradawiBooks.com

وأفسد ما حوله، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. فلا نعالجه بالقتل، فالقتل مختلف فيه، والحديث غير متفق على صحته.

صلاة المُتَنَفِّل بالمُفْتَرِض:

السؤال السادس: هل يصحُّ أداء صلاة الفريضة خلف متنفل لمن فاتته صلاة الجماعة؟

الجواب: هذه مسألة خلافيَّة بين العلماء، والصحيح أنَّه يجوز أن يُصلي الفرض وراء من يصلي النافلة، وصلاة النافلة وراء من يصلي الفريضة، وكان بعض الصحابة يصلي مع رسول الله ﷺ، ثم يرجع إلى قومه فيؤمهم، فتكون صلاته نافلة، وصلاتهم فريضة، ومذهب أبي حنيفة متساهل في ذلك، فهو يجيز صلاة المفترض بالمتنفل، والمتنفل بالمفترض، والمتوضئ بالمتيمم، والمتيمم بالمتوضئ وهكذا، فهو ميسر في هذا الأمر، ومنهجي كما قلت لكم هو التيسير: التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة.

مفهوم السلفية:

السؤال السابع: ما هو مفهوم السلفية؛ خاصة أنَّ هناك من يعتبرون أنفسهم اليوم الفرقة الناجية، ويعتبرون من عداهم في ضلال مبين؟

الجواب: هناك مفاهيم يظلمها أهلها أكثر مما يظلمها خصومها، من هذه المفاهيم مفهوم السَّلفية، ما معنى السَّلف؟ السلف هم السابقون الَّذين سلفوا ومضوا، والسلف أيضًا يُطلق على القرون الأولى، الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان وعصور الأئمة الأخيار. البعض يقول: إلى

QaradawiBooks.com

ثلاثمائة سنة. والبعض الآخر يقول: غير هذا. هؤلاء هم السَّلف، ودائمًا نقول: سلفنا الصالح. وسلفنا الصالح كانوا متسامحين جدًّا، كانوا يختلفون؛ ولكن يسع بعضهم بعضًا، تختلف آراؤهم ولا تختلف قلوبهم.

ولكن بعض هؤلاء الإخوة حصروا السَّلفية في نطاق معين، ومن خرج عن هذا النِّطاق يُعْتبر خارجًا عن السَّلف، والأصل في السلفية أنَّها تطلق على الحنابلة بالذات، وبعض الناس يعتبرون الحنابلة متشددين، وفي مصر إذا أرادوا أن يعبروا عن تشدد أحد في أمر من الأمور يقولون: هل أنت حنبلي؟ أي متشدد!

والحقيقة أنَّ الحنابلة ميسرون جدًّا في الناحية العملية الفقهية، فليس مقصودًا أنَّهم متشددون في الفقه، وإنَّما المقصود أنَّهم متشددون في العقيدة، منذ زمن بعيد وهم متشددون في العقيدة، خصوصًا في مسألة تأويل الصفات وعدم تأويلها، حتى أنَّ الحنابلة ذهبوا إلى الإمام الطبري، ورموا بيته بالحجارة، مع أنَّ الإمام الطبري إمام في التفسير، وإمام في الحديث، وإمام في الفقه له مذهب، وكان أتباعه يسمون (الطَّبرية)، فجعلوا الرجل يترك البيت ويهرب، وبعض الناس هربوا من بغداد من أجل تعصب الحنابلة.

الخلاف في القضية هو حول مسألة تأويل الصفات وعدم تأويلها، وهذه قضية تحتمل الخلاف، أنا لي كتاب اسمه (فصول في العقيدة بين السَّلف والخَلَف)، ولي رأي في التأويل وعدمه، قربت فيه المسافة بين الطرفين، ولكن إخواننا لا يقبلون إلا رأيهم، ولا يأخذون إلا عن شيوخهم، وكل من خالفهم يضربون برأيه عُرض الحائط، وأنا أرى أن هذا المنهج ليس صوابًا، الصواب أن لكل واحد رأيه.

QaradawiBooks.com

خلاف مع الأشاعرة:

وبعضهم يعتبر الأشاعرة منحرفين، وفرقة من الفرق الضالة. قال لي بعضهم ذلك، فقلت له: أنت بهذا تجعل الأمة الإسلامية كلها منحرفة وضالة، لأن الأغلبية الكبرى في أمة الإسلام أشاعرة، الأزهر أشعري، وديوبند أشعرية، وندوة العلماء أشعرية، والزيتونة أشعرية، والقرويين أشعريين، المدارس الدينية في العالم الإسلامي كلها تدرس مذهب الأشاعرة، فإذا كانت الأشاعرة من الفئات الضالة والمنحرفة، ومن الاثنتين وسبعين فرقة الَّذين سيدخلون جهنم؛ كما أشار إلى ذلك الحديث، فالأمة كلها ضالة ومنحرفة!

وهذا الحديث في الحقيقة أنا ضعفته، في كتاب لي اسمه «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، تحدثت فيه عن حديث الفرق الثلاث والسبعين، وضعفته سندًا ومتنًا[1]، وأنَّه لا يجوز أن يُؤخذ مثل هذا الحكم الخطير على الأمة الإسلامية من حديث اختلف العلماء في تصحيحه، فمثل هذا لا يصلح، إذا كنا في مسائل الحلال والحرام نقول: لا بدَّ من حديث صحيح مقبول تمامًا. فأهم من مسائل الحلال والحرام ما يتعلق بالعقائد، والحكم على الناس وتفريقهم فرقًا، وأنَّهم كلهم في جهنم إلا فئة واحدة؛ وكل واحد يعتقد أنَّه الفرقة الناجية، وما عداه فهو في النار، فأنا ضعفت هذا الحديث.

---

(١) الصحوة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ٣٤ ـ ٣٨، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

موقف من التصوف:

ولإخواننا السلفيين موقف من التَّصوف، وقريبًا منذ أسابيع قليلة كان لي حديث عن التصوف في برنامج (الشريعة والحياة) الَّذي تبثه قناة الجزيرة القطرية يوم الأحد من كل أسبوع؛ في تمام الساعة العاشرة مساء بتوقيت مكة المكرمة، وقلت فيه: إن أحد إخواننا من أحبائنا هو الأستاذ محمد المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: ينبغي علينا أن نصنع توليفة، بأن نسلف الصوفية، ونصوِّف السلفية. أي نصنع مزيجًا منهما؛ لأن الصوفية عندهم روحانية ووجدان واهتمام بالسلوك وكذا، ولكن ليس عندهم انضباط، فيمكن أن تدخل بعض الشِّركيات على العقيدة، وبعض البدعيات على العبادة، وبعض السلبيات على التربية، كقول بعضهم: دع الخلق للخالق، واترك الملك للمالك، ومن قال لشيخه: لِمَ؟ لم يُفلح، ومن اعترض انطرد، ومن باح راح، والمريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل! كل هذه سلبيات عند الصوفية!

ومن هنا ينبغي علينا أن نضبط الصوفية بصرامة السلفية، وندخل على جمود السلفية وجفاف الروحانية عندها قدرًا من الصوفية، وهذا ما كان عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي يعتبرونه إمام السلفية، ويا ليت لهم نصيبًا حقيقيًّا من شيخيهم ابن تيمية وابن القيم، فهما من أعظم الصوفية، ومن السَّالكين الرَّبانيين، ومن أصحاب الأذواق العالية. وللإمام ابن تيمية مجلدان في فتاويه البالغة خمسة وثلاثين مجلدا: أحدهما اسمه (السلوك)، والثاني اسمه (التصوف).

ولابن القيم كُتب عديدة في التصوف منها: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، و«الجواب الكافي لمن

QaradawiBooks.com

سأل عن الدواء الشافي»، وآخرها الموسوعة الضخمة «مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى مقامات إياك نعبد وإياك نستعين»، فنحن نريد أن نصنع مزيجًا من الصوفية والسلفية، وفي الحقيقة بدأ بعض السلفيين الآن يخففوا قليلًا من غلوائهم، ويتبعوا شيئًا من هذا المنهج، حتى إن هناك من يقول لبعضهم: أنت خرجت من السلفية وأصبحت قرضاويًّا! وما ذنب القرضاوي إذا كان يدعو إلى الوسطية الإسلامية، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]؟!

حكم لبس النقاب:

السؤال الثامن: سافرت امرأة لطلب العلم في بلد آخر، ولفترة معينة، وحتى تأمن على نفسها الفتنة ارتدت النقاب، ولما انتهت من دراستها وأرادت الرجوع إلى بلدها نوت خلع النقاب؛ فهل تأثم بذلك؟

الجواب: أنا في الحقيقة لا أحبذ لبس النِّقاب ولست ضده، لا أمنع من يلبس النقاب، وقد وقفت ضد فرنسا حينما منعت الحجاب، ثم حينما منعت النقاب في هذه الأيام، وكتبت رسالة مطولة إلى جاك شيراك؛ لأني أرى أنَّ هذا ضد الحرية الشخصية والحرية الدينية، وهما حريتان مقدستان، فللمرأة الحق أن تلبس ما تؤمن وتعتقد أن عليها لبسه، لو أن امرأة تعتقد أن لبس النقاب واجب، وأنَّها إذ لم تفعل ذلك تقع في الإثم، هل أجبرها على أن تقع في الإثم وتدخل النار؟ لا يجوز لي ذلك.

أنا شخصيًّا أرى وجوب الحجاب بمعنى تغطية الرأس والعنق وهذه الأشياء، أمَّا الوجه والكفين وحتى القدمين فيهما خلاف؛ فأنا لا ألزم بهذا، وهناك أناس يقولون: إنَّ النقاب بدعة. وهذا غير صحيح، وليس له أصل في الإسلام؛ لكن هناك من يقول بهذا!

QaradawiBooks.com

والعجيب أنَّ الحنابلة المعاصرين أو السلفيين يقولون بالنقاب، مع أن ابن قدامة الحنبلي يقول في المغني: والمذهب أنَّ الوجه ليس بعورة، بدليل كذا وكذا[١]. فحتى المذهب الحنبلي لا يختار تغطية الوجه.

لكن لا أحبذ النقاب للأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب، فليس من المعقول لامرأة تلبس النقاب أن تدعو إلى الإسلام امرأة أخرى ليس على جسدها إلا القليل من الملابس، فرق كبير جدًّا بين هذه وهذه، لا يوجد قرب بينهم، ولكن عندما يكون اللقاء وجهًا لوجه يأنس الإنسان بمن يحدثه، ولذلك أنا أحبذ لأخواتي المسلمات اللائي يعشن في مجتمع مثل جنوب إفريقيا هنا، أو يعشن في بريطانيا، أو في الغرب أو في أمريكا: أن يلتزمن بالحجاب دون النقاب.

وأنا تناقشت مع علَّامة الجزيرة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قضية النقاب، وقلت له: يا سماحة الشيخ، أنا أرجو ألا تتشدَّدوا في هذا الأمر، فقد شاع التحلل والتفسخ بين جمهور المسلمات، ولم تعد القضية في كشف الوجه واليدين، ولكنها أصبحت في كشف الرأس والذراعين والساقين؛ بل في كشف الصدر والبطن والفخذين، ويلبسن ما يسمونه (الميني جيب، والميكرو جيب)، فإذا أرادت مسلمة أن تقف في وجه تيار الانحلال، الَّذي يريد أن يعري المسلمات وتلتزم بالحجاب، وتعتبر بهذا امرأة عظيمة جدًّا، كيف أقول لها: أنت فاسقة ومن أهل النار؟!

فقال لي: أنا معك يا شيخ يوسف، ولكن دع البلاد التي تنتقب فيها نساؤها أن تنتقب. فقلت له: ليس هناك مانع من ذلك، ولكن لا ينبغي أن

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٤٣١/١)، (٩٧/٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نُفسِّق ونؤثِّم من التزمن بالحجاب دون النقاب، هذا ما ينبغي أن نقوله في هذه القضية.

السؤال الثامن: هل يعتبر القتال بين المسلمين في الصومال جهادًا؟

الجواب: أنا أعجب كيف يكون القتال بين المسلمين بعضهم وبعض جهادًا في سبيل الله، والعياذ بالله؟! هؤلاء الَّذين يتقاتلون اليوم كانوا بالأمس يقاتلون جنبًا إلى جنب: الإثيوبيين والجماعات الأخرى، بعد أن كانوا فئة واحدة يقفون صفًّا واحدًا في محاربة الآخرين المعادين: أصبحوا يقتل بعضهم بعضًا!

وما رأيت أمة (أخيب) من الأمة الإسلامية، وما رأيت (أخيب) من أهل السنة في هذه الأمة، طالع نشرات الأخبار في أي قناة ترى كل ما يؤلم وما يبكي وما يحزن، ترى المسلمين في كل مكان يقتل بعضهم بعضًا، ويسفك بعضهم دماء بعض، ويستحل بعضهم دماء الآخرين، انظر في اليمن، وانظر في باكستان، وانظر في السودان، وانظر في الصومال، حتى في السعودية تجد هذا، إلى متى تقاتل هذه الأمة بعضها بعضًا؟ ثم نأتي ونقول: هذا جهاد. أي جهاد هو؟!

أنا دعوت إخواننا من الشباب المجاهدين إلى الجلوس مع إخوانكم، وأنا لم أعرف الشيخ شريف شيخ أحمد إلا من أيام المحاكم الإسلامية، جاء يطلب منا المعونة؛ عندما كانوا يقاتلون الإثيوبيين، فلما وجدناهم اختاروا الشيخ شريف قلنا: لعله خير وبركة. ثم قلبوا ظهر المجن!

هل يُعقل أنَّنا لم تعد عندنا وسيلة نستطيع أن نتفاهم بها غير السلاح؟! أي خيبة للأمة أكثر من هذا؟ ما عندها قدرة أن يجلس أبناؤها بعضهم إلى بعض، نتفاهم ونرى ما الَّذي يمكن أن نتفق عليه، والذي

QaradawiBooks.com

يمكن أن نختلف فيه، ما الَّذي يمكن أن ننفذه الآن، وما الَّذي يمكن أن نؤجله بفقه الأوليات؟!

أنا لي كتاب معروف اسمه «في فقه الأولويات» فمن المهم أن نعرف أي شيء هو رقم واحد؟ وأي شيء هو رقم اثنين؟ النبي ﷺ قال: «**الإيمانُ بضعٌ وستُّون** ـ أو بضعٌ وسبعون ـ **شُعبة، أعلاها لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياء شُعْبة من الإيمان**»[(١)]. إذن الَّذي يجعل الأدنى أعلى، والأعلى أدنى تختل عنده الأمور.

واستباحة دماء المسلمين مشكلة كبيرة، وهذه هي التي وقع فيها الخوارج، والخوارج ـ أيُّها الإخوة ـ عُبَّاد نساك صُوَّام قُوَّام قُرَّاء للقرآن، النبيُّ ﷺ قال: «**يَحْقِر أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقراءتَه إلى قراءتهم، وصيامَه إلى صيامهم**». ولكن قال ﷺ عنهم: «**يمرُقون من الدِّين كما يمرُق السَّهم من الرَّمِيَّة، يقرؤون القرآن لا يجاوزُ حناجرَهم**»[(٢)]. لا يحسنون الفهم للقرآن، آفتهم في رؤوسهم وليس في ضمائرهم، ضمائرهم طيبة فهم أناس عُبَّاد يطلبون الجنة، ولكن أحدهم لأنَّه يطلب الجنة يقتل علي بن أبي طالب!

لماذا قتلوا علي بن أبي طالب؟ قتلوه تقربًا إلى الله، ليس بينهم وبين علي بن أبي طالب خصومة شخصيَّة، إنَّما هو في نظرهم كافر، حكَّم الرجال في دين الله؛ فيجب أن يُقتل! ومدح أحدهم عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، ابن الإسلام البكر، وسيف الإسلام الخالد، وحكيم الأمة، فقال:

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يا ضربةً من تقيٍّ ما أرادَ بها إلَّا ليَبْلُغَ من ذي العَرْشِ رِضْوَانَا
إنِّي لأذكره يومًا فأحسبُه أوفَى البريَّة عند اللهِ ميزانَا[1]!

يرى أن قاتل علي بن أبي طالب أفضل رجل في العالم، أوفَى البرية عند الله ميزانًا؛ لأنَّه أراح البشرية من الكافر علي بن أبي طالب! فهذا من الغلو أيُّها الإخوة.

والغلو يفسد الأفكار، ويفسد الأعمال، ويفسد الأخلاق، ويفسد الحياة، ومن هنا كان تحذير النبيِّ ﷺ منه، يقول: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغُلُوِّ في الدِّين**»[2]. هذا ما رواه عنه ابن عباس، أمَّا ما رواه عنه ابن مسعود: «**هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون**»[3]. هلكوا وأهلكوا الأمة.

لماذا لا يأتي هؤلاء الَّذين يحملون السلاح والسيوف ويقتلون المسلمين، لماذا لا يأتون ويقاتلون هؤلاء الَّذين يهددون المسجد الأقصى، هؤلاء الَّذين يهددون القدس الشريف، هؤلاء الَّذين لا ندري ماذا يصنعون بنا غدًا، لعلنا ننام ونستيقظ ولا ندري ما يحدث للمسجد الأقصى!

لماذا نوجه سيوفنا إلى صدور بعضنا بعضًا؟! لماذا لا نوجهها إلى صدور الأعداء؟! حرامٌ على هذه الأمة، والله حرام على هذه الأمة، لا بدَّ

(١) من شعر عِمران بن حِطَّان، شاعر من الخوارج، كما في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١١٢٨/٣).
(٢) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، جميعهم في المناسك، عن ابن عباس.
(٣) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠).

QaradawiBooks.com

للإنسان أن يحتاط لدينه، روى الإمام البخاري أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يزال المسلمُ في سَعَةٍ من دينه؛ ما لم يُصب دمًا حرامًا**»[١]. تكون في فسحة من دينك إلا إذا أصبت دمًا حرامًا، عندها تضيق عليك الأمور، وتضيق عليك المسالك، فهذا ما أدعو إليه المسلمين في كل مكان، بدل أن يسفك بعضهم دماء بعض: أن يوجهوا أسلحتهم وما عندهم من قوة إلى أعدائهم.

وفي ختام لقاءنا هذه الليلة أنادي الجميع: أنَّ الأقصى في خطر، الأقصى في خطر، الأقصى في خطر، ويجب أن نستعدَّ لمقاومة هذا الخطر أيُّها الإخوة، وفي كل يوم يزداد الخطر، يزداد اقترابًا ويزداد تلاصقًا، ويزداد احتكاكًا، ونسأل الله ﷻ أن يجندنا لتحرير الأقصى، وأن يجعلنا جندًا من جنوده؛ للدفاع عن هذا المسجد العظيم، الَّذي تُشَد إليه الرحال.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينصر الأمة على أعدائها، وأن يرد كيد الأعداء إلى نحورهم، وأن يرد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

اللهمَّ يا مُنزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في غزة، وانصر إخوتنا المجاهدين في كل مكان، اللهم اشدد أزرهم، اللهم أيدهم بروح من عندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الَّذي لا يُضام، اللهم آمين، وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

* * *

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

٢٤

الإسلام دينٌ حياة
(لقاء مفتوح في أمريكا)(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدَنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمَّن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا، نحمدك اللهم على كل حال، ونعوذ بك من حال أهل النار.

وأحييكم أيَّتها الأخوات العزيزات بتحية الإسلام، تحية من عند الله مباركة طيبة، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) لقاء مفتوح، خلال مؤتمر بالولايات المتحدة.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

موضوع هذا المؤتمر هو: (الإسلام دين حياة)، أي إنَّ الإسلام جاء يضع للإنسان منهجًا للحياة، منهجًا ربانيًّا، الله هو شارعه وواضعه، والله هو غايته ووجهته، والإنسان هو السائر على هذا المنهج متقيدًا بأمر الله تعالى ونهيه، فالحياة التي يدعو إليها الإسلام ليست حياة سائبة، يصنعها الإنسان كما يشاء، بل هي حياة منضبطة بضوابط الشرع.

الإنسان منذ أن يُولد، وهناك أحكام شرعية توجهه، ابن القيم له كتاب سماه «تحفة المودود في أحكام المولود»، أي إنَّ الإنسان مجرد ما يولد وهناك أحكام تتعلق به: حُسن تسميته، ثم الإنسان يحلق رأس المولود ويتصدق بوزنه ذهبًا أو فضة، ويعق عنه في اليوم السابع: يذبح عنه عقيقة، وعلى الأم أن ترضعه حولين كاملين، وعلى الأب أن ينفق على المرضعة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وأحكام تستمرُّ مع الإنسان، إذا بلغ السابعة يؤمر بالصلاة، وإذا بلغ العاشرة يضرب عليها، وإذا بلغ سن التكليف أصبح مطالبًا بكل التكاليف الإسلاميَّة.

فهكذا يصحب الإسلام الإنسان في رحلة الحياة، منذ أن يولد، بل قبل أن يولد؛ لأنَّ هناك أحكامًا تتعلق بالجنين في بطن أمه: بالحمل، لا يجوز أن يُعتدى على الحمل، حتى ولو جاء من حرام، المرأة الغامدية التي جاءت واعترفت للنبي ﷺ أنَّها حُبلى من الزنى، وطلبت منه أن يطهرها وأن يقيم عليها حد الله، فقال لها: «**اذهبي حتى تلدي**»[1]. فإذا كان

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة بن الحصيب.

QaradawiBooks.com

للإسلام سبيل على المرأة الزانية؛ فلا سبيل له على ما في بطنها، هذا الجنين الَّذي في بطنها لا يجوز أن إسقاطه ولا إجهاضه؛ حتى وإن جاء من سفاح، هناك أحكام تتعلق بالجنين، إذا كان الصيام يؤذي المرأة الحامل، إذا كان يؤذي جنينها الصيام، نقول لها: أفطري. إذن هناك أحكام تتعلق بالحمل في بطن أمه.

وهناك أحكام تتعلق بالإنسان حينما يحتضر على فراش الموت، نسميها (أحكام الجنائز)، والإنسان بعد أن يموت هناك أحكام أخرى تتعلق بالإنسان بعد موته: أن يُغَسَّل ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، ويدفن دفنًا معينًا بطريقة معينة، وتنفذ وصاياه، وتقضى ديونه.

كل هذا يدلنا على أنَّ الإسلام رسالة موجهة للإنسان، تصاحبه في رحلة الحياة، من المهد إلى اللحد، من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع، وهي رسالة أيضًا تشمل كل جوانب الحياة، لا تقف عند جانب معين، تعلم الإنسان كيف يأكل، كيف يشرب، إذا أكلتَ سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك، ولا تأكل ولا تشرب في إناء من ذهب أو فضة، ولا تأكل خنزيرًا، ولا تشرب خمرًا، لا تأكل ما لا يحل لك، لا تأكل مال امرئ إلا بطيب نفس منه، الأكل والشرب واللبس، ماذا تلبس؟ الرجل والمرأة هناك قيود على اللبس، ماذا تغطي وكيف تغطي؟ وما هو نوع الثياب الَّذي يلبسه الإنسان؟

المرأة لا تلبس ما يشف ولا ما يصف، لا تلبس الملابس الشفافة ولا الوصافة، المحددة لمفاتن الجسد، وهكذا في الأكل، في الشرب، في الملبس، في المركب، في المسكن، في الحياة الأسرية، في الحياة الاجتماعية، الإسلام يوجه الإنسان في هذا كله، سواء كان هذا الإنسان

QaradawiBooks.com

غنيًّا أو فقيرًا، حاكمًا أو محكومًا، سيدًا أو مسودًا، قويًّا أو ضعيفًا، أيًّا كانت طبقته، وأيًّا كانت منزلته في المجتمع؛ فإن رسالة الإسلام تشرع له وتوجهه.

من أجل هذا كانت رسالة الإسلام رسالة شاملة، وكان على كل مسلم وعلى كل مسلمة: أن يتعرف على أحكام الإسلام، يعرف بماذا يأمره الله به، وماذا ينهاه الله عنه، وماذا يحل له، وماذا يحرم عليه، ومن هنا كان على كل مسلم أن يتعرف على الإسلام، وكيف يتعرف على الإسلام؟ بالاستماع إلى محاضرات أهل العلم الثقات، بقراءة الكتب الإسلاميَّة النافعة الموثقة، بالسؤال عما يعِنّ له، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

لما جُرح بعض الصحابة، وأصابته جنابة؛ فسأل بعض الناس: ماذا أفعل وأنا جريح وعليَّ جنابة؟ فأفتوه بأن يغتسل، فاغتسل فمات، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**قتلوه قتلَهم اللهُ، هلَّا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنَّما شفاء العيِّ السؤال**»[1] الَّذين أفتوه بأن يغتسل وبه الجراحة؛ قتلوه بهذه الفتوى!

أنت لا تعرف فلماذا تفتي؟ كثير من الناس يعمل من نفسه مفتيًا وهو لا يعرف شيئًا، أنت مهمتك تسأل، «**هلَّا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنَّما شفاء العِيِّ السؤال**»، العي والضعف عن الجواب دواؤه السؤال، والسؤال لم يُحرّم، لا مانع أن تسأل.

(١) رواه أحمد (٣٠٥٦)، وقال مُخَرِّجوه: حسن. وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، كلاهما في الطهارة، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

من أجل هذا نقيم مثل هذه الحلقة لنسأل عما لا نعلم، ونحن نجيب بما نعلم أيضًا، لا أدعي ولا يدعي غيري أنَّه أحاط بكل شيء علمًا، سبحان من أحاط بكل شيء علمًا، إنَّما الإنسان يعلم أشياء وتغيب عنه أشياء، ولكن عليه أن يفتي بما يعلم، وما لا يعلم يقول: الله أعلم. من قال: لا أدري؛ فقد أجاب. لا أدري نصف العلم، فهذه الحلقة أقمناها أيتها الأخوات العزيزات من أجل أن نجيب عن أسئلتكن فيما يعرِض لكُنّ في الحياة العامَّة والخاصَّة.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أسئلة الأخوات الحاضرات

السؤال الأوَّل:

إحدى الأخوات تقول: حقيقة إنَّ حديث فضيلتكم يثير الحماسة، ولكنني كأم لا أدري ماذا يمكنني أن أفعل؛ لكي يكون لي دور إيجابي في الصحوة الإسلاميَّة؟ فأنا أجتهد في تربية أولادي بأقصى ما تستطيع امرأة أن تفعله من منهج إسلامي، وأجتهد في الدعوة ولكنِّي أشعر أنَّها أشياء بسيطة، ولا تغير من واقعنا شيئًا، فهل هناك أمور أكثر إيجابيَّة يمكن أن أؤدِّيها؟

الجواب:

جزى الله أختنا هذه خيرًا، وأحب أن أقول: إنَّ الصحوة الإسلاميَّة ليست صحوة رجاليَّة، ليست صحوة الذكور فقط، هي صحوة المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، فهي صحوة للجميع، للرجال وللنساء جميعًا، فعلى المرأة أن تؤدي دورها.

يقولون: المرأة نصف المجتمع. وهذا صحيح من ناحية العدد، وأحيانًا تكون المرأة من ناحية العدد أكثر من النصف في بعض البلدان، ولكن من حيث التأثير المرأة تؤثر في زوجها وفي أولادها، ولذلك كانت مهمة المرأة مهمة عظيمة جدًّا، ونحن نعرف أن أول صوت ارتفع بتأييد النبي ﷺ ونصرة دعوته كان صوت امرأة وليس صوت رجل، هو صوت خديجة بنت خويلد زوجته رضي الله عنها، وأول دم أريق في الإسلام لم يكن دم رجل؛ وإنَّما كان دم امرأة، أول شهيد في الإسلام سمية أم عمار رضي الله عنها، مرّ عليها النبي ﷺ وهي تعذب هي

QaradawiBooks.com

وزوجها ياسر وابنها عمار، فلم يملك إلا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[١].

الأخت التي تريد أن تشارك في الصحوة الإسلاميَّة تستطيع أن تشارك في تنمية نفسها أولًا، يعني تحاول تتعرف على الإسلام أكثر، تقرأ الكتب الإسلاميَّة الجيدة والموثقة، وتسمع للدعاة الثقات، وتحضر المحاضرات، وتشارك في المؤتمرات، وتبحث عن أمثالها من الأخوات المؤمنات الملتزمات؛ لأن المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته، أنا وحدي لا أقدر أعمل شيئًا، إنَّما أنا والأخ هذا والأخ هذا وهذا.. نقدر لما نتجمع مع بعضنا البعض، وكما يقول النبي ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا**»[٢]. وكما يقول المثل: (إيد على إيد تكيد).

فلا بدَّ أن تبحث الأخت عن غيرها من الأخوات المسلمات، يستطعن أن يعقدن بعض الحلقات في دراسة السيرة، في دراسة التفسير، في دراسة واقع المسلمين، في هداية الأخريات؛ لأن المسلمة عليها أن تعمل في محيط أسرتها، يعني الأخت تقول أنَّها تربي أولادها تربية إسلاميَّة على حسب ما تستطيع، جزاها الله خيرًا، وهذا أول واجب، أنَّها تحاول أن تساهم في إنشاء أسرة مسلمة، إن كان زوجها رجلًا صالحًا تعينه، وإن كان زوجها رجلًا ضعيفًا في الالتزام تحاول أن ترده إلى الله بالحسنى وبالموعظة الحسنة، تحبب إليه الإسلام، وترغبه في مثل هذه

(١) سبق تخريجه صـ٣٦٨.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

المؤتمرات، ثم تعمل مع العاملات على نصرة الإسلام بما تستطيع، المهم توجد النية والعزيمة، وإذا صدق العزم وضح السبيل إن شاء الله.

السؤال الثاني:

تقول إحدى الأخوات: للرجل الصالح بعد موته في الجنة الحور العين، فماذا للمرأة الصالحة؟

الجواب:

المرأة الصالحة لها كل ما تشتهي، الجنة فيها كل ما يشتهي الإنسان، ليس معقولًا أنَّ المرأة في الجنة ستشتهي رجلًا غير زوجها؛ لأن المرأة في الآخرة امتداد للمرأة في الدنيا، وإنسان الآخرة امتداد لإنسان الدنيا، فلو ماتت وليس لها زوج ستتزوج في الآخرة، وستكون راضية بزوجها قريرة العين به، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨].

الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، هل المسلمة الصالحة تتمنى غير زوجها في الدنيا؟ كذلك في الآخرة لن تتمنى إلا أن تكون قريرة العين بزوجها.

السؤال الثالث:

ما حكم المرأة إذا ذهبت لتتعلم الدين، وزوجها لا يرغب في ذلك؟ مع أنَّه كافي أسرته في كلِّ شيء، مع أنَّه لا يُصَلِّي إلَّا في شهر رمضان، وفي غير شهر رمضان يشرب أحيانًا البيرة، وعندما أحاول أن أمنعه يقول: دعيني أنا حرٌّ؟!

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجواب:

لا بدَّ أن تحاول مع زوجها؛ لأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يعني زوجها يمنعها من الخير؛ فعليها أن تحاول إقناعه، وإذا رأى الزوج أثر التدين عندها أثرًا إيجابيًّا، رآها أصبحت أكثر عناية بزوجها رغم قلة صلاته، رآها أكثر اهتمامًا بالبيت، أكثر عناية بأولادها، أكثر التزامًا بالخلق الإسلامي، إذا رأى أثر التدين إيجابيًّا في حياتها؛ سيشجعها على هذا، فهي لا تيأس ولا تمل أبدًا، وتحاول أن تقنعه يومًا بعد آخر، وتدعو الله أن يهديه ويصلح حاله إن شاء الله.

السؤال الرابع:

بالنسبة للسفر.. هل يُحَدِّد بوقتٍ أم بمسافة؟ وكم الوقت؟ وكيف يكون القصر في الصلاة والجمع معًا؟ وهل يمكن أن تكون الصلاة في وقتها مع القصر؟ وماذا علينا أن نصلي من السنة؟

الجواب:

القصر في السفر رخصة، وهو من الأحكام التي جاءت في شأن السفر، والقرآن قرن بين المرض والسفر فقال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ لأن كِلا الأمرين من المرض والسفر من أسباب الترخيص والتيسير، كما جاء في الحديث: «**السفر قطعةٌ من العذاب**»[1]، حتى السفر في عصرنا هذا فهو بالطائرات وكذا، ولكن الإنسان في غير بيته لا يكون حاله كما هو في بيته.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٨٠٤)، ومسلم في الإمارة (١٩٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولذلك السفر هو السفر، وأحكامه ثابتة؛ وإن تغيرت وسائل السفر، فهناك الفطر في رمضان، وهناك القصر في الصلاة والجمع، القصر بمعنى أنَّ الصلاة الرباعية مثل الظهر والعصر والعشاء تصلى ركعتين فقط، والجمع أن يجمع المسافر بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، إما جمع تقديم، بمعنى أن يصلي العصر في وقت الظهر، ويصلي العشاء في وقت المغرب، أو جمع تأخير، بمعنى أن يصلي الظهر في وقت العصر، ويصلي المغرب في وقت العشاء.

والقصر لم يتركه النبي ﷺ في سفر، ما صح أنَّه أتم في سفر قط، ولذلك بعض الفقهاء يقولون: القصر عزيمة وليس رخصة، ومن ترك القصر في السفر فقد ارتكب مكروهًا.

المهم أي سفر يقصر فيه المسلم؟ هنا خلاف كثير، والمسافة لم تعد مهمة في عصرنا؛ لأنَّ المسافة التي قدرها الفقهاء حوالي خمسة وثمانين كيلومترا، وهذه مسافة بسيطة جدًّا، إنَّما المشكلة ليست في المسافة، المشكلة في الوقت، متى يعتبر الشخص مسافرًا؟ ومتى يعتبر مقيمًا؟ إذا جئنا هنا مثلًا.. الإخوة منهم من جاء من «شيكاغو»، ومنهم من جاء من «نيويورك»، وكذا، ويقيمون هنا أربعة أيام أو خمسة أو أسبوع، هل يقصرون أو لا يقصرون؟

بعض المذاهب تقول: الحد الأقصى أربعة أيام، إذا أقام أربعة أيام فأكثر لا يقصر. ولكن الحقيقة لا يوجد دليل قوي على هذا، فالرأي الصحيح أنَّه ما دام مسافرًا وليس عنده نية الإقامة، وجاء لمهمة سيقضيها ويعود فهو مسافر، ففي هذه الحالة يقصر، ومن حقه أيضًا أن يجمع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

في أوقات الشتاء في مثل أوروبا وأمريكا نجد الأيام في النهار قصيرة جدًّا، يعني الظهر وقته قصير بالنسبة للعصر، وكذلك العصر، ولذلك الأولى أن يجمعهما؛ كذلك المغرب والعشاء، فالقصر والجمع من رخص السفر المطلوبة، وكما جاء في الحديث النبوي: «**إنَّ الله يحبُّ أن تُؤتى رُخَصُه، كما يكره أن تُؤتى معصيتُه**»[١]، وفي حديث آخر: «**إنَّ اللهَ يحبُّ أن تؤتى رُخَصُه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمُه**»[٢].

السؤال الخامس:

ما حكم المسح على الجوارب إن كانت قد لبست على وضوء؛ بدل غسل الرجلين أثناء الوضوء، وذلك أثناء الدوام في العمل وفي البرد؟

الجواب:

المسح على الجوارب أفتى به ستة عشر صحابيًّا، جاء عنهم أنَّهم كانوا يقولون بالمسح على الجوارب، بعض الفقهاء يشترطون شروطًا مُتَشَدِّدة في الجوارب، لا بدَّ أن يكون سميكًا، ويقدر على المشي عليه، وكذا وكذا، وهذه كلها ما جاء بها قرآن ولا سنة، الأصل في المسح أنَّه للتيسير، أنَّه بدل أن تغسل رجليك تمسح عليهما، وهذه قضية مهمة جدًّا وخصوصًا في أيام البرد وفي بلاد البرد، وبالنسبة للإنسان الَّذي في العمل.

---

(١) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصيام (٢٠٢٧)، وابن حبان في الصلاة (٢٧٤٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والطبراني (٣٢٣/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩٤٠): رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني. عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أنا منذ سنين أفتيتُ بعض الموظفين الَّذين يقولون: نحن لا نستطيع أن نصلي في العمل، نرفع البنطالون ونخلع الجورب والحذاء لنغسل الرجلين عملية شاقة جدًّا. فقلت: ما الَّذي يجعلك تفعل هذا؟ قال: فماذا أفعل؟ قلت: تستطيع أن تلبس الجورب على وضوء قبل أن تخرج من البيت، لما تصلي الصبح البس جوربك، أو ساعة تريد الخروج من البيت توضأ والبس الجورب، وأنت في العمل تستطيع إذا انتقض وضوؤك أن تمسح على الجورب عند الوضوء، لك أن تمسح الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصبح اليوم الثاني، تقدر تمسح على الجورب يومًا وليلة إذا كنت مقيمًا، أمَّا في حالة السفر تستطيع أن تمسح عليه ثلاثة أيام، أنا الآن وأنا مسافر أمسح على الجورب ثلاثة أيام.

حينما أفتيتُ بعض الموظفين بهذا وجربوه قالوا: والله أنت سهلت علينا العملية هذه؛ لأن ثلاثة أرباع الوضوء في غسل الرجلين، فما دام الواحد لن يغسل رجليه فالأمر سهل، يغسل وجهه ويديه ويمسح على رأسه وانتهت العملية، فالمسح على الجوربين إذا لبسا على وضوء أمر مشروع: للمقيم يومًا وليلة يمسح عليهما، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وهذه رخصة ينبغي ألا نهملها، وأن نعمل بها لتسهل علينا أمر الصلاة في وقتها.

السؤال السادس:

دائمًا تتكلمون عن دور المرأة في المجتمع، ولكن دائمًا من يتكلم عن شؤون المرأة هم رجال، فلماذا لا نقوم بإعداد نساء خطيبات محاضِرات على مستوى عالمي؟

QaradawiBooks.com

الجواب:

والله أنا ذكرت هذا في كتاب لي اسمه «أولويات الحركة الإسلاميَّة»، وذكرت ـ للأسف ـ أنَّ الحركة النسائية لا يوجد فيها زعامات إسلاميَّة من النساء، يعني نجد بين العِلمانيات واللادينيات والمستغربات قيادات نسائية، وزعامات وصحفيات وكاتبات وعالمات، ولكن لا نجد على الساحة الإسلاميَّة إلا القليل، وحتى هذا القليل لا نتيح له الفرصة الكافية، لماذا؟ لأن ـ للأسف ـ الرجال (كابسين) على نفس النساء، لا يعطون للمرأة الفرصة لتبرز وتظهر، والنساء يغلبهن الحياء.

كنتُ أود بدل أن يتلقى الأخ الكريم الأسئلة أن إحدى الأخوات هي من تقوم بهذا، وتفرز الأسئلة وتقدمها، وأنا أنكرتُ على الإخوة في أمريكا في السنين الماضية أنَّهم كانوا يعزلون النساء عزلًا تامًّا، حتى أنَّ النساء كن في فندق والرجال في فندق، وأنا منذ عدة سنوات جئت إلى مدينة «هيوستن» كان مؤتمر الرابطة هناك، فوضعوا زوجتي في فندق وأنا في فندق، فقلت: يا أخي أنتم تفرقون بين المرء وزوجه!

فقد كانت طريقة الإخوة أن تقام محاضرات للرجال، ومحاضرات للنساء، وقالوا لي: المحاضرة التي تقولها للرجال تذهب تقولها للنساء. قلت لهم: هو أنا مسجِّل أو (ريكوردر) أعيد الكلام مرة ثانية؟! أنا لا أحب أن أعيد الكلام، ولماذا النساء لا يأتين للحضور؟! والقاعة تتسع لنا ولهن جميعا، ولماذا تستأجرون قاعة أخرى للنساء بخمسة عشر ألف دولار، ونحن في حاجة إلى هذه الآلاف؟ لماذا لا تسمحون للنساء بالحضور معنا؟

قالوا: الرجال والنساء سيكونون في مكان واحد، ويرى الرجال النساء. فقلت لهم: الرجال يرون النساء في الشارع، ويرونهم في

QaradawiBooks.com

الأسواق، ويرونهم في الجامعات، ويرونهم في المدارس، فلماذا المؤتمر فقط هو الممنوع؟! يمكن واحد يرى واحدة فربنا ﷻ يفتح قلبه لها وقلبها له فنكون وفقنا رأسين في الحلال، وهذه فرصة أن نزوج الشبان المسلمين بالشابات المسلمات، فكان هناك نوع من التشدد، وهذا التشدد هو الَّذي يؤخر المرأة.

والرجال مسؤولون لأنَّهم يضغطون على الأخوات، والأخوات مسؤولات أيضًا لأنهن من شدة حيائهن يتركن أماكنهن ولا يأخذن الزمام.

أنا أرى أنَّ الحركة الإسلاميَّة النسائية لا يمكن أن تأخذ مكانها إلا إذا بادرت أخوات مسلمات قويات وقدن الركب، وفرضن أنفسهن، ثم إنَّ العلم بالتعلم، والخطابة والدعوة والمحاضرة كلها تأتي بالتمرين، إذا لم نمرن الأخوات أن يكون فيهن الداعيات، ومن تكلم الأخوات ويسألنها وتجيب، ولو أخطأت لا حرج عليها أن تذهب وتقرأ وتتعلم من جديد، بهذا نستطيع أن ندرب جيلًا جديدًا، أمَّا أن يظل الأخوات منتظرات لمن يتفضل عليهن من الرجال بالمحاضرات وبالحلقات؛ فسيظللن في المؤخرة، أنا أدعو الأخوات العزيزات أن يأخذن زمام المبادرة، ويفرضن أنفسهن على الساحة، وخصوصًا القويات منهن يستطعن ذلك إن شاء الله.

السؤال السابع:

ما حكم الإسلام في شراء البيوت بأخذ قرض من البنوك بالتقسيط وطبعًا بفائدة؟ وهل عليَّ أي ذنب لو أن زوجي هو الَّذي يريد هذا؟ مع العلم أنَّه ليس لنا حل غير هذا، وكل الناس تسكن في أمريكا بهذا النظام.

QaradawiBooks.com

الجواب:

والله أنا أجبت عن هذا فيما مضى، كل مرة لا بدَّ أن تسألوني في هذه الحكاية! عمومًا أنا أجبتُ وقلتُ: إنَّني كنتُ قديمًا أمنع هذا تمامًا، ثم بعد مرور الزمن، ونضج العقل، ورؤية الإنسان لحاجات الناس ومطالب الحياة، وجدتُ أن مذهب الإمام أبي حنيفة هو الحل لهذه المشكلة، فمذهبه يجيز التعامل بالعقود الفاسدة، ومنها العقود الربوية خارج دار الإسلام، فيجوز للمسلم أن يتعامل بهذه العقود الفاسدة، إذا كان فيها مصلحة للمسلم، وليس فيها غدر ولا خيانة بغير المسلم، ليس فيها نوع من الخسة والدناءة، والغدر والخيانة، وفيها مصلحة للمسلم، وتمت بالتراضي بينك وبين البنك، أجاز ذلك الإمام أبو حنيفة، وله أدلة على هذا.

فأنا قلتُ: إنَّنا يمكن أن نأخذ بمذهب الإمام أبي حنيفة في هذا، وأفتي الَّذين يحتاجون إلى البيوت وخصوصًا أصحاب العائلات الكبيرة ونحو ذلك، ولا حرج في ذلك إن شاء الله.

السؤال الثامن:

تتساءل الفتيات اللواتي ننصحهن بارتداء الحجاب، واللاتي تربين في هذه البلاد: لماذا لا يؤمر الشباب بلباس معين، خاصة وأن الكثير من الشباب بل معظمهم يعتني بمظهره ولباسه وعطره، ليس إلا لجذب ولفت انتباه العنصر الآخر. فما هو الجواب الحكيم الَّذي نرد به على هؤلاء الفتيات؟

الجواب:

الشباب مأمور بلباس معين، والنساء مأمورات بلباس معين، كل ما في الأمر أنَّ المرأة غير الرجل، ليس من حق الرجل أن يلبس أي

QaradawiBooks.com

شـــيء، فالرجل لا يلبس ما تلبســـه المرأة، والمـــرأة لا تلبس ما يلبس الرجل، المرأة لا تلبس «جبة» مثلي، أو «بدلة» مثل الأخ الكريم، المرأة تلبس أشياء تناسبها، فالرجل مستتر، ولكن المرأة غير مستترة، المشكلة في الحضارة الغربية أنَّ المرأة لا تتستر، المرأة مُعَرَّاة، المرأة من أدوات الجذب للرجال، وهذا يرفضه الإســـلام، فالمرأة ليســـت وسيلة جذب، المرأة ليســـت مجرد متعة للرجل، ما معنى أنَّنا لو عملنا إعلانًا لشـــيء رجالي نأتي بصـــورة لامرأة؟ لماذا لو كان الإعلان لشـــرب الكوكاكولا تكون الصورة لامرأة عارية وهي تشرب كوكاكولا؟ فالمرأة في الحضارة الغربية متخَذة أداة للإغراء، وهذا يرفضه الإسلام.

الإســـلام يرفض أن يُنظَر للمرأة على أنَّها مجرد جســـد، لا، المرأة إنســـان كامل، إنســـان له حقه في الإنســـانية، ولذلك عليها أن تحتشم، المفروض على الرجل أن يســـتر ما بين سرته وركبته، وهذه هي العورة، ويلبس شيئًا على كتفه، كل ما في الأمر أن عورة المرأة أوسع من عورة الرجل؛ لأن الله ركب في جســـم المرأة ما يجعلها تغري الرجل وتجذبه إليها، فطبيعة تكوينها الجسمي يجعل عورتها ليست كعورة الرجل، يعني الرجل ممكن يكون عاري الصـــدر، إنَّما المرأة لا يمكن أن تكون عارية الصدر، هذا ليس فطريًّا ولا طبيعيًّا.

ولذلك أذكر لكم قصة: منذ ســـنوات نشرت الصحف المصرية قصة فتاة حصلـــت على الشـــهادة الإعدادية، حصلت عليهـــا بدرجة مائة في المائة، فالصحف اهتمت بها، وذهبت إليها مندوبة جريدة «الأهرام» في القاهرة، فوجئت أن هذه الفتاة التي عمرها خمس عشـــرة سنة، أو أربع عشـــرة ونصف، فوجئت أنَّها تلبس الحجاب، وكانـــت تظن أن تجدها تلبس آخر موضة وآخر صيحة.

QaradawiBooks.com

فقالت لها: يا بنتي أنتِ عاملة في نفسك (كدا ليه)؟ فنظرت الفتاة لها وقالت: بل أنا والله أسألكِ: أنتِ عاملة في نفسك (كدا ليه)؟ قالت لها: أنا عاملة في نفسي كدا لأن هذه هي الحضارة. قالت الفتاة: لا، الحضارة ليست هكذا، ما أنا فيه هو الحضارة، أمَّا ما أنتِ فيه هو الهمجية.

قالت لها: كيف؟ قالت لها: الإنسان البدائي الهمجي كان عريانًا لا يلبس شيئًا نهائيًّا، لو ذهبنا إلى الغابات في أفريقيا والأدغال وهذه الأماكن نجدهم عراة، فلما تحضَّر الإنسان بدأ يكتسي، وكلما ازداد حضارة ازداد اكتساءً وسترًا، فلذلك الَّذي أنتِ فيه هو أقرب إلى الهمجية، وما أنا فيه هو الحضارة بعينها. فهذا هو الَّذي ينبغي أن نُفْهِمه لهذه الأخت.

السؤال التاسع:

لدي من الأبناء ثلاثة أصغرهم يبلغ السابعة من العمر، لم أصم رمضان؛ بسبب الحمل أو الرضاعة، ولم أعوض ما فاتني منه بصيام أو دفع ما يعادل، فما رأي فضيلتكم في تعويض هذا؟ وهل يجوز دفع مال بما يعادل ما أفطرته عن تلك الأيام؟

الجواب:

الحامل والمرضع من حقها أن تفطر في رمضان، سواء خافت على نفسها، أو خافت على جنينها إن كانت حاملًا، أو على رضيعها إن كانت مرضعة، إنَّما ماذا عليها بعد ذلك؟ اختلف الفقهاء، بعضهم قال: عليها القضاء؛ لأنَّها أشبه بالمريض، فعليها عدة من أيام أخر. وبعضهم قال: عليها الإطعام، تطعم عن كل يوم أفطرته مسكينًا، أو تُخرج ما قيمته طعام مسكين. والبعض قال: عليها القضاء والإطعام.

QaradawiBooks.com

أنا أفتي بالنسبة للمرأة التي يكثر حملها وإرضاعها، يعني سنة تكون حاملًا، وسنة تكون مرضعة، مسكينة هذه، متى تقضي ما عليها؟ هذه أقول لها ما قاله ابن عباس رضي الله عنه أن عليها الإطعام، تطعم عن كل يوم أفطرته مسكينًا[١]، يعني تنظر كم دولار قيمة طعام المسكين وتُخرج عن كل يوم هذا، وليس عليها قضاء، إنَّما إذا كانت مثل أغلب نساء العصر تحمل مرة كل عدة سنوات، وعندها فرصة للقضاء تقضي، ولا حرج عليها إن شاء الله.

السؤال العاشر:

ما رأي فضيلتكم في الَّذين يقولون: إنَّ النقاب فرض، وإنَّ كشف الوجه سُفور؟

الجواب:

والله أنا لي فتويان في الجزء الثاني من كتابي «فتاوى معاصرة»، الفتوى الأولى إجابة عن سؤال يقول: هل النقاب بدعة؟ والفتوى الأخرى إجابة عن سؤال يقول: هل النقاب واجب[٢]؟

فأجبتُ عن السؤال الأول بأن النقاب ليس بدعة؛ لأنَّه قول موجود في الإسلام، هناك بعض العلماء من السلف فسروا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] بأن المرأة تغطي وجهها، وتكشف عينًا واحدة، هذا جاء عن بعض

(١) الحاوي الكبير (٣/٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٢) انظر في ذلك كتابنا: فتاوى معاصرة (٢/٣٣٤) وما بعدها، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

السلف، وهو رواية عن الإمام أحمد، وإن لم يكن هذا هو المفتى به في مذهبه، هو رواية عن بعض العلماء، وأخذ هذا القول إخواننا علماء السعودية، وبعض علماء باكستان، ومنهم الشيخ أبو الأعلى المودودي، فأوجبوا النقاب.

وأجبتُ عن السؤال الثاني: هل النقاب واجب؟ قلت: لا، الرأي الَّذي أختاره هو أنَّ النقاب ليس واجبًا، ودللتُ على هذا بأدلة كثيرة جدًّا، من هذه الأدلة: أنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وصح عن ابن عباس وعائشة وأنس بن مالك وسعيد بن جبير وغيره من العلماء أن ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو الوجه والكفان، أو الكحل والخاتم والخضاب، وهذا بأصح الروايات عن هؤلاء.

وأيضًا في الآية الكريمة: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر، أي تغطي المرأة فتحة الصدر بغطاء الرأس بالخمار، يقول الإمام ابن حزم: لو كان غطاء الوجه واجبا لقال الله تعالى: وليضربن بخمرهن على وجوههن، ولكنَّه قال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ولم يقل على وجوههن[1].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، فلو كانت النساء يلبسن النقاب، ولا يرى منهن وجه ولا يدان؛ فعلام يؤمر الرجل بالغض من البصر وليس أمامه إلا خيمة، فعن أي شيء يغض بصره؟ إنَّما معنى ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: أن هناك شيئًا يراه ويفتنه، فلذلك يؤمر بالغض من البصر، كما أمرت هي بالغض من البصر؛ لأنَّها سترى الرجال ووجوه الرجال، فهذا أيضًا من الأدلة.

(١) المحلى (٢/٢٤٧) مسألة (٣٤٩).

QaradawiBooks.com

وهناك أدلة كثيرة جدًّا، وأخونا الأستاذ عبد الحليم محمد أبو شقة رحمه الله رحمة واسعة، وتقبله في الصالحين، وجزاه عنا وعن العلم والإسلام خيرًا، كتب موسوعة اسمها «تحرير المرأة في عصر الرسالة» من ستة أجزاء، عاش لها عشرين عامًا يجمع مادتها من كتب السنة وخاصة كتب الصحيحين: البخاري، ومسلم، وذكر من الأدلة الكثيرَ الكثير، الَّذي نفهم منه أنَّ النقاب ليس فرضًا.

وإذا قلنا هذا بالنسبة للمسلمة في ديار الإسلام، فأولى أن نقوله في هذه الديار؛ لأنَّ هؤلاء الناس قضية المرأة عندهم قضية حساسة جدًّا، ولذلك أنا أنصح المسلمة في هذه الديار ألا تتنقب، وإن كانت ترى أنَّ النقاب واجب فهي حرة طبعًا، لا أفرض عليها رأيي، إنَّما النصيحة لمن هم في مثل هذه البلاد بعدم فرضية النقاب؛ حتى نكون قريبين من الناس، المرأة المحجبة قريبة من الراهبات مثلًا، المرأة المسيحية المتدينة عندهم تلبس لباسًا يغطي رأسها ورقبتها وشعرها وذراعيها، فالراهبات أقرب ما يكون إلى الزي الإسلامي، فإذا قلنا بالحجاب وليس بالنقاب أصبحنا قريبين من هؤلاء، النقاب يباعد بيننا وبينهم، ويجعل دعوتهن عسيرة جدًّا.

السؤال الحادي عشر:

هل يجوز للمسلم في أمريكا أن يهنئ جيرانه من المسيحيين وأصدقاءه وأرباب عمله في أعيادهم الدينية وغير الدينية؟ وأن يُهديهم أم لا؟ وهل يجوز رفض هديتهم؟ وما الحكم فيها؟

الجواب:

والله يا أختي هذا الأمر داخل في البِرّ الَّذي ذكره القرآن الكريم،

QaradawiBooks.com

حيث قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فالبِرّ يدخل فيه هذه الأشياء: التهنئة، والتهادي، وخصوصًا إذا كانوا هم يفعلون ذلك مع المسلمين في أعيادهم، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

واحد يقول لك: السلام عليكم. قل له: عليكم السلام. أو: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. كما ورد أن رجلًا مجوسيًّا مرَّ على ابن عباس رضي الله عنهما فقال له: السلام عليكم. فرد عليه ابن عباس وقال: وعليكم السلام ورحمة الله. فقال بعض أصحاب ابن عباس: تقول له: ورحمة الله؟ فقال: أليس في رحمة الله يعيش[1]؟!

فغير المسلمين إذا حيَّوْنا بتحية؛ فنحن نحييهم بأحسن منها أو نردها، إذا كانوا يهنئوننا بأعيادنا الإسلاميَّة: بعيد الفطر، أو عيد الأضحى؛ فلا مانع أن نهنئهم بأعيادهم، خصوصًا مَن بيننا وبينهم صلة، كالزمالة أو القرابة أو الجوار، لو امرأة أسلمت وأبوها أو أمها لا زالوا نصارى فهذه قرابة، والمسلمون نشروا الإسلام في الزمن الأول بحسن أخلاقهم وسلوكهم مع الناس، فأحبهم الناس وأحبوا دينهم، ودخلوا في الإسلام من أجل هذا.

السؤال الثاني عشر:

نحن نساء نحضر حلقة قرآنية أسبوعية، نحفظ خلالها بعض آيات القرآن الكريم، ويصادف أن تكون إحدانا في أيام الدورة الشهرية يوم

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجي (٢٨١/٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تسميع الآيات، فهل يدخل هذا ضمن التعلم والتعليم؟ ويرفع عنها الحرج، مع أن ترتيل الآيات يكون دون مس المصحف؟

الجواب:

لا حرج في ذلك إن شاء الله، خصوصًا أنَّه لم يصح بالنسبة للحائض شيء يمنعها من قراءة القرآن، وإن كان مذهب الإمام البخاري أنَّه يجيز للحائض أن تقرأ القرآن، وهذا أمر معقول جدًّا، يمكن للجنب ألا يقرأ القرآن؛ لأن الجنابة باختيار الإنسان، ويمكنه رفعها باختياره، يزيلها بالغسل، إنَّما الدورة الشهرية هذه أمر كتبه الله على بنات آدم، ليس باختيارها، وليست إزالتها باختيارها، بل هي أيام معدودة لا بدَّ أن تقضيها، فلا تُحرَم من قراءة القرآن في هذه المدة؛ وخصوصًا إذا كانت على سبيل التعلم، مثل هذه الجلسات، ومثل ذلك لو كانت مدرسة وتدرس لبنات في الفصل؛ تدرس لهم القرآن، ولا حرج عليها إن شاء الله.

السؤال الثالث عشر:

أخت أجنبية تزوجت من مسلم، وكانت في البداية مسلمة على الورق فقط، ولكن هي الآن في دراسة الإسلام، وهي في طريقها الآن إن شاء الله للإسلام الحقيقي من القلب، وهي طلبت السفر للعمرة مع زوجها، فما حكم سفرها للعمرة؟ هل يجوز أم لا؟

الجواب:

ما دامت أسلمت على الورق، ثم أسلمت إسلامًا حقيقيًّا وأصبحت مقتنعة بالإسلام من قلبها، فالحمد لله الَّذي هداها للإسلام وشرح صدرها، ونوَّر قلبها، فقد أصبحت مسلمة الآن تستطيع أن تعتمر وأن

QaradawiBooks.com

تحج، ولا حرج عليها إن شاء الله، ونرجو لها عمرة مبرورة؛ كما جاء في الحديث الصحيح: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[1]، ونسأل الله أن يقبل منها.

السؤال الرابع عشر:

أخت تقول: كلام حضرتك يا شيخ عن خروج المرأة للتعلم واستبيان الأمور: هو كل ما نتمناه، ولكن ماذا عن الرجل المسلم المتدين الَّذي يأبى ذلك، ويظن المرأة شيئًا يجب أن يُخفى، فكثير من النساء المسلمات يعانين من الكبت بسبب ما يظن الأزواج؟

الجواب:

والله هذا أمر حقيقي، وأنا اشتكى إليَّ كثير من الأخوات في مصر، وكثير من الأخوات في الجزائر من أزواجهن الملتزمين، يعني الشاب يكون ملتزمًا ويتزوج الفتاة الملتزمة، وهي شعلة من النشاط، وبعد أن يتزوجها يطفئ هذه الشعلة، يقول لها: (خليكِ) في البيت. يا الله! أنتَ تزوجتني لما كنتُ داعية وكنت نشيطة في الدعوة! لما تزوجها يأبى عليها أن تستمر في نشاطها، وهذا مؤسف حقًّا، لذلك لا دواء لهذا إلا نشر الوعي الصحيح بين الشباب المسلم الملتزم بالإسلام.

بعضهم يرى أنَّ المرأة مكانها في قعر البيت وفقط، لا، المرأة هي إنسان ينبغي أن تمارس نشاطها: في البيت، وفي المجتمع أيضًا، تستطيع أن تقوم بدورها في المجتمع، تقاوم العِلمانية واللادينية، تنتشر بين بنات جنسها؛ بل إذا وصلت المرأة مبلغًا معينًا من الدعوة يمكن لها أن تحاضر

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الرجال، لعلكم شاهدتم في السنوات الماضية أختنا الحاجة زينب الغزالي ـ حفظها الله ورعاها ـ كانت تأتي إلى هذه المؤتمرات، وتحاضر الجميع: رجالًا، ونساءً، ما في مانع أنَّ المرأة إذا بلغت مبلغًا من الدعوة ومن العلم يؤهلها لمثل هذا أن تقوم بهذا الدور، نريد الداعية المسلمة، والأديبة المسلمة، والكاتبة المسلمة، والمحاضِرة المسلمة، التي تسهم بدورها في الصحوة الإسلاميَّة، والحركة الإسلاميَّة.

السؤال الخامس عشر:

هذا السؤال لإحدى الأخوات التي منعتها ظروفها من حضور المؤتمر، تقول: أنا من العراق، وإننا نسمع عما يعانيه الناس من الجوع في العراق، وإنَّني أتساءل هل يجوز أن أرسل زكاة الفطر مع شخص سيغادر البلاد إلى عمَّان، ومن ثَمّ يرسلها إلى العراق، ولكن قبل رمضان بيوم أو يومين؛ لأنَّه في رمضان نفسه لا يوجد من نرسل معه هذه الزكاة، فهل يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها للأسباب المذكورة؟

الجواب:

نعم، يجوز هذا، يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها على أن تصل إلى الفقير قبيل العيد، والحقيقة أن ما يعانيه إخوتنا وأخواتنا في العراق شيء فاق الوصف، وأنا في خطبة الجمعة قبل الماضية تحدثتُ عمَّا يعانيه الشعب العراقي فعلا من جوع، وكرام العائلات العراقية حقيقة يعانون، كما قيل: (ارحموا غني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل)، الدينار العراقي أصبح الدولار بألفين وستمائة دينار، والدجاجة بثلاثة آلاف دينار، وبعض الناس راتبه ثلاثة آلاف دينار، وبعضهم ستة آلاف دينار، يعني لا يطعمه دجاجتين، وهذا راتبه الشهري، وكبار الموظفين، فالناس باعوا أثاث

QaradawiBooks.com

بيوتهم، حتى قالوا: باعوا الستائر ووضعوا أوراقًا على زجاج النوافذ، وبعض الناس باعوا أولادهم من الجوع، وأصبح هناك فساد كبير؛ لأن الجوع كافر، وصراخ المعدة أعلى وأقوى من نداء الضمير، فالحالة هناك سيئة جدًّا.

وأنا قلت: إذا كان حدث ما حدث من العراق؛ فالحقيقة ليس الذنب ذنب الشعب العراقي، الشعب العراقي ليس هو صدام حسين، صدام حسين طبعًا لا يهمه، فهو جالس هناك هو ومن معه متمتعين بكل شيء، إنَّما الشعب هو الَّذي يعاني، ويموت الأطفال بالآلاف، ويموت الناس من سوء التغذية بالآلاف، وأصبح عدد الأموات خمسة أضعاف الموتى العاديين في السنين الماضية، ومن أجل هذا أنا أدعو إلى معاونة إخواننا وأخواتنا، وآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا وبناتنا في العراق.

تعقيب إحدى الأخوات على إجابة الشيخ:

إحدى الأخوات تعقب على إجابة حضرتك على السؤال الَّذي يقول: (هل يجوز للمسلم في أمريكا أن يهنئ جيرانه من المسيحيين وأرباب عمله في أعيادهم الدينية أو غير الدينية)، فتقول الأخت: الشيخ المحترم إليك هذه الصورة، سأرجع إلى حيث كنتُ، وسأكون إنسانة أخرى، سأتوجه إلى البنك وأشتري بيتًا بالربا، وسأرفع النقاب عن وجهي، وسأحتفل مع الجيران بعيدهم، يا شيخ أين الغرباء الَّذين قال فيهم النبي ﷺ: «طوبى للغرباء»[1]؟ للأسف لم نعد الغرباء؛ بل أصبحنا الخلطاء!

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

رد الشيخ على تعقيب الأخت:

أقول لهذه الأخت: الله يجزيك الخير، إذا كنتِ أنتِ متشددة ولا تريدين أن تسلمي على غير المسلم، وأن تظهري بالوجه المتجهم كلما رأيتِ نصرانيًّا أو مسيحيًّا، ولا تقولين له السلام عليكم، ولا صباح الخير، ولا حتى تهنئيه حتى ولو هنأكِ، وتريدين أن تلتزمي بالنقاب، ولا تريدين أن تشتري بيتًا بالربا، كذا ولا كذا، الله يجزيكِ الخير، خليكِ أنتِ هكذا، إنَّما أنا وأمثالي الضعفاء من المسلمين، وأظن أنَّ معظم الأخوات هنا ضعفاء مثلي فيكفيهم هذا.

هناك عندنا في الفقه شيء اسمه: (شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس)، ابن عمر كان متشددًّا، وابن عباس كان مرخِّصًا ميسِّرًا، ابن عمر كان يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى ويجرح، وابن عباس كان لا يؤذِي ولا يؤذَى، هذا مذهب ابن عباس، الأخت ومشايخها من مذهب ابن عمر، الله يجزيكِ الخير، (خليكِ) على مذهب ابن عمر، أنا أيسِّر على مذهب ابن عباس، ومذهبي ومنهجي في الفتوى والدعوة هو ما علمنا إياه النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[(١)].

فمذهبي ومنهجي التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، أنا أشدد في الأصول، وأيسر في الفروع، بعض الناس سألني: وما دليلك على هذا؟ قلت له: دليلي أمران:

الأول: أنَّ النبي ﷺ «ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا»[(٢)]، فهو ﷺ يختار الأيسر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الأمر الثاني: النبي ﷺ أنكر على الصحابة الَّذين يطيلون بالناس في الصلاة، قال لمعاذ رضي الله عنه: «**أفتان أنتَ يا معاذ؟ أفتان أنتَ يا معاذ؟ أفتان أنتَ يا معاذ؟**»[١]. لأنَّه كان يطيل بالناس في الصلاة، وكذلك قال لأبي بن كعب رضي الله عنه: «**إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة**»[٢]. فنحن نفتي لعموم الناس، إذا كان هناك ناس أرقى من العامة، ويريدون أن يأخذوا أنفسهم بأمور خاصة فجزاهم الله خيرًا، إنَّما لا نفرض هذا على جمهور الناس.

ثم إنَّ الأخت تقول: أين الغرباء؟ وهل تظنين أن هذه التي تتحجب ليست غريبة في هذا المجتمع؟ والمسلمة الملتزمة التي تهنئ جيرانها خرجت من الغربة لأنَّها قالت لهم: نهاركم سعيد، أو عيدكم سعيد؟ ما خرجت يا أختي من الغربة أبدًا، هي غريبة ما دامت متمسكة بأمر دينها، مؤدية لفرائض ربها، منتهية عما حرم الله عليها، المهم أن نهتم بالمتَّفق عليه، أمَّا المختلف فيه فسيظل الناس يختلفون فيه، نحن يهمنا أن نجمع المسلمين والمسلمات على الأمور المتَّفق عليها.

السؤال السادس عشر:

في الولايات المتحدة هنا يوجد برنامج، عبارة عن وضع مبلغ من المال كل شهر لصالح الشخص نفسه بعد ما يترك العمل، وهذا المبلغ لا نقدر على أخذ شيء منه؛ إلا بعد أن يصبح سن الشخص تسعة وخمسين سنة، فهل علينا دفع زكاة على هذا المبلغ المدخر الَّذي لا نستخدمه؟ هل علينا فيه زكاة مال؟

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠١)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٢)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

الجواب:

هذا المال ليس مملوكًا ملكًا تامًّا، بحيث يتصرف الإنسان فيه كما يشاء، والزكاة إنَّما تجب فيما يملكه الإنسان ملكًا تامًّا، بحيث يستطيع التصرف فيه، والحصول على ثمراته، لذلك لا زكاة فيه.

السؤال السابع عشر:

سمعنا في حديث السيِّدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك؛ بأنَّها حينما ذهب عنها الركب ونامت في المكان، ورآها صفوان رضي الله عنه، وقالت بأن صفوان كان يراها قبل الحجاب، فحينما رآها أسدلت نقابها على وجهها، أو غطت وجهها، فهذا دليل على أنَّها كانت متنقبة أو متغطية، فما أدري ما هو رأي الشيخ القرضاوي بالنسبة لهذا كدليل للنقاب أو تغطية الوجه؟

الجواب:

بالنسبة لزوجات النبي ﷺ لهن أحكام خاصة يا أختي، نساء النبي لهن أحكام تخصهن، الله تعالى قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فنساء النبي لهن أحكام غير أحكام نساء سائر الأمة، يحرم الزواج منهن بعد وفاة النبي ﷺ، وأن من يأتِ منهن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين، ومن تعمل صالحا يؤتها الله أجرها مرتين كما قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١]، فهذا حكم خاص بنساء النبي.

QaradawiBooks.com

قالت السائلة:

أليس من المفروض أن نقتدي بنساء النبي ﷺ في كل عمل نعمله؟

قال الشيخ:

لا، ليس مطلوبًا منك أن تقتدي بهن في كل شيء؛ بأن زوجك لو مات لا تتزوجي بعده! هناك أشياء نقتدي فيها بهن، وأشياء لا نقتدي بهن فيها، وإلا لكان النبي أمر نساء الأمة أن يقتدين بهن ويكلمن الرجال من وراء حجاب، لم يحصل هذا، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، هذا خاص بنساء النبي، وليس بنساء الأمة.

قالت السائلة:

أنا سمعت أحد المشايخ يقول بأن النبي ﷺ قال للشاب عندما يريد أن يتزوج: «**اذهب فانظر إليها**» فسَّر هذا الشيخ هذا الكلام؛ بأن الرجل يستطيع أن يرى المرأة في الشارع، ومع ذلك قال له الرسول: «**اذهب فانظر إليها**»، فيذهب إلى بيتها؛ فهذا يدل بأنها تكون متغطية.

قال الشيخ:

من قال هذا؟! ما قال بأن المرأة ستكون في بيتها متغطية، بالعكس، الرسول قال له: «**اذهب فانظر إليها**»[(١)]، هو خطبها دون أن يراها، فقال له: «**اذهب فانظر إليها**»، سواء يراها في الشارع، يراها في البيت، وممكن أن يراها بغير إذنها، سيدنا جابر بن عبد الله قال في امرأته بعد أن تزوجها: لقد كنت أتخبأ لها تحت شجرة حتى رأيت منها ما دعاني إلى زواجها[(٢)].

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤)، وأحمد (٧٨٤٢)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مُخَرِّجوه: حسن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (٢٦٩٦)، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الذهبي على شرط مسلم.

QaradawiBooks.com

وسيدنا عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وكانت صغيرة، فأرسلها إليه عليٌّ ليراها، فلما جاءته نظر إليها وكشف عن ساقيها، يريد أن يرى رجليها، فقالت له: لولا أنك أمير المؤمنين للطمتُ الَّذي فيه عيناك[1]. فهو لم يرَ وجهها فقط؛ بل رأى ساقيها، والإمام أحمد يقول بجواز أن يرى الخاطب من مخطوبته ما هو أكثر من الوجه ومن الكفين، ولابن حزم كلام فيما يجوز للخاطب أن يراه من مخطوبته، وهو أكثر وأكثر، وهذا الموضوع فيه عشرات الأدلة، وليس دليلًا ولا دليلين، بل عشرات الأدلة.

شكر الله لكم وجزاكم خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٢١).

QaradawiBooks.com

٢٥

لقاء مفتوح مع العلَّامة القرضاوي (بالبحرين)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّم: أيُّها الإخوة، سيكون لقاؤنا الليلة لقاء مفتوحًا مع فضيلة الشيخ العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي، يجيب فيه فضيلته على الأسئلة الفقهيَّة والفِكريَّة، وسيُقَدِّم الشيخ ـ إنْ شاء الله تعالى ـ كلمةً يفتتح بها هذا اللقاء، بما يفتح الله به عليه، فليتفضَّل مشكورًا.

الشيخ:

الصحوة الإسلاميَّة والتحديات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومَن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدِّين.

(١) ألقيت بجمعية الإصلاح، بمملكة البحرين، سنة ١٩٨٧م، تقديم الشاعر عبد الحكيم ضرار.

QaradawiBooks.com

خير ما أُحيِّيكم بـــه أيُّها الإخوة والأخوات، تحيَّة الإســـلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

إنِّي لســـعيدٌ أنْ ألتقي بكم في هذه الليلـــة الطيبة، وفي هذه الأرض الطيبة، وبهذه النوايـــا والبواعث الطيبة الخيرة، الَّتـــي جمعتنا على هذا الإســـلام العظيم، الَّذي أكرمنا الله بـــه، وحملنا رســـالته، وأتَم علينا به النعمة، فقـــال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إنَّنا نحمد الله تعالى أنَّنا نعيش عصر الصحوة الإسلاميَّة، فقد عشنا في وقت من الأوقات ظنَّ فيه النَّاس أنَّ بساط الإسلام قد طوِيَ، وأنَّ ظله قد تقلص، وأنَّ أعلامه قد نكســـت، ضربت فيه الحركات الإسلاميَّة ضربات وحشـــية متتابعة، لا تكاد تفيق من محنة إلا وأدخلـــت في محنة أخرى، يصَبّ على أبنائها فيها سياط العذاب، كاد النَّاس يقولون: ذهب الإسلام!

إســـرائيل أقامت لها دولة في قلب ديارنا، في قلب أراضي العروبة والإسلام، في أرض النبوَّات، الأرض الَّتي بارك الله فيها للعالَمِين، وكُنَّا نقول عن هذه الدولة المُغتَصِبة: «إســـرائيل المزعومة». وظللنا ســـنوات نقول هذا، وإذ بنا نرى إســـرائيل المزعومة تلك، تضـــرب هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، فاستحيينا، وخجلنا من أنفسنا، بعد أنْ أوشكنا أن نكون نحن المزعومين.

وظلَّ النَّاس يعتقدون أنَّ إســـرائيل هي الدولة الَّتي لا تقهر، وما كان يقال قديما عن التتار، كاد يقال اليوم عن إسرائيل، كانوا يقولون: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا؛ فلا تصدق. ولكن الإســـلام العظيم هزم التتار

QaradawiBooks.com

بعد سنتين من سقوط بغداد، حيث سقطت بغداد سنة ٦٥٦هـ، وبعد سقوطها بسنتين فقط، استطاع الإسلام أنْ يجمع قوَّته، ويستعيد أبناؤه الثقة، ويدخلوا مع التتار في معركة حاسمة هي معركة عين جالوت (٢٥ رمضان ٦٥٨هـ).

بل أكثر من ذلك أنَّ التتار بعد قليل تأثروا بالإسلام، فإذا هم يعتنقونه اختيارًا.

آثار الصحوة الإسلاميَّة:

والآن بعد أنْ ظنَّ النَّاس الظنون، نرى هذه الصحوة الإسلاميَّة الَّتي تصنع العجائب، والَّتي نلمس آثارها في كل مكان، وأنا من النَّاس الَّذين زاروا كثيرًا من البلاد، في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، ورأيت آثار هذه الصحوة، في أوربا، وفي أمريكا، وفي كندا، وفي بلاد الشرق الأقصى، حيث يوجد المسلمون أكثريَّة، وحيث يوجدون أقلِّيَّة، وحيث لا يمثلون إلَّا جالية نازحة، وجدتُ الشباب المسلم المستمسك بالعروة الوثقى الَّتي لا انفصام لها، وجدتُ صوَّام الخميس والاثنين، وجدتُ قوَّام الليل، وجدتُ المستغفرين بالأسحار، وجدتُ قرَّاء القرآن ودارسي الحديث، وجدتُ الشباب المؤمن والشابات المؤمنات، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وجدتُ هؤلاء في كلِّ مكان، بعد أنْ ظن النَّاس الظنون!

الصحوة الإسلاميَّة هي الَّتي نرى آثارها اليوم في الأرض المحتلة، تلك الَّتي سمَّوها انتفاضة، وقد ظلموها حين سمَّوها انتفاضة، وهي أعمق وأوسع من مجرد انتفاضة؛ لأنَّها ليست حركة طارئة، وإنَّما هي عملٌ جهاديٌّ دؤوب صَبُور، مُنْطَلَقه المساجد، وأعلامه المصاحف،

QaradawiBooks.com

وهدفه تحرير الأرض، وشعاره: «لا إلٰه إلا الله والله أكبر»، وهتافاته: «ثورة ثورة ع المحْتَل[١]، غير المصحف ما في حَل».

تؤذن المآذن في أرض فلسطين المحتلة: حي على الجهاد، حي على الجهاد.

عادت قضيَّة فلسطين إلى المساجد، عادت إلى جذورها، كما بدأها أمين الحسيني، والقسام، وغيرهما، وهذه هي آثار الصحوة الإسلاميَّة.

الصحوة الإسلاميَّة الَّتي نرى آثارها في أفغانستان، في هذا الصّمود العجيب الَّذي أرانا أناسًا كأنهم الصحابة من جديد.

هذا الشعب الَّذي يكاد يكون أميًّا، هؤلاء الفلاحون، هؤلاء القبائل، وسكان الجبال يقاومون القوة الثانية في الأرض أحد العملاقين الكبيرين، يقاومون الدبابات والصواريخ والأسلحة الإلكترونية، ومعهم الله تعالى، والإيمان في صدورهم، ومعهم ما استطاعوا من قوة، فالله لم يأمرنا في قرآنه بغير الاستعداد بما استطعنا من قوة ـ ولو كانت الحجارة ـ يقذف بها النساء والأطفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذه هي الصحوة الَّتي أرعبتْ مَن أرعبتْ، وأقلقتْ مَن أقلقتْ، وبدؤوا يقولون: احذروا التشدُّد الإسلامي، التطرُّف الإسلامي، التزمُّت الإسلامي،

(١) يظن كثيرون أن (ع المحتل) تعبير غير فصيح، والحق أنَّه تعبير فصيح، يكتفون بالعين عن حرف الجر (على) وبالميم عن (من) إذا وليهما لام قمرية فيقولون عَلْماء بنو فلان. أي على الماء بنو فلان.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يُسمُّونه ما يُسمُّونه، وهم يريدون، أنْ يرعبوا الحكام والمسؤولين من هذه الصحوة، مع أنَّ هذه الصحوة تمْسك هذه الأُمَّة أنْ تنهار، هي الَّتي تحرك هذه الأُمَّة، هي الَّتي تنشئ البواعث الَّتي لا بدَّ منها.

كلُّ الأمم تحتاج إلى أهداف كبيرة، وإلى رسالة تعمل لها، وتعيش تحت ظلالها، وتتحرك تحت رايتها، وليس لهذه الأُمَّة رسالة غير رسالة الإسلام، فكيف نستطيع أن نلحق بغيرنا، ونحن متخلفون؟! فالعالم يضعنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ في دائرة العالم الثالث، وللأسف!

لقد عشنا ألف سنة ونحن العالم الأول، قيادة الدنيا في أيدينا، ثمَّ صرنا عالَمًا ثالثًا، بل فينا بلادٌ لا تستحقُّ أنْ تكون عالَمًا ثالثًا، لو كان هناك عالمٌ رابع لنسبت إليه، ويسمُّوننا: البلاد النامية، وهو تعبير ملَطف، للبلاد المتخلفة. هذا ـ للأسف ـ وضعنا، فكيف نستطيع أنْ نلحق بالركْب؟! أن نعوض ما فات؟! أن نعود كما كنا في بداية الركْب؟!

بناء الإنسان من جديد:

ولن يكون هذا إلا ببناء الإنسان من جديد، أن ننْشِئ هذا الإنسان خَلْقًا آخر، بدل أنْ يعيش للخمر واللهو، والنساء والعبث، وأكل أموال النَّاس بالباطل، نريد أنْ ننشئ إنسانًا جديدًا، له هدف، له رسالة يحيا لها، ويموت عليها، نريد صحابة جددًا، فمَن الَّذي ربى الصحابة؟ أليس النبي محمد ﷺ؟ الَّذي صب في عروقهم دمًا جديدًا بالإيمان الجديد، بالتوحيد، برسالة الإسلام.

الصحابة كانوا أناسًا مثلنا، لهم أعينٌ كأعيننا، وأرجلٌ كأرجلنا، وأيدٍ كأيدينا، وآذانٌ كآذاننا، ولكن ما نفترق فيه أنَّهم نشؤوا في الجاهليَّة، ونشأنا نحن في الإسلام، الإسلام أخرجهم من الظلمات إلى النور،

QaradawiBooks.com

أنشأهم إنشاءً جديدًا، كون منهم شخصيَّة جديدة، فعُمَر في الجاهليَّة غير عُمر في الإسلام، وخنساءُ الجاهليَّة غير خنساءِ الإسلام.

فإذا كنَّا نريد لأُمَّتنا أنْ تتبوَّأ مكانتها تحت الشمس من جديد، لا بدَّ أن نبني الإنسان المسلم من جديد، نبني عقيدته، ونبني أخلاقه، ونبني أفكاره، نبني شخصيته المتكاملة، ولا يمكن أن نبنيها إلا بالإسلام، والإسلام وحده. وهذا ما جرَّبناه.

فلن تستطيع أنْ تحرك سواكن هذه الأُمَّة، وتستثير القوى المبدعة والعاملة فيها، إلا إذا قدتها بـ: «لا إلٰه إلا الله والله أكبر»، إذا رفعتَ أمامها المصحف، إذا قدتها بسم الله، وجعلتَ إمامها وقائد زمامها محمدًا رسول الله. وبدون هذا لا يمكن أنْ تحرك ساكنًا للأُمَّة.

فالذي يحرك السواكن، ويفجر الكوامن، ويصنع الأعاجيب هو الإسلام.

وهذا ما بدأت الصحوة الإسلاميَّة تَعِيهِ وتدركه، وتصنعه وتقوم به، إنَّها تأخذ الإنسان من الانحراف إلى الاستقامة، من الضلالة إلى الهدى، من الحانة إلى المسجد، من الهزْل إلى الجِدّ، من لا شيء إلى كل شيء.

هذه هي الصحوة الَّتي نعيش لها وبها اليوم، ونحن نحمد الله تعالى أنَّنا بدأنا نعيش عصر الصحوة، ونرجو الله تبارك وتعالى أنْ تستمر هذه الصحوة ولا تميل يمينًا وشمالًا، ولا ينحرف بها المنحرفون.

القوى المُتَرَبِّصة بالصحوة:

أخشى على الصحوة من القوى المتربِّصة في كل مكان، وقد ذكر الكاتب المسلم اليَقِظ المعروف الأستاذ فهمي هويدي: أنَّ هناك أكثر من مائة ندوة أقيمت من أجل الصحوة الإسلاميَّة، تقيمها جهات معينة في

QaradawiBooks.com

أمريكا وغيرها. ويقول هو: إنِّي شاركت في عدد من هذه الندوات، ولا أدري الجهات الَّتي تخطط لهذه الندوات.

ولكن لماذا يحارب هؤلاء الصحوة؟! إنَّهم يريدون أنْ تموت هذه الصحوة، يريدون ألَّا تعرف هدفها، وأنْ تضل طريقها، وألا تصل إلى مرادها، ويجب أنْ نفوت عليهم هذا الغرض.

إنِّي لا أخشى على الصحوة من أعدائها الخارجيين، ولكنِّي أخاف على الصحوة من أبنائها أنفسهم، أنْ يشغل بعضهم بعضًا، وأنْ تتآكل الصحوة من الداخل قبل أنْ تضرب من الخارج، يجب أنْ يعرف أبناء الصحوة ماذا يريدون؟

الاهتمام بالقضايا الكبرى:

يجب أنْ يهتمّوا بالقضايا الكبرى، يهتمّوا بالكليات أكثر من اهتمامهم بالجزئيات، يهتمّوا بالأصول قبل الفروع، بالجوهر قبل الشكل، بالفرائض قبل النوافل، بالكبائر قبل الصغائر، بالمتَّفق عليه قبل المختلَف فيه. وهذا ما أريده من أبناء الصحوة، ومن موجهي الصحوة، ومرشديها.

إنَّ خصوم الإسلام ليسوا غافلين وليسوا لاعبين، فهم يرصدون ويدرسون، ويخططون ويعملون، ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

موقف أعداء الإسلام من الإسلام المعتدل:

النغمة الجديدة الَّتي أصبحوا يقولونها الآن في بعض الصحف الغربية: احذروا الإسلام المعتدل. وقبل قليل كانوا يقولون: احذروا

QaradawiBooks.com

الإســـلام المتطرف. فلما بدأنا نهاجم التطرّف، صاروا يقولون: احذروا الإسلام المعتدل، فإنه يبدأ معتدلا ثمَّ يتطرف، فالطبيعي في الإسلام أنَّه مُتشـــدِّد، فلا تصدقوا الَّذين يقولون: إنَّهم معتدلون، إنَّهم يبدؤون كذلك ثمَّ ينتهون إلى التطرُّف.

هذا ما يُرَدِّده خصوم الإســـلام وأعداؤه، فعلينـــا أن ندرك هذا جيدًا، وعلينا أن نقف على أرض صُلبة، أن نعرف ماذا نريد، وأن نعرف الطريق إلى ما نريد، وأن نقف صفًّا واحدًا أمام هذه القوَى المعادية، سائلين الله تبارك وتعالى أنْ يلهمَنا الصواب، وأنْ يوفقنا في مســـيرتنا، وأنْ يســـدد خطانا حتَّى نصـــل إلى ما نصبو إليه، من نصرة ديـــن هذه الأُمَّة، وجمع كلمتها على الحق والهدى، وما ذلك على الله بعزيز.

أســـأل الله الَّذي جعل يومنا خيرًا من أمسنا، أنْ يجعل غدنا خيرًا من يومنا، إنَّه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأكتفي بهذا القدر لنفتح باب الأسئلة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة اللقاء المفتوح

تهمٌ مُوَجَّهة إلى الشيخ القرضاوي

السؤال: فضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن عبد الله القرضاوي حفظه الله تعالى، والله إنِّي أحبّك في الله، كما يحبُّك الملايين من عباد الله في البحرين، وفي كل بلاد الله، وبعد:

فإنَّنا كثيرًا ما نسمع من الشباب ـ وأحيانًا من الشيوخ ـ تهمًا موجهة للدكتور القرضاوي، فَحْوَاها: أنَّ الشيخ القرضاوي متساهل في الدِّين، وأنَّ الشيخ القرضاوي شيخٌ عصريٌّ أكثر منه سلفيٌّ، وأنَّ الشيخ القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم، وأنَّ الشيخ القرضاوي يفتي بما يريده النَّاس على حساب ما يريده الشرع.

ويضربون لتهمهم أمثلة: أنَّ الشيخ القرضاوي يُجيز إخراج زكاة الفطر نقدًا، ويبيح التصوير الفوتوغرافي، ويُبيح الغناء، ويُبيح للنساء كشف الوجه أمام الأجانب، ويُبيح سفر المرأة للدراسة بدون مَحْرَم، ولا يحرم التدخين، ولا حلق اللحية، إلى آخر هذا الكلام.

ونحن لا نريد منك ـ يا شيخنا الجليل ـ أنْ تدافع عن نفسك، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ولكنَّا نريد أنْ تُبَيِّن بكلِّ وضوحٍ رأيَ الشرع في التُّهم الموجَّهة إليك، ولغيرك من العلماء الأفاضل، الَّذين ينهجون نهجكم، وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

الجواب: هذه أشياء ينبغي أن نبدأ بها لنوضحها، وإن كانت لا تحتاج إلى إيضاح في نظري، فطالما وضحتها، لكن لأنَّها تهَمُّ ـ كما يقول الأخ ـ فلا بأس أنْ أبين وأوضح.

QaradawiBooks.com

بداية أشكر الأخ الَّذي بدأ رسالته بقوله: أحبُّك في الله، كما يحبك الملايين من عباد الله. فأقول: أسأل الله لك ولأمثالك أنْ يحبكم الله ﷻ، وأنْ يجعل حُبَّنا في ذاته، وفي سبيله، ولمرضاته، وأنْ يظلَّنا ببركة هذا الحبِّ في ظِلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه.

التهمة الأولى: القرضاوي متساهل في الدِّين:

قالوا: إنِّي متساهلٌ في الدِّين، والواقع أنَّ مسألة التساهل وعدم التساهل من الأمور النسبيَّة، فهناك من النَّاس مَن يتهمني بالتشدُّد، وهذه مشكلة مَن يقف الموقف الوسط دائمًا، فهو لا يعجب أهل اليمين، ولا يعجب أهل الشمال.

جاءني أحد الإخوة بمجلة كتِب فيها: إنَّ يوسف القرضاوي من المُتطرِّفين الَّذين يعيشون في الخليج. فاعتبرتني من المُتطرِّفين، وهذا ليس بمستبعَد، فكثير من النَّاس لا يعجبهم هذا ولا هذا.

ولكن في الحقيقة لا أعتبر نفسي متساهلًا، ولكن أعتبر نفسي ميسرًا، والنَّاس تختلف في مسألة التشديد والتيسير، فهي طبائع بشريَّة، فالفقهاء فيهم المتشدد والميسر، بل وكان في الصحابة ابن عباس رضي الله عنهما ميسرًا، وابن عمر رضي الله عنهما مشددًا.

كان ابن عمر في الحج يزاحم على الحجر الأسود حتَّى يدمى[1]. فلما سئل عن ذلك، قال: هوت الأفئدة إليه فأريد أنْ يكون فؤادي معهم[2].

(١) عن طلحة بن إسحاق بن طلحة قال: سألت القاسم بن محمد عن الزحام على الركن فقال: زاحم يا ابن أخي، فقد رأيتُ عبد الله بن عمر يزاحم حتى يدمى أنفه. رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٧).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٧٦/٣).

QaradawiBooks.com

وابن عبَّاس يقول: لا يُؤذِي ولا يُؤذَى[١]. فهذه طبائع.

قال ابن القيِّم: «كان هذان الصاحبان الإمامان (ابن عمر وابن عبَّاس ﷺ): أحدهما يميل إلى التشديد والآخر إلى الترخيص، وذلك في غير مسألة. وعبد الله بن عمر كان يأخذ من التشديدات بأشياء لا يوافقه عليها الصحابة، فكان يغسل داخل عينيه في الوضوء حتَّى عمي من ذلك، وكان إذا مسح رأسه أفرد أذنيه بماء جديد، وكان يمنع من دخول الحمام، وكان إذا دخله اغتسل منه، وابن عباس: كان يدخل الحمام.

وكان ابن عمر يتيمم بضربتين، ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين، ولا يقتصر على ضربة واحدة، ولا على الكفين، وكان ابن عباس يخالفه ويقول: التيمم ضربة للوجه والكفين.

وكان ابن عمر يتوضأ من قبلة امرأته ويفتي بذلك، وكان إذا قبل أولاده تمضمض ثمَّ صلى، وكان ابن عباس يقول: ما أبالي قبلتها أو شممت ريحانًا[٢].

وكان يأمر من ذكر أن عليه صلاة وهو في أخرى أنْ يتمها ثمَّ يصلي الصلاة الَّتي ذكرها ثمَّ يعيد الصلاة الَّتي كان فيها، وروى أبو يعلى الموصلي في ذلك حديثًا مرفوعًا في مسنده[٣]، والصواب أنَّه موقوف على ابن عمر. قال البيهقي: وقد روي عن ابن عمر مرفوعًا ولا يصح،

(١) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في الطهارة (٥٠٥).

(٣) رواه أبو يعلى في معجمه (١١٠)، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو مع الإمام، فإذا فرغ من صلاته فليعد الصلاة التي نسي، ثم ليعد الصلاة التي صلاها مع الإمام**». قال البيهقي في السنن (٢٢١/٢): تفرد أبو إبراهيم الترجماني برواية هذا الحديث مرفوعًا، والصحيح أنَّه موقوف من قول ابن عمر. وكذا قال الدارقطني في العلل (٢٩١٣)، تحقيق محمد بن صالح الدباسي، نشر مؤسسة الريان بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

قال: وقد روي عن ابن عباس مرفوعًا ولا يصح[١]. والمقصود أنَّ عبد الله بن عمر كان يسلك طريق التشديد والاحتياط.

وقد روى مَعْمَر، عن أيُّوب، عن نافع عنه، أنَّه كان إذا أدرك مع الإمام ركعة أضاف إليها أخرى، فإذا فرغ من صلاته سجد سجدتي السهو[٢]. قال الزهري: ولا أعلم أحدًا فعله غيره»[٣].

الإسلام دين اليُسر:

وأنا بطبيعتي جعلني الله مُيَسِّرًا، وأرى أنَّ الإسلام دين يسر، فاليسر ليس شيئًا غريبًا على طبيعة الإسلام، بل قامت شرائع الإسلام كلّها على اليسر.

لذلك نرى في ختام آية الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي ختام آية الطهارة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وفي ختام سورة الحج: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وهكذا.

ويقول الرسول ﷺ: «**إِنِّي أُرْسِلْتُ بحنِيفيَّةٍ سمْحة**»[٤].

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (٢/٢٢١، ٢٢٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في الصلاة (٣٣٩٧، ٣٣٩٨).

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/٤٥، ٤٦)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٤) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٢/٤٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وقام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «**دَعُوه وأَهَرِيقوا على بَوْله سَجْلًا من ماء** ـ أو ذَنوبًا من ماء ـ **فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرين، ولم تبعثوا مُعَسِّرين**»(١).

وقال النبيُّ ﷺ لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما، حين أرسلهما إلى اليمن: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا**»(٢).

هذه وصيَّة تشمل التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، وهذا هو منهجي في الفتوى أو الدعوة.

هناك بعض النَّاس حينما يدعون، يغلبون جانب الترهيب على جانب الترغيب، النَّار تذكر أكثر ممَّا تذكر الجنَّة، جانب الوعيد يغلب جانب الوعد، فيفهم منهم دائمًا أنَّ الله شديد العقاب، ويغفل أنَّ الله غفور رحيم، والرسول ﷺ قال: «**بَشِّروا ولا تُنَفِّروا**».

الحاجة إلى التيسير في هذا العصر:

فأنا أقول: الإسلام قام على التيسير، ونحن في حاجة إلى التيسير وخاصَّة في هذا العصر، لأنَّنا في عصر رق فيه الدين، وضَعف فيه اليقين، وأقبلتْ الدنيا على الناس، وطغت المادية، واختلط المسلمون بغيرهم، وأثرتْ فيهم الحضارات الأخرى، فأصبح النَّاس في حاجة إلى أنْ تيسر لهم، حتَّى تشجع النَّاس على الخير.

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

فتوى المسح على الجورب:

لقد أفتيتُ شخصًا بأنْ يمسح على الجَوْرب، وهو ما أَفتَى به عشرة من الصحابة، وبعد أنْ أفتيتُه، قال: والله لقد كنتُ أتكاسل عن الصلاة، وخاصَّة في العمل؛ لأنَّ مشكلتي في الصلاة الوضوء، ومشكلتي في الوضوء غسل الرجلين.

وخاصة عند لابسي البنطال، ومع وجود الأحواض العالية، فيصعب عليه أنْ يرفع قدميه، فيجد أهون ما عليه أنْ يترك الصلاة تكاسلًا، فقلت له: البسهما على طهارة ثمَّ امسح عليهما.

فهذا من التيسير، ولماذا لا نيسر على الناس، وقد يَسَّر عليهم ربُّهم، وما دام لنا في تيسيرنا أسوة وقدوة بمَن سبقونا.

فأنا أزعم أنِّي لست متساهلًا في الدِّين، والحمد لله، وإنَّما أنا ميسر، وهذا ما جاء به الإسلام. هذه هي التهمة الأولى، وأظن أنِّي منها بريء.

التهمة الثانية: الشيخ القرضاوي شيخ عصري أكثر منه سلفي:

أنا لا أرى تعارضًا بين السلفيَّة والمعاصرة، بل على العكس، فالسلفيَّة تكون دائمًا مجددة، والتجديد يكون دائمًا سلفيًّا، والمجددون هم الَّذين يدعون النَّاس إلى اتباع السلف، وأكبر مدرسة تجديدية في التاريخ الإسلامي، هي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وتلاميذهم.

هذه المدرسة مجددة وسلفية، وجاءت بالتيسير على النَّاس في مسائل كثيرة، ويكفي ما جاء به ابن تيمية في مسائل الطلاق وغيرها، الَّذي اعتبِر من أجلها ابن تيمية خارجًا على المذاهب الأربعة، وخارجًا على الإجماع، وامتحن وابتلي وسجِن، بل ومات في السجن.

QaradawiBooks.com

موقف النَّاس من ابن تيمية:

بعض النَّاس يظنّ أنَّ ابن تيمية مات في السجن، لأنَّ حكام زمانه وقفوا ضده، وهذا غير صحيح، فالحكام كانوا يحترمونه جدًّا، ولكن الَّذي وقف ضده هم علماء زمانه، علماء التقليد والمذهبية والعصبية، هم الَّذين أغروا به السلاطين حتَّى سجنوه. فابن تيمية كان مجددًا وكان سلفيًّا.

أكثر العصور تيسيرًا هو عصر الصحابة:

وأنا أقول لكم: من خلال القراءة الطويلة لتراثنا، والتعمّق فيه، رأيت أنَّ أكثر العصور تيسيرًا: عصر الصحابة، فهم أفقه النَّاس للإسلام، وروح الإسلام، ولذلك إذا نظرتَ إلى فقه عمر، وفقه عائشة، وفقه ابن مسعود، وجميع الصحابة، تجدهم ميسرين جدًّا، وتلاميذهم قريبون منهم أيضًا.

ثم ما جاء عصر بعد ذلك إلا وشدد، وأخذ بالأحْوط ـ والأحوط يعني: التشديد ـ فلا تجد للإسلام يسرًا، ويصبح الدين مجموعة أحوطيات، وإذا غلبت الأحوطيات غلب التشدّد.

ولم يكن عند المتأخِّرين الشجاعة الَّتي كانت عند الصحابة، ولذلك يأخذون بالأحوط دائمًا، والأحوط هو أنْ يشدد، والأحوط أنْ يحرم، والأحوط أنْ يمنع الرّخص.

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم، أكثر النَّاس تيسيرًا، فإذا قلنا: العودة إلى السلفيَّة، فالمقصود العودة إلى التيسير.

فإذا نظرتَ إلى المُتَأخِّرين تجد عندهم تخوُّف وتشدُّد، فيخفون أشياء بقصد ألا تستعمل في غير موضعها، فمنع بعضهم جواز الأخذ بالمصالح

QaradawiBooks.com

المرسلة، قالوا: لأنَّنا نخشى إنْ فتحنا هذا الباب أنْ يسير الحكام الظلمة فيه إلى غير مدًى، ويُعَطِّلوا الشرع باسم المصلحة.

ونقرأ في كتب الفقه مثلًا: جواز أخذ الحاكم ضرائب من النَّاس ليُقيم قناطر أو سدودًا، أو يحفر بئرًا، وغيرها، فتجد بعض هؤلاء الفقهاء يقول: وهذا أمر يُعْرف ولا يُعَرَّف. أي: اعرفها ولا تُعَلِّمها أحدًا حتَّى لا تطغي أئمَّة الجور.

ولذلك لا أرى تعارضًا أبدًا بين السلفيَّة والتجديد، أو بين السلفيَّة والمعاصرة، أنا سلفيٌّ عصريٌّ، ولا بأس أنْ يعيش الإنسان في عصره، فليس العالم الَّذي يقرأ في الكتب ولا يقرأ الواقع، ويعيش بين الماضي وينسى العصر.

مسألة خلق القرآن وقضايا العصر:

كنت مدعوًّا لطعام غداء في مرَّة من المرَّات، وجاءت قضيَّة خلق القرآن، وسُئِلْتُ: هل القرآن مخلوق أم لا؟!

فقلتُ: لا يثير عاقل مثل هذه القضيَّة في عصرنا؛ لأنَّها ليست قضيَّة عصرنا، بل كانت قضيَّة عصر تأثر بالفلسفات القديمة وغيرها، أمَّا القضيَّة الآن: هل القرآن كتاب الله أو لا؟ وفيه أحكام الله أو لا؟ هل يصلح أنْ يحكم الأُمَّة، أم تستطيع أنْ تحتكم إلى غيره؟!

هذه هي القضيَّة، وهذا هو المقصود بالعصريَّة، أن أشغل النَّاس بقضايا عصري، لا أنْ أثير قضايا عصور مضتْ لا يحتاج إليها الناس.

وممَّا يروى عن وهب بن مُنَبِّه: في حكمة آل داود: حقٌّ على العاقل أنْ يكون عارفًا بزمانه، حافظًا للسانه، مقبلًا على شَانِه[1].

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣١).

QaradawiBooks.com

وممَّا يُروى عن بعض السلف: رحم الله امرأً عرَف زمانه، واستقامت طريقته[١].

فالسلفيَّة لا تُنافي العصريَّة إطلاقًا، بل السلفيَّة الحقيقيَّة لا بدَّ أنْ تكون عصريَّة، ولا يمكن أنْ ننسى أنَّنا نعيش في ظرفٍ مُعَيَّن، ووقتٍ مُعَيَّن، ونعرف مشكلات عصرنا، وكيف نصف لها الحلول من داخل الإسلام، وأيّ فقيه أو داعية يغفل هذا، يكون قد أخطأ خطأً فاحشًا.

التهمة الثالثة: القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم:

الحقيقة أنَّ هذا ليس وصفًا لي أنا، بل هو وصفٌ للإسلام، فالإسلام هو الَّذي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم، ولذلك هناك قاعدة أصولية تقول: الأصل في الأشياء الإباحة. فلا يصحّ أبدًا أنْ تقول لي: عد المباحات في أمر كذا، فأقول لك: لا أستطيع، فكلّ شيء مباح، إلا ما حرمه الله ورسوله، وورد نصٌّ بذلك.

فلا حرام إلا فيما جاء فيه نصٌّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة. وهذه المشكلة هي الَّتي بيني وبين الكثيرين، فبعضهم يأتي بنصوص غير صحيحة، أو نصوص غير صريحة الدلالة على ما يريدون.

وأنا في الواقع أخاف من كلمة حرام، فبعض النَّاس يستهينون بها، وهي كلمة خطيرة، أنْ تحرم الحلال أو تحلل الحرام، والقرآن أنكر على الَّذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٤/٢٩).

QaradawiBooks.com

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧]، فمسألة التحريم لا بدَّ فيها من نصٍّ، نصّ ثابت وصريح، وإلا كان أمرًا مجتهَدًا ومختلفًا فيه، قد يحكم فيه من ناحية الشبهة عند مَن قامت له الشبهة، إنَّما إذا لم يأتِ الدليل فالأصل الإباحة.

هناك أناس يكثرون من كلمة: حرام. وهي أسهل الكلمات على ألسنتهم، لكنِّي لا أستطيع أنْ أحرم بغير دليل صحيح الثبوت صريح الدلالة؛ لأنَّ معنى حرام: أنَّ هذا الفعل يعاقب الله فاعله بالنار. فكيف أتألَّى على الله وأقول: إنَّ فاعل هذا في النار، وتاركه في الجنة، وليس عندي من الله برهان؟! ويقولون عني: متساهل بسبب هذا!

التهمة الرابعة: الشيخ القرضاوي يفتي بما يريده النَّاس على حساب الشرع:

وهذا ليس صحيحًا، ولو أنَّ الإنسان يفتي بما يريده الناس، لزايَد في سوق التشْديد، فالتشديد له سوق رائجة جدًّا، والمشددون يطبل لهم ويزمر، وهناك ـ للأسف ـ مَن يشدد ليرضِي الناس، وأنا حقيقة أرجو أنْ أكون ممن يرضِي الله وحده، فأنا لا يهمّني أنْ أرضِي زيدًا أو عمروا، وهيهات أنْ ترضي جميع الأذواق وجميع الميول، وكما قال الشاعر:

ومَن في النَّاس يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ وبينَ هوى النُّفوس مَدًى بعيدُ[1]

وقال آخر:

إذا رَضِيَتْ عَنِّي كرامُ عَشِيرتي فلا زال غَضْبَانًا عليَّ لِئَامُهَا[2]

(١) من شعر ناصيف اليازجي.

(٢) البيت لأبي العيناء محمد بن القاسم قاله للمتوكل العباسي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٤٧١/١)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

فأنا لا أريد أبدًا رِضَا فلان أو علان، ولكن أهتمّ بالدليل، وأكون وراء الدليل، وليس من حق أحد من النَّاس أنْ يلزمني برأيه هو، وإذا لم أكن على رأيه أصير عدوًّا له، ومخالفًا للمنهج الصحيح، فمَن الَّذي جعل منك حَكَمًا، حتَّى تخَطئ الآخرين لأنَّهم خالفوك؟! فهذه التّهم ليست صحيحة.

بعض المسائل الَّتي يستند عليها هؤلاء في تهمهم هذه:

وذكر السائل بعض المسائل الَّتي يستند عليها هؤلاء في تهمهم هذه، فسأذكرها وأردّ عليها:

المسألة الأولى: القرضاوي يبيح زكاة الفطر نقدًا:

وماذا في هذا؟ هذا رأي أبي حنيفة وأصحابه، ورأي خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز، الَّذي كان يأخذ زكاة الفطر بالدراهم، ويوزعها.

والمشكلة ـ أيُّها الإخوة ـ تكمن في أنَّ في الإسلام مدرستين: مدرسة ترى أنَّ أحكام الشرع مُعَلَّلة، وأنَّ للشريعة مقاصد.

ومدرسة نُسَمِّيهم الظاهريَّة الجدد، فهناك الظاهريُّون القُدَامى، كأبي داود الظاهري، وابن حزم الظاهري.

وابن حزم هذا إمامٌ علَّامة انتفعتُ بكتبه، ولكنَّه ظاهري، فيرى أنَّ الشرع يُفَرِّق بين المتساويين، ويجمع بين المختلفين، ويأخذ بظاهر النُّصوص.

ففي حديث: «**لا يبولنَّ أحدُكم في المـاء الدائم الَّذي لا يجري**»[1]. يقول: «البائل في الماء الراكـد الَّذي لا يجري حرام عليه الوضوء بذلك الماء والاغتسال به لفرض أو لغيره، وحكمه التيمم إنْ لم يجد غيره.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وذلك الماء طاهر حلال شربه له ولغيره، إن لم يغير البول شيئًا من أوصافه، وحلال الوضوء به والغسل به لغيره.

فلو أحدث في الماء أو بال خارجًا منه، ثمَّ جرى البول فيه فهو طاهر، يجوز الوضوء منه والغسل له ولغيره، إلا أنْ يغير ذلك البول أو الحدث شيئًا من أوصاف الماء، فلا يجزئ حينئذ استعماله أصلًا له، ولا لغيره...

فلو أراد عليه السلام أنْ ينهى، عن ذلك غير البائل لما سكت عن ذلك عجزًا ولا نسيانًا، ولا تعنيتا لنا بأنْ يكلفنا علم ما لم يبده لنا من الغيب...»[1].

وفي حديث: «**لا تُنْكَح الأيِّمُ حتَّى تُستأمَر، ولا تُنْكَح البكر حتَّى تُستأذن**». قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: «**أنْ تسكت**»[2].

«قال أبو مُحَمَّد: فذهب قومٌ من الخوالف إلى أنَّ البِكْرَ إنْ تكلَّمت بالرضا، فإنَّ النكاح يصحّ بذلك، خلافًا على رسول الله ﷺ، وعلى الصحابة رضي الله عنهم. فسبحان الَّذي أوهمهم أنَّهم أصحَّ أذهانًا من أصحاب رسول الله ﷺ، وأوقع في نفوسهم أنَّهم وقفوا على فَهم وبيان غاب عنه رسول الله ﷺ، نعوذ بالله عن مثل هذا. فأمَّا رسول الله ﷺ فإنَّه أبطل النكاح ـ كما تسمعون ـ عن البكر ما لم تُستأذن فتسكت، وأجازه إذا استأذنت فسكتت بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تُنْكَح البِكْرُ حتَّى تستأذنَ، وإذنُها صُماتها**».

وأمَّا الصحابة فإنَّهم ـ كما أوردنا في الخبر المذكور آنفا ـ لم يعرفوا ما إذن البكر، حتَّى سألوا رسول الله ﷺ عنه، وإلَّا فكان سؤالهم عند هؤلاء فضولًا، وحاشَ لهم من ذلك، فتنبه هؤلاء لما لم يتنبه له أصحاب

(١) انظر: المحلى لابن حزم (١٤٢/١ ـ ١٤٥) مسألة (١٣٦) بتصرف.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ، ولا نبه عنه عليه السلام، وهذا كما ترون. وما علمنا أحدًا من السلف رُوِيَ عنه أنَّ كلام البكر يكون رِضًا»[١].

يقول: إذا نطقت لا يصحُّ العقد، لمخالفته الحديث.

وهذه هي الظاهريَّة والحَرْفية، لأنَّه يرى أنَّ الأحكام لا تعلل. ونحن ضد هذا، فنقول: الأحكام لها مقاصد، ولها علل.

فمثلًا: زكاة الفطر، لها مقصد، أم لا؟ فأنا ـ وأعوذ بالله من كلمة أنا ـ ومَن سبقني نقول لها مقصد، ودل عليه بعض الأحاديث، مثل: «**أغنوهم في هذا اليوم**»[٢]. فإذن هو يقصد الإغناء، فبدلاً من أنْ يذهب الفقير إليك، تبحث أنتَ عنه في هذا اليوم، فالإغناء هو الهدف، والإغناء قد يتحقق بالطعام، أو بالمال يشتري به الطعام أو غير الطعام، والنبيُّ ﷺ لم يُقَدِّر زكاة الفطر نقودًا؛ لأنَّ النقود كانت عند العرب عزيزة جدًّا.

لم يكن للعرب قبل البعثة نقودًا، ولم يضربوا نقودًا، ولكن كانت النقود تأتيهم، إما فضية من بلاد الفرس وهي «الدراهم»، أو ذهبية من بلاد الروم وهي «الدنانير».

ولم تكن هذه النقود إلا عند التجار، أمَّا المزارعون وأصحاب الإبل وغيرهم فلم يكن عندهم نقود، فيسر عليهم، ولم يطالبهم بما ليس عندهم، فجعلها صاعًا من زبيب، أو من تمر، أو من شعير، أي شيء يتيسر له.

ومن ناحية أخرى فقد حدد النبيّ ﷺ مقدار الزكاة بالصاع؛ لأنَّه يشبع حاجة بشريَّة محددة، فلو حددها بشيء من النّقود فقد يدركها تغيّر القدرة

(١) انظر: المحلَّى (٥٨/٩) مسألة (١٨٣٩).

(٢) رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي في الزكاة (١٧٥/٤)، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشـــرائية، فهي تعلو وتهبط في وقـــت ما، بينما الصـــاع لا يتغير، كما قال حكيم الإسلام ولي الله الدهْلوي: «وإنَّما قدر بالصاع؛ لأنَّه يشبع أهل البيت، ففيه غنية معتدٌّ بها للفقير، ولا يتضرر الإنسان بإنفاق هذا القدر غالبًا»[١].

فهناك حكمة من هذا التقدير، وهي التيسير، وهذا ما جعل أبا حنيفة، بل جعل البخاري نفسه، وهو عَلَم من الأئمة يقول بجواز إخراج القيمة في زكاة المال أو في زكاة الفطر[٢].

ولما ذهب معاذ بن جبل إلى اليمن قال لهـــم: ائتوني بعَرَض ثياب خميص، أو لبيس في الصدقة، مكان الشعير والذرة؛ أهون عليكم، وخير لأصحاب النبي ﷺ بالمدينة[٣].

فقد كانت اليمن مشهورة من قديم بالمنسوجات، فقال لهم: هاتوا لي هذه البرود والمنســـوجات، ونأخذهـــا بالقيمة بدلًا من الذرة والشـــعير وغيره، وهـــذا أهون عليكـــم، ولأنَّ الفقراء في المدينـــة محتاجون لها، فالنفع من الناحيتين.

وهذا ما ارتضاه الإمام البخاري ومال إليه، موافقًا للحنفية مع أنَّه مِن أكثر مَن خالف الحنفية، وروى أيضًا هذا الرأي عن عمر بن عبد العزيز،

---

(١) انظر: حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي (٦٨/٢)، تحقيق سيد سابق، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) قال الحافظ في فتح الباري (٣١٢/٣): قال ابن رشيد: وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم لكن قاده إلى ذلك الدليل.

(٣) رواه البخاري معلقًا مجزومًا به في كتاب الزكاة من صحيحه، عن طاوس، ووصله يحيى بن آدم في الخراج برقم (٥٢٦)، والبيهقي في الـــزكاة (١١٣/٤). وقال الحافظ في تغليق التعليق (١٣/٣): وهو إلى طاووس إسناد صحيح لكنَّه لم يسمع من معاذ فهو منقطع. راجع الكلام على حديث معاذ في كتابنا: فقه الزكاة (٨١٥/٢ ـ ٨١٩).

QaradawiBooks.com

والحسن البصري، وإليه ذهب سفيان الثوري، وروي عن أحمد مثل قولهم في غير زكاة الفطر.

إنَّ هؤلاء الَّذين يقولون: إخراج الزكاة نقودًا باطل، ويقدمون فتاوى في الإذاعة، وخطب منبرية نارية، ومعركة مع المخالفين لهم في هذا الأمر، نسَوا أنَّهم يعسرون على الفقير، ولو قالوا: الَّذين يقيمون في القرى أو البادية، يخرجونها تمرًا أو أرزًا، إلى آخره، لكان هذا هو الأصلح.

فلو رأيتَ القاهرة مثلًا، فيها (١٢ مليون) مسلم، أقول للمسلمين الموجودين بها، أخرجوا (١٢ مليون) صاعًا من الشعير، أو الذرة أو القمح، فمن أين يأتون بـ (١٢ مليون صاعًا)، هل يذهبون إلى الريف ليأتوا بالـ (١٢ مليون صاع؟!) ولو فرض أنَّهم جاؤوا بها، فلمن يعطوها؟ والفقير في هذه المناطق وأشباهها، لا يأخذ الذرة أو الدقيق ليطحنه أو يعجنه، كما هو موجود في الأرياف، فبذلك تعطيه شيئًا لن ينتفع به، وتكون ـ بدلًا من أنْ تيسر عليه ـ عسرت عليه.

وهذه هي العصريَّة أيُّها الإخوة، إذا أردت أنْ تَحْكم، فاحكم على نفسك، لكن لا تحكم على جميع المسلمين، وتحمل الفقير ما لا طاقة له به، وأنا منذ ذهبت إلى قطر أفتي بهذا، ويفتي بهذا أيضًا فضيلة الشيخ: عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية، وأنا أرجح مذهب أبي حنيفة في هذا، وقد قال علماء الحنفية: فإنْ قيل: أيهما أفضل: دفع القيمة أم دفع الحنطة وغيرها، قلنا: إذا كان زمان رخاء، دفع القيمة أفضل، وإذا كان زمان قحط ومجاعة دفع البر والحنطة وغيرها أفضل. لأنَّ الإنسان لن يأكل النقود، فهو أحوج إلى هذا الآن.

QaradawiBooks.com

ففي المجاعة في السودان، أو غيرها لا تعطوهم نقودًا وإنَّما أعطوهم الأرز والذرة، ووفروا لهم الطعام. وهذا هو المعقول.

فالمشكلة أيُّها الإخوة، هل الأحكام الشرعية لها مقاصد وعلل أم لا؟ يقولون: لقد خالفتم السُّنَّة. وأنا أقول: لا والله، ما خالفنا السُّنَّة أبدًا، ولو فهمنا السُّنَّة على حقيقتها لعرفنا أنَّ القصد أن نغنيهم.

فأي القولين أسدّ وأرشد، وأهدى وأقرب إلى مقاصد الشريعة وروح الإسلام؟!

المسألة الثانية: الشيخ القرضاوي يبيح التصوير الفوتوغرافي:

أفتى مفتي الديار المصريَّة في عصره الشيخ محمد بخيت المطيعي ـ وكان علَّامة عصره ـ بإباحة التصوير الفوتوغرافي، وألَّف رسالة سمَّاها «الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي»، وجاء بالأدلَّة وناقش، وانتهى إلى أنَّ هذا التصوير ليس الَّـذي جاء في الحديث؛ لأنَّ التصوير الَّذي جاء في الحديث هو مضَاهاة خلق الله، وهذا ليس مضاهاة خلق الله، بل هو خلق الله نفسه.

فالتصوير الفوتوغرافي هو انعكاس، مثل انعكاس الصورة في المرآة، الأمر الجديد فقط هو أنك بوسـائل معينة حبسـتَ هـذا الظل وأبقيته، وثبته، وأنا قلت: لو جاء الشيخ بخيت رحمه الله إلى الخليج لكان سمع أهل الخليج يقولون عن الصور: عكس. ويسمُّون المصور عكاسًا. فليست هي مضاهاة لخلق الله.

والمقصود بالمُصَوِّريـن في الحديث غير هذا النـوع؛ لأنَّه لم يكن موجودًا، فمن الظلم لألفاظ الحديث أنْ تحملها أشياء لم تكن موجودة،

QaradawiBooks.com

وقد قال بعض علماء السلف: الرسم باليد لا يدخل في التصوير. وهو مذهب القاسم بن محمد[١]، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وغيره ممن قالوا: إن كل صورة لا ظِل لها، أي: غير مجسمة، فهي حلال[٢]. وفي هذا الأمر كلام طويل ليس هنا مجاله.

المسألة الثالثة: الشيخ القرضاوي يبيح الغناء:

أنا لا أبيح الغناء بصفة مطلقة، ولكنِّي أقيده بقيود:

القيد الأول: أنْ يكون موضوع الغناء متَّفِقًا مع أدب الإسلام، فلا يأتي أحدٌ يقول: «الدنيا سيجارة وكاس». أو يقول: «أبو عيون جريئة». فالإسلام يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]، وهذا الَّذي يقول: «أبو عيون جريئة». وكأنه يجرئ النَّاس على المعاصي، وكأنَّ العيون الجريئة هي الَّتي تستحق المدح، وهكذا. فلا بدَّ أنْ يكون موضوع الأغنية متفِقًا مع الأدب الإسلامي.

القيد الثاني: أنْ تكون طريقة الأداء جادة، فالأداء الَّذي فيه تَكسّر وخلاعة ومياعة وإغراء لا يقبَل إطلاقًا، بل هو في الكلام العادي لا يقبَل، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فكيف إذا كان معه نغم، فقطعًا هو أشدّ تحريمًا.

---

(١) عن ابن عون، قال: دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته، فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير؛ القندس والعنقاء. رواه ابن أبي شيبة في اللباس (٢٥٨١٠)، وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح (٣٨٨/١٠).

(٢) راجع: شرح مسلم للنووي (٨١/١٤، ٨٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة ١٣٩٢هـ، وفتح الباري لابن حجر (٣٨٨/١٠).

QaradawiBooks.com

القيد الثالث: إذا اقترن بالغناء شـــيء آخر، من فسق أو خمر وغيره، فإنه يكون حرامًا، وهذا الَّذي جعل التشـــدّد من قديم في مسألة الغناء، وذلك أنَّ الوسط الفني ـ كما يقولون ـ منذ القدم هو وسط ملوث بالترف والســـرف والخمور، وغيرها، فقلما يســـلم منه إلا مَن رحم ربي، وكان النَّاس قديمًا لأجل أنْ تســـمع الغناء، لا بدَّ أنْ تذهب إلى مجلس الغناء والطرب، وهو مجلس فيه ما فيه من أنواع المنكرات.

ولكن الإنسان في عصرنا هذا يستطيع أنْ يسمع الغناء وهو بعيد عن المغنين، ومجالس الترف والسرف هذه، فيفتح الراديو ويسمع الأغنية إذا كانت معناها لا بأس به، وأداؤها لا بأس به، أصبح هذا شيئًا آخر، وهذا معنى العصريَّة الَّتي يعيبون عليها، أنْ تفَـــرق بين ما يحدث الآن، وبين ما كان يحدث من قبل.

القيد الرابع: أنِّي أبيـــح الغناء بقدر، لا بإطـــلاق، أبيحه بقدْر معين (مسألة الكم)، فإنسان يجلس طوال النهار، يسمع الأغاني في محطة من المحطات، ثـــمَّ ينتقل إلـــى محطة أخـــرى، ويتقلب طـــوال النهار بين المحطـــات الغنائية، هذا لا يجـــوز أبدًا، ولا يفعله عاقـــل، بل لقد نهى الإسلام عن الإســـراف في العبادة، فكيف بالإســـراف في اللهو؟! وكلّ شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

بهذه القيود أنا أبيح الغناء، وأريد أنْ أقول شيئًا: هناك أناس ينظرون إلى فئة معينـــة من النـــاس، وكأنما يفتون لهـــذه الفئة، وأنـــا أنظر إلى المسلمين في كل مكان، وإلى الإنسان الَّذي هو حديث عهدٍ بالإسلام، أو حديث عهدٍ بتوبة، عاش في المعاصي، وهو جديد في الطاعة، أنظر إلى الإنســـان الَّذي في دينه رِقة، هؤلاء جميعا نريد أنْ نكسبهم، ونفتح لهم الأبواب الَّتي ظنّوها مغلقة، فلماذا نشدد عليهم؟!

QaradawiBooks.com

الأشخاص الَّذين يعيشون مع جماعة ملتزمين، ينبغي أنْ يعلموا أنَّه ليس كلّ النَّاس كذلك، ولا بدَّ للمفتي ـ حين ينظر إلى النَّاس ـ أنْ يكون نظره أشمل وأفقه أوْسع، فهذا يجعله يفتي بالأيسر.

المسألة الرابعة: الشيخ القرضاوي يبيح كشف الوجه واليَدَيْن:

ولستُ في هذا أوَّل مَن أباح كشف الوجه واليَدَيْن، بل هذا ما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك، وروي عن الإمام أحمد في ذلك ثلاث روايات: الأولى: كلُّها عورة إلَّا وجهها وكفيها، والثانية: كلُّها عورة إلَّا وجهها خاصَّة، واختاره الأكثر، والثالثة: أنَّها كلها عورة حتَّى ظفرها[١].

وهذا ما فسَّر به ابن عبَّاس وغيره، قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وقال: ما ظهر منها، الوجه والكفَّان[٢]. وابن عمر، وعن سعيد بن جبير[٣]، وجاء هذا عائشة[٤]، وأكثر المُفَسِّرين يقولون هذا، فأنا لم آتِ بجديد.

هناك رأي يقول: إنَّ الوجه والكفين من العورة، وهو مخالف لقول أكثر الفقهاء والمُفَسِّرين، من أنَّ الوجه واليدين ليسا من العورة.

ولو كان الوجه والكفَّان عورة، فما معنى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، فلو كان الأصل أنَّ كلَّ النساء منتقبات، فعمَّ سيغضُّ بصره؟ لا بدَّ أنَّ هناك شيء يرى، فأمرت أن أغضَّ بصري. وهذا هو المعقول.

---

(١) انظر: الفروع لابن مفلح (٣٥/٢)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٩٧).

(٣) المصدر السابق (١٧٢٩٠، ١٧٢٩٨).

(٤) رواه البيهقي في الصلاة (٢٢٦/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وابن حزم ـ وهو رجل ظاهري حرفي كما قلنا ـ يقول: «والعورة المفترض سترها على الناظر وفي الصلاة، من الرجل: الذكر وحلقة الدُّبُر فقط؛ وليس الفخذ منه عورة، وهي من المرأة: جميع جسمها، حاشا الوجه، والكفَّيْن فقط، الحر والعبد والحرَّة والأَمَة سواء»[1].

لو كان تغطية الوجه واجبة لقال الله تعالى وليضربنَّ بخمرهنَّ على وجوههنَّ، ولكن الله قال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والجيب هو فتحة الصدر، لأنَّ نساء الجاهليَّة كن يحببن أنْ يكشفن عن نحورهنَّ ويظهرن القلائد، فأمرهنَّ الله بسترها.

هل تريدون من الفتاة الَّتي تحجَّبت وواجهت حربًا من أهلها، بل ربَّما من والديها، تحجَّبت بمعركة بينها وبين أهلها ـ وقد رأيتُ هذا والله ـ هل تريدون أن نقول لها: أنت آثمة! لأنَّكِ لا ترتدين النقاب.

ثم هل المعركة الآن هي معركة الوجه والكفَّين أم أنَّ المعركة أصبحت معركة الذراعين، والنحور، والصدور، والظهور، والشعور، معركة «الميني جيب»، و«الميكرو جيب»، وغيرها من الأزياء الَّتي تلبسها المرأة هذه الأيام، وتظهر مفاتنها. هل نترك هذه المعركة، ونقول للفتاة المحجبة: أنتِ آثمة لأنَّك لا ترتدين النقاب؟ مَن يقول هذا؟!

ولكن إذا اقتنعت امرأة بالرأي الآخر، وغطت وجهها، فلْتغطه، بل ونقف معها ضد هؤلاء الَّذين يقيمون حربًا على هؤلاء المنتقبات، وينكرون عليها قائلين: ليس من الإسلام. إلى آخر ما يقولون. ولماذا تنكرون عليها هذا؟

وفي بعض البلاد أقاموا ضجة حول الفتيات المنتقبات اللاتي يدخلن الجامعة، وأنا أسأل لماذا؟! وتلك المتبرجة تدخل الجامعات، وتقولون:

(١) انظر: المحلَّى (٢٤١/٢) مسألة (٣٤٩).

QaradawiBooks.com

هذه حرية شخصيَّة. فهل العري حرية شخصيَّة، أمَّا الَّتي تغطي وجهها ليس لها من الحرية الشخصيَّة نصيب.

المسألة الخامسة: الشيخ القرضاوي يبيح سفر المرأة للدراسة من غير مَحْرَم:

سفر المرأة من غير محرم بصفة عامة، موضوع يرجع أيضًا إلى المقاصد، فما المقصود من سفر المرأة بمَحْرَم؟ لا شكَّ أنَّ المقصود هو حماية المرأة، أنْ تمتد إليها الأيدي أو الألسنة بسوء، والسفر قديمًا كان قطعًا للفيافي والأقطار على الجِمال، أو الخيل، أو البِغال، أو الحمير، فلا يمكن للمرأة أنْ تقطع هذه الفيافي بدون مَحْرم.

لكن الآن، المرأة تسافر في الطائرة، فيها مائة أو أكثر، فوجد الأمن، فما المانع أنْ يودعها مَحْرم، ويستقبلها مَحْرم؟! فمثلًا: موظف في بلاد الخليج، ويريد أنْ تسافِر امرأته إلى أهلها، فهل نلزمه أنْ يشتري تذكرة له ليسافر معها ويرجع؟! ما المانع أنْ يوصلها إلى المطار، ويستقبلها أخوها، أو أحد محارمها؟!

ولذلك فإنَّ ابن حزم الظاهري لم يجد نصًّا صريحًا يلزمه، ووجد حديثًا امتدح النبي فيه انتصار الإسلام، قال عدي رضي الله عنه: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثمَّ أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرة؟**» قلتُ: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: «**فإنْ طالت بك حياة، لتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتَّى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلَّا الله**»[1]. يعني أنَّ الأمن سينتشر حتَّى أنَّ المرأة تستطيع السفر وحدها.

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٥)، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

ولذلك أخذ ابن حزم بهذا، فقال: «وقال طائفة: تحج في رفقة مأمونة وإن لم يكن لها زوج ولا كان معها ذو محرم، كما روينا من طريق ابن أبي شيبة، نا وكيع عن يونس هو ابن يزيد، عن الزهري قال: ذكر عند عائشة أم المؤمنين المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم؟ قالت عائشة: ليس كل النساء تجد محرمًا[١]. ومن طريق سعيد بن منصور حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، عن نافع مولى ابن عمر قال: كان يسافر مع عبد الله بن عمر مولیات له ليس معهن محرم، وهو قول ابن سيرين وعطاء، وهو ظاهر قول الزهري، وقتادة، والحكم بن عتيبة، وهو قول الأوزاعي، ومالك، والشافعي، وأبي سليمان، وجميع أصحابهم»[٢].

إذا توفر الأمن جاز للمرأة أنْ تسافر بلا مَحْرَم، وذهب عددٌ من الفقهاء من أصحاب المذاهب الأربعة، إلى أنَّ المرأة تسافر لسفر الطاعة للحجِّ أو العمرة من غير مَحْرَم، مع نسوةٍ ثقات، بل مع امرأةٍ ثقة[٣]. كما لو فرض مثلًا أنْ سافرتْ بعض الطالبات، ومعهن ناظرة قوية مأمونة ثقة.

فأجاز بعضهم أنْ تسافر المرأة للحج أو العمرة، بل إنَّ ابن تيمية أجاز ذلك أيضًا، إذا كان الطريق آمنًا، ففي الفروع لابن مُفْلِح: «وعند شيخنا ابن تيمية: تحجُّ كلُّ امرأةٍ آمنةٍ مع عدم المَحْرَم، وقال: إنَّ هذا متوجِّه في كلِّ سفرِ طاعة»[٤].

ويبقى أمر الإقامة، هل تقيم وحدها، أم لا بدَّ من مَحْرم؟ وهذا يستوي فيه السفر والإقامة؛ لأنَّ النساء في المجتمع، لا يلزم أنَّ كل امرأة

(١) رواه ابن أبي شيبة في المناسك (١٥٤٠٨).
(٢) انظر: المحلَّى (١٩/٥، ٢٠) مسألة (٨١٣).
(٣) انظر: المجموع للنووي (٨٧/٧).
(٤) انظر: الفروع لابن مفلح (٢٤٥/٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

معها مَحْرم. فلو قدر أن امرأة مات زوجها، وليس لها أب أو أخ، ومعها أطفال صغار، ماذا تفعل؟ المعول عليه في ذلك الأمن، فإذا وجد الأمن لم يكن هناك حاجة للمحرم.

منذ حوالي عشرين سنة، أرادت وزارة التربية والتعليم في قطر، أنْ تتعاقد مع مدرسات غير متزوجات؛ لأنَّها لا تجد أحيانًا كثيرة امرأة متزوجة في تخصّص معين، ووجدتْ أنَّ المتزوجات كثيرًا ما يعقن حركة العمل، بسبب إجازات الولادة والرضاع، وغير ذلك، فرأتْ الوزارة أنَّ غير المتزوجات أفضل، واستفتوني في هذا الأمر، فقلت: أجيزكم ولكن بشروط، ومن هذه الشروط: أنْ يكون هناك بيت لهؤلاء الموظفات، وعليه إشراف قوي ورقابة، حتَّى لا يحدث أيّ عبث. ووضعنا الضوابط لذلك، لأنَّه إذا لم يتدخل أهل الشرع، أو تدخلوا وتشددوا خرج الأمر من أيديهم، ولم ينضبط.

لما جاء قاسم أمين وأمثاله، أرادوا أنْ تكشف المرأة وجهها، فعلماء الشرع في وقتها لم يجيزوا كشف الوجه. فقالوا في المقابل: نسير بلا شرع. فلما خرجوا من الشرع، خرجت المرأة من ثيابها بعد ذلك. وأظن أنَّ الأمر لو ضبط من البداية من قِبَل أهل الشرع، لظل مضبوطًا.

وهذا ما أجيزه بالنسبة لسفر المرأة، أنْ يكون مأمونًا، وبالطائرة، ويستقبلها مَحْرم، ويودعها مَحْرم، أعني أنْ يتوفر الأمن والطمأنينة، وبدون هذا لا يجوز.

المسألة السادسة: الشيخ القرضاوي لا يحرم التدخين:

على العكس تمامًا، فإنه يقال لي: أنت مشدد في أمر التدخين. وأنا مشدد في أمر التدخين، لأني أميل إلى التحريم، وذكرت هذا في كتابي

QaradawiBooks.com

«الحلال والحرام في الإسلام»[١]، وفي كتابي «فتاوى معاصرة» فتوى مطولة في حوالي اثنتي عشرة صفحة، ذكرت فيها الأدلَّة من قواعد الشرع على منعه، لمنع الضرر من جميع جوانبه: الضرر الجسمي، والضرر المالي، وذكرت بقيَّة الاعتبارات[٢].

فعلى العكس أنا من المُشَدِّدين في تحريمه، وأسألُ الله لكل مَن ابتلي بالتدخين أنْ يتوب منه.

المسألة السابعة: القرضاوي لا يُحَرِّم حلق اللحية:

بالنسبة لحلق اللحية، أنا لم أجد حديثًا صريحًا في تحريم حلق اللحية، وهناك قاعدة فقهيَّة تقول: عموم البلوى بالشيء من أسباب التخفيف فيه. أي إذا عمت البلوى بالشيء، فعلى الفقيه أنْ يخفف، ولذلك كان الفقهاء قديمًا يقولون: كشف الرأس يسقط المروءة ويسقط الشهادة. ثمَّ جاء بعض الفقهاء، فقالوا: إنَّ أهل المغرب والأندلس ومَن جاورهم، يسيرون كاشفي رؤوسهم، فلا يعتبر هذا مسقطًا للمروءة أو الشهادة؛ لأنَّنا لو فعلنا ذلك، ضاعت مصالح النَّاس بسقوط الشهادة.

وكذلك الحال في حلق اللحية، فلو اعتبرنا أنَّ كل حليق قد ارتكب حرامًا، وتسقط شهادته، لصارت مشكلة، وهذا من أسباب التيسير.

والإمام سفيان بن سعيد الثوري ـ وكان فقيهًا يقارن بأبي حنيفة ومالك، وكان صاحب مذهب ظل إلى عهد ابن تيمية في القرن الثامن ـ يقول: إنَّما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كلُّ أحد[٣].

(١) انظر كتابنا: الحلال والحرام صـ٨٦ ـ ٨٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.
(٢) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٦٥٤/١ ـ ٦٦٩) نشر دار القلم، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
(٣) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٤٦٧).

QaradawiBooks.com

فالتشديد سهل جدًّا، ولكن أنْ تيسر على الناس، وتفتح لهم باب سَعَة، هذا الَّذي يتعب الفقيه، وكثيرًا ما نجد العلماء قديمًا، بعد ذكر المسألة، يقول: وهذا أرفق بالناس. ومنهجي ـ حقيقة ـ هو: التشديد في الأصول، والتيسير في الفروع.

في الأمور الفرعية أميل إلى التيسير، أمَّا في الأصول الكلية فكما يقولون: «رأسي وألف سيف». أشَدد فيها، نحن في أمَس الحاجة إلى التيسير في هذا الوقت، فإذا وجد في المسألة قولان متكافئان، أحدهما يسير، والثاني أيسر، أفتي بالأيسر، ودليلي في هذا، هو أنَّ النبي ﷺ، ما خُيِّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإنْ كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه[١].

فهذا هو منهج رسول الله ﷺ، ولعلي قد برئْت من هذه التهم، بل قد أقلب هذه التهم إليهم، فأقول لهم: أنتم المتشددون، المتنطعون في الدين. والنبي ﷺ يقول: «**هلك المُتَنَطِّعون**»[٢].

وأنتم المغالون، والنبيُّ ﷺ يقول: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك مَن كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»[٣].

والذي يقول: القرضاوي عصريٌّ. هذا مدح وليس ذمًّا، بل هذا عيب فيكم أنكم تَنسوْن عصركم، وقد قال علماؤنا: إنَّ الفتوى تتغير بتغيّر الزمان والمكان، والحال والعرف. فالعالم إن لم يكن عصريًّا، كان هذا عيبًا فيه.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

والذي يقول: القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم. هذا أيضًا ليس بعيب، بل هو مدح، والشخص الَّذي يميل إلى التحريم دائمًا، هو المتهم.

فالواقع هذه الأشياء ليست تهمًا، والأمر هو كما قال البحتري قديمًا:

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلّ بِهَا كانت ذُنُوبي، فقلْ لي: كيف أعتذرُ[1]؟!

تقليد المذاهب الفقهيَّة:

السؤال: هل يجوز للمسلم تقليد مذهب من المذاهب المعروفة، خاصة أنَّنا وجدنا الإخوة الَّذين يقولون بعدم جواز ذلك، يتبعون علماءهم، وأصبحت المذاهب الآن أربعين وليس أربعة، فما رأي فضيلتكم؟

الجواب: النَّاس صنفان: صنف من أهل العلم القادرين على الموازنة بين الأقوال وأدلتها، وترجيح الراجح منها، فهؤلاء ينبغي أنْ يُرَجِّحوا ما وصلوا إليه ولا يُقَلِّدون.

وقد كنت في صباي حنفيًّا، وكانت دراستي للمذهب الحنفي قَدَرًا، فقد كانت بلدي كلّها شافعية، ولما جئت لأقدم في الأزهر، كان الَّذي يقدم لي عالما من بلدنا، اسمه الشيخ: عبد المُطَّلِب البتَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، فسألني عن المذهب الَّذي أرغب في الانتساب إليه، فكدت أقول: شافعي. باعتبار أنَّه المذهب السائد، ولكنَّه أسرع قائلا: ما رأيك أنْ تكون حنفيًّا مثلي؟ فقلت: على بركة الله. فصرت حنفيًّا.

فكنت لا أدرس إلا المذهب الحنفي، ولكن بعدما نضجت بدأت أدرس المذاهب الأخرى، فقد أفتي بالمذهب الحنفي، وقد أخرج عن

(١) ديوان البحتري (٩٥٤/٢)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

QaradawiBooks.com

المذهب الحنفي، فإذا وجدت استدلال المذهب الحنفي ضعيف في مسألة ما، ولها دليل قوى في مذهب آخر، أخذت بالمذهب القوي في الاستدلال.

ومثال ذلك: أنَّ المذهب الحنفي يرى أنَّ المصلى لا يرفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام[١]. وعند الركوع والقيام من الركوع والقيام من التشهد لا يرفع يديه، لأنَّ المذهب الحنفي هو مدرسة الكوفة، ومدرسة الكوفة متتلمذة على فقه ابن مسعود، وابن مسعود يقول: لم أرَ رسول الله ﷺ يرفع يديه إلا في تكبيرة الإحرام[٢].

ولكن روى سبعة عشر نفسًا، أو أكثر: أنَّ رسول الله ﷺ كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه[٣]. فهل نأخذ بقول ابن مسعود، أم بقول سبعة عشر؟ لا شك أنَّ الأقوى رواية سبعة عشر.

وسألني أحدهم مرَّةً: ما هو مذهبك؟ فقلت: «حنفشعي». أي أجمع المذاهب كلها، وهذا لا يكون إلا لأهل العلم القادرين على الموازنة والترجيح، فيأخذ من جميع المذاهب.

ومرة ـ للأسف ـ كنت في الإمارات، وبعد المحاضرة فتحت باب الأسئلة، كما هي العادة، فأرسل لي شخص ورقة يقول فيها: أراك تقول: أفتي بكذا وأرجح كذا. هل أنت أبو حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد؟

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١٤/١).

(٢) رواه أحمد (٣٦٨١)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات. وأبو داود في الصلاة (٧٤٨) وقال عقبه: هذا حديث مختصر من حديث طويل وليس هو بصحيح على هذا اللفظ. والترمذي في الصلاة (٢٥٧) وقال: حسن. عبد الله بن مسعود: «ألا أُصَلِّي بكم صلاة رسول الله ﷺ؟ فصلى، فلم يرفع يديه إلا في أول مرة».

(٣) انظر: رفع اليدين في الصلاة للبخاري صـ٧، ٨، تحقيق أحمد الشريف، نشر دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

فكان ردي: أنْ قلت: هل يفهم الأخ هذا أنَّ الدين طلاسم، وشريعتنا ألغاز، لا يستطيع الإنسان فيها أنْ يقول: هذا الرأي أقوى، وهذا أرجح! إنَّه كتاب مبين، وبلسان عربي مبين، ورسول مبين، فننظر إلى الأقوال والأدلة، وقد ترك السابقون لنا ثروة هائلة، فتستطيع أنْ تنظر لهذا وهذا، وعلى ضوء مقاييس واعتبارات، تقول: هذا أرجح.

وقلت: لقد حفظت القرآن قبل أنْ أدخل الأزهر، ودرست في الأزهر ثلاث عشرة سنة، حتَّى أخذت العالمية، ودرست سنتين حتَّى أخذت إجازة التدريس، ودرست ثلاث سنوات حتَّى حصلت على الماجستير، ودرست عددًا من السنوات حتَّى حصلت على الدكتوراه، ومن يومها ومن قبل ومن بعد لا زلت أقرأ في الإسلام، وأتعلم إلى يومنا هذا. فالذي عاش أكثر من ستين سنة من حياته يدرس، لا يستطيع أنْ يقول: هذا الرأي أرجح من هذا الرأي؟ إذن فبطن الأرض خيرٌ لي من ظاهرها، وليغلقوا الأزهر والجامعات الإسلاميَّة، ما دامت غير قادرة على تخريج شخص قادر على أنْ يقول: هذا الرأي أرجح من هذا الرأي. وهذا بالنسبة لأهل العلم.

أمَّا بالنسبة للشخص العادي، فلا مانع أنْ يقلد، فليس من المعقول أن نقول للشخص العامي: إنَّ التقليد حرام، ويجب أنْ تتبع الدليل. وكيف يعرف العاميّ الدليل؟! وإذا عرف الدليل، فهل يعرف إذا كان الدليل مطلق محمول على مقيد، أو عامًّا مخصصًا، أو نصًّا منسوخًا، أو يعارضه معارض أقوى منه؟! فهو لمعرفة ذلك بحاجة إلى أصول الفقه. وهو لم يدرس أصول الفقه! فهل يعقل هذا؟!

لقد اشترط العلماء للمجتهد أنْ يكون عالمًا باللغة العربية، وأصول الفقه، إلى آخر ما اشترطوا، ولكن هذا خاصٌّ بالمجتهد، ولذلك لا يعلم اتباع الدليل إلا أهل العلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد حدث أنْ جاءني رجل ممن يدعي الاجتهاد، ليناقشني في موضوع: مس المصحف بغير وضوء، ويستدلّ بقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، فقلت له: هل تعرف إلام يعود الضمير في الآية؟ قال: لا.

قلت له: هل تعلم قاعدة «الضمير يرجع إلى أقرب مذكور»؟ قال: لا.

قلت له: وفيمَ جئتَ تناقش؟!

لأنَّ القرآن في هذه الآيات ذكر شيئين، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩] والضمير في ﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾ راجع إلى القرآن أم إلى الكتاب المكنون؟ والصحيح أنَّه إلى الكتاب المكنون؛ لأنَّه أقرب مذكور. ومعنى هذا: أنَّ الكتاب المكنون اللوح المحفوظ، لا يمسّه إلا المطهرون وهم الملائكة، فلا تصل إليه الشياطين، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١، ٢١٢].

فلا تستطيع أنْ تقول لكل واحد اجتهد، فالإنسان ينشأ على مذهب البلد الَّذي هو فيه، فلو نشأ إنسان في بلد كالبحرين أهلها مالكية، تجده يصير مالكيًّا، ولو نشأ في بلد كبلدي أهلها على المذهب الشافعي يصير شافعيًّا، ولو نشأ في تركيا سيكون حنفيًّا، وهكذا فالإنسان يكون تبعًا لمذهب أهل البلد الَّذي نشأ فيه، ولكن كل ما ننصح به المسلم أن لا يتعصب لمذهبه، وأنْ يسأل إذا لم يعلم.

وإن اختلف عليه العلماء في الفتوى، فليصنع كما يصنع المريض إذا اختلف عليه الأطباء في المرض، عندما يذهب إلى طبيب فيقول له شيئًا، ويذهب إلى ثانٍ فيقول له شيئًا، ويذهب إلى ثالث فيقول له شيئًا آخر. ماذا يفعل مَن اختلف الأطباء عليه في التشخيص؟!

QaradawiBooks.com

لا بدَّ أنْ يرجح، وأنْ يختار، ولا بـــدَّ أنْ يكون هناك معيار للترجيح والاختيار، فيرجح الطبيب مثلًا على أساس الشـــهرة؛ لأنَّه مثلا مشهور أكثر من غيـــره. أو التخصص، فهذا تخصّصه أساســـي عن هذا. أو على الأكثر، فثلاثة قالوا كذا، وواحد خالفهم، وهكذا. فعنده معايير ينتهي فيها إلى أنْ يرجح هـــذا عن هذا، هذا ما يفعله الإنســـان حينما يختلف عليه العلماء، ولا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها.

صلاة المرأة في المسجد:

السؤال: ما الحكمة من جعل ثواب صلاة المرأة في بيتها أعظم أجرًا من المسجد، بالرغم من أنَّها اليوم لم تترك مجالًا إلا وخاضته؟

الجواب: للإجابة على هذا السؤال ينبغي توضيح أمرين:

الأمر الأول: أمر الأفضلية، وهو أن صلاة المرأة في بيتها أفضل.

والأمر الثاني: هـــو أمر جواز صلاة المرأة في المســـجد؛ لأنَّ بعض النَّاس يجعلون من الأفضلية سبيلًا لمنعها من المسجد.

أولًا: موضوع الأفضلية: فيه خلاف، فابن حـــزم ـ وهو من الظاهريين كما قلنا ـ لم يصحح الحديث الَّذي يقول: «**صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتها في حُجْرتها، وصلاتُها في مَخْدَعِها أفضل من صلاتها في بيتها**»[1].

قال ابن حزم: «لو صح فيه أنَّ صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في مســـجدها ـ وهذا لا يوجد أبدًا من طريق فيها خير ـ لما كانت فيه

(١) رواه أبو داود في الصـــلاة (٥٧٠)، وابن خزيمة في الإمامـــة (١٦٨٨)، والحاكم في الطهارة (٢٠٩/١) وصحَّحه على شرط الشـــيخين، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥٧٩)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

حجة، لأنَّه كان يكون منسوخًا بلا شك، بما ذكرنا من تركه عليه السلام لهن يتكلفن التكلف في الغَبَش، راغبات في الصلاة في الجماعة معه إلى أن مات عليه السلام، فهذا آخر الأمر بلا شكٍّ». وناقش ابن حزم هذا الأمر في موضعين[١].

فموضوع أفضلية صلاة المرأة في بيتها أمر لم يتفق على صحته. ومع هذا، فهذا شيء ومنع المرأة من الصلاة في المسجد شيء آخر؛ لأنَّ الحديث الصحيح يقول: «**لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله**»[٢]. فإذا أحبَّت المرأة أنْ تُصَلِّي في المسجد لا يجوز لزوجها أنْ ينكر عليها.

أنكرت السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل[٣].

وكان نوعًا من الإنكار على النساء اللاتي خرجن متطيبات متعطرات، فأخذ بعض العلماء قول عائشة دليلًا على منع المرأة من المسجد.

وجاءت عصور حرِمت المرأة من الذهاب إلى المسجد، وقال بعضهم: لا تذهب إلى المسجد إلا العجوز، أمَّا الشابة فلا تذهب[٤]. ثمَّ جاء مَنْ بعدَهم فشددوا وقالوا: حتَّى العجوز، فلكل ساقطة لاقطة. وكما قال الشاعر:

لِكُلِّ ساقطةٍ في الحيِّ لاقطةٍ وكلُّ كاسدةٍ يومًا لها سُوقُ[٥]

---

(١) انظر: المحلَّى لابن حزم (١٧٠/٢ ـ ١٧٧) مسألة (٣٢١)، (١١٥/٣ ـ ١١٧) مسألة (٤٨٥).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٤٥)، عن عائشة.

(٤) انظر: البحر الرائق لابن نجيم (٣٨٠/١)، نشر دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

(٥) انظر: حاشية ابن عابدين (٤٦٤/٢).

QaradawiBooks.com

ثم جاء عصرنا، وخرجت المرأة، وذهبت إلى المدرسة، فالجامعة، وذهبت إلى السوق، وسافرت إلى الخارج، وبقيت المرأة ـ للأسف ـ ممنوعة من المسجد وحده، فهي تذهب إلى كل مكان إلا المسجد، وهذا في الحقيقة ليس إنصافًا.

ثم إنَّ في المسجد أمورًا غير الصلاة كالموعظة، ومَن منع المرأة من الخروج قالوا: وعلى زوجها أو أبيها أنْ يعلماها. فإذا كان الأب أو الزوج، غير متعلم، وهو نفسه بحاجة إلى التعليم، وفاقد الشيء لا يعطيه، فمن أين تتعلم المرأة؟!

ومن هنا مرت عصور على المرأة المسلمة، لا تكاد المرأة تصلي، وكان كثير من النساء لا يعرفن شيئًا من الدين، فتعيش المرأة وتموت وهي جاهلة بدينها، لم يعلمها أحد، فالرجل يذهب إلى المسجد، يستمع إلى موعظة الجمعة، أو إلى دروس في المسجد، لكن المرأة ليس لها في هذا نصيب.

هكذا مِنعت المرأة من الصلاة في المسجد، ومنعت فيه من المواعظ والدروس، مع أنَّ خروجها إلى المسجد تقوية لدينها، فحينها تلتقي بالنساء الصالحات ـ خاصة في عصرنا ـ ونحن بحاجة أنْ تلتقي المرأة المتدينة بالنساء الملتزمات أمثالها، لِيَشددْن أزْرَها، ويقوين عضدها.

ولذلك لا تمنع المرأة من الذهاب إلى المسجد، وخصوصًا إذا كان في ذهابها فوائد أخرى، بل ينبغي أنْ تحَث على الذهاب إلى المسجد.

ولو نظرنا إلى الواقع، لوجدنا أنَّ المسلمين فقط هم الَّذين لا تذهب نساؤهم إلى معابدهم، فالمرأة النصرانية تذهب إلى الكنيسة، واليهودية تذهب إلى البيعة، والهندوسية تذهب إلى المعبد، فلماذا تحرم المسلمة وحدها من الذهاب إلى المسجد لتشارك في العبادة الجماعية؟ بل إنِّي

QaradawiBooks.com

أرى أنَّه لا بدَّ أنْ يكون في كل مسجد مكان مخصص للنساء، وبخاصة أنَّ المرأة صارت في معزل عن الرجل في المسجد، فقد كانت النساء في مسجد النبي ﷺ يصلين خلف الرجال، ولم يكن هناك ساتر، لا بالخشب، ولا بالقماش، ولا بشيء آخر، وكانوا يدخلون من باب واحد مع الرجال، فقال رسول الله: «**لو تركنا هذا البابَ للنساء**». قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتَّى مات[1]. فظل هذا الباب للنساء إلى يومنا هذا، ومن ذهب إلى المسجد النبوي، وجد هناك بابًا اسمه «باب النساء».

فيجب علينا أن نعود إلى العهد الأول، فليس هناك أفضل مما كان عليه الصحابة ومَن تبعهم بإحسان.

الجهاد في فلسطين وفي أفغانستان:

السؤال: هل الجهاد في فلسطين أهم من أفغانستان، أم العكس؟!

الجواب: الجهاد في فلسطين الآن غير مُتَيَسِّر أصلًا لمن هم خارجها، ولا شك أنَّ قضيَّة فلسطين ينبغي أنْ تكون هي القضيَّة الأولى، لأنَّها تتعلق بمقدسات مخصوصة، وبصراع مع أشد النَّاس عداوة للذين آمنوا، وهي في قلب المنطقة العربية والإسلاميَّة، ولكن المشكلة أنك لا تستطيع أنْ تصل إلى هناك، لو أنَّ المقصود بالذي يذهب إلى هناك من الفلسطينيين أنفسهم، فيستطيع أنْ يذهب إلى هناك عن طريق أهليهم، أو غير ذلك فهذا هو الأفضل يقينًا، ولكن المتاح الآن هو الجهاد مع

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح أبو داود والدارقطني في العلل (٢٩٢٢) الموقوف، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود مرفوعًا (٤٨٣)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الإخوة الأفغان، ولكننا نستطيع أن نقوي الجهاد في فلسطين بالدعم المادي، والدعم الأدبي، والأموال، وقد بدأت الهيئة الخيرية الإسلاميَّة هنا في البحرين، بتوصيل مبالغ إلى الثورة الإسلاميَّة الشعبية هناك، والحمد لله. فمَن يستطيع أنْ يدفع ماله نؤيده في هذا.

ولا ينبغي أن نحدِث تعارضًا بين الجهاد في هذه المنطقة أو تلك، فالجهاد في جميع المناطق المستضعفة واجب علينا، ما دام أنَّه جهاد ترتفع فيه راية الإسلام؛ لأنَّه هناك ـ للأسف ـ بعض أنواع القتال ترفع فيه رايات غير راية الإسلام، كالماركسية، واليسارية، وغيرها، وتدخل باسم الثورية، وتقطف بعد ذلك ثمار ما يصنعه المسلمون. وهم مدربون على سرقة جهود غيرهم، فيسكتون حتَّى إذا جاء الوقت المناسب يهبّون ويَثِبون حتَّى يقطفوا ثمار غيرهم، وما زرعوا شيئًا ولا غرسوا.

دعاء ليلة النصف من شعبان:

السؤال: يقول الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، **هل تتغير بالدعاء مقدرات مكتوبة في اللوح المحفوظ؟**

الجواب: هذا الأخ يسأل عن الدعاء الَّذي يقال في النصف من شعبان، كنا نقوله في الصغر، حيث كنا نذهب في ليلة النصف من شعبان، إلى مسجد (المُتَوَلِّي) الموجود في بلدتي، وكنا نقوم بعمل مراسم معينة، فنصلي ركعتين بنية طول العمر، وركعتين بنية الغنى عن الناس، ونقرأ يس وسورًا وآيات أخرى، ثمَّ ندعو بدعاء معروف: اللهم يا ذا المن ولا يمَنّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطول والإنعام.

QaradawiBooks.com

وفيه: اللهم إن كنتَ كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا، أو مقترًا على في الرزق، فامح الله بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات كلها، فإنك قلتَ وقولك الحقّ، في كتابك المنزل على رسولك المرسَل، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

أولًا: هذا الكلام مخالف للأدب النبوي في الدعاء، إن كنتَ فعلتَ كذا، فافعل لي كذا، فإن النبي ﷺ لما سمع رجلًا يدعو ويقول: اللهم اغفر لي إنْ شئتَ. فقال ﷺ: «**لا يقل أحدُكم: اللهمَّ اغفرْ لي إنْ شئتَ، ارحَمْني إنْ شئتَ، ارزقْني إنْ شئتَ، ولْيَعْزِم مسألته، إنَّه يفعل ما يشاء لا مُكْرِهَ له**»(١).

ثانيًا: في الدعاء «إن كنت كتبتني في أم الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا، أو مقترًا علي في الرزق، فامْح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفقًا للخيرات كلها، فإنك قلتَ وقولك الحقّ في كتابك المنزل على رسولك المرسَل، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩]».

فالمعلوم أن معنى قول الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، أي: لا محو فيها ولا إثبات، ومن أخذ النص بظاهره قالوا: يمحو صحف الملائكة. وقيل: آيات القرآن فينسخ آية ويثبت أخرى. وهكذا، فالكلام متناقض، والدليل الَّذي استدلّوا به يناقض الدعوى نفسها.

وهذا كلّه بسبب اعتماد أدعية غير مأثورة، مع أنَّه ليس هناك أفضل من الأخذ بالأدعية المأثورة. وقد كنا في وقت من الأوقات نحفظ أوراقًا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٧٧)، ومسلم في الذكر (٢٦٧٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بجهل منا، يحفظها الصوفيون، وحفظناها منهم ونحن أولاد صغار، فكنا نقول كلامًا لا نفهم له معنـــى، مع أنَّه ليس هناك أفضل من أدعية القرآن ولا من أدعية السُّنَّة.

هل هناك أفضل من هذه الأدعية: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]؟

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أو دعاء الراســـخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۞ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨، ٩].

أو دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۞ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

أو دعاء نـــوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

هل هناك أفضل من دعاء النبي ﷺ: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الَّتي فيها معاشـــي، وأصلح لي آخرتي الَّتي فيها معادي، واجعَلِ الحياةَ زيادةً لي فـــي كلِّ خير، واجعلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرٍّ**»[1]؟

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هل هناك أفضل من هذه الأدعية، وفيها أجران: أجر الدعاء، وأجر الاتباع؟

ولكنك ترى النَّاس تخترع أدعية، ولذلك لا تخلو من الخرافات والأوهام، وواجبنا الاهتمام بأدعية القرآن والسُّنَّة وهي كثيرة، ألفَتْ فيها كتب مثل: كتاب «الأذكار» للإمام النووي، و«الكلم الطيب» لابن تيمية، و«الوابل الصيب» لابن القيم، و«الحصن الحصين» لابن الجزري، و«تحفة الذاكرين» للشوكاني شرح فيه «الحصن الحصين» لابن الجزري.

حكم العمل الجماعي:

السؤال: هل يجب على المسلم الانضمام إلى جماعة من الجماعات الإسلاميَّة؟ وهل هذه الجماعات الإسلاميَّة ظاهرة صحية، وهل كلّها صحيحة؟ أم أنَّه لا بدَّ من الانضمام إلى جماعة معينة؟ وهل يجوز لأحد أنْ يدعي أنَّ جماعته هي جماعة المسلمين، وأنَّها الفرقة الناجية، دون غيرها من الجماعات؟

الجواب: أمَّا بالنسبة للعمل الجماعي، فأنا أرى أنَّه واجب في عصرنا؛ لأنَّ العمل الفردي لا يكفي، والإنسان لا يستطيع أنْ يقاوم القوى المعادية للإسلام ـ وما أكثرها ـ وحده، أو بجهد فردي.

هناك اليهودية العالمية، والشيوعية الدولية، والصليبية الغربية والشرقية، والأجهزة الَّتي تعمل لحسابهم، والعملاء لهم داخل بلاد العرب والمسلمين، وهي قوى خطيرة ومجهزة بالعلم والمال والدهاء، ولا يستطيع الإنسان أنْ يقاوم هذا وحده، ولذلك أمرنا الإسلام بالتعاون: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

QaradawiBooks.com

وأمرنا بالتجمُّع: «**يـــدُ الله مع الجماعة**»[١]. والفرد قليل بنفســه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قويٌّ بجماعته.

وموسى عليه السلام كان قويًّا، ومع هذا قالت ابنة الشيخ الكبير في مدين: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، ومع هذا لما أمره الله بالذهــاب لفرعون، قــال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۞ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۞ هَـٰرُونَ أَخِى ۞ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۞ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۞ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥].

وقال له الله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥].

فحين تكون وحدك، تكون ضعيفًا، قــال ﷺ: «**إنَّما يأكل الذئبُ من الغنم القاصيةَ**»[٢]. والشــيطان ذئب الإنســان، فشــد عضدك بمجموعة تكونون معًا، يُعَلِّــم العالم الجاهلَ، ويُذَكِّر الذاكر الناســيَ، ويُنَبِّه اليقظ الغافل، وهكذا تتعاونون على البر والتقوى، وتتواصون بالحقِّ والصبر.

فأرى أنَّ العمل الجماعي مهم، وخاصَّة في عصرنا؛ لأنَّه لو لم يوجبه الإسلام، لأوجبه الواقع والظروف، إنَّ أعداءنا لا يعملون منفردين، وإنَّما يعملون في كتَلٍ وجماعات، وهكذا ينبغي أن نعمل، ومن أجل هذا قامت هذه الجمعية، جمعية الإصلاح.

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إســناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، والحاكم في التفســير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقــه الذهبي، وصحَّحه النووي في المجموع (١٨٧/٤). عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

يقول الشيخ محمد عبده في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]، «أي: لو كان غنيكم لم يعمه الطغيان، وفقيركم لم يطمس بصيرته الهوان، وكنتم لا تزالون على الحال الَّتي يرتقي إليها الإنسان، لشعرت نفوسكم بما عسى يقع فيه اليتيم، فعنيتم بإكرامه.

فإنَّ الَّذي يفقد أباه معرض لفساد طبيعته؛ إذا أهملت تربيته، ولم يعامل بما فيه إكرامه، وما فيه رفع نفسه عن دنايا الأمور وسفاسفها، ولو كنتم على ما تحدثكم به أنفسكم من الصلاح؛ لوجدتم الشفقة تحرك قلوبكم إلى التعاون على طعام المسكين، الَّذي لا يجد ما يقتات به مع العجز عن تحصيله.

والتحاضّ تفاعل من الحض وهو الحث والترغيب... وإذا لم تكرموا اليتيم ولم يوص بعضكم بعضًا المسكين فقد كذبت مزاعمكم في أنكم من قوم صالحين.

وإنَّما ذكر التحاض على الطعام ولم يكتف بالإطعام، فيقول: ولم تطعموا المساكين، ليصرح لك بالبيان الجلي أنَّ أفراد الأُمَّة متكافلون، وأنَّه يجب أنْ يكون لبعضهم على بعض عطف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التزام كل لما يأمر به وابتعاده عما ينهي عنه.

ثمَّ إنَّ إهمالكم أمر اليتيم وخلو قلوبكم من الرحمة للمسكين لم يكن عن زهد في لذائذ الحياة الدنيا، كما هو شأن بعض من يسأم الحياة ولا يكون لهم همٌّ إلا التخلص من متاعبها فيعكف على شأن نفسه، وينخزل من العالم ولا يهتم بشؤونهم»[1]. وهذا أصل قرآني في إقامة

(١) تفسير جزء عم محمد عبده صـ٨٢، ٨٣، نشر الجمعية الخيرية الإسلامية، ط٣، ١٣٤١هـ.

QaradawiBooks.com

الجمعيات الخيرية، فقول الله: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ﴾، أي لم يحض بعضكم بعضًا على إطعام المسكين، فليس الواجب أنْ تطعم مسكينًا فقط، بل أنْ تَحض غيرك أيضًا على إطعام المسكين.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فقال: ﴿أُمَّةٞ يَدۡعُونَ﴾، ولم يقل أفرادًا، وهذا الَّذي ينبغي.

وليس معنى هذا أنَّ جماعة واحدة تحتكر الحق، وتقول: أنا وحدي الحق، وما عداي هو الباطل، أو أنا جماعة المسلمين، وغيري ليس من المسلمين. فهذا لا يصحّ مطلقًا.

ويمكن أنْ تكون جماعة أفضل من جماعة، وأهداف جماعة أقوى من الأخرى، ووسائلها أقرب إلى السداد والنجاح من وسائل الجماعة الأخرى، وطرقها في التربية وتكوين الشباب هي أفهم لدينها ولدنياها من الجماعة الأخرى، وهذا الَّذي تتفاضل به الجماعات.

ولي رأي كتبته أكثر من مرَّة، هو أنْ تعدّد الجماعات ليس ظاهرة مَرَضية، فقوْم لهم اهتمام بالجانب العقائدي أكثر، وقوم لهم اهتمام بالجانب الفكري أكثر، وقوم يهتمّون بالجانب السياسي أكثر، وقوم مهتمّون بالجانب الجهادي أكثر، وقوم مهتمّون بالعمل الخيري والاجتماعي، وآخرون مهتمّون بجانب الأسرة، وليكن الأمر هكذا، كلّ فريق يعمل في الطريق الَّذي يستطيع السير فيه، وينتج فيه أكثر، وكلّ ما نرجوه أنْ يكون هذا الاختلاف اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة فيما يروى عن السلف في قول الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] قال بعضهم: الصراط المستقيم

QaradawiBooks.com

هو الإسلام[١]. وقال بعضهم: هو السُّنَّة والجماعة[٢]. وقال بعضهم: هو القرآن[٣]. وقال بعضهم: هو سُنَّة الخلفاء الراشدين[٤]. فقال: ومعلوم أنَّ المسمى هو واحد وإنْ تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته[٥].

ونحن نريد أنْ يكون الاختلاف بين الجماعات الإسلاميَّة اختلاف تنوّع لا اختلاف تضادٍّ، على أنْ يقف الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية، ففي محاربة الشيوعية نقف جميعًا في صفٍّ واحد، وضد الإلحاد كذلك، وضد الإباحية كذلك، فالقضايا الَّتي تهم المسلمين يجب أنْ يقف الجميع صفًّا واحدًا، ويتناسوا الخلافات.

ومن ناحية أخرى يجب علينا ألَّا يجَرح بعضنا بعضًا، فهناك بعض النَّاس طويلو اللسان، كثيرو الاتهام، يسيئون الظن بمَن سواهم من المسلمين، مغرورون بأنفسهم، ويظنّون أنَّهم واقفون على باب الجنة، ويقولون لهذا: أنت ادخل، وأنت لا تدخل. مَن أعطاك هذا الحق؟!

الإسلام ليس فيه بابوية، وليس فيه صكوك غفران، ولا قرارات حرمان، فالمسلمون كلُّهم يعملون، فلا ينبغي أنْ يكون نتيجة اختلاف الجماعات الإسلاميَّة مع بعضها البعض، التجريح والاتهام وسوء الظن، بل ينبغي أنْ يكون التسامح والتعاون، فيسامح بعضنا بعضًا، وهناك قاعدة ذهبية قالها الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، وتبناها وطبقها الإمام الشهيد

(١) رواه الحاكم في التفسير (٤٤٦/٢)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن جابر.
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥٤/١)، عن سهل بن عبد الله.
(٣) رواه الحاكم في التفسير (٤٤٦/٢)، وسكت عنه، وصحَّحه الذهبي على شرطهما. عن ابن مسعود.
(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (١٢٠/١)، عن بكر المزني، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٨٢/١٣).

QaradawiBooks.com

حسن البنَّا، تقول هذه القاعدة: «نتعاونُ فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»[١].

فهناك أمور كثيرة نتفق عليها، فاجعلونا ننظر إليها ونتعاون فيها، وما اختلفنا فيه فليعذر بعضنا بعضًا فيه، ويسامح بعضنا بعضًا، فكلُّ واحد له عذره، وله تأويله الخاصُّ، وهذا الَّذي ينبغي.

ويظنّ بعض النَّاس أنَّ كلمة الجماعة تعني الفِرقة، وهذا غير صحيح، فكلّ هذه الجماعات الَّتي تعمل للإسلام، هي إن شاء الله من الفِرقة الناجية، أو من الأُمَّة الناجية.

فالناجية ـ حقيقة ـ ليست فِرقة، فالمفترقون هم الفِرَق، والباقي هم الأُمَّة، ونحن جميعًا ـ إنْ شاء الله ـ من الأُمَّة الناجية، ونسأل الله أنْ يجمع كلمة المسلمين على الهدى.

وأنا أنصح الشباب الإسلامي الَّذي ينتمي إلى جماعات معينة، أنْ ينظر إلى الأمور بعين فيها إنصاف، وفيها سَعَة أفق، انظر إلى الأعداء المتربصين، الَّذين يريدون أنْ ينتهزوا الفرصة ليضربوا بعضنا ببعض، وهذا ما يفعلونه، فتصوروا من عدة سنوات ـ وقد ذكرت هذا في بعض كتبي ـ أن «ريتشارد ميتشيل» كتب كتابًا ضد الإخوان المسلمين، ثمَّ ذهب إلى الكويت، فرآه بعض النَّاس هناك فقال: ماذا تفعل هنا؟ فقال: أعمل دراسة عن الجماعات الدينية الإسلاميَّة في الكويت.

فهل ترون أنَّه يريد ببحثه الوقوف على نقاط الاتفاق بينها، أم أنَّه يريد أنَّ الوقوف على نقاط الخلافات، ثمَّ توضع الخطط لتوسيع هوة

(١) قاعدة المنار الذهبية للعلَّامة محمد رشيد رضا. انظر: مجلة المنار (١٨٨/١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخلافات، واستغلال هذه الخلافات واستثمارها، حتَّى لا يتعاون بعضهم مع بعض؟ لهذا يجب علينا أن نحذر ونتعاون.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وأسباب النزول في هذه الآية تدل على أنَّ المعنى: يردوكم بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أخوتكم متنافرين ومتعادين، فلنحذر من دسائس هؤلاء.

تعليم البنات:

السؤال: ما حكم تعليم البنات، علمًا بأنَّ بعض الفقهاء يقصر التعليم على المرحلة الابتدائيَّة فقط؟

الجواب: والله لقد سمعت هذا الرأي من عالم جليل، وذلك من مدة تقارب العشر سنين، فقال: بقصر تعليم البنات على المرحلة الابتدائيَّة فقط.

فقلت له: ومَن يعلم بنات الابتدائي؟ فنحن محتاجون إلى معلمات لبنات الابتدائي.

ثم سألته: ما رأيك بالطبيبة؛ ألسنا بحاجة إلى الطبيبات لتطبيب النساء والأطفال وغير ذلك؟!

قال: أجاز العلماء للرجل أنْ يطَبب المرأة.

قلت: نعم، ولكن لضرورة، ولا ينبغي أنْ تصبح الضرورات قواعد، فقاعدة الضرورة استثناء فقط. هذا شيء مؤقت، وينبغي أن نتغلب على الضرورة.

لقد أجاز الله أكْل الميتة في الضرورة، فهل تجلس طوال عمرك تأكل الميتة؟! لم تَعدْ إذن ضرورة، لا بدَّ أنْ تبحث لنفسك عن طعام.

QaradawiBooks.com

فدورنا نحن ـ حتَّى لا نضطر أن نعالج نساءنا عند الرجال ـ أن نجعل من بناتنا طبيبات، فقد تضْطر المرأة أنْ تذهب إلى الرجل، وخصوصًا في أمور النساء والولادة، بل قد تضطر للذهاب إلى رجل غير مسلم.

فلذلك أرى أنْ تعليم المرأة لا شيء فيه، حتَّى تكون مثقفة، ويكون هناك تقارب بينها وبين أهلها، فقد ظن بعض الرجال أنَّ المرأة للطهي والغسل والمتاع وفقط، وهذا ليس صحيحًا، فقد قال رسول الله ﷺ: «**النساء شقائقُ الرجال**»[1]. فالمرأة شقيقة الرجل، ولها أنْ تستفيد بالتعلّم كما يستفيد الرجل، فالرجل المثقف إن تزوج بأميةٍ، فهذا يؤدي هذا إلى خَلْق فاصل بين الزوجين، يظهر في النقاش، وهذا ما نراه في حال بعض الناس.

فبعض الرجال يتزوج بامرأة، ثمَّ يجعلها للطهي والغسيل والتنظيف، ويجلس هو مع أصدقائه يتناقش معهم. وهذه ليست الحياة الزوجية الَّتي أرادها الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، فالسّكون والمودة والرحمة لا يتحقق إلا بالتفاهم، والتفاهم يحتاج قدْرًا من الثقافة المشتركة.

وإذا نظرتَ إلى امرأة كعائشة رضي الله عنها، تجدها مثقفة، بل من كبار المثقفات، فقد كانت تستدرك على الصحابة رضوان الله عليهم، والإمام الزركشي ألَّف في ذلك كتابًا سمَّاه «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. ورواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

على الصحابة»، ولخَّصه الحافظ السيوطي في كتاب سمَّاه «عين الإصابة في استدراكات عائشة على الصحابة». وكانت رضي الله عنها، تعرف الأنساب، وتعرف شعر العرب، وكانت من المفْتِيات.

وعلى مدار العصور الإسلاميَّة وجد بعض النساء المسلمات قد بلغن في العلم مرتبة عظيمة، ومن هؤلاء النساء: فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي. قال صاحب «الجواهر المضية» في فقه الحنفية: تعلمتْ وصارتْ تفْتي كأبيها، ثمَّ تزوجها تلميذه الكاساني صاحب «البدائع»، الَّذي ألَّف كتابًا شرح فيه «تحفة الفقهاء». ولذلك قالوا: شرح تحفته، وزوجه ابنته. وقد كانت الفتوى تخرج موقعة من الثلاثة أحيانًا: السمرقندي، والكاساني، وامرأة الكاساني[1].

فلا مانع أنْ تتعلم المرأة، ونحن نعلم أنَّ سعيد بن المسيب رفض أنْ يزوج ابنته لابن الخليفة، وزوجها من أحد طلاب العلم، بل ذهب بها إليه، فلما أصبح الصباح أراد أنْ يخرج، فقالت له: إلى أين؟ قال: أريد درس سعيد. قالت: اجلس أعلمك علم سعيد[2].

فالمرأة ليست أقل ذكاءً من الرجل، بل إنَّ بعض النساء يفوق بعض الرجال في الذكاء، كما قال المتنبي:

فَلَوْ كان النِّساءُ كمن فَقَدْنَا لفُضِّلَتِ النساءُ على الرِّجَالِ
ومَا التَّأنيثُ لاسمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ولا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ[3]

(١) انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/٢٧٨)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي.
(٢) انظر: المدخل للعبدري (١/٢١٥)، نشر دار التراث.
(٣) ديوان المتنبي صـ٢٦٧، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

فلماذا نَسـدُّ الباب على النسـاء والبنات، فليس هناك من الشـرع ما يمنع هذا، والحديث المشهور: «**طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**»[١]. والعلماء مجمعون على أنَّ المقصود بالمسلم: كل إنسان مسلم. ولذلك بعض مَن يروون هذا الحديث بالمعنى يقولون: ومسلمة.

المُقَـدِّم: لعلَّنا ـ أيُّها الإخـوة ـ أطلنا عليكم وعلى فضيلة الشـيخ، فنكتفي بهذا القدر، وجزاكم الله خيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيـح ابن ماجه (١٨٣)، وقـال المناوي في فيض القديـر (٥٢٦٥): قال ابن عبد البر: طرقه كلها معلولة. وقال النووي: ضعيف وإن كان معناه صحيحًا. وقال السيوطي: جمعت له خمسين طريقًا، وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثًا لم أسبق لتصحيحه سواه. وقال السخاوي: له شاهد عند ابن أبي شاهين، بسند رجاله ثقات، ورواه نحو عشرين تابعيًا. عن أنس.

QaradawiBooks.com

٢٦

حوارٌ مفتوحٌ في ندوة العلماء (بالهند)[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

ربَّنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيِّئ لنا من أمرنا رشـدًا، اللهمَّ يا مُعلِّم آدم وإبراهيم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علمًا، سـبحانك لا علم لنا إلَّا ما علمتنا؛ إنَّكَ أنت العليم الحكيم.

اللهمَّ ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسـرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشـهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك؛ إنَّكَ تهدي من تشـاء إلى صراط مستقيم.

قبل أن أجيب عن الأسـئلة، أحب أن أبين أن نهـج القرآن في بيان الأحكام على طريقتين:

(١) ألقيت في ندوة العلماء بالهند، عام ١٩٩٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأولى: طريقة البيان المباشر، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. وهكذا.

والثانية: طريقة البيان المبني على سؤال، إما بصيغة (يسألونك)، كما في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وإما بصيغة (يستفتونك)، كما في قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧]. فنهج القرآن إما بيان مباشر، وإما إجابة عن أسئلة.

وهذه الجلسة لبيان الأحكام؛ بناء على النهج الثاني للقرآن، وهو أن يُسأل السؤال فيُجاب عنه، فتلك الطريقتين طريقة قرآنية إسلاميَّة، وقد قال علماؤنا: حسن السؤال نصف العلم. أحيانًا السؤال الحسن يُعلِّم، وجبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ، وسأله عدة أسئلة: ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟ وما الساعة؟ وما أشراطها؟ فأجابه النبي ﷺ، ثم قال بعد أن أدبر جبريل: «**هذا جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم دِينَكم**»[1]. كيف

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٥)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

يُعَلِّمهم؟ هو لم يفعلْ شيئًا؛ إلَّا أنَّه سأل أسئلة، ولكن الأسئلة الواقعة الحاسمة هي تعليم للدِّين.

السؤال الأوَّل: تختلف طرائق العلماء في تصحيح وتضعيف الأحاديث، فما هي أفضل الطرق برأيكم؟

الجواب: أنا أرى أنَّ هناك ثلاثة أمور لا بدَّ من رعايتها في هذا الأمر:

الأمر الأوَّل: هو أن نحاول اتِّباع منهج المتقدمين: البخاري، ومسلم، وعلي بن المديني، وابن القطان، وابن سعيد الأنصاري، وابن مَعِين وهؤلاء المُتَقَدِّمين، منهجهم أوثق وأكثر تحريًّا وانضباطًا، المُتَأخِّرون تساهلوا كثيرًا، فأنا أرجو من الشباب الَّذين يدرسون الحديث أن يُعنوا بهذه الناحية: أن يحاولوا الرجوع إلى المُتَقَدِّمين ويفهموا منهجهم، وكيف كانوا يُصَحِّحون ويُضَعِّفون، هذا أمر في غاية الأهميَّة.

الأمر الثاني: أنَّه ينبغي أن ننظر إلى تعريف الصحيح، قالوا في تعريف الصحيح: أنَّه لا بدَّ أن يكون خاليًا من الشذوذ والعلة. والعلة كما تكون في السند تكون في المتن، ولذلك لا بدَّ من النظر في المتون، فلا نقبل من المتون ما يرفضه العقل، أو النقل، أو الحس، أو العلم، أو الواقع، هذه كلها تشكك في الحديث.

ولذلك أنا أعجب كيف يصحح بعض المحدثين المعاصرين كما رأيت الشيخ الألباني صحح عددًا من الأحاديث في أنَّ لحوم البقر داء، هذا في صحيح الجامع الصغير وزيادته، كيف تكون لحوم البقر داءً والله تعالى قد أباحها، لأنَّها من بهيمة الأنعام، ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ومن الثابت بيقين أنَّه تجوز التضحية بالبقر، كما تجوز بالإبل

QaradawiBooks.com

والغنم، والهَدْي في الحج بالإبل والبقر والغنم، والنبي ﷺ ضحَّى بالبقر، ولذلك لا بـدَّ أن يُراعى هـذا الجانـب، كثير من المحدثيـن لا يهتمون بالمتون، إذا صح عنده السند أخذ الحديث وحكم بصحته، هذا أمر ثانٍ.

الأمر الثالث: هـو التحري والتثبـت عند التصحيح بكثـرة الطرق، بعضهم إذا رُوِي الحديـث من عدة طرق صحَّحه، أنا لـم أرَ المتقدمين يفعلون ذلك، أحيانًا يذكرون للحديث عدة طرق ويقولون: وقد رواه فلان؛ وهو لا يصح، ورُوِي من طريق فلان؛ وهو لا يصح، وقد رُوِي من طريق كذا؛ وهو لا يصح. طرق عديدة لكنها ضعيفة، فهذا ينبغي التدقيق فيه.

السؤال الثاني: هناك من يرى أن اسـتخدام الرأي في القرآن مذموم، ولذلك يرى أنَّ التفسير بالمأثور هو الصواب، فما رأيكم؟

الجواب: التفسير بالرأي لعلماء الخلف أو لعلماء السلف، فيه طبعًا كلام كثير، هناك حديثان أحدهما ضُعِّف، والثاني صُحِّح، وهما: «**من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوَّأ مقعده من النار**»[(١)]، أو «**من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ**»[(٢)]، أخذ بعضهم من هذا أنَّه لا يجوز التفسير بالرأي مطلقًا، وهذا ليس بصحيح، فالمذموم من التفسير بالرأي أمران:

إما أن يهجم على التفسير برأيه دون أن يعتمد على النقول في أسباب النزول، وفي تعيين المبهمات، وفي تحديد الوقائع، هناك قدر من النقل لا بدَّ منه، فهو لا يعتمد على هذا، ويأتي ويقول برأيه، هذا أمر.

---

(١) رواه الترمذي في التفسـير (٢٩٥١)، وقال: حسن. والنسـائي في الكبرى في فضائل القرآن (٨٠٣١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أبو داود فـي العلم (٣٦٥٢)، والترمذي في التفسـير (٢٩٥٢)، وقـال: غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٧١)، عن جندب بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وإما أن يكون معنى التفسير بالرأي التفسير بالهوى، فيكون تفسيره برأيه: أي بما يهواه، فهو يُخضع القرآن لهواه، يحاول أن يكيف القرآن وفقًا لرأيه، فمثلًا إذا كان له رأي في الصفات؛ يحاول أن يجعل القرآن تابعًا لرأيه، والقرآن متبوع وليس تابعًا، القرآن يحكم ولا يُحكم، ويقود ولا يُقاد، لكن هذا يريد أن يجعل القرآن مقودًا له، فهذا مرفوض.

أمَّا استخدام الرأي في تفسير القرآن بغير هذين الأمرين؛ فهو ثابت من عهد الصحابة، الصحابة فعلوا ذلك كما قال الإمام الغزالي، نحن نقرأ عن الصحابة آراء مختلفة أحيانًا في الآيات، صحيح بعضها ليس اختلافًا حقيقيًّا، لكن أحيانًا يوجد اختلاف حقيقي، وهذا لا يمكن أن يكون كله مسموعًا عن النبي ﷺ، وإنَّما هو الرأي، فما داموا قد اختلفوا؛ فقد أباحوا لغيرهم أن يقول برأيه، والتابعون كذلك، نجد رأيًا لمجاهد غير رأي قتادة، غير رأي عكرمة، غير رأي الشعبي أو الحسن.

سلف الأمة إذن اختلفوا فأجازوا لنا في هذه الحالة أن نختلف، اتبعوا التفسير بالرأي، وجرى على هذا كل أئمة التفسير من الطبري فمَن بعده، بعض الناس يعتبر تفسير الطبري تفسيرًا بالمأثور، وهذا ليس صحيحًا؛ لأن الطبري يذكر الروايات والأقوال ثم يقول: وأولاها بالصواب كذا وكذا، إما أن يرجح قولًا من الأقوال، أو يأتي هو بقول آخر من عنده.. ليس من الأقوال المأثورة، وكذلك ابن كثير يفعل ذلك، وكذلك القرطبي، فضلًا عن الرازي والبيضاوي والزمخشري وغيرهم، كلهم فسروا القرآن بالرأي.

ونحن نعلم أنَّ المأثور في التفسير محدود جدًّا، وهكذا قال الحافظ السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، قال: إنَّ الَّذي ورد في

QaradawiBooks.com

التفسير من المرفوع قليل[١]. وذكر كل ما جاء في المرفوع بصحيحِه وحسنِه وضعيفِه، وكلها صفحات محدودة، وما دام التفسير المأثور محدودًا، والقرآن ما شاء الله موسوعة؛ فلا بدَّ أن يكون هناك قدر من التفسير بالرأي.

ونحن نعلم أنَّ القرآن لا تنقضي عجائبه، وكنوزه ما شاء الله لا يستطيع أحد أن يحصرها، فلو قلنا: إنَّ التفسير بالرأي ممنوع. لمنعنا كل التفسيرات الَّتي نقول بها في عصرنا، والإعجاز العلمي في القرآن، وهذه الأشياء كلها داخلة في التفسير بالرأي.

التفسير بالرأي إذن ليس ممنوعًا على إطلاقه، إنَّما ممنوع إذا هجم الإنسان عليه بدون عدة، أو أراد أن يُخضِع القرآن لهواه، أمَّا إذا كان التفسير بالرأي منضبطًا بضوابطه، وسائرًا على القواعد المقبولة فلا حرج منه، وقد ألف من المتأخرين العلامة الشوكاني كتابه «فتح القدير في الجمع بين الرواية والدراية في التفسير»، وهذا هو المنهج الأفضل، أن تجمع بين الرواية والدراية، ما صح من رواية، وما عُقِل وقُبِل من دراية.

السؤال الثالث: هناك من يرفض الإجماع، ويعده غير ممكن، ويرى أن اتباع الأدلة من القرآن والسنة يغني عنه، فما قولكم؟

الجواب: الإجماع ثبت في بعض الأزمنة، وخصوصًا في زمن الصحابة، وفي عصر الشيخين: أبي بكر وعمر، فإذا كان في المسألة حكم بَيِّن في القرآن حكموا به، وإذا علموا حكمًا في السنة حكموا به، أمَّا إذا لم يعلموا في القرآن ولا في السنة شيئًا في المسألة جمعوا الناس،

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٨/٤)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

فإن كان عند أحد شيء من السنة قال: سمعت النبي ﷺ يقول كذا، وإلا استشاروا رؤوس الناس، ومن هذه المشورة الجماعية تكونت الإجماعات الأولى، فهذه الإجماعات موجودة.

ومعظم الإجماعات المنقولة لها سند في الغالب؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لا يوجد إجماع حقيقي إلا ونجد له سندًا. وربما يتساءل البعض: وإذا وجدنا له سندًا من القرآن والسنة فما قيمته؟

له قيمة طبعًا، في أنَّه نقل الحكم من الظنية إلى القطعية، أو من التشابه إلى الإحكام، ولذلك نجد في كتب الفقه: هذا الأمر ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. فالإجماع مهم هنا؛ لأنَّه يمنع التلاعب، لا يستطيع أحد تفسير هذا الأمر تفسيرًا يُخرجه من هذه الحدود، فللإجماع أهمية.

بعض المعاصرين للأسف كتبوا وقالوا: ليس للإجماع قيمة، ويجب أن نرفضه ونتركه. لا، الإجماع له قيمة، وكما قلت: الأحكام الإجماعية الثابتة هي الَّتي تمثل الثوابت للأمة، وهي الَّتي تجسد الوحدة العملية والسلوكية، والعقلية والشعورية لهذه الأمة، تجسيد هذه الوحدة يكون بالقضايا الإجماعية الثابتة، على أن يكون هذا الإجماع ثابتًا بيقين، فكثير من القضايا ادُّعِي فيها الإجماع ولم يثبت.

السؤال الرابع: هل تجوز المفاضلة بين الأنبياء؟

الجواب: المنهي عنه أن يُتخذ موضوع المفاضلة بين الأنبياء بعضهم وبعض حديثًا تلوكه الألسن، فيقال: النبي فلان أفضل من فلان، وفلان أفضل من فلان. لا، الله هو الَّذي فضَّل بعض الأنبياء على بعض، وحتى القرآن ذكرها مجملة، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، إشارة إلى موسى عليه السلام،

QaradawiBooks.com

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، إشارة إلى النبي ﷺ، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، ولكن مع هذا التفضيل، لا ينبغي أن يصبح الأمر جدلًا بين الناس، ليس هذا موضوع مفاضلة، ولا يريد النبي ﷺ أن يشغل المسلمون أنفسهم بهذه القضية.

ولذلك لما اصطدم بعض المسلمين ببعض اليهود، فقال اليهود: نبينا أفضل من نبيكم، فالله هو الَّذي اصطفى موسى على العالمين. وقال المسلمون: لا، بل نبينا أفضل من نبيكم، فالله هو الَّذي اصطفى محمدًا على العالمين. وجاء في الصحيح: «**لا تُفَضِّلوا بين أنبياءِ الله، فإنَّه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، إلَّا من شاء الله، ثُمَّ ينفخ فيه أخرى، فأكون أوَّل من بعث، فإذا موسى آخِذٌ بالعرش، فلا أدري أحُوسِبَ بصَعْقَتِه يومَ الطور، أم بُعث قبلي**»[1]. يريد بهذا أن يغلق الباب، لأنَّه يريد أن يربي الأمة على المعاني الإيجابية، لا على المعاني السلبية.

الأمة الفارغة تظل تشتغل بهذه الأشياء، كما حدث للمسلمين حين ضعف حالهم وساءت أمورهم؛ بدؤوا يسألون: عليٌّ أم أبو بكر؟ فلان أم فلان؟ ما شغل الصحابة أنفسهم بهذا، ولا شغل التابعون أنفسهم بهذا، فمسألة المفاضلات هذه ينبغي أن تُترك، ولذلك قال عن يونس بن متى، وليس هو من أولى العزم من الرسل، ولا من مشاهير الأنبياء، وأحيانًا يقول عنه القرآن: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فحتى هذا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤١٤)، ومسلم في الفضائل (٢٣٧٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال النبي ﷺ: «**لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى**»[١]. ليكف الناس عن المفاضلة عن الرسل بعضهم وبعض.

السؤال الخامس: اختلفت الآراء حول قضية المهدي المنتظر، بين مثبت ونافٍ، ما قولكم في هذا الخلاف؟

الجواب: أنا في قضيَّة المهدي ـ كما في منهجي عامَّة ـ من المُتَوَسِّطين في هذه القضيَّة، هناك من المُتَقَدِّمين والمُتَأَخِّرين من ينكر ظهور المهدي، وعندنا في قطر الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعيَّة في قطر ألَّف رسالة في أنَّه ليس هناك شيء اسمه مهدي، واجتمع معه الشيخ ناصر الدين الألباني، وكُنَّا حاضرين معهما، وتقاولا وتجادلا، ولم يصل أحدهما إلى نتيجة مع الآخر.

والَّذي نعلمه أنَّ الصحيحين لم يُذكر فيهما شيءٌ صريح عن المهدي، وقال البعض: جاء في البخاري حديث يشير إليه: «**يكون في آخر أُمَّتي خليفة، يحثو المال حثوًا، لا يعده عدًّا**»[٢].

وهناك في السنن وفي مسند أحمد أحاديث لا تخلو من كلام؛ لأن فيها عاصم بن بهدلة: ابن أبي النجود، وأهل الجرح والتعديل مختلفون فيه، هو كان أحد القراء السبعة، وقراءة عاصم معروفة، ولكنَّه ثقة في القراءة، مختلف فيه في الحديث.

ليس هناك في أحد الصحيحين حديث ثابت بيقين في هذه القضية، ولكن من مجموع الروايات يُستفاد شيء، وهو أنَّه سيظهر حاكم عادل

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٩٥)، ومسلم في الفضائل (٢٣٧٧)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩١٣)، وأحمد (١٤٤٠٦)، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يملأ الأرض عدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، هذا مبشر من المبشرات، أنا أخذته من هـذه الناحية، لم يأتِ فـي الحديث أن شـخصًا يأتي يقول للناس: أنا المهدي. ولكن بعد أن يظهر ويملأ الأرض عدلًا يقول الناس: هذا هو الَّذي قيل عنه: المهدي.

ليس هناك دعوة اسمها المهدية، الفكرة شـيعية أساسًا، أنَّ المهدي المنتظر عندهم هو الإمام الغائب، أو الإمام الثاني عشر، الَّذي دخل في السـرداب منذ أكثر من ألف ومائة سـنة، ولـم يظهر إلـى اليوم، فهم ينتظرونه ويقولون: عجَّل الله فرجه، أو فك الله أسره. فهذه الفكرة انتقلت إلى أهل السنة وخصوصًا المتأخرين، أمَّا المتقدمون فلم يكن هذا الأمر ظاهرًا في عقائدهم، ولا في كتبهم العقدية.

المتأخرون هم الَّذين عُنوا بهذا، وجعلوه مـن العقائد، وأنا في الحقيقة لا أُحبِّذ التوسـع في المعتقدات، القرآن جعل المعتقدات خمسة حين قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. والسنة أضافت إلى هذه الخمسة الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر داخل في الإيمان بالله، فهو جزء من الإيمـان بالله، مقتضى الكمال الإلٰهي، فهذا هو الَّذي أؤمـن به، لا أؤمن بأن هناك دعـوة مهدوية، ولكن أؤمن أن هناك حاكمًا يحكم بالإسلام ويُظهر شريعة الإسلام ويطبقها، ويملأ الأرض عدلًا، وهذا لا يضرنا في شيء، ننتظر هذه البشارة إن شاء الله.

السؤال السـادس: هل الأفضل اتِّباع الرخص والتيسيرات أم العزائم والتشديدات؟

الجواب: إذا احتاج الإنسان إلى التيسير ينبغي ألَّا يرفضَه، النبيُّ ﷺ حينما رأى رجلًا في الصيام يُهادَى بين الناس، ويُرش عليه الماء، ويُظلل

QaradawiBooks.com

عليه، سأل: «**ما هذا؟**» قالوا: صائم. فقال: «**ليس من البرِّ الصيامُ في السفر**»[١]، «**عليكم برُخْصة اللهِ الَّتي رخَّص لكم**»[٢]. فأنكر على مثل هذا، مثله محتاج إلى الفطر فليفطر، ما الَّذي يمنعه أن يفطر؟ فلا ينبغي للإنسان أن يرفض الرخصة أو التيسير وهو في حاجة إليها.

وحينما يكون محتاجًا إلى الرخصة تكون هي الأفضل، لأنَّ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنَّ الله يحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه كما يكره أن تُؤتى معصيته**»[٣]. وفي رواية: «**إنَّ الله يحبُّ أن تُؤتَى رخصُه كما يحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه**»[٤]. هذا بالنسبة لأنفسنا.

وبالنسبة لما نفتي به الآخرين نفتيهم بالأيسر، أنا قلت: أنا أفتي عموم الناس بالأيسر، طالما أنا أفتي العموم ولا أفتي فئة خاصة؛ أفتيهم بالأيسر، أنا أكلم عموم الناس، وأكتب للناس جميعًا، وفيهم حدثاء العهد بالإسلام، وفيهم حدثاء العهد بالتوبة، وفيهم الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، ربنا جعل الأمة ثلاث مستويات، قال: ﴿أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ [فاطر: ٣٢]. حتى الظالم لنفسه من الأمة المصطفاة، فهؤلاء لا بدَّ أن تيسر عليهم حتى تحبب إليهم الدين.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥)، كلاهما في الصوم، عن جابر.

(٢) ذكرها مسلم في الصيام عقب (١١١٥)، وزاد: قال شعبة: وكان يبلغني عن يحيى بن أبي كثير أنَّه كان يزيد، فذكرها. ووصله النسائي (٢٢٦٠)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (٥٨٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصلاة (٩٥٠)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٥٦٤)، عن ابن عمر.

(٤) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. والطبراني (٣٢٣/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٩٤٠): رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني. عن ابن عباس، وانظر كتابنا: المنتقى حديث رقم (٥٦٣).

QaradawiBooks.com

أنا ذكرت أنَّ الدين قائم على التيسير، وألزم ما يكون التيسير في عصرنا، لا تظنوا أن كل الناس من أهل (ندوة العلماء)، ولا كل طلاب العلم على درجة واحدة مـــن القوة، هناك أناس ضعاف يحتاجون إلى التيسير.

هناك أشياء كما ذكرت لكم في أوروبا وأمريكا ينبغي أن يراعى فيها التيسير، كيف أقول للناس هناك: صلوا المغرب والعشاء في وقتهما، مع أن هذا ســيكون شــاقًّا جدًّا عليهم؟ لماذا لا أفتيهم بالمذهب الحنبلي، وهو مذهب قائم على حديث صحيح: أنَّ النبي ﷺ جمع في المدينة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ولم يكن هناك خوف ولا مطر، ولما سُــئل ابن عباس: ماذا أراد النبي ﷺ بذلك؟ قــال: أراد ألا يُحرج أمته[1]. فأشار إلى رفع الحرج.

ومن المؤكد أنَّ الحرج مرفوع في هذا الدين لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. نحن نقول في العربية عن هذه الصيغة: هي نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم، أي: لا يوجد حرج قط في هذا الدين، فلا ينبغي أن تلزم الناس بمذهب إذا وجدت في مذهب آخر ما ييسر على عباد الله، فهذا هو الَّذي نقصده بالتيسير، ما يضيق به مذهب يتسع له مذهب آخر، ولذلك ينبغي للمفتي أن يبحث عن التيسير إذا كان يفتي لعموم الناس، وهذا ما أفعله، أنا أبحث عن الميسرات.

وكما قلت لكم: الناس صنفان، صنف مشدد وصنف ميسر، وعرفنا ذلك في تراثنا: شــدائد ابــن عمر، ورخص ابن عباس، لا تســتطيع أن تجعل أحدهما الآخــر، كان ابن عمر يزاحم على الحجر الأســود حتى

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٠٥) (٥٠)، وأحمد (١٩٥٣). عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

يدمَى[١]، وابن عباس يقول: لا يُؤذِي ولا يُؤذَى[٢]. فهاتان طبيعتان مختلفتان، فنحن في عصرنا في حاجة إلى أن نيسر على عباد الله؛ حتى نحبب إليهم الدين، وحتى يتسع الدين إلى أوسع رقعة ممكنة، ويتسع لعباد الله؛ فيأخذ القوي والضعيف، وصاحب العزيمة وصاحب الرخصة، فهذا هو الَّذي ينبغي لنا.

السؤال السابع: هل القول بالتيسير يعني التساهل في كل الأحكام الشرعية؛ بدعوى التسامح؟

الجواب: هناك قضايا لا بدَّ فيها من المشقة؛ مثل أداء الفرائض، التكليف نفسه ما هو؟ التكليف هو الإلزام بما فيه كُلفة أو طلب ما فيه كُلفة، ومعنى الكُلفة المشقة، فلا تكليف إلا بمشقة، فلا نريد أن نرفع المشقة نهائيًا؛ وإلا لم يكن هناك دين، الدين جاء يحد من حرية الإنسان، الَّذي لا دين له ليس عليه أي قيود، يأكل ما شاء من حرام، ويرتكب ما شاء من موبقات: يشرب الخمر، يزني بمن شاء، يفعل ما يشاء فهو إنسان سائب، أمَّا الإنسان المتدين إنسان ملتزم، يعيش في قيود وحدود، فهذه لا يمكن أن نتسامح فيها.

هناك أشياء نجد فيها النصوص واضحة، فهذه لا تسامح فيها، بعض الناس قالوا لي: أنت ميسر، ولكن رأيناك في قضية الربا مشددًا، لم تتساهل كما تساهل مفتي مصر الَّذي صار شيخ الأزهر الآن. قلت: والله

---

(١) عن طلحة بن إسحاق بن طلحة قال: سألت القاسم بن محمد عن الزحام على الركن فقال: زاحم يا ابن أخي، فقد رأيتُ عبد الله بن عمر يزاحم حتى يدمى أنفه. رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أنا مع النصوص المحكمة، ولهذا رددت على مفتي مصر في كتاب سميته «فوائد البنوك هي الربا الحرام»، لأن النصوص ألزمتني.

وأنا من المشددين في مسألة مثل مسألة التدخين، أفتي بتحريم التدخين؛ لأنَّه أمر ضار لا شك فيه، ليس فيه أدنى منفعة، الإنسان المدخن يشتري ضرره بحر ماله، هذا جنون، ويعطي المنفعة للشركات الَّتي تبيع السجائر، ومعظم الشركات العالمية الَّتي تبيع السجائر وتكسب مئات المليارات معظمها شركات استعمارية وشركات يهودية، أنا متشدد في هذه القضايا.

فأحيانًا نشدد وأحيانًا نيسر، إذا وجدنا التيسير له موجباته، وهناك ما يتسع له في الدين يسرنا، وإذا وجدنا التشديد لازمًا شددنا، المسألة لا تدور مع الهوى، إنَّما تدور مع الأدلة وجودًا وعدمًا.

وأريد أن أضيف إلى مسألة التيسير هذه الكلمة، وأرجو من الإخوة الَّذين يميلون إلى التشدد أن يحفظوها، هذه الكلمة رويت عن أحد أئمة الأمة، هو سفيان بن سعيد الثوري، هو إمام في الحديث، كان يسمى (أمير المؤمنين) في الحديث، وهو إمام في الفقه أحد فقهاء المذاهب، اعتبره الإمام الغزالي في (الإحياء) خامس الأئمة، وهو إمام في الورع والزهد، هذه الكلمة الَّتي قال سفيان الثوري ونقلها النووي في المجموع هي قوله: إنَّما الفقه الرخصة من ثقة، أمَّا التشديد فيحسنه كل أحد[1]. التحريم وسد الباب أمر سهل، أمَّا إعمال العقل، وإيجاد مخارج للناس من المآزق والشدائد، والتيسير على الناس فيما يحتاجونه فهذا هو الفقه.

(١) انظر: المجموع للنووي (٤٦/١).

QaradawiBooks.com

السؤال الثامن: هل يمكن الاعتماد على كتب السُّنَّة وحدها دون كتب الفقه، والتعامل المباشر مع الأدلة لمعرفة الأحكام الشرعية؟

الجواب: قراءة الحديث وحدها لا تكفي، لا بدَّ أن يكون مع المحدث فقيه، وهذا ما أنادي به من قديم، أنادي بضرورة الوصل بين الفقه والحديث، وكما قلت لكم فيما سبق من محاضرات: مشكلة كثير من الَّذين يشتغلون بالفقه في عصرنا أنَّهم لا يعرفون الحديث، ومشكلة الَّذين يشتغلون بالحديث في عصرنا أنَّهم لا يتعمقون في الفقه وأصوله.

والذي قاد الأمة في الزمن القديم في الحقيقة هم الفقهاء وليسوا المحدثين، قادها مالك وأبو حنيفة وأصحابهما، وقادها الشافعي وابن حنبل، والليث وسفيان الثوري، والطبري والأوزاعي، هؤلاء الأئمة هم الَّذين مشت وراءهم الأمة، الأمة لم تسر وراء المحدثين لأنَّه ـ كما قلت ـ الحديث وحده لا يكفي، إلا إذا كان المحدث فقيهًا، مثل البخاري هو بالإجماع محدث وفقيه، وفقهه يظهر في تراجمه، العناوين الَّتي في كتبه يُظهر فيها فقهه، وهو فقه قوي، وأنا أحيانًا آخذ بفقه البخاري، فهو يُضيِّق في إيقاع الطلاق، ويُضيِّق في مسألة الإفطار في الصوم، لا يوسع كما وسَّع المتأخرون من الفقهاء، وهو يقول بإخراج القيمة في الزكاة، ويستدل بحديث معاذ بن جبل، فالبخاري فقيه.

ولذلك المحدث الَّذي ليس من أهل الفقه، وليس له إمام يضيع، فلأجل هذا لا بدَّ للمحدث من إمام، وهذا ما وجدناه، أبو داود يسأل الإمام أحمد بن حنبل، والترمذي يقول في بعض الأشياء: وعلى هذا أكثر أهل العلم. أي إنَّه ينقل كلام غيره، فالفقيه هو الَّذي يضبط رواية المحدث، والمحدث عليه أن يروي، أمَّا الاستنباط فليس كل أحد يستطيعه.

QaradawiBooks.com

قال الأعمش: يا نعمان ـ يعني أبا حنيفة ـ ما تقول في كذا؟ قال: كذا. قال: ما تقول في كذا؟ قال: كذا. قال: من أين قلت؟ قال: أنت حدثتني عن فلان عنه فقال الأعمش يا معشـــر الفقهاء أنتم الأطبـــاء ونحن الصيادلة[١]، رواه ولا يعرف أن يستنبط منه، ولكن الفقيه يستطيع أن يستنبط منه، فلا بدَّ من تعاون الفقه مع الحديث، وقد رووا عن سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن ســـنان أنَّهم قالوا: لو كان الأمر بيدنا لضربنا بالجريد محدثًا لا يشتغل بالفقه، وفقيهًا لا يشـــتغل بالحديث[٢]. لأن الصحيح هو الجمع بينهما، فإذا لم يستطع المحدث أن يكون فقيهًا؛ فليكن له فقيه يرجع إليه، ويسأله في المشتبهات، هذا هو الَّذي أريد أن أقوله.

الســـؤال التاســـع: للإمام البخاري آراء في الفقه، فهل يمكن تقديم آرائه الفقهية على آراء غيره؛ لما حظي به جامعه الصحيح من مكانة بين كتب السنة؟

الجواب: عندنا كما ذكرت من قبل شيء اسمه (الفقه المقارن) الَّذي يقارن فيه العالِم والـــدارس بين أدلة الأحـــكام بعضها وبعض، فالذي يدرس الأحكام بأدلتها يســـتطيع أن يأخذ بـــرأي الإمام البخاري، وفي الغالب سيكون موافقًا لأحد المذاهب، هو لم يقلد مذهبًا من المذاهب؛ وإنَّما قد يوافقها، كما وافق مذهب أبي حنيفة في مســـألة إخراج القيمة من عين الزكاة، وهو لم يرد التقليد، إنَّما قـــاده إليه الدليل؛ رغم كثرة مخالفته للأحناف.

---

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدي (٢٣٨/٨)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) انظر: لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية للشعراني صـ٢٣، تحقيق نواف الجرّاح، نشر دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

ومن هنا أقول: الَّذي يدرس ويريد أن يُكوِّن رأيًا، وليس مقلدًا محضًا، العالم الَّذي يستطيع أن يرجح بين الآراء بمقتضى الأدلة.. يمكنه أن يأخذ برأي البخاري، كما يمكنه أن يأخذ برأي داود الظاهري، كما يمكنه أن يأخذ برأي إمام من الأئمة الَّذين انقرض مذهبهم: الثوري، أو الأوزاعي، أو الطبري، كما يمكنه أن يأخذ برأي الَّذين ليس لهم مذهب من الصحابة والتابعين، يمكن لأي فقيه وصل إلى معرفة الأحكام بأدلتها: أن يرجِّح رأيًا لعمر، أو لعلي، أو لعثمان، أو لعائشة، أو لمعاذ، أو لزيد بن ثابت؛ أو لأحد الصحابة، أو لأحد التابعين، الأئمة كان لهم شيوخ، ولشيوخهم شيوخ.

فإذا لم يأخذ عالمٌ برأي الأئمة الأربعة، وأخذ برأي سعيد بن المسيب؛ هل يكون مذنبًا؟ إذا كان رأيه مدونًا وصحيحًا وله أدلة، المهم أن يكون له دليل يرجحه، لا يأخذ بالهوى، إنَّما يأخذ بالدليل، من وصل إلى مرحلة اتباع الدليل؛ فمن حقه أن يأخذ برأي البخاري وبغير البخاري، ممن هم دون البخاري، ومن هم أعلى من البخاري مرتبة.

السؤال العاشر: ما هو المنهج الأفضل في التعامل مع قضية الأسماء والصفات؟

الجواب: المنهج الأسلم كما حكى علماؤنا من قديم هو مذهب السلف، نحن درسنا في الأزهر مذهبين: مذهب السلف، ومذهب الخلف. وقالوا: مذهب السلف أسلم. ونحن لا نعدل بالسلامة شيئًا، ما دام هذا أسلم فلنبعد عن الخطر، ونقول كما قال السلف: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ولكن لا نؤثم الآخرين، الفرق بيننا وبين البعض أنَّهم يأخذون بمذهب السلف، ومن قال غير ذلك ضللوه وأثَّموه، وربما كفروه!

QaradawiBooks.com

وهذا ليس صحيحًا، لأنَّ أحيانًا لا بدَّ من التأويل، حينما تقرأ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. لو أخذت بمنهج إخواننا الَّذين يتشبثون بموضوع الصفات، هم يثبتون لله وجهًا، ويدًا، وقدمًا، وساقًا، فلو قلت: كل شيء هالك إلا وجهه. فمقتضى ذلك أن تهلك يده، ويهلك قدمه، ويهلك ساقه. هل يريدون هم هذا؟ لا يقول أحد بهذا، فإذن لا بدَّ أن نقول: وجهه هنا أي ذاته، ليس المقصود الوجه الجزء، لا، المقصود الذات، فأحيانًا تضطرك المعاني إلى شيء من التأويل!

ومن أجل هذا نقول: إذا كان التأويل يدخل تحت إطار اللغة العربية، نحن نعرف أنَّ اللغة العربية فيها حقيقة، وفيها مجاز، وفيها صريح، وفيها كناية، حينما يقول حاكم: هذه البلد في يدي. هل معناه أن يمسكها في يده؟ لا، وإنَّما يقصد تحت سلطانه وتصرفه، فإذا قال واحد: إن قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]. أي تحت تصرفه وسلطانه. هل كفر بهذا؟ ما كفر، ولكن نحن نقول: الأوْلى ألا ندخل في هذه المعمعة، فأنا أرجح مذهب السلف، وأرى أنَّه أسلم، ولو جئنا أمام الله يوم القيامة، وسألنا عن رأينا؛ نقول له: يا رب نحن أخذنا بما قلته في كتابك، أو بما جاء على لسان رسولك، أثبتنا ما أثبت ونفينا ما نفيت. لو كان هذا خطأ فما علينا شيء، إنَّما الخطر أن نؤول، ولا يكون هذا هو المقصود؛ فنقع تحت طائلة الخطر، فلذلك مذهب السلف هو أرجح عندي، ولكنِّي لا أكفر ولا أضلل، ولا أؤثم الَّذين أوَّلوا؛ ما دام تأويلهم في إطار ما تحتمله اللغة العربية الرحبة.

السؤال الحادي عشر: هل يصح نقد روايات الحديث بالرأي؟

الجواب: كان الصحابة ينقدون الحديث؛ إذا وجدوه مخالفًا للقرآن وغير ذلك، وأكثر من رُوِي عنه ذلك من الصحابة السيدة عائشة رضي الله عنها،

QaradawiBooks.com

ردت على بعض الصحابة ما رووه، لأنَّها رأت ما رووه مخالفًا لظاهر القرآن، مثل حديث: «**إنَّ المَيِّتَ ليُعذَّب ببكاء أهله عليه**». رأت هذا مخالفًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤][(١)]. أو ما يُروى أنَّ النبي ﷺ خاطب الموتى يوم بدر، فرأت هذا مخالفًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢][(٢)]. فهي شرعت هذا، ولكن نحن نقول أيضًا: التوسع في هذه القضية خطر، فهي أنكرت على أبي هريرة روايته لحديث: «**دَخَلَت امرأةٌ النارَ في هِرَّة حبسَتْها، فلا هي أطعمَتْها، ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض**»[(٣)]. أنكرت هذا وقالت: إنَّ الله أكرم من أن يعذِّب مؤمنًا في هِرَّة[(٤)]. اعتبرت تعذيب إنسان مؤمن من أجل هِرَّة غير معقول، ولكن الحقيقة أنَّ الله عذَّب هذه المرأة لقساوة قلبها، لأنَّها قست على الحيوان حتى تركته يموت، وقد جاء الإسلام ليرقق القلوب، جاء رحمة للعالمين، فالذي يقسو قلبه إلى هذا الحد لا يستحق رحمة الله ﷻ، وليس من الضروري أن يدخل النار مخلَّدًا فيها، بل يدخلها بمقدار معصيته، هذا مع أنَّ الحديث لم يروه أبو هريرة فقط، رواه ابن عمر أيضًا، ولعل هناك ثالثًا من الصحابة لا أذكره روى هذا الحديث.

ينبغي إذن ألا نتوسع في استعمال الرأي، إنَّما ننكر من الحديث ما يكون ضد القواطع، إذا كان هناك قاطع نقلي أو عقلي، أو علمي أو

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨)، ومسلم (٩٣٢)، كلاهما في الجنائز.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٣٩٧٨)، ومسلم في الجنائز (٩٣٢).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في التوبة (٢٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (١٠٧٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود الطيالسي (١٥٠٣). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

حسي: نرفض الحديث. وابن الجوزي يقول في كتابه (الموضوعات): إذا رأيت الحديث يخالف النقول، أو يباين العقول، أو يناقض الأصول؛ فاعلم أنَّه موضوع[١]. ولأجل هذا رد كثيرًا من الأحاديث، لم يعتبرها ثابتة، لأنَّه رآها لا تتفق مع منطق الإسلام، ومع قيم الإسلام ومُسلَّمات الإسلام، فهذا هو الَّذي ينبغي أن نعتمده.

السؤال الثاني عشر: كيف ترى منهج الشيخ الألباني في التصحيح والتضعيف؟

الجواب: لست مع الشيخ الألباني بإطلاق، ولا ضده بإطلاق، الشيخ الألباني أحد علماء الحديث في الأمة من غير شك، وله جهود تُذكر فتُشكر، ولكن عمله ليس معصومًا، عمله فيه أخطاء كثيرة؛ لأنَّه يعتمد التصحيح بكثرة الطرق، فأحيانًا يُضعِّف الحديث، وأحيانًا يجد له عدة طرق فيصححه في طبعة أخرى.

الشيخ الألباني خرَّج كتابي «الحلال والحرام في الإسلام»، وكتابي «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، وسألني بعض الإخوة: هل أنت الَّذي طلبت منه ذلك؟ قلت: لا، والله ما طلبت منه، هو الَّذي قام بهذا، وجد هذه الكتب منشورة عند الناس ومشهورة عند القراء؛ فقام بتخريجها، مثلما خرَّج كتاب «فقه السيرة» للشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ. ولكنَّه أيضًا يُضعِّف بعض الأحاديث، ويأتي في مقام آخر فيصححها.

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٠٦/١)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

هناك حديث ذكرته مروي عن النسائي وغيره: «**من قتل عصفورًا بغير حقٍّ عجَّ إلى الله يومَ القيامة يقولُ: يا ربِّ، إنَّ هذا قتلني عبثًا، ولم يَقْتُلني منفعة**»[1]. هـذا الحديث أنا نقلت تصحيحه عن أكثـر من واحد، ولكن الشيخ الألباني ضعَّفه، ثم جاء في كتاب «الترغيب والترهيب» وجعله من الحسـن، ووضعه في «صحيح الترغيب والترهيب»، وهكذا له مثل هذا كثير، فالشـيخ الألباني عيبـه أنَّه قد يتسـرع أحيانًا فـي التصحيح أو التضعيف، ثم يستدرك على نفسه.

وله عيب آخر أنَّه لا يكتفـي بالتحديث، ولكن يشـتغل بالفقه، ويشذ أحيانًا عن الأمة، كما شـذَّ بقوله بتحريم الذهب المُحلَّق وغير المُحلَّق، وخالف الإجماع الَّذي نقله غير واحد، كما ذكرت لكم في محاضرة سابقة.

والمشكلة في الشـيخ الألباني أنَّه ينكر المذاهب، ويوجب على كل مسـلم أن يجتهد، ومسـتحيل أن تطلب من عوام النـاس أن يجتهدوا، ولذلك تقع بينه وبين علماء المذاهب معارك مستمرة، كما أنَّه متشدد في قضايا الصفات والتأويل، وكل مـن أوَّل أثَّمه أو ضلله، وقد يخرجه من الملة، فهو متشدد في هذه القضايا.

وهـذا لا يعني أن نطرح الشـيخ الألبانـي، ونرمي عمله في سـلة المهمـلات، لا، هو لـه أعمال جيدة من غير شـك، ويمكن للمسـلم والدارس أن ينتفع بها، ولكن أحيانًا أتوقف عند بعض ما صححه، قلبي

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، عن الشريد بن سويد، وانظر تعليقنا عليه في المنتقى حديث رقم (٥٧٧)، نشر دار الوفاء، مصر.

QaradawiBooks.com

يرتجف حينما أجده يصحح حديثًا غير مقبول إسلاميًا، فالمسلم الَّذي عنده مُسلَّمات إسلاميَّة يتوقف في بعض الأعمال، ويراجع عمله مع أعمال الآخرين، وعلى كل حال الشيخ الألباني عالم يؤخذ من كلامه ويُترك، وكل عالم وكل أحد ـ كما قال الإمام مالك، وعطاء، وابن عبَّاس ـ يؤخذ منه ويُردُّ عليه؛ إلَّا المعصوم ﷺ.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢	٤٠٨
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٦٣٦
﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٧٣، ٦١٤، ٦٣٦، ٧٥٩
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	٦١٤
سورة البقرة		
﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣	١٩٠
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠ ـ ٣٣	١١١، ٢٣٩
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٤٤	١٥، ٧٠، ٤٣٩
﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	٦٢	٣٠
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	٨٥	٤٧٩، ٦٤١
﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١١١	١٦، ٧٢، ٥٤١
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	١١٣	٢٤٩
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	١٥٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	١٧٠، ١٧٠
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾	١٣٤	٦٣
﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾	١٤٠	٢٥، ٤٨١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	١٣، ١٩٨، ٤٢٤، ٦٣١، ٦٧٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾	١٧٠	٧١، ٥٤٠
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾	١٧٣	٢١٤
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾	١٧٧	٧٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾	١٧٨	١١٥
﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	١١٥
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	١١٥
﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	١٨٤	٦٩٠
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	١٨٥	٧٢٣
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٦٣٨
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	١٨٧	١٦٠
﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾	١٨٨	٧٦٧
﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾	١٨٩	٢٩٢، ٦٤٦
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾	١٩٠	١٢٢، ١٤٩
﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	١٩١	١٤٩
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٦٨، ١٤٩
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	٦٦٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١	٦٣٩، ٧٥٥
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾	٢١٥	٧٦٧
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾	٢١٦	٢٥١، ٦٥٩
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾	٢١٧	١٤٩، ٧٦٧
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢١٩	٥٧١، ٦٤٦، ٧٦٧
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞ﴾	٢٢٠	٧٦٧
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾	٢٢٢	٧٦٧
﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾	٢٢٨	٧٦، ١٤٥
﴿تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾	٢٣٠	٥٩٨
﴿يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾	٢٣٢	٥٩٨
﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾	٢٣٣	١١٨، ١٤٦، ٤٧٦، ٦٨٣
﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾	٢٣٧	٧٦
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	٢٣٨	٥٧٤
﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾	٢٣٩	٥٧٤
﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٦٢٠
﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	٢٤٢	٧٠
﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾	٢٥٠	٤٥٧
﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾	٢٥٣	٧٧٢، ٧٧٣
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾	٢٥٦	٣٥، ٩٦، ١٤٨، ١٤٩، ٦١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾	٢٥٨	١٠٩، ٢٣٨، ٤١٠
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾	٢٧٥	٤٧٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٧٨	١٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾	٢٨٢	١٠٧، ٣٠٠، ٦٤٦، ٧٦٧
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾	٢٨٦	٧٥٥
سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٧	٥١، ٧٥، ٤٦٦
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾	٨	٦١١، ٧٥٥
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾	٩	٧٥٥
﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٢١	٤٩٣
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾	٢٨	٢١٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٣٣ ـ ٣٥	٢٤٣
﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾	٤٧	٧٦
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	١١٠، ١٥٧، ١٦٠، ٤٣٧، ٤٩٦
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾	٧٥	١٧٧
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	٧٩	٤٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم ﴾	١٠٠	٧٦٢
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	٤٢٥
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	٦١٧

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ ﴾	١٠٤	٤٣٦، ٧٥٩
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	١٣، ٦٣١
﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا ﴾	١٤٠	١٨٦
﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ ﴾	١٥١	٣١٦
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾	١٥٩	٢١٣، ٣٤٥، ٣٤٦
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٥٦٩
﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٩١	٧١
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ ﴾	١٩٥	١٤٥، ٥٩٧
سورة النساء		
﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾	٩	١٨٩
﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾	١١	٢٢٩
﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	١٩	٦٥٩
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	٣٤٠
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾	٢٩	١١٦، ٦٦٧
﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾	٣٤	٦٧٠
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾	٣٥	٣٦٢
﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾	٤٣	٧٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾	٤٧	١٦٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ ﴾	٥٨	٤٤، ٢١٣
﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ﴾	٥٩	٤٧٤، ٢٠٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٧٧	٣٦٨
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	١٧٠
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	٨٣	٩١، ٤٠٣، ٦٨٥
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾	٨٦	٧٠٢
﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾	٩٠	١٢٣، ٢٥١
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾	٩٣	١١٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	٩٧ ـ ٩٩	١٢٥
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾	١٠٥ ـ ١٠٧	٤٤، ٢٥٠، ٤٦٦
﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	١٢٧	٧٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾	١٣٥	١٦٩
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	١٣٦	٧٧٥
﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾	١٥٧	٧١، ٤٣٩
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾	١٧١	٣٣١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	١٧٤	٤٤٠
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾	١٧٦	٦٤٦، ٧٦٧
سورة المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾	١	٧٦٧، ٧٦٨
﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾	٢	٧٥٦
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	٣	٤٦١، ٦٦١، ٧١٣
﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	٥	٤٥، ١٦٠، ٦٦٥، ٦٦٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾	٦	٥٢، ٦٤٦، ٧٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾	٨	٤٤، ١٦٩، ٢٥٠، ٥٢٠
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾	١٥	٤٤٠
﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾	١٧	٢٤٢
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٢١١، ٣٤٨
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾	٢٨	٢١١
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	١١٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٢٠
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾	٣٣	٢٨٣، ٢٨٧، ٣٢١، ٣٢٥
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا﴾	٣٨	٢٨٦، ٣٠٠، ٣٢٥، ٤٧٩، ٤٨١، ٧٦٧
﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾	٤٥	١١٧
﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾	٤٩	٤٥٣، ٤٦٦، ٤٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾	٥٤	٥٢٩، ٦٣٥
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾	٦٨	٢٤٦
﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾	٧٣	٢٤٢
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾	٧٧	٣٣١
﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾	٧٩	٩٣
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾	٨٢	٢٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ﴾	٩٠	٢٢٩، ٤٧٢، ٤٧٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾	٩١	٤٧٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾	٩٥	٣٦٣
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٩٨	٥٧٧
﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾	١٠١	٢٢٠
سورة الأنعام		
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾	٣٨	١٢٠
﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٥٠	١٥، ٧٠، ٤٣٩
﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾	٥٧	٣٦٢
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾	٧٦ ـ ٧٩	٢٣٨
﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	٨٠	٧٠، ٤٣٩
﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ ﴾	٨١	٢٧٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	٨٢	٢٧٧، ٣١٦
﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾	٨٩	٣١، ١٣٨، ٦٣٥
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ ﴾	١٤١	٤٠١
﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١٤٣	٧٢، ٥٤١
﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾	١٤٤	٧٦٨
﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾	١٤٥	٢٥، ٢٢٩
﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾	١٤٨	٧٢، ٥٤١
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾	١٥١	١١٨
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢	٤٣٧، ٥٦٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	١٦٣	٤٣٧، ٥٦٨
﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٦٤	٤٧٢، ٧٨٣
سورة الأعراف		
﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾	١٤ ـ ١٨	٢٣٩
﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٢١	٢١١
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾	٣١	٤١٣، ٤٥٥
﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	٣٤	٢٧٨، ٢٧٩، ٣١٧
﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	٧٣	٤٣٦
﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٨٠	٦٦٩
﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	٨١	٦٦٩
﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	٨٤	٦٦٩
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٨٥	١٥٦
﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ ﴾	١٥٠	٥٥، ٧٩
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى ﴾	١٥٤	٧٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	١٥٢، ٤٥١، ٤٥٥
﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	١٧٦	٧٠
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	٣٥٨
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	٣١، ١٣٨، ٦٣٥
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾	١٨٥	٧١، ٤٣٩، ٥٤٠
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾	١٨٩	١٢٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾	٢٥	٣٧٣
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾	٤٦	٦١٧
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾	٥٣	٥٤٨
﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	٦٠	٢٣٠، ٤٥٣، ٧١٥
﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٦١	٢٥١
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٦٢	٥١٠، ٦٤٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾	٦٥	٥٥٦
﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ ﴾	٧٢	٦٢٧
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٧٣	٥٧، ٤٩٥، ٥٢٩
سورة التوبة		
﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾	٦	٣٥١
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ﴾	٣١	١١٠، ١٥٧، ١٥٨
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ ﴾	٣٢	٥٣٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ ﴾	٣٣	٦٤٤
﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾	٣٨	١٨٠
﴿ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾	٦٠	٢٩٤، ٣١٤
﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	٧١	١٤٦، ٥٩٧
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾	١٠٠	٦٥٧
﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾	١٠٣	٢٧٥، ٢٩٤، ٣١٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾	١٠٨	٦٥٧
﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١١٢	٣٧٣
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	٤٨٢
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	٣٤٣
سورة يونس		
﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٥	٧٠
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٣٦	٧١، ٤٣٩، ٥٣٩
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾	٥٩	٧٢٨
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٣٠٨
﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٩٠	٤٢
﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	٤٢
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾	٩٩	٣٥، ٤١، ١٤٨، ٢٤٨، ٤٥٧، ٦١٢
﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١٠١	٤٣٩
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	٢٧٨، ٣١٧
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾	٢٨	٣٥
﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾	٣٢	٢٣٨
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾	٥٠	٢٥٤
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾	٦١	٢٥٤
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	٨٤	٢٥٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾	١١٤	٣٦٠، ٣٩٣
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	٤١، ١٦٨، ٢٤٧
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	١١٩	٤١، ١٦٨، ٢٤٧، ٢٤٨
سورة يوسف		
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾	٤٦	١٨٧
﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾	٤٧ ـ ٤٩	١٨٧، ١٨٨
﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	٥٥	٤٨٤، ١٨٨
﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨٧	٣٤٨
﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	٢٧٠، ٣١٠
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٤	٤٠٨
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٣٧٣، ٤٣٤، ٦٣٧
سورة الرعد		
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٤	١٥، ٧٠، ٤٣٩
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٣٩	٧٥٣، ٧٥٤
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٢، ٥٧٢
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٥	٧٠
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠	٧٥٥
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾	٤١	٧٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٥٢٦
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	١١١
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٢٦٨، ٣٠٨
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾	٤٧	٦٥٦
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٤٩، ٥٠	٥٧٧
﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	٣٤٨
سورة النحل		
﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	١١	١٥، ٧٠
﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ﴾	١٣	٥٥، ٨٢
﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	٣٥	٤٤٠
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	٩١، ٦٨٥
﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٥٨	١١٩
﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾	٥٩	١١٩
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	٤٠٨، ٤٧٥، ٦٤١
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾	٩٧	٣٠
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾	١١٢	٢٧٠، ٢٧١، ٣١٠
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾	١١٦	٧٢٨
﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١١٧	٧٢٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	٣٧، ٣٨، ١٥٩، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٤٢، ٣٧٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٣، ٦٣٧
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾	١٥	٣٩٢، ٤٥٢
﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾	٣١	١١٨، ١١٩
﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾	٣٣	١١٧
﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾	٥٥	٧٧٣
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾	٧٠	٤٣، ١١٠، ٢٤٩
﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾	٨١	٣٦٩
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	٨٥	١٣٧، ٣٥٩، ٦٤٦
﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	١٠٥	١٠٦
سورة الكهف		
﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٥١	٧٢، ٥٤١
سورة مريم		
﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾	٤٤ ـ ٤٧	٢٣٨
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴾	٦٤	٢٢، ٢٢٠
﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴾	٩٧	٢٣٧
سورة طه		
﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾	٢٥ ـ ٣٥	٧٥٧

QaradawiBooks.com



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٣، ٤٤	٣٤٤، ٤٤٢
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾	٩٢ ـ ٩٤	٧٩
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥	٥٦٧
﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾	١٢٠	٢١١، ٥٦٧
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢١، ١٢٢	٢١١، ٥٦٧
سورة الأنبياء		
﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧	٤٠٣
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	٢٢	٤٤١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٢٥	٤٣٦
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	٨٧	٧٧٣
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	١٧٢
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٥٢، ٣٤٥، ٤٠٨، ٤٥١، ٥٥٨، ٥٧١
سورة الحج		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾	٣٨	٧٢٠
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٦٩، ٩٦، ٢٥١
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٦٩، ٩٦، ٢٥١
﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٦٨	٤٢، ١٦٨، ٢٤٨
﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	٦٩	٤٢، ١٦٨، ٢٤٨
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٣٤٠، ٧٢٣، ٧٧٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	١٣، ٦٠، ٦٣١
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾	٦٠	٣٤٨، ٣٤٩
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	٧١	٦٧٢
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٠٢	٣٩٣
سورة النور		
﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٢٧	٢٩٢
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾	٣٠	٧٠٠، ٧٣٦، ٧٣٨
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٣١	٣٣٧، ٤٧٩، ٥٧٣، ٦٣٣، ٧٠٠، ٧٣٨، ٧٣٩
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	١٨٧، ٥٣٣
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٦، ١٥٢، ١٥٧، ٤٠٨، ٤٥١
﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾	٣١	٥٣٧
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾	٥٢	٦٢٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾	٥٤	٣٧، ٢٤٢
﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	٥٩	٩١، ٤٠٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾	٦٤	١٧٥
سورة الشعراء		
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٠٥، ١٠٦	١٥٥، ٢٥٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾	١٢٣، ١٢٤	١٥٥
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ﴾	١٤١، ١٤٢	١٥٦
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾	١٦٠، ١٦١	١٥٦، ٢٥٤
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	١٦٦	٦٦٩
﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	١٧٦، ١٧٧	١٥٦
﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾	٢١١، ٢١٢	٧٤٨
سورة النمل		
﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾	٢٩ ـ ٣٢	٦٦٤
﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	٥٥	٦٦٩
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾	٦٥	١٨١
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾	٧٩	٥٦٨
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾	٤	٦٦٥
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾	٨	٦٦٥
﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾	١٥	٥٤، ٧٨
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٦	٧٨
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾	٢٣	٥٧٢
﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾	٢٦	١٨٩، ٤٨٤، ٧٥٧
﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ﴾	٣٥	٧٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾	٣٨	١٠٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٥٣٩
﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٧٠	٣٦٢
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	٧٨٣
سورة العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	٢	٦٢٨
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦	٦٢٨
﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٣٠	٦٦٩
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٣٨، ٢٤٠، ٢٤٢، ٣٤٦، ٤٤٥
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٦٣	٧٠
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾	١ ـ ٥	١٦١، ١٨٦، ٢٤٧
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	٣٧، ١٦٠، ٢٤٣، ٤٣٩، ٧٦٣
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ﴾	٢٢	١٥٢، ٤٣٩
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾	٣٠	٤٩٨
سورة لقمان		
﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٢٧٧، ٣١٦
﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾	١٥	٤٠
﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾	١٧	٩٣
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٠	١١٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ﴾	٣٤	٣٠٦، ٣٠٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة السجدة		
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٧	٦٨٩
سورة الأحزاب		
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾	١٠	٨٠، ٢٥١
﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾	١١	٨٠، ٢٥١
﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾	٢٥	٢٥٢
﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ﴾	٣٠	٧٠٩
﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾	٣١	٧٠٩
﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٣٢	٧٠٩، ٧٣٦
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	٣٩	١٣٩
﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾	٥٣	٧١٠
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ﴾	٥٩	٣٣٧، ٦٩٩
﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧	٧١، ٥٤٠
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾	٧٢	١١٢
سورة سبأ		
﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾	١٨	٢٧٠، ٣١٠
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾	٢٤	١٥٩، ٢٤١، ٤٤٤
﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢٥	١٥٩، ٢٤١، ٤٤٤
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ ﴾	٤٦	١٥، ٧٠، ٤٣٩، ٥٤١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فاطر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾	٥	٤٥٥
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۭ ﴾	١٤	٩١، ٤٠٣
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾	١٨	٥٦٣
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾	٢٢	٧٨٤
﴿ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾	٢٣	٤٩٣
﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾	٢٤	٤٩٣
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ ﴾	٢٧	٥٥، ٨٢
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾	٢٨	٥٥، ٨٢، ٦٤٢
﴿ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾	٣٢	٧٧٦
﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا ﴾	٤٣	٥٤١
سورة يس		
﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾	٤٠	٢١٠
﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ ﴾	٥٥ ـ ٥٨	٤٤٠
سورة ص		
﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾	٢٣	٣٩٤
﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾	٢٤	٣٩٤
﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾	٢٦	٣٩٤، ٥٣٩
﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٨٧	٤٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٤٥٥، ٦٣٨
سورة غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾	٣	٥٧٧
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾	٢٨ ـ ٣٣	٣٤٥
﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾	٣٨	١٥٦
﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾	٣٩	١٥٦
﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾	٤١	١٥٦
﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٥٧	٧٠
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٦٣٨
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٦٤	١١١
﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾	٨٤	٤٢
﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾	٨٥	٤٢
سورة فصلت		
﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	٣٠، ٣٢	٢٨٠، ٣١٨
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٣٧٣، ٦٤٥
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	٥٤٠
سورة الشورى		
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾	١٥	٤٢، ١٦٨، ٢٤٨
﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	٢١٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾	١٩	٧٢، ٥٤١
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾	٢٢	٧١
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾	٢٣	٥٤٠
﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٤٣	٥٦٨
﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾	٤٤	٥٦٨
﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾	٥٤	١٠٩
سورة الجاثية		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨	٩٥، ١٠٧
سورة الأحقاف		
﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٤	٧٢، ٥٤١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	١٣	٢٦٨
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٤	٢٦٨
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	١٩٧، ٢٥٢
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾	٢٤	٢٥٢
﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾	٢٩	٧١٤
سورة الحجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٣٦١
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	١٥٥، ٢٥٤، ٤٦٣، ٣٦١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾	١١	١١٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾	١٢	٢٩٢، ٣٢٨، ٣٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾	١٣	٦، ١٣٠، ١٥٧، ٤٠٩
سورة الذاريات		
﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾	١٧، ١٨	١٧٥
﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾	٢٠	٥٤٠
﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	٢١	٥٤٠، ٧٢
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٤٣٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	٥٨	٢٧٨، ٣١٧
سورة الطور		
﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾	٣٥	٤٤٠، ٤٤١
﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾	٣٦	٤٤٠، ٤٤١
سورة النجم		
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ ﴾	٢٣	٧١، ٥٣٩
﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾	٢٨	٧١، ٥٣٩
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	٣٢	٣٩٣
سورة القمر		
﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۞ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾	٤٥، ٤٦	١٨٥
سورة الواقعة		
﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾	٧٧ ـ ٧٩	٧٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد		
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾	١٦	٦٤٢
﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾	٢٠	٥٧٧
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾	٢٥	١٧٢، ٥٣٧
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾	٢٧	٣٣٣
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾	١	٤٤٣
سورة الحشر		
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾	٧	٢٧٦
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾	١٠	١٨
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	١٣	٣٥٨
سورة الممتحنة		
﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾	٤	١٧٠
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨	٤٥، ١٧٠، ١٧١، ٧٠٢
﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٩	١٧٠
سورة الصف		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	٥٧، ٦٣٤
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٩	١٨٧، ١٩٦، ٥٢٧
سورة المنافقون		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	٩	٥٧٠
﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾	١١	٢٧٨، ٣١٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التغابن		
﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١١	٤٢٥، ٦٥٩
سورة الطلاق		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾	١٢	٤٣٧
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٧	٤٥٥
سورة الملك		
﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾	١	٧٨٣
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٢	١٣٤
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٤	٢٥
سورة القلم		
﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾	٤٨	٧٧٣
سورة نوح		
﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾	١٤	٢٠٦
﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	٢٨	٧٥٥
سورة المزمل		
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾	٢٠	١٨٥
سورة المدثر		
﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾	٣٨	٤٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٣٩، ٢٧٦، ٣١٥، ٥٨٤
﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٣٩، ٢٧٦، ٣١٥، ٥٨٤
سورة النازعات		
﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾	١٨، ١٩	٣٤٤، ٤٤٢
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	١٠٩، ٤١٠
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	١١٩، ٢٨٢، ٣١٩
سورة البروج		
﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾	٨	٣٦٧
سورة الأعلى		
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٤ ـ ١٥	٥٦٩
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	٧١
سورة الفجر		
﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	١٧، ١٨	٧٥٨، ٧٥٩
سورة البلد		
﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾	١٦	٢٧٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	٥٦٩
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١١١
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	١٥
﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	٣٠٧
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾	١	٥٠
﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾	٢	٥٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾	٦	٥٠
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٧ ـ ٨	٢٨٠، ٣١٨
سورة العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١ ـ ٣	٩٣، ٣٧٣
سورة الهمزة		
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	١	١١٣
سورة قريش		
﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾	١ ـ ٤	٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٣١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾	١ ـ ٦	١٤٠، ٢١٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٤٥٥
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	٤٥٦
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾	١ ـ ٣	٤٠٨

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آمروا النساء في بناتهنَّ	١٤٦
أتدرون ما الغِيبَة؟. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكْرُكَ أخاك بما يكره	٣٢٤
اتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب	٤٤
اجتنبوا السبع الموبقات	٢٠٩
أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله، وعبد الرحمن. وأصدقُ الأسماء: حارثٌ	٢٥٣
أحبُّ الأعمال إلى الله أدومَها وإنْ قلَّ	٣٤٢
الإحسانُ أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك	٥٦٩
أحفوا الشواربَ، وأعفوا اللِّحَى	٩٠
اختاروا نُقباءَكم	٦٦٣
ادرؤوا الحدود ما استطعتم، ومن وجدتم له مخرجًا فخَلُّوا سبيله	٣٠٥
إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر	٦٤٨
إذا رأيتَ أمَّتي تهابُ أن تقولَ للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدِّع منهم	١٢٤
إذا سمعتم الرجلَ يقول: هَلَكَ الناس فهو أهلكهم	٣٤٧
إذا قامت الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ فلْيَغْرِسْها	٥٣٢، ٦٤٠

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا وُسِّدَ الأمر إلى غيرِ أهْلِه فانتظر الساعةَ	٤٨٥
اذكروا مَحَاسِنَ مَوْتاكم	١١٤، ٣٢٤
اذهبوا إلى الحَبَشة؛ فإنَّ بها ملكًا أرجو ألا تُظْلموا عندَه	١٩٠
اذهبي حتَّى تضعي ما في بطنِكِ	١١٨، ٢٨٢، ٣٢٠، ٤٥٤، ٦٨٣
أَسْلِمْ تَسْلمْ، يؤتِكَ الله أجرك مرَّتين، فإن لم تفعلْ فعليك إثم الأَرِيسِيِّين	٤٩٦
اشتدَّ غَضَبي على مَنْ ظلم مَنْ لا يجد له ناصرًا غيري	٤٠
أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله	٦٠٦
أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة المُصَوِّرون	٦٠٥
اغزوا باسْمِ الله، وفي سبيلِ الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا	١٢٢
أغنوهم في هذا اليوم	٧٣٢
أفتان أنتَ يا معاذ؟ أفتان أنتَ يا معاذ؟ أفتان أنتَ يا معاذ؟	٧٠٨
أفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم	٢٥٢
أفضلُ الجهادِ حجٌّ مبرور	٢٢٢
اقتلوا الفاعلَ والمفعولَ	٦٦٨
ألا أُصَلِّي بكم صلاة رسول الله ﷺ ؟ فصلى، فلم يرفع يديه إلا في أول مرة	٧٤٦
ألكَ أبوان؟ قال: نعم. قال: فماذا صنعتَ بهما؟ قال: تركتُهما يبكيان	٣٩٦
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الَّتي فيها معاشي	٧٥٥
اللهمَّ إنَّا نجعلُكَ في نحورِهم، ونعوذُ بك من شرورهم	٤٥٧
اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الجوعِ؛ فإنَّه بئسَ الضَّجِيع	٣٠٤
اللهمَّ اهدِ قومي؛ فإنَّهم لا يعلمون	٣٤٣
اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكَه، أنا شهيدٌ أنَّك الله وحدك لا شريك لك	١٥٥، ٢٥٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ يا مُنْزِلَ الكتاب، ويا مُجريَ السَّحاب، ويا سريعَ الحساب	٤٥٧
أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله فتستحلونه؟.	١٥٨
أليست نفسًا؟	٤٣، ١٢٨، ١٦٩، ٢٤٩
أَمَا سمعتُم قولَ العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	٢٧٧
أمَّا في بيتك شيء؟ قال: ما في بيتي شيء يا رسول الله؛ إلا حِلْس نلبس	٢٧٢، ٢٧٣، ٣١٢
إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم	٢٣٧
إنَّ ابني هذا سيِّد، وسيُصلح اللهُ به بين فئتَيْن عظيمتَيْن من المسلمين	٧٨
إنَّ أحدكم يَحْقِرُ صلاتَه إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم	١٣٥
إنَّ الله حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تُضَيِّعوها	٢١٩، ٤٦٧
إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا	١٧٧
إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من صدورِ النَّاس، ولكنْ يقبضُ العلم	٥٨٠
إنَّ الله هو المُسَعِّر القابضُ الباسطُ، وإنِّي لأرجو أن ألقى اللهَ	٢٢٥
إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار	٦٣٨
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنة مَنْ يُجدِّد لها دِينَها	١٢، ٣٠، ٤٣٣
إنَّ اللهَ يحبُّ أن تؤتى رُخَصُه، كما يحبُّ أن تؤتى عزائمُه	٦٩٢، ٧٧٦
إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كلِّه	٣٤٣
أن تُطْعِمَ الطعامَ، وتقرأَ السلامَ	٤٢٩
أن تقتل ولدَك مخافة أن يطعَمَ معك	١١٨
إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحُرمة يومكم هذا	١٣٠
إنَّ الدِّينَ يُسْر، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا	٣٤٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلُّكم لآدم، وآدمُ من تراب	١٣٠
أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم، فرخص له، وأتاه آخر	٢٢٢، ٤٣٠
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل	٢٧١، ٣١١، ٥٣٢، ٦٤٠
إنَّ المسألة لا تحلُّ إلَّا لثلاث	٣١٣
إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف	٣٢٤، ٧٠٨
إنَّ المَيِّتَ ليُعذَّب ببكاء أهله عليه	٧٨٤
أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين	٦٢٥
إنَّك أن تَذَرَ ورثتَك أغنياء خيرٌ من أنْ تذرَهُم عالةً يتكفَّفُون النَّاس	١٨٩
إنَّما أنا رحمةٌ مُهداة	٣٤٥
إنَّما النساء شقائق الرجال	١٤٦
إنَّما يأكلُ الذئبَ من الغنمِ القاصيةَ	٦٣٥، ٧٥٧
إنِّي أُرْسِلْتُ بحنِيفيَّةٍ سمْحة	٧٢٣
إنِّي أمرتُ بالعفو، فلا تقاتلوا	٣٦٨
إنِّي لأدخل الصلاة وأنا أريد أنْ أطيلَها، فأسمع بكاءَ الصبيِّ، فأتجوَّز فيها	٣٤١
إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث	٣٤٦
إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين	٧، ٣٣١، ٦٨٠، ٧٤٤
إيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة	٢٢٨
الإيمانُ بضعٌ وستُّون ـ أو بضعٌ وسبعون ـ شُعبة، أعلاها لا إلٰه إلا الله	٦٧٩
أيُّها الناس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٤٠٨، ٤٠٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ب	
بدأ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء	١٩١، ١٩٥، ٥٣١، ٥٣٢
بَشِّروا ولا تُنَفِّروا	٧٢٤
بُعثتُ بحنيفيَّةٍ سَمْحَة	٣٤٠
بل اعْقِلْها وتوكَّل	١٨٣
بمَ تقضي يا معاذ؟ فقال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟	٦٤٧
ت	
تفترق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً	٦٠
تؤْخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم	٣١٤
توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعا من شعير	٣٩
ج	
جاهدوا المشْركينَ بأموالِكم وأنفسِكم وألسنتِكم	٦٢٨
جمع النبي ﷺ في المدينة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء	٧٧٧
الجهادُ في سبيل الله	٢٢٢، ٤٢٩
ح	
حتَّى تضعي ما في بَطْنِك	٥٦٣
حُسْنُ تبعُّل المرأةِ لزوجها جهادٌ في سبيل الله	٢٢٢
الحسن والحُسَيْن سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة	٣٢٧
حصِّنوا أموالكم بالزكاة	٣٠٤
الحمدُ للهِ الَّذي أنقذه بي من النَّار	٣٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
خ	
خذْ من كلِّ حالمٍ دينارًا	١٨
خيار أئمَّتكم الَّذين تُحِبُّونهم ويُحِبُّونكم، وتُصَلُّون عليهم	٦٦٥
د	
دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب	٣٦٩
دخلت امرأة النار في هرَّة حبستها حتَّى ماتت، فلا هي أطعمتها	٢٨٣، ٧٨٤
دعْ ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ	٦٦٦
دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسولَ الله	٣٨٩
دَعُوه وأَهَرِيقوا على بَوْله سَجْلًا من ماء ـ أو ذَنوبًا من ماء ـ فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرين	٧٢٤
الدِّينُ النَّصِيحَةُ	٩٣
ذ	
ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أذنيه، أو قال: في أذنه	٢٣٣
س	
سباب المُسْلِمِ فسوقٌ، وقتالُه كفر	٣٦١
السفر قطعةٌ من العذاب	٦٩٠
سمِّ اللهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ	٤٧٦
سمح لأهل نجران أنْ يدخلوا مسجده، وفرش لهم عباءته	١٧٥
سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب	٣٦
السواكُ مطهرةٌ للفم مرضاة للربِّ	٢٣١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ش	
شاور النبيُّ ﷺ أمَّ سلمة #، وأخذ برأيها	١٤٦
شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ. حتَّى قال النبيُّ ﷺ: حتَّى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه	٢٠٨
ص	
صبرًا آلَ ياسرٍ، فإنَّ موعِدَكم الجنَّة	٣٦٨، ٦٨٨
صلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْب	٥٧٤
الصلاةُ لوَقْتِها	٤٢٩
صلاةُ المرأةِ في بيتِها أفضلُ من صلاتها في حُجْرتها	٧٤٩
صلُّوا خلفَ كلِّ برٍّ وفاجر	٦٠١
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٣٩٣
صِلي أُمَّكِ	٤٥
صِنْفان من أهل النار لم أرَهما: قومٌ معهم سِيَاطٌ كأذناب البقر	٣٢٣
صُوموا لرُؤيته، وأفطروا لرُؤيته	٢٧
ط	
طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم	٧٦٥
طوبى للغرباء	٧٠٦
ع	
عُذِّبت امرأةٌ في هرَّة حبستها حتَّى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النَّار	٣٢١
عليكم برُخْصة اللهِ الَّتي رخَّص لكم	٧٧٦
العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	٧٠٤
العينان تزنيان، وزناها النظر، واليدانِ تزنيانِ، وزناهما اللمس	١٣٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ف	
فإن استطاع ألَّا تقوم الساعة حتَّى يَغْرِسَها فليَغْرِسْها	٣١١
فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى	٢٣٢
فإنَّما هلك مَن كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين	٣٣٣
فطوبى للغرباء. قيل مَنْ الغرباء يا رسول الله؟	٥٣٢
فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه	٩٩
فيما سَقَتِ السماءُ العُشر	٤٠١
ق	
قتلوه قتلهم اللهُ، هلَّا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنَّما شفاءُ العِيِّ السؤال	٤٠٣، ٦٨٥
قلْ: آمنتُ بالله ثمَّ استَقِمْ	٤٢٩
قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر، يضربون بها الناس	٢٨٥
ك	
كان رسول الله ﷺ يدَّخر لأهله قوت سَنَة	١٨٩
كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع، ويتوضأ بالمُدِّ	٣٣٢
كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه	٣٤١
كسْرُ عظم الميِّت ككسر عظْم الحيِّ	١٢٨
كُفَّ عليكَ لسانَكَ	٤٢٩
كل أمتي معافى إلا المجاهرين	٦٣٩
كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُه، ومالُه، وعِرْضُه	١١٣، ٢٨١، ٣١٩
كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته	١٧٤، ٣٨٢
كونوا عباد الله إخوانًا	٢٥٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا أرغَمَ الله إلَّا هذه المعاطس	١٨٥
لا تتنقب المرأةُ المُحْرِمَةُ ولا تلبس القفازين	١٤٧
لا تحل الصدقة لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سويٍّ	٢٧٢، ٣١١
لا تَحِلُّ المسألةُ إلَّا لأحدِ ثلاثة	٣١٤
لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٦١٧
لا تَذْكُروا موتَاكُم إلَّا بخير	١١٤، ٢٨٦، ٣٢٤
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعض	٣٦١
لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي على الْحَقِّ ظاهرينَ، لِعدُوِّهم قاهرين	١٩٨
لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي قائمِينَ على الحقِّ لا يضرُّهم مَنْ خالفهم	٣١
لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضوا إلى ما قدموا	١١٤، ٢٨٦، ٣٢٤
لا تَسبُّوا الأموات فتؤذُوا الأحياء	١١٤، ٢٨٦، ٣٢٤
لا تُسْرِفْ. فقال: أوَفي الماء سَرَفٌ يا رسول الله؟ قال: نعم	٣٣٢
لا تُشَدِّدوا على أنفسكم فيُشَدِّدَ الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم	٣٣٢
لا تغدروا ولا تُمَثِّلوا	١٢٨
لا تغضَبْ. ثمَّ يقول: أوصني؟ فيقول: لا تغضبْ. فيقول: أوصني	٢٢٢
لا تُفَضِّلوا بين أنبياءِ الله، فإنَّه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات	٧٧٣
لا تقوم الساعةُ حتى تعودَ أرضُ العرب مُرُوجًا وأنهارًا	١٩٨
لا تكونوا إمَّعةً تقولون: إنْ أحسن الناس أحسنَّا وإنْ ظلَموا ظلمْنا	٥٤٠
لا تمنعوا إماءَ اللهِ مساجدَ الله	٧٥٠
لا تُنْكَح الأيِّمُ حتَّى تُستأمَر، ولا تُنْكَح البكر حتَّى تُستأذن	٧٣١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُسْتَأْذنَ. قالوا: يا رسول الله، وكيف إِذْنُها؟ قال: أَنْ تَسْكُتَ	٥٣، ٧٣١
لا ضررَ ولا ضرارَ	٦٦٧
لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيَّة، وإذا استُنْفِرْتم فانفروا	٦٢٧
لا، ولكنَّه الَّذي يصلِّي، ويتصدَّق، ويصوم، ولكنَّه يخشى ألَّا يكونَ الله قد قَبِلَ منه	٣٤٨
لا يأتِي علَيكم زَمانٌ إلَّا الَّذي بعدَهُ شَرٌّ منهُ	١٩١
لا يبولنَّ أحدُكم في الماء الدائم الَّذي لا يجري	٧٣٠
لا يُترك بجزيرة العرب دينان	٥٣١
لا يجتمع دينان في جزيرة العرب	٥٣٠
لا يحل دم امرئ مسلم؛ إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني	٢٨٣
لا يزال المسلمُ في سَعَةٍ من دينه؛ ما لم يُصب دمًا حرامًا	٦٨١
لا يزال من أُمَّتي أُمَّة قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم	١٣٨
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها	٣٦٠
لا يصلينَّ أحدٌ العصرَ إلَّا في بني قريظة	٥٣، ٨٠
لا يُقتل مُسْلِم بكافر	١٤٨
لا يقدس الله أمة لا يقضى فيها بالحق ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع	٢٩١
لا يَقِفَنَّ أحدُكم موقفًا يُقتل فيه رجل ظلمًا	٢٨٤، ٣٢١
لا يقل أحدُكم: اللهمَّ اغفرْ لي إنْ شئتَ، ارحَمْني إنْ شئتَ	٧٥٤
لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن مَتَّى	٧٧٤
لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذِلَّ نَفْسَه. قيل: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟	١٢٦
لا ينظر الله إليه يوم القيامة من جر ثوبة خيلاء	٣٣٩
لأن يأخذَ أحدُكم حَبْلَه على ظهره، فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها	٢٧٢، ٣١١
لَتَتَّبِعُنَّ سَنن مَن قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراع	١٩٤، ٦١٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لقد قلتُ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه	٣٢٤
لو تركنا هذا البابَ للنساء	٧٥٢
لو كانت الدُّنيا تعدِلُ عند اللهِ جناحَ بَعوضةٍ ما سقَى كافرًا منها شرْبةَ ماءٍ	١٨٠
لولا أنَّ قومَكَ حديثو عهد بجاهليَّة لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم	١٤٣
لولا أنَّ الكلاب أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ لأَمَرْتَ بقتلها	١٢٠
لولا مخافةُ القَوَدِ (القِصَاص) يومَ القيامة؛ لأوجعتُكِ بهذا السواك	٦٧١
لَيبلُغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنَّهار، ولا يترك اللهُ بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ	١٩٦، ٥٣١، ٥٣٣، ٦٤٤
ليس كما تقولون: ﴿لَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان	٣١٦
ليس مِنَّا من دعا إلى عَصبيَّة، أو قاتل على عَصبيَّة، أو مات على عَصبيَّة	٤٠٧
ليست صلاةُ أحدِكم إلى صلاتهم بشيءٍ، ولا صيامُه إلى صيامهم بشيء	٣٥٠
م	
ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حَرَّم فهو حرام	٢٢، ٢٢٠
ما أفضل الأعمال؟ فيقول: برُّ الوالدَيْنِ	٤٢٩
ما أنزل اللهُ داءً إلَّا وأنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٤٠٣
ما خُيِّر بين أمرين؛ إلَّا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثمًا	٥٩٣، ٧٠٧، ٧٤٤
ما دخل الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانه، وما دخل العنف في شيءٍ إلَّا شانه	٣٤٣
ما سكت عنه فهو عَفْوٌ	٤٦٧
ما كانت هذه لتُقاتِلَ	١٢٢
ما لك وما لها؟! معها حِذَاؤها وسقائها، دعها حتى يأتي ربُّها (صاحبها) فيأخذها	١٩
ما هذا؟ قالوا: صائم. فقال: ليس من البرِّ الصيامُ في السفر	٧٧٦
مدينة هِرَقل تُفتح أوَّلًا	١٩٦، ١٩٧، ٥٢٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعشرٍ	٤٧٦، ٦١٦
المسلم أخو المسلم	١٥٥، ٢٥٤
المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتهم أدناهم، ويُجير عليهم أقصاهم	١٧٢
مفاتيح الغيب خمسٌ، لا يعلَمها إلا الله	٣٠٦
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ	٢٢٨
من أصبح منكم آمنًا في سِرْبه مُعافًى في جسده عنده قُوتُ يومِه	٧، ٢٦٩، ٣٠٩، ٣١٠
من تشبَّه بقومٍ فهو منهم	٦١٤
مَن جرَّد ظهر مسلم بغير حقٍّ، لقي الله وهو عليه غضبان	٢٨٤، ٣٢١
مَنْ رأى منكم منكرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه	١٢٤، ٣٧٢
مَن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي	٣٤٠
من زاد على هذا فقد تعدَّى وأساء وظلم	٣٣٢
من ضرب سوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة	٢٨٤
من قال في القرآن برأيه فأصاب؛ فقد أخطأ	٧٦٩
من قال في القرآن برأيه؛ فليتبوَّأ مقعده من النار	٧٦٩
من قال: لا إلٰه إلا الله دخل الجنَّة، وإن زنى وإن سرق	٣٦٠
من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبدَه جدعناه	١٤٧
من قتل عصفورًا بغير حقٍّ عَجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربُّ	١٢٠، ٧٨٦
من قتل نفسًا معاهدًا لم يَرَح رائحةَ الجنَّة	١١٧
من قطع سِدرةً صوَّب الله رأسَه في النَّار	١٢١
من كانت له أرضٌ فلْيَزْرَعْها أو يَمْنَحْها	٢٢١
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يصلِّيَن العصر إلا في بني قريظة	٦٤٧

QaradawiBooks.com

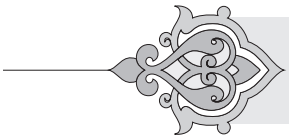
الحديث	رقم الصفحة
من مات وهو يعلم أنْ لا إلٰه إلا الله دخل الجنَّة	٣٦٠
من مُحَمَّد رسولِ الله إلى مُسَيْلِمة الكذَّاب، أمَّا بعد	٢١٦
من نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو مع الإمام، فإذا فرغ من صلاته	٧٢٢
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما أنا قاسم والله يعطي	٧، ٣٥٨
المؤمن القويُّ، خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف	٦٤٠
المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنْيَانِ، يشدُّ بعضُه بعضًا	٦١٨، ٦٣٤، ٦٨٨
ن	
النساء شقائقُ الرجال	٧٦٣
نُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهرٍ	١٩٣
نعم، هو فتح	١٩٧
النَّفْس بالنَّفْس ـ وهو القِصاص ـ والثَّيِّب الزاني، والتارك لدينه	٣٢٠
هـ	
هذا جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم دِينَكم	٧٦٧
هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه؟	٦٣٩
هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون	٣٣١، ٣٣٣، ٦٨٠، ٧٤٤
هي من قَدَرِ الله	١٨٢
و	
واضربوهنَّ ضربًا غير مُبرِّح	٦٧٠
واعلمْ أنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك، لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ	٣١٧
والله لا تدعوني قريشٌ اليومَ إلى خُطَّة فيها صلةُ رحمٍ إلَّا أجبتهم إليها	٢١٦، ٢٥٢
واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يَمِيني والقمرَ في يَسَاري	٢١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

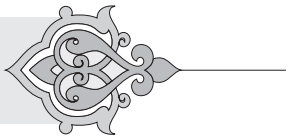
الحديث	رقم الصفحة
وإنَّما هلك من كان قبلكم بالتشديد على أنفسهم	٣٣٣
وعليكم. فردَّ عليهم بدون أنْ يسبَّهم أو يشتمهم	٣٤٣
ولْيَخْرُجْنَ تَفِلَات	٦٠٣
وما يُدريك يا عمر، لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شِئتم	٦٥٨
ويد للهِ مع الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ إلى النار	٦٣٥
ي	
يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟	١٨٤
يا أبا ذرٍّ، إنَّكَ ضعيفٌ، وإنَّها أمانةٌ، وإنَّها يومَ القيامة خزيٌ وندامة	٤٨٣
يا أيُّها الناس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ	٧، ١٥٤، ٢٥٥
يأتي على الناس زمانٌ يذوب فيه قلبُ المؤمنِ كما يذوب المِلْحُ في الماء	٣٧٠
يا رسول الله، لقد ذهب الرجال بحديثك، فاجعلْ لنا من نفسك يومًا	٦٦٢
يا عائشة، لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته	٢٨٥
يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرة؟ قلتُ: لم أرها، وقد أنبئت عنها	٧٤٠
يا عمر، ما يُدْريكم لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم	٢١٧
يَحْقِر أحدُكم صلاتَه إلى صلاتهم، وقراءتَه إلى قراءتهم، وصيامَه إلى صيامهم	٢٦١، ٦٧٩
يدُ اللهِ على الجماعة	٦٣٥، ٧٥٧
يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتَطاوعا ولا تختلفا	٣٤٠، ٥٧٧، ٥٩٣، ٧٠٤٧، ٧٢٤
يقتلون أهلَ الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان	٣٥٠
يكون في آخر أُمَّتي خليفة، يحثو المال حثوًا، لا يعده عدًّا	٧٧٤
يَمْرِقون من الدِّين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة	٣٥٠، ٦٧٩
يُوشِكُ الأمم أنْ تَدَاعَى عليكم، كما تَدَاعى الأكلة إلى قصعتها	١٩١، ١٩٢، ١٩٣

* * *

QaradawiBooks.com



فهرس الموضوعات



• **إسـلاميـات** ٥

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٦

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٧

❖ **١ ـ التجديد في الإسلام معالم وإضاءات** ٩

تحديد المفاهيم ١٠

معنى التجديد ١١

مشروعيَّة التجديد ١١

مجال التجديد ١٣

منطقة مُغْلَقة ١٣

منطقة مفتوحة ١٤

التجديد في أمور الدنيا ١٥

العقل أساس النقل ١٥

الصحابة والتجديد ١٧

تقسيم أرض العراق ١٧

أخذ الجزية بحَسَب الوُسْع ١٨

ضوال الإبل ١٩

جمع الناس على مصحفٍ واحد ١٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

طلاق الفارِّ ٢٠
تضمين الصُّنَّاع ٢٠
توبة القاتل ٢٠
منطقة العفو ٢٢
النصُّ الكُلِّيُّ ٢٢
تعدد الأفهام ٢٣
أحكام الضرورة ٢٣
التجديد لا التبديد ٢٣
موانع التجديد ٢٦
(١) النزعة الظاهرية ٢٦
الحساب الفلكي ٢٦
زكاة الفطر ٢٧
(٢) التقليد ٢٨
(٣) التعظيم للماضي ٢٨
(٤) الخلط وعدم التمييز ٢٩
مَنْ هو المُجدِّد؟ ٣٠
استمرار التجديد ٣١

❖ ٢ ـ التسامح الإسلامي مع الأديان والمذاهب ٣٣
أولًا: التسامح الإسلامي مع الأديان ٣٤
(١) الإقرار بالتعدديَّة ٣٥
(٢) التمكين من ممارسة الشعائر ٣٥
(٣) مصاهرة أهل الكتاب ٣٦
(٤) حسن المعايشة ٣٧
(٥) الجدال بالتي هي أحسن ٣٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

التركيز على القواسم المشتركة ٣٨
روح التسامح الإسلامي ٣٩
الأسس الفِكْريَّة للتسامح في الإسلام ٤٠
(١) الاختلاف الديني واقعٌ بمشيئة الله ٤١
(٢) حساب الكافرين موكولٌ لله وحده ٤٢
(٣) اعتقاد المسلم بكرامة الإنسان ٤٣
(٤) الإسلام يأمر بالعدل مع جميع الناس ٤٤
(٥) الإسلام يأمر بالبرِّ مع المخالفين ٤٥
نماذج من التسامح الإسلامي ٤٥
تاريخ حافل بالاضطهاد والدماء ٤٨
ثانيًا: التسامح الإسلامي مع المذاهب ٥٠
الاختلاف ضرورة ٥٠
الاختلاف ضرورة دينية ٥١
الاختلاف ضرورة لغويَّة ٥٢
الاختلاف ضرورة بشريَّة ٥٢
الاختلاف ضرورة كونيَّة ٥٥
التعصُّب المذموم ٥٥
التقريب لا يعني الذوبان ٥٦
التقريب المعقول ٥٧
العداء المعاصر ضدنا ٥٧
نتعاون فيما اتفقنا عليه ٥٨
نتحاور فيما اختلفنا فيه ٥٩
تأثير العوام ٥٩
أُمَّة واحدة ٦٠

QaradawiBooks.com

إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٦١
التسامح والتقريب بين المبدأ والتطبيق ٦١
تاريخنا ناصع في جملته ٦١
الخوارج ليسوا عنوانًا للأمة ٦٢
مقترحات للتقارب ٦٢
حل المشكلات الواقعيَّة ٦٢
الكفُّ عن سبِّ الصحابة ٦٣
منع الجور والاستفزاز ٦٣
مراعاة حقوق الأقليَّات ٦٤
❖ ٣ ـ الحرية العلميَّة والتعدديَّة الفكريَّة في الإسلام ٦٦
اهتمام المسلم بأُمَّته ٦٧
عناية الإسلام بالحقوق ٦٨
الإسلام يقاتل من أجل الحريَّات ٦٨
الحريَّة الفكريَّة والتعدديَّة في الإسلام ٦٩
الدعوة إلى التفكير وإقرار الاختلاف ٧٠
القرآن يُنشئ العقليَّة العلميَّة ٧١
الإقرار بالاختلاف ٧٢
منع الاختلاف ضرر ٧٣
اختلاف التنوُّع ٧٣
ضرورة الاختلاف ٧٤
(١) طبيعة الدين تقتضي الاختلاف ٧٤
(٢) طبيعة اللغة تقتضي الاختلاف ٧٥
من نماذج الاختلاف اللغوي ٧٥
(٣) طبيعة البشر تقتضي الاختلاف ٧٦

QaradawiBooks.com

ابن عمر وابن عباس ٧٧
أبو بكر وعمر ٧٨
الحَسن والحُسين ٧٨
موسى وهارون ٧٨
من اختلاف الصحابة ٧٩
مدرسة المقاصد ومدرسة الظواهر ٨٠
(٤) طبيعة الكون والحياة تقتضي الاختلاف ٨٢
التعايش لا التعصب ٨٢
نموذج في التعايش ٨٣
جمْعُ حق الطوائف ٨٤
إحياء الآراء ٨٥
الحجر على الآراء ٨٦
الخوف من الاجتهاد ٨٧
حاجتنا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد ٨٧
قد يقول بعض الناس: وهل في العلوم إسلامي وغير إسلامي؟ ٨٨
الاجتهاد في أصول الفقه ٨٨
الاختلاف ثراء ٩٠
أنصاف العلماء ٩١
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٩٣
تميُّز الحريات في الإسلام ٩٣
استعمال المصطلحات الغربية ٩٥
الاجتهاد والتقليد ٩٦
❖ ٤ ـ حقوق الإنسان في الإسلام ١٠٥
قضيَّة عالميَّة نُرحِّب بها ١٠٦

QaradawiBooks.com

ثبوت حقوق الإنسان في الإسلام وشيوعها ١٠٦
بين الأسماء والمُسمَّيَات ١٠٧
رعاية الواجبات رعاية للحقوق ١٠٧
ارتباط حقوق الإنسان في الإسلام بالعقيدة والشريعة ١٠٨
أولًا: العقيدة وحقوق الإنسان ١٠٩
(١) توحيد الله ١٠٩
التوحيد أساس الحُرِّيَّة ١٠٩
الحرية أساس الحقوق ١٠٩
(٢) تكريم الإنسان ١١٠
من مظاهر تكريم الإنسان في الإسلام ١١١
ثانيًا: الشريعة وحقوق الإنسان ١١٢
مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان ١١٣
حق الحياة ١١٤
حقُّ الحياة لكلِّ إنسان ١١٥
مشروعية القِصَاص ١١٥
تجريم القتل ١١٦
تجريم الانتحار ١١٦
المساواة في الدماء ١١٦
تحريم الإجهاض ١١٧
تجريم قتل الأولاد ١١٨
تحريم وأد البنات ١١٩
احترام حياة الحيوان ١٢٠
تحريم إبادة الأجناس ١٢٠
الحفاظ على النبات ١٢١

QaradawiBooks.com

أخلاقيَّة الجهاد في الإسلام ١٢٢
الخوارج قديمًا وحديثًا ١٢٣
مميزات حقوق الإنسان في الإسلام ١٢٣
(١) فرائض لا حقوق ١٢٤
اللجوء السياسي ١٢٥
(٢) حقوق منطقية ١٢٦
تحريم الشذوذ الجنسي (المثليَّة) **١٢٧**
(٣) حقوق نافذة مرعيَّة ١٢٨
حادثة جَبَلة بن الأيهم ١٢٩
حادثة القبطي المصري ١٣١
ضياع الحقوق في بلاد المسلمين الآن ١٣٣
الإسلام غير مسؤول عن ضياع الحقوق ١٣٤
ضرورة الحوار والمراجعة ١٣٦
ختام ١٣٦
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة **١٣٨**
موقف العلماء من قول الحقِّ ١٣٨
التذرُّع بالحقِّ إلى الباطل ١٣٩
حقوق غير المسلمين ١٤٠
الجهاد المشروع والاعتداء الممنوع ١٤١
بين التطرف والاعتدال ١٤٣
صيانة الدماء ١٤٤
علاج ظاهرة التطرُّف ١٤٤
حقوق المرأة ١٤٥
المساواة في الدماء ١٤٧

غير مصرح للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحرية الدينية ١٤٨
بين الشريعة والقانون ١٤٩
❖ **٥ ـ الانفتاح على الغرب مقتضيات وشروط ١٥١**
الإسلام دِين عالَمي ١٥٢
تحفُّظات في التعامل مع الغرب ١٥٣
مقتضيات الانفتاح على الغرب ١٥٤
١ ـ البشريَّة أسرة واحدة ١٥٤
الأخوة الوطنيَّة والقوميَّة والإنسانيَّة ١٥٥
٢ ـ التعارف لا بدَّ منه بين الشعوب والقبائل المختلفة ١٥٦
٣ ـ الإسلام دعوة عالمية ١٥٧
الإسلام حرَّر البشر من العبوديَّة لغير الله ١٥٧
المسلمون مسؤولون عن ضلال الأمم ١٥٨
٤ ـ المسلمون مطالبون بالحوار ١٥٨
خطاب القرآن للمشركين ١٥٩
٥ ـ نظرة خاصة لأهل الكتاب ١٦٠
حزن المسلمين عند انهزام الروم ١٦١
٦ ـ ضرورة التعايش بين الناس في عصر التقارب ١٦١
شروط الانفتاح ١٦٣
أولًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن عداوته للإسلام ١٦٣
مخاوف الغرب من صحوة الإسلام ١٦٤
حوار الحضارات لا صراع الحضارات ١٦٤
الخطر الأخضر ١٦٥
ثانيًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن أطماعه فينا ١٦٥
ثالثًا: أنْ يتخلَّى الغرب عن استعلائه علينا ١٦٦

QaradawiBooks.com

ليس من الخير أنْ يحكم الْمُتحلِّلُون بلاد الإسلام ١٦٧
رابعًا: الاعتراف برسالتنا وذاتيَّتنا ١٦٧
التسامح اختراع إسلامي ١٦٧
أساس التسامح عند المسلمين ١٦٨
اختلاف الناس ١٦٨
الله يحكم بين الناس في الآخرة ١٦٨
مكانة الإنسان في الإسلام ١٦٨
الإسلام جاء بالعدل لكل الناس ١٦٩
الأسئلة **١٧٠**
موقف الإسلام من الكفار ١٧٠
من الكفار مسالمون ومنهم محاربون ١٧١
وجوب اكتفاء الأمة الإسلامية ذاتيًا ١٧١
أمة سورة الحديد لا تحسن صناعة الحديد ١٧٢
وجوب تكافل المسلمين فيما بينهم ١٧٢
من المسؤول عن ضعف المسلمين؟ ١٧٣
حكم دخول غير المسلمين مساجد المسلمين ١٧٤
حكم قيام الليل جماعة ١٧٥
حكم العمل بتنظيف زجاجات الخمور ١٧٦
آفة السرقة في بعض الشباب المسلم ١٧٧

❖ ٦٠ ـ الإسلام والمسلمون وعلوم المستقبل على أعتاب القرن الجديد ١٧٩
التفكير المستقبليُّ من جوهر الدين ١٨٠
التفكير المستقبلي ليس تهجما على الغيب ١٨١
التفكير المستقبلي ليس مضادًّا للأقدار ١٨١
التفكير المستقبليّ ليس مُناقضًا للتوكل ١٨٢

QaradawiBooks.com

الأساس الفكري للنظرة المستقبلية في الإسلام ١٨٤
النظرة المستقبلية في القرآن ١٨٥
التهيؤ للمستقبل ١٨٥
المستقبل للإسلام ١٨٧
التخطيط للمستقبل ١٨٧
النظرة المستقبلية في السُّنَّة النبويَّة ١٨٩
الهجرة إلى الحبشة تفكير مستقبلي ١٩٠
حُسن فهم أبواب الفتن والملاحم والأشراط ١٩١
أحاديث مُحَذِّرات ١٩١
أحاديث مُبشِّرات ١٩٥
غربة الإسلام كيف نفهمها؟ ١٩٥
مبشرات أخرى ١٩٨
الصحابة والنظر إلى المستقبل ١٩٩
الاستغراق في الماضي ٢٠٠
الاستغراق في المستقبل ٢٠٠
دعاة الوسط ٢٠١
فقه الواقع ٢٠١

❖ **٧ ـ الإسلام والتطوُّر ٢٠٣**

ما هو الإسلام الَّذي نتحدَّث عنه؟ ٢٠٥
ما المراد بالتطوُّر ٢٠٥
موقف الإسلام من التطوُّر ٢٠٧
أصحاب الجمود في الفكر ٢٠٧
المبالغون في المرونة ٢٠٧
الإسلام بين الثبات والمرونة ٢٠٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

الثبات والتغير في الكون كله ٢١٠
الثبات والتغير في الحياة الإنسانية ٢١١
ملاءمة الإسلام للفطرة البشرية والكونية ٢١٢
الثبات في المبادئ ٢١٣
المرونة في التطبيق ٢١٣
نماذج من الثبات والمرونة في القرآن والسنة ٢١٤
الثبات والمرونة عند الصحابة ٢١٧
المرونة والثبات في الفقه الإسلامي ٢١٨
اتِّجاهات الفقه الإسلامي ٢٢٠
مراعاة الفتوى لأحوال السائلين ٢٢١
اجتهاد الإمام لما فيه مصلحة الأُمَّة ٢٢٢
الفتوى قبل الفعل تختلف عن الفتوى بعده ٢٢٣
الثبات والتطوُّر عند التابعين ٢٢٤
نصاب الذهب والفضَّة ٢٢٦
خطورة تثبيت ما شأنه التطوُّر، وتغيير ما شأنه الثبات ٢٢٨
خطورة من يريدون تطوير كل شيء ٢٢٨
نحن ضد الجمود ٢٣٠
الحكمة ضالَّة المسلم ٢٣١
الإسلام ليس ضد التطوُّر المحمود ٢٣٤

❖ ٨ ـ الحوار الإسلامي المسيحي ٢٣٥

موضوع مهمٌّ وشائك ٢٣٦
أنا مع الحوار مع الآخر ٢٣٦
ما معنى كلمة حوار؟ ٢٣٧
القرآن الكريم كتاب حوار من الطراز الأول ٢٣٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أدب الحوار ٢٣٩
بالَّتي هي أحسن ٢٤٠
نماذج قرآنيَّة في الحوار ٢٤١
التركيز على نقاط الاتفاق ٢٤٢
أحكام خاصة بأهل الكتاب ٢٤٢
النصارى لهم خصوصية تميزهم ٢٤٣
موقفنا من الحوار مع اليهود ٢٤٤
أهمية الحوار الإسلامي المسيحي ٢٤٤
البحث عن قضايا مشتركة ٢٤٥
كفر دون كفر، وباطل دون باطل ٢٤٦
من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر ٢٤٧
مبادئ التسامح مع المخالفين ٢٤٧
ما يتحفظ عليه بعض المتدينين ٢٥٠
وكفى الله المؤمنين القتال ٢٥١
رغبة صادقة في حقن الدماء ٢٥٢
هناك مستويات من الأُخوَّة ٢٥٣
عقبات في سبيل إنجاح الحوار ٢٥٥
الحروب الصليبية ٢٥٦
الاستعمار الحديث ٢٥٧
عدم إنصاف الغرب ٢٥٨
المتطرفون من الجانبين ٢٥٩
نماذج من المنصفين من الغربين ٢٦٠
المتطرفون والمتشددون من المسلمين ٢٦٠
تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة ٢٦١

QaradawiBooks.com

لقاءات جادة وإيجابية ٢٦٢
المشروع الحضاري الإسلامي ٢٦٣
نحتاج إلى التسامح والمصارحة ٢٦٥
قضية القدس ٢٦٥

❖ ٩٠ ـ مفهوم الأمن في الإسلام(١) ٢٦٦
قيمة الأمن وأهميته ٢٦٧
الجنة دار الأمن والأمان ٢٦٨
من مقومات سعادة الإنسان ٢٦٨
نعمة الأمن ٢٧٠
نقمة الخوف ٢٧٠
أهميَّة العمل في الإسلام ٢٧١
تحقيق الكفاية بالعمل ٢٧٣
دور الزكاة في تحقيق الكفاية ٢٧٤
موارد الدولة الأخرى ٢٧٥
الكفاية من وسائل تحقيق الأمن ٢٧٦
العقيدة الصحيحة من أسباب تحقق الأمن ٢٧٦
أثر عقيدة القضاء والقدر ٢٧٨
دور الشريعة في تحقيق الأمن ٢٨١
حماية الإنسان قبل أن يُولد ٢٨١
حماية النفس البشرية من القتل ٢٨٢
حماية الشريعة للجسد ٢٨٣
حماية الإسلام للعرض ٢٨٥
حماية الشريعة للمال ٢٨٦
العقوبة تنفذ بشروطها ٢٨٨

QaradawiBooks.com

الشريعة مصدر الأمن للناس جميعًا ٢٨٩
دور الدولة أن تحفظ الأمن لا أن تروع الآمنين ٢٩٠
الجميع يقف أمام القاضي ٢٩٠
لا يحل ترويع الآمنين في بيوتهم ٢٩١
الإسلام يريد حياة آمنة ٢٩٢
الإجابة عن أسئلة المحاضرة ٢٩٤
مسؤولية الدولة عن الزكاة ٢٩٥

❖ ١٠ ـ مفهوم الأمن في الإسلام(٢) ٣٠٨
الأمن نعمة عظيمة ٣٠٩
أسباب السعادة ٣٠٩
طرق تحقيق الكفاية في الإسلام ٣١١
محاربة الإسلام للبطالة ٣١١
الزكاة وحلُّ مشكلة الفقر ٣١٣
الكفاية في المعيشة من أسباب الأمن ٣١٥
أسباب الأمن في الإسلام ٣١٥
أسباب الأمن المتصلة بالعقيدة ٣١٦
أسباب الأمن المتصلة بالشريعة ٣١٩
حفظ النفس البشريَّة المعصومة ٣١٩
موقف الإسلام من جريمة القتل ٣٢٠
احترام الإسلام لحياة الحيوان ٣٢١
حفظ العرض ٣٢٤
حفظ المال ٣٢٥
تطبيق الشريعة الإسلاميَّة ضمان للأمن الاجتماعي ٣٢٦

QaradawiBooks.com

❖ **١١ ـ التطرُّف الديني دلائله ومظاهره ٣٢٩**
معنى التطرُّف وخطره ٣٣٠
علاقة التشدُّد بالتطرُّف ٣٣٣
جرعة التديُّن وأثرها ٣٣٣
دلائل التطرُّف ومظاهره ٣٣٦
(١) تجاهل الآراء الأخرى وإنكارها ٣٣٦
إعفاء اللحية وحلقها ٣٣٦
الحجاب والنقاب ٣٣٧
إسدال الثوب وتقصيره ٣٣٨
(٢) التزام التشديد وإلزام الآخرين به ٣٤٠
(٣) الخشونة والعنف في التعامل مع الناس ٣٤٢
حاجة الداعية إلى الرفق ٣٤٣
(٤) سوء الظن بالناس ٣٤٦
السقوط في هاوية التكفير ٣٤٩

❖ **١٢ ـ التطرُّف الديني... أسبابه ٣٥٤**
معالم التطرُّف الديني ٣٥٤
أسباب التطرُّف ٣٥٥
قانون السببيَّة ٣٥٥
تفسير الأسباب عبر مدارس شتَّى ٣٥٦
الواقع أن هناك أسبابا عديدة ٣٥٧
سبب علمي وفكري ٣٥٨
علمٌ قاصرٌ وغرورٌ مُطْبِق ٣٥٨
آثار قلَّة العلم ٣٥٩
المعاني الحقيقيَّة والمجازيَّة ٣٦١

QaradawiBooks.com

أهمية جمع النصوص المتعارضة في الظاهر ٣٦١
نموذج الخوارج ٣٦٢
نموذج التكفير والهجرة ٣٦٣
الفرق بين الحكم الظني والحكم القطعي ٣٦٣
أحاديث التصوير ٣٦٤
أخذ العلم من غير أهله ٣٦٥
فقدان العالم الناضج والقدوة الصالح ٣٦٦
ضعف البصيرة بالواقع وبسنن الله تعالى ٣٦٧
آثار تعجل الأمور قبل أوانها ٣٦٩
غلبة المنكرات وشيوع الفواحش ٣٧٠
التفاوت الفاحش بين أفراد المجتمع ٣٧٠
فريضة تغيير المنكر ٣٧١
مصادرة حرية الدعوة ٣٧٢
فتح المجال للجميع إلا دعاة الإسلام ٣٧٤
أثر التضييق على دعاة الإسلام ٣٧٦
استعمال العنف والإيذاء والتعذيب ٣٧٦
العنف يولد العنف ٣٧٧

❖ ١٣ ـ التطرُّف الديني... علاجه ٣٧٩
سوء فهم معنى التطرُّف ٣٨٠
الشباب أغلى ثروة في بلادنا ٣٨٠
التطرُّف نتيجة أفكار خاطئة ٣٨١
مسؤوليَّة المجتمع ٣٨١
لا بدَّ من العودة إلى الإسلام الصحيح ٣٨٣
خطر التناقض بين الواقع والمنشود ٣٨٤

QaradawiBooks.com

قيمة الأمة بإسلامها ٣٨٤
التدرُّج في العودة إلى الإسلام الصحيح ٣٨٥
إتاحة جو من الحرية للدعاة إلى الإسلام ٣٨٥
تفرقة ظالمة ٣٨٦
حرية الفكر الإسلامي في غير بلاد المسلمين ٣٨٧
سعة الصدر أمام النقد البناء ٣٨٧
قصور العلاج الأمني للظاهرة ٣٨٨
خطأ محاربة التطرُّف بتطرف مماثل ٣٨٩
معاملة الشباب بروح الأبوة الحانية ٣٩١
الرغبة في صلاحهم، لا القضاء عليهم ٣٩١
خطورة التعميم في الأحكام ٣٩٢
تقييم الشخص باعتبار مجموع أعماله ٣٩٣
تكوين الانطباع الخاطئ ٣٩٤
اتهام الفهم، لا اتهام النوايا ٣٩٥
مراتب الأحكام والأعمال ٣٩٥
فقه الاختلاف ٣٩٧
فقه روح الشريعة وحقائقها ٣٩٩
الجرأة في إصدار الفتاوى ٤٠٢
أهميَّة احترام التخصص ٤٠٣
لكلِّ داءٍ دواء ٤٠٣
عدم المبالغة في تصوير الأمور ٤٠٤

❖ ١٤ ـ حقيقة العولمة وخطرها وموقفنا منها ٤٠٥
بين تغيير الثوابت وتثبيت المتغيرات ٤٠٦
معنى العولمة ٤٠٧

QaradawiBooks.com

الإسلام دين عالمي ٤٠٧
حقيقة العولمة ٤٠٩
العولمة السياسية ٤٠٩
عولمة سياسية ظالمة ٤١١
العولمة الاقتصادية ٤١٢
حرب الإعلانات ٤١٣
العولمة الثقافية ٤١٤
المقاطعة سلاح اقتصادي وثقافي ٤١٥
العولمة الثقافية وتغيير هوية الأمة وأخلاقها ٤١٦
مقاومة العولمة الثقافية بثوابت الشريعة ٤١٧
العولمة الدينية ٤١٩
العولمة تصب في مصلحة الصهيونية ٤٢١
ما موقفنا من هذه العولمة؟ ٤٢٢

❖ ١٥ ـ الخطاب الإسلامي في عصر العولمة ٤٢٦

قدم عهدي بالبحرين ٤٢٧
الخطاب الإسلامي ٤٢٨
تغير الخطاب الإسلامي ٤٢٩
تغير الفتوى بتغير موجباتها ٤٣١
معنى (بلسان قومه) ٤٣٢
تجديد دين الأمة ٤٣٣
معالم الخطاب الإسلامي ٤٣٤
المكلفون بالقيام بالدعوة ٤٣٤
محتوى الدعوة وهدفها ٤٣٦
ربانية المصدر والغاية ٤٣٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميزان
QaradawiBooks.com

خطاب العقول بالحكمة والحجة ٤٣٨
خطاب مبين واضح ٤٤٠
خطاب القلوب بالموعظة الحسنة ٤٤١
لكل مقام مقال ٤٤٣
الحوار بالتي هي أحسن ٤٤٣
من مجالات التعاون مع غير المسلمين ٤٤٥
الخطاب الإسلامي الناجح ٤٤٧
أساليب الخطاب الإسلامي في هذا العصر ٤٤٧
تقصير المسلمين نحو دينهم ٤٤٨
حماسة غير المسلمين لخدمة معتقداتهم ٤٤٩
جهود غير المسلمين لنشر دينهم ٤٥٠
بين الموت والحياة في سبيل الله ٤٥١
الحاجة إلى تهيئة الدعاة إلى الإسلام ٤٥١
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٤٥٣

❖ ١٦ ـ الإسلام والعلمانيَّة.. مناقشات وردود ٤٥٩
لا قيمة لحوار من جانب واحد ٤٦٠
تعريف وتحديد المصطلحات ٤٦١
تحديد مفهوم العلمانيَّة ٤٦١
قبول العقيدة ورفض الشريعة ٤٦٢
قبول بعض الأخلاق دون بعض ٤٦٣
ضرورة انفتاح العلمانيين على الكتابات الإسلاميَّة ٤٦٤
قبول بعض التشريعات دون بعض ٤٦٥
موضع الخلاف مع العلمانيين ٤٦٦
الفرق بين الشريعة والقانون ٤٦٩

غير مصرح بها للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

التدرج في تطبيق الشريعة ٤٦٩
القانون الوضعي جاء مخالفا لعقائد الناس وقيمهم ٤٧٠
مثال صارخ على حيف القانون الوضعي ٤٧١
مصدر الإلزام بين الشريعة والقانون ٤٧٢
إسلاميَّة المنطلق ٤٧٣
المعيار الَّذي نحتكم إليه ٤٧٤
الإسلام ليس مجرد ركن أو زاوية ٤٧٥
الإسلام رسالة شاملة ٤٧٥
مُبَرِّر العلمانيَّة في أوروبا ٤٧٧
نعم للعِلميَّة، ولا للعلمانيَّة ٤٧٨
التجزئة غير مقبولة عندنا ٤٧٨
النظرة القاصرة للإله في الفلسفة الغربيَّة ٤٨٠
النصارى ليس لهم تشريع في الإنجيل ٤٨٠
العلمانيَّة في الغرب لم تسلب الكنيسة حقها ٤٨١
حرمان الإسلام من سلطة سياسية أو دينية ٤٨٢
الإسلام لا يعرف الحكومة الدينيَّة ٤٨٣
المبررات عند الغرب لا توجد في الإسلام ٤٨٤
التخوف من جمود بعض العلماء ٤٨٥
التخوف من الجماعات المتشددة ٤٨٦
التخوف من التجارب المتعددة ٤٨٦
التخوف على الحريات الأساسية ٤٨٨
التخوف على غير المسلمين ٤٨٨
حجة عليه لا له ٤٨٩

QaradawiBooks.com

لماذا نرفض العلمانيَّة؟ ٤٩٠
العلمانيَّة نبتة خرجت من غير تربتنا ٤٩١
❖ ١٧ ـ التبشير في العالم الإسلامي ٤٩٢
بين التبشير والتنصير ٤٩٢
أخطار خارجية تُهدِّد العالَم الإسلامي ٤٩٤
(١) الخطر اليهودي ٤٩٤
(٢) الخطر الصليبي ٤٩٤
(٣) الخطر الشيوعيّ ٤٩٤
الخطر الصليبي ٤٩٥
بين الاستشراق والتبشير ٤٩٥
نظرة تاريخيَّة على لقاء الإسلام بالمسيحيِّة ٤٩٦
أولًا: العصر النبوي ٤٩٦
ثانيًا: عصر الراشدين ٤٩٦
ثالثًا: عصر الحروب الصليبيَّة ٤٩٨
رابعًا: عصر التبشير ٤٩٩
من أهداف التبشير ٥٠١
(١) نشر المسيحيَّة ٥٠٢
(٢) تحطيم الشخصية الإسلامية ٥٠٢
(٣) تفكيك وحدة المجتمع ٥٠٣
(٤) خدمة الاستعمار ٥٠٤
(٥) هدم الحياة الإسلامية ٥٠٤
(٦) وقف المد الإسلامي ٥٠٦
من وسائل التبشير ٥٠٧

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(١) المطبوعات ٥٠٧
(٢) الإذاعات ٥٠٧
(٣) المطابع ٥٠٨
(٤) وسائل الخير ٥٠٨
(٥) وسائل التعليم ٥٠٩
العوامل المساعدة للتبشير ٥٠٩
(١) كثرة الأموال ٥١٠
(٢) إعداد المبشِّرين ٥١٠
(٣) وسائل الانتقال السريعة ٥١١
(٤) الاستعمار وأذنابه ٥١١
(٥) سوء الأوضاع ٥١٢
(٦) الابتعاد عن الإسلام الحق ٥١٣
(٧) غياب الدعاة الواعين ٥١٤
هل حقَّق التبشير أهدافه؟ ٥١٥
في مواجهة التبشير ٥١٦
(١) المجال العلمي ٥١٧
النقد العلميِّ للنصرانية ٥١٨
(أ) في العقيدة ٥١٨
(ب) في الشريعة ٥١٩
(ج) في الأخلاق ٥١٩
(د) في الحضارة ٥٢٠
(هـ) في مصادر الدين ٥٢١
(٢) المجال التعليمي ٥٢٢
(٣) المجال الاجتماعيُّ والخيريُّ ٥٢٢

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من عوامل النجاح ٥٢٤
(أ) المناعة الإسلاميَّة ٥٢٤
(ب) قوة الإسلام الذاتيَّة ٥٢٦
(ج) المبشرات بانتصار الإسلام ٥٢٧
(د) الصحوة المتجدِّدة ٥٢٨
كلمة الختام ٥٢٩
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة المحاضرة ٥٣٠
دور الحكومات في مواجهة التبشير ٥٣٠
ضرورة فهم أحاديث الفتن ٥٣١
التحضير للهيئة الخيريَّة العالميَّة ٥٣٣

❖ ١٨ ـ التأخر التقني لدى المسلمين الأسباب والحلول ٥٣٥
همُّ التخلُّف ٥٣٦
التَّخلُّف الزِّراعي والصناعي ٥٣٦
هل نحن أغبياء؟ ٥٣٨
هل الإسلام سبب تخلفنا؟ ٥٣٩
الإسلام ينشئ العقليَّة العلميَّة ٥٣٩
عقليَّة ترفض الظن موضع اليقين ٥٣٩
عقلية ترفض الجمود والتقليد ٥٤٠
عقليَّة تُفكِّر وتنظر ٥٤٠
عقليَّة تطلب البرهان ٥٤١
الأُمَّة الإسلامية تقود العالم قُرونًا ٥٤١
العلم عندنا دين والدين عندنا علم ٥٤٣
لغة تدريس العلوم ٥٤٥
المعتزلة وعلماء الحديث ٥٤٥

QaradawiBooks.com

نقد الغزالي للفلسفة ٥٤٦
الأسباب الحقيقية لتخلفنا ٥٤٨
(١) تقدُّم التقليد على الاجتهاد ٥٤٨
(٢) قصور نظامنا التعليمي ٥٤٩
(٣) الاستبداد وغياب الحريات ٥٥٠
هجرة النوابغ ٥٥١
(٤) التفرُّق والتمزُّق ٥٥٢
(٥) الاعتماد على غيرنا ٥٥٣
(٦) ضعف التعبئة المعنويَّة ٥٥٤
مضاعفة الطاقات ٥٥٥
(٧) السبب الخارجي لتخلُّفنا ٥٥٦

❖ ١٩ ـ ثقافتنا بين الأصالة والتغريب ٥٦٠

بين العلم والثقافة ٥٦١
أهم مكونات الثقافة ٥٦١
الإسلام يصبغ حياة الإنسان كلها ٥٦٢
اللغة العربية أداة التعبير ٥٦٣
أدوات الثقافة ٥٦٣
معنى التغريب ٥٦٤
الحضارة يمكن أن تتجزأ ٥٦٥
آثار الغزو الفكري ٥٦٥
المرأة في الثقافة التغريبيَّة ٥٦٦
الإعلام التغريبي وإفساد المجتمع ٥٦٧
حاجتنا للثقافة العربية والإسلامية الأصيلة ٥٦٧

إجابات عن أسئلة المحاضرة ٥٦٩

QaradawiBooks.com

التصوف الصحيح ٥٦٩
دخول بعض البدع في التصوف ٥٧٠
نأخذ الجوانب الإيجابية ونترك السلبية ٥٧٠

❖ **٢٠ ـ الأقلِّيَّات المُسْلمة.. إضاءات وحوارات ٥٧٩**

العلماء ورثة الأنبياء ٥٧٩
إنَّما المؤمنون إخوة ٥٨١
كلمتي في احتفالية ديوبند ٥٨٢
ما يجمع، لا ما يفرق ٥٨٣
المسلم عضو نافع في مجتمعه ٥٨٣
علاقتنا بغير المسلمين ٥٨٤
عدم الانغلاق على مذهب واحد ٥٨٥

إجابات عن أسئلة الحضور ٥٨٧

تقنين فقه الأسرة ٥٨٧
وفي البلاد العربية اتجاهان ٥٨٧
الاتجاه الإصلاحي ٥٨٧
جهود الشيخ المراغي ٥٨٨
تجربة اللجنة المشتركة لمصر وسوريا ٥٨٩
أهمِّيَّة تقنين الفقه الإسلامي الواسع ٥٩٠
بقاء المسلمة مع زوجها غير المسلم ٥٩١
الاجتهاد والتقليد ٥٩٣
الناس صنفان: عالم، وعامي ٥٩٤
كلمة نيِّرة للشيخ حسن البنَّا ٥٩٥
مشقة مواجهة من اعتاد التقليد ٥٩٦
من ضيق التقليد إلى رحابة الاجتهاد ٥٩٧

نسخة مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقاومة منع المرأة من المسجد ٥٩٧
التأهل للفتوى ٥٩٨
الوقاية من الفتاوى الشاذة ٥٩٩
إعداد المفتي القادر على الفتوى ٦٠٠
الصلاة وراء البر والفاجر ٦٠١
دار الإسلام ودار الحرب ٦٠١
النفقة والتعويض ٦٠٢
خروج المرأة ٦٠٢
البيع بالتقسيط ٦٠٤
الاقتراض من البنك لشراء البيوت السكنية ٦٠٤
حكم التصوير ٦٠٥
قضية القدس ٦٠٨

❖ ٢١ ـ الأقلِّيَّات المُسْلِمة في المجتمع غير المسلم ٦١١

غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ٦١١
ما واجبات هذه الأقلِّيَّات؟ ٦١٣
الحفاظ على الوجود الإسلامي التميز ٦١٣
مخالفة غير المسلمين ٦١٤
التنشئة على الأخلاق والآداب الإسلاميَّة ٦١٦
وحدة الكلمة للأقلِّيَّات المسلمة ٦١٧
كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ٦١٩
نتعاون فيما اتفقنا عليه ٦٢١
دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ٦٢٢
أن نكون صورة حسنة للإسلام ٦٢٢

إجابة سؤال المحاضرة ٦٢٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **٢٢ ـ واجبات الأقَلِّيَّة المسلمة** **٦٣٠**
المسلمون أمة واحدة ووطن واحد ٦٣١
كلماتي للمسلمين في هذه البلد ٦٣٢
كلمتي للمسلمين عامَّة ٦٣٢
المحافظة على الوجود الإسلامي ٦٣٢
المسلم متميز عن غيره ٦٣٢
اليهود أقلية حافظت على شخصيتها ٦٣٣
توحيد الكلمة ٦٣٤
الإسلام يحث على الجماعة ٦٣٦
الخطاب القرآني خطاب جماعي ٦٣٦
دعوة غير المسلمين ٦٣٦
الدعوة بالعمل أبلغ من القول ٦٣٧
الإسلام دين المستقبل ٦٣٨
ليس في الإسلام وساطة ٦٣٨
الله تعالى قريب من عباده ٦٣٩
المؤمن قوي مؤثر في مجتمعه ٦٤٠
واجب طلاب المدارس والجامعات الإسلامية ٦٤٠
الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ٦٤١
الجمع بين العلم والعمل والسلوك ٦٤٢
الدعوة إلى الإسلام ٦٤٢
دعوة المسلمين ٦٤٢
دعوة غير المسلمين ٦٤٣
الإسلام ينتصر بالرجال ٦٤٤
الإجابة عن سؤال المحاضرة **٦٤٦**

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طرق تحصيل العلم ٦٤٦
السؤال: هل باب الاجتهاد أُغلق أم أنَّه ما زال مفتوحًا؟ ٦٤٧
أنواع الاجتهاد ٦٥٠
الاجتهاد الانتقائي الترجيحي ٦٥٠
الاجتهاد الإنشائي ٦٥٢

❖ ٢٣ ـ السبق الزمني في الإسلام ٦٥٦
المسجد الأول ٦٥٧
أهميَّة السبق الزمني ٦٥٨
جهود الشيخ عبد السلام الأندونيسي ٦٥٩
كيف انتشر الإسلام؟ ٦٦٠
دعوة بالفطرة ٦٦٠
إجاباتي على الأسئلة ٦٦٣
المشاركة في الانتخابات البرلمانيَّة ٦٦٣
الأكل من طعام أهل الكتاب ٦٦٥
حكم الغناء ٦٦٦
حكم التدخين ٦٦٦
الشذوذ الجنسي والتعامل معه ٦٦٨
صلاة المُتَنَفِّل بالمُفْتَرِض ٦٧٢
مفهوم السلفية ٦٧٢
خلاف مع الأشاعرة ٦٧٤
موقف من التصوف ٦٧٥
حكم لبس النقاب ٦٧٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة للجانبية
QaradawiBooks.com

❖ **٢٤ ـ الإسلام دينٌ حياة (لقاء مفتوح في أمريكا)** **٦٨٢**
أسئلة الأخوات الحاضرات **٦٨٧**
تعقيب إحدى الأخوات على إجابة الشيخ ٧٠٦
رد الشيخ على تعقيب الأخت ٧٠٧
❖ **٢٥ ـ لقاء مفتوح مع العلَّامة القرضاوي (بالبحرين)** **٧١٢**
الصحوة الإسلاميَّة والتحديات **٧١٢**
آثار الصحوة الإسلاميَّة ٧١٤
بناء الإنسان من جديد ٧١٦
القوى المُتَرَبِّصة بالصحوة ٧١٧
الاهتمام بالقضايا الكبرى ٧١٨
موقف أعداء الإسلام من الإسلام المعتدل ٧١٨
إجابات الشيخ القرضاوي عن أسئلة اللقاء المفتوح **٧٢٠**
تهمٌ مُوَجَّهة إلى الشيخ القرضاوي ٧٢٠
التهمة الأولي: القرضاوي متساهل في الدِّين ٧٢١
الإسلام دين اليُسر ٧٢٣
الحاجة إلى التيسير في هذا العصر ٧٢٤
فتوى المسح على الجورب ٧٢٥
التهمة الثانية: الشيخ القرضاوي شيخ عصري أكثر منه سلفي ٧٢٥
موقف النَّاس من ابن تيمية ٧٢٦
أكثر العصور تيسيرًا هو عصر الصحابة ٧٢٦
مسألة خلق القرآن وقضايا العصر ٧٢٧
التهمة الثالثة: القرضاوي يميل إلى التحليل أكثر منه إلى التحريم ٧٢٨
التهمة الرابعة: الشيخ القرضاوي يفتي بما يريده النَّاس على حساب الشرع ٧٢٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض المسائل الَّتي يستند عليها هؤلاء في تهمهم هذه ٧٣٠
المسألة الأولى: القرضاوي يبيح زكاة الفطر نقدًا ٧٣٠
المسألة الثانية: الشيخ القرضاوي يبيح التصوير الفوتوغرافي ٧٣٥
المسألة الثالثة: الشيخ القرضاوي يبيح الغناء ٧٣٦
المسألة الرابعة: الشيخ القرضاوي يبيح كشف الوجه واليَدَيْن ٧٣٨
المسألة الخامسة: الشيخ القرضاوي يبيح سفر المرأة للدراسة من غير مَحْرَم ٧٤٠
المسألة السادسة: الشيخ القرضاوي لا يحرم التدخين ٧٤٢
المسألة السابعة: القرضاوي لا يُحَرِّم حلق اللحية ٧٤٣
تقليد المذاهب الفقهيَّة ٧٤٥
صلاة المرأة في المسجد ٧٤٩
الجهاد في فلسطين وفي أفغانستان ٧٥٢
دعاء ليلة النصف من شعبان ٧٥٣
حكم العمل الجماعي ٧٥٦
تعليم البنات ٧٦٢

❖ **٢٦ ـ حوارٌ مفتوحٌ في ندوة العلماء (بالهند)** **٧٦٦**

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٧٩١**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٨١٩**

• **فهرس الموضوعات** **٨٣٣**

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com